

اكتساب لغتي

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦ هـ)

كتابخانه

مركز تحقيقات كتاب و تری علوم اسلام

شماره ثبت: ٠٠٤٦٣٢

تاریخ ثبت:

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي



جدید بقیة
jadidpdf.com

الجزء السابع

طبعة كاملة ومهذبة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزينة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

مركز تحقيقات كتاب و تری علوم اسلام



جميع الحقوق محفوظة
دار لاهمياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء السابع
من كتاب الأغاني

/ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

نسبه وكنيته:

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا العباس. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عقيل الثَّقَفِي، وهي بنت أخي الحجاج. وفيه يقول أبو نُخَيْلة^(١):

بين أبي العاصي وبين الحجاج
يالكما نوراً سراجاً وهجاً
* عليه بعد عمه عقد التاج *

وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمتها أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر. وأم عبدالله بن عامر أم حكيم البَيْضَاء بنت عبد المطلب بن هاشم؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد:

نَبِيّ الْهُدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالُهُ نَبِيّ الْهُدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يُفَاخِرُ

/ كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة:

وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل. وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نُحِلَّه وأُلْصِقَ إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

ولاء أبوه العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه:

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشيّ وجويزية بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهال بن عبد الملك وأبي^(٢) عمرو بن المبارك وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم:

أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوش إلى يزيد^(٣) بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش

(١) أبو نخيلة وهو اسمه. وكنيته أبو الجندب، شاعر يغلب عليه الرجز، عاصر الدولتين الأموية والعباسية، اتصل ببني هاشم ومدح خلفاء بني العباس في دولتهم وهجا بني أمية. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ١٨ ص ١٣٩ طبع بولاق)

(٢) في الأصول: «أبو عمرو».

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، كان اتهمه عمر بن عبد العزيز وسجنه فهرب من السجن في آخر خلافة عمر. فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة طلبه فخرج عليه وخلعه وحاز البصرة فحاربه يزيد. (انظر «الطبري» ق ٢ ص ١٣٧٩ طبع أوروبا).

وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق، قال له العباس: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غدر وإزجاف، وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث، ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين ولم يعهد، فيقت ذلك في أعصاب أهل الشام؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد! قال: غداً. ١٠٢ / وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك، فأتى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، أيما أحب إليك: ولد عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أفأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي. قال: فابنك لم يبلغ، فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام - قال: والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة - قال: غداً / أبايك له. فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه. فلما أدرك الوليد ندم أبوه، فكان ينظر إليه ويقول: اللعنة بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة. قالوا^(١): فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة، ثم طمع في خلععه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدماته على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط؛ فحج وظهر منه فعل كثير مذموم، وتشاغل بالمغنين وبالشراب، وأمر مولى له فحج بالناس. فلما حج طالبه هشام بأن يخلع نفسه فأبى ذلك؛ فحرمه العطاء وحرم سائر مآاليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً. فخرج متبدياً^(٢) وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه^(٣)، وكان يرمى بالزندقة. ودعا هشام الناس إلى خلععه والبيعة لمسلمة بن هشام - وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي. وكان مسلمة يكنى أبا شاكراً؛ كني بذلك لمولى كان لمرwan يكنى أبا شاكراً، كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به - فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسي وغيرهم من خاصة هشام. وكتب إلى الوليد: ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيت به وارتكبت غير متحاش ولا مستتر، فليت شعري ما دينك؟ أأعلى الإسلام أنت أم لا؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد - ويقال: بل قال^(٤) ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه -:

[٤/٧]

/ صوت

يأتيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكراً
نشرها صرْفاً وممزوجة بسالسخن أحياناً وبالفتير

- غناه عمر الوادي رملًا بالنصر - فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة! فالزم الأدب، واحضر الصلوات. وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة، فأظهر التُّسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالى أهل المدينة:

يأتيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكراً

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «قال».

(٢) كذا في أكثر النسخ: وتبدى: أقام بالبادية. وفي ب، س: «متبدياً» وهو تصحيف.

(٣) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «مؤدباً».

(٤) في ب، س: «بل قال له ذلك».

الواهب البزل^(١) بأزسانها ليس بزنديقي ولا كافر
قال المدائني: وبلغ خالد القسري ما عزم عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يكتني أبا شاكراً؛ فبلغت هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سبب إيقاعه به.

تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام:

أخبرني محمد بن الحسن الكندي المؤدب قال حدثني أبي عن العباس بن هشام قال:

دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلس هشام بن عبد الملك وقد كان في ذكره قبل أن يدخل، فحمقه من حضر من بني أمية. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبك يا وليد للروميات، فإن أباك كان بهن مشغوفاً؟ قال: إني لأحبهن؛ وكيف لا أحبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك - وكانت أم العباس رومية - قال: اسكت فليس الفحل يأتي عسبه^(٢) بمثلي؛ فقال / له الوليد: اسكت يابن البظراء! قال: أنفخر علي [٥/٧] بما قطع من بظرك أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شرابك؟ قال: شرابك يا أمير المؤمنين؛ وقام مغضباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنه أحق! ما هو أحق، ولكني لا أظنه على الملة.

دخل مجلس هشام فعبث بمن كان فيه من وجوه بني أمية:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال:

دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلس هشام / بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام وأبو الزبير مولى^{١٠٣} مروان وليس هشام حاضراً؛ فجلس الوليد مجلس هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف؛ قال: سعيد ابن أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بك. ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير؛ قال: أنسطاس أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: من أنت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: من إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه؛ قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. قال: من إسماعيل؟ وهو يعرفه؛ قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة. قال: من الوليد بن المغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعض ولد ابنته. قال: يابن اللخناء! أتقول هذا! واتخذوا^(٣). وأقبل هشام؛ فقبل لهما: قد جاء أمير المؤمنين، فجلسا وكفاً. ودخل هشام؛ فما كاد الوليد يتنحى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحل^(٤) له قليلاً؛ فجلس هشام وقال له: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالح. قال: ما فعلت / برأيتك^(٥)؟ قال: مُعملة أو [٦/٧] مُستعملة. قال: فما فعل نداموك؟ قال: صالحون، ولعنهم الله إن كانوا شراً ممن حضرنا؛ وقام؛ فقال له هشام: يابن اللخناء! جثوا عنقه؛ فلم يفعلوا ودفعوه زويداً. فقال الوليد:

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعّال وعامر

(١) البازل من الإبل: الذي استكمل السنة الثامنة وطلع في التاسعة.

(٢) العسب: طرق الفحل، وقيل: هو ماء الفحل فرساً كان أو بغيراً؛ يقال: قطع الله عسبه أي ماءه ونسله.

(٣) اتخذوا: تصارعوا.

(٤) كذا في «تجريد الألفاني»، وزحل تنحى. وفي الأصول: «دخل» بالذال المهملة والخاء المعجمة، وهو تحريف.

(٥) كذا في أكثر النسخ. والبربط: العود. وفي ب، س: «برأيتك». وهو تحريف.

أنا ابنُ عظيمِ القرينين^(١) وعِزُّها ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والعَصَاةُ الأكابرُ
نَبِيُّ الهُدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالُهُ نَبِيُّ الهُدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يُفَاخِرُ

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث عن المَدَائِنِيِّ قال:

كان هشام بن عبد الملك يُكْثِرُ تَقْصُّصَ الوليد بن يزيد؛ فكان مسلمة يعاتب هشاماً ويكفّه؛ فمات مسلمة؛ فغَمَّ الوليدُ ورثاه فقال:

بعث

أنا بَريْدانٍ مِنْ واسِطٍ يَخْبُئُ بِنِ الْكُتُبِ الْمُعْجَمَةِ
أَقُولُ وَمَا الْبَعْدُ إِلَّا الرَّدَى أَمْسَلُمُ لَا تَبْعَدُنْ^(٢) مَسْلَمَةَ
فَقَدْ كُنْتَ نَوْرًا لَنَا فِي الْبِلَادِ تُضِيءُ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُظْلَمَةً
كَتَمْنَا نَعْيَكَ نَخْشَى الْيَقِينَ فَجَلَّى الْيَقِينَ عَنِ الْجَمْجَمَةِ^(٣)
/ وَكَمْ مِنْ يَتِيمٍ تَلَا فَيْتَهُ بِأَرْضِ الْعَدُوِّ وَكَمْ أَيْمَةً
وَكُنْتَ إِذَا الْحَرْبُ ذَرَّتْ دَمَاءً نَصَبْتَ لَهَا رَايَةً مُغْلَمَةً

١٠٤
٩

مرآة تنقيت الحديث

/ غنى في هذه الأبيات التي أولها: [٧/٧]

* أقول وما البعد إلا الردى *

يونسٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وذكر الهشامي أن فيه ثَقِيلًا أَوَّلَ يُنسَبُ إِلَى أَبِي كَامِلٍ^(٤) وَعَمْرٍو الْوَادِي. وذكر حَبَشٌ أَنَّ لِيُونُسَ فِيهِ رَمَلًا بِالْبَيْضَرِ.

أخبرني الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ بِنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ بِنِ مُضَرَّسٍ بِنِ مَنظُورٍ بِنِ زَبَّانٍ بِنِ سَيَّارٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

رَأَيْتُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي عَسْكَرِهِ يَوْمَ تُوفِّيَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهَشَامٌ فِي شُرْطَتِهِ، إِذْ طَلَعَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَجْرُ مِطْرَفَ خَزٍّ عَلَيْهِ؛ فَوَقَفَ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ عُقْبَى مِنْ بَقِي لِحَقِّكَ مِنْ مَضَى؛ وَقَدْ أَقْفَرَ بَعْدَ مُسْلِمَةَ الصَّيْدُ لِمَنْ يَرَى^(٥)، وَاخْتَلَّ الثَّغْرُ فَوَهَى، وَعَلَى أَثَرٍ مَنْ سَلَفَ يَمْضِي مِنْ

(١) القرينان: مكة والطائف. واختلف في عظيم القرينين، فقيل: الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف. وقال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عميرة الثقفي.

(٢) لا تبعدن: لا تهلكن.

(٣) جلى عن الشيء: كشفه وأظهره. والجمجمة: إخفاء الكلام.

(٤) ستأتي ترجمته في هذا الجزء.

(٥) كذا بالأصول.

خَلَفَ؛ فَتَزَوَّدُوا، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. فَأَعْرَضَ عَنْهُ هِشَامٌ وَلَمْ يَزِدْ جَوَابًا؛ وَوَجَمَ النَّاسُ فَمَا هَمَسَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ. قَالَ: فَمَضَى الْوَلِيدُ وَهُوَ يَقُولُ:

أَهْنَمَةٌ^(١) حَدِيثُ الْقَوْمِ أَمْ هُمْ
عَزِيزٌ كَانَ بَيْنَهُمْ نِيًّا
كَأَنَا بَعْدَ مَسَلَمَةَ الْمُرْجِي
أَوُالَافٍ هَجَّانٌ فِي قِيُودِ
فَلَيْتَكَ لَمْ تَمُتْ وَفَدَاكَ قَوْمٌ
/ سَقِيمُ الصَّدْرِ أَوْ شَكِيسٌ نَكِيدُ
سُكُوتٌ بَعْدَ مَا مَتَّعَ^(٢) النَّهَارُ
فَقَوْلُ الْقَوْمِ وَخِيٌّ لَا يُحَارُ
شُرُوبٌ طَوَّحَتْ بِهِمْ عُقَارُ
تَلَفَّتْ كُلَّمَا حَنَّتْ طُؤَارُ^(٣)
تُسْرِيحٌ غِيَّهِمْ عَنَّا^(٤) الدِّيَارُ
وَأَخْرُجُوا لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ

[٨/٧]

يَعْنِي بِالسَّقِيمِ الصَّدْرَ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَيَعْنِي بِالشَّكِيسِ هِشَامًا، وَالَّذِي لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ.

أَرَادَ هِشَامُ خَلْعَهُ مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ فَقَالَ شِعْرًا:

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الصُّحَّاحِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

أَرَادَ هِشَامُ أَنْ يَخْلَعَ الْوَلِيدَ وَيَجْعَلَ الْعَهْدَ لَوْلَاهُ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ:

كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا
رَأَيْتَكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعَتِي
أَرَاكَ عَلَى الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِيثَةً
كَأَنِّي بِهِمْ يَوْمًا وَأَكْثَرُ قَوْلِهِمْ
جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ
وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهْدَمْتَ مَا تَبْنِي
فِيَا وَلِيَّهِمْ إِنْ مُتَّ مِنْ شَرٍّ مَا تَجْنِي
أَيَا لَيْتَ أَنَا، حِينَ «يَا لَيْتَ» لَا تُغْنِي

أَمْرُهُ هِشَامُ بَطْرِدَ عَبْدِ الصَّمَدِ فَطَرْدَهُ وَلَمَّا اضْطَهَدَ أَهْوَانَهُ ذَمَّهُ بِشِعْرِ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

عَتَبَ هِشَامُ عَلَى الْوَلِيدِ وَخَاصَّتَهُ. فَخَرَجَ الْوَلِيدُ وَمَعَهُ قَوْمٌ مِنْ خَاصَّتِهِ وَمَوَالِيهِ فَتَزَلَّ بِالْأَبْرِقِ بَيْنَ أَرْضِ بُلْقَيْنَ وَفَرَّارَةَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْأَغْدَفُ، وَخَلَفَ بِالرَّصَافَةِ كَاتِبَهُ عِيَّاضُ بْنُ مُسْلِمٍ مَوْلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَكَاتِبَهُ بِمَا يَحْدُثُ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى. فَشَرِبُوا يَوْمًا؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: يَا أَبَا وَهْبٍ، قُلْ أَبْيَاتًا تُغْنِي فِيهَا؛ فَقَالَ أَبْيَاتًا، وَأَمَرَ عَمَرَ الْوَادِي فَغَنَّى فِيهَا وَهِيَ:

صَوْت

/ أَلَمْ تَرَ لِلتَّجْنَمِ إِذْ سَبَعَا^(٥) يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجِعَا

١٠٥
٦

(١) الهنمة: الكلام الخفي لا يفهم.

(٢) متع النهار: بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال، وقيل: متع النهار: طال وامتد.

(٣) الطُّؤَارُ: جمع نادر، مفردة ظئر وهي الناقة العاطفة على غير ولدها المرضعة له.

(٤) كذا في «وهامش أ» وفي سائر الأصول: «عنها».

(٥) سبعا: أقام سبع ليال.

تَحْيَرُ عَنْ قَصْدِ مَجْرَاتِهِ إِلَى^(١) الْغَوْرِ وَالتَّمَسُّ الْمَطْلَعَا
/ فَقُلْتُ وَأَعْجَبِي شَأْنَهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمَعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ^(٢) قَدْ اسْتَجْمَعَا
وَكُنَّا نَوْمِلُ فِي مُلْكِهِ كَتَامِيلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُفْرِعَا
عَقْدُنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ رَطُوعَا وَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

[٩/٧]

فَرَوِي هَذَا الشَّعْرُ، وَبَلَغَ هَشَامًا، فَقَطَعَ عَنِ الْوَلِيدِ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَحَرَمِهِمْ؛ وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ عَبْدَ الصَّمَدِ خِذْنًا وَمَحْذُوثًا وَنَدِيمًا؛ وَقَدْ حَقَّقْتُ ذَلِكَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ، وَلَنْ أُبْرِّكَ مِنْ سَوْءٍ؛ فَأَخْرَجَ عَبْدَ الصَّمَدِ مَذْمُومًا. قَالَ: فَأَخْرَجَهُ الْوَلِيدُ وَقَالَ:

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهَبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بِلِ يَزِيدَ عَلَى الْكَبِيرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَيْرِ

فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى هَشَامَ أَنَّهُ قَدْ أَخْرَجَ عَبْدَ الصَّمَدِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ مَنَادَمَتِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِ سُهَيْلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ - وَكَانَ مِنْ خَاصَّةِ الْوَلِيدِ - فَضَرَبَ هَشَامُ ابْنَ سُهَيْلٍ وَنَفَاهُ وَسَيَّرَهُ - وَكَانَ ابْنُ سُهَيْلٍ مِنْ أَهْلِ التَّبَاهَةِ، وَقَدْ وَلِيَ الْوَلَايَاتِ، وَلِيَ دِمَشْقَ مَرَارًا وَوَلِيَ غَيْرَهَا - وَأَخَذَ عِيَاضُ بْنُ مُسْلِمٍ كَاتِبَ الْوَلِيدِ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ، فَغَمَّ ذَلِكَ الْوَلِيدَ فَقَالَ: مَنْ يَتَّقُ بِالنَّاسِ! وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ! هَذَا الْأَحُولُ الْمَشْهُومُ قَدَّمَهُ أَبِي عَلَى وَلَدِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَوَلَّاهُ وَهُوَ يَصْنَعُ بِي مَا تَرَوْنَ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي أَحَدٍ هَوًى إِلَّا أَضْرَبَهُ؛ كَتَبَ إِلَيَّ بِأَنْ أُخْرِجَ عَبْدَ الصَّمَدِ فَأَخْرَجْتُهُ، وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِ سُهَيْلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيَّ فَضَرَبَهُ وَطَرَدَهُ وَقَدْ عَلِمَ رَأْيِي فِيهِ؛ وَعَرَفَ مَكَانَ عِيَاضٍ مِنِّي وَانْقِطَاعَهُ إِلَيَّ فَضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ، يُضَارِئُنِي بِذَلِكَ؛ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ:

الهجوت

[١٠/٧]

أَنَا النَّذِيرُ لِمُسَيِّدِي نِعْمَةٍ أَبَدًا إِلَى الْمَقَارِيفِ^(٣) لَمَّا يَخْبُرُ الدَّخْلَا
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بَطَرُوا وَإِنْ أَهْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلًّا
أَتَشْمَخُونَ وَمَنْ أَرَأْسُ نِعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا أَبْصَرْتُمْ السُّدُولَا
انْظُرْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلِ لَهُمْ سِوَى الْكَلْبِ فَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَا
بَيْنَا يَسْمُنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى مِنْ بَعْدِ مَا هَزَلَا
عَسَا عَلَيْهِ فَلَسَمَ تَضَرُّرُهُ عَذُوثُهُ وَلَوْ أَطَاقَ لَهُ أَكْلًا لَقَدْ أَكَلَا
غَنَاهُ عَالِكٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مِنْ رَوَايَةِ الْهَشَامِيِّ.

(١) كَذَا فِي س، م وَهَامِش أ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «أَنِّي».

(٢) فِي س: «عَلَيْهِ».

(٣) الْمَقَارِيفُ: الْأَنْذَالُ، وَالْمَقْرَفُ أَيْضًا: الَّذِي أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ وَأَبُوهُ غَيْرُ عَرَبِيٍّ.

شعره في الفخر على هشام:

قال: وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام:

قصيدة

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمتُ
إنني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا
/ بنى لي المجد بان لم يكن وكلاً
حللتُ من جوهر الأغياض^(٢) قد علموا
عليها معدّ مدي كَرِي وإقدامي
مُقَابِل^(١) بين أخوالي وأعمامي
على منار مضيئات وأعلام
في باذخ مشمخر العزّ قَمَقَام^(٣)
يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي
صَغَب المَرام يُسامي التَّجَمَ مطلعُه

غناه عمرُ الوادي خفيفٌ ثقيلٌ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

/ وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا أحمد بن زُهَيْر بن حرب قال حَدَّثَنِي مصعبُ الزُّبَيْرِي قال: [١١/٧]

بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله:

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمتُ
فقال هشام: والله ما علمتُ له معدّ كَرًا ولا إقداماً، إلا أنه شرب مرة مع عمّه بَكَّاز بن عبد الملك فَعُرِّدَ عليه
وعلى جواريه؛ فإن كان يَغْنِي ذلك بَكَرُه وإقدامه فعسى.
عابه هشام والزهرى فحقد عليهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا ابن مَهْرُويه قال حَدَّثَنِي عبدالله بن عمرو ابن أبي سعد قال حَدَّثْتُ أن أبا
الزُّنَاد قال:

دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِي وهما يَعيَّبانِ الوليدَ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره.
فلم ألبث أن استؤذن للوليد فأذن له، فدخل وهو مُغَضَّبٌ فجلس قليلاً ثم نهض. فلما مات هشام وولي الوليدُ كتب
إلى المدينة فحَمِلْتُ فدخلتُ عليه؛ فقال: أتذكر قولَ الأحوال والزهرى؟ قلتُ: نعم، وما عَرَضْتُ في شيء من
أمرِك؛ قال: صدقت؛ أتدري من أبلغني ذلك؟ قلتُ لا؛ قال: الخادم الواقف على رأسه، وإيم الله لو بقي الفاسقُ
الزهرى لقتلته. ثم قال: ذهب هشام بعمرى؛ فقلت: بل يُثَبِّتُك الله يا أمير المؤمنين، وقام وصلى العصر. ثم جلس
يتحدّث إلى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلى العَتَمَةَ، ثم تحدّثنا
قليلاً ثم قال: اسقيني فأتينته^(٤) بإناء مغطى، وجاء / جَوَّارٌ فَقَمَّنَ بيني وبينه فشرب وانصرف؛ ومكث قليلاً ثم قال: [١٢/٧]

(١) المقابل: الكريم النسب من قبل أبيه. قال الشاعر:

إن كنت في بكر تمت خولة فأننا المقابل في ذوي الأعمام

(٢) الأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.

(٣) القمقام هنا: العدد الكثير قال الشاعر:

* من نوفل في الحساب القمقام *

(٤) في الأصول: «فأقره».

اسقينني ففعلن مثل ذلك. وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر، فأحصيت له سبعين قدحاً.
وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن أبي الزناد قال:
أجمع الزهري على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليد بن يزيد؛ فمات الزهري قبل ذلك.
عابه بعض بني مروان بالشراب فلعنهم وقال شعراً:

قال المدائني: وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيونه بالشراب؛ فلعنهم وقال: إنهم
ليعيون علي ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمر الوادي أن يغني فيه - وهو من جيد شعره
ومُختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غير مجسّس -:

صوت

ولقد قضيت - وإن تجلّل لمتي شيب - على رغم العدا لذاتي
من كاعات كالذمي ومناصف ومراكب للصيد والتشوات
في فتية تآبى الهوان وجوهمهم ثم الأنوف جحاجح سادات
إن يطلبوا يتراتهم يُغطّوا بها أو يطلبوا لا يُسذركوا بترات

الكتابان المتبادلان بينه وبين هشام:

١٠٧ حدثني^(١) المنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد إلى هشام^(٢): «قد بلغني أحدث أمير / المؤمنين من قطع
ما قطع عني ومخو من محا من أصحابي، وأنه حرمني وأهلي. ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك في
ولا ينالني مثله / منه، ولم يبلغ استصحابي لابن شهيل ومستلتي في أمره أن يجري علي ما جرى. وإن كان ابن
[١٣/٧] شهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحسب العير أن يقرب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب
لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقفه
المحتومة له. فقدّر الله يجري على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله؛ والناس
بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقتربون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه. وأمير المؤمنين أحق
بالنظر في ذلك والحفظ له. والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته. وكتب إليه
الوليد في آخر كتابه:

ليس عظيمًا أن أرى كلّ وارد حياضك يوماً صادراً بالتوافل
فأزجج محمود^(٣) الرجاء مصرّداً بتحلّية عن وزد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت أمل منكم وليس بلاقٍ ما رجاء كلّ أمل

(١) راجع نص هذين الكتابين في «الطبري» (قسم ٢ ص ١٧٤٦ طبع أوروبا).

(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «قال بلغني» وهو تحريف.

(٣) كذا بالأصول.

كُمُقْتَبِضْ يَوْمًا عَلَى عُرْضِ هَبْوة^(١) يَشُدُّ عَلَيْهَا كَفَّهُ بِالْأَنَامِلِ

فكتب إليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك. وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجري عليك، ولا يتخوف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محو من صحابتك، لأمرين: أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت بصرف إليها ما يُجرى عليك. وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك. وأمير المؤمنين / يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستثنائه قطعه عنك. وأما [١٤/٧] ابن سهيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً. وهل زاد ابن سهيل، الله أبوك، على أن كان زفاناً^(٢) مغنياً قد بلغ في السفة غايته! وليس مع ذلك ابن سهيل بشرٌ ممن كنت تستصحبه في الأمور التي ينزه أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمري أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرت مما سببه الله لك، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضرراً ولا نفعاً، وإن الله ولي ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقتة، وإن الله أراؤف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم. وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعل أحسن الرجاء لأن يوليّه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم؛ فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعون منه. ولئن كان قد قدر الله لأمر المؤمنين وفاة تعجيل، فإن في الذي هو مُقْبِضٌ وصائرٌ إليه من كرامة الله لخلفاً / من الدنيا. ولعمري إن كتابك لأمر المؤمنين بما كتبت به لغير مُسْتَنَكِرٍ من سفهك وحُفْكك، ^{١٠٨} فأبقي على نفسك وقصّر من غلوائها وأزيع على ظلمك؛ فإن الله سَطَوَاتٍ وَغَيْرًا يصيب بها من يشاء من عباده. وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له. وكتب في أسفل الكتاب:

إِذَا أَنْتَ سَامَحْتَ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ

والسلام.

/ بشر بالخلافة بعد موت هشام: [١٥/٧]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن جويرية بن أسماء^(٣) عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو - قال: وكان كاتباً للوليد بن يزيد - قال:

أرسل إلي الوليد صبيحة اليوم الذي أتته فيه الخلافة فأتيته؛ فقال لي: يا أبا الزبير، ما أنت علي ليلة أطول من هذه الليلة، عَرْضْتُني أمورٌ وحدثت نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أولع بي، فأركب بنا نتنفس. فركب وسرت معه، فسار ميلين ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً، إذ نظر إلى رَهْج^(٤) قد أقبل - قال عمر بن شبة في حديثه -

(١) الهبة: الغبرة.

(٢) الزفن: الرقص.

(٣) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول فيما سبق، وهو الموافق لما جاء في «تهذيب التهذيب» و«الطبري» في عدة مواضع. وقد ورد هنا في هذا الموضع: «جويرية بن إسماعيل» وهو تحريف.

(٤) الرهج (بفتح فسكون ويحرك): الغبار.

وسمع قَعْقعة البريد، فتعوذ بالله من شر هشام، وقال: إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وَحِيٍّ^(١) أو بمُلك عاجل. فقلت: لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويُقيك، إذ بدا رجلان على البريد يُقْبِلان، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَغْدوان حتى دنوا فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعلا يكرران عليه التسليم بالخلافة؛ فقال: وَيَحْكُم! ما الخبر؟ أمات هشام؟ قال نعم؛ قال: فمرحبا بكما! ما معكما؟ قالوا: كتاب مولك سالم بن عبد الرحمن؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا. وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه الذي كان هشام ضربه وحبسه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار إلى حالٍ لا تُرجى الحياة لمثله معها، أرسل عياض إلى الخُزّان: احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلّ أحد إلى / شيء. وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فَمُنِعَه، فقال: أَرَأَيْتُمْ كُنَّا خُزَّاناً للوليد؛ وقضى من ساعته. فخرج عياض من السجن ساعةً قَضَى هشام، فختم الأبواب والخزائن؛ وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفّوه من الخزائن، فكفّنه غالبٌ مولى هشام، ولم يجدوا قُمْقُماً^(٢) حتى استعاروه. وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، فأخذاه بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك؛ فقال الوليد: ما أراه إلا قد نجا؛ فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبدالله: إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذاً للظالمين، فخذهُ برِّد ما في يده من مال الله؛ فقال: صدقت، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب إليه أن يَسْطِ عليهما العذاب حتى يَتَلَفَا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتَضَوْا^(٣) منه المظالم.

وقال عمر بن شَبَّة في خبره: إنه لما نعي له هشام قال: والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر؛ ثم أنشأ

يقول:

طاب يومي ولذَّ شربُ السُّلافه إذ أناني نَعِيٍّ من بالرُّصافة
/ وأنا البريدُ ينعي هشاماً وأنا بخاتم للخلافه
فاصطبحننا من خمر عانة^(٤) صِرْفاً ولهُنَا بِقِيْنَةٍ عَزَافه

١٠٩
٦

ثم حَلَفَ ألا يبرح موضعه حتى يُغْنَى في هذا الشعر ويشرب عليه؛ فغُنِيَ له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبوع له بالخلافة.

[١٧/٧] / قال: وسمع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناته؛ فقال:

إنني سمعتُ بليلاً وَرَا الْمُصَلَّى بِرَّأَنه
إذا بناتُ هشام يندُبْنَ والِدَهُنَّه
يندُبْنَ قَرَمًا جليلاً قد كان يَغْضُدهنَّه

(١) كذا في ب، ح، والوحي: السريع. وفي سائر الأصول: «بموت حي».

(٢) القمقم: إناء من نحاس يسخن فيه الماء.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «اقتصوا» بالصاد المهملة.

(٤) عانة: بلدة على الفرات تنسب إليها الخمر العانية. قال زهير:

كأن ريفتها بعد الكرى اغتبت
من خمر عانة لما بعد أن عفا

أَنَا الْمَخْثُوتُ حَقًّا إِنْ لَمْ أُنِكَّهْهُ

وقال المدائني في خبر أحمد بن الحارث: وشرب الوليد يوماً، فلما طابت نفسه تذكر هشاماً، فقال لعمر
الوادي غثي:

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلَ وَرَا الْمَصْلُوسِي بِرَّتْ

فغناه فيه، فشرب عليه ثلاثة أرتال، ثم قال: والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلك. قال: فما سُمع منه
بعدها ولا عُرف.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي وَلَدْتُ شُرْبُ الثَّلَافِ إِذْ أَنَا نَاعِي مَنْ فِي الرُّصَافِ
غناه عمر الوادي خفيف رمل بالبصرة.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال قال حَكَم الوادي:
كنا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خَصِيٌّ فشقَّ جيبه وعزاه عن عمه هشام وهناه بالخلافة وفي يده
قضيبي وخاتم وطومار^(١)؛ فأمسكنا ساعة ونظرنا إليه بعين الخلافة؛ فقال: عَثُونِي، غَثْيَانِي: قد طاب شرب
السلاف... البيتين؛ فلم نزل نغنيه بهما الليل كله.

مَرْثِيَةٌ لِكَبِيرِ طَبِيعِي

/ سأل الرشيد عنه ابن أبي حفصة فمدحه وذكر من شعره:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهری قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أنزحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لا ينكر
ما تقول فقل؛ قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أتروى من شعره شيئاً؟ قلت: نعم،
دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قضيبي ولي جُمَّة^(٢) فَيَنَانَةٌ فجعل يدخل القضيبي في جُمَتي وجعل يقول: يا غلام،
ولدتك سَكْر (وهي أم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوجه أبا حفصة) قال: فسمعت يومئذ يُنشد:

لَيْتَ هِشَاماً عَاشَ حَتَّى يَرَى مَكِيَّالَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَتْرَعَا^(٣)
كَلْنَالَهُ الصَّاعِ الثِّي^(٤) كَالْهَا فَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهَا أَضْوَعَا

(١) الطومار: الصحيفة.

(٢) الجمة: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة، وهي أيضاً ما تدلى من شعر الرأس على المتكبين.

(٣) رواية «الطبري» لهذه الأبيات (ص ١٧٥٢ ق ٢ طبع أوروبا):

لَيْتَ هِشَاماً عَاشَ حَتَّى يَرَى مَكِيَّالَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَتْرَعَا
كَلْنَالَهُ الصَّاعِ الَّذِي كَالْهَا وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهَا أَضْوَعَا
وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَسَنَ بَسْدَعَةٍ أَحْلَاهُ الْفَرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

(٤) في الأصول: «الذي». والصاع يذكر ويؤنث. وقد أثرنا ما وضعناه لتلاوم الضمائر.

لم نأت مانأيه عن بدعة
قال: فأمر الرشيد بكتابتها^(١) فكتبت.

كان شاعراً مجيداً وشيء من شعره:

١١٠ وللوليد أشعار جيداً فوق هذا الشعر الذي اختاره / مروان. فمنها - وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً [١٩/٧] فيه وأخذه منه - قوله في صفة الخمر - أنشدني / الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها -:

اصدغ نجى الهموم بالطرب
وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غصارتها
لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادها
فهو عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت ورق جوهرها
حتى تبدت في منظر عجب
فهو بغير المزاج من شرب
وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قيس
تذكر ضياء في عين مرتقب
في فتية من بني أمية أه
للمجد والمآثر والحسب
ما في الوري مثلهم ولا فيهم^(٢)
مثلي ولا متهم لمثل أبي

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين أتاه نعي هشام:

طال ليلي فبئت أسقى المداما
إذ أتاني البريد ينعي هشاماً
وأأتاني بخاتم ثم قاما
وأأتاني بخاتمة وقضيب
فجعلت الولي من بعد فقدي
يفضل الناس ناشئاً وغلاماً
ذلك ابنسي وذاك قزم قريش
خير قزم وخيرهم أعماماً

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي:

[٢٠/٧] / كنت يوماً أغني الوليد إذ ذكر هشاماً؛ فقال لي: غنني بهذه الأبيات؛ قلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فأنشأ يقول:

(١) في ب، س، ح: «بكتابتها» وهو مصدر كالكتابة.

(٢) في ب، س: «ولا بهم» وهو تحريف.

قصائد

هَلْكَ الْأَحْوَالُ الْمَشُورُ مُ فَقَدْ أُرْسِلَ الْمَطْرُورُ
ثُمَّ اسْتَخْلِفَ الْوَلِيدُ فَقَدْ أُوْزِقَ الشَّجَرُ

أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه في أشعارهم:

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلخوا معانيها، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررهما في عدة مواضع منه. ولولا كراهة التطويل لذكرتها هاهنا، على أنها تنبئ عن نفسها.

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبّة قال أنشدني أبو غسان وغيره للوليد - وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها -:

اضدّع نجّي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
الآيات التي مضت متقدّماً. وهذا من بديع الكلام ونادره؛ وقد جود فيه منذ ابتداء إلى أن ختم. وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما.

ومن جيّد معانيه قوله:

١١١ / رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
وقد مضت في أخباره مع هشام.

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال:

٢١/٧١ / إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا إذا همّوا بإحدى هاتئهم حشرت لهم رأسي فلا أنقزع
ومن نادر شعره قوله لهشام:

فلن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مُجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلى الناس والأحوال بعدي
فتندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

قال يوم بيعته على المنبر بدمشق شعراً:

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مَهْرويه وعبدالله بن عمرو بن أبي سعد قال^(١) حدثنا عبدالله بن أحمد بن الحارث الحرشي قال حدثنا محمد بن عائذ قال حدثني الهيثم بن عِمْران قال سمعته يقول:
لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق:

(١) في الأصول: «قال».

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَرْغُبْنِي مَنِيَّتِي بِأَنْ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتَقْلِعَ

كتب إلى أهل المدينة شعراً ورد عليه حمزة بن بيض:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

لَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ^(١) وَالشَّعْرَ لَهُ:

مَحَرَّمُكُمْ^(٢) دِيْوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكِتَابَ وَالْكَتُبُ تَطْبَعُ

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَصَابُوا بِمَهْجَتِي بِأَنْ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتَقْلِعَ

وَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَاتِ:

أَلَا أَيُّهَا السَّرَكَبُ الْمُخْبَنُونَ أبلغوا سَلَامِي سَكَّانَ الْبِلَادِ فَاسْمِعُوا

/ وَقُولُوا أَنَاكُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَنَةً بِوَالِدِهِ فَاسْتَبَشِرُوا وَتَوَقَّعُوا

سَيُوشِكُ إِلْحَاقُ بِكُمْ وَزِيَادَةُ وَأَعْطِيَةٌ تَأْتِي بِعَاقِبَتِهَا فَتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبة أهل الحرمين بذلك أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة. فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ما قال:

وَصَلَتْ سَمَاءُ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمْتَ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنَّا سَتَقْلِعَ

فَلَيْتَ هَشَاماً كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نَرْجِي وَنَطْمَعُ

بعث إلى جماعة من أهله يوم بيعته وأنشدهم شعراً يدل على مجونه:

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن شويد قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال: أتدرون لم دعوتكم؟ قالوا لا؛ قال: ليقُلْ

قائلكم؛ فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن تُرَبِّنا ما جدَّد الله لك من نعمته وإحسانه؛ فقال: نعم، ولكنني:

/ أَشْهَدُ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ

أَنْسِي أَشْتَهِي السَّمْعَ وَشَرِبَ الْكَسْأَسَ وَالْعَضَّ لِلْخُدُودِ الْمَلَّاحِ

وَالنَّدِيمَ الْكَرِيمَ وَالْخَادِمَ الْفَا رَةَ يَسْعَى عَلَيَّ بِالْأَقْدَاحِ

قوموا إذا شئتم.

عرضت عليه جارية وغمته فأمر بشرائها:

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال:

(١) في أ، م: «مكة».

(٢) كذا في أ، م ونسخة الشنقيطي مصححة ومضبوطة بقلمه. وفي ب، س، ح: «محزكم» بالزاي.

عُرِضَتْ عَلَى الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد، فقال لها: أي شيء تُحسِنين؟ فقالت: أنا مغنية؛ فقال لها: غنّيني، فغنّت:

نصوت

[٢٣/٧] / لولا الذي حُمِلْتُ مِنْ جَبِكُمْ لكان في إظهاره مَخْرَجُ
أو مذهب في الأرض ذو فسحة أجل ومن حَجَّتْ لَهُ مَذْجُ
لكن سباني منكم شادن مُرَبِّبٌ ذُو غُتَّةٍ أَدْعُجُ
أغر ممكور^(١) هُضِيمُ الْحَشَى قد ضاق عنه الحَجَلُ وَالذُّمْلُجُ

- الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالنصر. وفيه لدخمان هَزَج بالوسطى؛ وذكر الهشامي أن الهزج ليحيى المكي. فطرب طرباً شديداً وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: وممن أخذته؟ قالت: من حُتَيْن. قال: وأين لقيته؟ قالت: رُبَيْتُ بالعراق وكان أهلي يَجِيؤون به فيطارحني. فدعا صاحبه فقال: اذهب فابتغها بما بلغت ولا تُراجعني في ثمنها ففعل؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً.

شرب هو ومحمد بن سليمان بن عبد الملك بجرن:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا العباس بن الوليد قال حدثنا ضَمْرَةُ قال:

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيَّارات فنزل فيه وهو وال على الرَّملة؛ فسأل صاحب الدَّيْر: هل نزل بك أحدٌ من بني أُمَيَّة؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأَيُّ شيء صنعا؟ قال: شربا في ذلك الموضع، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: / هَلُمَّ [٢٤/٧] نشرب بهذا الجُرْن^(٢) - وأوماً إلى جرنٍ عظيم من رخام - قال: أفعل؛ فلم يزالا يتعاطيان بينهما ويشربان به حتى ثَمِلَا. فقال عبد الوهاب لمولاه أسود: هاتِه. قال ضمرة: وقد رأيته وكان يوصف بالشدة، فذهب يحركه فلم يقدر. فقال الراهب: والله لقد رأيتهما يتعاطيان وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غير مكترث.

وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال:

وقد سعد بن مرة بن جُبَيْر مولى آل كثير بن الصَّلْت، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى منزله، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدك وزائرك ومؤمك؛ فتبادر الحرس إليه ليصدوه عنه، فقال: دَعُوهُ، أَدُنُّ إِلَيَّ فدنا إليه؛ فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر؛ قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع مني أربعة أبيات؛ قال: هات.

(١) المرأة الممكورة: المستديرة الساقين، أو هي المدمجة الخلق الشديدة البضعة.

(٢) الجرن: حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به.

أصوات

شَمْنُ الْمَخَايِلِ نَحْوَ أَرْضِكَ بِالْحَيَا وَلَقَيْنَ رَكْبَاناً بَعُزْفَكَ قُقْلاً
قال: ثم مة؛ قال:

فَعَمَدَنَ نَحْوُكَ لَسْمٌ يَنْخَنُ^(١) لِحَاجَةِ إِلَّا وَقُوعَ الطَّيْرِ حَتَّى تَرْحَلَ
قال: إن هذا^(٢) السير حثيث؛ ثم ماذا؟ قال:

يَعْمِدَنَ نَحْوَ مُوْطَى حَجَرَاتِهِ كَرَمًا وَلَمْ تَعْدِلْ بِذَلِكَ مَعْدِلًا
/ قال: فقد وصلت إليه، فمة؛ قال:

[٢٥/٧]

لَا حَتَّ لَهَا نِيرَانٌ حَيَّيْ قَسْطَلِي^(٣) فَاخْتَرَنَ نَارَكَ فِي الْمَنَازِلِ مَنْزِلًا

قال: فهل غيرُ هذا؟ قال لا؛ قال: أَنْجَحْتُ وَفَادْتُكَ، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل.

الغناء لابن عائشة ثاني ثقبلي بالبصرة عن عمرو والهشامي.

مسلمة بن هشام وزوجته:

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال:

لَمَّا قَدِمَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ لِإِحْصَاءِ مَا فِي خَزَائِنِ هِشَامَ وَوَلَدِهِ سَوَى مَسْلَمَةَ بْنِ هِشَامَ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَكُفُّ أَبَاهُ
عَنِ الْوَلِيدِ وَيَكْلَمُهُ فِيهِ أَلَّا يَعْزُضَ لَهُ وَلَا يَدْخُلَ مَنْزِلَهُ. وَكَانَتْ عِنْدَ مَسْلَمَةَ أُمُّ سَلَمَةَ^(٤) بِنْتُ يَعْقُوبَ الْمَخْزُومِيَّةَ، وَكَانَ
مَسْلَمَةُ يَشْرَبُ. فَلَمَّا قَدِمَ الْعَبَّاسُ لِإِحْصَاءِ مَا كَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ، كَتَبَتْ إِلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ: مَا يُقَيِّقُ مِنَ الشَّرَابِ وَلَا يَهْتَمُّ
بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِ إِخْوَتُهُ وَلَا بِمَوْتِ أَبِيهِ. فَلَمَّا رَاحَ مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامَ إِلَى الْعَبَّاسِ قَالَ لَهُ: يَا مَسْلَمَةُ، كَانَ أَبُوكَ يَرْشَحُكَ
لِلْخِلَافَةِ وَنَحْنُ نَرْجُوكَ لَمَّا بَلَغْنِي عَنْكَ، وَأَتْبَعُ وَعَاتِبُهُ عَلَى الشَّرَابِ؛ فَأَنْكَرَ مَسْلَمَةُ ذَلِكَ وَقَالَ: مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ:
كَتَبَتْ إِلَيَّ بِهِ أُمُّ سَلَمَةَ؛ فَطَلَّقَهَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَخَرَجَتْ إِلَى فِلَسْطِينَ، وَبِهَا كَانَتْ تَنْزِلُ، وَتَزَوَّجَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحُ هُنَاكَ.

قصة طلاق الوليد لزوجته سعدة وتعشقه أختها سلمى:

وَسَلَّمَى الَّتِي عَنَاهَا الْوَلِيدُ هُنَاكَ هِيَ سَلْمَى بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ؛ وَأُمُّهَا أُمُّ عَمْرِو
بِنْتُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَأُمُّهَا بِنْتُ عَمْرِو بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّةِ.

(١) كذا في نسخة المرحوم الشنقيطي مصححة بخطه. وفي الأصول: «لم ينجن بحاجة».

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «إن هذا سير حثيث».

(٣) قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة، وهو أيضاً موضع بين حمص ودمشق. وفي الأصول: «لاحت لها نيران حي قسطلا».

(٤) كذا في «عقد الجمان» و«الطبري» (ق ٣ ص ٢٥٠٧) وفيما سيأتي في بعض روايات أ. وفي جميع الأصول هنا: «أم مسلمة» وهو تحريف.

/ فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن [٢٦/٧] جويرية بن أسماء:

أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين^(١) مُبْدِيًا^(٢) به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان؛ وكانت بنته أم عبد الملك، واسمها سعدة، تحت الوليد بن يزيد. فمرض سعيد في ذلك الوقت، وجاءه الوليد عائداً، فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته وسترها حواضتها وأختها فقامت ففرعتهن^(٣) طولاً، فوقعت بقلب الوليد. فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها. وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك؛ فبعثت إلى أبيها - وقيل: بعث إليه هشام -: أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه! فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح ردّ. وهويها الوليد ورام السلوة عنها فلم يسئل؛ وكان يقول: العجب لسعيد! خطبت إليه فردني، ولو قد مات هشام ووليت لزوجني! وهي طالق ثلاثاً إن تزوجتها حينئذ وإن كنت أهواها. فيقال: إنه لما طلق سعدة ندم على ذلك / وغمه. وكان لها من قلبه محلّ ولم تحصل له سلمى؛ فاهتم^{١١٤} لذلك وجزع. وراسل سعدة، وقد كانت زوّجت غيره فلم ينتفع بذلك.

أرسل أشعب لزوجه بعد طلاقها فردته:

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري والحسن بن عليّ قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرِيه قال حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدثنا المدائني قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته، فقال: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة؛ فقال: أحضر العشرة الآلاف / الدرهم حتى أنظر إليها؛ فأحضرها الوليد؛ فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك؛ قال: قل لها يقول لك أمير المؤمنين:

أَسْعِدُهُ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَيْلٌ وَهَلْ حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِي
بَلَسَى وَلَعَلَّ دَهْرًا أَنْ يُسَوِّتَنِي بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلِكَ أَوْ طَلَاقِي
فَأَصْبَحَ شَامِتًا وَتَقَرَّ عَيْنِي وَيُجْمَعُ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

فأتى أشعب الباب فأخبرته بمكانه، فأمرت بفرش لها ففرشت وجلست وأذنت له. فلما دخل أنشدها ما أمره؛ فقالت لخدمها: خذوا الفاسق! فقال: يا سيدي إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: والله لاقتلك أو تبلغه كما بلغتني؛ قال: وما تهين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي؛ قال: قومي عنه؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هات رسالتك فجعلت فداك؛ قالت: قل له:

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ لِبْنَى فَمَا أَنْتِ صَانِعٌ^(٤)

(١) قرين: موضع بالقيامة يسمى قرين نجدة، قتل عنده نجدة الحروري.

(٢) في ب، س: «مبتدئاً»، وهو تحريف.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفرعتهن: علتهن. وفي ب، س: «فبرعهن».

(٤) رواية البيت في «أمالى الغالي» (ج ٢ ص ٣١٥ طبع دار الكتب المصرية) عند ذكره لعينية قيس هكذا:

تَبْكِي عَلَى لِبْنَى وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا وَكُنْتَ كَأَنَّ غِيَهَ وَهوَ طَائِعٌ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال: هيه، فأنشده البيت؛ فقال: أَوْه قتلني يابن الزانية! ما أنا صانع،
[٢٨/٧] فاختر أنت الآن ما أنت صانع^(١) يابن الزانية، إنا أن أدليك / على رأسك منكساً في بثر أو أرمي بك منكساً من فوق
القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، هذا الذي أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع؛ فقال: ما كنت
لتفعل شيئاً من ذلك؛ قال: ولم يابن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدة. قال: أَوْه! أفلتك والله
بهذا يابن الزانية! أخرج عني. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أنشده:

أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالملأ^(١) كنت أقدر
وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبتة:

صوت

أرى بيت بُنى أصبح اليوم يُهجّر وهجران بُنى يالك الخير مُنكر
فإن تكن الدنيا بلُبى تغتير فللدهر والدنيا بطون وأظهر
أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالحرأ^(٢) كنت أقدر

عروضه من الطويل. والشعر لقيس بن ذريح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقل أول بالبنصر عن عمرو
والهشامي. وفيهما^(٣) لعريب رمل بالبنصر. وفيه لشارية خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفي الأول خفيف
ثقل مجهول.

نزياً بزى زيات ليرى سلمى وشعره في ذلك: *مراجعة كتيبة طبع في مسدود*

قال ابن سلام والمدائني في خبرهما: وخرج الوليد بن يزيد يريد فرتن^(٤) لعله يراها؛ فلقبه زيات معه حمار
عليه زيت؛ فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك؟
[٢٩/٧] / ففعل الزيات ذلك. وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد، / فنادى:
١١٥
من يشتري الزيت، فاطلع بعض الجوّاري فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن: إن بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد،
فاخرجني فانظري إليه؛ فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القهقري وقالت: هو والله الفاسق الوليد! وقد رأيته! فقلن
له: لا حاجة بنا إلى زيتك؛ فانصرف وقال:

إنني أبصرْتُ شيخاً حسن الوجه مليح

✽ وتتفق هذه الرواية مع رواية صاحب الأغاني عند ذكره للبيت في ترجمة قيس (ج ٨ ص ١٣٢ طبع بولاق) وهي:
أتبكي على بُنى وأنت تركتها وكنت كات حنّفه وهو طائع
ووردت كلمة «ما أنت صانع» في بيت آخر من هذه القصيدة ونصه:
فيا قلب خبرني إذا شطت النوى بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع

(١) الملا: موضع بعينه.

(٢) الحرأ: جناب الرجل وما حوله، يقال: نزل بحراء وعراه إذا نزل بساحته.

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ «وفيها».

(٤) فرتن: قصر يعمرو الروذ.

ولباسي ثوب شيخ
وأبيع الزيت ببعاء
ومن عباء ومسوح
خامراً غير زبيح
وقال أيضاً:

فما مسك يعل بزنجيل
بأشهى من مُجاجة ريق سلمى
ولا عسل باللبان اللقاح
ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي
وثاق الباب دوني وأطراحي

قال: فلما ولي الخلافة أشخص إلى المغنين فحضره وفيهم معبد وابن عائشة وذووهما. فقال لابن عائشة: يا محمد، إن غنيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم؛ فغناه قوله:

* إنني أبصرتُ شيخاً *

وغناه:

* فما مسك يعل بزنجيل *

الآيات، فقال الوليد: ما عدوت ما في نفسي؛ وأمر له بمائة ألف درهم والطف وخلع، وأمر لساثر المغنين بدون ذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

فما مسك يعل بزنجيل
بأطيب من مُجاجة ريق سلمى
ولا عسل باللبان اللقاح
ولا ما في الزقاق من القراح
غناه ابن عائشة، ولحنه ثقل أول بالوسطى عن الهشامي وحماذ بن إسحاق.

تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة وماتت بعد قليل فرثاها:

قال المدائني وابن سلام: فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد:

أبا عثمان هل لك في صنيع
فأشكر منك^(١) ما تُسدي وتُحيي
تُصيب الرشداً في صلتني هديتني
أبا عثمان مئة ومئة

قالوا: فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافة، فلما وليها زوجه إياها؛ فلم يلبث إلا مدة يسيرة حتى ماتت. وقال فيها ليلة رُفَّت إليه:

خفف من دار جيـرتني
يـابـن داود أنـشـهـا

(١) في حـ «فأشكر منك المسدي وتحيي».

وهي طويلة. وفيها مَثَا يَغْنَى به:

أَوْ لَا تَخْرُجَ الْعَمْرُو سُنْ فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا
قَدْ دَنَا الصَّبْحُ أَوْ بَدَا وَهِيَ لَمْ يُقْضَ بُسْهَا
بَرَزَتْ كَالْهَلَالِ فِي لَيْلِيَةِ غَابِ نَحْسُهَا
/ بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَكْثَرُ الْخَمْسِ جَنْسُهَا

١١٩

غناء ابن سريج، فيما ذكره حبش، رمل بالنصر؛ أوله:

* خَفَّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي *

وغناء معبد فيه خفيفٌ ثقيل، أوله:

* وَتَى تَخْرُجُ الْعُرُوسِ *

[٣١/٧] / في رواية الهشامي وابن المكي. وغناء عمر الوادي في الأربعة الأبيات الآخر خفيف رمل بالنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشامي أن فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب إلى حَكَمٍ وإلى أبي كامل وإلى عمر. غنى حكم الوادي للمهدي فوصله:

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: رأيت حَكَمًا الوادي قد تعرض للمهدي وهو يريد الحج، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دُفًا له فنقر فيه وقال: أنا، أطال الله بقاءك، القائل:

وَتَى تَخْرُجُ الْعَمْرُو سُنْ فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا
قَدْ دَنَا الصَّبْحُ أَوْ بَدَا وَهِيَ لَمْ يُقْضَ بُسْهَا

قال: فتسرع إليه الحرس، فصيح بهم، وإذا هو حكم الوادي؛ فأدخل إليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف.

نسبة أَوْ لَا تَخْرُجُ الْعُرُوسِ - قال: الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي. وفيه لحنان هَزَجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر [وخفيف^(١) رمل بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق]؛ وذكر حكم الوادي أن الهزج له؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَمٍ خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيى: إن هذا اللحن لعمر الوادي. وذكر الهشامي أن فيه خفيف ثقيل لمعبد ورملاً لابن سريج. وذكر عمرو بن بانه أن فيه للدلال خفيف ثقيل أول بالنصر.

ماتت سلمى قرأها الوليد:

وقال المدائني: مكثت عنده سلمى أربعين يوماً ثم ماتت؛ فقال:

أَلَمَّا تَعَلَّمَا سَلَمَى أَقَامَتْ مُضْمَنَةً مِنَ الصَّحَرَاءِ لِحَدَا

(١) هذه العبارة ساقطة من و، ب. س.

لعمرك يا وليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمةً ومجداً
/ ووجهاً كان يقصُر عن مداه شعاع الشمس أفل أن يُفدَى
فلم أرَ ميتاً أبكى لعين وأكثِر جازعاً وأجلّ فقداً
وأجدر أن تكون لديه ملكاً يُريك جلادةً ويُبرِّز وجداً

[٣٢/٧]

شعره في سلمى:

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها:

صوت

عرفتُ المنزلَ الخالي عفاً من بعد أحوالِ
عفاً ككلِّ حنّانٍ عُسوفِ الرّوئل هطّالِ
لسلمى قرة العيّن وبنيت العسم والخالِ
بذلّتُ اليوم في سلمى خطاراً^(١) أتلفتُ مالي
/ كأنّ الرّيق من فيها سحيق^(٢) بين جريالِ

١١٧

غناه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو. وذكر ابن خرداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد. وفيه رملٌ ذكر الهشاميّ أنه لابن سريج.

ومنها وهو الصوت الذي غناه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قلنسيته^(٣):

صوت

منازلٌ قد تحلّ بها سليمي دوارسٌ قد أضرب بها السّنونُ
أُميتُ السّرّ حفظاً يا سليمي إذا ما السّرّ باح به الحزون^(٤)

/ غناه أبو كامل من الثقيل الأوّل. وفيه لابن سريج، ويقال للغريض، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن [٣٣/٧] الهشاميّ، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي.

ومنها:

(١) الخطار: جمع خطر (بالتحريك) وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان.
(٢) كذا في «اللسان» (مادة جرل). والجريال: صفوة الخمر. والسحيق: المسك. أي مسك سحيق بين قطع جريال أو أجزاء جريال.
وفي الأصول: «كأن المسك في فيها».
(٣) كذا في حد. وفي سائر النسخ: «قلنسية».
(٤) الحزون: الكثير الحزن.

صوت

أراني قد تصاييتُ	وقد كنت تناهيتُ ^(١)
ولو يتـرُكني الحبُّ	لقد صمتت وصليتُ
إذا شئتُ تصبرت	ولا أصبر إن شئتُ
ولا والله لا يصب	ر في الدئومة ^(٢) الحوت
سليمي ليس لي صبر	وإن رخصت لي جيـتُ
فقبائلك ألفين	وفديت وحييتُ
ألا أخـبـب بـزورزا	ر من سلمى بيـروت ^(٣)
غزال أذعج العين ^(٤)	نقي الجيد والليـت ^(٥)

غناه ابن جامع في البيتين الأولين هزجاً بالوسطى، وغناه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرْتُ بَدَلْ ولم تجشسه. وغنى حَكَم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي.

[٣٤/٧] / ومنها:

عَبَّتْ سَلْمَى عَلَيْنَا سَفَاهَا	أَنْ سَيَّتُ الْيَوْمَ فِيهَا أَبَاهَا
كَانَ حَقُّ الْعَتَبِ يَا قَوْمُ مِنِّي	لَيْسَ مِنْهَا كَانَ قَلْبِي فِدَاهَا
فَلَمَنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِقَلْبِي	لَأَبِي سَلْمَى خِلَافَ هَوَاهَا
فَتَكَلَّمْتُ الْيَوْمَ سَلْمَى فَسَلْمَى	مَلَأْتُ أَرْضِي مَعَا وَسَمَاهَا
غَيْرَ أَنِّي لَا أَظُنُّ عَدُوًّا	قَدْ أَتَاهَا كَاشِحًا بِأَذَاهَا ^(٦)
فَلَهَا الْعُتْبَى لَسَيْنَا وَقَلْتُ	أَبْدَأُ حَتَّى أَنْتَالَ رِضَاهَا

(١) في هذا الشعر السناد وهو أحد عيوب القافية. والسناد هنا - وهو أحد أوجه السناد الثلاثة -: اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر. والردف هو حرف اللين (الألف والواو والياء) قبل الروي. فالتاء في هذا الشعر هي حرف الروي أي القافية، والواو والياء ردف.

(٢) الدئومة: الصحراء البعيدة.

(٣) في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروي. وقد ورد البيت الأول منهما في «معجم ياقوت» مع بيتين آخرين أثناء الكلام على بيروت هكذا:

ألا يـبا حـبـذا شـخـص
حـمـت لـقـيـا بـيـروت

(٤) في جميع الأصول: «العين».

(٥) الليت (بالكسر): صفحة العنق.

(٦) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي جميع الأصول: «فأذاها» بالفاء، وهو تحريف.

غناه أبو كامل خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقیلٌ أوّل من رواية عليّ بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران فردّه فنبته فقال شعراً:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال: لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو مَمْلٌ؛ فقال له: يا أبا عثمان، / أترُدُّني على^(١) سلمى! وكأنّي بك لو^{١١٨} قد وُلِيتُ الخلافة خطبتي فلم أجِبْكَ؛ وإن تزوّجتها حينئذ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٍ بأكثر مما قلت؛ فأَمْضَه الوليد وشتّمه وتسامعا واقتربا. وبلغ الوليد أنّ سلمى جرّعت لِمَا جرى وبكت وسبّت الوليد ونالت منه؛ فقال:

عَبِيتَ سلمى علينا سفاهاً أن هجوت اليوم فيها أباهَا

/ وذكر الأبيات. وقال أيضاً في ذلك:

[٣٥/٧]

هـ

على الدور^(٢) التي بليت سفاهاً^(٣) قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صباية ودعاك شوق وأخضل دمع عينك مأقياها^(٤)
وقالت عند هجوتنا^(٥) أباهَا أردت الصُرم فسائتده انتداهَا^(٦)
أردت بعادنا بهجاء شيعي وعندك خلّة تبغي هواها
فإن رضيث فذاك وإن تماذت فهبها خُطّة بلغت مداها

- غناه مالك بن أبي السَّمْع خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وللهذلي فيه ثاني ثقیل بالوسطى عن يونس والهشامي؛ وذكر حبش: أنّ الثقیل الثاني لإسحاق - يعني بقوله:

* أردت بعادنا بهجاء شيعي *

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال:

ومن يك مفتاحاً لخير يريده فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد

قال المدائني: لَمَّا غَضِبْتُ سلمى من هجائه أباهَا قال يعتذر إليه بقوله:

(١) كذا في جميع الأصول. ولعله: «أترُدُّني عن سلمى».

(٢) في حد: «على الدار».

(٣) السفا: التراب، والسفاة: الكبة منه.

(٤) مأقي العين: طرفها مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع من العين. ولعله جاء على لغة من يلزم المعنى الألف في كل أحواله.

(٥) كذا في س. وفي سائر النسخ: «هجرتنا» بالراء، وهو تحريف.

(٦) انتده انتداهَا: أي ازدجر ازدجاراً. وندمه ندهاً: زجره ورده وطرده بالصياح.

ألا أبلغ أبا عثما
 فلست كمن يودك بال
 / عبت علي في أشيا
 فلا تشمت بي الأعدا
 تود لوائي لحم
 ولا ترفع به رأساً^(١)
 ن عذرة مغترب أسفا
 لسان ويكثر الخلفا
 ء كانت بيننا سرفا
 ء والجيران ملتهدا
 رأته الطير فاختطفها
 عفا الرحمن ما سلفا

[٣٦/٧]

ومنها وهو من سخيف شعره:

صوت

خبـروني أن سلمى
 فإذا طير مليح
 قلت من يعرف سلمى
 قلت يا طير اذن مني
 قلت هل أبصرت سلمى
 فنكا^(٢) في القلب كلم
 / فيه ثقل أول بالبصر مطلق، ذكر الهشامي أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدحمان.
 ومنها:

١١٩

صوت

اسقني يابن سالم قد أنارا
 اسقني من سلاف ريق سليمى
 كوكب الصبح وانجلي واستنارا
 واسق هذا النديم كأساً عقارا

[٣٧/٧] / غناه ابن قدح^(٣) ثاني ثقل بالوسطى من رواية حبش.

سأل المأمون ندماء عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أبي:

(١) يريد: لا تذكره ولا تلعنه.

(٢) نكا سهل نكا. ونكا القرحة (من باب فتح): قشرها قبل أن تبرأ فندبت. والكلم: الجرح.

(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٥٠ من الجزء الثاني من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية.

أَنَّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملك؛ فأنشده بعضهم قول امرئ القيس:

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا جَثُوبَ الْمَلَأِ^(١) عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

قال: وما في هذا مما يدل على مُلكه! قد يجوز أن يقول هذا سُوقَةٌ من أهل الحَضَر، فكأنه يؤنب نفسه على التعلّق بأعرابية؛ ثم قال: الشعر الذي يدلّ على أن قائله مَلِكٌ قولُ الوليد:

اسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رِيَقِ سَلِيمِي واسق هذا النديم كاساً عقاراً

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لَسِيَ الْمَحْضُ مِنْ وَدْهِمْ وَيَغْمُرْهُمْ نَائِلِي

وهذا قول من يقدر بالملك على طَوَيَّاتِ الرجال، يبدل^(٢) المعروف لهم ويُمكنه استخلاصها لنفسه. وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناء وهو قوله:

صوت

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنَ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتُهُ مَعْجِداً وَكُلَّ فَتًى بِأَزَلِ^(٣)

/ لَسِيَ الْمَحْضُ مِنْ وَدْهِمْ وَيَغْمُرْهُمْ نَائِلِي
فَمَا لَأَمْنِي فِيهِمْ سِوَى حَاسِدٍ جَاهِلٍ

غناه أبو كامل ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر. ومنها وهو من مُلَحٍّ^(٤) شعره:

صوت

أَرَانِي أَلْهُ يَا سَلَمِي حَيَاتِي وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ كَمَا أَرَاكَ
أَلَّا تُجْزِينَ مَنْ تَمَتَّ عَصراً وَمَنْ لَوْ تَطْلِيْنِ لَقَدْ قَضَاكَ
وَمَنْ لَوْ مِتَّ مَاتَ وَلَا تَمُوتِي وَلَوْ أَنْسِي^(٥) لَهُ أَجَلٌ بِكَأَكْ
وَمَنْ حَقَّ لَوْ أُعْطِيَ مَا تَمَنَى مِنَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ مَا عَدَاكَ

(١) الملا: موضع.

(٢) في ب، س، م: «ليبدل».

(٣) البازل: الكامل في عقله وتجربته. قال في «اللسان»: «وقد قالوا: رجل بازل على التشبيه بالبعير. وربما قالوا ذلك يعنون به كما له في عقله وتجربته». والبازل من الإبل: الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة وقطر نابه. وليس بعد البازل اسم.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي س: «أملح». وفي ح: «جيد».

(٥) أنسا الله أجله: أخره.

وَمَنْ لَوْ قُلْتُ مُتْ فَأَطَاقَ مَوْتاً إِذَا ذَاقَ الْمَمَاتَ وَمَا عَصَاكَ
أَتَيْتَنِي عَاشِقاً كَلِفاً مُعْتَنِي إِذَا خَدِرْتُ لَهُ رَجُلٌ دَعَاكَ

كانت العرب تقول: إن الإنسان إذا خدرت قدمه دعا باسم أحب الناس إليه فسكنث. في الخبر أن رجلاً عبد الله بن عمر خدرت؛ فقبل له: ادع باسم أحب الناس إليك؛ فقال: / يا رسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى آله وسلم. ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لسنان الكاتب، وذكرت دَنَائِرُ أنه لحكم ولم تجنسه^(٢).

[٣٩/٧] / ومنها:

صوت

وَيْحَ سَلَمَى لَوْتَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
مُتَلِفاً فِي اللَّهِ وَمَالِي عَاشِقاً حُورَ الْقِيَانِ
إِنَّمَا أَحْزَنَ قَلْبِي قَوْلُ سَلَمَى إِذَا تَنَانِي
وَلَقَدْ كُنْتُ زَمَاناً خَالِي الدُّرْعَ لَشَانِي
شَاقَ قَلْبِي وَعَنَانِي حُبُّ سَلَمَى وَبِرَانِي
وَلَكَّـمُ لَمْ نَصِيحُ فَنِي سَلِيمَى وَنَهَانِي

غنته فريدة خفيفة ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقل أول ينسب إلى معبد؛ وهو فيما يذكر إسحاق يُشبهه غناه وليس تُعرف صحته له، وذكر كثير الكبير أنه له، وذكر الهشامي أنه لابن المكي. وفيه لحكم هزج صحيح.

[٤٠/٧] / ومنها:

صوت

بَلَّغْنَا عُنْتَنِي سَلِيمَى وَسَلَاهَا لِي عَمَا
فَعَلْتُ فِي شَانِ صَبُّ دَرَيْفٍ أَشْعِرَ رَهْمَا
وَلَقَدْ قُلْتُ لَسَلَمَى إِذَا قَتَلْتُ الْبَيْنَ عِلْمَا
أَنْتِ هُمِّي يَا سَلِيمَى قَدْ قَضَاهُ الرُّبَّ حَتْمَا
نَزَلْتُ فِي الْقَلْبِ قَسْراً مَنْزَلاً قَدْ كَانَ يُحْمَى

غناه حَكَمٌ خفيف ثقيل. ولعمر الوادي فيه خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

(١) في «اللسان» (مادة خدر): «وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه خدرت رجله، فقبل له: ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها؛ قيل: اذكر أحب الناس إليك؛ قال: يا محمد فبسطها».

(٢) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «ولم يجنسها»، وهو تحريف.

صوت

يا سُلَيْمَى يا سُلَيْمَى كُنْتُ لِلْقَلْبِ عَذَابَا
يا سُلَيْمَى ابْنَةَ عَمِّي بَرَدَ اللَّيْلُ وَطَابَا
أَيْمًا وَاشْرِي وَشَرِي بِي فَاْمَلْشِي فَاَهُ تَرَابَا
رَيْقُهَا فِي الصَّبْحِ مَسْكَ بِأَشْرِ الْعَذْبِ الرُّضَابَا

غناه عمر الوادي هَزَجًا بالبنصر عن الهشامي، وذكر ابن المكي أنه لمعان^(١). وفي كتاب إبراهيم أنه لَعَطَرْد. ومنها:

صوت

أَسْلَمَى تَلَكْ حُيْتِ قَفِي^(٢) تُخْبِرُكَ إِنْ شِيتِ
وَقِلِي سَاعَةً نَشْكُ إِلَيْكَ الْحَبَّ أَوْ يَتِي
فَمَا صَهْبَاءُ لَمْ تُكْسَ قَلْدَى مِنْ خَمَرِ بِيْرُوتِ
تَوْتُ فِي الدَّنْ أَعْوَامَا خَتِيمَسَا عِنْدَ حَانُوتِ

غناه عمر الوادي ثانيًا ثَقِيلًا بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

يا مَنْ لِقَلْبِ فِي الْهَوَى مُتَشَعِبِ بَلْ مَنْ لِقَلْبِ بِالْحَيِّبِ عَمِيدِ
سَلَمَى هَوَاهُ لَيْسَ يَعْرِفُ غَيْرَهَا دُونَ الطَّرِيفِ وَدُونَ كُلِّ تَلِيدِ
/ إِنْ الْقَرَابَةِ وَالسَّعَادَةِ أَلْفَا بَيْنَ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ بِنْتِ سَعِيدِ
يا قَلْبِ كَمْ كَلِفَ الْفَوَازِ بِغَادَةِ مَمْكُورَةٍ رَيَّا الْعِظَامِ خَرِيدِ

غناه عمر الوادي رملًا بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

(١) هكذا أثبتناه كما مرّ في (ج ٢ ص ٦٨ من هذه الطبعة) نقلًا عن ب، س، حد. وقد ورد هنا في أ، م: «يمان». وفي ب، س، حد: «مان».

(٢) في الأصول: «قفا» وهو تحريف.

صوت

قد تمئى معشر إذا أطربوا من عفار ومسوام^(١) وذهب
ثم قالوا لي تمئن واستمع كيف ننحو في الأمانى والطلب
فتمئىت سليمى إنها بنست عمتى من لهاميس^(٢) العرب

فيه للهذلي خفيف ثقل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل لخالص صامة^(٣).
وذكر ابن المكي أن فيه لمالك ثاني ثقل بالوسطى.
ومنها:

صوت

هل إلى أم سعيد من رسول أو سبيل
ناصح يُخبر أني حافظ ود خليل
يذل الود لغيري وأكاف في بالجميل
لست أرضى لخليلي من وصالي بسالليل

غناه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبابة في مجرى الوسطى.

مركزية مكتبة برطانية

/ ومنها:

[٤٢/٧]

صوت

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت فهاجا
قلت عجب نحوي أسائل ك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي قم فأنفث^(٤) لي سراجا
بفلاة ليس تُرعى أنبتت شيحاً وحاجا^(٥)

غناه عمر الوادي ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيف رمل بالوسطى عن حبش. ولأبي سلمى المدني ثقل أول عن ابن خرداذبه.
ومنها:

(١) السوام: كل ما رعى من المال في الفلوات.

(٢) اللهاميس: جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والنخل.

(٣) كذا في «الأغاني» (ج ٨ ص ١٦١ و ١٦٢ و ج ٢١ ص ١٧٠ و ١٧١ طبع بولاق، و «الكامل» للمبرد ج ١ ص ٣٨٦ طبع أوروبا).

وفي ب، س في هذا الموضع: «خاصة» بالخاء والصاد. وفي سائر الأصول: «خامة» بالخاء والميم، وهما تحريف.

(٤) النفث: النفخ. ولعله قطعت همزة الوصل فيه للضرورة، إذ لم يرد في معاجم اللغة في مادة نفث إلا الثلاثي.

(٥) الحاج: نبت من الحمض.

صوت

أُمّ سَلَامٍ أَثِيبي عَاشِقَا يَعْلَمُ اللَّهُ يَقِينَا رُؤْيه
 أَنْكُم مِّنْ عَيْشِهِ فِي نَفْسِهِ يَا سَلِيمِي فاعْلَمِيهِ حَسْبُهُ
 فَاَرْحَمِيهِ إِنَّهُ يَهْدِي بِكُمْ هَائِمٌ صَبٌّ قَدْ أَزْدَى قَلْبِهِ
 أَنْتِ لَوَكُنْتَ لَهُ رَاحِمَةً لَمْ يَكْذُرْ يَا سَلِيمِي شِرْبُهُ

غناه حَكَمٌ رَمَلًا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانه أن فيه لابن سريج / رملًا ١٢٢
 بالوسطى.

ومنها:

صوت

رَبِّ بَيْتٍ كَأَنَّهُ مَتْنٌ سَهْمٌ سَوْفَ نَأْتِيهِ مِنْ قُرَى يَبْرُوتِ
 مِنْ بِلَادٍ لَيْسَتْ لَنَا بِبِلَادٍ كُلَّمَا جِئْتِ نَحْوَهَا حُيِّتِ
 / أُمّ سَلَامٌ لَا بَرِّخَتْ بِخَيْرٍ ثُمَّ لَا زَلَّتْ جِئْتِي مَا حَيِّتِ
 طَرِبْنَا نَحْوَكُمْ وَتَوَقَّأْ وَشَوْقَا لَأَذْكَارِكُمْ^(١) وَطَيْبِ الْمَبِيتِ
 حَيْثَمَا كُنْتَ مِنْ بِلَادٍ وَسِرْتِمٍ فَوَقَّأَكَ الْإِلَهَ مَا قَدْ خَشِيتِ

[٤٣/٧]

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشامي، وذكر غيره^(٢) أنه
 لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى، ولابن سريج خفيف رمل بالبنصر. وقيل:
 إن الرَّمْلَ لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه.

ومنها:

صوت

طَرَقْتَنِي وَصِحَابِي هُجُوعٌ ظِلِيَّةٌ أَذْمَاءُ مَثَلُ الْهَلَالِ
 مَثَلُ قُرْنِ الشَّمْسِ لَمَّا تَبَدَّتْ وَاسْتَقَلَّتْ فِي رُؤُوسِ^(٣) الْجِبَالِ
 تَقْطَعُ الْأَهْوَالَ نَحْوِي وَكَانَتْ عِنْدَنَا سَلَمِي الْأَوْفِ الْحِجَالِ
 كَمْ أَجَازَتْ نَحْوَنَا مِنْ بِلَادٍ وَخَشِيَّةٌ قَتَالَةٍ لِلرَّجَالِ

(١) في ب، س، ح: «لأذكاريكم» بالياء الموحدة.

(٢) كذا في ب، س، ح، وفي سائر النسخ: «بهجير» ولم نثر على هذا الاسم في رواية الألحان.

(٣) كذا في ب، س، ح. وفي سائر النسخ: «فوق رؤوس».

لابن محرز فيه ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولا بن سريج في الأول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشامي أنه رمل بالوسطى. وفيه خفيف رمل يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي.

[٤٤/٧] / ومنها:

نصوت

أنا الوليدُ الإمامُ مفتخراً أنعم بالي وأتبع الغزلاً
أهوى سُليمى وهي تصرمني وليس حقاً جفاء من وصل
أسحب بُردى إلى منازلها ولا أبالي مقال من عدلاً

غنى فيه أبو كامل رملًا بالنصر. وغنى عمر الوادي فيه خفيف رمل بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد. أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال الوليد على لسان سلمى:

نصوت

أقر مني على الوليد السلاماً عدد النجم قل ذال للوليد
حسداً ما حدثت أختي عليه رؤيتنا بيننا وبين سعيده

غناه الهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي.

غضب على جاريته صدوف ثم صالحها لشعر رجل من قریش:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا خالد بن النضر القرشي بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا العتيبي قال:

كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صدوف؛ فغاضبها، ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره، فبرم به؛ فأنشده:

اعتبت أن عبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلها تشريف
لا تقعدن تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبها مشغوف
إن القطيعة لا يقوم لمثلها إلا القوي، ومن يحب ضعيف
الحب أملك بالفتى من نفسه والذل فيه مثلك مألوف

قال: فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها.

استقدم حماداً الراوية ليسأله عن شعر وأجازه:

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية:

استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بالفين لنفقتي والفين لعيالي، فقدمت عليه. فلما دخلت داره قال لي الخدم: أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء، فسلمت بالخلافة؛ فقال لي: يا حمّاد؛ قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: «ثم ثاروا»؛ فلم أدر ما يعني فقال: وَيَحْك يا حمّاد! «ثم ثاروا»؛ فقلت في نفسي: راوية أهل العراق لا يدري عما يُسأل! ثم انتبهت فقلت:

ثم ثاروا إلى الصُّبُوح فقامت قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِيْرِيْقُ
قَدَمْتُهُ عَلَى عُقَارِ كَعِينِ الَّذِيكَ صَفَّى سُلَافَهَا الرَّاوُوقُ
ثم قُضِيَ الْخِتَامُ عَنْ حَاجِبِ^(١) الذِّ نْ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوُقُ
فَسَبَّاهَا مِنْهُ أَشْمُ عَزِيزِ أُرِيْحَسِيَّ غَذَاهُ عَيْشِ رَقِيقِ

- الشعر لعدي بن زيد. والغناء لخُنين خفيف ثقيل أول بالنصر. وفيه لمالك خفيف رمل. ولعبدالله بن العباس الرُّبَيْعِي رمل، كل ذلك عن الهشامي. قال: فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدري / أيُّهما أحسن الكف أم القدح؛ فقال: رُدِّيْه فما أنصفناه! تغذينا ولم نُغْذِه! فَأَتَيْتُ بِالْغَدَاءِ، وحضر أبو كامل (٦/٧): مولاه فغناه:

بعض

أَدِرِ الْكَاسَ يَمِينِيًّا لَا تُدِرْهَا لِيَسَارِ
اسْقِ هَذَا ثُمَّ هَذَا صَاحِبَ الْعُودِ الثُّصَارِ
مَنْ كُمَيْتَ عَتَقُوهَا مَنْ دَعَا فِي جِرَارِ
خَتَمُوهَا بِالْأَفَاوِي هُ^(٢) وَكَسَافُورِ وَقَارِ
فَلَقَدْ أَبْقَنْتَ أَنْسِي غِيْرُ مَبْعُوثِ لِنَارِ
سَارَوْضِ النَّاسِ حَتَّى يَرْكَبُوا أَيْرَ^(٣) الْحَمَارِ
وَذَرُّوا مَنْ يَطْلُبُ الْجَدَّ نَسِيَّةً يَسْعَى لِتَبَارِ^(٤)

- فيه هزجان بالوسطى والنصر لعمر الوادي وأبي كامل - فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موزدة، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدة ثم أذن بالانصراف؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

حكايات تروى عن تهتكه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال:

لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى

(١) في ب، س، م: «صاحب» وهو تحريف.

(٢) الأفاريز: ما يعالج به الطيب وهي أيضاً ما أعد للطيب من الرياحين.

(٣) في أ، هـ: «دين الحمار».

(٤) التبار: الهلاك.

١٢٤ / أشعب فجاء^(١) به، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب، وقال / له: ارقص وغنّي شعراً يُعجبني؛ فإن فعلت فلك ألف درهم؛ فغناه فأعجبه فأعطاه ألف درهم.

[٤٧/٧] / ودخل إليه يوماً، فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهو مُنَعَّظ - قال أشعب: فرأيت أنه مزمّار ابنُوس مدهون - فقال لي: أرايت مثله قط؟ قلت: لا يا سيدي؛ قال: فاسجد له، فسجدت ثلاثاً؛ فقال: ما هذا؟ قلت: واحدة لأترك وثنتين لخُصيتيك. قال: فضحك وأمر لي بجائزة.

قال: وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني، فكره ذلك وأصغره؛ فقال لبعض جلسائه: قُمْ فَنَكُهُ، فقام فناكه والناس حضوراً وهو يضحك.

وذكرت جارية أنه واقعها يوماً وهو سكران؛ فلما تنحى عنها آذنه المؤذن بالصلاة، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها؛ فخرجت متلثمة فصلت بالناس.

قال: ونزل على غدير ماء فاستحسنته. فلما سكر حلف ألا يبرح حتى يشرب ذلك الغدير كله ونام، فأمر العلاء بن البُندار بالقرّب والرّوايا فأحضرت، فجعل ينزّحه ويصبّه على الأرض والكُثب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء؛ فلما أصبح الوليد رآه قد نشف فطرب وقال: أنا أبو العباس! ارتحلوا. فارتحل الناس.

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدّثني ابن أبي جَنّاح قال أخبرني عمر بن جبلة: أن الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعده المبيت؛ فقال حين انصرف:

قامت إليّ بتقبيل تعانقني	رأيت العظام كأن المسك في فيها
أدخل فديتُك لا يشعربنا أحد	نفسك لنفسك من داء تُفديها
بتنا كذلك لا نوم على سرر	من شدة الوجد تُذنيني وأذنيها
/ حتى إذا ما بدا الخيطان ^(٢) قلت لها	حان الفراق فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفت ولم يشعربنا أحد	والله عني بحسن الفعل يَجزيها

[٤٨/٧]

مر بنسوة من بني كلب استسقاها وقال فيهن شعراً:

وحَدّثني النضر بن حديد قال حَدّثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال:

مرّ الوليد بن يزيد وهو متصيّد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب، فوقف عليهن واستسقاها وحَدّثهن وأمر لهنّ بصلة، ثم مضى وهو يقول:

ولقد مررت بنسوة أعشيتني	حور المدامع من بني المنجاب
فيهنّ خرعة ^(٣) مليح دلها	غرّني الوشاح دقيقة الأنياب

(١) كذا في جميع النسخ. ولعله: «فجي» به.

(٢) الخيطان: يعني بهما الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر. قال الله تعالى: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾. وقد فسرها ۞ فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

(٣) الخرعة: اللينة الرخصة الحسنة الخلق.

زَيْنُ الحَوَاضِرِ مَا ثَوَّثَ فِي حَضَرِهَا وَتَزِينُ بِأَدْيِهَا مِنَ الْأَعْرَابِ

أطلق غزالاً صاده لشبهه سلمى:

قال النَّضْرُ وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ:

أن الوليد خرج يتصيد ذات يوم، فصادت كلابه غزالاً، فأُتِيَ به فقال: خَلَّوْهُ^(١)، فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بَسَلَمَى. ثم أنشأ يقول:

وَلَقَدْ صَدَّنَا غَزَالًا سَانِحًا قَدْ أَرَدْنَا ذَبْحَهُ لِمَا سَنَخُ
فَإِذَا شَبَّهْتُكَ مَا تُنْكِرُهُ حِينَ أَزْجَى^(٢) طَرْفَهُ نَسْمَ لَمَحُ
فَتَرَكْنَاهُ وَلَوْلَا حَبْكُم فَاعْلَمِي ذَاكَ لَقَدْ كَانَ انْذَبَحُ
أَنْتَ يَا ظَبْيِي طَلِيْقٌ آمِنٌ فَاغْدُ فِي الْغَزْلَانِ مَسْرُورًا وَرُخُ

بعث إلى شراعة بن الزندبوذ وماجنه:

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقي / قال:

/ بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة^(٣) بن الزندبوذ، فلما قدم عليه قال: يا شراعة، إني لم أستحضرِكَ لأسألك [٤٩/٧] عن العلم ولا لاستفتيك في الفقه ولا لتحذثني ولا لتقرئني القرآن؛ قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمك بالفتوة؟ قال: ابنٌ بَجَدْتَهَا، وعلى الخبير بها سقطت، فسَلَّ عما شئت. قال: فكيف علمك بالأشربة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عما أحب. قال: ما قولك في الماء؟ قال: هو الحياة، ويشركني فيه الحمار. قال: فاللبن؟ قال: ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحيْتُ. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة^(٤) وشراب أهل الجنة. قال: لله درك! فأني شيء أحسن ما يُشرب عليه؟ قال: عجبْتُ لمن قَدَّرَ أن يشرب على وجه السماء في كن من الحرِّ والقرِّ كيف يختار عليها شيئاً.

الوليد وحادثة المصحف:

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال:

دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف؛ فلما فتحه وافق ورقة فيها: «وَاشْتَتُّنْهُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ»، فقال: أَسْجَعاً سَجْعاً! علَّقْوه؛ ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مَرَقَه؛ ثم قال:

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهَذَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
إِذَا لَاقَيْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشَرٍ فَقُلْ^(٥) اللَّهُ مَسْرُقُنْسِي الْوَلِيدِ

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «خلّوه» بالخاء المهملة، وهو تصحيف.

(٢) لعلها «أرعى» بالخاء المعجمة، فصحفها الناسخ.

(٣) كان من الميجان الندماء، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحمام عجرد. (انظر ما كتب عنه في «الأغاني» ج ١٠ ص ١٣٥، ج ١٢ ص ٩٦ و ١٠٦، ج ١٣ ص ٧٩ و ١٣٤ طبع بولاق).

(٤) في ب، س، ح: «الباردة».

(٥) في و: «فقل يا رب مزقني» وفي م: «فقل يا رب خرقني». وفي أ، ح: «فقل لله خرقني».

قال: فما ليث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل.

[٥٠/٧] / غضب على حارية أمرها بالغناء في شعر لم تعرفه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر
عن يعقوب بن عبيد الجبار (من أهل ذي^(١) المروة) أن أباه حمل عدّة جوار إلى الوليد بن يزيد؛ فدخل إليه
وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشّعة وفيها؛ فأمر الوليد جاريةً منهم أن تغني:

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللّوا الصّيد
وأمرها أخوه أن تغني:

أتعجب أن طربت لصوت حادٍ حاداً بزلّاً يسرّز بيطن وادٍ
فغنت ما أمرها به الغمر^(٢)؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه. وعرفت الشرّ
في وجهه، فاندفعت فغنت:

صوت

أيها العاتبُ الذي خاف هجري وبعاذي وما عمدت^(٣) لذاكا
أترى أنني بغيرك صبّ جعل الله من نظنّ فداكا
أنت كنت الملوّل في غير شيء بشس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولو أنّ الذي عتبّت عليه خير الناس واحداً ما عداكا
فأرض عني جعلتُ نعليك إني والعظيم الجليل أهوى رضاكا

[٥١/٧] / - الشعر لعمر^(٤). والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في
مجرى البنصر. وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً - قال: فسُري عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغني
١٢٦ ما دعوتك إليه؟ قالت: لم أكن أحسنه، وكنت أحسن الصوت / الذي سألني، أخذته من ابن عائشة؛ فلما تبيّنتُ
غضبك غيّت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعني الذي اعتذرت به إليه.

(١) ذو المروة: قرية بوادي القرى.

(٢) في هذا الخبر الذي ساقه أبو الفرج تباين؛ فقد ذكر أن عبد الجبار هو الذي أمر الجارية بالغناء ثم قال بعد ذلك: «فغنت ما أمرها به
الغمر» والغمر من أولاد يزيد بن عبد الملك وأخو الوليد. ولم نقف على أسماء أولاد يزيد كلهم. غير أن ابن قتيبة في «المعارف»
و «صاحب عقد الجمان» وغيرهما ذكروا أن ليزيد ثمانية ذكور ولم يسموهم. فالغالب أن في الخبر تحريفاً في أحد الاسمين لم تتبين
صوابه لخلو المصادر التاريخية والأدبية التي بين أيدينا من هذا الخبر.

(٣) في ب، س: «عهدت»، وهو تحريف.

(٤) وردت هذه الأبيات في ديوانه (ص ١٦٢ طبع أوروبا) باختلاف عما هنا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

لو كنت^(١) من هاشم أو من بني أسد
أو من بني نوفل أو آل مطلب
أو من بني زهرة^(٢) الأبطال قد عرفوا
الله ذكرك لهم تهمة بتهديد

الشعر لحسان بن ثابت، يقوله لمسافع بن عياض أحد بني تميم بن مرة، وخبره يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر^(٣)، وقيل: إنه لمالك.

/ ومنها:

صوت

اتعجب أن طربت لصوت حاد
فلا تعجب فإن الحب أمسى
الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

غنته جارية بشعر المخزومي فطرب وأمر بشرائها:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال:
عرضت على الوليد بن يزيد جارية مغنية؛ فقال لها: غني؛ فغنت:

صوت

لولا الذي حملت من حُكَم
أو مذهب في الأرض ذو فسحة
لكن سباني منهم شادن
لكن من إظهاره مخرج
أجل ومن حجت له مخرج
مرتب بينهم أذعج

(١) وردت هذه القصيدة في «ديوانه» و«الكامل» و«المبرد» (ج ١ ص ١٤١) باختلاف عما هنا.

(٢) هاشم: يريد به هاشم بن عبد مناف بن قصي. وبنو أسد هم بنو أسد بن عبد العزي بن قصي. وعبد شمس هو ابن عبد مناف بن قصي. وأصحاب اللواء: بنو عبد الدار بن قصي. والصيد: جمع أصيد وهو الملك أو من هو رافع رأسه كبراً.

(٣) بنو نوفل هم بنو نوفل بن عبد مناف بن قصي. وآل مطلب، هم أبناء المطلب بن عبد مناف بن قصي. وبنو جمع هم بنو جمع بن عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي. والخضر فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

والقول الثاني أنه شبههم في جودهم بالبحور. والجلعيد: الشداد الصلاب، وأحدهم جلعد، وزاد الياء للحاجة.

(٤) بنو زهرة: أبناء زهرة بن كلاب بن مرة. (انظر «الكامل» ص ١٤٢ طبع أوروبا في شرح هذه الأبيات).

(٥) في أمم: «بالبنصر».

أغرُّ ممكورٌ هَضِيمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحَجَلُ والدُمْلَجُ

فقال لها الوليد: لمن هذا الشعر؟ قالت: للوليد بن يزيد المَخْزومي. قال: فَمِمَّنْ أخذتِ الغناء؟ قالت: من حُنَيْن. فقال: أعيدِ به، فأعادته فأجادت؛ فطرب الوليد ونعم^(١) وقال: أحسنتِ وأبى وجمعتِ كلَّ ما يُحتاج إليه في غنائك، وأمر بابتاعها، وحفظت عنده.

غنى في هذا الصوت ابن سريج ولحنه رمل بالنصر. وغنى فيه إسحاق فيما ذكر الهشامي خفيف ثقيل.

/ ومما يغنى به من هذه القصيدة: [٥٣/٧]

صوت

قد صرَّح القوم وما لَجَلَجُوا لَجُوا علينا ليت لم يَلَجُوا

باتوا وفيهم كالمَهَا طَفْلَةٌ قد زانها الخُلخال والدُمْلَجُ

غناه صباح^(٢) الخياط خفيف ثقيل بالنصر. وغنى فيه ابن أبي الكَنَات خفيف ثقيل بالوسطى.

حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض:

فأما خبر الشعر الذي قاله حسان بن ثابت لمُصَافِعِ بن عِيَاضِ أحدِ بني تَيْمِ بن مُرَّة، فأخبرني به الحَرَمِيُّ بن أَبِي العَلَاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا عثمان بن عبد الرحمن:

أَنَّ عُبَيْدَ^(٣) الله بن مَعْمَرٍ وعبدالله^(٤) بن عامر بن كُرَيْزٍ اشْتَرَيَا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رَقِيقًا مَمَّنْ ١٢٧ سُبِي، ففُضِّلَ عليهما ثمانون ألف درهم؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَمَا^(٥). فَمَرَّ / بهما طلحة^(٦) بن عُبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ / فقال: ما لابن مَعْمَرٍ يُلْزَمُ؟ فأخبر خبره؛ فأمر له بالأربعين ألفاً^(٧) التي عليه تُقْضَى عنه. فقال ابن معمر لابن عامر: إنها إن قُضِيَتْ عَنِّي بِقِيَّتٍ مُلَازِمًا، وإن قُضِيَتْ عَنْكَ لم يتركني طلحة حتى يَقْضِيَ عَنِّي؛ فدفع إليه الأربعين ألفاً^(٧) درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيلُهُ. فَمَرَّ طلحة منصرفاً من

(١) نعر: صوتٌ بخيشومه وهو كناية عن الطرب والاستحسان.

(٢) في حـ «صباح» بالياء المثناة من تحت.

(٣) هو عُبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي، اختلف في صحبته، قيل: إنه صحب النبي ﷺ وكان من أحدث أصحابه سناً، وقيل: إنه لا يطلق على مثله أنه صحب النبي ﷺ وهو غلام. واستشهد باصطخر مع ابن عامر وهو ابن أربعين سنة وكان على مقدمة الجيش. (راجع «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج ٣ ص ٣٤٥ طبع بولاق).

(٤) هو عبدالله بن عامر بن كُرَيْزِ بن ربيعة القرشي العبشمي ابن خال عثمان بن عفان. ولد على عهد رسول الله ﷺ. وكان كريماً ميمون النقيبة. واستعمله عثمان على البصرة سنة تسع وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان. وكان أحد الأجواد الممدحين توفي سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين. (راجع «أسد الغابة» ج ٣ ص ١٩١ طبع بولاق).

(٥) لزم الغريم ولازمه: تعلق به.

(٦) هو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي، يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض. وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد أحداً وما بعدها وباع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاءً عظيماً ووفى رسول الله ﷺ بنفسه. قتل يوم الجمل لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ستين أو اثنين وستين أو أربعاً وستين سنة. (راجع «أسد الغابة» ج ٣ ص ٥٩).

(٧) في الأصول: «الألف» بالألف واللام.

الصلاة فوجد ابنَ معمر يلَازِم فقال: ما لابنِ معمر؟ ألم أَمُرْ بالقضاءِ عنه! فأخبر بما صنع؛ فقال: أما ابنِ معمر فعلم أن له ابنَ عم لا يُسَلِّمُه، احمِلوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخُلِّي سبيلُه. فقال حَسَّان بن ثابت لمُسافع بن عِيَّاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة:

يا آلَ تيمم ألا تنهَوْنَ جاهلكم	قبل القِذافِ بضمِّ كالجلاميدِ
فتنهَوهُ ^(١) فإني غيرُ تارككم	إن عاد ما اهتزَّ ماءٌ في ثرى عودِ
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد	أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيِّدِ
أو من بني نوفل أو آل مُطَلِّبِ	أو من بني جُمَح الخُضِرِ الجَلَّاعيدِ
أو من بني زُهرة الأبطال قد عُرِفوا	لله ذُكُّك لسم تَهْمُكُم بتهديدِ
أو في الذُّؤابة من تيم إذا انتسبوا	أو من بني الحارث البيض الأماجيدِ
لكن سَأَصْرِفُهَا عَنْكُمْ وَأَعْدِلُهَا	لطلحة بن عُبيد الله ذي الجودِ

رجع الخبر إلى سِياقة أخبار الوليد:

الوليد بن يزيد وأبو الأقرع الشاعر:

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عبدالله بن عمرو قال قال الهيثم حدَّثني ابن عِيَّاش قال:

[٥٥/٧]

/ دخل أبو^(٢) الأقرع على الوليد بن يزيد؛ فقال له: أنشدني قولك في الخمر؛ فأنشده قوله:

كُمَيْتٌ إِذَا شُجِّتْ وَفِي الْكَاسِ وَزْدَةٌ	لها في عظام الشارين ديبٌ
تُريكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ	لوجه أخيهافي الإناء قُطُوبٌ

فقال الوليد: شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة! فقال: يا أمير المؤمنين، لئن كان نَعَتِي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها.

رأى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن فأعجبته:

أخبرني الحسن بن علي حدَّثني ابن مَهْرويه قال حدَّثني عبدالله بن عمرو قال قال المدائني:

نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً؛ فلما رآها أعجبته وراعه جمالُها وحسنُها؛ فسأل عنها فقيل له: إن لها زوجاً؛ فأنشأ يقول:

(١) نههوه: أزجره وكفهوه.

(٢) كذا فيما سيأتي من «الأغاني» في الكلام على ترجمته (ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق). وهو عبدالله بن الحجاج بن محسن بن جندب، شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر. خرج على عبد الملك بن مروان مع عمرو بن سعيد الأشدق ثم استأ من عبد الملك فأمته. وفي جميع النسخ هنا: «ابن الأقرع».

قصائد

إنما هاج لقلبي
شجوه بعد المشيب
نظرة قد وقرت في الـ
قلب من أم حبيب
فإذا ما ذقت فاهها
ذقت عذبا ذا غروب^(١)
خالط الراح بمسك
خالص غير مشوب

/ غناه ابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي؛ وذكر عمرو بن بانه أنه للأبجر، وهو الصحيح.

[٥٦/٧]
١٢٨
٧

الوليد بن يزيد في آخر دولته:

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو عن العنبي قال:

لما ظهرت المسودة^(٢) بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد^(٣) يستمده، فتشاعل عنه؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول:

أرى خلل الرماد وميض جمر
وأخرب أن يكون له ضرام
فلان النار بالعودين تذكى
وإن الحرب مبدوها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري
ألفاظ أمية أم نيام

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتك خراسان، فاعمل لنفسك أودع، فلاني مشغول عنك بابت سريج ومعبد والغريض.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال:

دخلت يوماً على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه، فاستنشدني فأنشدته كل شعر أهل الجاهلية والإسلام؛ فما هتئ لشيء منه حتى أخذت في السخف فأنشدته لعمار^(٤) ذي مجنب^(٥):

/ أشتهي منك منك مند / ك مكاناً مجنباً^(٦)

[٥٧/٧]

(١) الغروب: جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله. وغروب الأسنان: مناقع ريقها، وقيل: أطرافها وحدثها وماؤها. قال عنترة: إذ تستبيك بيذي غروب واضح عذب مقبله لذيق المطعم

(٢) المسودة: المراد بهم دعاة بني العباس. وكان السواد شعاراً للعباسيين وشيعتهم.

(٣) الذي في «مروج الذهب» (ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق) و «ابن الأثير» (ج ٥ ص ٢٧٨ طبع أوروبا) وسائر كتب التاريخ أن نصر بن سيار إنما بعث بهذا الشعر إلى مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية.

(٤) كذا في حد، ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطي وهو الموافق لما سيأتي في «الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٧٤ طبع بولاق) في ترجمته وهو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كنار. كان شاعراً ماجناً خميراً معافراً للشراب وقد حد فيه مراراً، وكان يقول شعراً طريفاً يضحك من أكثره جم السخف. وهو صديق حماد الراوية. وقد نشأ في دولة بني أمية. وفي سائر النسخ: «عمار بن ذي كنار». والظاهر أن لفظة «ابن مقحمة من الناسخ».

(٥) وردت هذه الكلمة هكذا في الأصول ولا معنى لها.

(٦) في ب، س، حد: «بجنب ذا»، وهو تحريف. والمجنب: المرتفع.

فَأَجَا^(١) فِيهِ فِيهِ فِيهِ هـ بِأَيُّر كَمَثَلِ ذَا
لَيْتَ أَيُّرِي وَجِرَكَ يُو مَا جَمِيعاً تَجَابِلَا^(٢)
فَأَخَذَ ذَا بِشَعْرٍ ذَا وَأَخَذَ ذَا بِقَعْرِ ذَا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة؛ فعلمت أن أمره قد أدبر. ثم أدخلت على أبي مسلم فاستشدني فأنشدته، قول الأفوه^(٣):

* لَنَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمَهُمُ *

فلما بلغت إلى قوله:

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّشْدِ مَا صَلَحَتْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل.

خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: وجدت في كتاب^(٤) عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْرِي عن عمر عن أبيه قال: خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب؛ فقبل له: إن اليوم الجمعة؛ فقال: والله لأخطبتهم اليوم بشعر؛ فصعد المنبر فخطب فقال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِلسَّيِّدِ الْحَمِيدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
وَهُوَ الَّذِي فِي الْكَرْبِ اسْتَعِينُ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ
/ أَشْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَمَا سِوَاهَا أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِلَّا هُوَ
مَا إِنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ شَرِيكُ قَدْ خَضَعَتْ لِمُلْكِهِ الْمُلُوكُ
أَشْهَدُ أَنَّ الدِّينَ دِينُ أَحْمَدِ فَلَيْسَ مِنْ خَالَفِهِ بِمَهْتَدِي
وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَرْشِ الْقَادِرِ الْفَرْدِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
أَرْسَلَهُ فِي خَلْقِهِ نَذِيرًا وَبِالْكِتَابِ وَاعْظَا بِشِيرَا
/ لِيُظْهِرَ اللَّهُ بِذَلِكَ الدِّينَا وَقَدْ جُعِلْنَا قَبْلُ مُشْرِكِينَا
مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِيهِ أَوْ الرَّسُولَ خَابَا
ثُمَّ الْقُرْآنُ وَالْهُدَى السَّبِيلُ قَدْ بَقِيََا لِمَا مَضَى الرَّسُولُ

[٥٨/٧]

١٢٩
٧

(١) أجا سهل أجا: والوج: اللكر.

(٢) في حد وفيما سيأتي في ترجمته: «تأخذ».

(٣) هو الأفوه الأودي واسمه صلاة بن عمرو من مذحج ويكنى أبا ربيعة. وقد وردت هذه القصيدة في ديوانه (نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بقلم الشيخ الشنقيطي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢ أدب ش) ومطلعها فيه وفي «الأغاني» (ج ١١ ص ٤٤ طبع بولاق) يختلف عما هنا.

(٤) في حد: «كتاب عبيد الله بن سعيد».

كَأَنَّهُ لِمَا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٍّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
 إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدُ إِنْ تَزَلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ تَهْجِهْ تَضِلُّوا
 لَا تَتْرَكُنْ نَصْحِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَاَعْلَمَنَّ وَاضِحٌ
 مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجِدْ غِيبَ الثَّقَى يَوْمَ الْحِسَابِ صَائِرًا إِلَى الْهُدَى
 إِنْ الثَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ أَرَى جَمَاعَ الْبَرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 خَافُوا الْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ فَاَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصِدُهُ وَمَا يَقْدُمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتَوْبُوا فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَاَعْلَمُوا قَرِيبُ

ثم نزل.

الوليد بن يزيد والوليد البندار:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني علي بن محمد التَّوْفَلِي عن أبيه عن الوليد البندار^(١) قال:

[٥٩/٧] / حَجَجْتُ مع الوليد بن يزيد؛ فقلت له لما أراد أن يخطب الناس: أيها الأمير، إن اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق، وأريد أن تشرّفني بشيء. قال: وما هو؟ قلت: إذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنك أسرّزت إليّ شيئاً؛ فقال: أفعل. فلما جلس على المنبر قال: الوليد البندار؛ فقامت إليه؛ فقال: اذن مني فدنوت؛ فأخذ بأذني ثم قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكل من ترى حولنا ولد زنا، أفهمت؟ قلت: نعم؛ قال: انزل الآن، فنزلت.

نادرة له مع أشعب:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عدي عن أشعب قال:

دخلت على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال لي: تَمَنَّ؟ فقلت: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى؛ قال: فإنما أردت أن تغليبي، فإني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كائنا ما كان؛ قلت: فإني أتمنى كفلين^(٢) من العذاب؛ فضحك ثم قال: إذا نوفرهما عليك. ثم قال لي: ما أشياء تبلغني عنك؟ قلت: يكذبون علي. قال: متى عهدك بالأصم؟ قلت: لا عهد لي به. فأخرج أيره كأنه ناي مدهون، فسجدت له ثلاث سجديات؛ فقال: ويْلَكَ إنما يسجد الناس سجدة واحدة؛ فقلت: واحدة للأصم واثنين لحُصَيْنِيك.

(١) البندار: الخازن.

(٢) الكفل: النصيب.

كان يغالي بالجوهر :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال حدثني عبد الصمد بن موسى الهاشمي قال :

إنما أغلَى الجوهرَ بنو أمية ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقودَ ويغيرها في اليوم مراراً كما تُغَيَّرُ الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به .

/ برز للناس راكباً فرساً وهو متهتك :

قال : وكان يوماً داره على فرس له وجاريةٌ تضرب بطنه قدامه ؛ فأخذها منها ووضعها على رقبته ، ونقر الفرس من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال :

قدم / الوليد بن يزيد المدينة ؛ فقلت لإسماعيل بن يسار : أخذنا^(١) مما أعطاك الله ؛ فقال : هلّم أفاستك إن^{١٣٠} قبلت ، بعث إليّ براوية^(٢) من خمر .

مر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني رجل قال :

كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغذى وشرب رطلين ثم جلس للناس . قال : فحدثني عمر الوادي قال : دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغذى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشربت ، وطرب ، وغنى صوتاً واحداً وأخذ دقافة فدفف بها ، فأخذ كل واحد منا دقافة فدفف^(٣) بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ؛ فلما رأنا الحاجب صاح بالناس : الحرّم الحرّم ؛ اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءك ، اليوم يحضر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنما أنا حاجب فلا تحمّلني على الشراب فما شربته قط ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما^(٤) فارقتاه حتى صببنا في حلقه بالقمع وقام وهو سكران .

قيل إنه افترع بنتاً له وكذب ذلك أبو الفرج :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن شريك قال حدثني عمي علي بن عمرو قرقارة قال حدثني أنيف بن هشام بن الكلبي ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال :

/ خرج الوليد بن يزيد من مقصورة له إلى مقصورة ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضيتها ، فوثب عليها فافترعها ؛ [٦١/٧] فقالت له الحاضنة : إنها المجوسية ؛ قال : اسكتي ! ثم قال :

(١) أخذى الرجل : أعطاه مما أصابه .

(٢) الراوية : المزادة (القرية) .

(٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «يدفف» .

(٤) في ب ، س : «لما» وهو تحريف .

مَنْ رَأَى النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِالسَّادَةِ الْجَسُورُ
وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل؛ لأن هذا الشعر لسلم الخاسر، ولم يُذكر زمن الوليد.

تمنى غلاء الخمر وعزة النساء لثلاثين بيتاً:

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مسلمة بن مسلم الكاتب قال:

قال الوليد بن يزيد: ودِدْتُ أَنْ كُلَّ كَأْسٍ تَشْرَبُ مِنْ خَمْرٍ بِدِينَارٍ، وَأَنْ كُلَّ حَرٍّ فِي جَبْهَةِ أَسَدٍ، فَلَا يَشْرَبُ إِلَّا سَخِيًّا، وَلَا يَنْكِحُ إِلَّا شَجَاعًا.

شرب شرب الفرس سبعة أسابيع:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: سمعت رجلاً يحدث أبي بالكوفة قال:

أرسلت إلى الوليد جَفْنَةً مَمْلُوءَةً قَوَارِيرَ فِرْعَوْنِيَّةٍ لَمْ يُرْ^(١) مِثْلُهَا قَطُّ. فَلَمَّا أَمْسَيْنَا صَبَبْنَا فِيهَا الشَّرَابَ فِي لَيْلَةٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَى الْقَمَرُ عَلَى رُؤُوسِنَا وَصَارَ فِي الْجَفْنَةِ قَالَ الْوَلِيدُ: فِي أَيِّ مَنْزِلَةِ الْقَمَرِ اللَّيْلَةُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي الْحَمَلِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي مَنْزِلَةِ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ؛ فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: الْقَمَرُ فِي الْجَفْنَةِ؛ قَالَ: قَاتَلَكُ اللَّهُ! أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي! لِتَشْرَبَنَّ الْهَفْتَجَنَةَ^(٢). فَقَالَ مُصْعَبُ: فَسَأَلَ أَبِي عَنِ الْهَفْتَجَنَةِ فَقَالَ: شُرِبَ كَانَتْ الْفَرَسُ تَشْرَبُهُ سَبْعَةَ أَسَابِيحَ. فَشَرِبَ تِسْعَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا.

[٦٢/٧] / غناء المغنون فطرب واعترض على شعر لابن أذينة:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي خَالِدُ صَامَةَ الْمَغْنِيِّ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ غَنَاءً عَلَى عَوْدٍ، قَالَ:

بَعَثَ إِلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ مَعْبَدًا وَمَالِكًا وَالْهُذَلِيَّ وَعَمْرَ الْوَادِيَّ وَأَبَا كَامِلٍ؛ فَغَنَى الْقَوْمُ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسٍ يَا لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ! وَغَلَامٌ لِلْوَلِيدِ يُقَالُ لَهُ سَبْرَةٌ يَسْقِي الْقَوْمَ الطَّلَاءَ، إِذْ جَاءَتْ نَوْبَةُ الْغَنَاءِ إِلَيَّ،
١٣١ فَأَخَذْتُ / عَوْدِي فَغَنَيْتُ بِأَيَّاتٍ قَالَهَا عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ يَرِثِي أَخَاهُ بَكْرًا:

نص

سَرَى هَمِّي وَهَسْمُ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَارَ النُّجُومُ إِلَّا قَيْدَ^(٣) فَنَرِ
أَرَأَيْتَ فِي الْمَجَرَّةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرِضُ فِي الْمَجَرَّةِ كَيْسَفٍ يَجْرِي

(١) في ب، س: «لم أر».

(٢) وردت هذه الكلمة محرفة في الأصول وصوابها ما أثبتناه وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين «هفت» ومعناها سبعة و «جنة» ومعناها مرج.

(٣) في م، و، ح: «قيس شهر». والقاد والقيد والقاس والقيس، كل ذلك القدر.

بُحْزَنَ مَا أَزَالَ لَهُ مُدِيمًا كَانَ الْقَلْبُ أَسْعَرَ حَرًّا جَمْرَ
عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَحْسُنُ بَعْدَ بَكَرٍ

- غنائه ابن سريج ثاني ثقیل بالوسطی. وغنى فيه ابن عباد الكاتب ولحنه رمل بالوسطی عن الهشامي - قال خالد: فقال لي الوليد: أعذ يا صام فاعدت؟ فقال: من يقوله ويحك؟ قلت: ابن أذينة؟ قال: هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحجر^(١) واسعا. قال عبد الرحمن بن عبدالله قال عبدالله بن أبي فروة: وأنشدها ابن أذينة ابن أبي عتيق؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال: كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت؛ فحلف ابن أذينة لا يكلمه أبدا؛ فمات ابن أبي عتيق وابن أذينة مهاجرا له.

[١٣/٧]

/ أنشدت سكينه بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينه بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال: أنشدت سكينه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي يحيى العبدي:

أَنَّ سَكِينَةَ أَنْشَدَتْ أَبْيَاتَ عُرْوَةَ بْنِ أَذِينَةَ فِي أَخِيهِ بَكَرٍ؛ فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَى قَوْلِهِ:

عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَحْسُنُ بَعْدَ بَكَرٍ

قالت سكينه: ومن أخوه بكر! أليس الدُّحْدَاحُ^(٢) الأَسِيدُ القصير الذي كان يمر بنا صباحاً ومساءً؟ قالوا: نعم؛ قالت: كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت. سبق سليمان بن عبد الملك بين المغنين ببدره فأخذها ابن سريج:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق قال:

قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ، فَجَمَعَ الْمَغْنِينَ وَسَبَقَ^(٣) بَيْنَهُمْ بِبَدْرَةٍ، وَقَالَ: أَيُّكُمْ كَانَ أَحْسَنَ غَنَاءً فَهِيَ لَهُ؛ فَاجْتَمَعُوا. فَبَلَغَ الْخَبْرُ ابْنَ سَرِيجٍ، فَجَاءَ وَقَدْ أَغْلَقَ الْبَابَ؛ فَقَالَ لِلْحَاجِبِ: اسْتَأْذِنْ لِي؛ قَالَ: لَا يُمَكِّنُ وَقَدْ أَغْلَقَ الْبَابَ، وَلَوْ كُنْتَ جِئْتَ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ الْبَابَ لَاسْتَأْذَنْتُ لَكَ. قَالَ: فَدَعَنِي أَغْنِ مِنْ شَقِّ الْبَابِ؛ قَالَ نَعَمْ. فَسَكَتَ حَتَّى فَرَّغَ جَمِيعُ الْمَغْنِينَ مِنْ غَنَائِهِمْ ثُمَّ انْدَفَعَ فَغَنَى:

* سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي *

فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه؛ فلما فرغ قال سليمان: أحسن والله! هذا والله أحسن منكم غناءً، أخرج يا غلام إليه بالبدره، فأخرجها إليه.

(١) تحجر واسعا: ضيقه.

(٢) الدحداح: القصير الغليظ البطن. والأسيد: تصغير الأسود.

(٣) يقال: سبق البدره بين الشعراء، من غلب أصحابه أخذها، أي جعلها سبقاً بينهم (انظر «أساس البلاغة» و«شرح القاموس» مادة سبق. وفي س: «سابق».)

[٦٤/٧] / الوليد بن يزيد وفرسه السندي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جَعْدَبَة:

أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مَرْبُوعٌ^(١) قَرِيبُ الرُّكَّابِ؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهَر الرجلَ وشتمه وقال: أَتَجِيءُ بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! رُدَّوه عليه، فردَّوه. فلما خرج وجهه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذي يسمُّيه السُّنْدِيّ.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيد وحده؛ فانتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به. فلما بَصُرَ

١٣٢ به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان / تحته فقتله. وقال في ذلك:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي بَيْنَ مَا أَنَا آمِنٌ يَحْسَبُ بِي السُّنْدِيُّ قَفْرًا فَيَافِيَا
تَطَلَّعْتُ مِنْ غَوْرٍ فَأَبْصَرْتُ فَارِسًا فَأَوْجَسْتُ مِنْهُ خِيفَةً أَنْ يَرَانِيَا
وَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْمَا هُوَ فَارِسٌ وَقَفْتُ لَهُ حَتَّى أَتَى فَرَمَانِيَا
رَمَانِي ثَلَاثًا ثُمَّ إِنِّي طَعَّمْتُهُ فَرَوَيْتُ مِنْهُ صَعْدَتِي وَسِنَانِيَا

غناه أبو كامل لحناً من الماخوريّ بالبصرة. ولإبراهيم فيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، وقيل: إن له فيه ماخوريّاً آخر. وفيه لعمر الوادي ثاني ثَقِيلٌ. ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشامي.

قال: وقال الوليد أيضاً في فرسه السُّنْدِيّ:

قَدْ أَغْتَدِي بِذِي سَيْبٍ هَيْكَلٍ^(٢) مُشَرَّبٍ^(٣) مِثْلِ الْغَرَابِ أَرْجَلٍ^(٤)
/ أَعَدَدْتُهُ لِحَلَبَاتِ الْأَحْوَالِ وَكُلُّ نَفْعٍ ثَائِرٍ لَجَحْفَلٍ

[٦٥/٧]

* وَكُلُّ خَطْبٍ ذِي شُؤْنٍ مُغْضِلٍ *

فقال هشام: لَكُنَّا أَعَدَدْنَا لَهُ مَا يَسُوءُهُ، نَخْلَعُهُ وَنُقْصِيهِ، فَيَكُونُ مَهَانًا مَدْحُورًا مُطْرَحًا.

ماتت سلمى بعد زفافها بسبعة أيام فرثاها:

نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن^(٥) العَقِيلِيّ:

أن الوليد لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان يُنْسَبُ بها، فزُوَّجَهَا لَمَّا مَضَى صَدْرُ مِنْ خِلَافَتِهِ؛ فَقَامَتْ

عنده سبعة أيام فماتت؛ فقال يرثيها:

يَا سَلَمُ كُنْتِ كَجَنَّةٍ قَدْ أَطْعَمْتُ^(٦) أَفْنَانُهَا دَانَ جَنَاهَا مُوَضَّعٌ^(٧)

(١) المربوع: الوسيط القامة.

(٢) الهيكل من الخيل: الكثيف العبل اللين، وهو أيضاً الطويل علواً وعدواً.

(٣) المشرب: الممزوج لونه بحمرة.

(٤) الأرجل من الخيل: الذي في إحدى رجليه بياض. والرجل مكروه في الخيل إلا أن يكون به وضغ غيره. (عن «اللسان» مادة رجل).

(٥) في ب، س، ح: «أبو الحسين»، وهو تحريف.

(٦) أطعمت الشجرة: أثمرت.

(٧) الموضع: المنضد.

أربابها شققاً^(١) عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسح الربيع طنونهم نشر الخريف ثمارها فتصدعوا

أمر وهو سكران بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاء:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالبة، وأخبرني الحسن بن علي
عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه:

أن الوليد بن يزيد لما انهك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف مع
المتنين مثل مالك ومعيد وابن عائشة وذويهم، كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي، وكان أدبياً ظريفاً شاعراً،
فكان لا يصبر عنه؛ فغناه معبد ذات يوم شعر عدي:

صوت

بكر العاذلون في وضح الصب / سح يقولون لي ألا تستفيق
لست أدري وقد جفاني خليلي / أعدو يلومني أم صديق
/ ثم قالوا ألا أصبحونا فقامت / قينة في يمينها إيريق
قدمته على عقار كمين الد / بك صفى سلافها الراوق

[١١/٧]

- فيه لمعبد ثقل ويقال إنه لحنين. وفيه لمالك خفيف رمل. وفيه لعبدالله بن العباس رمل كل ذلك عن
الهشامي - قال: فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه،
فانصرف ابن الطويل. فلما أفاق الوليد سأل عنه، / فعرف حين انصرافه؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً^{١٣٣}
على رأسه يقال له سبرة: اتنتني برأسه، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طشت بين يديه؛ فلما
راه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه، فاسترجع وندم على ما فرط منه، وجعل يقلب الرأس بيده. ثم قال يرثيه:

صوت

عني للحدث الجليل / جوداً بأربعة^(٢) هؤول
جوداً بدمع^(٣) إنه / يشفي الفؤاد من الغليل
له قبر ضمنت / فيه عظام ابن الطويل
مإذا تضاءل إذ نوى / فيه من اللب الأصيل

(١) شققاً: خوقاً.

(٢) الأربعة يعني بها اللحاطين والموقين فإن الدمع يجري من الموقين فإذا غلب وكثر جري من اللحاطين أيضاً. قال المتنبي:
كان الصبح يطردها فتجري مدامها بأربعة سجام

(انظر «شرح التبيان» للعسكري على «ديوان أبي الطيب» ج ٢ ص ٤١٤ طبع بولاق).

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «بدمعي».

قَدْ كُنْتُ أَوِي مَنْ هَوَا لَكَ إِلَهِي ذُرَى كَهْفٍ ظَلِيل
أَصْبَحْتُ بِعَدَدِكَ وَاحِداً فَرَدّاً بِمَذْرَجَةِ السَّيُول

[٦٧/٧] / - غَنَاهُ الْغَرِيضُ ثَانِيً ثَقِيلَ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَغَنَى فِيهِ سُلَيْمٌ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ لِحْنَ الْغَرِيضِ لِلدَّحْمَانِ، وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّهُ لِأَبِي كَامِلٍ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ^(١) لِحْنَ الْغَرِيضِ لِلدَّحْمَانِ - قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ إِلَى جَوَارِيهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبَالِي مَتَى جَاءَنِي الْمَوْتُ بَعْدَ الْخَلِيلِ ابْنِ الطَّوِيلِ. فَيَقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَعْشُ بَعْدَهُ إِلَّا مُدْبِدَةً حَتَّى قُتِلَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَجَازَ حَمَادًا الرَّاوِيَةَ لَطَرِبَهُ لَشَعْرِهِ أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ:

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَوَى الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ عَنْ حَمَّادِ الرَّاوِيَةَ قَالَ:
دَعَانِي الْوَلِيدُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي السَّحَرِ وَالْقَمَرِ طَالَعٌ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ نَدَمَائِهِ وَقَدْ اصْطَبَحَ؛ فَقَالَ: أَنْشَدْنِي فِي النَّسِيبِ؛ فَأَنْشَدْتَهُ أَشْعَارًا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَهْشُ لَشَيْءٍ مِنْهَا، حَتَّى أَنْشَدْتَهُ قَوْلَ عَمَّارٍ ذِي كَنَازٍ^(٢):

أَصْبَحَ^(٣) الْقَوْمَ قَهْوَةً فِي الْأَبَارِيقِ تُخْتَلَذَى
مَنْ كُمَيْتٌ مُدَامَةً حَبَّذَا تَلْكَ حَبَّذَا

[٦٨/٧] فطرب. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى خَادِمٍ وَكَانَ قَائِمًا كَأَنَّهُ الشَّمْسُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ فَكَشَفَ سِتْرًا خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَطَلَعَ مِنْهُ أَرْبَعُونَ وَصِيفًا وَوَصِيفَةً كَانَهُمُ اللَّوْلُؤُ الْمُنْتَوِرُ فِي أَيْدِيهِمُ الْأَبَارِيقُ وَالْمَنَادِيلُ؛ فَقَالَ: أَسْقُوهُمْ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا أُسْقِيَ، وَأَنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَنْشَدَهُ الشَّعْرَ؛ فَمَا زَالَ يَشْرَبُ وَيَسْقَى إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ثُمَّ لَمْ نَخْرُجْ عَنْ حَضْرَتِهِ / حَتَّى حَمَلْنَا الْفَرَّاشُونَ فِي الْبُسْطِ فَأَلْقَوْنَا فِي دَارِ الضِّيَافَةِ، فَمَا أَقْفَنَّا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ. قَالَ حَمَّادُ: ثُمَّ أَحْضَرَنِي فَخَلَعَ عَلَيَّ خِلْعًا مِنْ فَاخِرِ ثِيَابِهِ وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَنِي عَلَى فَرَسٍ.

خَاصِمَ وَكَيْلَهُ الْجَعْفَرِيَّ فِي أَرْضٍ لَدَى هِشَامٍ فَلَمْ يَنْصِفْهُ فَقَالَ هُوَ شَعْرًا:

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ قَالَ:

كَانَ بَيْنَ الْحَكَمِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَخِي أَبِي بَكْرٍ بَنِ كَلَابٍ وَبَيْنَ بَكْرِ بْنِ نَوْفَلٍ أَحَدِ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ شَيْءٌ فِي وَكَالَةِ لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ يَخَاصِمُ الْجَعْفَرِيَّ فِي الرَّحْبَةِ^(٤) مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ، وَكَانَ الْجَعْفَرِيُّ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا فَقَطَعَ شَفْرَهُ الْأَعْلَى، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ هِشَامًا فَلَمْ يُغْدِهِ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ فِي ذَلِكَ:

(١) يلاحظ أن هذه الجملة مكررة في أكثر الأصول وقد جاءت في هكذا:

... بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ لِحْنَ الْغَرِيضِ لِلدَّحْمَانِ ثُمَّ دَخَلَ إِلَى جَوَارِيهِ... إلخ.

(٢) فِي الْأَصُولِ «قَوْلُ عَدِيٍّ بْنِ زَيْدٍ» وَهُوَ خَطَأٌ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْقَصِيدَةِ الذَّالِيَةِ السَّالِفَةِ الْوَارِدَةِ فِي أَخْبَارِ الْوَلِيدِ وَالْمَنْسُوبَةِ لِعَمَّارٍ ذِي كَنَازٍ. وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي «الْأَغَانِي» (ج ٢٠ ص ١٧٩ - ١٨٠ طبع بولاق) فِي تَرْجُمَةِ عَمَّارٍ هَذَا وَنَسَبَ الشَّعْرَ فِيهَا لَهُ.

(٣) صَبِيحَتِ فَلَانًا: نَاولَتْهُ صَبُوحًا مِنْ لَبَنٍ أَوْ خَمَرٍ.

(٤) رَحْبَةُ دِمَشْقَ: قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ مِيلٌ.

قصود

١٣٤ / أَيْ حَكَمُ الْمَثْبُورِ^(١) لَوْ كُنْتَ تَعْتَزِي^(٢) إِلَى أُسْرَةٍ لَيْسُوا بِسُودَ زَعَانِفٍ
لَا يَفْنَتْ قَدْ أَدْرَكَتْ وَتَرَكْ عَنُوءَ^(٣) بِلَا حُكْمٍ قَاضٍ بَلْ بِضَرْبِ السَّوَالِفِ

- غَنَاءُ الْهَذَلِيِّ ثَقِيلًا أَوَّلَ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَيُونُسَ - قَالَ: فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ الْوَلِيدُ بَعَثَ إِلَى بَكْرِ بْنِ نُوْفَلٍ الْجَعْفَرِيِّ^(٤) فَقَالَ: أَلَا^(٥) تَعْطِي حَكَمَ بْنِ الزُّبَيْرِ حَقَّهُ! قَالَ: لَا؛ فَأَمَرَ بِهِ فَشَتَرْتُ^(٦) عَيْنَهُ. ثُمَّ قَالَ:

يَا رَبِّ أَمْرِ ذِي شُؤْنٍ جَحْفَلٍ^(٧) قَاسَيْتُ فِيهِ جَلَبَاتٍ^(٨) الْأَخْوَلِ

[٦٩/٧] / مَاتَ ابْنَتُهُ مُؤْمِنٌ وَنَعَاهُ إِلَيْهِ سِنَانُ الْكَاتِبِ وَهُوَ سَكْرَانٌ فَرثَاهُ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

خَرَجَ الْوَلِيدُ إِلَى مَتَصِيدٍ لَهُ فَأَقَامَ بِهِ، وَمَاتَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ مُؤْمِنُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَنْعَاهُ إِلَيْهِ، حَتَّى تَمَلَّ فَنَعَاهُ إِلَيْهِ سِنَانُ الْكَاتِبِ وَكَانَ مَغْنِيًّا؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ - وَفِي هَذَا الشَّعْرُ غَنَاءٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي أُخْتِيرَتْ لِلْوَأَقِ وَالرَّشِيدِ قَبْلَهُ -:

قصود

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أَتَانِي سِنَانٌ بِالْوَدَاعِ لِمُؤْمِنٍ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
أَلَا أَيُّهَا الْحَائِي^(١) عَلَيْهِ تَرَابُهُ هُبْلَتْ وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ الْأَصَابِعُ
يَقُولُونَ لَا تَجَزَّغْ وَأَظْهَرُ جَلَادَةً فَكَيْفَ بِمَا تُخْنَى عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ. غَنَاءُ سِنَانِ الْكَاتِبِ، وَلَحْنُهُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وَفِيهِ لِأَبِي كَامِلٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَقِيلَ: إِنَّ فِيهِ لَحْنًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ صَاحِبِ أُبُلَّةَ.

كُتِبَ لَهُ مَوْدِبُهُ يَزِيدُ شِعْرًا يَنْصَحُهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ:

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّهَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَقِيلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ:

(١) المَثْبُورُ: المَصَابُ بِتِيلٍ وَهُوَ الذَّحَلُ وَالْعِدَاوَةُ.

(٢) تَعْتَزِي: تَتَسَبَّبُ.

(٣) كَذَا فِي بِ مَصْحُوحَةٍ بِقَلَمِ الْمَرْحُومِ الشَّنْقِيطِيِّ وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِسِيَاقِ الْقِصَّةِ. وَفِي الْأَصُولِ «إِلَى بَكْرِ بْنِ الْجَعْدِيِّ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) كَذَا فِي بِ مَصْحُوحَةٍ بِقَلَمِ الْمَرْحُومِ الشَّنْقِيطِيِّ. وَفِي الْأَصُولِ: «لَا تَعْطِي» بِدُونِ أَلِفٍ وَهُوَ خَطَأٌ.

(٥) شَتَرَ عَيْنَهُ: شَقَّهَا وَقَلَبَ جَفْنَهَا.

(٦) الْجَحْفَلُ: الْعَظِيمُ.

(٧) كَذَا فِي ح. وَالْجَلَبَاتُ: الشَّدَائِدُ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «جَلَبَاتٍ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٨) حَثَا التَّرَابَ عَلَيْهِ وَفِي وَجْهِهِ يَحْتَوُهُ: قَبَضَهُ وَرَمَاهُ.

قال يزيد بن أبي مساحق^(١) السُّلَمي مؤدّب الوليد شعراً وبعث به إلى الثَّوَار جارية الوليد، فغتنه به، وهو:

مَضَى الخلفاءُ بالأمر الحميدِ وأصبحت المذمّةُ للوليدِ
تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيدِ
/ فكتب إليه الوليد: [٧٠/٧]

ليت حظي اليومَ من كلِّ معاشٍ لي وزاد
قهوةً أبذلُ فيها طارفي ثمّ تلامي
فبطل القلبُ منها هائمًا في كلِّ واد
إن في ذاك صلاحِي وفلاحِي ورشادي

نهى بني أمية عن الغناء وقال إنه رقية الزنا:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إبراهيم بن الوليد الحِمَصي قال حدّثنا هارون بن الحسن العبّري قال:

قال الوليد بن يزيد: يا بني أمية، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياءَ ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويؤثر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بدّ فاعلمين، فجنّبوا النساء فإن الغناء رُقِيَةُ الزَّنا. وإني لأقول ذلك فيه على ١٣٥ أنه / أحب إليّ من كل لذة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغلّة، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال.

قال له بعض مواليه إن الناس أنكروا عليك البيعة لابنك فأجابه وقال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال:

دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدم عثمان؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسْمَعُني السكوت؟ قال: بل قُلْ قولَ الموثوق به؛ فقلت: إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا: يُباع لمن لم يَحْتَلِم؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك؛ فقال: عَضُّوا بظُور أُمهاتكم، أفأَدْخِلْ بيني وبين ابني غيري؛ فَيَلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي! ثم أنشأ يقول:

نصوت

سَرَى طيفُ ذا الظبي بالمعاقدِ ن لِبلاً فهَيَّجَ قلباً عَميداً
وأزقَ عيني عِلَـى غِرّة فباتت بحزنٍ تقاسى الشُّهُودا
/ نؤمل عثمان بعد الوليد سد للعهد فينا ونرجو سعيدياً^(٢)

[٧١/٧]

(١) في ح: (يزيد بن مساحق).

(٢) كذا في الأصول. ورواية هذا البيت في «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٥٦):

نؤمل عثمان بعد الوليد سد للعهد فينا ونرجو يزيداً

وفي هامشه رواية أخرى وهي:

كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجي لتلك الوليدا
على أنها شَعَثٌ^(١) شَعَّةٌ فنحن نرجي لها أن تعودا
فإن هي عادت فعاصِ^(٢) القري سب منها لتؤيس منها البعيدا

ـ غناه أبو كامل ثانيّ ثقيل بالنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل لحكم، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفضل النجار رَمَلاً بالنصر ـ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: هو:

* سرى طيفُ ظبي بأعلى الغَوَير *

ولكن هذا تصحيف سليمان السّوّادي أو قال: خُلَيد.

حبس يزيد الناقص وليي عهد الوليد وقتلها:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال:

كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان، وهو أوّل من بايع لابن سُرَيَّة أُمّة، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبسهما ثم قتلها، وأفيهما يقول ابنُ أبي عَقب:

[٧٧/٧]

/ إذا قُتل الخَلَف المُدِيمُ لسُكره بقفر من البُخراء^(٣) أُسُس في الرَمَلِ
وسيق بلا جُرم إلى الحَنَف والرُدَى بُشَّاء حتى يُذبحا مَذْبَح السُّخَلِ
فويلُ بنسي مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

تبع الكلبي الزنديق على قوله في ماني وردّه العلاء البندار:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال حدّثني علي بن محمد التّوّفليّ قال حدّثني أبي عن العلاء البندار قال:

كان الوليد زنديقاً، وكان رجل من كَلَب يقول بمقالته مقالة الثّنوية^(٤)؛ فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبيّ عنده، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفِع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضر؛ فقال: اذُن يا علّاء فدنوتُ، فرفع الحريرة فإذا في السَفَط صورة إنسان وإذا الزُّبَيُّ والنّوشادر قد جُعلا في جفنه فجفنه يَطْرِف كأنه يتحرّك؛ فقال: يا علّاء، هذا ماني^(٥)، لم يَتَّبِعِ اللَّهُ نبيّاً قبله ولا يَتَّبِعُ نبيّاً بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين، اتَّقِ الله / ولا يَغُرَّنكَ^(٦)

نومل عثمان بعد الوليد سد أو حكماً ثم نرجو سعيداً

ولم نجد في كتب التاريخ ما يدل على أن للوليد ابناً يسمى سعيداً.

(١) شعت: بعدت.

(٢) عاص القريب، يريد جاف القريب ولا تدنه من الخلافة بتوليتهك إياه العهد. ورواية الطبري:

فإن هي عادت فعاصِ القري سب عنها لتؤيس منها البعيدا

(٣) البخراء: أرض بالشام سميت بذلك لعفونة في تربتها وتنتها.

(٤) الثنوية: أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. (انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٨٨).

(٥) هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام. اتخذ ديناً

بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. (عن «الملل والنحل»).

هذا الذي ترى عن دينك. فقال له الكلبي: يا أمير المؤمنين، ألم أقل لك: إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكثت أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبي عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الولد حمله على برذون هملاج^(١) أشقر من أفره ما سُخِر، فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر؛ فما شعر إلا وأعراب قد جاءوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتاً / وبرذونه يقاد حتى أسلموه. فبلغني ذلك، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب، وقد كانت لهم أبيات بالقرب منه في أرض البخراء لا حجر فيها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل؟ قالوا: أقبل علينا على برذون، فوالله لكانه دهن يسيل على صفاة من قرايته، فعجبنا لذلك؛ إذ انقض رجل من السماء عليه ثياب بيض فأخذ بضبعه^(٢) فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فذق عنقه ثم غاب عن عيوننا؛ فاحتملناه فحجنا به.

قصة الخارجين عليه ومقتله:

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخزاز عن المدائني قال:

لما أكثر الوليد بن يزيد التهلك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه، مل الناس أيامه وكرهوه. وكان قد عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا؛ فمشى الناس بعضهم إلى بعض في خلعه، وكان أقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى إلى أخيه العباس - وكان امراً صديق ولم يكن في بني أمية مثله، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز - فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد؛ فقال له: يا أخي، إن الناس قد ملوا بني مروان، وإن مشى بعضكم في أمر^(٣) بعض أكلتم، والله أجل لا بد أن يبلغه فانتظره. فخرج من عنده ومشى إلى غيره، فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له بأنه قد دعي إلى الخلافة؛ فقال له: والله لولا أنني لا آمنه عليك من تحامله لوجهت بك إليه مشدوداً؛ فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا. فأنصرف / من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه. وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه:

صوت

سَلِّ هَمَّ النفس عنها	بَعْلَنُودَةَ ^(٤) عَلاَةَ
تَنَقَّي الأَرْضَ وَتَهَوَّي	بِخَفَافِ مُذَمَّجَات
ذَاكَ أُمَّ مَابَالِ قُومِي	كَسَرُوا مِن قَنَاتِي
وَاسْتَخَفُّوا بِي وَصَارُوا	كَقُرُودٍ خَبَاسَاتِ

(١) الهملاج: الحسن السير في سرعة وبختر.

(٢) الضبع: العضد والإبط، يقال: أخذ بضبعه أي بعضديه.

(٣) في ب، س، ح: «في أثر».

(٤) العلندة: الناقة الضخمة الطويلة. وناقاة علاة الخلق أي طويلة جسيمة.

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لأبي كامل غَزَل الدَّمَشْقِيَّ مَأْخُورِيَّ بالبصرة. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

أصبح اليوم وليدٌ هائمٌ بالفتيات
/ عنده راح وإبريد قُوكُ وكأسُ بالقلعة
ابعثوا خيلاً لمخيل ورُمّةً لـرُمّةٍ

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائني عن جُويرية بن أسماء، وأخبرني به ابنُ أبي الأَزهري عن حمّاد عن أبيه عن المدائني عن جُويرية بن أسماء قال: قال ابنُ^(١) بشر بن الوليد بن عبد الملك:

لَمَّا أَظْهَرَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ أَمْرَهُ وَأَدْمَنَ عَلَى اللَّهْوِ وَالصَّيْدِ وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ وَوَالَى بَيْنَ الشَّرْبِ وَانْهَمَكِ فِي اللَّذَاتِ، سَمِعَهُ^(٢) النَّاسَ وَوَعَّظَهُ مِنْ أَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ / أَهْلِهِ؛ فَلَمَّا لَمْ يُقْلِعْ دَبُّوا فِي خَلْعِهِ. فَدَخَلَ أَبِي بَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ^[٧٥/٧] عَلَى عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَنَا مَعَهُ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ عَمِّي فِي أَنْ يَخْلَعَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَمَعَهُ عَمِّي يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَنْهَاهُ وَأَبِي يَرِدُّ عَلَيْهِ؛ فَكُنْتُ أَفْرَحُ وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَرَى أَبِي يَجْتَرِي أَنْ يَكْلِمَ عَمِّي وَيَرِدُّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا بَنِي مِرْوَانَ، أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ فِي هَلَاكِكُمْ. ثُمَّ قَالَ الْعَبَّاسُ:

إِنِّي أُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنٍ مِثْلِ الْجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدَفِعُ
إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ فَيَا سَمِيكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وَارْتَدِعُوا
لَا تُلْحِمَنَّ^(٣) ذُنَابَ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الذُّنَابَ إِذَا مَا أَلْحَمَّتْ رَتَعُوا
لَا تَبْقُرَنَّ بِأَيْدِيكُمْ بَطُونَكُمْ فَتَمَّ لَا فِذْيَةَ تُغْنِي وَلَا جَزَعَ^(٤)

قال المدائني عن رجاله: فلما استجمع ليزيد أمره وهو مُتَبَدِّئٌ أَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَبَيْنَ مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ مُتَبَدِّئاً فِيهِ وَبَيْنَ دِمَشْقَ أَرْبَعُ لَيَالٍ، فَأَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقَ مُتَنَكِّراً فِي سَبْعَةِ أَنْفُسٍ عَلَى حُمْرٍ وَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ دِمَشْقَ وَبَايَعَ لَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمِزَّةِ. فَقَالَ مَوْلَى لِعَبَّادِ بْنِ زِيَادٍ: إِنِّي لِبَجْرُودٍ - وَبَيْنَ جَرُودٍ وَدِمَشْقَ مَرَحَلَةٌ - إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا سَبْعَةٌ مُعْتَمُونَ^(٥) عَلَى حُمْرٍ فَتَزَلُّوا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ طَوِيلٌ جَسِيمٌ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فَنَامَ وَالْقَوَا عَلَيْهِ ثَوْباً، وَقَالُوا لِي: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ نَشْتَرِيهِ مِنْ طَعَامٍ؟ فَقُلْتُ: أَمَّا بَيْعٌ فَلَا، وَعِنْدِي مِنْ قِرَاطِكُمْ مَا يُشْبِعُكُمْ؛ فَقَالُوا: فَعَجِّلْهُ؛ فَذَبَحْتُ لَهُمْ دَجَاجاً وَفِرَاحاً وَأَتَيْتُهُمْ بِمَا حَضَرَ مِنْ عَسَلٍ وَسَمْنٍ وَشَوَانِيزٍ^(٦)، وَقُلْتُ: أَقْبِظُوا صَاحِبَكُمْ / لِلْغَدَاءِ؛ فَقَالُوا: هُوَ مَحْمُومٌ لَا يَأْكُلُ؛ فَسَفَرُوا لِلْغَدَاءِ^[٧٦/٧]

(١) كذا في أ، ب، م وهو الصواب كما سيأتي. وفي ب، س، ح: «قال قال أبي بشر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك»، وهو خطأ.

(٢) في الأصول: «شتمه».

(٣) ألحمت القوم: أطعمتهم اللحم.

(٤) في الأصول: «جذع» بالذال المعجمة. والتصويب عن «الطبري». وقد جاء فيه الشطر هكذا:

* فتم لا حسرة تغني ولا جزع *

(٥) في جميع الأصول: «معتمين»...

(٦) الشوانيز: التوابل.

فعرّفت بعضهم، وسفر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمني. ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةً إلى معاوية بن مَصاد^(١) وهو بالمِزّة - وبينها وبين دمشق ميل - فأصابهم مطر شديد، فأتوا منزل معاوية فضرّبوا بابَه وقالوا: يزيد بن الوليد؛ فقال له معاوية: الفِراش، ادخل أصلحك الله؛ قال: في رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك؛ فقال: ما تريدني^(٢) عليه أفسد. فمشى على البساط وجلس على الفراش، ثم كلّم معاوية فبايعه. وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحَسَنِي^(٣) مستخفياً، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنًا^(٤)، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السَلَمِي. وتَمَّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: إن يزيد خارج فلم يصدّق. وأرسل يزيد / إلى أصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جُمادى الآخرة سنة سبع^(٥) وعشرين ومائة، فكمَنوا في مِيضَاةٍ عند باب الفَراديس^(٦)؛ حتى إذا أذنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلّوا. وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل؛ فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبواب، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيدفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها / ويخرج. فلما صلّى الناس العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب، حتى لم يبق في المسجد إلا الحرسُ وأصحابُ يزيد، فأخذوا الحرس. ومضى [يزيد بن] عُبَيْسَةَ [السَّكْسَكِي]^(٧) إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قُمْ يا أمير المؤمنين وأنشِرْ بعون الله ونصره؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً. فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيتهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا بابَ المقصورة، وقالوا: نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادِمُ الباب، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذه وأخذوا خُزّان البيت^(٨) وصاحب البريد؛ وأرسل إلى كلّ من كان يحذّره فأخذه. وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبَيْدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَغْلَبَك، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما. وبعث أصحابه إلى الخَشِيبَةِ^(٩) فأتوه؛ وقال للَبَّابِينَ: لا تفتحوا الأبواب غُدوةً إلّا لمن أخبركم بِشعار كذا وكذا. قال: فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدّم به سليمان بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخُزّان قبضوه، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذه وأصبحوا، وجاء^(١٠) أهل المِزّة مع حُرَيْث بن أبي الجهم. فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثل قول النابغة:

(١) كذا في «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٨٩ طبع أوروبا). وفي الأصول: «معاوية بن معاذ». وهو سيد أهل المزة وقد كان أهل المزة بايعوا يزيد إلا معاوية هذا.

(٢) في الأصول: «ما تريد بي أفسد عليه». وعبارة «الطبري»: «الذي تريدني عليه أفسد».

(٣) في «الطبري» ق ٢ ص ٨٣٩، ١٧٨٩: «ثابت بن سليمان بن سعد الخشني».

(٤) في الأصول: «قطناً» بتقديم النون على الطاء. والتصويب عن «الطبري».

(٥) الصواب سنة ست وعشرين ومائة، كما في كتب التاريخ.

(٦) باب الفَراديس: باب من أبواب دمشق. قال ابن قيس الرقيات:

أفترت منهم الفَراديس والفُـو طُـة ذات القُـرى وذات الطُـلال

(٧) التكملة عن «الطبري» وعن الأصول فيما سيأتي.

(٨) يريد بيت المال.

(٩) الخشبية سيذكر المؤلف بعد قليل أنهم أصحاب المختار بن أبي عبيد.

(١٠) عبارة «الطبري»: «وجاء أهل المزة وابن عَصام... إلخ».

إذا استئزّلوا عنهم للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون: انظروا إلى هذا! كان قُبَيْلَ [الصبح] ^(١) يسبح وهو الآن يُشد الشعر.

قال ^(٢): وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن / مروان فوقف بباب الجابية فنأى: [من كان له عطاء (٧٨/٧) فليأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم مَعُونَةً] ^(٣)؛ فباع له الناس وأمر بالمعطاء. قال: ونَدَب يزيد بن الوليد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز، وقال: من انتدب معه فله ألفان، فانتدب ألفا رجلاً؛ فأعطاهم وقال: موعِدُكم ذَنْبٌ ^(٤)؛ فوافى ذَنْبُ ألف ومائتا رجل؛ فقال: ميعادُكم مَصْنَعَةٌ بِالْبَرَّةِ وهي لبني عبد العزيز بن الوليد؛ فوافاه ثمانمائة رجل، فسار فوافاهم ثَقُلُ ^(٥) الوليد فأخذه ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمي والأصبغ بن ذُوَالَة وشبيب بن أبي مالك الغساني وحُمَيْد بن نصر اللخمي، فأقبلوا فزَلُّوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعد عليه. وأثناء خبر العباس بن الوليد: إني أجيتك. وأتي الوليد بفرسين الذائد ^(٦) والسُنْدِي؛ وقال: أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصر ^(٧) الأفاعي! وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبير قتال، فقتل / عثمان ^(٨) الخشبي، وكان ^(٩) من أولاد الخشبيّة الذين كانوا مع المختار ^(٩). وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد؛ فأرسل منصور بن جمهور في جريدة ^(٩) خيل وقال: إنكم تَلْقَوْنَ العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشَّعْب فخذوه. وخرج منصور / في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشَّعْب، وإذا العباس ومعه ثلاثون ^(١٠) قد تقدّموا أصحابه؛ فقال له: اغدِل إلى [٧٩/٧] عبد العزيز، فشتّمهم؛ فقال له منصور: والله لئن تقدّمت لأنفذن حصينك ^(١١) بالرمح؛ فقال: إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايع ليزيد؛ فبايع ووقف؛ ونصبوا ^(١٢) راية وقالوا: هذا العباس قد بايع. ونادى منادي عبد العزيز؛ من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن؛ فقال العباس: إنا لله! خذعة من خدع الشيطان! هلك والله بنو مروان! فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس. وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعة بعدة رؤوس، فقال: اكتبوا أسماءهم؛ فقال له رجل من

(١) التكملة عن «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٩١ طبع أوروبا).

(٢) في أ، م: «قالوا».

(٣) هذه العبارة التي بين قوسين عبارة «الطبري». وفي الأصول: «ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في المعطاء ومعونة ألف درهم فبايعه... إلخ».

(٤) كذا في «الطبري». وهي موضع بعينه من أعمال دمشق. وفي الأصول: «ذنية» وهو تصحيف.

(٥) الثقل: المتاع.

(٦) في الأصول: «الزابد». والتصويب عن «نسب الخيل» لهشام بن محمد الكلبي (ص ٤٤) طبع ليدن و «شرح القاموس» مادة «ذود».

(٧) كذا في «الطبري». وتخصر: أخذ المخصرة (المصا) بيده وأمسكها. وفي الأصول: «وأعصر».

(٨) كذا في «الطبري» (قسم ٢ ص ١٧٩٨، ١٨٠٤). وكان من أصحاب الوليد بن يزيد. وفي الأصول: «يزيد بن عثمان الخشبي» وهو خطأ.

(٩) يريد المختار بن أبي عبيد. خرج بالكوفة سنة ست وستين مطالباً بدم الحسين رضي الله عنه وأهل بيته وذلك في سلطان ابن الزبير وأخرج عن الكوفة عبدالله بن مطيع عامل ابن الزبير، ثم قتله مصعب بن الزبير.

(١٠) كذا في أ، م. وفي ب، س، ح: «ومعه بنوه». وعبارة الطبري: «في ثلاثين من بني».

(١١) كذا في «الطبري»، وقال: «يعني درك»: وفي الأصول: «خصيتك»، وهو تحريف.

(١٢) كذا في «الطبري». وفي الأصول: «ونصب».

مواليه: ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامل فيه بالنسيئة. وناداهم رجالاً: أقتلوا اللوطي قِتلة قوم لوط، فرمّوه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال:

صوت

دُعُوا لِي سُلَيْمَى وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةَ^(١) وكأساً ألا حَسْبِي بِذَلِكَ مالا
إذا ما صفا عيش بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ^(٢) وعانقتُ سلمى لا أريدُ بدالا
خذوا مُلْكَكُمْ لا ثَبَتَ اللهُ مُلْكَكُمْ ثباتاً يساوي ما حَيَّيْتُ عَقالا
وخلُّوا عَنَّا قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى^(٣) ولا تحسُدوني أن أموت هُزالا

[٨٠/٧] / - غناه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش - ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي، غنّني بهذا الشعر. وقد أحاط الجندُ بالقصر؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلمه؟! فقال له يزيد بن عَنبَسَةَ السَّكْسَكِي: كلّمني؛ فقال له الوليد: يا أخا السَّكاسِك، ما تنقُمون منّي؟ ألم أزد في أعْطِياتكم وأعطيتكم فقرائكم وأخدمتُ زَمَنًاكم ودفعْتُ عنكم المونَ؟! فقال: ما نَنقُمُ عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن نَنقُمُ عليك انتهاك ما حرّم الله وشُرْبَ الخمر ونِكَاحَ أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله. قال: حَسْبُكَ يا أخا السَّكاسِك! فلعمري لقد أغرقتُ^(٤) فأكثرْتُ، وإنّ فيما أحلَّ الله لَسَعَةً عَمَّا^(٥) ذكرتُ. ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال: يومَ كيوم^(٦) عثمان، ونشر المصحفَ يقرأ؛ فَعَلُوا الحائِطَ؛ فكانَ أوَّلُ من علا الحائِطَ يزيدُ بن عنبسة، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه؛ فقال له يزيد: نَحْ سيفك، فقال الوليد: لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه. فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِلَه بيْتاً^(٧) ويؤامِرُ فيه، فنزل من الحائِطَ عشرة فيهم منصورُ بن جُمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسريّ بن زياد بن أبي كبشة، فضربه عبد الرحمن السَّلَمي^(٨) على رأسه ضربةً وضربه السريّ بن زياد على وجهه، وجروهُ بين خمسة ليُخرجوه؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه، واحتزّ رأسه

(١) كذا في أ.و. وفي سائر الأصول: «وفتية» وهو تحريف.

(٢) عالج: رملة بالبادية. وقال أبو عبيد الله السكوني: عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيء، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها.

(٣) قبل عير وما جرى، قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك قبل: فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى. قالوا: خص العير لأنه أحذر ما يقتصر، وإذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره، فضرب به المثل في السرعة. وقيل العير وإنسان العين، فإذا قيل: جاء قبل عير وما جرى فمعناه قبل لحظة العين. (راجع «مجمع الأمثال للميداني» ج ٢ ص ٣٦ طبع بولاق و«لسان العرب» مادة عير).

(٤) أي تجاوزت الحد في القول وبالغت فيه.

(٥) في الأصول «فيما» والتصويب عن «الطبري».

(٦) يريد عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف وجرى دمه عليه.

(٧) في ب، س: «بيتاً» وهو تحريف.

(٨) عبارة «الطبري»: «فنزل من الحائِطَ عشرة منصور بن جُمهور وحبّال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخمي والسريّ بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السري على وجهه وجروه... إلخ».

أبو علاقة القُضاعي / وخاط الضربة / التي في وجهه بالعقب^(١)، وقُدِمَ بالراس على يزيد، قَدِمَ به رَوْحُ بن مُقْبِل، [٨١/٧] وقال: أبشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتم الأمرُ له وأحسن صلته. ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره.

قال: ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مخجن مولى خالد القسري يُدخل سيفه في است الوليد وهو مقتول. فقال الأصمغ بن ذؤالة الكلبي في قتل الوليد وأخذهم ابنه:

من مُبْلِغٍ قِيساً وَخَنِيفَ كُلِّهَا
وساداتهم من عبد شمس وهاشم
قتلنا أمير المؤمنين بخالد^(٢)
ويغنا ولي عهد بالدراهم
وقال أبو مخجن مولى خالد:

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أدخله
في است الوليد لماتوا عنده كمدا
كان عمر الوادي يغنيه حين قتل:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن جرير قال:
قال لي عمر الوادي: كنت أغني الوليد أقول:



كذبتك نفسك أم رأيت بواسط^(٣) غلس^(٤) الظلام من الرباب خيالاً
قال: فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسه قد فارق بدنه ورأيت يتشخط في دمه. يقال: إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال: لابن جامع.

[٨٢/٧]

/ أخذ يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد وحبسهما وشتمهما:

قالوا: وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده، فتغنيا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضر^(٥) ودخل عليهما يزيد الأفقم بن هشام فجعل يشتم أباهما الوليد وكان قد ضرب به وحلقه^(٦)، فبكى الحكم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخي؛ وأقبل على يزيد فقال: أتشتم أبي! قال: نعم؛ قال: لكني لا أشتم عمي هشاماً، ووالله لو كنت من بني مروان ما شتمت أحداً منهم، فانظر إلى وجهك فإن كنت رأيت حكماً^(٦) يشبهك أوله مثل وجهك فأنت منهم، لا والله ما في الأرض حكماً يشبهك.

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.

(٢) هو خالد بن عبدالله القسري، وقد كان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله (راجع تفصيل مقتله في «الطبري» قسم ٢ ص ١٨١٢ وما بعدها).

(٣) كذا في ب، س و «اللسان» مادة غلس. وفي سائر النسخ: «وسط الظلام». والبيت للأخطل.

(٤) الخضر: موضع بالمدينة، وهي أيضاً حصن باليمن كما في ياقوت، ولعلها أيضاً موضع بالشام لم تذكره معاجم البلدان.

(٥) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وخلعه» وهو تحريف.

(٦) يعني من ينسب إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان رأس هذه الأسرة.

ندم أيوب السخيتاني لمقتله تخوفاً من الفتنة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما قُتل الوليدُ قال أيوب^(١) السخيتاني: ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه. قال: وإنما قال ذلك تخوفاً من الفتنة.

لعن الرشيد قاتليه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني: أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال: ممّن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيّها؟ فأمسك قال: قلّ وأنت آمن، ولو أنك مزواني، قال: أنا ابن الغمر بن يزيد. قال: رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتل عمك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفةً مُجمَعاً عليه، ارفع إليّ حوائجك، فقصاها.

[٨٣/٧] / رمى عند المهدي بالزندقة فدافع عنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا الغلابيّ قال حدثنا العلاء^(٢) بن سويد المنقريّ قال: ذكر ليلة المهديّ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً. فقال له شبيب بن شيبة: يا أمير المؤمنين إن رأيت ألاّ تُجرّي ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنه كان زنديقاً فقال: اسكت، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به. هكذا رواه الصوليّ. دافع عنه ابن علانة الفقيه لدى المهدي:

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازة قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل^(٣) بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبة عن أبيه قال: كنّا جلوساً عند / المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهديّ: أحسبه كان زنديقاً، فقام ابن علانة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، الله عزّ وجلّ أعظم من أن يولّي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، وحدثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطَيِّبَةٍ ومصبغةٍ ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتي ثياباً بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود إلى شربه ولهوه؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله! فقال له المهديّ: صدقت بارك الله عليك يا ابن علانة.

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّة أصوات من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره، والله أعلم.

(١) هو أيوب بن أبي تميمه كيسان السخيتاني العنزي أبو بكر البصري الفقيه أحد الأئمة الأعلام مات سنة ١٣١ هـ.

(٢) في حد: «العلاء بن أبي سويد» ولم نقف عليه في المراجع التي بين أيدينا.

(٣) كذا فيما مر قريباً ص ٦٩ من هذا الجزء وفي جميع الأصول هنا: «عقيل بن عمرو».

أصوت

من المائة المختارة

أُمّ سَلَامَ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا شَرِقتُ بالدموع مَثِي المَاقِي
 أُمّ سَلَامَ ذَكَرْتُكُمْ حَيْثُ كَتَمْتُ أَنْتِ دَائِي وَفِي لِسَانِكِ رَاقِي
 مَا لِقَلْبِي يَجُولُ بَيْنَ الثَّرَاقِي مُسْتَخْفَا يَتُوقُ كُلَّ مَنَاقِ
 حَذَرًا أَنْ تَبْسُتَ دَارُ سُلَيْمَاسِي أَوْ يَصْبِحَ الدَّاعِي لَهَا بِفِرَاقِ

غناه عمر الوادي، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى البصر. وذكر عمرو بن بانه أن لسلامة القس فيه خفيف رمل بالوسطى، ولعله بمعنى هذا. ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي في سلامة القس، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سلمى هذه في شعره بأُمّ سَلَامَ وبسَلْمَى، لأنه لم يكن يتصنع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه. ومن ذلك قوله فيها:

أصوت

أُمّ سَلَامَ لَسَوْ لَقِيتِ مِنَ الْوَجْدِ نَدَّ عَشِيرَ الَّذِي لَقِيتُ كِفَاكِ
 فَأُثْبِتِي بِالْوَصْلِ صَبًا عَمِيدًا وَشَفِيقًا شَجَاهَ مَا قَدْ شَجَاكِ

غناه مالك خفيف رمل بالبصر عن الهشامي.

/ ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

[٨٥/٧]

نسبه وإعجاب الوليد به :

هو عمر بن داود بن زاذان . وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حكّم وذووه من أهل وادي القرى . وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيب الصوت شجيّه مطرباً . وكان أول من غنى من أهل وادي القرى ؛ واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جدّاً ، وكان يسميه جامع لذاتي^(١) ومُخَيّ طربي . وقتل الوليد وهو يغنيه ، وكان آخر عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء :

صوت

/ إنني فكّرتُ في عمرٍ حين قال القولُ فاختلجنا
إنّهُ للمُسْتَبِرِّ ربِّهِ قمر قد طمس الشُّرجا
ويغني الشعر ينظّمهُ سيّد القوم الذي فلجنا
أكمل الوادي صنعتَهُ في لباب الشعر فاندمجنا

١٤٢
٦

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادي هزج خفيف بالبنصر في معجراها .

كان الوليد يقدّمه على المغنين :

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالاً حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له . وبلغني أنه كان / لا يضرب وإنما كان مرتجلاً ، وكان الوليد يسميه جامع لذاتي . قال : وبلغني أن حكماً الوادي وغيره من مُغَنّي وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه .

غضب الوليد على أبي رقية فاسترضاه عنه :

قال إسحاق وحدّثني عبد السلام بن الربيع :

أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية ، وكان ضعيف العقل وكان يُمسك المصحف على أمّ الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتاً : أحسنت والله ، أنت جامع لذاتي ، وأبو رقية مضطجع وهم

(١) كذا في ب ، س . وفي سائر الأصول : «لذاتي» بالأفراد . وقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك مختلفة في المواضع التي ذكرت فيها .

يحبسونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وأنا جامع لذات أمك؛ فغضب الوليد وهم به؛ فقال له عمر الوادي: جعلني الله فداك! ما يعقل أبو رقية وهو صاح، فكيف يعقل وهو سكران! فأمسك عنه.

سمع غناء من راع أخذه عنه ومدحه:

قال إسحاق: وحُذِّثُ عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العرج^(١) والشقيا سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قط أحسن منه وهو:

صوت

وكنْتُ إذا ما جئتُ سُغْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطَوِّى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَ جَلِيسُهَا إذا ما انقضتْ أُخْدُوثةٌ لو تُعيدُها

فكُدت أسقط عن راحلتي طرباً؛ فقلت: والله لألتمسن الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي حتى هبَطْتُ من الشَّرَفِ^(٢)، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي أقصدني إليه وسألته إعادته علي؛ فقال: والله لو كان عندي قَرْى ما فعلتُ، ولكني أجعله قِراك، فربما ترنمتُ به / وأنا جائعُ [٨٧/٧] فاشبع، وكسلانُ فأنشط ومستوحشُ فأنس؛ فأعاده علي مراراً حتى أخذته، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال. حدَّثني بهذا الخبر الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدَّثني المؤمِّل بن طالوت الوادي قال حدَّثني مَكِين العُدْرِي قال: سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الرُّوحاء^(٣) والعرج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فربما ترنمتُ به وأنا غَرَّانُ فَيُشْبِعُنِي، ومستوحشُ فيؤنسني، وكسلانُ فينشطني. قال: فما كان زادي حتى وَلَجْتُ المدينةَ غيره^(٤)، وجزئتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال.

نسبة لهذا الصوت

١٤٣
٦

أصوت

لقد هَجَرْتُ سُغْدَى وطال صدودُها وعَاوَدَ عَيْنِي دُمْعُهَا وسهسوُدُها
وكنْتُ إذا ما زرتُ سُغْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطَوِّى لي ويدنو بعيدُها
منعَمَةٌ لَمْ تَلَقْ بِؤْسَ مَعِيشَةٍ هي الخُلْدُ في الدنيا لمن يَسْتَفِيدُها
هي الخُلْدُ ما دامتْ لأهلك جارةٌ وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثير. والغناء لابن مُخَرِّز ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلق بالبصرة عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أن فيه ليزيد

(١) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا.

(٢) الشرف: المكان العالي.

(٣) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة، أول من سماها بذلك تبع، قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسمها الروحاء، وقيل فيها غير ذلك. (انظر ياقوت في الكلام عليها).

(٤) في أ، م: «غيرهما».

حَوَّاءَ ثَانِي ثَقِيل. وفيه خفيف رَمَل يُنسَب إلى عمر الوادي، وهو بعض هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبيات من قصيدة لكثير سائرُها في الغزل وهي من جيد غَزَلِه ومختارِه. وتَمَامُ الأبيات بعد ما مضى منها:

[٨٨/٧] / فتلك التي أصفيتها بمودتي
وقد قتلث نفساً بغير جريسة
فكيف يود القلب من لا يوده
ألا ليت شعري بعدنا هل تغيّرت
إذا ذكرتها النفس جئت بذكرها
فلو كان ما بي بالجبال لهداها
ولست وإن أوعدت فيها بمُنته
أبيت نجيّاً للهموم مُسهّداً
فأصحت ذا نفسين نفس مريضة
ونفس إذا ما كنت وحدي تقطعت
فلم تُبد^(٣) لي بأساً ففي اليأس راحة
ولم تُبد لي جوداً فينفع جودها

أخذ من الوليد خاتم ياقوت بصوت اقترحه عليه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

قال عمر الوادي: خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يلتصع من شُعاعه؛ فقال لي: يا جامع لذتي، أتحب أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي؛ فقال: غنّ في هذه الأبيات التي أنشدك فيها واجهد نفسك، فإن أصبت إرادتي وهبته لك؛ فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

أصوات

ألا يُسليكَ عن سَلَمِي
قَتِير^(٤) الشَّيْب والحِلْم
وَأَنَّ الشَّيْبَ مَلْتِي
فلا وصل ولا صُزْم
فلا والله ربّ النسا
من مَالِكَ عندنا ظُلْم

(١) العقل: الدية. وأقاد القاتل بالقتيل: قتله به.

(٢) كذا بالأصول ولعله: «إذا أوفدت... وفودها»، بالغاء في الكلمتين.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «تبذلي»، بالذال المعجمة.

(٤) القتير: أول ما يظهر من الشيب.

وكيف بظلم جارية ومنها اللين^(١) والرخم

فخلوت في بعض المجالس، فما زلت أديره حتى استقام، ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة، بيدها كأس وهو يروم [أن]^(٢) يشربها^(٣) فلا يقدر خماراً؛ فقال: ما صنعت؟ فقلت: فرغت مما أمرتني به؛ / وغنيته، فصاح: ^{١٤٤} أحسنت والله! ووثب قائماً على رجله وأخذ الكأس واستدنانني فوضع يده اليسرى علي متكئاً والكأس في يده اليمنى؛ ثم قال لي: أعدب أبي أنت وأمي! فأعدته عليه فشرب ودعا بثانية^(٤) وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، فقال: والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر؛ فما زلت أعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرافنام.

سبق عبد المطلب بن عبدالله بينه وبين أشعب وأبي رقية في وجز:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن غريرو^(٥) بن طلحة الأزقي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبدالله بن يزيد بن عبد الملك قال: والله إني لبالعقيق في قصر القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أشعب وعمر الوادي / وأبو رقية، إذ دعوت بدينار فوضعت بين يدي وسبقتهموه في رجز [٩٠/٧] فكان أول من خسق عمر الوادي^(٦) فقال:

أنا ابن داود أنا ابن زاذان أنا ابن مولى عمرو بن عثمان^(٧)

ثم خسق أبو رقية فقال:

أنا ابن عامر القاري أنا ابن أول أعجمي

تقدم في مسجد رسول الله ﷺ. ثم خسق أشعب فقال:

أنا ابن أم الخلدج أنا ابن المحرشة بين أزواج

النبي ﷺ. قال أبو الحكم: فقلت له: أي أخزأك الله، هل سمعت أحداً قط فخر بهذا! فقال: وهل فخر أحد بمثل فخري! لولا أن أُمِّي كانت عندهن ثقة ما قيلن منها حتى يغضب بعضهن على بعض.

(١) كذا في ح و «اللسان» (مادة رحم). وقد وردت في سائر الأصول محرقة. والرحم: العطف والرحمة.

(٢) ليست بالأصول.

(٣) في الأصول: «يشربه»، والكأس مؤنثة.

(٤) في الأصول: «ثان وثالث ورابع».

(٥) كذا في د و «شرح القاموس» وفيما تقدم من «الأغاني» (ج ٣ ص ٣٤٨ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول: «عزيز»، وهو تصحيف.

(٦) الخسق: الرمي بالسهم. وقد وردت هذه الكلمة على وجه الاستعارة لمقام الرهان الوارد في هذه القصة.

(٧) هذه الأرجاز الثلاثة ليست متزنة اتزاناً عروضياً. ولعله كلام يقصد به إلى الهزل والمزاح أكثر مما يقصد به إلى الجد. لأن أشعب لم يعرف عنه أنه كان شاعراً بل كان مزاحاً صاحب نوادر، وأبو رقية رجل ضعيف العقل، وعمر مغن وليس بشاعر.

/ أخبار أبي كامل

[٩١/٧]

كان مغنياً محسناً مضحكاً:

اسمُه الغَزِيلُ، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك.
 وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً. ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية؛ ولعله مات في أيامهم أو قُتل معهم.
 غنى الوليد وأطربه فخلع عليه قلنسيته:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني: أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد
 ذات يوم فقال:

نام من كان خليلاً من أليّ ويدائي بيث ليلى لم أنم
 أرقب الصبح كأنني مُسْنَدٌ في أكف القوم تغشائي الظلم
 إن سلمى ولنا من حبها ديدن في القلب ما اخضر السّلم
 قد سبّنتني بشيت نبّته وثناييا لم يعبهن قضم^(١)

قال فطرب الوليد وخلع عليه قلنسية وشي^(٢) مذهبة كانت على رأسه. فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا
 من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها ويكي ويقول: إنما أرفعها لأتي أجد منها ربح سيدي (يعني الوليد).
 الغناء في هذا الصوت هزج بالوسطى، نسبه عمرو بن بانه إلى عمر الوادي، ونسبه غيره إلى أبي كامل، وزعم
 آخرون أنه لحكم، هكذا نسبه ابن المكي إلى حكم وزعم أنه بالبنصر.

/ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة / قال حدثني الأصمعي عن صفوان بن الوليد المعيطي
 قال: [٩٢/٧] ١٤٥ ٦

غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحن لابن عائشة، وهو:
 جُبّانني أذاة كلّ لثيم إنه ما علمت شرّ نديم

(١) القضم: انصداع في السن، وقيل: تكسر وتلثم في أطراف الأسنان.

(٢) كذا في أ، م، ي، وفي سائر الأصول: «وخلع عليه حتى قلنسية وشي إلخ».

للوليد فيه أشعار كثيرة:

فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنسبته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها مما يغنى به:

صوت

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتُهُ مَعْبَدًا وَكُلَّ فَتًى فَاضِلَّ

وقال أيضاً فيه:

وَزِقُّ وَافِرِ الْجَنْبَيْنِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْبَازِلِ
بِهِ رُخْتُ إِلَى صَخْبِي وَتَدْمَانِي أَبِي كَامِلِ
شَرِبْنَاهُ وَقَدْ بَشَا بِأَعْلَى الدَّيْرِ بِالسَّاحِلِ
وَلَسَمَ نَقَبَلٍ مِنَ الْوَاشِي قَبُولَ الْجَاهِلِ الْخَاطِلِ

الغناء لأبي كامل خفيف رمل بالوسطى. وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي وأنه نُحِلَه أبو كامل. وذكر أن لعمر الوادي أو لحكم فيه رَمَلًا بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قریش رحمه الله أن لِيَنْشُو فيه خفيف رمل.

/ ومنها في قول الوليد:

[٩٣/٧]

صوت

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتُهُ مَعْبَدًا وَكُلَّ فَتًى فَاضِلَّ
لِيِ الْمَحْضُ مِنْ وَدْهِمِ وَيَغْمُرْهُمْ نَائِلِي
وَمَسَا بِلَا مَنَسِي فِيهِمْ سَوَى حَاسِدٍ جَاهِلِ

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه لِيَنْشُو ثَقِيلٌ أَوَّل. أخبرني بذلك قریش ووجه الرُّزَّة جميعاً:

كان المعتضد يمدح شعر الوليد ويقول: فيه شمائل الملوك:

وأخبرني قریش عن أحمد بن أبي العلاء قال:

كان للمعتضد عليّ صوتان من شعر الوليد، أحدهما:

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي

والآخر:

إِنْ فِي الْكَأْسِ لِمَسْكَأ أَوْ بَكَفِّي مِنْ سَقَانِي

وكان يُعْجَب بهما ويقول لجلسائه: أَمَا تَرَوْنَ شَمَائِلَ الْمُلُوكِ فِي شَعْرِهِ! مَا أَبَيَّنَهَا^(١):

لِي الْمَخْضُ مِنْ وَدْهِمْ وَيَغْمُرُهُمْ نَائِلِي
وحيث يقول:

كُلُّ لَانِي نَوُجَانِي وبشعري غُثِيَانِي
وقد نُسِبَ إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين؛ لأن ذكر سُلَيْمَى في أحدهما،
ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل^(٢)؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين، أحدهما^(٣):

[٩٤/٧]
١٤٦
٦

أصوات

من المائة المختارة

سُلَيْمَى تَلِكْ فِي الْعَيْسِرِ^(٤) قَفِي نُخَيْرِكِ أَوْ سِيرِي
إِذَا مَا أَنْسَتْ لَمْ تَرْتِي لَصَبِ الْقَلْبِ مَغْمُورِ
فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصَّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ
خَرَجْنَا تَتْبَعُ الشَّمْسَ عِيُونَنَا كَالْقَوَارِيرِ
وَفِينَا شَادَنُ أَحْمَرِ رُ مِنْ حُورِ الْيَعَافِيرِ^(٥)

الشعر ليزيد بن ضَبَّة. والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهريذ، ولحنه رَمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى. هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهريذ؛ وذكر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرُور الطائفي رملاً آخر بالسبابة في مجرى البنصر. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لَعَطَرْدَ هَزَجاً بالوسطى.

(١) الكلام هنا ناقص ولعله: «ما أبينها في قوله أو حين يقول... إلخ».

(٢) أبو كامل كان مغني الوليد.

(٣) ذكر المؤلف الصوت الآخر في أخبار إسماعيل بن الهريذ وهو:

أَمْدَحَ الْكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَاهْجَ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ
إِنَّمَا الْكَأْسَ رِيحَ بَاكِرِ فَإِذَا مَا غَابَ عَنَّا لَمْ نَعِشْ

(٤) العير: القافلة.

(٥) اليعافير: الطيلاء، واحدها يعفور.

[٩٥/٧]

/ أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

نسبه وولاهه وانقطاعه إلى الوليد بن يزيد:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال:

كان جدّي يزيد بن ضبة مولّى لثقيف. واسم أبيه مقسم؛ وضبة أمّه غلبت على نسبه؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً، فكانت أمّه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة، فكان جدّي ينسب إليها لشهرتها. قال: وولاهه لبني مالك بن حطيظ ثم لبني عامر بن يسار. قال عبد العظيم: وكان جدّي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه.

أراد أن يهنيء هشاماً بالخلافة فردّه لانقطاعه للوليد وشعره في ذلك

فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهتئاً بالخلافة. فلما استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه، مثل جدّي بين السُّمّاطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشده، وأمر بإخراجه. وبلغ الوليد خبره، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتنِي، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك؛ فقد سوّغتُك جميع غلّته، ومهما احتجت^(١) إليّ من شيء بعد ذلك فالتمسهُ مني. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أَرَى سَلَمَى تَصُدُّ وَمَا صَدَدْنَا	وغيرَ صدودِها كُنّا أرَدْنَا
لَقَدْ بَخِلْتُ بِنِائِلِهَا عَلَيْنَا	وَلَوْ جَادَتْ بِنِائِلِهَا حِمْدَنَا
وَقَدْ ضُنْتُ بِمَا وَعَدْتُ وَأَمْسْتُ	تَغْيُرُ عَهْدَهَا عَمَّا عَهِدْنَا
/ وَلَوْ عَلِمْتُ بِمَا لَا قِيْتُ سَلَمَى	فَتُخْبِرُنِي وَتَعْلَمُ مَا وَجَدْنَا
تَلِمْتُ عَلَى تَنَائِي الدَّارَ مَنَّا	فِيْهِ هَرْنَا الْخِيَالَ إِذَا رَقَدْنَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّنا لَمَّا وَلِينَا	أُمُوراً غُرِّقَتْ فَوَهَتْ سَدَدْنَا
رَأَيْنَا الْفَشَقَ حِينَ وَهَى عَلَيْهِم	وَكَمْ مِنْ مِثْلِهِ صَدَعَ رَفَأْنَا
/ إِذَا هَابَ الْكَرِيهَةَ مِنْ يَلِيْهَا	وَأَعْظَمَهَا الْهَيْسُوبُ لَهَا عَمَدْنَا

[٩٦/٧]

١٤٧
٦

(١) في ب، س، ح: «إليه».

وجبار تـركناه كليلاً
 فلا تنسوا مواطننا فإننا
 وما هيضت مكاسرُ من جبرنا
 إلا من مبلغ عني هشاماً
 وما كنا إلى الخلفاء نقضي
 ألم يك بالبلاء لنا جزاءً
 وقد كان الملوك يرون حقاً
 ولينا الناس أزماناً طوالاً
 ألم تر من ولدنا كيف أشبى^(١)
 نكون لمن ولدناه سماءً
 وكان أبوك قد أسدى إلينا
 كذلك أول الخلفاء كانوا
 هم أبائنا وهم بنونا
 ونكوي بالعداوة من بغائنا
 / نرى حقاً لائلنا علينا
 ونضمّن جازتنا ونراه منا
 ومسا نعتدّ دون المجد مالاً
 وأتلك مجدنا أنسا كراماً
 وقائد فتنة طاع أزلنا
 إذا ما عاد أهل الجرم عذنا
 ولا جبرث مصيبة من هذنا
 فما منا البلاء ولا بعذنا
 ولا كنا نؤخر إن شهدنا
 فتجزي بالمحاسن أم حيدنا
 لو افدنا فنكرم إن وفدنا
 وسنناهم ودنناهم وقذنا
 وأشبيننا وما بهم قعدنا
 إذا شيمت مخايلنا رعدنا
 جسيمة أمره وبه سعدنا
 بنا جدوا كما بهم جدنا
 لنا جيلوا كما لهم جيلنا
 ونسعد بالمودة من ودنا
 فتجبوه ونجزل إن وعدنا
 فترفده فتجزل إن رفدنا
 إذا يغلى بمكرمة أفدنا
 بحذ المشرفة عنه دذنا

[٩٧/٧]

هنا الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم:

قال: فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة، فوفد إليه. فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة؛ فأدناه الوليد وضمه إليه، وقبل يزيد بن ضبة رجله والأرض بين يديه؛ فقال الوليد لأصحابه: هذا طريد الأحوال لصحبته إيتاي وانقطاعه إلي. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذن له، فأنشده:

سَلِّمِي تـلك في العـيرِ قـفي أسـألك أو سـيري

(١) أشبى الرجل: ولد له ولد ذكي. قال ذو الإصبع العدواني:

وهم إن ولدوا أشبوا

بسبب الحسب المحض

إذا ما بنيت لم تأوي
وقد بانئت ولم تغهد
وفسي الآل^(١) حُمُولُ الح
يُواريهـا وتبدو منـه
/ وتطفـو حين تطفـو فيه
لقد لاقيت من سلمى
/ دعيت عيني لها قلبي
وما إن من به شيب
لسلمى رسم أطلال
خريق^(٨) تنخل الثرب
فأوحش إذ نأت سلمى
سأرمي فأنصات اليـه
من العيس شجـو جاة^(١٠)
إذا ما حقب^(١١) منها
زجرنا العيس فارقدت^(١٢)

لصَّبَّ القلب مغمـور
مهاة في مهـا خـور
سي نزمي كالقـرأقير^(٢)
سه آل^(٣) كالسمـاديـر^(٤)
سه كالنخل المواقير^(٥)
تباريح الثناكير^(٦)
وأسباب المقـاديـر
إذا يصبـو بمـذور
عفتها الريسـع بالمـور^(٧)
بأذيال الأعاصير
بتلك الدور من دور
سد إن عشت بعشـور^(٩)
طواها النسـع بالكـور
قرئاه بتضـدير
بإعصاف وتشمير

[٩٨/٧]

١٤٨
٧

(١) آل هنا: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحي كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها. فأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار. فالآل من الضحى إلى زوال الشمس والسراب بعد الزوال إلى العصر.
(٢) كذا في أ، هـ، م، وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بنسخته. والقراير: السفن العظيمة أو الطويلة. وفي ب، س، ح: «القوارير».

(٣) آل هنا: الشخوص التي تظهر في الآل (بالمعنى السابق).
(٤) كذا في أكثر النسخ. والسماديـر: الأشياء التي تراهى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشى النعاس والدوار. قال الكميت:

ولما رأيت المقربات مذابة وأنكرت إلا بالسماديـسر آلهـا

وفي ب، س: «كالشماذير» بالشين والذال المعجمتين، وهو تصحيف.

(٥) المواقير: جمع ميقار. والنخلة الميقار كالموقرة: التي عليها حمل ثقيل.

(٦) التباريح: الشدائد. وهو من الجموع التي لا مفرد لها. والتناكير: الأمور المنكرة.

(٧) المور: الغبار المتردد. وهو أيضاً تراب تثيره الريح.

(٨) الخريق: الريح الشديدة الهبوب.

(٩) العسبور: العاقبة الشديدة.

(١٠) الشجوة: الطويلة جداً. وقيل: الطويلة الرجلين. وقيل: الطويلة الظهر. والنسـع: سير مفتول يشد به الرجل. والكور: الرجل.

(١١) الحقب: جبل يشد به الرجل في بطن البعير مما يلي ثيله (وعاء قضيب البعير) لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه.

والتصدير: الحزام، وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل.

(١٢) الارقداد: سرعة السير. وفي ب، س: «فارتدت» وهو تصحيف. والإعصاف: الإسراع في السير. والتشمير: الجد في الأمر والاجتهاد فيه.

تُقاسِيها على أيّ من / إذا ما اغصَّ صُوب^(٢) الآل^(١)
 وراحت تتقي الشمس
 إلى أن يفضح^(٣) الصبح
 لتعتام^(٤) الوليد القسر
 كريمة يهب البزل
 تُراعي حين تُزجيهما
 كما جاوت الثيب
 ويُعطى الذهب الأحم
 بلوناه فأحمدنا
 كسريهم العود والعنص
 له السبق إلى الغايا
 إمام يوضح الحق
 مقال من أخى و
 بإحكام وإخلاص
 بتفهيهم وتخيبر
 به نور على نور
 بحفظ الصدق مائور
 وتفهيم وتخيبر

[٩٩/٧]

قال: فأمر الوليد بأن تُعدّ أبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألف درهم؛ فعُدّت فكانت خمسين بيتاً فأُعطيَ
 [١٠٠/٧] خمسين ألفاً. فكان أول خليفة عدّ أبيات الشعر / وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم؛ ثم لم يفعل ذلك إلّا
 هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً الثمريّ لما مدحاه وهجّوا آل
 أبي طالب لكل بيت ألف درهم.

أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكان قد خرج إلى الصيد:

قال عبد العظيم وحدثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد:

أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدّي يزيد بن ضبة، فاصطاد على فرسه السنديّ صيداً حسناً، ولحنّ عليه

(١) الإدلاج: السير في الليل. والتهجير: السير في الهاجرة.

(٢) اعصوب: اشتد. والآل: السراب. والقور: جمع قارة وهي الجبل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة.

(٣) أفضح الصبح: بدا. وفي حد: «يفضح» بالصاد المهملة.

(٤) اعتام: اختار واصطفى. يريد: تقصد إليه مختارة له.

(٥) الخور: النوق الغزيرة اللبن. والجراجير: الكرام من الإبل.

(٦) الهوي: الدوي في الأذن.

(٧) الرباع: جمع ربع (بضم ففتح) وهو ما ولد من الإبل في أول التاج. والخلوج: الناقة الكثيرة اللبن التي تحنّ إلى ولدها.

حماراً فصّره؛ فقال لجدي: صِفْ فرسي هذا وصيّدنا اليوم؛ فقال في ذلك:

- ١٤٩
٦
- ١ / وأخوَى سَلَسُ الْمَرْسُ ن مثلُ الصَّدْعِ الشَّعْبِ^(١)
 ٢ سَمَافُوقُ مُنِيفَاتٍ طَوَالِ كَالْقَنَّا سُلْبِ^(٢)
 ٣ طَوِيلُ السَّاقِ عُنْجُوجُ أَشَقُّ أَصْمَعُ الْكَفْبِ^(٣)
 ٤ عَلَى لَامٍ أَصَمُّ مُضْمٌ رِ الْأَشْعَرُ كَالْقَعْبِ^(٤)
 ٥ تَرَى بَيْنَ حَوَامِيهِ نُسُورًا كَنَسَوَى الْقَسْبِ^(٥)
 ٦ مَعَالَى شَنْجُ الْأَنْسَا ء سَامٍ جُرْشُوعُ الْجَنْبِ^(٦)
 ٧ / طَوَى بَيْنَ الشَّرَاسِيفِ إِلَى الْمَنْقَبِ فَالْقُنْبِ^(٧)
 ٨ يَخُوصُ الْمَلْحَمَ الْقَائِ مَ ذُو حَذِّ وَذُو شَغْبِ^(٨)
 ٩ عَتِيدُ الشَّدِّ وَالتَّقْرِيبِ بَ وَالْإِحْضَارِ وَالْعَقْبِ^(٩)
 ١٠ صَلِيبُ الْأُذُنِ وَالْكَسَاهِ لَ وَالْمَوْزِقِفِ وَالْعَجْبِ^(١٠)
 ١١ عَرِيضُ الْخَدِّ وَالْجَبْهِ بَ وَالْبِرْكَاتِ وَالْهَلْبِ^(١١)
 إِذَا مَا حَتَّاهُ حَاتٌ يُبَارِي الرِّيحَ فِي غَرْبِ^(١٢)

[١١١/٧]

مركز توثيق مكتبة يزيد بن سدي

- (١) المرسن: الأنف. والصدع: الفتحة الشاب القوي من الأوعال والظباء. والشعب (بالتحريك): تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر. وسكن للضرورة.
- (٢) الرمح السلب (ككتف): الطويل والجمع سلب (بضمين). قال الشاعر:
 وَمَنْ رِبَطَ الْجَحَاشِ فَإِنْ فِينَا قَنَّا سَلْبًا وَأَفْرَاسًا حَانَا
 ويجوز فيه التخفيف بتسكين عينه كما هنا.
- (٣) العنجوم: الرائع من الخيل. والأشق: الطويل. والصمع في الكعوب: لطاقتها واستواؤها.
- (٤) اللام: الشديد من كل شيء، ومن الحوافر: أشدها. يريد: على حافر شديد صلب. والأشعر: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تثبت الشعيرات حول الحافر. والقعب: القدح الصغير يشبه به الحافر.
- (٥) الحوامي: ميامن الفرس ومياسره. والنسر: لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة. والقسب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة.
- (٦) الأنساء: جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وفرس شنج النسا: متقبضه، وهو مدح له. وجرشع الجنب: متفخه.
- (٧) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. والمنقب (كمقعد): الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة. والقنب: جراب قضيب الدابة.
- (٨) يقال: فرس عتيد: شديد الخلق معدّ للجري. والتقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً وهو دون الإحضار. والعقب: الجري يحيى بعد الجري الأول.
- (٩) الموقفان من الفرس: نقرتا الخاصرة على رأس الكلية. والعجب: أصل الذنب عند رأس العصعص.
- (١٠) البركة: الصدر. والهلب: شعر الذنب. وفي الأصول: «الهرب» وهو تحريف.
- (١١) غرب الفرس: حدته ونشاطه.

وإن وجهه أنسر
وقفاهم كالأجد
ووالى الطعمن يختار
ترى كل مدل^(٣) قفا
كان الماء في الأعطا
كان الدم في النخر
يزين الدار موقوفا
ع كالخذروف^(١) في الثقب
ل لما انضمم للضرب
جواشن^(٢) بدين قف
ثمأ يلهاث كالكلب
ف منه قطع العطب^(٤)
قذال غلب بالخضب
ويشفي قرم^(٥) السركب

[١٠٢/٧] / قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيها وأعطه الغزير وعمر الوادي حتى يغنيا فيه؛ فقال:

صوت

إلى هندي صبا قلبي
وهندي مثلهما يضيبي
وهندي غسادة غيدا
ومن جرثومة^(٦) غلب
وما إن وجد الناس
من الأدواء كالحب
لقد ليج بها الإعراس
ض والهجـر بلا ذنب
ولما أقض من هندي
ومن جاراتها نخبي^(٧)
أرى وجدي بهنديدا
ثمأ يزاد عن غب^(٨)
وقد أطولت^(٩) إعراسا
وما بغضهم طبي^(١٠)
ولكن رقبته^(١١) الأعـ
بين قد تحجز ذا اللب

(١) الخذروف: شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي.

(٢) الجواشن: الصدور.

(٣) المدل: الجريء.

(٤) العطب: القطن.

(٥) القرم: الشهوة إلى اللحم. وفي ب، س: «قدم» بالبدال المهملة، وهو تحريف.

(٦) الجرثومة: الأصل. والغلب: جمع أغلب، وهو في الأصل الغليظ الرقة، وهم يصفون السادة أبدأ بغلظ الرقة وطولها.

(٧) النخب: الحاجة.

(٨) الغب: قلة الزيارة.

(٩) أطول كأطال، أنشد سيويه:

وصال على طول الصدود يدوم

صددت فأطولت الصدود وقلم

(١٠) الطب هنا: الشأن والعادة.

(١١) كذا في و، أ. وفي سائر الأصول: «رقية» بالياء المثناة، وهو تصحيف.

ورَغْمُ^(١) الكاشح الفراغ — فيها أَيْسَرُ الخَطْبِ

/ قال: ودفع هذه الأبيات إلى المغنّين فغنّوه فيها.

/ كان فصيحاً يطلب الحوشي من الشعر:

[١٠٣/٧]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرباعي عن الأصمعي، وحدثني به محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال:

كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً، وقد أدركته بالطائف، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر.

قال أهل الطائف إن له ألف قصيدة انتحلها شعراء العرب:

قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة، فاقسمتها شعراء العرب وانتحلها، فدخلت في أشعارها.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) في أ، و، م: «زعم» بالزاي والعين المهملة.

/ أخبار إسماعيل بن الهزيب

[١٠٤/٧]

ولاؤه، وقد غنى الوليد وعمر إلى آخر أيام الرشيد:

إسماعيل بن الهزيب مكّي مولى آل الزبير بن العوام، وقيل: بل هو مولى بني كنانة. أدرك آخر أيام بني أمية وغنى للوليد بن يزيد، وعُمر إلى آخر أيام الرشيد.

قدم على الرشيد وعنده بعض كبار المغنين فأطربه دونهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي عن أبيه:

أن إسماعيل بن الهزيب قدم على الرشيد من مكة، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفلّيح وغيرهم والرشيد يومئذ خائف^(١) به خمار شديد؛ فغنى ابن جامع ثم فلّيح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه؛ فاندفع ابن الهزيب يغني، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فغنى:

صوت

يا راكب العيس التسي	وفدت من البلد الحرام
قل للإمام ابن الإما	م أخسي الإمام أبي الإمام
زين البرية إذ بدا	فيهم كمصباح الظلام
جعل الآله الهزيبني فذاك من بين الأنام	

- الغناء لابن الهزيب رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو - قال فكاد الرشيد يرقص، واستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثاً، فإن أذن مولاي حديثه به؛ فقال: حدث. قال: كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير، فدفع إليّ درهمين أبتاع / له بهما لحماً، فرُحْتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جرةٌ مملوءةٌ من ماء العقيق^(٢) وهي تغني هذا اللحن في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويّه؛ فسألته أن تُعلِّمَنِيه؛ فقالت: لا وحقّ القبر^(٣) إلا بدرهمين؛ فدفعْتُ إليها الدرهمين وعلِّمَنِيه؛ فرجعت إلى مولاي

(١) خشيت نفسه: غشت واختلطت.

(٢) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل.

(٣) تريد قبر رسول الله ﷺ.

بغير لحم فضربني ضرباً مبرحاً شُغِلْتُ معه بنفسِي فَأَنْسَيْتُ الصوت. ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً؛ فَلَقَيْتَنِي الجاريةُ فسألَتْها أن تُعيد الصوتَ عليّ؛ فقالت: لا والله إلا بدرهمين؛ فدفعْتُهما إليها وأعادته عليّ مراراً حتى أخذته. فلما رجعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال: ما القصةُ في هذين الدرهمين؟ فصَدَقْتُهُ القصةَ وأَعَدْتُ / عليه الصوت، فقبلَ بين عيني وأعتقني. فرحلتُ^(١) إليك بهذا الصوت، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا^{١٥١} الشعر؛ فقال: دَعِ الأوَّلَ وتَنَاسَهُ، وأَقِمِ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر؛ فأما مولاك فسأدفع إليه بدل كلِّ درهم ألفَ دينار؛ ثم أمر له بذلك فحُمِلَ إليه.

شعر نسب للوليد وليس له:

ومما نُسِبَ إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له:

صوت

من المائة المختارة

امدَحِ الكأسَ ومن أغمَلَهَا وافجُ قوماً قتلونا بالعطش

إنما الكأسَ ربيعٌ باكرٌ فإذا ما غاب عنا لم نعيش

الشعر لنايفة بني شيبان. والغناء لأبي كامل، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسميه الناسُ اليومَ الماخوري. وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفٌ رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشامي أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأوَّل بالوسطى، ولعمرو الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

(١) في أ، هـ م: «فرحت».

/ نسب نابغة بني شيبان

[١٠٦/٧]

نسبه، وهو شاعر بدوي أموي:

النابغة اسمه عبدالله بن المُخَارِق بن سُلَيْم بن حصرة^(١) بن قَيْس بن سِنَان بن حَمَاد بن حارثة^(٢) بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهَل بن شَيْبَان بن ثَعْلَبَة بن عُكَّابَة بن صَغَب بن عَلِي بن بكر بن وائل بن قَاسِط بن هَنْب بن أَقْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار. شاعرٌ بدويٌّ من شعراء الدولة الأموية. وكان يَفِد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه. وكان فيما أرى^(٣) نَصْرَانِيًّا لَأَنِّي وجدته في شعره يَحْلِف بالإنجيل والرُّهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى. ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده؛ وله في الوليد مدائح كثيرة.

مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه وتولية ابنه للمهد:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُرَاني قال حدثني العُمَري عن العُتبي قال:

لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد، كان^(٤) نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مداحاً له؛ فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

أشتقت^(٥) / وانهل دمع عينك أن أضحي قفاراً من أهله طلح^(٦) [١٠٧/٧]

حتى انتهى إلى قوله:

أزخت عنا آل الزبير ولو كانوا هم المالكين ما صلحوا
إن تلقى بلى فأنت مضطرب وإن تلاقى الثغمي فلا فرح

(١) كذا في «شرح القاموس» (مادة نبغ) في الكلام على نسب النابغة، و«تجريد الأغاني» في ترجمته، وقد ورد فيه مضبوطاً بالقلم بضم الحاء. وفي جميع الأصول: «خضيرة» بالحاء المهملة والصاد المعجمة. وفي ديوانه المخطوط بخط الأستاذ الشنقيطي: «خضيرة» بالحاء المعجمة والصاد المهملة.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» و«شرح القاموس» وديوانه. وفي الأصول: «جارية».

(٣) هذا ما رآه أبو الفرج. وقد ورد في ديوانه ما يدل على أنه كان مسلماً؛ فمن ذلك قوله في قصيدته الرائية (ص ١٧ طبع دار الكتب المصرية):

وتعجبني اللذات ثم يعرجني
ويسجرنني الإسلام والشيب والتقني
ويسترنني عنها من الله سائر
وفي الشيب والإسلام للمرء زاجر

ويتجلى الروح الإسلامي في كثير من شعره المذكور في ديوانه.

(٤) في الأصول: «وكان».

(٥) قد وردت هذه القصيدة باختلاف عما هنا في ديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية، فأثبتنا من الديوان ما رأيناه صواباً دون ما في الأصول وأغفلنا ما عدا ذلك.

(٦) طلع وذو طلع: موضع دون الطائف لبني محرز، وقيل: موضع في بلاد بني يربوع.

ترمي بعيني أفنى على شرف
 آل أبي العاص آل مأثرة
 خير قريش وهم أفاضلها
 أرخبها أذرعاً وأصبرها
 / أما قريش فأنت وارثها
 حفظت ما ضيعوا وزندهم
 آليت جهداً - صادق قسمي -
 يظل يتلو الإنجيل يدرسه
 / لا بُك أولى بملك والده
 داود عدل فاحكم بسيرته
 وهم خيار فاعمل بسنتهم
 لم يؤذه عائر ولا لحح^(١)
 غر عتاق بالخير قد نفحوا
 في الجد جد وإن هم مزحوا
 أنتم إذا القوم في الوغى كلحوا^(٢)
 تكف من صعبهم إذا طمحووا
 أوريت إذ أصلدوا^(٣) وقد قدحوا
 برّب عبد تجّسه الكرخ^(٤)
 من خشية الله قلبه طفح^(٥)
 ونجم من قد عصاك فطرح
 ثم ابن حرب فإتهم نصحوا
 وأخي بخير واتخذ كما كدحوا

١٥٢
٦

[١٠٨/٧]

قال: فتبس عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار^(٦) ولا دفع؛ فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز، فقال^(٧): لقد أدخل ابن الصرانيّة نفسه مُدْخَلًا ضيقاً فأوردها مورداً خطراً؛ وبالله عليّ لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه.

هنا يزيد بن عبد الملك بالفتح بعد قتل يزيد بن المهلب:

وقال أبو عمرو الشيباني: لما قُتل يزيد بن المهلب دخل النابغة الشيباني على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في نهشته بالفتح:

ألا طال التنظّر والثّـواءُ
 وليس يُقيم ذو شجنٍ مُقيم
 وجاء الصيف وانكشف الغطاء
 ولا يُمضي إذا ابتغى المصّاء

(١) كذا ورد هذا البيت في ديوانه. والأفنى: الصقر، سمي بذلك لقنا أنفه أي ارتفاع أعلاه واحدداب وسطه وسبوغ طرفه. والعائر: الرمد. واللحح: لصوق الأجفان بالرمص وهو وسخ أبيض جامد يلصق بالجعفون. وفي الأصول:

ترمي بعيني أروى على شرف
 والأروى: أنثى الوعل. ولم يظهر لنا فيه معنى واضح، فآثرنا رواية الديوان.

(٢) كلحوا: كثروا في عبوس.

(٣) كذا في ديوانه. وأصلد الزند: قدحه ولم يور. وفي الأصول: «إن صلدوا وإن قدحوا».

(٤) كذا ورد هذا الشطر في ديوانه. والكُرخ والأكرح: بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان. وفي الأصول: «لرب عبد الله ينتصحو».

(٥) رواية ديوانه: «قفع» بالالفاء والغاء. وفسره الشنقيطي بقوله: «قفع: وجع».

(٦) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «باقدار»، وهو تحريف.

(٧) في الأصول: «وقال».

طَوَالَ الدَّهْرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ وَمَقْدَارٍ يُوَافِقُهُ الْقَضَاءُ
فَمَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غَنًى لِحَرْصٍ وَفَدَ يَنْمِي لَذِي الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَتَّبِعُهَا إِذَا انْتَهَتْ الرِّخَاءُ
يقول فيها:

أَوْثَمَ فَتَى مِنَ الْأَعْيَاصِ مَلِكاً أَغْرَكَ أَنْ غُرَّتْهُ ضِيَاءُ
لَأَسْمِعَهُ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحاً وَأُنْثِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ
يَزِيدُ الْخَيْرِ فَهُوَ يَزِيدُ خَيْراً وَيَنْمِي كُلَّمَا ابْتُغِيَ الثَّمَاءُ
فَضَضْتُ كِتَابَ «الْأَزْدِيِّ» فَضّاً بَكْبَشِكَ حِينَ لَقَّيْتُمَا اللَّقَاءُ
/ سَمَكْتُ^(١) الْمُلْكَ مَقْتَبَلاً جَدِيداً كَمَا سَمَكْتُ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
نَرْجِي أَنْ تَدُومَ لَنَا إِمَاماً وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا رَجَاءُ
«هَشَامٌ» وَ«الْوَلِيدُ»^(٢) وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ

[١٠٩/٧]

وهي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كَلْبٍ وَأَنْ تُوقَرَّ لَهُ بُرّاً وَزَبِيئاً، وكساه وأجزل صلته.

وفد على هشام مادحاً فطرده لغلوه في مدح يزيد:
قال: ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة؛ فلما رآه قال له: يا ماص ما أبقت المَوَاسِي من بَظَرِ أُمِّهِ! أَلَسْتَ
القائل:

هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ
أَخْرِجُوهُ عَنِّي! وَاللَّهِ لَا يَرْزُونِي^(٣) شَيْئاً أَبَداً وَحَرَمَهُ. وَلَمْ يَزَلْ طَوَلَ أَيَّامَهُ طَرِيداً؛ حَتَّى وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ؛
فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

شعره في صفة الخمر ومدحها:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُبيد الله بن محمد الكُوفِيُّ عَنْ
الْعُمَرِيِّ / الْخَصَّافِ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِي أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِنَابِغَةِ بَنِي شَيْبَانَ:

أَيُّهَا^(٤) السَّاقِي سَقِّكَ مُزْنَةً مِنْ رَيْبٍ^(٥) ذِي أَهَاضِيبٍ وَطَشٍ
امدح الكأس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بسالعطش

(١) سمك الشيء: رفعه.

(٢) كذا في الأصول وديوانه. ولم تتبين من المقصود بالوليد الوليد بن عبد الملك وقد مات قبل يزيد هذا أم الوليد بن يزيد وهو ابن الممدوح وقد أسلف مدحه في البيت السابق.

(٣) لا يرزوني شيئاً: لا يصيب مني شيئاً.

(٤) قد وردت هذه القصيدة في ديوانه ببعض اختلاف عما هنا.

(٥) الربيع: المطر في أول فصل الربيع. والأهاضيب: حلبات القطر بعد القطر. والطنش: المطر الضعيف.

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ / وكان الشرب قومٌ مؤتوا
فلذا ما غاب عتال لم نعيش / من يقم منهم لأمر يرتعش
بين مصروع وصاحٍ متعش / فهوة حولى لم تمتحش
من حمى^(١) قرقف حصية / ثم تنفى داه إن لم تنش^(٢)
ينفع المزكوم منها ريحها / ينفق الأموال فيها كل هش
كل من يشربها يالفها

استنشد الوليد شعراً فأنشده في الفخر بقومه فعائبه ووصله:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمحِيّ - قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سلام -:

غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امدح الكأس ومن أعملها / وانحج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأخضر؛ فاستنشد القصيدة فأنشده إياها؛ وظن أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سجد جُذك لكنت مديحاً فينا لا في بني شيبان، ولنا نُخلّيك على ذلك من حظٍّ؛ ووصله وانصرف. وأول هذه القصيدة قوله:

خلّ^(٣) قلبي من سُليمى نبلها / إذ رميتني بهامٍ لم تطش
طفلة^(٤) الأعطاف رُؤد دمية / وشواها بخثري لم يحش
/ وكان الدُرّ في أخراصها^(٥) / يئض كخلاء أقرته بعش
ولها عينا مهابة^(٦) في مهأ / ترتعي نبت خزامى وتنش
حسرة الوجه رخيماً صوثها / رطب تجنيه كف المُنْتَش^(٧)

(١) الحميا: ديب الشراب. والقرقف: الخمر، سميت بذلك لأنها تصيب شاربها بقرقة أي رعدة. والحصية: نسبة إلى الحص وهو الزعفران. قال عمرو بن كلثوم:

مشعشة كان الحص فيها / إذا ما الماء خالطها سخينا

والحولية: التي مضى عليها حول. ولم تمتحش: لم تحرق. يريد: لم تصبها النار.

(٢) لم تنش: من النشوة أي لم تسكر.

(٣) خل: نفذ وثقب.

(٤) الطفلة: الناعمة. والرؤد: الشابة الحسنة. والدمية: التمثال من رخام. والشوي: الأطراف. ولم يحش: لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بجالاته.

(٥) الأخراص: جمع خرص وهو القرط. والكخلاء: طائر.

(٦) المهابة: البقرة الوحشية. والخزامى: نبات طيب الريح. والتش (بالتحريك): أول ما يبدو من النبات على وجه الأرض وفي ب وس وح: «وتنش» بالقاف وفي باقي الأصول: «وتعش» بالعين المهملة، والتصويب عن الديوان.

(٧) انتش: تخير.

وهي في الليل إذا ما عَوْنَقَتْ
وفيها يقول مفتخراً:

وبنو شَيْبَانَ حَوْلِي عَصَبٌ
وَرَدُوا المَجْدَ وَكَانُوا أَهْلَهُ
وَتَرَى الجُرْدَ لَدَى أَيْبَانِهِمْ
لَيْسَ فِي الأَلْوَانِ مِنْهَا هُجْنَةٌ^(٤)
فَبِهَا يَخْوُونَ أَمْوَالَ الْعِدَا
/ دَمِيتُ أَكْفَالَهُمْ^(٥) مِنْ طَعْنِهِمْ
نُتْهِلُ الخَطِيئِ^(٦) مِنْ أَعْدَائِنَا
فَإِذَا الْعَيْسُ مِنَ المَحَلِّ غَدَتْ
/ حُسْرَ الأَوْبَارِ مِمَّا لَقِيتُ^(٧)
خُسْفَ^(٨) الأَعْيُنِ تَرْعَى جُوفَهُ^(٩)
نَتْعَشُ العَافِي وَمِنْ لَازِبِنَا^(١٠)
ذَاكَ قَوْلِي وَثَنَائِي وَهُمْ
فَسَلُّوا شَيْبَانَ إِنْ فَسَارَقْتَهُمْ
مِنْهُمْ غُلْبٌ^(١١) وَلَيْسَتْ بِالقَمِيشِ
فَسَرُّوا والجُودُ عَافٍ^(١٢) لَمْ يَنْشِ
أَرْنَاتٍ^(١٣) بَيْنَ صَلْصَالٍ وَجُشٍ
وَضَحُحُ البُلْبُقِ وَلَا عَيْبُ الْبَرَشِ
وَيَصِيدُونَ عَلَيْهَا كُلَّ وَحْشٍ
بِالرُّدَيْنِيَّاتِ^(١٤) وَالْخَيْلِ النَّجْشِ
ثُمَّ نَقْرِي الهَامَ إِنْ لَمْ نَقْتَرِشِ
وَهِيَ فِي أَعْيُنِهَا^(١٥) مِثْلُ الْعَمَشِ
مِنْ سَحَابٍ حَادٍ عَنْهَا لَمْ يُرِشِ^(١٦)
هَمَدَتْ أَوْبَارُهَا لَمْ تَنْتَفِشِ
بِسِجَالِ الْخَيْسِرِ مِنْ أَيْدٍ^(١٧) تُعْشِ
أَهْلُ وَدْيِ خَالِصٍ فِي غَيْرِ غَشٍ
يَوْمَ يَمْشُونَ إِلَى قَبْرِ بِنْعَشِ

[١١٢/٧]

١٥٤
٦

(١) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة. والقمش (بالسكون) ونقلت حركة الأخير ها هنا إلى الساكن قبله للوقوف: زعانف الناس وأردأهم.

(٢) العافي: الوافي. ولم ينش: لم يتضب.

(٣) كذا في «ديوانه»، والأرناث: النشيطات. وفي الأصول: «كرباب». والصلصال: الحمار المصوت. وجش: جمع أجش وهو الغليظ الصوت. ورواية هذا البيت والذي بعده في «ديوانه»:

وترى الخيل لَدَى أَيْبَانِهِمْ
لَيْسَ فِي الأَلْوَانِ مِنْهَا هُجْنَةٌ
يَتَجَاذِبْنَ صَهِيلاً فِي الدَجَى

(٤) الهجنة: العيب. والبرش: البرص.

(٥) في ب، س: «أكفانهم». وفي سائر الأصول: «أكفالهم». والتصويب عن «ديوانه».

(٦) الردينيات: الرماح نسبة إلى «ردينة» وهي امرأة كانت تقومها. والنجش: المستثارة المسرعة.

(٧) الخطي: الرمح نسبة إلى الخط وهي مرفأ للسفن بالبحرين. ونقري: نشق. والهام: جمع هامة وهي الرأس. ونقترش: نصرع.

(٨) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «وأعيننا» وهو تحريف.

(٩) أرشت السماء: جاءت بالمطر.

(١٠) خسف العين: غاثرتها.

(١١) كذا في «الديوان». والجوفة: النبتة الفارغة الجوف. وفي الأصول: «جدبة».

(١٢) في ب، س: «ومن لازمنا».

(١٣) أبدي نعش: تتعش لفعل الكرم والخير.

هل غَشِينَا مَحْرَمًا فِي قَوْمِنَا أَوْ جَزَيْنَا جَازِيًا فُخْشًا بِفُخْشِ

بعض شعره الذي غنى به :

ومما يغني فيه من شعر نابغة بني شيان :

صوت

ذَرَفْتُ عَيْنِي دَمْعًا مِنْ رَسْمٍ بِحَفِيرٍ^(١)
 مُوحِشَاتِ طَامِسَاتِ مِثْلِي آيَاتِ الزُّبُورِ
 / وَزَقَاقِي مُتَرَعَاتِ مِنْ سُلَافَاتِ الْعَصِيرِ^(٢)
 مُجَلِّخِ ذَاتِ^(٣) مِلَاءِ بَطْنِ وَهْنٍ^(٤) بَقِيرِ
 فَلِذَا صَارَتْ إِلَيْهِمْ صُيِّرَتْ خَيْرَ مَصِيرِ^(٥)
 مِنْ شَبَابٍ وَكُھُولِ حَكَمُوا كَأْسَ الْمُدِيرِ
 كَمْ تَرَى فِيهِمْ نَدِيمًا مِنْ رِئِيسٍ وَأَمِيرِ

ذكر يونس أن فيه لمالك لحنًا ولابن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما؛ وفيه خفيف رمل معروف لا أدري لحن أيهما هو.

صوت

من المائة المختارة

يَا عَمْرُؤُ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عَمْرَا وَعَزَمْتُ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرَا
 إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ^(٦) كَلَفْتُ بِهَا حَمَلْتُ بِلَا تَرَةٍ لَنَا وَثَرَا

(١) حفير: موضع بين مكة والمدينة، وعن ابن دريد: بين مكة والبصرة. وموضع بنجد، واسم لكثير من المواضع.

(٢) رواية هذا البيت في «ديوانه»:

فَنِي زَقَاقِ كُلِّ حَجَلِي مِنْ أَضْرَا يَبْعِي
 والحجل: السقاء العظيم.

(٣) مجلخات: مستلقيات. وفي الأصول: «ملخحات وملاء» وهو تحريف.

(٤) كذا في «الديوان». وفي ب، س، ح: «طينهن» بالنون. وفي سائر النسخ: «طيونهن» بالياء الموحدة. والقيز: الزفت.

(٥) رواية هذا البيت والذي بعده في «ديوانه»:

فَلِذَا صَارَتْ إِلَيْهِمْ صَارَتْ فِي خَيْرِ مَصِيرِ
 عَنْدَ شَبَابٍ وَشَيْبِ أَعْمَلُوا كَأْسَ الْمُدِيرِ

(٦) بنو أود: قبيلة.

وَتَرَى لَهَا دَلًّا إِذَا نَطَقَتْ
 تَرَكْتَ بَنَاتِ فُسْوَادِهِ صُغْرًا^(١)
 كَتَسَاقَطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ الْأَفْنَانِ لَا بَثْرًا^(٢) وَلَا نَزْرًا
 الشعر لأبي ذَهَبٍ الْجُمَحِيِّ. والغناء لفَزَارِ الْمَكِّي، ولحنه المختار ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ
 الْهَشَامِيِّ.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی

(١) صغراً: مائلة.

(٢) كذا في ح. والبثر: الكثير. وفي سائر الأصول: «بثراً» بالناء المثناة من فوق، وهو تصحيف.

[١١٤/٧]

/ أخبار أبي ذُهبل ونسبه

نسبه:

نسبه - فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره - وهب بن زمنة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي بن غالب. ولخلف بن وهب يقول عبدالله بن الزبير أو غيره:

خَلَفُ بْنُ وَهْبٍ كُلِّ آخِرِ لَيْلَةٍ أَبْدَأُ يَكْتُرُ أَهْلَهُ بَعِيَالِ
سَقِيًّا لَوْ هَبَ كَهْلُهَا وَلَيْدَهَا مَا دَامَ فِي أَيْاتِهَا الذِّئَالِ^(١)
/ نعم الشبابُ شبابُهُمْ وكهولُهُمْ صِيَابَةٌ^(٢) لَيْسُوا مِنَ الْجُهَالِ

١٥٥
٧

أمه امرأة من هذيل:

وَأُمُّ أَبِي ذُهْبَلٍ امْرَأَةٌ مِنْ هُذَيْلٍ. وَإِيَّاهَا يَغْنِي بِقَوْلِهِ:
أَنَا ابْنُ الْفُرُوعِ الْكَرَامِ التَّسْنِي هُذَيْلٌ لِأَيَّاتِهَا سَائِلُكُ^(٣)
هُمُّ وَلَدُونِي وَأَشْبَهُتُهُمْ كَمَا تُشَبِّهُهُ اللَّيْلَةُ الْقَابِلُكُ
واسمها، فيما ذكر ابن الأعرابي، هذيلة^(٤) بنت سلمة.

كان شاعراً جميلاً عفيفاً:

قال المدائني: كان أبو ذُهبل رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرب منكبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدح^(٥) معاوية، وعبدالله بن الزبير، وقد كان ابنُ الزبير وولاه بعض أعمال اليمن.

[١١٥/٧]

/ سأل قوم راهباً عن أشعر الناس فأشار إليه:

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمري عن الكلبي عن أبي مسكين،

(١) كذا ورد هذا البيت في الأصول.

(٢) الصيابة: الخيار من كل شيء.

(٣) في ب، س، حـ «سابل» بالباء الموحدة.

(٤) في «تجريد الأغاني»: «هذيلة» بالزاي، والعرب سموا «هذيلة» بالزاي دون «هذيلة» بالذال.

(٥) في «تجريد الأغاني»: «...» ومدح معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك (صوابه عبدالله) بن جعفر بن أبي طالب. وولاه ابن الزبير إلخ... إلخ.

وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حَدَّثني أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حَدَّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مُسْكين:

أَنْ قوماً بَرَّوا بَراهب، فقالوا له: يا راهب، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظرَ في كتاب عندي، فنظر في رَقٍّ له عَتِيق ثم قال: وَهَبْ من وَهَبين، من جُمَح أو جُمَحين.

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلَاء قال حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثنا علي بن صالح عن عبدالله بن عُرْوَة قال: قال أبو دَهبل يفخر بقومه:

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرت شهباء تُبصر في حافاتِها الزُغفا^(١)
أهلُ الخلافة والمُوفون إن وعدوا والشاهدو الروع لا عُزلاً ولا كُشفا^(٢)
قال الزبير وأنشدني عمي قال أنشدني مصعب لأبي دَهبل يفخر بقومه بقوله:

أنا أبو دَهبل وَهَبٌ لَوَهَب من جُمَح في العز منها والحَسَب
والأسرة الخُضراء والعِيص^(٣) الأَشَب ومن هُذَيْل والدي عالي النَّسَب
أورثني المجد أب من بعد أب رمحي رُذَيْنِي وسيفي المستَلَب
وبيضتي قونُسها من الذهب دِرْعِي دِلَاصٌ سَرْدُها سَرْدٌ عَجَب^(٤)
/ والقوس فجاء لها نَبْلٌ ذَرَب محشورة أُحْكِم منها القُطَب^(٥)
* ليوم هِجاء أعدت للرهَب *

[١١٦/

كان يهوى امرأة من قومه فكادوا له عندها فهجرته:

أخبرني محمد بن خَلَف قال حَدَّثنا محمد بن زُهَيْر قال حَدَّثنا المدائني:

أَنْ أبا دَهبل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عَمْرَة، وكانت امرأة جَزَلَة^(٦) يجتمع إليها الرجال للمحادثة^(٧) وإنشاد الشعر والأخبار، وكان أبو دَهبل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً مُحِبَّة له. وكان أبو دَهبل رجلاً سيِّداً من أشراف بُني جَمَح، وكان يحمل الحَمَلات^(٨) ويُعطي الفقراء ويُقري الضيف. وزعمت بنو جَمَح أنه تزوج عَمْرَة هذه بعد ذلك، وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها. وكانت عَمْرَة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن لها ذلك واتصل ما بينهما. فوقفت عليه زوجته فدسَّت إلى عَمْرَة امرأة داهية من عجائز أهلها؛ فجاءتها فحادثتها

(١) الشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح. والزحف: الدروع.

(٢) الروع: الحرب. والعزل: جمع أعزل وهو من لا سلاح معه. والأكشف: من لا ترس معه في الحرب، وقيل: من ينهزم فيها.

(٣) العيص: الأصل. والأشب: الملتف.

(٤) البيضة: ضرب من الدروع يتقى بها. وقونسها: أعلاها، وقيل: مقدمها. ودرع دِلَاص: لبنة ملساء براق.

(٥) قوس فجاء: ارتفعت سبيتها فبان وترها عن معجسها (المعجس: مقبض القوس). والقطب: النصال.

(٦) الجزلة: الأصيلة الرأي.

(٧) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «من المحادثة»، وهو تحريف.

(٨) الحملات (بفتح الحاء): الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم.

طويلاً ثم قالت لها في عُرْض حديثها: إني لأُعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين / أبا دَهْلٍ مع ما بينكما! قالت: وأيُّ شيء ١٥٦
يكون بيني وبين أبي دَهْلٍ! قال: فتصاحكت وقالت: أنستُرَيْن عَنِّي شيئاً قد تحدّثتُ به أشراف قريش في مجالسها
وسوقهُ أهل الحجاز في أسواقها والشقاة في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه؛ فوثبت عن مجلسها
فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها. وجاء أبو دَهْلٍ على عادته فحجبتَه وأرسلت إليه بما كره.
ففي ذلك يقول:

[١١٧/٧]

/ صوت

تطاوَلَ هذا الليل ما يتلَجُ وأعيث غواشي عَبرتي ما تَفَرِّجُ
وبتُ كثيراً ما أنام كأنما خِلالَ ضلوعي جمرَةً تتوهَجُ
فطوراً أُمّتي النفس من عَمرة المُنَى وطوراً إذا مالَجَ بي الحزن أنشَجُ^(١)
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَلَ الجبلُ أحوجُ

- الغناء في البيت الأوّل وبعده بيت في آخر القصيدة:

أخطَط في ظهر الحَصير كأنني أسيرُ يخاف القتلَ ولهان مُلقَجُ^(٢)

لمعبد ثَقيلٌ أوّل بالوسطى. وذكر حَمَاد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جَرَهْد وأن مالكا أخذه عنه فنسبه
الناس إليه، فكان إذا غناه وسئل عنه يقول: هذا والله لحائد بن جَرَهْد لا لي. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثَقيل
بالوسطى عن حَبَش. وفي «لقد قطع الواشون» وقيل «فطوراً أُمّتي النفس» لمالك ثَقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيفٌ ثَقيلٌ بالوسطى عن حبش -.

راوا غِرَةً فاستقبلوها بألبهم^(٣) فراحوا على ما لا نُحِبُّ^(٤) وأذلجوا
وكانوا أناساً كنتُ آمِنُ غَيِّهم فلم يَنْهَهم حلمي ولم يتحرّجوا
/ فليت كواثِناً^(٥) مِن أهلي وأهلها بأجمعهم في قعرٍ دَجَلَةٍ لَجَجُوا^(٦)
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا علينا وشبّوا نارَ صُرمٍ تَأَجَّجُ
ولو تركونا لا هَدَى اللّهُ سعيهم ولم يُلْجِمُوا قولاً من الشرِّ يُنْسَجُ

[١١٨/٧]

(١) النشيج: صوت معه توجع وبكاء.

(٢) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته وهو المتفق مع تفسير المؤلف للكلمة فيما يأتي. وفي الأصول: «مفلج» بتقديم الفاء على اللام وهو تحريف.

(٣) بألبهم (بالفتح): بجمعهم. والألب أيضاً (بالفتح والكسر): القوم يجتمعون على عداوة إنسان، يقال: هم ألب عليه، ومنه: الناس ألب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القناويز.

(٤) كذا في الشعر والشعراء ونسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي ب، ح، س: «على ما لا يحب». وفي سائر الأصول: «على ما لم يحب».

(٥) الكواثين: الثقلاء، وقيل: الكانون: الذي يجلس حتى يتحصى الأخبار والأحاديث لينقلها. وفي ب، س: «كواثناً» وهو تحريف.

(٦) لججوا: وقعوا في اللجة.

لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيكبت أعداء ويجدل ألف له كيد من لوعة الحب تلغج
وقلت لعباد وجاء كتابها لهذا ورثي كانت العين تخلج
وإني لمحزون عشية زرتها وكنيت إذا ما جثتها لا أعرج
أخطط في ظهر الحصور كأنني أسير يخاف القتل ولهان ملغج
الملغج: الفقير^(١) المحتاج.

وأشفق قلبي من فراق خليلي لها نسب في فرع فهر متوج
وكفت كهذاب الدمقس لطيفة بها دوس^(٢) حياء حديث مضرج^(٣)
/ يجول وشاحها ويغتص^(٤) حجلها ويشبع منها وقف^(٥) عاج ودملج
فلما التقينا لجلجث في حديثها ومن آية الصرم الحديث الملجلج

١٥٧
٦

[١١٩/٧] / شعره في عمرة:

أخبرني الحرمتي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه
محمد بن خشرم ومن شئت من قريش لأبي دهل في عمرة:

يا عفر حرم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرة
يا عمر شيخك وهو ذو كرم يخمي الدمار ويكرم الصهرا
إن كان هذا السحر منك فلا تضرعي^(٦) علي وجددي السحرا
إحدى بني أزد كلفيت بها حملت بلا وتر لنا وترا
وترى لها دلاً إذا نطقث تركت نبات فواده صغرا
كتساقط الرطب الجني من الأفنان لا يثرا ولا نثرا
أقسمت ما أحبيست حبكم لا يثيأ خلقث ولا يثرا

(١) من الفج فهو ملغج (بفتح الفاء وهو نادر كأحصن وأسهب فهو محصن ومسهب بالفتح فيهما): إذا أفلس. والملغج أيضاً: اللاصق بالأرض من كرب أو حاجة، والذاهب الفواد فرقا. وقد يكون هذا المعنى الأخير أنسب بالسياق.

(٢) الدوس: المراد به هنا التزين والترتيب.

(٣) مضرج: مصبوغ. وفي س: «مدرج» بالبدال المهملة، وهو تحريف.

(٤) كذا في ح ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. ويغتص: يمتلىء. وفي سائر الأصول: «يفتص» بالفاء والضاد المعجمة، وهو تصحيف.

(٥) الوقف: سوار من عاج. وفي ب، س: «وقف» بتقديم الفاء على القاف، وهو تصحيف.

(٦) الإرعاء: الإبقاء على أخيك؛ هكذا ذكره «اللسان» واستشهد بهذا البيت.

ومقالة فيكم عرّكتُ بها جنبي^(١) أريد بها لك العذرا
ومريد سرّكم عدلتُ به فيما يحاول مغدلاً وغرا
قالت يُقيم بنا لنجزيه يوماً فخيّم عندها شهرا
ما إن أقيم لحاجةٍ عرضت إلّا لأبلي فيكم العذرا
قالوا: وفيها يقول:

قصته

يلومونني في غير ذنبٍ جنّيته وغيري في الذنب الذي كان ألوم
أمنّا أناساً كنت تأتمنّهم فزادوا علينا في الحديث وأوهموا^(٢)
وقالوا لنا ما لم يقلّ ثم كثروا علينا وباحوا بالذي كنت أكتُم

/ - غنى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالنصر - .

وقد مُنحت عيني القذى لفراقهم وعاد لها تهتأها فهي تسجُم
وصافيتُ نِسواناً فلم أرفيهم هوأي ولا الوؤ الذي كنت أعلم
أليس عظيمًا أن نكون ببلدة كلانا بها ثارٍ ولا نتكلم

مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري

سمع أبو السائب المخزومي شعره فطرب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو غسان قال:

سمع أبو السائب المخزومي رجلاً ينشد قول أبي دهب:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة كلانا بها ثارٍ ولا نتكلم

فقال [له]^(٣) أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف؛ فصاح بجارية: يا سلامة اخرجي فخرجت؛ فقال له: أعدْ بأبي أنت البيت فأعاده؛ فقال: بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرة لوجه الله! اذهب فديتُكَ مُصاحِباً. ثم دخل ودخلت الجارية تقول له: ما لقيتُ منك! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني!

قصة لشاب خاطبته عشيقته بشعر أبي دهب:

وحَدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: كنّا نختلف إلى أبي العباس المبرّد ونحن أحدثُ نكتب عن الرّواة ما يروونه من الآداب / والأخبار، وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف^{١٥٨} باطن أمره؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرّد وجلسنا في مجلس تنقابل بما كتبناه ونصحّح المجلس الذي

(١) يقال: عرّكت ذنبه بجنبه إذا احتمته. قال:

إذا أنت لم تمرّك بجنبك بعض ما

يسره من الأدنى جفاك الأبعاد

(٢) أوهموا: نقصوا.

(٣) زيادة عن حد.

شَهِدناه؛ فإذا بجارية قد اطلعت فطرحَتْ في حَجَرِ الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسن من شكلها مختومةً بعنبر؛ فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية. فلم نَلْبِثْ أن خرج خادم من الدار في يده كَرَشٌ^(١)، فدخل إلينا فصفع / الفتى به حتى رَحِمناه وخلصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً. فلما تباعدنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب:

كفى حَزْناً أنا جميعاً بيلدة كلانا بهائِثاً ولا نتكلم

فقلنا له: هذا ابتداءٌ ظريف، فبأي شيء أجبتَ أنت؟ قال: هذا صوت سمعته يُغَنَّى فيه، فلما قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله. فسألناه ما هو؟ فقال: كتبتُ في الجواب:

* أراعك بالخابور^(٢) نُوقٌ وأجمال *

فقلنا له: ما وفاك القومُ حقك قط، وقد كان ينبغي أن يُدخلونا معك في القصة لدخولك في جملتنا، ولكننا نحن نُوفِّيك حقك؛ ثم تناولناه فصصفناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دهل

أبو دهل وعاتكة بنت معاوية:

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي قال حدثنا صالح بن حسان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السري قال حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه، يزيد أحدهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبره أتم، قال:

حَجَّتْ عاتِكة بنت معاوية بن أبي سفيان، فزلت من مكة بذِي طَوًى. فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحرُ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ / أمرت جواريتها فرفعن السترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مرَّ بها أبو دهل الجمحي، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح السترَ وشتمته. فقال أبو دهل:

إني دعاني الحَيْن فاقْتادني	حتى رأيتُ الطَّيبي بالبَابِ
يا حسنَّه إذ سبَّني مُذْهِراً	مستِيراً عَنِّي بجِلْبَابِ
سبحان من وقفها حَسرةً	صُبَّت على القلب بأَرْصَابِ
يُذود عنها إن تطلَّبْتُها	أبَّ لها ليس بـوَهَابِ
أحلَّها قصراً منيع الذُّرى	يُحَمَّى بأَبوابٍ وحُجَابِ

قال: وأنشد أبو دهل هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المُغَنِّونَ، حتى سمعتها

(١) الكرش: لعله هنا وعاء الطيب.

(٢) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه، فنسبت إليه. كذا ذكره ياقوت واستشهد بهذا الشطر ونسب الشعر للأخطل.

عائكة إنشاداً وغناءً؛ فضحكت وأعجبها وبعثت إليه بكسوة، وجرت الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها، فكانت تعاهده بالبر / واللطف^(١) حتى وردت دمشق وورد معها، فانقطعت عن ١٥٩ لقائه وبعثت من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً. فقال في ذلك:

طال ليلي وبيت كالمحزون ومليت الثواء في جيرون^(٢)
 واطلقت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون
 فبكث خشيّة التفريق جُمِلُ بكباء القرين إثر القرين
 / وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
 وإذا ما نسبته لم تجدها في سناء مسن المكارم دون
 ثم خاصرتها إلى القبة الخفض سراء تمشي في مزمير مسنون^(٣)
 قبة من مَراجِل^(٤) ضربوها عند بَرْد الشتاء في قيطون
 عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجاً عن يميني
 ولقد قلت إذ تناول سُقمي وتقلب ليلى في فنون
 ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني الباري قصير الجفون

[١٢٣/٧]

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهل؛ فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهل الخروج فامعه وأزده إني؛ وجعل الناس يسلمون وينصرفون، فقام أبو دهل لينصرف؛ فناداه معاوية: يا أبا دهل إني؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنت ظننت أن في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قلت إذ تناول سُقمي وتقلب ليلى في فنون
 ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني الباري قصير الجفون
 غير أنك قلت:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
 وإذا ما نسبته لم تجدها في سناء من المكارم دون

والله إن فتاة أبوها معاوية وجدّها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت؛ وأي شيء زدت في قدرها! ولقد أسأت في قولك:

(١) اللطف: الهدايا.

(٢) جاء في «الأغاني» (ج ١٣ ص ١٤٩ طبع بولاق) أن قاتل هذا الشعر هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في أخت معاوية. وجاء هذا الشعر في «الكامل» للمبرد منسوباً لأبي دهل. ثم قال بعد ذلك: وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان. ثم ساق خبر هذا الشعر في قصة تخالف قصة «الأغاني»، فانظره (ص ١٦٨ طبع أوروبا). وجيرون: حصن بدمشق، وقيل: هي دمشق نفسها.

(٣) المستون: المصوب على استواء.

(٤) المراجِل: ثياب من ثياب اليمن. والقيطون: البيت في جوف البيت.

/ ثم خاصرتهما إلى القبة الخضر — راء تمشي في مرمر مشنون

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أما من جهتي فلا خوف عليك، لأنني أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أن فتیان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز، وإنما أكره لك جوار يزيد، وأخاف عليك وثباته، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك. وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهب فتنفضي المقالة عن ابنته؛ فحذر أبو دهب فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكتب عاتكة. فبينما معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصي له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلما قرأته بكّت ثم أخذته فوضعت تحت مصلّاها، وما زالت خائرة / النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصي، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعانتك هلاً إذ بخلت فلا ترى	لذي صنوة زلّقى لديك ولا حقاً ^(١)
رددت فؤاداً قد تولّى به الهوى	وسكنت عيناً لا تمل ولا ترقا ^(٢)
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى	ولم أريوماً منك جوداً ولا صدقاً
أتسبين أيتامي برّبعك مُذنباً	صريعاً ^(٣) بأرض الشام ذا سقم مُلقى
وليس صديق يُرتضى لوصية	وأدعو لدائي بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مُرسلاً	فطول نهاري جالس أرقب الطرقات
فواكبدي إذ ليس لي منك مجلس	فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رايتك تزدادين للصب غلظة	يزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

/ قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأناه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمر الذي شجأك؟ قال: أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهب كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكية منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: الله إن الرأي لهين. قال: وما هو؟ قال: عبد من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أفّ لك! والله إن امرأ يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصّر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أهدوءاً أبداً؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدنا أهل مكة وسارت حتى بلغثني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه. قال: وما هي؟ قال قال^(٤):

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل — وما كل من يلحى محباً له عقل

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «ولا رقاً».

(٢) لا ترقا: لا يجف دمعها.

(٣) في أ، م: «مريضاً».

(٤) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

لقد كان في حولين حالاً ولم أُرز
حمى الملك الجبار عني لقاءها
فلا خير في حب يُخاف وبأله
فواكبدي إني شهرت بحبها
ويا عجباً إني أكاتم حبها
وقد شاع حتى قطعت دونها الشبل

قال: فقال معاوية: قد والله رفعت عني، فما كنت آمن أنه قد وصل إليها؛ فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلك فالخطب فيه يسير، فم عني؛ / فقام يزيد فانصرف. وحج معاوية في تلك السنة؛ فلما انقضت [١٢٦/٧] أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهل، ثم دعا بهم ففرق في جميعهم صلات سنية وأجازهم جوائز كثيرة. فلما قبض أبو دهل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه؛ فقال له: / يا أبا دهل، مالي رأيث أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص^(١) تأتيه عنك وشعر لا تزال قد ١١١ نطقته به وأنفذته إلى خصمائنا ومواليها، لا تعرض لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنه مكذوب عليه. فقال له معاوية: لا بأس عليك، وما يضرك ذلك عندنا؛ هل تأملت؟ قال: لا. قال: فأني بنات عمك أحب إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوجتكها وأصدقته ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأي أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالق البتة. فسّر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعدته بإذرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق. ولم يخجج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهل.

قصته مع شامية تزوجها وشعره فيها:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال:

خرج أبو دهل يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجيرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبت فدخلت قصرأ ثم خرجت إليه فقالت: لو بلغت^(٢) القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك / فيه أجر إن شاء الله، فإنه من غائب لها يعنيها أمره؛ فبلغ معها القصر؛ فلما دخل إذا [١٢٧/٧] فيه جوار كثيرة، فأغلقت القصر عليه، وإذا فيه امرأة وضيئة، فدعته إلى نفسها فأبى، فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلاً قليلاً حتى ضعف وكاد يموت، ثم دعته إلى نفسها فقال: لا يكون ذلك أبداً، ولكنني أنزّجك؛ قالت: نعم، فتزوجها؛ فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج، حتى يكس منه أهله وولده، وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عيمشت ولم تقاسمهم ماله. ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثمت في وفي ولدي وأهلي؛ فأذني لي أطلعهم وأعود إليك؛ فأخذت

(١) كذا في س و «تجريد الأغاني». والقوارص: الكلم التي تؤلم وتنقص. وفي سائر الأصول «قواريص» بالضاد المعجمة.

(٢) في الأصول: «تبلغت».

عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها. فخرج من عندها بجرّ الدنيا^(١) حتى قدم على أهله، فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده. وجاء إليه ولده؛ فقال لهم: لا والله ما بيني وبينكم عمل، أنتم قد ورثتموني وأنا حيّ فهو حظكم؛ والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد؛ ثم قال لها: شأنك به فهو لك كله. وقال في الشامية:

صاح حيّاً إلّاهُ حيّاً ودوراً عند أصل القناة من جيّرون

عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجاً عن يميني

فبذاك اغتربت في الشام حتى ظن أهلي مُرجّعات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وإذا ما نسبته لم تجدها فسي سناء من المكارم دون

تجعل المسك واليلنجوج^(٢) والند صلاء لها على الكانون

/ ثم ماشيتها إلى القبة الخضر راء تمشي في مرقر مشنون

وقباب قد أشرجت وبيوت نظمت بالرنحان والزرجون^(٣)

/ قبة من مراجل ضربوها عند حد الشتاء في قيطون

ثم فارقتها على خير ما كان ن قريبن مفارق لقريبن

فبكت خشية التفريق للبي من بكاء الحزين إثر الحزين

واسألني عن تذكري وأطمئني لأناسي إذا هم عدلوني

فلما حلّ الأجل أراد الخروج إليها، فجاءه موتها فأقام.

وفد على ابن الأزرق فجفاه فذمه ثم مدحه لما أكرمه:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب قال:

وفد أبو دهب الجُمحيّ على ابن الأزرق عبدالله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان يقال له ابن الأزرق والهبرزي^(٤)، وكان عاملاً لعبدالله بن الزبير على اليمن؛ فأنكره ورأى منه جفوة، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبدالله بن الزبير على حضرموت، فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق:

يا ربّ حيّ بخير ما حيّيت إنساناً عمارة

أعطي فأسناناً ولم يك من عطيته الصغار^(٥)

(١) يريد: خرج بخير كثير.

(٢) اليلنجوج: عود البخور. والند كذلك: عود يتبخر به، وقيل: هو العنبر.

(٣) الزرجون: قضبان الكرم.

(٤) الهبرزي: الأسوار من أساور الفرس. وهو أيضاً الدينار الجديد، والأسد، والجميل الوسيم من كل شيء.

(٥) الصغارة والصغر: خلاف العظم.

ومن العطية ما تُرى / حجراً تقلُّبه وهل
جذماء ليس لها نزاره^(١) / كالبغل يُحمد قائماً
تُعطي علي المدح الحجاره / وتذم مشيته المصاره^(٢)

[١٢٩/٧]

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم؛ فقال له حنين مولى ابن الأزرق في السر: أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم، فعُدَّ إليه فإنه غير تاركك، واعلم أننا نخاف أن يكون قد عَزَلَ فلازمه ولا يفقدك؛ فإني أخاف أن ينسأك؛ ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

يا حنَّ إنِّي لِمَا حَدَّثَنِي أَصْلاً / مُرَّحٍ مِنْ صَمِيمِ الْوَجْدِ مَعْمُودُ
نخاف عزَلَ امرئ كنا نعيش به / معروفه إن طلبنا الجودَ مَوجُودُ
اعلم بأنِّي لِمَنْ عَادَيْتَ مُضْطَفِنُ / ضَبًّا^(٣) وَأَنْتَ عَلِيكَ الْيَوْمَ مَحْسُودُ
وَأَنْ شَكَرَكَ عِنْدِي لَا انْقِضَاءَ لَهُ / مَا دَامَ بِالْهَضْبِ مِنْ لُبْنَانٍ جُلْمُودُ
أَنْتَ الْمَمْدُوحُ وَالْمُغْلِي بِهِ ثَمْنًا / إِذْ لَا تَمْدَحُ صُمُّ الْجَنْدَلِ الشُّودُ
إِنْ تَعُدُّ مِنْ مَنَقَلِي^(٤) نَجْرَانُ مُرْتَحِلًا / يَرْحَلُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ
مَا زِلْتَ فِي دَفْعَاتِ الْخَيْرِ تَفْعَلُهَا / لَمَّا اعْتَرَى النَّاسَ الْأَوَاءُ^(٥) وَمَجْهُودُ
حَتَّى الَّذِي بَيْنَ عُسْفَانٍ إِلَى عَدَنٍ / لَحَبَّ لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعْرُوفَ الْأَخْدُودُ^(٦)

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحَّاك بن عثمان قال سمعتها من أبي

/ حديثه عن نظم بيت من شعره:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكار، وحدثني حمزة بن عتبة قال:
قال أبو دهل الجُمَحِي: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعلم بأنِّي لِمَنْ عَادَيْتَ مُضْطَفِنُ / ضَبًّا وَأَنْتَ عَلِيكَ الْيَوْمَ مَحْسُودُ

/ قلتُ فيها نصف بيت * وأنَّ شُكْرَكَ عِنْدِي لَا انْقِضَاءَ لَهُ * ثم أرتج علي، فأقمتُ حولين لا أقعُ على تمامه، ١١٣
حتى سمعتُ رجلاً من الحاجِّ في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لبَّنان؟ فقال: جبل بالشَّام؛ فأتممتُ نصف البيت:
* مَا دَامَ بِالْهَضْبِ مِنْ لُبْنَانٍ جُلْمُودُ *

(١) الجذماء: المقطوعة. والنزارة: القلة أي ليس فيها قليل ولا كثير.

(٢) مصر الفرس كمنى: استخرج جريه. والمصاراة (بالضم): الموضع تمصر فيه الخيل. يريد أن ابن الأزرق يحسن في العين ويذم إذا جرب في الكرم، كالبغل يروق شكله وتكره حليات الخيل.

(٣) الضب: الحقد والغبط.

(٤) المنقل: الطريق في الجبل.

(٥) اللأواء: الشدة والضيق.

(٦) اللحب: الواضح. والأخدود: الشق في الأرض.

فضل إبراهيم بن هشام شعره على شعر نصيب:

قال الزبير وحدثني محمد بن حَبَشَ المخزومي قال:

دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدة مدحه فيها؛ فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

إِنْ تَغْدُ مِنْ مَنَقَلِي نَجْرَانٌ مَرْتَحِلًا يَبْنَ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ

فغضب نُصَيْبٌ فَحَمِي فَنَزَعَ عِمَامَتَهُ وَطَرَحَهَا وَبَرَكَ عَلَيْهَا؛ ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبي دهل.

قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرري قال حدثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْمِي قال:

كان إبراهيم بن هشام جبَّاراً وكان يُعَيِّمُ بِلَا إِذْنٍ إِذْ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْأَشْهَرِ. فإِذَا أُذِنَ لِلنَّاسِ أُذِنَ مَعَهُمْ لَشَاعِرٍ، فَيُنْشَدُ قَصِيدَةً مَدِيحَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَصِيدَةً مَدِيحَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَشَامٍ. فَأُذِنَ لَهُمْ يَوْمًا، وَكَانَ الشَّاعِرُ الَّذِي أُذِنَ لَهُ مَعَهُمْ [١٣١/٧] نُصَيْبًا وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَشَيْءٌ؛ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ لَهُ؛ فأنشده قصيدة لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدة هشام أشعر، فأراد الناسُ مُمَالَحَةَ نُصَيْبٍ فَقَالُوا: مَا أَحْسَنَ هَذَا يَا أَبَا مِخْجَنٍ! أَعِذْ هَذَا الْبَيْتَ. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إِنْ تُمَسَّ مِنْ مَنَقَلِي نَجْرَانٌ مَرْتَحِلًا يَبْنَ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ
مَا زِلْتُ فِي دَفْعَاتِ الْخَيْرِ تَفْعَلُهَا لَمَّا اعْتَرَى النَّاسَ لَأَوَاءٌ وَمَجْهُودُ

وَحَمِي نَصَيْبٌ فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَصْنَعُ الْمَدِيحَ إِلَّا عَلَى قَدْرِ الرِّجَالِ، كَمَا يَكُونُ الرَّجُلُ يُمدَحُ. فَعَمَّ النَّاسُ الضَّحْكَ وَحَلَّمَ عَنْهُ، وَقَالَ الْحَاجِبُ: ارْتَفَعُوا، فَلَمَّا صَارُوا فِي السَّقِيفَةِ ضَحِكُوا وَقَالُوا: أَرَأَيْتُمْ مِثْلَ شَجَاعَةِ هَذَا الْأَسْوَدِ عَلَى هَذَا الْجَبَّارِ! وَحَلَّمَ مِنْ غَيْرِ حِلْمٍ.

مدح ابن الأزرق بعد عزله وذم إبراهيم بن سعد:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال:

خرج أبو دهل يريد ابن الأزرق فَلَقِيَهُ مَعْزُولًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَزْرَقِ: هَوِّنْ عَلَيْكَ! لَمْ يَقْنُكْ شَيْءٌ، فَأَعْطَاهُ مَائَتِي دِينَارًا^(١). فقال في ذلك أبو دهل:

أَعْطَى أَمِيرًا وَمَنْزُوعًا وَمَا نَزَعَتْ عَنْهُ الْمَكَارِمُ تَغْشَاهُ وَمَا نَزَعَا
وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَنْشَدَنِي الْبَيْتَ.

وأخبرني محمد بن خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دُرَّاجٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ قَالَ:

(١) كذا في أ، ب، وفي باقي الأصول: «مائتي ألف دينار».

/ ولّى عبدالله بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقاص يقال له إبراهيم مكان الثبّت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي [١٣٢/٧] يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزبيد^(١)، فقال لابن الأزرق: هلّم حسابك؛ فقال: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وخرج متوجّهاً / إلى مكة. فاستأذنه أبو دهل في صحبة الوقاصيّ فأذن له فرجع معه، حتى إذا ^{١٦٤}/_٦ دخلوا صنعاء لقيهم بحير^(٢) بن ريسان في نفر كثير من الفرس وغيرهم، ومضى ابن الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رواقه ودعا الناس فأعطاهم ذلك المال حتى لم يبق منه درهم. فقال أبو دهل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزعَتْ عنه المكارم تغشاه وما نزعاً
وأقام أبو دهل مع الوقاصيّ، فلم يصنع به خيراً. فقال أبو دهل:

ماذا رزقنا غداة الخل^(٣) من رمع^(٤) عند التفرّق من خيم ومن كرم
ظلّ لنا واقفاً يعطي فأكثر ما سمى وقال لنا في قوله نعم
- نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركته إلى الخفض لأنه أولى بالساكن -:

ثم انتحى غير مذموم وأعيّنا لما تولّى بدمع واكف سجم^(٥)
تخملّ له الناقة الأدماء مُعْتَجِراً بالبُرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم
/ حتى لقينا بحيراً عند مقدّمنا في موكب كضباع الجزع^(٦) مُرْتَكِم
لما رأيتُ مُقامي عند بابهم وددتُ أتّي بذاك الباب لم أقم

بحير بن ريسان وشعره فيه:

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهل:

(١) زيد (بفتح أوله وكسر ثانيه): اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به. وهي مدينة مشهورة باليمن. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) كذا في «شرح القاموس» (مادة بحر) وهو بحير بن ريسان الحميري كان عاملاً ليزيد بن معاوية على اليمن (انظر «الطبري» ق ٢ ص ٢٧٧، ٦٠١، ٢١٤٧). وياقوت في الكلام على الجند، وفي ب، س، ح: «بحير بن ريسان» بالجيم. وفي أ و و م: «بحير بن يسار» بالحاء. وكلاهما تحريف.

(٣) الخل: موضع باليمن في وادي رمع.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بخطه و«اللسان» (مادة رمع) و«معجم البلدان»، وقد ذكر البيت في كليهما. ورمع: موضع باليمن، وقيل: هو جبل باليمن. وفي الأصول: «رمع» بالزاي، وهو تصحيف. والخيم: الأصل.

(٥) السجم: السائل.

(٦) الجزع: منعطف الوادي، وقيل: هو رمل لا نبات فيه. وارثكم الشيء: اجتمع.

صوت

بحير بن ريسان الذي سكن الجَنْدُ^(١) يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدَ
 له نفحاتٍ حين يُذكر فضله كسيل ربيع في ضحاضحة السَّنَدِ^(٢)
 في هذين البيتين هزج بالنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان، وذكر الهشامي أنه لابن جامع.

مدائحه في ابن الأزرق:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حَدَّثَنَا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبَانِي قال:

كان ابن الزبير بعث عبدالله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمَدَّ يَدَهُ إلى أموالها وأعطى أعطية سنية
 وبث في قريش منها أشياء جزيلة فَأُنْتُث عليه قريش ووفدوا إليه فَأَسْنَى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبدالله بن الزبير
 فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص. فلما قَدِم عليه أراد أن يحاسبه، فقال له: مالك عندي حساب ولا
 بيني وبينك عمل، وقَدِم مكة؟ فخافت قريشُ ابنَ الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه
 لتمنعه؛ فلما لَقِيَهُمْ نزلت إليه قريشُ فسلمت عليه وبسطت له أَرْدِيَّتَهَا وتلقته إماءهم وولادهم بمجامر الألوَّة^(٣)
 [١٣٤/٧] والعود المَنْدَلِي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه / وهم
 معه مُطِيفُونَ به. فعلم ابن الزبير أنه لا سبيل له إليه فما عَرَضَ ولا صرَّح له بشيء. ومضى إلى منزله. فقال أبو
 دهل:

فمن يك شان العزل أو هدركته لأعدائه يوماً فما شانك العزل

وما أصبححت من نعمة مُستفادة ولا رَحِمَ إلا عليها لك الفضل

١٦٥ / وقال أبو دهل أيضاً فيه - أخبرني بذلك ابن المَرْزُبَان عن أبي توبة عن أبي عمرو الشَّيْبَانِي؛ وأخبرني به
 الحرمي عن الزبير عن عمه -:

عُقِم النساء فلم يَلِدَنَّ شبيهه إن النساء بمثلته عُقِمُ

متهلِّل بنعم بلا مُتْبَاعٍ سَيَّانٍ منه الوفور والعُذْم

نَزَرُ الكلام من الحياء تخاله ضَمِنَا^(٤) وليس بجسمه سُقْم

وفد على سليمان بن عبد الملك فلم يحسن وفادته ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف قال حَدَّثَنَا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

قال أبو دهل يمدح ابن الأزرق:

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل

(١) الجند: موضع باليمن، وهو أجود كورها.

(٢) الضحضاح: الماء القليل يكون في الغدير وغيره. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح.

(٣) الألوَّة: العود يتبخر به.

(٤) الضمن: المريض.

والحازم الأمر الكريم برأيه والواصل الأرحام وابن الواصل

جمع الرياسة والسماح كليهما جمع الجفير^(١) قداح نبل النابل

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثني أبو جعفر الشؤيعي (رجل من أهل مكة) قال:

قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حر شديد، فكان ينقل سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء. فلما بلغ بني جُمَح نودي بأبي دهل، فقال سليمان: أين / أبو دهل الشاعر؟ علي به؛ فأتني به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهل [١٣٥/٧] الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِتْنَةٌ يُشْعَلُهَا وَرَأْدُهَا حَطَبُ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَعِلُ

فإذا ما كان أمن فأتهم وإذا ما كان خوف فاعتزل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروان كيما يستجيب لهم وعند مروان خار^(٢) القوم أوردوا

عجل إذا خار فيهم خورة سجدوا قد كان في قوم موسى قبلهم جسد^(٣)

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامة! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فتنوا فكافحوكم بأسيا فهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتهم عنهم، وإنما فتننت فقلت بلساني، فلم لا يُعَفَّى عني! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعنا قطعةً بحاذان^(٤) باليمن. فقبل لسليمان: كيف أقطعته هذه القطعة! قال: أردت أن أميته وأميت ذكره بها.

أبو دهل وعمره محبوبته:

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة:

أن أبا دهل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جَزَلَة يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبة له. وكان أبو دهل من أشرف بني جُمَح، / وكان يحمل الحَمَالَة وكان مُسَوِّدًا؛ وزعمت بنو جُمَح أنه تزوجها بعد، وزعم غيرهم من [١٣٦/٧] الرواة أنه لم يصل إليها ولم يخبر بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدم / إلى^(٥) أبي دهل في حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوة كنّ يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهل وقلن: قد علق امرأة؛ قالت: وما ذلك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لك وأنت عاشقة له. فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً

(١) الجفير: جعبة السهام.

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «حار» بالحاء المهملة.

(٣) الجسد: الذي لا يعقل. ولا يميز قال الله تعالى: «فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار».

(٤) كذا في جميع الأصول ولم نثر عليها في «كتب البلدان» فلعلها محرقة عن «جازان» بالميم والزاي وهي موضع في طريق حاج صنعاء.

(٥) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «علي» وهو تحريف.

بينهم وبينها، وكتبته إلى أبي دهل تَعْدِلُهُ وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه. فعند ذلك يقول:

تطاوَل هذا الليل ما يتبَلَج	وأغَيْت غواشي عَبرتي ما تَفَرِّجُ
وبِئْسَ كَنِييَا ما أنسام كأنما	خلالَ ضلوعي جَمرةٌ تَوَهِّجُ
فطورا أَمَنِي النفسَ من عَمرةِ المني	وطورا إذا ما لَجَّ بي الحزن أنْشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا	ونحن إلى أن يُوصل الجبلُ أحوجُ
رأوا غِرَّةً فاستقبلوها بألْهَم	فراحوا على ما لا تُحبِّ وأذلجوا
وكانوا أناساً كُنْتُ آمَنُ غِيهِم	فلسم يَنْهَهم حلم ولم يتحرَّجوا
همُ ممنعونا ما نحبُّ وأوقدوا	علينا وشبُّوا نارَ صُرْمٍ تَأْجِجُ
ولو تركونا لا هَدَى اللُّهُ سَعِيهِم	ولم يُلْجِموا قولا من الشرِّ يُنْجِجُ
لأوشك صرفُ الدهرِ يفرِّقُ بيننا	وهل يَسْتَقِيمُ الدهرُ والدهرُ أعوجُ
عسى كربةٌ أَمْسِيَتْ فيها مقيمةٌ	يكون لنا منها نَجاةٌ ومَخْرَجُ
فَيُكَبِّتُ أَعْداءُ وَيَجْزِلُ أَلْفُ	له كبد من لوعة الحب تَنْضَجُ
وقلْتُ لَعَبَادٍ وجاء كتابُها	لهذا ورَّيتي كانت العين تَخْلُجُ
وخطَّطْتُ في ظهر الحَصِيرِ كأنني	أسيرٌ يَخَافُ القتلَ ولَهانَ مُلْفَجُ
/ فلما التقينا لَجَلَجْتُ في حديثها	ومن آية الصُّرمِ الحديدُ المُلْجَلَجُ
وإنِّي لمحجوبٌ عَشِيَّةَ زَرْثُها	وكنْتُ إذا ما جثُّها لا أَعْرِجُ
وأعيا عليَّ القولُ والقولُ واسمُعُ	وفي القول مُسْتَنٌ ^(١) كثيرٌ ومَخْرَجُ

[١٣٧/٧]

أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي تغنيهما جارية بشعر أبي دهل:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدَّثني الزبير بن بكار قال حدَّثني خالد بن بكر الصواف قال:

أتيت ابن أبي العراب فسألته أن يُدْخِلَنِي على جارية مغنِّية لم يرَ أحدًا مثلها قط؛ فقال لي: إنَّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما، فلو أقمتَ حتى أطلعَ رأيَهما في ذلك، فدخل ثم خرج إليّ فقال: ادخل فدخلتُ، فإذا أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي؛ وخرجتُ علينا الجارية قاطبةً عابسةً؛ فلما وُضِعَ العودُ في حجرها اندفعتُ تغني وتقول:

عسى كربةٌ أَمْسِيَتْ فيها مقيمةٌ	يكون لنا منها نَجاةٌ ومَخْرَجُ
وإنِّي لمحجوبٌ غداة أزورها	وكنْتُ إذا ما زَرْثُها لا أَعْرِجُ

(١) المستن: الطريق المسلك.

قال: ثم بكت؛ فوثباً عليه جميعاً فقالا له: لعلك أرتبها^(١) بشيء، عليك وعلينا إن لم نَقُمْ إليها حتى تقبل رأسها وترضاها، ففعل.

/ نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تطاوّل هذا الليل ما يتبّلع وأغيث غواشي عبّرتي ما تفرّج
أخطط فسي ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل ولهان مُلقح

/ الغناء لمعبد ثقل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم [١٣٨/٧] يُجنّسه. وحكي أن مالكا كان إذا سُئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جرّهد فقوّمه وأصلحه. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقل بالوسطى عن حبش والهشامي.

صوت

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج
فطوراً أمّني النفس من عمرة المنى وطوراً إذا ما لجّ بي الهم أنشج
الغناء لمالك ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقل بالوسطى.

شعره في رثاء الحسين بن علي:

أخبرني الحرّمي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مُضْعَب قال:

قال أبو دهب في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته:

تبيّت سُكاري من أمية نُوماً وبالطّف قتلني ما ينام حميمها
وما أفسد الإسلام إلا عصاة تأمرن زكاهما ودام نعيمها
فصارت قناة الذين في كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

قصيدته الدالية:

قال الزبير وحدّثني يحيى بن مقداد بن عمران بن يعقوب الزمعي قال حدّثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهب قصيدته التي يقول فيها:

سقى الله جازاناً فمن حلّ ولّيه فكلّ فيسيل من سهام وسردد^(٢)

(١) أرتبها: أفلقتها وأزعجتها.

(٢) كذا في «شرح القاموس» مادة سرد. ووازن: موضع في طريق حاج صنعاء. والولي: القرب، يقال: داره ولي داري أي قريبها. وسهام: اسم موضع باليمامة كانت به وقعة أيام أبي بكر بن ثمامة بن أثال ومسيلمة الكذاب. وسردد: واد مشهور متسع بتهامة =

/ ومحصوله الدار التي خيمت بها / فأنت التي كلفتني البرك^(٢) شاتياً
سقاها فأزوى كل ربيع وفذفد^(١) / وأوردتني فأنظري أي^(٣) مَورِد

صوت

فواندَمي أن^(٤) لم أعج إذ تقول لي / فواندَمي أن^(٤) لم أعج إذ تقول لي
تكن سكتاً أو تقدر العين أنها / تكن سكتاً أو تقدر العين أنها
فأصبحت مما كان بيني وبينها / فأصبحت مما كان بيني وبينها

ـ الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لبذل الكبير رمل عن الهشامي:

لعلك أن تلقى محباً فتشتفي / برؤية ريم بضعة المتجرد
بلاد العدا لم تأتها غير أنها / بها هم نفسي من تهام ومنجد^(٦)
وما جعلت ما بين مكة ناقتي / إلى البرك إلا نوممة المتجهد
وكانت قبيل الصبح تئيد رحلها / بدومة^(٧) من لفظ القطا المتبدد

/ قال فقلت: يا عمي^(٨) فما يمنعك أن تكتري دابة بدرهمين فتشيعها وتصبح معك؛ فضحك / وقال: نفع الله بك يابن أخي، أما علمت أن الندم توبة، وعمك كان أشغل مما تحسب. [١٤٠/٧] ١٦٨

أنشد أبو السائب شعراً له فتهكم به:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهل:

سقى الله جازاناً فمن حلّ ولّيه / فكلّ فنييل من سهام وسُرْدُ
فلما بلغ قوله:

= اليمن مشتمل على قرى ومدن وضياح. وقد جاء هذا البيت محرفاً في الأصول هكذا:

سقى الله جازاناً بآنساً حلّ ولّيه / بكل سبيل من سنسام وسررد

(١) الفدغد: القلاة، وقيل: الأرض الغليظة ذات الحصى، أو المكان المرتفع.

(٢) البرك: ناحية باليمن وهو نصف الطريق بين حلي ومكة. وقد أورد صاحب «اللسان» هذا البيت مستشهداً به على البرك الذي هو مستنقع الماء وقد أثّرنا ما فسرناه به لورود اسم هذا الموضع أكثر من مرة فيما سيأتي، وقد ذكر جلياً في قوله:

وما جعلت ما بين مكة ناقتي / إلى البرك إلا نوممة المتجهد

(٣) كذا في «اللسان». وفي الأصول: «أين». (٤) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «إذ».

(٥) كذا في ح. وفي ب، م: «واجهد» وفي سائر النسخ: «واجهد» بالجيم والميم.

(٦) التهام: المنسوب إلى تهامة، قال الجوهري: النسبة إلى تهامة تهامي وتهام، إذا فتحت التاء لم تشدد كما قالوا: يمان وشام إلا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشام عوض عن ياء النسب. والمنجد: المنسوب إلى نجد.

(٧) كذا في «معجم ما استعجم» ودومة (بضم الدال) هي دومة الجندل وهي ما بين برك الغماد ومكة، وقد نسب صاحبه هذين البيتين الأخيرين للأحوص. وقد ورد في الأصول محرفاً.

(٨) في الأصول: «يا عمرو». وهو ينافي سياق الكلام.

فواندمي أن^(١) لم أعج إذ تقول لي تقدّم فشيّعنا إلى ضحوة الغد
قال أبو السائب: ما صنع شيئاً إلا اكتري حماراً بدرهمين فشيّعهم ولم يقل «فواندمي» أو اعتذرا وإني أظن
أنه قد كان له عذر. قال: وما هو؟ قال: أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً.

قصيدته الميمية:

فقال الزبير وحدثني ابنُ مقداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهل قوله:

صوت

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمَتَّيْمُ كُلُّمَّا لَجَاجاً وَلَمْ يَلْزَمَ مِنَ الْحَبِّ مَلْزَمًا
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمَنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا^(٢)
فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزَتْ بَيْيَ يَلْمَلَمًا^(٣)
/ وَمَرَّتْ بِبَطْنِ اللَّيْثِ^(٤) تَهْوِي كَأَنَّمَا تُبَادِرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مَقْسَمًا

[١٤١/٧]

- غنى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيف رمل بالنصر عن الهشامي. قال: وفيه هزج يمانٍ بالوسطى، وذكر
عمرو بن بانه أن خفيف الثقيل هو اليماني. وفيه لفيل مولى العبلات. رمل صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي.
وقال الهشامي: فيه لحكم ثقیل أول. وذكر أبو أيوب القديني في أغاني ابن جامع أن فيه لحناً ولم يجتسه :-

وَجَاوَزَتْ^(٥) عَلَى الْبَزْوَاءِ وَاللَّيْلُ كَأَسْرَ جَنَاحَيْنِ بِالْبَزْوَاءِ وَزْدَا وَأَذْهَمَا
فَمَا دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ بَعْلَيْبُ^(٦) نَخْلًا مُشْرِفًا أَوْ مَخِيْمَا
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ^(٧) بِالضُّحَى فَمَا خَزُرَتْ^(٨) لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
وَمَا شَرِبَتْ حَتَّى ثَبِتَتْ زَمَامَهَا وَخِفَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَخْسَرَ وَتُكَلِّمَهَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَيْتِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرْكِ غَيْشًا مُدِيمًا^(٩)

(١) انظر الحاشية الرابعة ص ١٣٩ من هذا الجزء.

(٢) أعتم: دخل في العتمة.

(٣) يللم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه وياقوت في الكلام على «برك والليث». والليث (بالكسر): موضع بالحجاز بين
السرين (بكسر السين والراء المشددة مكسورة) ومكة. وفي الأصول: «بطن البيت» وهو تحريف.

(٥) كذا في ياقوت وهو معطوف على ما قبله. وفي الأصول: «أجازت» والبزواء: موضع في طريق مكة قرب الجحفة.

(٦) عليب: وادٍ بتهامة كذا ذكره ياقوت، وقال: قول أبي دهل يدل على أنه وادٍ فيه نخل والنخل لا ينبت في رؤوس الجبال ثم ساق
الأبيات.

(٧) في حد: «أشطان زرق» وفي ياقوت: «أشطان روق». ولم نقف عليها.

(٨) الخزر بالتحريك: ضيق العين وصغرها أو هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين. يقال: خزرت عينه (من باب فرح) وخزرها هو. وفي
حد: «جززت» وفي باقي الأصول: «جزرت». وظاهر أن كليهما تصحيف.

(٩) كذا في ياقوت. وفي الأصول: «عينا مرنما».

قال: فقلتُ له: ما كنتُ إلا على الريح؛ فقال: يابن أخي، إن عمَّك كان إذا همَّ فعل، وهي الحاجة^(١). أما سمعتَ قولَ أخي^(٢) بني مرة:

إذا أقبلتُ قلتُ مشحونةً / وإن أدبرتُ قلتُ مدعورةً
وإن أعرضتُ خال فيها البصير / يدا سُرحٍ مائلٍ ضَبُّها
من الرُّند^(٤) تتبع هَيْقاً ذُمُولاً^(٥) / تسوم وتُقدِّم رجلاً زَحُولاً^(٦)
أطاعت^(٣) لها الرِّيحُ قلعاً جَفُولاً / ومَرَّتْ فُويقُ أرْنِك^(٧) أصيلاً
كخَبِطِ بالقويِّ العزيزِ السَّذِيلِ / تخَبِطُ بالليلِ حَزَانَهُ^(٨)

استحسن ريان السَّوَّاق شعره وقال ليس بعده شيء:

وأخبرني الحرميَّ قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني جعفر بن الحسن اللَّهْيَ قال: أنشدتُ / رِيَّان^(٩) السَّوَّاق قولَ أبي دهل:

ليس عجيباً أن نكون بيلسدة / ولا تضرِّميني أن تَرينِّي أحبَّكم
كلانا بهائنا ولا نتكلَّم / أبوء بذنبي إنني أنا أظلم
فقال: أحسن، أحسن الله إليه؛ ما بعد هذا شيء.
وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أمنّا أناساً كنتِ قد تَأْمَنِينَهم / وقالوا لنا ما لم يُقل ثم كفروا
فزادوا علينا في الحديث وأَوْهَمُوا^(١٠) / علينا وبأحوا بالذي كنتُ أكتُمُ

(١) في الأصول: «الحجاجة»، وقد صحح الأستاذ الشنقيطي هذه الكلمة هكذا: «العجاجة» ولم نبيِّن المقصود منها فأثرنا ما وضعناه لتلاؤمه والسياق.

(٢) هو بشامة بن الغدير وقد عدّه ابن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» في الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين وذكر له شعراً (انظر «نهاية الأرب» ص ١١٥ «السفر العاشر» طبع دار الكتب المصرية).

(٣) كذا في ياقوت في الكلام على أريك و «نهاية الأرب». وفي الأصول: «أقلت».

(٤) كذا في «نهاية الأرب». والريد: النعام، من الربدة وهي لون بين السواد والغبرة. وفي حد: «الريح». وفي سائر الأصول: «الريح»، وهو خطأ.

(٥) الهيق: الظليم. والذمول: السريع.

(٦) السرح من الإبل: السريعة المشي. والضبيع: وسط العضد بلحمه وقيل: العضد كلها وقيل: الإبط. وتسوم: تمرّ مسرعة.

(٧) أريك: واد في بلاد بني مرة.

(٨) حزان (بضم الحاء وكسرها): جمع خريز، وهو ما غلظ وصلب من الأرض مع إشراف قليل.

(٩) كذا في جميع الأصول وقد ورد في «ج ٤ ص ٤١٥» من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية اختلاف فيه فانظره.

(١٠) أوهموا: أسقطوا وحذفوا.

لقد كُحِلْتُ عيني القَذَى لفراقكم وعادوها تَهْتَانُهَا فهي تَسْجُم
وأنكرت طيبَ العيش مني وكُذِّرت عليّ حياتي والهوى متَقَسِّم
الغناء لابن سريج رملٌ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زُرُور الطائفي خفيفٌ ثقيلٌ
بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفاً رملٌ أحدهما بالوسطى لمتيمٍّ والآخر بالبصرة لعريب.

حديث القاسم ابن المعتمر مع أبي السائب عن شعره:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي قال حدّثني القاسم بن المعتمر الزُّهريّ قال:
قلت لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أما أحسن أبو دَهبل حيث يقول:

صوت

أأتُرك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنّي إذا لصبورُ
هَبُونِي امرأً منكم أضلّ بغيره له ذمّة إن الذمّام كيـرُ
وللصاحب المتروك أفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أن يضلّ بغيرُ

قال: فقال لي: وبأبي أنت ا كنت والله لا أحبك وتثقل عليّ، فانا الآن أحبك وتخفّ عليّ.

وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيفٌ رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعلويه رملٌ بالوسطى من جامع
أغانيه. وفيه للمازنيّ خفيفٌ ثقيلٌ آخر من رواية الهشاميّ وذُكَّاء وغيرهما. وأوّل هذا الصوت بيت لم يُذكر في
الخبر، وهو:

عفا اللّهُ عن ليلى الغدّة فإنها إذا ولّيت حُكماً عليّ تجور

[١٤٤/٧]

/ توعّد عبدالله بن صفوان عمه أبا ريحانة فقال هو شعراً:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي مصعب ومحمد بن الضحّاك عن أبيه:

أن أبا ريحانة عمّ أبي دَهبل كان شديدَ الخلاف على عبدالله بن الزبير، فتوعّده عبدالله^(١) بن صفوان، فليحق
بعبد الملك بن مروان، فاستمده الحجاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف؛ فأشرف أبو ريحانة
على أبي قُبَيْس فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله.
فقال له ابن الزبير: مهلاً يا بن أخي! فقال: قلنا لك اتدّن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من
الكثرة. قال: وقال أبو دَهبل في وعيد عبدالله بن صفوان عمّه أبا ريحانة - واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة -:

ولا تُوعِد لتقتله عليّاً فإن وعيده كالأُويلُ
ونحن ببطن مكة إذ تداعى لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ^(٢)

(١) كان من رجالات عبدالله بن الزبير وحضر معه مشاهدته. قتله الحجاج وأرسل برأسه مع رأس ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان.
(انظر الطبري ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٥٣٠، ٨٤٩، ٨٥٢).

(٢) الرعيل: كل قطعة متقدّمة من خيل ورجال.

/ أولو الجمع المقدم حين نابوا / إليك ومن يسودهم قليل
فلما أن تفانينا وأودى^(١) / بشروتنا الترخل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأننا / لتهلكنا عروبة أو سلول

رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه :

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال :

مات ابن الأزرق وأبو دهبل حي فدفن بعليّ، فلما احتضر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يرثيه - عن أبي عمرو الشيباني - :

[١٤٥/٧] / لقد غال هذا اللحد من بطن عليّ / فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى / ونعم الفتى للطارق المتيّم
ألحق أني لا أزال على منى / إذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها / سجال الغواصي من سجيل^(٢) ومبرم

خرج إلى مصر لطلب ميراث ثم عاد وقال شعراً :

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عتي قال حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال :
وقع لأبي دهبل ميراث بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من الطريق فقال :

اسلمني أمّ دهبل بعد هجر / وتفض من الزمان وعُمر
واذكري كرى المطي إليكم / بعد ما قد توجهت نحو مصر
لا تخالي أني نسيك لقاً / حال بيث^(٣) ومن به خلف ظهري
إن تكسوني أنت المقدم قبلي / وأطع ينو عند قبرك قبري

قال إبراهيم : فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعليّ.

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أأيها الشادن الأكل / إلى كم تقول ولا تفعل
إلى كم تجود بما لا نريد / سد منك وتمنع ما نسأل

الشعر للحسين بن الضحّاك. والغناء لأبي زكّار الأعمى ، ولحنه المختار هزج بالنصر.

(١) في ب، س : «أوردوا بنزوتنا» وفي و، م : «أودوا بنزوتنا» وفي سائر الأصول : «وأوردوا بنزوتنا» وهو تحريف.

(٢) السجيل : الخيط غير المقتول. والمبرم : المقتول. وهذا كناية عن التعميم، أي سقاها الله سجال الغواصي قليلها وكثيرها.

(٣) بيث (بكسر أوله) : من بلاد اليمن قرب دهلك. قال ياقوت في «معجم البلدان» بعد أن ذكر شعر أبي دهبل هذا : «وهذا الشعر يدل

على أن ييشا موضع بين مكة ومصر، أو تكون صاحبه المذكورة كانت باليمن...».

/ أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه

منشؤه وشعره:

الحسين بن الضحّاك باهليّ صليبي^(١)، فيما ذكر محمد بن داود بن الجراح؛ والصحيح أنه مولى لباهلة. وهو بصريّ المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسيّة، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه أوّل من جالس منهم محمّد الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرف في الشعر حلو المذهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغيّر عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبّه الناس إلى أبي نواس. وله معاني في صفتها أبدع فيها وسبق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تُذكر في أماكنها. وكان يلقب الخليج والأشقر، وهاجى مُسلم بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيّد. وهو^(٢) من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملةً من / التكلف. وعُمّر عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة^(٣) ١٧١

وحدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عليّ بن يحيى المنجم قال:

كان حسين بن الضحّاك بن ياسر مولى لباهلة، وأصله من خراسان؛ فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جحدّه، وكان يلقب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهليّ ابنا خالة.

وحدثني الصّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال: هو حسين بن الضحّاك بن ياسر، من موالى سليمان بن ربيعة الباهليّ. قال الصّوليّ: وسألت الطيّب بن محمد الباهليّ عنه فقال لي: هو الحسين / بن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، وداره في بني مُجاشع وفيها وُلد الحسين، [١٤٧/٧] أرائها صاحبنا سعيد بن مسلم.

قال قصيدته الخمرية فاستحسنها أبو نواس ونسبت إليه:

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصّوليّ قالا: حدثنا المُغيرة بن محمد المهلبيّ قال حدثنا حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبا نواس لما حَجَجْتُ قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي:

بُذِلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ^(٣) وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ

فلما انتهيتُ منها إلى قولِي:

(١) صليبي: خالص النسب.

(٢) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «وهذا...».

(٣) في الأصول: «بالآء». والتصويب عن المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته. والآء: شجر الدفلى (نبت مرزهره كالورد الأحمر).

حتى إذا أُسْنِدَتْ في البيت واختُصِرَتْ عند الصُّبُوح بِسَّامِينِ أَكْفَاءِ
فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا عن مثل رَقْرَاقَةٍ^(١) فِي جَفَنِ مَرْهَاءٍ^(٢)

قال: فَصِرَقَ صَعِقَةً أَفْزَعَنِي، وقال: أَحْسَنْتَ وَاللهَ يَا أَشْقَرَا فَقُلْتُ: وَيْلَكَ يَا حَسَنًا إِنَّكَ أَفْزَعْتَنِي وَاللهُ! فقال: بلى وَاللهُ أَفْزَعْتَنِي وَرُغِّتَنِي، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلسته مني، وستعلم لمن يُرَوِّى أَلِيَّ أَمْ لَكَ؟ فكان وَاللهُ كما قال، سمعتُ من لا يعلم يَروِيها له. أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخُفَّاف قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ:

سمعت الحسين بن الضحَّاك يقول: لما قلت قصيدتي:

* بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ *

/ أنشدتها أبا نواس؛ فقال: ستعلم لمن يَروِيها النَّاسُ أَلِيَّ أَمْ لَكَ؟ فكان الأمرُ كما قال، رأيتها في دفاتر الناس في أوَّلِ أشعاره. E148/V.

أخبرني جعفر بن قدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحَّاك، فذكر نحوه منه. ذكر للمأمون فحجبه لشعره في الأمين وذهب للبصرة: أخبرني الصُّولِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ، قَالَ الصُّولِيُّ وَحَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَّاسَانَ وَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ، أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ، فَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ مُحَمَّدِ الْمَخْلُوعِ؛ فَقَرَأَ أَسْمَاءَهُمْ حَتَّى بَلَغَ إِلَى اسْمِ حُسَيْنٍ، فَقَالَ: أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ:

هَلَّا بَقِيتَ لَسَدًا فَاقْتِنَا أَبَدًا وَكَانَ لَغِيرِكَ التَّلَفُ
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَاتِفًا سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُغَوِّزُ بِعَدِكَ الْخَلَفُ

لا حاجة لي فيه، وَاللهُ لَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ. ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه / له وتعرِيضُهُ به. قال: وانحدر حسين إلى البصرة فأقام بها طولَ أيامِ المأمون. 172/6

أخبرني عَمِّي وَالْكُوكَبِيُّ بِهَذَا قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُاللهُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُاللهُ بْنُ الْحَارِثِ الْمَرْوَزِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِاللهِ ابْنِ أَخِي السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاهُ.

أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه:

قال ابن أبي طاهر فحدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ صَاحِبُ الْمَرَكَبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ قَالَ:

(١) الرقراقة: الدمعة التي تترقق (تتحرك) في العين ولا تسيل.

(٢) المرهاء: المرأة التي لم تكنحل.

/ دخلت يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أحب أن تسمع مني [١٤٩/٧] بيتين؛ فقال: أنشدّهما فأنشدته:

حَمَدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا بنصرك يا أمير المؤمنين
فَأَنْتَ خَلِيفَةُ السَّرْحَمَنِ حَقًّا جمعت سماعة وجمعت ديننا

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلت: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك؛ قال: قد أحسن. فقلت: وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا؛ فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

بِسْمِ اللَّهِ

أَيْتَخَلَّ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ عليّ وقد أفردته بهوى فرد
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فملكه واللّه أعلم بالعبد

قال: فأطرق ساعة ثم قال: ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال:

قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب، وسُتذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيّناً، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحّاك. وقد روي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعلّ الغلط وقع من هذه الجهة.

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّالّة لإبراهيم بن المهديّ خفيف ثقل بالبنصر. وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفي رمل بالبنصر.

أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبّي عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند

صالح بن الرشيد، فقال: لست تطرح على جوارّي وغلمانّي / ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعت إلى [١٥٠/٧] منزلي فجيءُ بالدفاتر واختَر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم؛ فبعث إلى منزلي فجيءُ إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترًا ليتخيّر ممّا فيه، فمرّ به شعر الحسين بن الضحّاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو:

أَطْلُ حَزَنًا وَإِنَّكَ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا بحزن وإن خفت الحسام المهتدا
فَلَا تَمَتِ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ولا زال شمل الملك منها مبددا
وَلَا فَرِحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ ولا زال فسي السديسا طريدا مشردا

فقال لي صالح: أنت تعلم أن المأمون يجيء إليّ في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسكّين فجعل يحكّه؛ وصعد المأمون من الدّرجة ورمى صالح الدفتر. فقال المأمون: يا غلام الدفتر، فأني به، فنظر فيه ووقف على الحكّ فقال: إن قلت لكم: ما كنتم^(١) فيه تصدّقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال ١٧٣ لك: ابعت فجيءُ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكّه؛ قلنا: كذا كان. فقال:

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «ما كان فيه».

غَنَّهُ يا عمرو؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين بن الضحَّاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غَنَّهُ فغَنِّيْتُهُ؛ فقال: ارْدُدْهُ فرددته ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يَضْرُكْ عندي.
قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحَّاك، وكان نديمه وصديقه:
* يا سَعِيدَ وأَيْنَ مَنِّي سَعِيدَ *

مراثيه في الأمين:

ولحسين بن الضحَّاك في محمد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جَيِّدَة، وكان كثيرَ التحقق^(١) به والمُؤالاة له لكثرة أفضاله [١٥١/٧] عليه وميلَه إليه وتقديمه إِيَّاه. وبلغ من جَزَعه عليه أنه / خُوِلَطَ؛ فكان يُنكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مُسْتَرَرٌّ وإنه قد وقف على تفرُّق دُعائه في الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعته ضَمًّا به وشفقةً عليه. ومن جَيِّد مراثيه إِيَّاه قوله:

صوت

سألونا أن كيف نحن فقلنا مَنْ هَوَى نَجْمُـهُ فكيف يكونُ
نحن قوم أصابنا حَدَثُ الدهر رَفْظَلْنَا لِرَيْبِهِ نَسْتَكِينُ
نَمْنَمْنَى مِنَ الْأَمِينِ إِيَّابِئَا لَهْفَ نَفْسِي وَأَيْنَ مَنِّي الْأَمِينِ
في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى. وفيها لَعَرِيبٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.
ومن جَيِّد قوله في مراثيه إِيَّاه:

أَعَزَى يا محمد عنك نفسي مَعَاذَ اللَّهِ وَالْأَيْدِي الْجِسَامِ
فَهَلَّا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِعَ عَنْكَ لِي يَوْمَ الْحِمَامِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ صَادَفَ مِنْكَ غُثْمًا أَوْ اسْتَشْفَى بِقُرْبِكَ مِنْ سَقَامِ

أعجب المأمون ببيت من شعره وأجازه عليه بثلاثين ألف درهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حَدَّثَنَا عليّ بن محمد التَّوْفَلِيّ قال قال لي محمد بن عباد: قال لي المأمون وقد قَدِمْتُ مِنَ البصرة: كيف ظريف شعرائكم وواحد مَضْرُكٌ؟ قلتُ: ما أعرفه؛ قال: ذاك الحسين بن الضحَّاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم. أليس هو الذي يقول:
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَكُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال في أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغ من بيته هذا؛ فاكتب إليه فاستَقْدِمته؛ وكان حسين عليلاً وكان يخاف بوادِرَ المأمون لما / قَرَطَ منه؛ فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علته تمنعه من الحركة والسفر. قال: فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعْطِيَهُ ثلاثين ألف درهم؛ فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال.

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها «التعلق».

قال محمد بن يزيد الأزدي هو أشعر المحدثين:

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيد الأزدي يقول: حسين بن الضحّاك أشعر المحدثين حيث يقول:

هتَجَثْ لسوعة حزني	أيّ ديباجة حُسن
هرعن فترة جفن	/ إذ رماني القمر الزا
برزّت في يوم دجن	بأبي شمس نهار
تلى إذا ما أخلفني	قرّبتني بالمني حـ
دوخلُف وتَجَنّني	تركنتني بين ميعا
سوة إلا حسن ظنّي	ما أراني ^(١) لي من الصبـ
رلما تعرف منّي	إنما دامت على الغد
سراض من أغرض عني	استعيد اللّـة من إـ

استقدمه المعتصم من البصرة ومدحه فأجازه:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادَةُ بن الفَيْض المَخْزُومِي قال حدّثني أبو الفَيْض بن سَوَادَةَ عن جدي قال:

لَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَصِمُ الْخِلَافَةَ سَأَلَنِي عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِإِقَامَتِهِ بِالْبَصْرَةِ لَانْحِرَافِ الْمَأْمُونِ عَنْهُ؛ فَأَمَرَ بِمَكَاتِبِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ فَقَدِمَ. فَلَمَّا دَخَلَ وَسَلَّمَ اسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

وَمَنْشَتِ قَبْلَ فِرَاقِهِ بَتْلَاقِ	هَلَا سَأَلْتَ تَلَدُّ ^(٢) الْمُشْتِاقِ
صُعْدَا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِقْلَاقِ	/ إِنَّ الرَّقِيبَ لَيَسْتُرِيبُ تَنْقُصَا
عَنْبَرِي عَلَيْكَ سَخِينَةُ الْأَمَاقِ	وَلَكِنْ أَرَبْتُ ^(٣) لَقَدْ نَظَرْتُ بِمَقْلَةٍ
جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بَعْنَاقِ	نَفْسِي الْفِدَاءَ لَخَائِفٍ مَتَرُقُبِ
إِلَّا الدَّمْعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ	إِذَا لَا جَوَابَ لِمُقْعَمٍ مَتَحِيرِ

حتى انتهى إلى قوله:

خَصَّصْتُ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ	خَيْرُ الْوُفُودِ مَبْشَرٌ بِخِلَافَةٍ
مَنْ كُلِّ مُشْكَلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ	وَأَفْتَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً
قَبْلَ الْأُكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِثْقَاقِ	أَعْطَتْهُ صَفَقَتُهَا الضَّمَانُ طَاعَةً

(١) في بعض الأصول: «ما أرى لي...»، وهو تحريف.

(٢) كذا في الأصول. ولعله «تلدد» بالبدال المهملة وهو الحيرة والدهش.

(٣) أراب الرجل: كان ذا ريبة.

سكن الأنام إلى إمام سلامة
عفت الضمير مهدب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها
وأجار مملقها من الإملاق

حتى أنمها. فقال له المعتصم: أذن مني فدنا منه؛ فملاً فمه جوهراً من جواهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرج من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنظَّم ويُدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رايه ويعرفوا فعله. فكان أحسن ما مدح به يومئذ.

ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء قول حسين بن الضحّاك حيث قال:

قل للآلى صرّفوا الوجوه عن الهدى
متعفين تعسف المُرّاق
إنني أحذركم بوادٍ ضيّغ
درب بخطم موائيل الأعناق
متأهب لا يستفزّ جنانه
زجل الرُّعود ولا مع الإبراق
/ لم يبق من متعزمين^(١) تروّبا
بالشام غير جماجم أفلاق
من بين مُنجدل تمجّ عروقه
علّق^(٢) الأخادع أو أسير وثاق
/ وثنى الخيول إلى معاقل قبصر
تختال بين أحزّة^(٣) ورقاق
يحملن كلّ مُشتم مُتغشّم
ليث هزّرت الأشداق^(٤)
حتى إذا أمّ الحصون مُنْزلاً
والموت بين ترائب وتراق^(٥)
هزّت بطارقها هريّر قساور
بدهت بأكره منظر ومسّاق^(٦)
ثم استكانت للحصار ملوكها
ذلاً ونشاط حلوقها بخناق^(٧)
هربت وأسلمت الصليب عشية
لم يبق غير حشاشة الأزماق

[١٥٤/٧]

١٧٥
٦

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت ألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا. فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

(١) كذا في «تجريد الأغاني». والمتعزّمون: ذوو العرمة وهي الشراسة والحدة في الخلق. وفي الأصول: «متعزّمين» بالزاي وهو تصحيف.

(٢) العلق: الدم. والأخادع: عروق في العنق.

(٣) كذا في ح. والأحزة: جمع حزيز وهو الغليظ من الأرض. والرقاق: المستوية اللينة منها وفي سائر الأصول: «أجرة ودقاق» بالميم والراء في الأولى والندال المهملة في الثانية.

(٤) المتغشّم: الغضوب. وهزّت الأشداق: سعتها. والأسود توصف بذلك.

(٥) الترائب: عظام الصدور وفوقها التراقي، مفردة ترقوة.

(٦) هزّت: صوّتت. والقساور: الشجعان والأعزة والأشداء من الرجال، واحده قسورة. وبدهت: بغتت.

(٧) الخناق: ما يخنق به من حبل أو وتر ونحوه.

أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر:

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الأجرّي قال: سمعت الرّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما:

إذا ما الماء أمكنتني وصفو مئلافة العناب
صيّت الفضّة البيضاء فوق قراضة الذهب

/ فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرّق الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن [١٥٥/٧] الضحّاك.

أخذ أبو نواس معنى له في الخمر فأجاده:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال: أنشدت أبا نواس قصيدتي:
وشاطري^(١) اللسان مختلق التكـ ريه شاب المّجون بالسّكـ
حتى بلغت إلى قولي^(٢):

كأنما^(٣) نضب كاسه قمر يكرّغ في بعض أنجم الفلك
قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عبّ فيها شارب القوم خلّته يقبل في داج من الليل كوكبا
قال: فقلت له: يا أبا عليّ هذه مصالّته^(٤). فقال لي: أنظن أنه يُروي لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ!.
أخبرني به جعفر بن قدامة عن عليّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال:

أنشدت إبراهيم بن المدبّر قول حسين بن الضحّاك:

كأنما نضب كاسه قمر حاسده^(٥) بعض أنجم الفلك
/ حتى إذا رنّحت سورتهـا وأبدلّته السكون بالحركـ
كشفت عن وزّة مسّمة في لين صينيّة من الفلّك^(٦)

[١٥٦/٧]

فقال لي إبراهيم بن المدبّر: إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرّق منه هذا المعنى حين يقول: * يقبل في

(١) شاطري: نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً. وكان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد.

(٢) كذا في حد وفي سائر الأصول: «إلى قوله» وهو تحريف.

(٣) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «تخالها نصب كاسه قمرأ».

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». والمصالّته عند الشعراء هي أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى، وهي من أقبح السرقات الشعرية، من

الصلت بمعنى اللص (عن أقرب الموارد مادة صلت) وفي الأصول: «مصالبة» بالباء وهو تصحيف.

(٥) كذا في الأصول هنا، وهو غير واضح. وقد تقدم هذا البيت منذ أسطر برواية أخرى واضحة.

(٦) الصينية: الإناء المعروف. والفلك: التل من الرمل. وكثيراً ما تشبه العجيزة في الضخامة واللين بكثير الرمل.

داج من الليل كوكبا * فإن كان سرقة منه فهو أحقُّ به لأنه قد برز عليه ، وإن كان حسين سرقة منه فقد قصر عنه .
مدح الواصل حين ولي الخلافة فأجازه :

أخبرني محمد بن يحيى الخراساني قال حدثني محمد بن مُخَارِق قال :
لَمَّا بُويع الواصل بالخلافة ودخل^(١) عليه الحسين بن الضحَّاك فأنشده / قصيدته التي أولها :

١٧٦

قصيدة

أَلَمْ يَرْعُ الْإِسْلَامَ مَوْتُ نَصِيرِهِ بَلَى حَقَّ أَنْ يَرْتَاعَ مَنْ مَاتَ نَاصِرُهُ
سَيْئَلِيكَ عَمَّافَاتٍ دَوْلَةٌ مُفْضِلِ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهِ عِظْفَيْهِ وَأَلْفَ شَخْصِهِ عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَآزِرُهُ
يَصَبُّ^(٢) يَبْذُلُ الْمَالَ حَتَّى كَانَمَا يَرَى بِذَلِكَ لِلْمَالِ نَهْياً يُيَادِرُهُ
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَماً مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

فقال الواصل : إن كان الحسين لينطق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية . ثم أمر بأن يُعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم . فأعجبه الأبيات ، حتى أمر فُصِّلَتْ فيها عدة ألحان ، منها لعريب في طريقة الثقيل الأول .

[١٥٧/٧] / سرق شعراً له في الواصل من شعر أبي العتاهية في الرشيد :

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَزَّون بن محمد قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال .

لَمَّا وَلِيَ الْوَالِصُ الْخِلَافَةَ أَنْشَدَهُ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

سَيْئَلِيكَ عَمَّافَاتٍ دَوْلَةٌ مُفْضِلِ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَماً مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فَأَنْشَدْتُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ هَذَا الشَّعْرَ ؛ فَقَالَ لِي : نَقَلَ حُسَيْنٌ كَلَامَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الرَّشِيدِ حَتَّى جَاءَ بِالْفَافِ بِعَيْنِهَا حَيْثُ يَقُولُ :

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ إِمَامٌ اعْتَزَّامٌ لَا تُخَافُ بِمَوَارِدِهِ
إِمَامٌ لِسِهِ رَأْيٌ حَمِيدٌ وَرَحْمَةٌ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فَعَجِبْتُ مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ شَعْرَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرَوِي لِلْأَوَائِلِ وَيَتَعَصَّبُ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ وَعَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ خَاصَّةً .

فِي هَذَيْنِ الشَّعْرَيْنِ أَغَانِي نَسَبَتْهَا :

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَهُ «دَخَلَ» مِنْ غَيْرِ الْوَاوِ .

(٢) كَذَا فِي «ح» وَصَبَّ بِالشَّيْءِ : كَلَفَ بِهِ وَلَعِمَ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : «يَصِيبُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صوت

جرى لك من هارون بالسعد طائره
إمام له رأى حميد ورحمة
إمام اعتزام لا تخاف بوادره
موارده محمود ومصادره
هو الملك المجبول نفساً على التقى
مُسَلِّمة من كل سوء عساكره
لَتَغْمِذُ سيوف الحرب فالله وحده
ولِي أمير المؤمنين وناصره

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصولي. وقد وجدت هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلم الخاسر. والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي.

صوت

سَيْسَلِيكَ عَمَّافَات دَوْلَةُ مُفْضِل
ثَنَى اللَّهِ عِظْفَيْهِ وَأَلْفَ شَخْصِهِ
أَوَاتُلُّهُ مَحْمُودَةً وَأَوَاخِرُهُ
عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَآزِرُهُ

الشعر لحسين بن الضحّاك. والغناء لعريب ثقيل أول مطلق. وفيه لقلم^(١) الصالحية خفيف / رمل، وهو ١٧٧
أغرب اللحنين ولحن عريب المشهور.

مدح الواصل وهو في الصيد فأجازه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد^(٢) بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنا مع الواصل بالقاطول^(٣) وهو يتصيد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزوّ^(٤) من الإوز والذّراج وطير الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغذى، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب، وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضحّاك فأنشده:

سقى الله بالقاطول مَسْرَحَ طرفكنا
وخصّ بسقياء مناكب قصركا
حتى انتهى إلى قوله:

تَخَيَّنَ للذّراج في جَنَبَاتِهِ
وللغُرّ آجالاً فُدِرْنَ بكفكنا

(١) هي قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدّمات وترجمتها مذكورة في (ج ١٢ ص ١١٥ من هذا الكتاب طبع بولاق) وورد ذكرها في «تاريخ الطبري» (ص ١٣٦٦ من القسم الثالث طبع أوروبا). وورد هذا الاسم في جميع الأصول هكذا: «العلمز» وظاهر تحريفه.

(٢) كذا في الأصول. ويظهر أن هذا الاسم مكرر من النساخ لأن المؤلف تكررت روايته عن محمد بن يحيى الصولي. والصولي يروي عن علي بن الصباح، وقد مر مثل هذا السند في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٥٤).

(٣) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصرأ سماه أبا الجند.

(٤) الزوّ: نوع من السفن كان منتشرأ في العصر العباسي. ونحن نقطف بعض عبارات من الطبري لإثبات ذلك، فقد جاء في صفحة

(٦٨٢ ق ٣) قال السدي بن شاهك بعد كلام طويل: حدثني العباس بن الفضل بن الربيع قال: جلس الرشيد في الزوّ في الفرات

يتنظر. ثم ساق بعد كلام كثير: فأرسل إليّ الرشيد فصرت إليه ووقفت ساعة بين يديه؛ فقال لمن كان عنده من الخدم: قوموا

فقاموا فلم يبق إلا العباس. ثم قال العباس: اخرج ومر برفع التختاتج (الأخشاب) المطروحة على الزوّ ففعل ذلك.

/ حُتُوفاً إِذَا وَجَّهْتَهُنَّ قَوَاضِيَاً
عَجَّالاً إِذَا أَغْرَيْتَهُنَّ بِزَجْرِكَا
أَبَحَسْتَ حَمَاماً مُضْعِداً وَمُصَوِّباً
وَمَا رَمَتْ^(١) فِي حَالِيكَ مَجْلِسَ لَهْوِكَا
تَصَرَّفَ فِيهِ بَيْنَ نَائِيٍّ وَمُسْمِعٍ
وَمَشْمُولَةٍ^(٢) مِنْ كَفِّ ظَبْيِي لَسْقِيكَا
قَضَيْتَ لُبَّانَاتٍ وَأَنْتَ مَخْيِسَمٌ
مُزِيحٌ وَإِنْ شَطَّطْتَ مَسَافَةً عَزَمَكَا
وَمَا نَالَ طِيبَ الْعَيْشِ إِلَّا مُودَعٌ^(٣)
وَمَا طَابَ عَيْشُ نَالٍ مَجْهُودٌ كَذَكَا

فقال الواصل: ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خُلِقْتَ أَمِينَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ عَضْمَةً
وَأَمِنَّا فَكُلٌّ فِي ذَرَاكَ وَظِلُّكَا
وَرِثْتَ بِمَنْ سَمَّاكَ بِالْغَيْبِ وَائْتَقَا
وَتَبَّكَ بِالتَّأْيِيدِ أَرْكَانَ مُلْكِكَا
فَأَعْطَاكَ مُغْطِيكَ الْخِلَافَةَ شُكْرَهَا
وَأَشْعَدَ بِالتَّقْوَى سُرِيرَةَ قَلْبِكَا
وَزَادَكَ مِنْ أَعْمَارِنَا، غَيْرَ مِئَّةٍ
عَلَيْكَ بِهَا، أَضْعَافٌ أَضْعَافٍ عَمْرِكَا
وَلَا زَالَتْ الْأَقْدَارُ فِي كُلِّ حَالَةٍ
عُدَاةٌ لِمَنْ عَادَاكَ سَلَمًا لِسُلْمِكَا
إِذَا كُنْتُ مِنْ جَذَوَاكَ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ
فَلَا كُنْتُ إِنْ لَمْ أَقْنِ عَمْرِي بِشُكْرِكَا

فطرب الواصل فضرب الأرض بمخصرة كانت في يده، وقال: لله ذرك يا حسين! ما أقرب قلبك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودك يُنطق المُفحِّمَ بالشعر والجاحد بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلا مسروراً؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

رغب الواصل في الشراب في يوم غيم:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّيَّاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى الْوَائِقِ ذَاتَ يَوْمٍ وَفِي السَّمَاءِ لَطُخٌ^(٤) غَيْمٌ، فَقَالَ لِي: مَا الرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا حَكَمَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ قَبْلِي أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ؛ فَإِنَّهُ أَشَارَ بِصَوَابٍ لَا يَرُدُّ وَجْعُهُ فِي شَعْرِ لَا يُعَارِضُ. فَقَالَ: وَمَا قَالَ؟ فَقُلْتُ قَالَ:

/ أَرَى غَيْمًا تَوَلَّفَهُ جُتُوبٌ
وَأَحْسَبُهُ سَيَأْتِينَا بِهِطَلٍ
فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ
فَتَشْرِبُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ

فقال: أصبتما؛ ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطبحنا.

(١) رام المكان: زال عنه وفارقه.

(٢) المشمولة: الخمر الباردة.

(٣) المودع: المرفه.

(٤) لطح غيم: قليل غيم.

وصف ليلة لهو قضاها الوراق :

أخبرني علي بن العباس قال حدّثني الحسين بن علوان قال حدّثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال :
/ كان حسين بن الضحّاك ليلة عند الوراق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلُثُ من الليل، فأمر بأن يبيت مكانه. فلما ١٧٨
أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، فقال لحسين: هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها؟ فقال: لم يمض شيء وأنا
أقول الساعة؛ وفكر هينة ثم قال:

حَثَّ ^(١) صَبُوحِي فَكَاهَةُ اللَّاهِي	وطاب يومي بقرب أشباهي
فَاسْتَبِيرِ اللَّهْوَ مِنْ مَكَامِنِهِ	من قبل يومٍ منقُصٍ ناهي ^(٢)
بَابِنَةِ كَرْزِمٍ مِنْ كَفِّ مُنْتَطِقِي ^(٣)	مَوْزَرٍ بِالْمُجُونِ تِيَاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ	سَقَى لَطِيفٍ مَجْرُبٍ دَاهِي
كَاسًا فَكَاسًا كَانَ شَارِبَهَا	حِيرَانُ يَبْنِي الذُّكُورَ وَالسَّاهِي

قال: فأمر الوراق برد مجلسه كهيبته، واصطبح يومه ذلك معهم؛ وقال: نحقق قولك يا حسين ونقضي لك كل
أرب وحاجة.

شعره في جارية للوراق غضبت عليه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُولِي قال حدّثني محمد بن مغيرة المهلب قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال:

/ كانت لي نوبة في دار الوراق أحضرها جلس أو لم يجلس. فبينما أنا نائم ذات ليلة في حجرتي، إذ جاء خادم ١٦١/٧
من خدام الحرم فقال: قم فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جنبه حظية له فقام
وهو يظنها نائمة، فآلم بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه؛ فغضبت حظيته وتركته حتى نام، ثم
قامت ودخلت حجرتها؛ فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال: اختلست عزيزتي، ويحكم أين هي! فأخبر
أنها قامت غضبي ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي:

غَضِبَتْ أَنْ زُرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً	فلها العُتْبَى لدينا والرُّضَا
يَا فَذْتُكَ النَّفْسُ كَانَتْ هَفْوَةً	فاغفريها واصفحي عما مضى
وَاتَرَكَ الْعِذْلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ	وانسبي جوري إلى حكم القضا
فَلَقَدْ تَبَهْتَنِي مِنْ رَقْدَتِي	وعلى قلبي كئيران الغضا

قال: فلما جئته خبرني القصة وقال لي: قل في هذا شيئاً؛ ففكرت هينة كاني أقول شعراً ثم أنشدته الأبيات.
فقال: أحسنت وحياتي! أعدها يا حسين؛ فأعدتها عليه حتى حفظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى
الجارية وخرجت أنا إلى حجرتي.

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «حيت» وهو تصحيف.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «لاهي» وهو تحريف.

(٣) المنتطق: اللابس المنطقة وهي كل ما شددت به وسطك.

رأى الواثق جارية له في النوم وأمره بأن يقول شعراً في ذلك :

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال قال لي حسين بن الضحّاك :

كان الواثق يتحظى جارية له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتع ببقائها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت :

[١٦٢/٧] / لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَّا غَفَلَتْ وَرَقِيبَ اللَّيْلِ عَنَّا رَقَدَا
وأقام النومُ فمي مدّته كالذي كان وكنا أبدا
بأبسي زور^(١) تَلَفَّكَ لَهُ فَتَنَفَّسْتُ إِلَيْهِ الصُّعَدَا
/ بَيْنَمَا أَضْحَكَ مَسْرُوراً بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَمَدَا

١٧٩
٧

قال : فقال لي الواثق : أحسنت ! ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولا ذنب لليل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقد .

سرق منه أبو نواس معنى في الخمر :

أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني حسين بن الضحّاك ، وأخبرني به جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال :

لقيني أبو نواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربي ، فأنشدته :

أَخَوَيَّ حَيَّ^(٢) عَلَى الصُّبُوحِ صَبَاحاً هُبَّا وَلَا تَعِدَا الصَّبَاحَ رَوَاحَا
هَذَا الشَّمِيطُ^(٣) كَأَنَّهُ مَتَحِيرٌ فِي الْأَفْقِ سُدَّ طَرِيقُهُ فَالَاحَا
مَا تَأْمُرَانِ بِسُكْرَةٍ قَرَوِيَّةٍ قَرَنْتُ إِلَى دَرْكِ النِّجَاحِ نِجَاحَا
هكذا قال جحظة . والذي أحفظه :

* ما تأمران بقهوة قرؤية *

قال : فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بِسُخْرَةٍ فَارْتَاخَا وَأَمَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحِ صِيَاخَا

فقلت له : حسن يا ابن الزانية ! أفعلتها ! فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلتُ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلا نُسِبَ لي .

(١) الزور : الخيال يرى في النوم .

(٢) حيّ : مثقلة يتدب بها ويدعى بها يقال : حي على الصلاة ، أي هلموا .

(٣) الشميط : الضبح . وفي جميع الأصول : «الشميط» بالحاء المهملة ، وهو تحريف .

/ شرب عند إبراهيم بن المهدي فعربد عليه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني أبو أمانة الباهلي عن الحسين بن الضحّاك، قال محمد بن يحيى وحدّثني المغيرة بن محمد المهلب:

أنّ الحسين بن الضحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهدي، فجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب؛ فدعا له إبراهيم بنطع سيف وقد أخذ منه الشراب؛ فانصرف وهو غضبان. فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيبه. فكتب إليه:

نديمي غيرُ منسوب	إلى شسيء من الحنيف
سقاني مثل ما يشرب	ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس	دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الخمر	مع الثين في الصيف

قال: ولم يعد إلى منادته مدة. ثم إن إبراهيم تحمّل^(١) عليه ووصله فعاد إلى منادته.

نشأ هو وأبو نواس بالبصرة ثم رحل إلى بغداد واتصل بالأمين:

حدّثني عمي قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنت أنا وأبو نواس تزيين، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة، وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدة، واتصل بي ما آل إليه أمره، وبلغني إثارة السلطان وخاصته له؛ فخرجت عن البصرة إلى بغداد ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم وعددت في الشعراء، وهذا كله في أيام الرشيد، إلّا أنّي لم أصل إليه واتصلت بابنه صالح فكننت في خدمته. فغنّي يوماً بهذا الصوت:

آن زُم^(٢) أجمال وفارق جيـرة
وصاح غرابُ الين أنت حزين

/ فقال لي صالح: قل أنت في هذا المعنى شيئاً؛ فقلت:

آن دَبَّ حُسادٌ وملّ حبيب

وأورق عودُ الهجر أنت حبيب^(٣)

/ ليبلغ بنا هجر الحبيب مرّامه

هل الحبّ إلّا عبـرة ونحيب

كأنك لم تسمع بفرقة ألفة

وغَيّسة وصل لا تراه يـؤوب

فأمر بأن يُغنّى فيه. واتصلت بمحمد^(٤) ابن زبيدة في أيام أبيه وخدمته، ثم اتصلت خدمتي له في أيام خلافته.

(١) كذا في «تجريد الأغاني» أي استشفع إليه وترضاه. وفي الأصول: «تحامل عليه» وهو تحريف.

(٢) زُم البعير: خطمه وعلق عليه الزمام.

(٣) كذا في الأصول. ولعله: «أنت كتيب».

(٤) هو محمد الأمين الخليفة العباسي. وزبيدة أمه وهي بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

جفاه صالح بن الرشيد فترضاه بشعر فرضي عنه :

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العَيناء عن الحسين بن الضحّاك قال : كنت يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على التَّيْبِزِ وقد أخذ مني الشَّرابُ مأخِذاً^(١) قوياً، فرددْتُ عليه ردّاً أنكره وتأوله على غير ما أردتُ، فهاجرني؛ فكتبْتُ إليه :

نصوت

يا ابنَ الإمامِ تركتني هَمَلاً أبكي الحياةَ وأنذُبُ الأَمْلاً
ما بَالُ عَيْنِكَ حينَ تَلَحُّظُنِي ما إنْ تُقِلُّ جُفُوفَهَا ثِقَلاً
لو كان لي ذنبٌ لُبُخْتُ به كي لا يقال هجرتني مَلَا
إن كنتُ أعرف زَلَّةَ سَلَفَتِ فرأيتُ مِيتَةً واحدى عَجَلاً^(٢)

- فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ يُنسب إلى عبدالله بن العَلَاءِ وإلى عبدالله بن العباس الرِّبَيعي - قال : فكتب إليّ : قد تلافى لسائلك بشعرِكَ، ما جناه في وقتٍ / سكرِكَ. وقد رَضِيتُ عنكَ رِضاً صحيحاً، فصِرْ إليّ على أتمِّ نشاطِكَ، وأكملِ بساطِكَ. فعُدْتُ إلى خدمته فما سَكِرْتُ عنده بعدها. قال : وكانت في حسين عريضةً.

أنشد ابن البَوَّاب شعره للمأمون وشفع له فجفاه المأمون أولاً ثم وصله :

وأخبرني ببعضه محمد بن يزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبَانِ، والفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خَلَفِ وكيع عن آخره وقَصَّةِ وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال : وحدَّثنا حَمَّاد بن إِسْحاق عن أبيه - ولم يقل وكيع : عن أبيه - واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثه أتم، قال : كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليّ ابنُ البَوَّاب رقعةً فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها؛ فظنَّها له فقال : هاتِ؛ فأنشده :

أَجْرَنِي فإني قد ظَمِئْتُ إلى الوعد متى تُنْجِزُ الوعدَ المؤكَّدَ بالعهد
أَعِيذُكَ مِنْ خُلُفِ الملوِكِ وقد بدا^(٣) تقطُعُ أنفاسي عليك من الوجد
أَيُّخِلُ فَرْدُ الحسَنِ عَنِّي بنائِلِ قليلٍ وقد أفردْتُه بهوى فردٍ
إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللّهُ عَبْدَ الله خيرَ عباده فمَلَكه والله أعلمُ بالعبد
ألا إثمَ المأمونِ للنَّاسِ عصمةٌ مميِّزةٌ بين الضَّلالَةِ والرُّشدِ

فقال المأمون : أحسنت يا عبدالله! فقال : يا أمير المؤمنين، أحسن قائلها؛ قال : ومن هو؟ فقال : عبدك

(١) في ب، س : «أخذاً».

(٢) المعنى أنه يدعو على ولده الواحد بالموت عاجلاً إذا كان يعرف له زلة سلفت.

(٣) في ح : «تري».

حسين بن الضحّاك؛ فغضب^(١) ثم قال: لا حيّا الله من ذكرت ولا بّيّاه ولا قرّبه ولا أنعم به عينا! أليس القائل:

أعينني جوداً وابكياً لي محمداً / ولا تذخراً دمعاً عليه وأشعداً
/ فلا تمّت الأشياء بعد محمد / ولا زال شملُ الملك فيه مبدداً
/ ولا فريح المأمون بالملك بعده / ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

[١٦٦/٧]

١٨١
٧

هذا بذاك؛ ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فضلُ إحسان أمير المؤمنين وسعةُ حلمه وعادته في العفوا فأمره بإحضاره. فلما حضر سلّم، فردّ عليه السلام ردّاً جافياً؛ ثم أقبل عليه فقال: أخبرني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخِي محمد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسرّب ظباءً من دوابّ هاشم / هتفنّ بدعوى خير حيٍّ وميت
أردّ يداً منّي إذا ما ذكرته / على كبِدٍ خسريّ وقلبٍ مفئت
فلا بات ليلُ الشامتين يغبطة / ولا بلغت أمّهم ما تمت

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتها بعد أن غمرتني؛ وإحسانٌ شكرته فأنطقني، وسيدٌ فقدته فأقلقني. فإن عاقبتَ فبحقّك، وإن عفوتَ بفضلك. فدَمَعَتْ عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدراكِ أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك.

شعره في عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المأمون:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن المهرويه قال حدّثني أبي قال:

لَمَّا أَعِيثَ حُسَيْنَ بْنَ الضَّحَّاكِ الْحِيلَةَ فِي رِضَا الْمَأْمُونِ عَنْهُ، رَمَى بِأَمْرِهِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ:

أنت طؤدي من بين هذي الهضاب / وشهابي من دون كلِّ شهاب
أنت يا عمرو قوتي وحياتي / ولساني وأنت ظفري ونابي
أثراني أنسى أياديك اليد / فخرٌ إذ أسودَّ نائلُ الأصحاب
/ أين عطف الكرام في مَاقِطِ^(٢) الحا / جنة يَحْمُسُون حَسُوزَةَ الآداب
أين أخلاقك الرضيّة حالت / فسيّ أم أين رِقّة الكُتّاب
أنا في ذمّة السحاب وأظما! / إن هذا لوصمةٌ في السحاب
قم إلى سيّد البريّة عني / قومّة تستجِرُّ حسنَ خطّاب
فلعلّ الآلهة يُطفئ عني / بك ناراً عليّ ذات التّهاب

[١٦٧/٧]

قال: فلم يزل عمرو يُلْطَفُ للمأمون حتى أوصله إليه وأدّر أرزاقه.

(١) في حد: «فقطب».

(٢) المَاقِط: المضيق في الحرب. وقد وردت هنا على وجه الاستعارة.

غضب عليه المعتصم فترضاه بشعر فرضي:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عوّن بن محمد قال حدّثني الحسين بن الضّحّاك قال:

غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النّبيذ، فقال: والله لأودّبته! وحجّبتني أياماً. فكتبت إليه:
 غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدبِهِ وقد استجسرتُ وعُدْتُ من غَضَبِهِ
 أصبحْتُ معتصماً بمعتصمٍ أثقى الإلّةُ عليه في كُتْبِهِ
 لا والذي لم يُبقِ لي سيباً أرجو النجاةَ به سوى سيبِهِ
 مالي شفيعٌ غيرُ حرْمَتِهِ ولكلِّ من أشقى على عَطَبِهِ

قال: فلمّا قرأ عليه التفت إلى الواقف ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُستغطف الكرام؛ ما هو إلّا أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزلت ما في نفسي عليه. فقال له الواقف: هو حقيقٌ بأن يُوهَبَ له ذنبه ويُجاوزَ عنه. فرضي عني وأمر بإحضاري.

هجا العباس ابن المأمون:

قال الصّوليّ فحدّثني / الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم؛ لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنّى له الخلافة، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَيِ الواقف فأوصلها وشفع له فرضي عنه وأمنه فظهر إليه، وهجا العباس بن المأمون فقال:

[١٦٨/٧] / خَلَّ اللَّعِينَ وما اكتسبَ / لا زال منقطَعُ السَّبَبِ
 يا عُرّةَ الثَّقَلَيْنِ لا ديناً رعيّت ولا حَسَبَ
 حَسَدُ الإمام مكائنه جهلاً حَذَاكَ^(١) على العَطَبِ
 وأبوك قدّمه لها لمّا تخيّر وانتخب
 ما تستطيع سوى التَّنْفِيسِ والتجرّع للكَرْبِ
 ما زلت عند أبيك مُدَّ تنقّص المروءة والأدب

أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعراً يغني فيه ابن بانة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قال^(٢):

كنا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضّحّاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوى خادماً له؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنخّى عنه، وكان جالساً في صحنٍ حوله نرجس في قعر طالع حسن؛ فقال للحسين: قلّ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغني فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

(١) حذاك على العطب: جعلك محاذياً له يريد أنه قادك إليه وأوقعك فيه.

(٢) في الأصول: «قال».

قصته

وصف البدر حسن وجهك حتى
وإذا ما تنفّس النرجس الغد
خلت أني وما أراك أراكا
ضنّ توهّمته نسيم شذاكا
ك بإسراق ذا ونفحة ذاك
هد لهذا وذاك إذ حكياكا

قال عمرو: فقال لي صالح: تغنّ فيها، فتغنّيت فيها من ساعتني.

لحن عمرو في هذه الأبيات ثقيلاً بالبصر من روايته.

[١٦٩/٧]

/ شعره في محبوبه يسر خادم أبي عيسى بن الرشيد:

وقد حدّثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني عبيد الله بن زكريا الضّرير قال حدّثنا الجَمّاز عن أبي نُوّاس قال:

كنت أتعشّق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حسين يتعشّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسر؛ فزارني يوماً فسألته عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلّو عنه وعن حبه. قال: وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجس، فجلسنا نشرب وطلع القمر؛ فقلت له: يا حسين أيّما أحسن القمر^(١) أم محمد؟ فأطرق ساعة ثم قال: اسمع جواب الذي سألت عنه:

وصف البدر حسن وجهك حتى
وإذا ما تنفّس النرجس الغد
وأخال الذي لثمت أنيسي
فإذا ما لثمت لثمتك فيه
خلت أني وما أراك أراكا
ضنّ توهّمته نسيم شذاكا
وجليسي ما بإسراقه يداكا
فكأنني بذلك قبلت فاك
خدع للمنى تعلّني في
لأقيم من ما حييت على الشك

/ قال: فقلت له: أحسنت والله ما شئت! ولكنك يا كشخان^(٢) هو ذا تقدّر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: ^{١٨٣}/_٩

يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضر أم بذكر غائب! واللّه للثعلب التي^(٣) يطأ عليها يُسرّ أحسن عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه.

مدح المتوكل شعره:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني أحمد بن سعيد بن عَبَّسة القُرشيّ الأمويّ قال حدّثني عليّ بن الجهم قال:

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «أو».

(٢) الكشخان (بالفتح ويكسر): الديوث، وهو دخيل في كلام العرب.

(٣) في الأصول: «الذي».

/ دخلت يوماً على المتوكل وهو جالس في صحن خلده^(١) وفي يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر:

بالشَّطِّ لِي سَكَنٌ أَفْدِيهِ مِنْ سَكَنِ أَهْدَى مِنَ الْآسِ لِي غَصْنَيْنِ فِي غُصْنِ
فَقُلْتُ إِذْ نَظَّمَا الْفَيْنَ وَالتَّبَسَا سَقِيًّا وَرَغِيًّا لِفَالٍ فِيكُمَا حَسَنِ
فَالْآمُ لَا شَكَّ آسٍ مِنْ تَشَوُّقِنَا شَافٍ وَأَسٍ لَنَا يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ
أُبَشِّرُ تَمَانِي بِأَسْبَابٍ سَتَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَمَهْمَا يَقْضِيهِ يَكُنْ

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنشَقَّ حسداً: لمن هذا الشعر يا علي؟ فقلت: للحسين بن الضحَّاك يا سيدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهباً وأظرفهم نَمَطاً^(٢). فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رَغِمَ أَنْفُكَ وَمَتَّ حَسداً. وكنتُ قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل، وعلمتُ أنني لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخزتها إلى وقت آخر.

قصته مع شفيع خادم المتوكل وشعره فيه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلب قال حدثني أبي قال:

أَحَبُّ المتوكل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضحَّاك وأن يرى ما بَقِيَ من شهوته لما كان عليه؛ فأحضره وقد كَبُرَ وَضَعُفٌ، فسقاه حتى سَكِرَ، وقال لخادمه شَفِيع: اسْقِهِ، فسقاه وحيَّاه بوردة، وكانت على شفيع ثيابٌ موزَّدة؛ فمَدَّ الحَسينُ يَدَهُ إلى ذراع شَفِيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أَتُجَمِّسُ^(٣) أَخَصَّ خَدَمِي عندي بِحَضْرَتِي! فكيف لو خَلَوْتَ! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكل غَمَزَ شَفِيعاً / على العَبَثِ به. فقال الحسين: يا سيدي، أريد دواءً وقرطاساً، فأمر له بذلك، فكتب بخطه:

وكالوردة الحَمراء حَيًّا بِأَحْمَرٍ من الورد يمشي في قَرَّاطِقٍ^(٤) كالوردِ
لَهُ عَيْكَاتٌ عِنْدَ كُلِّ نَحِيَّةٍ بعينه تَسْتَدْعِي الحليمَ إلى الوجدِ
تَمْنِيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفِّهِ شَرْبَةً تذكُرني ما قد نَسِيتُ من العهدِ
سَقَى الله دَهْرًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له: ادفعها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنت والله يا حسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بحياتي إلا كنت ساقية باقي يومه هذا واخذته كما تخذمني؛ وأمر له بمال كثير حُمِلَ معه لما انصرف. قال أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال: صرْتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، فقلت له: وَيْلَكَ! أتدري ما صنعت؟ قال: نعم أدري، وما كنت لأدع عادتي بشيء؛ وقد قلتُ بعدك:

(١) الخلد: قصر للمنصور العباسي على شاطئ دجلة توارثه أبناؤه من بعده.

(٢) في حد: «أعظما».

(٣) كذا في حد. والجمش والتجميش: ضرب من المغازلة والملاعبة. وفي سائر الأصول: «أنجس».

(٤) القرطق كجندب: قباء ذو طاق واحد.

/ بصوت

لا رَأَى عَطْفَ الأَحَدِ بَنِي مَنْ لَا يُصَرِّحُ
أَصْغَرُ السَّاقِيَيْنِ أَشْـكُلَ عِنْدِي وَأَمْلَحُ
لَوْ تَرَاهُ كَالظُّنْبِيِّ يَسُـ نَحْـ حِينَئِذَا وَيُـرَحُ
خَلَّتْ غَصْنًا عَلَى كَثْبِ سَبْ بَنُورٍ يَسْرُشِحُ

غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيّ ثقيل بالنصر.

شعره في شفيح وقد حياه بتفاحة عنبر:

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وقال حدّثني محمد بن أبي عَوْن قال:

/ حضرتُ المتوكّل وعنده محمد بن عبدالله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان [١٧٢/٧] واقفاً على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفاحة عنبر. وقال لحسين: قل في هذا شيئاً؛ فقال:

وَكَالدُّرَّةَ الْبَيْضَاءِ حَيًّا بَعْبِرَ وَكَالسُّورَ يَنْعَى فِي قَرَاطِقَ كَالْوَزْدِ
لَهُ عَبَكَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ بِعَيْنِيهِ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ
تَمْنِيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفَيْهِ^(١) شَرِبَةً تُذَكِّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ
سَقَى اللَّهَ عَيْشًا لَمْ أَيْسَ فِيهِ لَيْلَةٌ مِنْ الذُّهْرِ إِلَّا مِنْ حَيْبٍ عَلَى وَعْدِ

فقال المتوكّل: يُحْمَلُ إِلَى حُسَيْنٍ لِكُلِّ بَيْتٍ مِائَةُ دِينَارٍ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كَالْمَتَعَجَّبِ وَقَالَ: لِمَ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجَابَ فَاسْرِعْ، وَذَكِّرْ فَأَوْجِعْ، وَأَطْرِبْ فَأَمْتِعْ؛ وَلَوْ لَا أَنَّ يَدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطَاوَلَهَا يَدٌ لَأَجَزَلْتُ لَهُ الْعَطَاءَ وَلَوْ أَحَاطَ بِالطَّارِفِ وَالتَّالِدِ. فَخَجَلَ الْمُتَوَكَّلُ وَقَالَ: يُعْطَى حُسَيْنٌ بِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِينَارٍ. وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ ابْنُ قَاسِمٍ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: أَنَّهُ حَضَرَ الْمُتَوَكَّلَ وَقَدْ أَمَرَ شَفِيعًا أَنْ يَسْقَى حُسَيْنَ بْنَ الضَّحَّاكِ؛ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ نَحْوَ مَا مَضَى مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِهِ.

شعره في مقحم خادم ابن شغوف:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال أخبرني مجمل بن مروان عن محمد بن عمرو الرُّومِيّ قال:

اجتمع حسين بن الضحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحَمٌ، وكان عمرو بن / بانة يتعشّقه ويُسرّ ذلك من ابن شغوف. فلَمَّا أَكَلُوا وَوُضِعَ النَّبِيذُ قَالَ [١٧٣/٧] عمرو بن بانة للحسين: قل في مُقْحَمٍ أبياتاً أُغْنِ فِيهَا السَّاعَةَ. فقال الحسين:

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول في هذا الموضع: «بعينه»

صوت

وابأبي مُقْحَمٌ لعزَّتِه قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَمَا
تحبَّ بالله من يخصَّك بالو دَمَاقِسال لا ولا نَعَمَا

شعر إسحاق الموصلي في عمرو بن بانة:

وغنى فيه عمرو. قال: فيبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصلي بالباب؛ فقال له عمرو: أغفنا من دخوله ولا تنغص علينا ببغضه وصلفه وثقله ففعل؛ وخرج الحاجب فاعتل على إسحاق حتى انصرف، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصه. فقال إسحاق:

/ يابن شغوف أما علمت بما قد صار في الناس كلهم علما
دعوتُ عمراً فبات ليلته في كل ما يشتهي كما زعما
حتى إذا ما الظلام البسه سسرى ديباً فضاجع الخدما
نمت لم يرخص أن يضاجعهم سسراً ولكن أبدي الذي كتما
ثم تغنى لفرط صبوتيه صوتاً شفى من غليله السقمما:
«وابأبي مُقْحَمٌ لعزَّتِه قلتُ له إذ خلوتُ مكْتَمَا»
«تحبَّ بالله من يخصَّك بالو دَمَاقِسال لا ولا نَعَمَا»

قال: وشاعت الأبيات في الناس وغنى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن؛ فبلغت ابن شغوف فحلف ألا يدخل عمراً داره أبداً ولا يكلمه، وقال: فضحني وشهرني وعرضني للسان إسحاق؛ فمات مهاجراً له. وقال ابن أبي سعد في [١٧٤/٧] خبره: إن إسحاق / غنى فيها للمعتصم، فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث، فضحك وطرب وصفق؛ ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام.

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقْحَم من الثقيل الثاني بالوسطى.

قال له أبو نواس أنت أشعر الناس في الغزل:

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت مَهْدِيَّ بن سابق يقول:

التقى أبو نواس وحسين بن الضحاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر [أهل] ^(١) زمانك في الغزل؛ قال: وفي أي ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال لا؛ قال: في قولك:

وابأبي مُقْحَمٌ لعزَّتِه قلتُ له إذ خلوتُ مكْتَمَا
نحبَّ بالله من يخصَّك بالو دَمَاقِسال لا ولا نَعَمَا

ثم تولى بمقلتي خجل أراد رجع الجواب فاحتشما
فكنت كالمتغني بحيلته بُرءاً من الشقم فابتدا سقما
فقال الحسين: وَيَحَاكَ يَا أَبَا نُؤَاسٍ^(١) فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتة؛ قال: لا والله، وبذلك فضلتك
وفضلت الناس جميعاً.

مدح أبو العباس ثعلب شعره:

أخبرني علي بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلب قال أنشدني حماد بن المبارك صاحب حسين بن الضحّاك
قال أنشدني حسين لنفسه:

لا وَحْيِيكَ لَا أَصَا / فح بالدُّمْعِ مَدَمَا
مَنْ يَكِي شَجْوَهُ اسْتَمَا / ح وَإِنْ كَانَ مُسَوِّجَمَا
/ كَيْدِي مَنْ هَوَاكَ أَسَا / قُمُ مَنْ أَنْ تَقْطَعَمَا
لَمْ تَدْعِ مَوْرَةَ الضَّنَى / فِي الشَّقْمِ مَوْضِعَمَا

[١٧٥/٧]

قال: ثم قال لنا ثعلب: ما بقي من يُحسن أن يقول مثل هذا.

قال ابن الرومي عنه إنه أغزل الناس:

أخبرني علي قال حدثني محمد بن الفضل الأهوازي قال سمعت علي بن العباس الرومي يقول:
حسين بن الضحّاك أغزل الناس وأظرفهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يَا مُسْتَعِيرَ مَوَالِفِ الْحُفِّ / أَسْمِعْ لِحَلْفَةِ صَادِقِ الْحَلْفِ
إِنْ لَمْ أَصِخْ لَيْلِي: وَيَا حَرَبِي / وَمَنْ وَجْتِيكَ وَفَتْرَةَ الطَّرْفِ
/ فَجَحَدْتُ رِيَّيَ فَضْلَ نَعْمَتِهِ / وَعَبْدُتُهُ أَبَدًا عَلَى حَرْفِ^(٢)

١٨٦

شعره في فتن محبوبته:

أخبرني علي بن العباس الرومي قال حدثني قتيبة عن عمرو السكوني^(٣) بالكوفة قال حدثني أبي قال حدثني
حسين بن الضحّاك قال:

كانت تألفني مغنية، وتجيئني دائماً، وكنت أميل إليها وأستملحها، وكان يقال لها فتن. فكان يجيء معها

(١) في ح: «يا نواسي» وكان أبو نواس يدعى بهذا اللقب.

(٢) على حرف: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مثل لمن يكون على قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمأنينة: كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنمة قر واطمان وإلا قر وطار على وجهه. وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. (راجع «الكشاف» للزمخشري).

(٣) هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة. وهو عمرو بن مجمع بن سليمان أبو المنذر السكوني الكندي من أهل الكوفة. وفي الأصول: «السكوني» بالتاء؛ وهو تصحيف.

خادم لمولاتها يحفظها يسمي نُجْحًا، وكان بغيضاً شرس الخلق، فإذا جاء معها توقّيته؛ فمرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغت منها مُرادي وتفرّجت يومي وليتي؛ فقلت:

/ لا تَلْمِني على فتْنٍ إنها كاسمها فتْن
 فإذا لم أهتمّ بها فبمنا لا بمن إذن
 أيسن - لا أيسن - مثلها في جميع الورى سكن
 طيب نَشْرٍ إذا لَمَّ كت وغنّج ومحتضن
 وال عَشْرًا من الصُّبُو ح على وجهها الحسن
 وعلى لفظها المُنُون لأم بالغنن
 لست أنسى من الغرير مرة إذ بحث بالشجن
 قولها إذ سلبتها عن كتيب وعن عكن
 ليس يُرضيك يافتى من هووى دون أن تهن
 فامتزجنا معاً ممّا زجّة الروح للبدن
 وكفينا من أن نُرا قُب نُجْحاً إذا فطن
 وأمنّا أن يَـنـ وما كان مؤتمن
 كل ما كان من حبيب بك مستظرف حسن

[١٧٦/٧]

ناظر مخارقاً في أبي نواس وأبي العتاهية فحكم له:

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبدالله الهشامي:

أن مُخَارِقاً وحسين بن الضحّاك تلاحيا في أبي العتاهية وأبي نواس أيهما أشعر؛ فاتفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخيران فيه، فاختر الحسين بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيداً قوياً لمعرفته بذلك، واختار مخارق شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزلاً كان يُغنى فيه لا لشيء عرّفه منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه، فخاير به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودة؛ وتخطّراً^(٢) على مال، وتحاكماً إلى / من يرضيه الوائق بالله ويختاره لهما؛ فاختر الوائق لذلك أبا مُحَلَّم؛ وبعث فأحضره وتحاكماً إليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحّاك. فتلكأ مخارق وقال: لم أحسن الاختيار للشعر ولحسين أعلم مني بذلك، ولأبي العتاهية خير مما اخترت، وقد اختار حسين أجود ما قدر عليه لأبي نواس لأنه أعلم مني بالشعر، ولكنّا نتخير بالشاعرين ففيهما وقع الجدال؛ فتحاكما فحكم لأبي نواس، وقال: هو أشعر وأذهب في فنون الشعر وأكثر إحساناً في جميع تصرّفه. فأمر الوائق بدفع الخطر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انتفع به بقيّة يومه.

(١) كذا في أ، د، م. وفي سائر الأصول: «يرائب» بالياء وهو تصحيف.

(٢) تخطّراً: تراهنّا.

مدح الحسن بن سهل وطلب أن يصلح المأمون له :

١٨٧
٦

أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني سودة بن / الفيض قال حدثني أبي قال :

لما أطرّح المأمون حسين بن الضحّاك لهواه - كان - في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسين بن الضحّاك بالحسن بن سهل وطمع أن يصلحه له ؛ فقال يمدحه :

أرى الآمالَ غيرَ مُعسرِّجساتٍ على أحدٍ سوى الحسن بن سهلٍ
يُباري يومه غده سَمَاحاً كلاً اليومين بأن بكل فضلٍ
أرى حسنّاً تقدّم مستبداً يَغد من رياسته وقبيلٍ
فإن حضرتك^(١) مشكلة بشك شفاك بحكمة وخطاب فضلٍ
سليلاً مرّازب برعوا^(٢) حلوماً وراع صغيرهم بسداد كهليلٍ
ملوك إن جريّت بهم أبروا وعزوا أن تُوازَنهم^(٣) بعذلٍ
ليهنك أن ما أرجأت رشداً وما أمضيت من قول وفعلٍ
/ وأنت مؤثّر للحقّ فينا أراك الله من قطع ووصل
وأنت للجميع حيّاً ربيع يَصُوب على قَرارة كلّ مخل

[١٧٨/٧]

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقربه وأنسه ووصله وخلع عليه ووعدّه إصلاح المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة .

سأله الحسن بن سهل عن شعر له فأجابه :

قال علي بن العباس بن أبي طلحة وحدثني أبو العباس أحمد بن الفضل المروزي قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحّاك : ما عيّنت بقولك :

يا خلّي الدُّرْع من شَجَنِي إنما أشكو لتسرحمَنِي
قال : قد بيّنته ؟ قال : بأي شيء ؟ قال : قلت :
منعك الميسور يُؤسِّنِي وقليل اليأس يقتلُنِي
فقال له أبو محمد : إنك لتُضيع بالخلاعة ، ما أعطيتَه من البراعة .

عشق غلام الحسن بن سهل وتغزل فيه فوهبه له :

أخبرني علي بن العباس قال حدثني أحمد بن القاسم المُرّي قال حدثنا أبو هفان قال :

سألت حسين بن الضحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه ويات عنده

(١) كذا في م . وفي ب ، س ، ح : «خفرتك» . وفي أ ، د : «حفرتك» وكلاهما تحريف .

(٢) في الأصول : «يرعوا» بالياء ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في ح . وفي سائر الأصول : «توازئهم» بالياء المشناة من تحت . والعدل : النظر .

وكيف كان ابتداءه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمعه منك. فقال لي: دخلت على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسمي من المطر فرش رثا حسنا، واليوم في أحسن منظر وأطيبه، وهو جالس على سرير ابنوس وعليه قبة فوقها طارمة^(١) ديباج أصفر وهو يشرف على بستان في داره، وبين يديه وصائف يترددن في خدمته وعلى رأسه غلام كالدينار؛ فسلمت عليه فرد علي السلام، ونظر إلي كالمستنطق؛ فأنشأت أقول:

ألسنت ترى ديمة تهطل
وهذا صبا حاك مستقبلا
فقال: بلى. فقلت:

وتلك المدام^(٢) وقد شاقنا
برؤيته الشادن الأكل
فقال: صدقت فمة؛ فقلت:

فعاد به وبنا سكرة^(٣)
تهوون مكروه ما نسال^(٤)
فسكت. فقلت:

فإني رأيت له نظرة
تخبرني أنه يفعل
ثم قال: مة؛ فقلت:

١٨٨

وقد أشكل العيش في يومنا
فيا حبذا عشنا المشكل

فقال: العيش مشكل، فما ترى؟ فقلت: مبادرة القصف وتقريب الإلف. قال: على أن تقيم معنا وتبيت عندنا. فقلت له: لك الوفاء عليك مثله لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً. ولم أر الغلام، فسألت عنه فقال لي: الساعة يجيء، فلم نلبث أن وافاني؛ فسألته أين كان؟ فقال: كنت في الحمام وهو الذي حبسني عنك. فقلت لوقتي:

/ وابأبي أبيض في صفرة
جورده الحمام عن درة
غصن تبتلى يتننى على
كأنما الرئس على خده
صفائيه فائنة كلها
يا ليتني زودني قبله
كأنه تبر على فضة
تلوح فيها عكن بضة
مأكمة^(٥) منقاة النهضة
طل على تفاحة غضة
فبعضه يذكروني بعضه
أو لا فمن وجنته عضه

[١٨٠/٧]

(١) الطارمة في الأصل: بيت من خشب كالحبة، وهو دخيل أعجمي معرب. والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسي.

(٢) رواية هذا البيت في «تجريد الأغاني»:

وهذا العقسار وقد راعنا
بطلعت منه الشادن الأكل

(٣) كذا في حـ و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «سكره» بالهاء المهملة.

(٤) في «تجريد الأغاني»: «مكروه ما يبزل». ولعل صوابه: «ما يبذل» بالذال.

(٥) المأكمة: العجيزة.

فقال لي الحسن: قد عمل فيك النبيذ؛ فقلت: لا وحياتك! فقال: هذا شرٌّ من ذلك. فقلت:

اشقياني وصرفنا	بنيت حولين قرقفا
واشقي المُرَهَفَ الغريب	رسقى اللسه مُرَهَفَا
لا تقسولا نـراه أك	لسف ^(١) نضوا مخففا
نغم ريحانة الندي	سم وإن كان مُخَفِّفا ^(٢)
إن يكن أكلفاً فـ	إنني أرى البسدر أكلفا
بأبي ما جنُّ السريد	سرة يُبدي تعففا
حَفَّ ^(٣) أصداغُه وعَفَّ	ر ^(٤) بهائم صففا
وحشاً مـذرج القمصا	ص ^(٥) بمسك ورضفا
فلذا رُميت منه ذا	ك تـأبى وعففا
ليس إلا بأن يُرئى	حسه الشكر مُنعفا
/ باكرراً لا تسوففا	ني عديمتُ المُسوففا
أعجلاه وبـالفُضفا ^(٦)	ضة في السقي فاعنففا
واحِمِ لا شغبه وإن	هم زنى ^(٧) وافقفا
فلذا هم للمنا	م فقرومنا وخفففا

[١٨١/٧]

فتغاضب الغلام وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أقبل على شراك ودع الهديان. وتاولني قدحاً. وقام أبو محمد ليول، فشربت وأعطاني نُقْلاً فقلت: اجعل بدلَه قبلَه؛ فضحك وقال: / أقعل، هذا وقته فبدًا له وقال: لا أفعل؛ فعاودته فانتهرني. فقال له خادم للحسن^(٨) يقال له فرج: بحياتي يا بني أسعفه بما طلب؛ فضحك ثم دنا مني كأنه يناولني نُقْلاً^{١٨٩}_٦ وتغافل فاخترست منه قبلَه؛ فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبديع الدل قُضِرِي الغنج مره^(٩) العين كحيل بالدعج

(١) الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم.

(٢) مخطفاً: منطوي الحشى، قليل لحم الجنب.

(٣) في الأصول: «عف» بالعين المهملة.

(٤) في ب، س: «وغفرها» وهو تصحيف.

(٥) قصاص الشعر: نهاية منبته ومنقطعه على الرأس.

(٦) الفضاضة: آخر الشيء.

(٧) كذا في حـ. وزني: قذف وسب. وفي سائر الأصول: «رنا» بالراء والنون وهو تحريف.

(٨) كذا في حـ وهو الصواب. وفي باقي الأصول: «للحسين» وهو تحريف.

(٩) مره بالعين: خلت عينه من الكحل.

سُمُّهُ شَيْئاً وَأَصْغَيْتُ لَهُ
وَأَسْتَخَفَّتْهُ عَلَى نَفْسِهِ
فَتَأَبَّى وَتَثْنَى خَجَلاً
لَجَّ فِي «لَوْلَا» وَفِي «سَوْفَ تَرَى»
ذَهَبَ اللَّيْلُ وَمَا نَوَّلَنِي
/ هَوْنُ الْأَمْرِ عَلَيْهِ فَرَجُ
خَمِيرُ النِّكْهَةِ لَا مِنْ قَهْوَةٍ
وَبِنَفْسِي نَفْسُ مَنْ قَالَ، وَقَدْ

[١٨٢/٧]

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفت وعُذت من غدٍ إلى الحسن؛ فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند^(٣) نومك؟ فقلت له: أأصِفُ ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

تَأَلَّفْتُ طَيْفَ غِزَالِ الْحَرَمِ
وَمَا زِلْتُ أَفْنَعُ مِنْ نَيْلِهِ
بِنَفْسِي خِيَالٌ عَلَى رِقْبَتِهِ
أَنَا نَفْسِي يُجَادِبُ أُرْدَانِيهِ
تُمَجِّجُ سَوَالْفُهِ مِسْكَةً
تَضْمَخُ مِنْ بَعْدِ تَجْمِيرِهِ^(٤)
يَقُولُ وَنَازَعْتُهِ تَوْبَهُ
فَغَضَّ الْجَفُونَ عَلَى خَجَلَتِهِ
فَشَبَّكَتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهِ
فَنَهْنَهَنِي دَفْعَ لَا مَوْبِسِ
إِذَا مَا هَمَمْتُ فَأَدْنِيئُهُ
فَمَا زِلْتُ أَبْطُطُهُ مَازِحاً
/ وَحَكَمَنِي الرِّيمُ فِي نَفْسِهِ
فَوَاهِياً لَذَلِكَ مِنْ طَارِقِ

[١٨٣/٧]

(١) كذا في ح. وكفكف: كف وأعرض. وفي سائر الأصول: «كفك عني». وخلع: جلب وانتزع يريد أنه دفعه وانتزع نفسه منه.

(٢) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «بتانيه». بالنون.

(٣) في ح: «في».

(٤) جمرة إذا بخرته بالطيب. وفي الأصول: «تخميره» بالخاء المعجمة وهو تصحيف.

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظنّ ما ادّعيته على الطّيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن ترخص^(١) العار عن أنفسنا / بهبة الغلام لك، فخذ لا بُورك لك فيه! ١٩٠ فأخذته وانصرفت.

شعره في غلام للحسن بن سهل:

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني أبو العيّناء قال: أنشدني الحسين بن الضحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلم عليه فلم يكلمه الغلام؛ فقال:

فديتُك ما لوجهك صدّعتني	وأبديت التّندّم بالسّلام
أحين خلّيتني ^(٢) وقرّنت قلبي	بطرفك والصّبابة في نظام
تنكّر ما عهدت لغيب يوم	فيا قرب الرّضاع من الفطام
لأسرع ما نهيت إلى همومي	سروري بالزيارة واللّمّام

أخذ جبة من موسى بن عمران كجبة أبي نواس:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني حسين بن الضحّاك الخليل قال:

كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نواس وعليه جبة خزّ جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نواس؟ فلم يخبرني، فتوقّمت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل^(٣) من باب بني تميم؛ فقمّت فوجدت موسى قد لبس جبة خزّ أخرى؛ فقلت له:

* كيف أصبحت يا أبا عمران *

/ فقال: بخير صبحك الله به. فقلت:

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال: أسمعك الله خيراً. فقلت:

إن لي حاجةً فرأيتك فيها

إننا في قضائها سيّان

فقال: هاتها على اسم الله وبركته. فقلت:

جبةً من جبابك الخزّ حتى

لا يراني الشتاء حيث يراني

قال: خذها على بركة الله، ومدّ كمّه فنزعها وجثّ وأبو نواس جالس؛ فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: من حيث جاءتك تلك.

(١) نرحض: نفسل.

(٢) في الأصول: «خلّيتني» بالياء المثناة من تحت. وظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «دخلها».

وفد هو ومحمد بن عمرو على المعتصم وأنشده شعراً فأجازهما:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحّاك قال:

دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم، فخرج علينا كالحأ. قال: فتوهّمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه. قال: وجاء إيتاخ^(١) فقال: مخارق وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب؛ فقال: اغزّب عني، عليك وعليهم لعنة الله! قال: فتبسّمت إلى محمد بن عمرو؛ وفهم المعتصم تبسّمي فقال لي: ممّ تبسّمت؟ فقلت: من شيء حضّرتني؛ فقال: هاته؛ فأنشدته:

صوت

أنف عن قلبك الحزن / وتمتّع بكّر طر
بأقتراب من السكّن / فك في وجهه الحسن
إن فيه شفاء صدد / رك من لا عيج الحزن

[١٨٥/٧]

قال: فدعا بألفي دينار: ألف لي وألف لمحمد، فقلت: الشعر لي، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال: لأنه جاءنا معك. ثم أذن لمخارق وعلويه فدخلوا، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبول فسمعه يردده.

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلويه وهو من الثقيل الأول بالبنصر.

أحب غلام أبي كامل المهندس وقال فيه شعراً:

أخبرني عمّي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد / قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال:

١٩١

كان الحسين بن الضحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتجبه؟ قال: نعم والله؛ قال: فأعلّمه؛ قال: هو أعلم بحبيّ له منّي به. ثم قال:

عالم بحبيّ / مظهر من الثيّب
يوسف الجمال وفسر / عون في تعديّ
لا وحق ما أنا من / عطفه أرجي^(٢)

(١) هو إيتاخ التركي المعتصمي القائد كان غلاماً خزياً لسلام الأبرش طباحاً فاشتراه منه المعتصم ثم رفعه ومن بعده الواصل وعجيبا إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة، وكان من أراد المعتصم أو الواصل قتله فعنده كان يقتل ويده يحبس فقتل عجيباً والعباس بن المأمون وابن الزيات الوزير وغيرهم. تولى الحكم بالديار المصرية من سنة ٢٣٠ هـ - ٢٣٥ هـ. ثم كتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بالقبض عليه في الباطن إن أمكنه؛ فتحاول عليه إسحاق حتى قبض عليه وقيد به بالحديد وقتله عطشاً سنة ٢٣٥ هجرية (انظر الطبري ق ٣ ص ١٣٨٣ - ١٣٨٦ طبع أوروبا و «النجوم الزاهرة» ج ٢ ص ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وروايته في الأصول:

ما الحياة نأفعة لسي على تأييه
النعيم يشغلّه والجمّال يطغيه
فهو غير مكترب للذي الأقبه
تأله تُزهدّه فبي رغبتي فيه

/ قال محمد بن محمد: وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانه وعريب وسليم وجماعة من المغنين.

[١٨٦/٧]

أحب صديق له جارية وعارضه فيها غلام أمرد فمالت إليه فقال شعراً في ذلك:

حدّثني عتي قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشق جارية مغنيّة، فزاحمه فيها غلام كان في مُرودته حسن الوجه؛ فلما خرجت لحيتها جعل يتنفّ ما يخرج منها؛ ومالت القينة إليه لشبابه؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال:

خلّ الذي عنك لا تنطيع تدفعه يا من يُصارع من لا شك يضرعه
جاءت طرائق شُعر أنت ناتفها فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه
الله أكبر لا أنفك من عجب أنت تحصد ما ذو العرش يزرعه
تبا لسعيك بل تبا لأملك إذ ترعى حمى خالق الأعماء يمنعه

وقال فيه أيضاً:

تكلّك أملك يسابن يوسف حنّام ونحكك أنت تتيف
لو قد أنسى الصيف الذي فيه رؤوس الناس تُكشِف
فكشفت عن خديك لي لكشفت عن مثل المُفوّف^(١)
أو مثل زرع ناله الـ يرقان أو نكباء حرجف^(٢)
فقداء عليه الزارعو ن ليخصّوده وقد تقصّف
فظللت تأسف كاللى أسفوا ولم يُغن التأسف

/ أحب غلاماً فاشتراه صالح بن الرشيد:

حدّثني علي بن العباس قال حدّثني عمير بن أحمد بن نصر الكوفي قال حدّثني زيد بن محمد شيخنا قال:

قلت لحسين بن الضحّاك وقد قدّم إلينا الكوفة: يا أبا علي شهرت نفسك وفضحتنا في خادم، فالأ اشترته!

— من عطف أرجيه

= لا وحق ما أنا فيه

وهو غير متزن.

(١) برد مفوّف: فيه خطوط بيض على الطول.

(٢) النكباء المحرجف: الريح الباردة.

[١٨٧/٧]

فقال: فديتُك! إن الحبَّ لجأججٌ كلّه، وكنتُ أحببتُ هذا الخادِمَ ووافقتُني على أن يَسْتَبيعَ لأشترِيه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلفه منّي ولم أقدر على الانتصاف منه، وآثره الخادِمُ واختاره، وكلّانا يحبُّه إلا أن صالحاً ينادي / ١٩٢ / ولا أناك والخادِمُ في الوسط بلا شغل. فضحكك من قوله، ثم سألتُه أن يُشَدَّنِي شيئاً من شعره، فأنشدني:

إنّ من لا أرى وليس يراني نضبَ عيني مُمَّثِّلُ بالأماني
بأبي من ضميره وضميري أبداً بالمغييبِ يتجيان
نحن شخصان إن نظرت ورؤحا ن إذا ما اخترت يمتزجان
فإذا ما هممت بالامر أو هـمّ بشيء بدائنه وبداني
كان وفقاً ما كان منه ومني فكانني حكيتُه وحكاني
خطرات الجفون مناسواء وسواء تحرك الأبدان

فسألتُه أن يحدثني بأسر يوم مرّ له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنّى مغنّ لنا بشعر قلته فيه فاستحسنه كلُّ من حضر، ثم تغنّى بغيره؛ فقال لي: عارضه؛ فقلت: بقبلة فقال: هي لك، فقبلته قبلة وقلت:

فديتُ من قال لي على خفسره وغضّ من جفنه على حوره:
سمّع بي^(١) شعرك المليح فما ينفك شاد به على وترة
حسبك بعض الذي أذعت ولا حسب لصب لم يقض من وطرة
/ وقلت يا مستعير سالفه الخفس فإ وحسن الفتور من نظرة
لا تُنكرن الحنين من طرب عاود فيك الصبا على كبره

[١٨٨/٧]

لاطفه غلام أبي عيسى فقال فيه شعراً:

حدثني الصولي وعلي بن العباس قالا حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال: كان حسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حين يشكو إليه ما به فلا يسمع به^(٢) ويكذّبه؛ ثم سكّن نفاره وضحك إليه وتحدّثا ساعة. فأنشدنا حسين قوله فيه:

سائل بطيفك عن ليلي وعن سهري وعن تتابع أنفاسي وعن فكري
لم يخلّ قلبي من ذكراك إذ نظرت عيني إليك على صخوي ولا سكري
سقياً ليوم سروري إذ تُنازعني صفو المدامة بين الأنس والحقر
وفضّل كأسك يأتيني فأشربه جَهراً وتشرب كأسي غير مستر
وكيف أُنمِّله لثمي وألزمه نحري وترفعه كفي إلى بصري

(١) في ب، س: «سمع بشعرك المليح إلخ...».

(٢) كذا في الأصول. ولعله: «فلا يسمع له».

فليت مدّة يومي إذ مضى سلفاً
كانت ومدّة أيامي على قدر
حتى إذا ما انطوت عنا بشاشته
صِرنا جميعاً كذا جارّين في الحُفَر

شعره في حادثة لصالح بن الرشيد مع غلام أخيه:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كان صالِح بن الرشيد يتعشّق غلاماً يسمّى يُسرّاً خادم أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدّه ولا يقي له. فأرسله أبو عيسى ذات يوم إلى صالِح أخيه / في السّحر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيْتُ أن أضطّيحَ اليوم، [١٨٩/٧] فبِحياتي لَمّا ساعدتني وصرت إليّ لنضطّيحَ اليوم جميعاً. فسار يُسرّاً إلى صالِح أخيه في السّحر / وهو مُتَشَبِّهٌ قد ^{١٩٣} شرب في السّحر، فأبلغه الرسالة؛ فقال: نعم وكرامة، اجلس أولاً فجلس؛ فقال: يا غلام أحضرنِي عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسرّ دَغْنِي من مواعيدك ومَطلّك، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي، وإلاّ فليس هاهنا إلا الغُصْب؛ فقال له: يا سيّدي؛ إني أقضي الحاجة ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوعه، فقضى حاجته، وأمر صالِح بحمل العذرة الآلاف درهم معه. قال الحسين: ثم خرج إليّ صالِح من خلّوته فقال: يا حسين، قد رأيت ما كنّا فيه، فإن حضرك شيء فقل: فقلت:

أَيَا مَنْ طَرَفَهُ سِخْرُ
وَمَنْ رِيْقُهُ خَمْرُ
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُ
كَ لَمَّا غَلَبَ الصَّبْرُ
وَمَا أَحْسَنَ فِي مِثْلِ
.. كَ أَنْ يَنْهَيْكَ الشُّرُ
وَأَنْ لَا مَنِِّي النَّاسِ
قَفِي وَجْهَكَ لِي عَذْرُ
فَدَغْنِي مِنْ مَوَاعِيدِ
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرُ
كَ إِذْ حَيَّكَ الْدَهْرُ
فَلَمَّا الْغُصْبُ وَاللَذْمُ
حُ أَوْ يَنْقُضِي الْأَمْرُ
وَلَوْ شِئْتُ تَيْسَّرْتُ
وَأَمَّا الْبَذْلُ وَالشُّكْرُ
وَكُنْ كَمَا سَمَّكَ لَا تَمُدْ
كَمَا سُمِّيتَ يَا يُسْرُ
فَلَا قُزْتُ بِحَظِّي مِنْ
عُكَ النَّخْوَةُ وَالْكِبْرُ
كَ إِنْ دَاعَ لَهُ ذَكْرُ

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لَعَمْرِي تيسّر يُسرّ كما ذكرت. فقلت: نعم ومن لا يتيسّر بعد أخذه الدّية!

لو أردتني أيضاً بهذا لتيسّرت. فضحك ثم قال: نُعطيك / يا حسين الدّية لحضورك ومساعدتك، ولا تُريدك لما أردنا [١٩٠/٧] له يُسرّاً، فبَسَّتِ المطيّة أنت؛ وأمر لي بها. ثم أمر عريب بعد ذلك فغنّت في بعض هذا الشعر.

شعره في غلام عبدالله بن العباس:

حدّثني عمي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنتُ عند عبدالله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع وهو مصطبيّ وخادمٌ له يَسْقِيهِ؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنْتُ سَقْيَ هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقل؛ فقلت:

و طاب يومي لقرب أشباهي	أخيت صَبُوحِي فكَاهةُ اللَّاهِي
من قبل يومٍ منقُصٍ ناهي	فاستبّر اللّهُوَ من مَكَامِنِه
مؤتزرٍ بالمُجُون تِكاه	بابنةٍ كَرَمٍ من كَفِّ مُنْقَطِقِ
سَقْيَ لَطِيفٍ مجرّبٍ داهي	يَسْقِيكَ من طَرَفِه ومن يده
حيرانٌ بين الذُّكُور والساهي	كأساً فكأساً كأن شاربها

قال: فاستحسنه عبدالله، وغنّى فيه لحناً مليحاً، وشرينا عليه بقيّة يومنا.

سكر فجمش يسراً فهذه بخنجره فقال شعراً:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادَةُ بن الفَيْض المَخْزُومِي قال حدّثني أبي قال:

خرج حسين بن / الضحّاك إلى القَفْصِ ^(١) متنزّهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاء. وبلغ يسراً الخادمَ خروجه، فشذّ في وسطه خنجرًا وخرج إليه فجاءه وهو على / غفلة؛ فسُرّبه حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان. فلما سكرًا جمّشه حسين؛ فأخرج خنجره عليه وعزّبه؛ فأمسك حسين وعاد إلى شرايه، وقال في ذلك:

وقد دَهَانِي بِحُسْنٍ مَنْظَرِهِ	جَمَشْتُ يُسْرًا عَلَى تَسْكُرِهِ
فسي ^(٢) كَرِيمٌ من خَيْرِ مَعْشَرِهِ	فَهَمَ بِالْفَنَكِ بِي فَنَاشَدِهِ
يُصُولُ فِي خِذْرِهِ بِزُورِهِ	يَا مَنْ رَأَى مِثْلَ شَادِنٍ خَنِثِ
وَوَارِدَاتِ ^(٣) مَنْ هُذِبَ مِنْزَرِهِ	يَسْحَبُ ذَيْلَ الْقَمِيصِ صَعْتَرَهُ ^(٤)
إِلَّا بِإِبْهَامِهِ وَخِنْصَرِهِ	وَلَا يُعَاطِي نَدِيمَهُ قَدْحًا
أَدَانِي ^(٥) اللّهُ مَنْ نَكَّبُورِهِ	أَخَافُ مَنْ كَبُرَ بِهِ بِوَادَرِهِ

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قرية من بغداد، وكانت من مواطن اللّهُ ومعاهد التّزه ومجالس الفرح، تنسب إليها الخُمُور الجيدة.

(٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فتى».

(٣) صعتّر الشيء: زينّه.

(٤) ووارِدَات: مسترسلات.

(٥) أدال الله فلاناً من فلان: جعل الكُرة له عليه.

قد قلت للشرب إذ بدا فضلاً^(١) في ريطتيه^(٢) وفي ممصيره
ونلي علي شادن توعدني بسئل ميكنيه وخنجيره
أما كفاه ما حَز في كبدي بسخر أجفانه ومخجيره^(٣)
إذا نسيم الرياح قابلنا بالطيب من مسكه وعنيره
هَز قواماً كأنه غُصْنُ وارْتَج ما انحط من مخصيره

شعر له في يسر:

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سَوَادَةُ بن الفَيْض قال حدثني أبي قال:

حضرت حسين بن الضحاک يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدث مَلِكاً ثم غازله حسينٌ، فقال له
يسر: إِيَّاكَ والتعرض لي، وارتبَح نفسك؛ فقال حسين:

الصوت

أيهما التفتأت في العَقْدِ أنا مطووي على الكَمَدِ
إنما زخرفت لي خُدَعاً قد حثت في الروح والجَسَدِ
هات يا خُدَّاعُ واحدةً من كثيرٍ قلتَه وقَدِي^(٤)
ليت شعري بعد خلفك لي بيوفاء العهد بعد غدِ
ما الذي بالله صيَّره بعد قرب في مَدَى الأبدِ
ما لأنس كان مُبتدلاً منك لي بالأمن لم يُعَدِ
إيه قُل لي غير مُحْتَشِمٍ هل دَعَانِي فيك من أحدِ
جَذا والكأسُ دائِرةٌ لهوُنَا والصَّيْدُ بالطَرْدِ
وحديث في القلوب له أَخَذَ^(٥) يَصْدَغْنَ في الكبدِ
يوم تُعْطِينِي وتأخذها دون نَذْمَانِي يَدَايِدِ
فلذا ألويت^(٦) هيَّجَنِي تَلْعُ من ظليمة البلدِ
وإذا أصعبت دُكْرَنِي نَشَرَ كافورٍ على بَرْدِ

(١) رجل فضل: يخالف بين طرفي ثوبه على عاتقه ويتوشحه.

(٢) الریطة: الملاءة ليست ذات لفقين. وثوب مصصر: مصبوغ بحمرة خفيفة.

(٣) محجر العين: ما دار بها وبدا من البرقع من جميع العين.

(٤) قدي: حسبي.

(٥) الأخذة: الرقية.

(٦) ألوى برأسه: أماله. والتلع: طول العنق.

١٩٥ / ذاك يومٌ كان حاسدُنَا فيه معذوراً على الحَسَدِ^(١)

قال شعراً للمعتصم بدير مران سكر عليه وغنى به المغنون:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبّي قال حدّثنا عمرو بن بانة قال:

[١٩٣/٧] خرجنا مع المعتصم إلى الشام لما غزا؛ فنزلنا في طريقنا بدير مران^(٢) - وهو دير على / تلعة^(٣) مشرفة عالية تحتها مروج^(٤) ومياه حسنة - فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا؛ فلما شربنا^(٥) أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعض الغياض والآجام هناك أحسن من هنا؛ قال: صدقت والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغنّ فيها عمرو؛ فقال: أما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به، ولكني أقول متشوقاً إلى بغداد: - فضحك وقال قل ما شئت -.

صوت

يا دَيْرَ مِذيان^(٦) لا عُرِّيتَ من سَكَنِ^(٧) هَيَّجَتْ لِي سَقَمًا يا دَيْرَ مِذيانَا
هل عند قَسْكَ من علم فيخبرنا أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر من بانا
حُتَّ المُدَامَ فإن الكأسَ مُثْرَعَةٌ متا يهيجُ دَوَاعِي الشوقِ أحيانَا
سَقِيًا ورغياً لكرخايا^(٨) وساكنها وللجُنيّة بالروحاء^(٩) مَنْ كانَا

[١٩٤/٧] / فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارِقاً فغنّينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر، وأمر للجماعة بجواز. لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل، ولحن مُخَارِقَ هَزَج، ويقال: إنه لغيره.

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «مفروراً على الجسد» وهو تحريف.

(٢) دير مران: بالقرب من دمشق، على تل في سفح قاسيون، وبنائه بالجص الأبيض، وأكثر فرشته بالبلاط الملون. («مسالك الأبصار» ج ١ ص ٣٥٣ طبع بولاق).

(٣) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري و«مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري. والتلعة: الرابية المرتفعة من الأرض. وفي الأصول: «قلعة» بالقفاء في أوله وهو تحريف.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «بروج» بالباء الموحدة.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «شرب».

(٦) كذا في كتاب «الديارات» للشابشتي و«معجم البلدان» لياقوت. وقال ياقوت لتأييد هذه الرواية: «وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مران وأنشده كذا (يا دير مران). والصواب ما كتب لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض...». وسياق الخبر يعزز ما قاله ياقوت، لأن الخليفة المعتصم طلب من ابن الضحّاك أن يقول شيئاً في الجهة التي نزلوا بها وهي دير مران فأجابه بقوله: «أما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أقول متشوقاً إلى بغداد...». ودير مديان: على نهر كرخايا قرب بغداد، وكان ديراً حسناً حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب. وفي جميع الأصول: «دير مران».

(٧) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري و«معجم ياقوت» و«مسالك الأبصار». وفي جميع الأصول: «سقم».

(٨) كذا في ياقوت و«كتاب الديارات» للشابشتي و«مسالك الأبصار». وكرخايا: نهر يشق من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية، ويشق الكرخ ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً وكان الماء فيه جارياً، ثم انقطعت جريته بالشوق التي انفتحت في الفرات. وفي الأصول: «كرخانا» بالنون وهو تصحيف.

(٩) الروحاء: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية.

عبث بخادم أبي عيسى فضربه فجفاه فقال شعراً:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد قال:

كان حسين بن الضحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد؛ فعَبِثَ به يوماً على سكر؛ فأخذ قَتِينَةً فضرب بها رأسه فشَجَّه شَجَّةً مُنْكَرَةً؛ وشاع خبره وتوجّع له إخوانه وعُولِجَ منها مدّة، فجفا^(١) الخادمَ وأطرحه وأبغضه ولم يَعرِضَ له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعَبِثَ^(٢) به الخادمُ وغازله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين:

صوت

تَعَسَّرَ يَاسٍ عَنْ هَوَايَ فإِنِّي إِذَا خُتِّمُ بِالْغَيْبِ وَدِي فَمَا لَكُمْ وَلِي مِنْكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مُدَمَّماً

الغناء في هذه الأبيات لعمر بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

هنا الواثق بالخلافة فأجازه:

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبدالله بن المؤمّل العسكريّ قال:

لَمَّا وَلِيَ الْوَائِقُ الْخَلَافَةَ جَلَسَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ الْمَهْشُونُ وَالشُّعْرَاءُ فَمَدَحُوهُ وَهَتَّوْهُ؛ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ بَعْدَهُمْ فِي الْإِنْشَادِ، وَكَانَ^(٣) مِنَ الْجُلَسَاءِ فَتَرَفَّعَ عَنِ الْإِنْشَادِ مَعَ الشُّعْرَاءِ، فَأَذِنَ لَهُ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

إِكْرَامِي وَجَدِي فَمَا يَنْكَرِي / بِمَنْ لَوْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ رَجَمِي
وَإِنِّي عَلَى حَسَنِ ظَنِّي بِهِ / لِأَخْذَرِ إِنْ بَخَسْتُ أَنْ يَخْتَشِيَنِي
وَلَسِي عِنْدَ لَحْظَتِهِ رَوْعَةً / تُحَقِّقُ مَسَاطِنَهُ الْمُتَوَهِّمِي
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ / مُحِبٌّ وَأَحْسَبُهُ قَدْ عَلِمَ

/ - وفي هذا رَمَلٌ لعبدالله بن العباس بن الرّبيع -:

وَإِنِّي لَمُغْضٍ عَلَى لَوْعَةٍ / مِنَ الشُّوقِ فِي كَيْدِي تَضْطَرِمِ
عَشِيَّةً وَدَعْتُ عَنْ مَقْلَةٍ / سَفْسُوحٍ وَزَفْسِرَةٍ قَلْبٍ سَدِيمِ^(٤)
فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ / سَوَى الْعَيْنِ تَمْزُجُ دَمْعاً بِدَمِ
سَيَذْكُرُ مَنْ بَانَ أَوْطَانُهُ / وَيَبْكِي الْمَقِيمِينَ مَنْ لَمْ يُقِمِ

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «فجفاه الخادم»، وهو تحريف.

(٢) كذا في ح. وفي ب، س: «عَبِثَ له» وفي أ، م: «عَبِثَ به»، وكلاهما تحريف.

(٣) كذا في «تجريد الألفاني». وفي الأصول: «وكانه».

(٤) السدم: الندم والحزن.

إلى خِزانِ الله في خَلْقِهِ
رحلتنا غرَابِيبَ^(١) زَفَافَةً
إذا ما قَصَدْنَا لِقَا طُورِهَا
سكناً إلى خير مسكونةٍ
مباركة شاد بنينها
كأن بها نَشَرَ كافورةٍ
كظهر الأديم إذا ما السحا
مُبراة من وُحُولِ الشتاء
/ فما إن يزال بها راجلٌ
وَيَمْشِي على رِشْلِهِ آمناً
وللنَّونِ^(٢) والضَّيْبِ في بطنها
غَدُوثٌ على السُّوحُشِ مَغْتَرَّةٌ
ورُحْتُ عليها وأسرارُها

[١٩٦/٧]

ثم قال يمدح الواصل:

يُضِيقُ الفضاءُ به إن غدا
تري النصرَ يقدِّمُ رايانه
وفي الله دُؤْخُ أعـداءه
وفي الله يكفِظُ من غيظه
رأى شَيْبَمَ الجودِ محموداً
فراح على «نَعَمٍ» واغتدى
قال: فأمر له الواصل بثلاثين ألف درهم، واتصلت أيامه بعد ذلك، ولم يزل من نُدَمائه.

أمره الواصل بأن يقول شعراً فأرتج عليه حيناً ثم قال:

حدَّثني أحمد بن العباس قال حدَّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدَّثني مهدي بن سابق قال:

(١) غرابيب: سود، الواحد غريب، والمراد بها السفن لأنها تظلي بالقار. والزفافة: السريعة.

(٢) القراقير: السفن الطويلة.

(٣) من أمم: من قريب.

(٤) النون: الحوت.

قال الواثق لحسين بن الضحاك: قل الساعة أبيتاً ملاحاً حتى أهَبَ لك شيئاً مليحاً؛ فقال: في أي معنى يا أمير المؤمنين؟ فقال: امدد طرْفَكَ وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه. فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق في نور الصبح؛ فأزجج علي ساعة حتى / خجلت وضيق ذرعاً. فقال لي الواثق: مالك ويحك! ^{١٩٧} ألسنت ترى نور صباح، ونور آفاق! فانفتح القول فقلت:

[١٩٧/٧]

/ ألسنت ترى الصبح قد أنفرا
وأسفرت الأرض عن حلّة
ووافاك نيسان^(١) فسي ورده
وتعمّل كأسين في فتية
يحث كؤوسهم مخطف
ترجل بالبان حتى إذا
وفضض في الجلنار^(٢) البها
فلما تمازج ما شذرث
فكل يُنافس في بره
ومُبكر الغيث قد أنطرا
تضاحك بالأحمر الأصفرا
وحثك في الشرب كي تنكرا
تطارد بالأصفر الأكبرا
تجاذب أردافه العنبرا
أدار غددائره وفرا
والآبنوسة^(٣) والعنبر^(٤) را
مقاريسض أطرافه شذرا
ليفعل في ذاته المنكرا

قال: فضحك الواثق وقال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة. ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال: قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا إليها، فشرب وطرب، وما ترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرته في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوت إليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلت في يومنا الماضي، فقد كان حسناً؛ فأنشدته:

شعره في حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق:

صوت

[١٩٨/٧]

يا حانة الشط قد أكرمت مشوانا
لا تفقدينا دُعابات الإمام ولا
ولا تحالغنّا في غير فاحشة
/ وماج زمر زنام^(٥) بين ذاك لنا
عودي بيوم سرور كالذي كانا
طيب البطالة إسراراً وإعلانا
إذا يطربنا الطنبور أحياناً
شجوا فأهدى لنا روحاً وزيحاناً

(١) نيسان: الشهر السابع من شهور السنة المسيحية.

(٢) الجلنار: زهر الرمان. والبهار: ثبت جعد له فقاخة صفراء تثبت أيام الربيع.

(٣) الآبنوسة: شرب من الخشب إذا وضع على جمر يخر بخاراً طيب الرائحة.

(٤) العنبر: الياسمين والترجمس. وفيه أ، هـ، م: «والعنبر».

(٥) زنام (وزان غراب): زمار حاذق، خدم كلاً من الرشيد والمعتصم والواثق. وهو الذي أحدث الناي في زمن المعتصم، فيقال ناي =

وَسَلَسَلَ الرَّطْلَ عَمْرَوْ ثُمَّ عَمَّ بِهِ الشُّشْقِيَا فَالْحَقَّ أُولَانَا بِأَخْرَانَا
 سَقِيَا لَشَكْلِكَ مِنْ شَكْلٍ خُصِمَتْ بِهِ دُونَ الدَّسَاكِرِ مِنْ لَذَاتِ دُنْيَانَا
 حَقَّتْ رِيَاضُكَ جَنَاتٌ مَجَاوِرَةٌ فِي كُلِّ مُخْتَرَقٍ نَهْرًا وَيَسْتَانَا
 لَا زَلَّتْ أَهْلَةُ الْأَوْطَانِ عَامِرَةٌ بِأَكْرَمِ النَّاسِ أَغْرَاقًا وَأَغْصَانَا
 قال: فأمر له الواصل بصلة سنّية مجدّدة، واستحسن الصوت، وأمر فغنى في عدّة أبيات منها. غنّت فريدة في
 البيتين الأولين من هذه الأبيات، ولحنها مزج مطلق.

خاصم أبا شهاب ولا حاه:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: اجتمعنا أنا وحسين بن الضحّاك وأبو شهاب الشاعر
 وهو الذي يقول:

لَقَدْ كُنْتُ رِيحَانَةً فِي التَّيْدِي وَتَفَاحَةً فِي يَدِ الْكَاعِبِ
 وعمر بن بانة يُغَنِّيها - فتذاكرنا الدّوّاب، واتّصل الحديث إلى أن تلاحي حسين وأبو شهاب / في دأبتيهما
 وتراهنّا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبّقه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كُلُّوا وَاشْرَبُوا هُنْتُكُمْ وَتَمَتُّعُوا وَعِشُوا وَذَمُّوا الْكَوْذَيْنِ^(١) جَمِيعَا
 فَأَقْسَمَ مَا كَانَ الَّذِي نَالَ مِنْهُمَا مَدَى السَّبْقِ إِذْ جَدَّ الْجِرَاءُ سَرِيعَا

/ وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه: [١٩٩/٧]

أَيَا شَاعِرِ الْخُضْيَانِ حَاوَلْتَ خُطَّةً سُبِقَتْ إِلَيْهَا وَانْكَفَأَتْ سَرِيعَا
 تُحَاوِلُ سَبْقِي بِالْقَرِيبِ سَفَاهَةً لَقَدْ رَمَتْ - جَهْلًا - مِنْ حِمَايَ مَنِيْعَا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سبب التّباعّد بينهما. وكنا إذا أردنا العبث بحسين نقول له: أيا شاعر الخُضْيَانِ،
 فَيُجَنِّ وَيَشْتُمُنَا.

قصته مع أحد جند الشام وإيقاعه بينه وبين عشيقته:

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال: كان يألّفني إنسانٌ من جُندِ الشّام
 عجيب الخِلقة والزّي والشكل غليظٌ جَلُفٌ جافٍ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّهُ له ويكون حظّي التّعجّب به، وكان يأتيني
 بكتب من عشيقته له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكّل من معانيها، ويسألني أن أُجيب عنها؛

= زَنَامِي، وقول العامة: «نأي زلامي» باللام تحريف. وزنام في الناي وبنان في العود كلاهما منقطع النظير في طبقته، فإذا اجتمعا
 على الضرب والزم أحسن وأعجباً رقة. قال البحتري:

هَلْ الْعِيشُ إِلَّا مَسَاءُ كَرَمٍ مَصْفُوقٍ يَرْقُرُقُهُ فِي الْكَأْسِ مَاءُ غَمَامٍ
 وَعُودُ بَنَانٍ حِينَ سَاعِدِ شَدْوِهِ عَلَى نَغَمِ الْأَلْحَانِ نَائِي زَنَامٍ

(مختصر عن «القاموس» و«شرح» مادة زنم).

(١) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضاً الثقليل والبليد. وفي ب، س: «الكودتين» بالناء المثناة من فوق، وهو تصحيف.

فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي^(١) بأن الشاميّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها. فسألته عن اسمها فقال: «بضَبَص». فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به:

أزَقَصْنِي جُبُّكَ يَا بَضْبَصُ والحبُّ يَا مَيْدَتِي يُسْرِقُصُ
أَرَمَضْتَ أَجْفَانِي^(٢) بِطَوْلِ الْبِكَاءِ فما لأجفانك لا تَرْمَصُ
وابأبِي وجهُكَ ذاك الذي كأنه من حسنه عُصْصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا عليّ، جعلني الله فداءك، ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إليّ: إني مشتاقة إليك، والكتاب لا ينوب عن الرؤية، فتعال إلى الروشن^(٣) الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بِحِياَلِه حتى أراك؛ فترينت بأحسن / ما قدرْتُ عليه وصرْتُ إلى الموضع. فبينما أنا واقِفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صُبَّ عليّ فملأني من [٢٠٠/٧] قَرْنِي إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والتَّنّ والقَدَر، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجِين^(٤)، فانصرفتُ بِخَزْيٍ. وكان ما مرَّ بي من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضحك والطنز^(٥) والصياح بي أغلظَ ممّا مرَّ بي؛ ولحقني من أهلي ومَن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجع. وأعظّم من ذلك أن رُسُلها انقطعت عني جملة. قال: فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له: إن الآفةَ أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسرُّ السّماتةَ به.

دعاه الحسن بن رجاء ودعاه ابن بسخر فذهب له واعتذر للحسن:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال:

كتب إليّ الحسن بن رجاء في يوم شكّ وقد أمر الوائق بالإفطار، فقال:

١٩٩ / هَزَزْتُكَ لِلصَّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّيَامِ
وعندي من قِيَانِ المَصْرَعِ عَشْرُ تَطْيِيبٍ بِهِنَّ عَاتِقَةَ الْمُدَامِ
ومن أمثالهن إذا انتشينا نَرَانَا نَجْتَنِي ثَمَرَ الْغَرَامِ
فكن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبُّ إليّ من حذفِ الكلامِ

قال: فوردت عليّ رقعته وقد سبقه إليّ محمد بن الحارث بن بُسْحَنَر ووجه إليّ بغلام نظيف الوجه كان يتَحَفَّاه، ومعه ثلاثة غلّمة أقران^(٦) حسان الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إليّ كما تُكتب المناشير، وختّمها في أسفلها وكتب فيها يقول:

(١) في الأصول: «على أن علمي... إلخ».

(٢) الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع في الموق.

(٣) الروشن: النافذة.

(٤) السرجين: الزبل الذي تدمل به الأرض.

(٥) الطنز: السخرية.

(٦) أقران: نظراء، واحده قرن (بالكسر).

سِرْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَا أَشَدَّ / فَأَشْخِصْ^(١) الْكَهْلَ إِلَى مَوَ
فِي ثَلَاثٍ مِنْ بَنِي الرُّو / أَرَهُ الْعُنْطُفَ إِذَا اسْتَعَمَ
كُلَّ مَنْ غَصَنَ لُجَيْنَ / وَدَعِ اللَّفْظَ وَخَطَّاطِ
مِ إِلَى دَارِ حَسِيٍّ / وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْ
لَاكَ يَا قُرَّةَ عَيْنِي / وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْ
صَلَى وَطَسَّالِيهِ بِذَيْنِ / وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْ
بِهِ بَغْمَزِ الْحَاجِيَّتَيْنِ / وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْ
هَكَ فَنِي خُفِّي حَيْنِ / وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْ

[٢٠١/٧]

قال: فمضيت معهم، وكتبتُ إلى الحسن بن رجاء جواب رقعة:

دَعَوْتُ إِلَى مَاحِكَةِ الصَّيَامِ / وَأَعْمَالِ الْمَلَاهِي وَالْمُتَدَامِ
وَلَوْ سَبَقَ الرَّسُولُ لَكَانَ سَعِي / إِلَيْكَ يَنْوِبُ عَنْ طَوْلِ الْكَلَامِ
وَمَا شَوْقِي إِلَيْكَ بِدُونِ شَوْقِي / إِلَى ثَمَرِ^(٢) النَّصَابِي وَالْغَرَامِ
وَلَكِنْ حَلَّ فِي نَفَرِ عَسُوفٍ / بِمَنْشُورٍ مَحَلِّ الْمُسْتَهَامِ
حَسِينٍ، فَاسْتَبَاحَ لَهُ حَرِيمًا / بِطَرْفِ بَسَاعَتٍ سَبَبِ الْحِمَامِ
وَأَظْهَرَ نَخْوَةً وَسَطًا وَأَبْدَى / قَطَّاطَتَهُ بِتَسْرِكِ السَّلَامِ
وَأَزْعَجَنِي بِالْفَظِ غِلَاطٍ / وَقَدْ أَعْطَيْتُهُ طَرْقِي زِمَامِي
وَلَوْ خَالَفْتُهُ لَمْ يَخْشَ قَتْلِي / وَقَتْنِي سَرِيعًا بِالْحُسَامِ

لاعب الوراق بالنرد وغازل خافان خادمه فقال شعراً:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أبي قال:

كان الوراق يلاعب حسين بن الضحّاك بالنرد وخافان غلام الوراق واقف على رأسه، وكان الوراق يتحفظ، فجعل يلعب وينظر إليه. ثم قال للحسين بن الضحّاك: إن قلت الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرح به. فقال الحسين:

/ صوت

[٢٠٢/٧]

أَحْبَبْتُكَ حُبًّا شَابَهُ بِنَصِيحَةٍ / أَبْ لَكَ مَأْمُونٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
وَأَقْسَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ قُرْبَةً / وَلَكِنْ قَلْبِي بِالْحَسَنِ^(٣) عَلُوقُ

فضحك الوراق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسن. وصنع الوراق فيه لحنًا، وأمر لحسين بالفي دينار. لحن الوراق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطى.

(١) وصلت همزة القطع هنا لضروة الشعر.

(٢) كذا في أ، م، م. وفي سائر الأصول: «زمن النصابي».

(٣) في ح: بالجمال.

فضل نفسه على أبي نواس فردّه أحمد بن خلاد:

أخبرني الحسن / بن عليّ الخفاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاد قال: $\frac{201}{4}$ أنشدني حسين بن الضحاك لنفسه:

بُذِلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءِ
حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من المُحدّثين مثلاً. فقلت: أنت تحوم حول أبي نواس في قوله:

دَغْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوَنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
وهي أشعر من قصيدتك. فغضب وقال: ألي تقول هذا! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكْتُ أبا نواس! فقلت له: دع ذا عنك، فإنه كلام في الشعر لا قَدْحُ في نسب، لو نِكْتُ أبا نواس وأُمَّه وأباه لم تكن أشعر منه. وأجبت أن تقول لي: هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غير قولك:

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي عَيْنِ مَرَّهَاءِ
وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابِيهِمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
/ صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لَوَمَّهَا حَجَرٌ مَسْتَه سَرَاءُ
فَأَرْسَلْتُ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيقِ صَافِيَةً كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَقْلِ إِغْفَاءُ
والله ما قدرت على هذا ولا تقدّر عليه؛ فقام وهو مغضب كالمُفِرِّ بقولي.

تحاكم هو وأبو نواس إلى ابن مناذر فحكم له:

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبر قال حدّثني أحمد بن المعتصم قال: خرج أبو نواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما: قول أبي نواس:
دَغْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوَنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
وقصيدة حسين:

* بُذِلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ *

فتنازعا أيهما أشعر في قصيدته؛ فقال أبو نواس: هذا ابن مُناذر^(١) حاضر الموسم وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها؛ فقال ابن مُناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهمّ بتفضيله؛ فقال له الحسين: لا تُعْجَلْ حتى تسمع؛ فقال: هات؛ فأنشده قوله:

بُذِلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءِ

(١) انظر الحاشية، رقم ١ ص ٩٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

حتى انتهى إلى قوله:

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي عَيْنِ مَرْهَاءٍ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَنَازِرٍ: حَسْبُكَ، قَدْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَنْ تَزِيدَ شَيْئاً، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَقُلْ فِي دَهْرِكَ كُلَّهُ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ
لَفُضِّلَتْكَ بِهِ عَلَى سَائِرِ مَنْ وَصَفَ الْخَمْرَ؛ قَدْ فَانَتْ أَشْعَرُ وَقَصِيدَتُكَ أَفْضَلُ. فَحُكِمَ لَهُ وَقَامَ أَبُو نُوَاسٍ مِنْكَسِراً.
[٢٠٤/٧] / قَالَ شِعْرُ أَكْثَرِ بَنِي إِسْمَاعِيلِ اسْتَرْضَى بِهِ الْمَعْتَصِمَ:

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
التَّحْتَكَارِ قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ الْمَعْتَصِمُ بَغْدَادَ، سَأَلَ عَنْ نَدْمَاءٍ صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ وَهَمَّ أَبُو الْوَاسِعِ وَقَيْنَةُ وَحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ وَحَاتِمُ
الرَّيْشِ وَأَنَا، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ. فَلَشُّومِي وَشَقَائِي كَتَبَتْ بَيْنَ عَيْنَيْ: «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً». فَلَمَّا رَأَى / قَالَ: مَا هَذَا عَلَى
جَبِينِكَ؟ فَقَالَ حَمْدُونُ^(١) بَنِي إِسْمَاعِيلِ: يَا سَيِّدِي تَطَايَبَ بَأَنْ كَتَبَ عَلَى جَبِينِهِ: «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً». فَلَمْ يَسْتَطِبْ
لِي ذَلِكَ وَلَا اسْتَمْلَحَهُ، وَدَعَا بِأَصْحَابِي مِنْ غَدٍ وَلَمْ يَدْعُ بِي. فَفَزِعْتُ إِلَى حُسَيْنِ بْنِ الضُّحَّاكِ؛ فَقَالَ لِي: إِنِّي لَمْ
أَخْلُ مِنْ أَنْسِهِ بَعْدُ بِالمَحَلِّ الْمَوْجِبِ أَنْ أَشْفَعَ إِلَيْهِ فَيْكَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ وَادْفَعُهُمَا إِلَى حَمْدُونِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ يُوَصِّلُهُمَا، فَإِنْ ذَلِكَ أَبْلَغُ. فَقُلْتُ: أَفْعَلُ. فَقَالَ حُسَيْنُ:

قُلْ لَدُنِّيَا أَصْبَحْتُ تَلْعَبُ بِي سُلْطَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ الْآخِرَةَ

إِنْ أَكُنْ أَبْرَدَ مِنْ قَيْنَتِي وَمِنْ الرَّيْشِ فَأَمِّي فَاجِرَةَ

قَالَ: فَأَخَذْتُهُمَا وَعَرَفْتُ حَمْدُونَ أَنَّهُمَا لِي وَسَأَلْتَهُ إِصْبَالَهُمَا فَفَعَلَ؛ فَضَحَكَ الْمَعْتَصِمُ وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِي دِينَارٍ
وَاسْتَحْضَرَنِي وَالْحَقَنِي بِأَصْحَابِي.

كَانَ ابْنُ بَسْخَرٍ يَكْرَهُ الصُّبُوحَ فَقَالَ فِيهِ شِعْراً:

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ قَالَ لِي أَحْمَدُ^(٢) بْنُ حَمْدُونِ:

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ بُسْخَرٍ لَا يَرَى الصُّبُوحَ وَلَا يُؤْثِرُ عَلَى الْغُبُوقِ شَيْئاً، وَيَحْتَجُّ بِأَنْ مِنْ خِدْمِ الْخُلَفَاءِ
[٢٠٥/٧] كَانَ اصْطِبَاحُهُ اسْتِخْفَافاً بِالْخِدْمَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ / يُدْعَى عَلَى غَفْلَةٍ وَالْغُبُوقُ يُؤْمَنُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْمَعْتَصِمُ يَحِبُّ
الصُّبُوحَ؛ فَكَانَ يُلقَّبُ ابْنَ بُسْخَرٍ الْغُبُوقِيَّ. فَإِذَا حَضَرَ مَجْلِسَ الْمَعْتَصِمِ مَعَ الْمَغْنِيِّينَ مَنَعَهُ الصُّبُوحَ وَجَمَعَ لَهُ مِثْلَ مَا
يَشْرَبُ نَظَرَاؤُهُ، فَإِذَا كَانَ الْغُبُوقُ سَقَاهُ إِيَّاهُ جَمْلَةً غِيظاً عَلَيْهِ؛ فَيَضِجُ^(٣) مِنْ ذَلِكَ وَيَسْأَلُ أَنْ يُتْرَكَ حَتَّى يَشْرَبَ مَعَ
النَّدْمَاءِ إِذَا حَضَرُوا^(٤) فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ. فَقَالَ فِيهِ حُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ وَفِي حَاتِمِ الرَّيْشِ الضَّرَّاطِ وَكَانَ مِنَ الْمُضْحَكِينَ:

حُبِّ أَبِي جَعْفَرٍ لِلْغُبُوقِ كَقُبْحِكَ يَا حَاتِمَ مُقْبِلًا

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب. وهو أول من نادى [الخلفاء] من أهله. (عن «فهرست ابن النديم».)

(٢) هو أحمد بن حمدون بن إسماعيل راوية إخباري روى عن العدوي، له من الكتب «كتاب الندماء والجلساء». (عن «فهرست ابن النديم».)

(٣) في ب، س، ح: «فيصبح».

(٤) في الأصول: «حضر».

فلا ذاك يُعَذِّرُ في فعله وحقك في الناس أن تُقتلَا
وأشبهه شيء بما اختاره ضراطك دون الخلا في المَلَا

استعطف أبا أحمد بن الرشيد وكان قد غضب عليه :

حدّثني محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٍ قال حدّثنا محمد بن علي بن حمزة قال :

مَرَحَ أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مُزَاحاً أغضبه، فجأوبه حسين جواباً غَضِبَ منه أبو أحمد أيضاً. فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف؛ فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثَقَلًا في طَرَفِهِ وانقباضاً عما كان يعهده منه؛ فقال في ذلك :

لا تَعَجَّبَنَّ لَمَلَةٍ صَرَفَتْ وجة الأمير فإِنَّه بِشَرِّ
وإذا نبأ بك في سَرِيرَتِهِ عَقْدُ الضمير نبأ بك البَصَرُ

حكى للنشار صحبته للأمين وإكرامه له :

حدّثني الصُّورِيُّ قال حدّثني أبو محمد بن النشار قال :

كان أبي صديقاً للحسين بن الضحّاك وكان يعاشره؛ فحملني معه يوماً إليه، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له : يا أبا علي، قد تأخّرت أرزاقك وانقطعت موادك ونفقتك كثيرة، فكيف يمشي أمرك؟ فقال له : بلى والله يا أخي، ما قِوامُ أمري إلا ببقايا هِباتِ الأمين محمد بن زُبَيْدَة وذخائره وهِباتِ جارية له - لم يُسمّها - / أغتني للأبد لشيء [٢٠٦/٧] ظريف جرى على غير تعدّد؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي : يا حسين، إن جليست الرجل عشيرة وثقتُه وموضع سرّه وأمنه، وإن جاريتي فلانة أحسنُ الناس / وجهاً وغناء، وهي مثي بمحل نفسي، وقد كدّرت عليّ ٢٠٢ صفوها ونقصت عليّ النعمة فيها بعُجْبها بنفسها وتجنّيتها^(١) عليّ وإدلالها بما تعلم من حبي إياها. وإنّي مُحْضِرُها ومحضِرُ صاحبة لها ليست منها في شيء لتغني معها. فإذا غنّت وأومات لك إليها - على أن أمرها أبين من أن يخفى عليك - فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه؛ وإذا غنّت الأخرى فاشرب واطرب واستحسن واشقق ثيابك، وعليّ مكان كل ثوب مائة ثوب. فقلت : السمع والطاعة. فجلس في حُجرة الخُلوة وأحضرنِي وسقاني وخلع عليّ، وغنّت المحسنة وقد أخذ الشراب مني، فما تمالكْتُ أن استحسنْتُ وطربْتُ وشربتُ، فأوماً إليّ وقطّب في وجهي. ثم غنّت الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله. ثم غنّت المحسنة ثانية فأتت بما لم أسمع مثله قطّ حُسناً، فما ملكْتُ نفسي أن صحت وشربت وطربت، وهو ينظر إليّ ويَعْصُ شفتيه غيظاً، وقد زال عقلي فما أفكر فيه، حتى فعلتُ ذلك مراراً؛ وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره؛ فغضب فامضني وأمر بجرّ رجلي من بين يديه وصرفني فجُرّرتُ وصُرِفْتُ، فأمر بأن أُحْجَبَ. وجاءني الناس يتوجعون لي ويسألوني عن قصتي فأقول لهم : حمل عليّ النبيذ فأسأتُ أدبي، فقوّمني أمير المؤمنين بصرفي وعاقبني بمنعي من الوصول إليه. ومضى ليما أنا فيه شهرٌ، ثم جاءني الإشارةُ أنّه قد رضي عني، وأمر بإحضاري فحضرتُ وأنا خائف. فلما وصلتُ أعطاني الأمين يده فقبلتها، وضحك إليّ وقام وقال : اتبعني، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري. وغنّت المحسنة التي نالني من أجلها ما

(١) في حد : «وتسحبها» والتسحب : التدلل.

[٢٠٧/٧] نالني فسكت^(١) / فقال لي: قُلْ ما شئت ولا تَخَفْ؛ فشريت واستحسنْتُ. ثم قال لي: يا حسين، لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب فيه. إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أريد منها ورضيت كل أفعالها؛ فأذكرني بك وسألني الرضا عنك والاختصاص لك؛ وقد فعلت ووصلت بك عشرة آلاف دينار، ووصلت لك هي بدون ذلك. والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إلي لأجبتها. فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه، وزدت في الاستحسان والسرور إلى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معي المال. فما كان يمضي أسبوع إلا وصلاتها وألطاؤها تصل إلي من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلا سألته أن يصلني. فكل شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما دخرت من صلاتها. قال ابن النشار: فقال له أبي: ما سمعت بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب مما وفقه الله لك فيه.

هنا الأمين يظفر جيشه بظاهر بن الحسين:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال:

دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأمين بعقب وقعة أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر^(٢) فهزموهم وفضحوهم؛ فهتأ بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أَمِينُ اللَّهِ يُنْقِ بِاللَّهِ	تُعْطِ الْعِزَّ وَالنُّصْرَةَ
كُلُّ الْأُمْرِ إِلَى اللَّهِ	كَلَّاكَ ^(٣) اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ
/ لَنَا النَّصْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ	وَالْكِرَّةُ لَا ^(٤) الْفَرَةَ
/ وَلِلْمُتَرَّاقِ أَعْدَاكُ	كَ يَوْمِ السَّوْءِ وَالذُّبْرِ ^(٥)
وَكَأْسُ تُورِدِ الْمَوْتَ	كَرِيهَ طَعْمُهَا مُرَّ
مَقْشُونَا وَسَقِينَاهُمْ	فَكَانَتْ بِهِمْ الْحَرَّةُ
كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَاناً	عَلَيْنَا وَلَنَا مَرَّ

٢٠٣
٧

[٢٠٨/٧]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُشده.

عابه الأمين وركب ظهره:

حدثني الصُّولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال:

قال لي الحسين بن الضحّاك: شربنا يوماً مع الأمين في بستان، فسقانا على الرقيق، وجدنا في الشرب، وتحرز من أن نذوق شيئاً. فاشتد الأمر علي، وقمت لأبول، فأعطيت خادماً ألف درهم على أن يجعل لي

(١) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «فسكنت» بالنون.

(٢) هو طاهر بن الحسين أحد دعاة المأمون وأكبر قواده، وهو الذي حاصر محمداً الأمين وظفر به وقتله.

(٣) كلاك الله: حفظك، سهلت همزته.

(٤) كذا في حد وهو المناسب للمقام. وفي سائر الأصول: «والكرة والفرة».

(٥) الدبرة: الهزيمة في القتال.

تحت شجرة أومات إليها رُقاقة فيها لحم، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد فقال: من يكون منكم حماري؟ فكل واحد منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحد منا عبكاً ثم يصله؛ ثم قال: يا حسين، أنت أضلُّ^(١) القوم. فركبني وجعل يطوف وأنا أعِدُّ به عن الشجرة وهو يمرُّ بي إليها حتى صار تحتها، فرأى الرُقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري، وقال: هذه جُعِلَتْ لبعضكم؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء. فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما يُمسك رَمَقِي ولم يصلني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

وَمُطْعِمُ الصَّيْدِ يَوْمَ الصَّيْدِ مَطْعَمَهُ أَسَى تَوَجُّهَ وَالْمَحْرُومَ مُحْرُومَ

أحب جارية لأم جعفر ووسط عاصماً الغساني في استيهاها فأبت فقال شعراً:

حدَّثني علي بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد التَّحَوِّي المبرِّد قال: كان حسين بن الضحاك الأشقر، وهو الخليل، يهوى جارية لأم جعفر، وكانت / من أجمل الجواري، وكان لها صُذْغَانِ مُعَقَّرَانِ، وكانت [٢٠٩/٧] تخرج إليه إذا جاء فتقول له: ما قلتَ فينا؟ أنشدنا منه شيئاً؛ فيُخرج إليها الصحيفة، فتقول له: اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة. فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدحه سَلَمَ الخاسر وكان مكيئاً عند أم جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبت عليه أم جعفر؛ فوجَّه إلى الخليل بألف دينار وقال: خذ هذا الألف؛ فقد جَهِدْتُ الجَهِدَ كُلَّهُ فيها فلم تُمكنني حيلة. فقال الحسين في ذلك:

رَمَتْكَ غَدَاةُ السَّبْتِ شَمْسٌ مِنَ الْخُلْدِ^(٢) بِسَهْمِ الْهَوَى عَمْدًا وَمَوْتُكَ فِي الْعَمْدِ
مُؤَزَّرَةُ السَّرْبَالِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا غُلَامِيَّةُ التَّقْطِيعِ شَاطِرَةٌ^(٣) الْقَدِ
مُحَاوَاةُ الْأَطْرَافِ رُؤْدُ شَبَابِهَا مُعَقَّرِيَّةُ الصُّذْغَيْنِ كَاذِبَةُ الْوَعْدِ
أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَزَفَرَةٍ وَقَدْ شَخَّصْتُ عَيْنِي وَدَمْعِي عَلَى الْخَذِ
أَجِيزِي عَلَى مَنْ قَدْ تَرَكْتَ فَوَادَهُ بِلِحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأَشُّفِ وَالْجَهْدِ
فَقَالَتْ عَذَابُ الْهَوَى مَعَ قَرِيبِكُمْ وَمَوْتُ إِذَا أَقْرَحْتُ^(٤) قَلْبَكَ بِالْبَعْدِ
لَقَدْ فَطَنْتَ لِلْجُورِ فِطْنَةً عَاصِمٍ لَصْنُحِ الْأَيْدِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
سَأَشْكُوكَ فِي الْأَشْعَارِ غَيْرَ مُقْصِرٍ إِلَى عَاصِمٍ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ
/ لَعَلَّ فِتْنَى غَنَانٍ يَجْمَعُ بَيْنَنَا فَيَأْمَنَ قَلْبِي مِنْكُمْ رَوْعَةَ الصَّدِ

أقطع المعتصم الناس دوراً دونه فقال شعراً:

حدَّثني محمد بن خَلْفٍ وَكَيْعٍ قال حدَّثني هارون بن مُخَارِقٍ قال:

(١) كذا في حـ والأضلع: الشديد القوي الأضلاع. وفي سائر الأصول: «أطلع القوم» بالطاء المعجمة، وهو تحريف.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٧٠ من هذا الجزء.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء.

(٤) في الأصول: «أقدحت» بالبدال المهملة، والذي في كتب اللغة قدح الثلاثي. فلعلها محرفة عما أثبتناه.

أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسرٍّ من رأى وأعطاهم النفقاتَ لبنائها، ولم يقطع الحسين بن الضحَّاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

[٢١٠/٧] / يا أمينَ الله لا خِطَّةَ^(١) لي
أنا في ذهياءٍ من مظلمةٍ
صعبةٍ المسالك يرتاع لها
بؤني^(٢) منك كما بؤأنهم
أبتني فيها لنفسي موطناً
لم يزل منك قريباً مسكني
كلُّ من قرَّبته مُغتبطٌ^(٣)
قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينارٍ لنفقته عليها.

حاز شعراً لأبي العتاهية:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن الضحَّاك قال:
كنتُ أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شج على ابنٍ لها. فقال أبو العتاهية:
أما تنفك باكيةً بعين غزيرٍ دمعتها كيمد حشاها
أجز يا حسين؟ فقلت:

تسادي حفرةً أغيت جواباً فقد ولَّهت^(٤) وصم بها صداها^(٥)

[٢١١/٧] / نصحه أبو العتاهية بالآ يرنى الأمين فاطاعه:

حدثني الصُّولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني الحسين بن الضحَّاك قال:
كنتُ عازماً على أن أرتي الأمين^(٦) بلساني كله وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا
إليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيق بأن ترثيه، إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهُّف
عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثلباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك؛ فأبقي
على نفسك؛ يا وئحك! أنتجسر على أن تقول:

(١) الخطة: المكان المختط لعمارة وغيرها، وهي أيضاً أرض يختطها الرجل لم تكن لأحد قبله.

(٢) بؤني: أصلها «بؤني»، سهلت الهمزة فصارت ياء ثم حذفت لصيغة الأمر.

(٣) يقال: فلان مغتبط (بكسر الباء) إذا كان في نعمة، ومغتبط (بفتح الباء) إذا اغتبطه الغير على نعمة وتمنى أن يكون مثله.

(٤) الوله: الحزن أو ذهاب العقل لفقدان الحبيب.

(٥) الصدى: الصوت الذي يردده الجبل إذا رفع فيه الإنسان صوته. وصمم الصدى كناية عن الهلاك، يقال: أصم الله صدها إذا أهلكه، وصم صدها. قال امرؤ القيس:

واستعجمت عن منطق السائل

صمم صدها وعفا رسمها

(٦) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «الأمير» وهو تحريف.

تركسوا حريمهم أبيهم نَقَلًا^(١) والمُخَصَّنَاتُ صِوَارِخُ هُتُفٍ
 هيهاتَ بعدك أن يدومَ لهم عزٌّ وأن يلقى لهم شَرَفُ
 أَكْفَفُ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرط منك . فعِلِمْتُ أنه قد نصّحتني فجزيتُه الخيرَ، وقطعتُ
 القولَ فنجوتُ برأيه وما كذتُ أن أنجو .

أعرض عنه فتى جميل فقال فيه شعراً:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني أبو العَيناء قال:

وقف علينا حسين بن الضحّاك ومعنا فتى جالسٌ من أولاد الموالى جميلُ الوجه، فحادّثنا طويلاً وجعل يُقبلُ
 على الفتى بحديثه والفتى مُغرَضٌ عنه حتى طال ذلك؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال:

تَيَّبه علينا أن رُزِقْتَ مَلاحَةً فَمَهَلًا علينا بعضَ تيهك يا بدرُ
 / لقد طالما كنّا مَلاحاً وربما صَدَدْنَا وتَهَنّا ثم غَيَّرنا الدهر
 وقام فانصرف .

/ هربد في مجلس الأمين فغضب عليه ثم استرضاه بشعر فرضي عنه:

أخبرني الحسن بن^(٢) القاسم الكوفي قال حدّثني ابن عَجَلان قال:

غنى بعضُ المغنّين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحّاك، وهو:

صوت

الَسَتْ تَرى دِيمَةً تَهْطِلُ وهذا صبا حُك مُسْتَقْبَلُ
 وهذي العُقَّار وقد راعنا بطلعتنه الشَّادُنُ الأَكْحَسَلُ
 فعادَ به ويناسكُرة تَهوُّنُ مَكْرُوه ما نَسألُ
 فلاني رأيتُ له نظرة^(٣) تخبِّرنا أنه يفعل

قال: فأمر بإحضار حسين فأخضر، وقد كان محمد شربَ أرطالاً. فلما مثل بين يديه أمر فسُقِّي ثلاثة أرطالٍ،
 فلم يَسْتَوْفها الحسينُ حتى غلبه السكر وقَذَفَ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمِلَ. فلما أفاق كتب إليه:

إذا كنتُ في عَضْبَةٍ من المَعْشَرِ الأَخْيَبِ
 ولسم يَكُ لِي مُسْعِدٌ نديمٌ سوى جُعْدُبِ

(١) النفل: الغنيمة.

(٢) ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول. وقد بحثنا عنه فيمن روى عنهم صاحب «الأغاني» فلم نجده. ولعل صوابه الحسين بن القاسم الكوكبي الكاتب. وكان صاحب «أخبار وأدب»، توفي سنة ٣٢٧ هـ. وقد تكررت رواية المؤلف عنه كثيراً.

(٣) كذا في أ، م. وفيما سبق في جميع الأصول في هذه الترجمة. وفي سائر الأصول هنا: «طرة» وهو تحريف.

فَأَشْرَبْتُ مِنْ رَمْلَةٍ^(١) وَأَسْهَرْتُ مِنْ قُطْرُبٍ^(٢)
 وَلَمَّا حَبَانِي الزُّمَّا نَادَيْتُ بِدَرِّ السَّمَاءِ
 / أَبَيْتُ لِي غُضُوضِيَّي^(٣) فَاكْرَنْتَنِي مَرَعَاً
 كَذَا النَّذْلُ يَنْبُوبُ بِهِ قَالَ: فَرَدَّه إِلَى مَنَادِمَتِهِ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَصَلَّتْهُ.

[٢١٣/٧]

شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد:

أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون: أن الحسين بن الضحاك أنشده -
 وقد عاتبه خادماً^(٤) من خُدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن
 بانه؛ فقال حسين فيه :-

فَدَيْتُ مَنْ قَالَ لِي عَلَى خَفَرَةٍ وَغَضُّ جَفْنَيْهِ عَلَى حَوْرَةٍ
 سَمِعَ بِي شَعْرُكَ الْمَلِيحَ فَمَا يَنْفِكَ شَادِبُهُ عَلَى وَتَرِهِ
 فَقُلْتُ يَا مُسْتَعِيرَ سَالِفَةِ الْخَشَفِ وَحَسَنِ الْفَتُورِ مَنْ نَظَّرَهُ
 لَا تُنْكَرَنَّ الْحَيْنَ مَنْ طَرِبَ عَاوَدَ فِيكَ الصُّبَا عَلَى كِبَرِهِ
 وَغَنَى فِيهِ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ هَزَجاً مُطْلَقاً.

كتب شعراً على قبر أبي نواس:

أخبرني الكوكبي قال حدثني أبو سهل بن نوبخت^(٥) عن عمرو بن بانه قال:

لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحاك على قبره:

كَابَرْنِيكَ الزَّمَانُ يَا حَسَنَ فَخَابَ سَهْمِي وَأَفْلَحَ الزَّمَنُ

(١) نص المثل في الميداني: «أشرب من رمل».

(٢) القطرب: طائر يجول الليل كله لا ينام، قالوا: «أجول من قطرب» أو «أسهر من قطرب». (انظر «حياة الحيوان» للدميري و«أمثال الميداني» في الكلام عليه).

(٣) الغضوضية: غضاضة الشباب ونضارته، والمراد بها العيش والنزق وهما من حظ الشباب ولوازمه. والغضوضية من المصادر الصناعية مثل الرجولية والفروسية.

(٤) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وقد عاتبه بخادماً» وهو تحريف.

(٥) ضبطه ابن خلكان بالعبارة هكذا: «ونوبخت بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها».

ليتك إذ لم تكن بقيت لنا لم تبق روح يحوطها بدن

/ هجا جراحاً مختناً اسمه نصير:

[٢١٤/٧]

٢٠٦
٧

/ أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال:

كان في جوار الحسين بن الضحّاك طبيب يُداوي الجراحات يقال له نصير، وكان مختناً؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المختّنين، وإذا لم تكن عالج الجراحات. فقال فيه الحسين بن الضحّاك:

نُصِيرُ لَيْسَ لُمُزْدُ مِنْ شَأْنِهِ نصِيرُ طَبِّ بِالنُّكَارِيشِ^(١)
يَقُولُ لِلنُّكَارِيشِ فِي خَلْوَةٍ مَقَالَ ذِي لُطْفٍ وَتَجْمِيشِ^(٢)
هَلْ لَكَ أَنْ نَلْعَبَ فِي فَرَشِنَا تَقْلُبُ الطَّيْسَ الْمَرَاعِيشِ^(٣)

يعني المبادلة. فكان نصير بعد ذلك يصبح به الصبيان: «يا نصير نلعب تقليب الطير المراعيش» فيشتّمهم ويرميهم بالحجارة.

عبث ابن مناذر بشعر له فشتّمه:

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال:
أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها:

* لَفَقْدُكَ رِيحَانَةَ الْعَسْكَرِ *

وكانت من أوّل ما قلّته من الشعر؛ فأخذ رداؤه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت. فقلنا لحسين: أترأه فعل ذلك استحساناً لما قلت؟ فقال لا؛ فقلنا: فإنما فعله طَنَزاً^(٤) بك؛ فشتّمه وشتّمنا. وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدّد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه.

[٢١٥/٧]

/ وقف ببابه سلولي وغنويّ ينتظران محاربياً فليل اجتماع اللؤم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن أبي كامل قال:

مررتُ بباب حسين بن الضحّاك، وإذا أبو يزيد السُّلُوليّ وأبو حَزْرَةَ الْغَنَوِيّ وهما ينتظران المُحَارِبِيّ وقد استؤذن لهم على ابن الضحّاك؛ فقلت لهما: لم لا تدخلان؟ فقال أبو يزيد: ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجب مما اجتمع منا، الْغَنَوِيّ وَالسُّلُولِيّ ينتظران المُحَارِبِيّ ليدخلوا على باهليّ.

(١) الطب: العالم بالشيء. والنكريش: الملتحي، قال البديع:

قَالَ قَوْمٌ عَشَقْتُهُ أَمْرَدَ الْخُذِّ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ نَكْرِيشٌ

قُلْتُ فَرَخَ الطَّائِوسِ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ إِذَا مَا عَلَا عَلَيْهِ الرِّيشُ

(انظر «شفاء الغليل» ص ٢٢٤).

(٢) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «وتجهيش». بالهاء.

(٣) المراعيش: نوع من الحمام وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فتري في الجو كالنجم.

(٤) الطنز: السخريّة.

كتب أبياتاً عن الواصل يدعو الفتح بن خاقان للصباح:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحّاك قال: كان الواصل يميل إلى الفتح بن خاقان^(١) ويأنس به وهو يومئذ غلام، وكان الفتح ذكياً جيد الطبع والفطنة. فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج: يا فتح أيما أحسن: داري أو دار أبيك؟ فقال له وهو غير متوقّف وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها: دار أبي إذا كنتَ فيها؛ فعجب منه وتبناه. وكان الواصل له بهذه المنزلة، وزاد المتوكل عليهما. فاعتلّ الفتح في أيام الواصل علّة صعبة ثم أفاق وعوفي، فعزم الواصل على الصّبح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصّبح؛ فكتبْتُ إليه:

[٢١٦/٧] / لَمَّا اصْطَبَحْتُ وَعَيْنُ اللّهِ تَرْمُقُنِي قَدْ لَاحَ لِي بَاكِرًا فِي ثَوْبٍ بِذَلَّتْهُ
نَادَيْتُ فَتَحًا وَيَشَّرْتُ الْمَدَامَ بِهِ لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ مَكْرُوهِ عِلَّتْهُ
ذُبُّ الْفَتَى عَنْ حَرِيمِ الرَّاحِ مَكْرُمَةٌ إِذَا رَأَاهُ امْرُؤٌ ضِدًّا لِنَخَلَّتْهُ
فَاعَجَلْ إِلَيْنَا وَعَجَلْ بِالسَّرُورِ لَنَا وَخَالِسِ الدَّهْرَ فِي أَوْقَاتِ غَفَلَتْهُ
فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه.

شعره في غلام عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع^(٢) قال حدثني يعقوب بن نُعَيْمٍ وعبدالله بن أبي سعد قالا حدثنا محمد بن محمد الأنباري قال حدثني حسين بن الضحّاك قال:

[٢١٧/٦] / كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ وَخَادِمٌ لَهُ يَسْقِيهِ؛ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَلِيٍّ، قَدْ اسْتَحْسَنْتُ سَقْيَ هَذَا الْخَادِمِ؛ فَإِنْ حَضَرَكَ شَيْءٌ فِي قِصَّتِنَا هَذِهِ فَقُلْ؛ فَقُلْتُ:

وَطَابَ يَوْمِي بِقُرْبِ أَشْبَاهِي أَحْيَيْتُ صَبُوحِي فَكَاهَةُ الْإِلَهِ
مَنْ قَبْلَ يَوْمٍ مَنُغَّصَ نَاهِي فَاسْتَبْرَأَ اللَّهُ مَنِ مَكَامِنِهِ
مَوْتَزِرٍ بِالْمُجَوِّنِ تِيَاهِ بِإِبْنَةِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُتَطَيِّقِي
سَقْيِي لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ
حِيرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي كَأْسًا فَكَأْسًا كَانَ شَارِبَهَا

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد، كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك، اتخذته المتوكل أخاً ووزيراً له، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله. وكان له خزنة جمعها علي بن يحيى المنجم له لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين. ومن شغفه بالكتب أنه كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كفه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى عوده إليه، حتى في الخلاء. وتوفي الفتح في الليلة التي قتل فيها المتوكل قتلاً معه بالسيف سنة ٢٧٤ هـ. قتله الأتراك لما فرغوا من قتل المتوكل بأمر ابنه المنتصر، وكان طلب منهم ذلك فجبة على سيده. (عن «فهرست ابن النديم» و«تاريخ الطبري» ص ١٤٥ - ١٤٦ من القسم الثالث).

(٢) تقدّم هذا الخبر بنصه في هذه الترجمة ص ١٩٠.

قال: فاستحسنه عبدالله وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّة يومنا.

وعده يسر بالسكر معه قبل رمضان ولم يف فقال فيه شعراً:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادَةُ بن الفَيْض عن أبيه قال:

اتفق حسين بن الضحّاك ويُسْرُ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليُسْرُ: يا سيدي، قد هجم الصومُ علينا، فتفضّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك؛ فقال له: قد سكّرت وأخشى / أن يبدو لك؛ فحلّف له يسرّ أنّه يقي. فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجحد [٢١٧/٧] الوعد وأنكره. فكتب إليه يقول:

تجاسرت على الغدر	كعاداتك في الهجر
فأخلفت وما استخلف	ست من إخوانك الزهر
لئن خست ^(١) لمّا ذل	ك من فعلك بالثغر
ومما أقنعني فعُد	ك بما مختلق العذر
بنفسي أنت إن سُؤت	فلا بدّ من الصبر
وإن جرّعتني الغيظ	وإن خست ^(٢) بالصدر
ولو لا فرقي منك	لسميتك في الشعر
وعتقتك لا ألو	وإن جرّت مدي العذر ^(٣)
أما تخرج من إخلا	ف ميعادك في العشر
غداً يطمنا الصوم	عن الراح إلى الفطر

قال: فسألْتُ الحسين بن الضحّاك عمّا أثر له هذا الشعر وما كان الجواب؛ فقال: كان أحسن جوابٍ وأجمل فعل، كان اجتماعاً قبل الصوم في بستان لمولاه، وتَمَمْنَا سرورنا وقضينا أوطارنا إلى الليل، وقلْتُ في ذلك:

سقى الله بطن الدّير من مستوى السّفح	إلى ملتقى النّهرين فالأنل ^(٤) فالطلح ^(٥)
ملاعب قُذْن القلب قسراً إلى الهوى	ويسرّن ما أملت من ذرك النّجح
/ أتتسى فلا أنسى عتابك بينها	حيبك حتى انقباد عفواً إلى الصلح
سمحت لمن أهوى بصفو مودّتي	ولكن من أهواه صيغ على الشّح

[٢١٨/٧]

(١) كذا في أ، م. وخاس فلان بوعده: أخلف. وفي سائر الأصول: «خنت».

(٢) خست بالصدر: أوغر به.

(٣) كذا في . وفي سائر الأصول: «الغدر» وهو تصحيف.

(٤) الأنل: شجر كالطرفاء إلا أنه أعظم منها وأجود عوداً، تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد والقصاع والجفان، ورقه هذب طوال دقاق، ولا شوكة له، وثمرته حمراء.

(٥) الطلح: أعظم العضاء شوكة له عود صلب وصمغ جيد، وشوكه أحجن طويلاً، منته في بطون الأودية.

شعره في يسر وفي أيام مضت له معه بالبصرة:

قال علي بن العباس: وأنشدني سَوَادَةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضحّاك يصف أياماً / مضت له بالبصرة ويومَه بالقُفص^(١) ومجيء يُسر إليه، وكان يسرُ سألَه أن يقول في ذلك شعراً:

تَيَّسِرِي لِلْإِمَامِ^(٢) مَنْ أَمَمَ وَلَا تُرَاعِي حِمَامَةَ الْحَرَمِ
قَدْ غَابَ - لَا آبَ - مَنْ يُرَاقِبُنَا وَنَامَ - لَا قَامَ - سَامِرُ الْخَدَمِ
فَاسْتَضْجِي مُسْعِدًا يَفَاوِضُنَا إِذَا خَلَوْنَا فِي كُلِّ مُكْتَنَمِ
تَبْذُلِي بِذَلِكَ تَقَرُّ بِهَا أَلْ عَيْنُ وَلَا تَخْصُرِي وَتَحْتَشِمِي
لَيْتَ نَجُومَ السَّمَاءِ رَاكِدَةٌ عَلَى دُجَى لَيْلِنَا فَلَمْ تَرِمِ
مَا لِسُرُورِي بِالشَّكِّ مَمْتَزَجًا^(٣) حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهُ فِي حُلُمِ
فَرِحْتُ حَتَّى اسْتَخَفَّنِي فَرَحِي وَشُبْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ بِالثَّهَمِ
أَسْحَ عَيْنِي مُسْتَبْتَأً نَظَرِي أَخَالَنِي نَائِمًا وَلَمْ أُنَمِ
سَقِيًا لِلَّيْلِ أَفْنَيْتَ مَدَّتَهُ يَبَارِدُ السَّرِيْقَ طَيِّبِ النَّسَمِ
أَبْيَضَ مُرْتَجَّةٍ رَوَادُفُهُ مَا عَيْبَ مِنْ قَرْنِهِ^(٤) إِلَى الْقَدَمِ
إِذْ قَصَبَاتُ الْعَرِيْشِ تَجْمَعُنَا حَتَّى تَجَلَّسْتَ أَوَاخِرُ الظُّلَمِ
/ وَلَيْلَةٍ بِثُهَا مُحَسَّنَةٌ^(٥) مُحَفَّوْفَةٌ بِالظَّنُونِ وَالثَّهَمِ
أُبْتُ عِبْرَاتِهِ عَلَى غَضَمِ يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ إِلَى الْكَظَمِ^(٦)
سَقِيًا لَقِيْطُسُونَهَا^(٧) وَمُخْدَعِهَا كَبِمَ مِنْ لِمَامٍ بِهِ وَمِنْ لَمَمِ
لَا أَكْفَرُ السَّيْلِحِينَ^(٨) أَزْمِنَةٌ مَطِيْعَةٌ بِالنَّعِيمِ وَالنُّعَمِ
وَلَيْلَةُ الْقُفْصِ إِنْ سَأَلْتَ بِهَا كَانَتْ شِفَاءً لِعَلْسَةِ السَّقَمِ
بَاتَ أُنَيْسِي صَرِيْعَ خَمَرَتِهِ وَتَلَكَ إِحْدَى مَصَارِعِ الْكُسَمِ

[٢١٩/٧]

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد التزه ومجالس الفرح تنسب إليها الخمرور

الجيدة والحانات الكثيرة. وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

(٢) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «للإمام»، وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «ممتزج».

(٤) في ب، س: «من فرقه» بالفاء والقاف.

(٥) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «محسنة» بالراء المهملة، وهو تحريف.

(٦) الكظم: مخرج النفس من الحلق ومنه حديث النخعي: «له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه» أي عند خروج نفسه وانقطاع نفسه.

(٧) القيطون: بيت. في بيت والمخدع (كمبر ومحكم): مثله أي الخزانة الصغيرة داخل الحجرة.

(٨) سيلحين: موضع قرب الحيرة ضارب في البر قرب القادسية ولذلك ذكره الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية. وقيل: هو

رستاق من رساتيق العراق. وقد ورد في جميع الأصول هكذا: «الشيخلين» وهو تحريف.

وَبِتَّ عَنْ مَسْوَءٍ مَبْقَتْ بِهِ
وَأَبَايَ مِنْ بَدَا بِرَوْعَةٍ «لَا»
أَبَاخَنِي نَفْسَهُ وَوَسَّدَنِي
حَتَّى إِذَا اهْتَسَجَتِ النَّوَافِسُ فِي
وَقَلْتُ هُبَا يَا صَاحِبِي وَنَبَّهْتُ أَبَانًا فَهَبَّ كَالزَّلَمِ^(١)
فَاسْتَنْهَاهَا كَالشَّهَابِ ضَاكِكَةً
صَفْرَاءَ زَيْتِيَّةً مَوْشَحَةً
أَخَذْتُ رِيحَانَةً أَرَاخُ لَهَا
فَرَاغِجَ الْعَذَرِ إِنْ بَدَا لَكَ فِي الْ

الْثَمِّ دُرًّا مُفْلَجًا بِقَمِّ
وَعَادَ مِنْ بَعْدِهَا إِلَى «نَعَمِ»
يُمْنَى يَدَيْهِ وَيَاتُ مُلْتَزِمِي
سُخْرَةٍ أَخَوَى أَحَمَّ كَالْحَمِّ
عَنْ بَارِقِي فِي الْإِنَاءِ مُبْتَسِمِ
بِأُزْجَوَانٍ مُلْتَمِعِ ضَرِمِ
دَبَّ سُرُورِي بِهَا دَيْبَ دَمِي
عُذِرَ وَإِنْ عُذْتُ لَأُثَمَّاءَ فَلِسْمِ

/ حَجَبَ يَسْرًا سَيِّدَهُ فَقَالَ شِعْرًا فِي ذَلِكَ :

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنِي سَوَادَةُ بْنُ الْفَيْضِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُعْتَمِرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ وَهُوَ عَلَى شَرَابٍ لَهُ : وَيَحْكُمُ أَحَدُكُمْ عَنْ يُسْرِ بِأَعْجُوبَةٍ ؟ قُلْنَا : هَاتِ . قَالَ : بَلَغَ مَوْلَاهُ أَنَّهُ جَرَّ لَهُ مَعَ أَخِيهِ سَبَبٌ ، فَحَجَبَهُ كَمَا تُحَجَّبُ النِّسَاءُ ، وَأَمَرَ بِالْحَجَرِ عَلَيْهِ ، وَأَمْرُهُ الْآ يَخْرُجُ عَنْ دَارِهِ إِلَّا وَمَعَهُ حَافِظٌ لَهُ مُوَكَّلٌ بِهِ . فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

/ ظَنَّ مَنْ لَا كَانَ ظَنًّا
أَرْصَدَ الْبَابَ رَقِييبِ
فَلَمَّا اشْتَقَ قَرِيبِي
جَمْعَ اللَّهِ رَقِييبِ
وَالَّذِي أَقْرَحَ فِي الشَّا
كُلُّ مُشْتَقٍ إِلَيْهِ
سَيِّمًا مَنْ حَالَتِ الْأَحْ

بَحْيِي بِفَحْمَاءِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ فَاكْتَنَفَاءِ
وَلَقَائِي مَتَعَاءِ
مَنْ مِنَ السُّوءِ فِدَاءِ
دَنْ قَلْبِي وَلَوَاءِ
فَمَنْ السُّوءِ فِدَاءِ
رَأْسُ مَنْ دُونَ مَنَاءِ

سَأَلَ أَبَا نَوَاسٍ أَنْ يَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَسْرِ فَفَعَلَ :

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَكَرِيَّا الضَّرِيرُ قَالَ : قَالَ أَبُو نَوَاسٍ : قَالَ لِي حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ يَوْمًا : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، أَمَا تَرَى غَضَبَ يُسْرِ عَلَيَّ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : حَالُ أَرْدَتْهَا مِنْهُ فَمَتَّعْنِيهَا فَغَضِبْتُ ؛ فَسَأَلْتُ أَنْ تُصْلِحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . فَقُلْتُ : وَمَا تَحَبَّ أَنْ أُبْلِغَهُ عَنْكَ ؟ قَالَ : تَقُولُ لَهُ :

بُحْرَمَةُ الشُّكْرِ وَمَا كَانَا عَزَمْتُ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا
أَخَافُ أَنْ تَهْجُرَنِي صَاحِبًا بَعْدَ سُرُورِي بِكَ سَكَرَانَا
/ إِنَّ بَقْلِي رَوْعَةً كَلَمَا أَضْمَرْتُ لِي قَلْبُكَ هِجْرَانَا
يَا لَيْتَ ظَنِّي أَبَدًا كَاذِبٌ فَلَمَّا يَصْدُقُ أَحْيَانَا

[٢٢١/٧]

قال: فقلت له: وَيَحْك! ألتجتنبه وتريد أن تترضاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة! فقال لي: أنا أعرف به، وهو كثير التبدل^(١)، فأبلغه ما سألتك؛ فأبلغته فرضي عنه وأصلحت بينهما.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال:

جاءني يوماً حسين بن الضحّاك، فقلت له: أي شيء كان خبرك أمس؟ فقال لي: اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن؛ فقلت: هات يا سيدي؛ فقال:

زَائِرَةٌ زَارَتْ عَلَى غَفْلَةٍ يَا حَبَاذَ الزَّوْرَةِ وَالزَّائِرِ
فَلَمْ أَزَلْ أَخَذْهَا لَيْلَتِي خَدِيعَةَ السَّاحِرِ لِلشَّاحِرِ
حَتَّى إِذَا مَا أَدْعَمْتُ بِالرُّضَا وَأَنْعَمْتُ دَارَتْ بِهَا السَّدَائِرُ
بُكْتُ إِلَى الصَّبْحِ بِهَا سَاهِرًا وَبَاتَتِ الْجُوزَاءُ بِي سَاهِرِ
أَفْعَلُ مَا شِئْتُ بِهَا لَيْلَتِي وَمِلْتُ عَيْنِي نَعْمَةً ظَاهِرِ
فَلَمْ نَنَمْ إِلَّا عَلَى تَسْعَةٍ مِنْ غُلْمَةٍ بِي وَبِهَاتَائِرِ
سَقِيًّا لَهَا لَا لِأَخِي شِغْرَةٍ شِغْرَتُهُ كَالشَّعْرَةِ الْوَافِرِ
وَيَيْنُ رَجُلِيهِ لَهْ خَزْبَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي حَقْوِهِ^(٢) شَاهِرِ
وَفِي غَدٍ يَتْبَعُهَا الْحَيَّةُ تُلْحَقُهُ بِالْكَرَّةِ الْخَاسِرِ

قال: فقلت له: زينتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً. فقال: قل أنت ما شئتَ.

[٢٢٢/٧] / أخرى الواثق بالصباح:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيّن قال:

دخل حسين بن الضحّاك على الواثق في خلافة المعتصم / في يوم طيّب، فحُتّه على الصُّبُوح فلم ينشط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده:

اسْتَشِيرَ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مَنُغَصِّرِ نَاهِي
بَابِنَةَ كَرُمَ مِنْ كَفِّ مُنْتَطِقِي مُؤْتَزِرٍ بِالمُجُونِ تِيَاهِ

(١) لعله «كثير التبدل» بالبدال المهملة. أي كثير التغير لا يبقى على حال.

(٢) في أ، م: «حفرة».

يَسْقِيكَ مِنْ لِحْظِهِ وَمَنْ يَدُهُ سَقَى لَطِيفٌ مَجْرُبٌ دَاهِي
كَأْساً فَكَأْساً كَانَ شَارِبَهَا حِرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

قال: فنشط الواصل وقال: إن فرصة العيش لحقيقة أن تنتهز؛ واصطبح ووصل الحسين.

شعره في جارية:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم^(١) بن مهرويه قال حدّثني أبو الشُّبُل عاصم بن وهب
البرجمي قال:

حجّ الحسين بن الضحّاك، فمرّ في مُنْصَرَفِهِ على موضع يعرف بالقرّيتين^(٢)، فإذا جارية تطلّع في ثيابها وتنتظر
في حرّها ثم تضربه بيدها وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مررتُ بالقرّيتين مُنْصَرِفاً من حيث يقضي ذوو الثُّهَى التُّسْكَا
إذا فتاةً كأنها قمرٌ للثُّمِّ لَمَاتِ وَمُطَطِّ الْفَلَكَا
واضعةً كفّها على حرّها تقول يا ضيّعتني وضيّعتك

/ قال: فلما سمعت قوله ضحكته وغطت وجهها وقالت: وافضيحتاه! أو قد سمعت ما قلت!.

شعره في شفيح خادم المتوكل:

حدّثني محمد الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

كان الحسين بن الضحّاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معه كثيراً، وكانت نفسه قد تتبعت شفيحاً بعد انصرافه من
مجلس المتوكل؛ فأنشدنا لنفسه فيه:

وأبيض في حُمر الثياب كأنه إذا ما بدا نسرينة^(٣) في شقائق
سقاني بكفّيه رحيقاً وسامني فُوقاً بعينه ولسْتُ بفاسق
وأقسم لولا خشية الله وحده ومن لا أسْمِي كنتُ أول عاشق
وإنّي لمعدورٌ على وجناته وإن سَمْتَنِي شِيعةً في المفارق
ولا عشق لي أو يُحدث الدهرُ شرّةً تعود بعبادات الشباب المفارق
ولو كنتُ شكلاً للصِّبَا لا تبعثه ولكن سنّي بالصِّبَا غير لائق

(١) في حدّ «قال حدّثنا محمد بن إسحاق القاسم بن مهرويه». وفي سائر الأصول: «قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن القاسم بن مهرويه». والظاهر أنهما تحريف لأنه تكرر أكثر من مرة أن الحسن بن علي الخفاف يروي عن محمد بن القاسم بن مهرويه. (انظر

الصحف ١٥١، ١٥٥، ١٦٦، ٢١٥ من هذا الجزء).

(٢) القرّيتان: قرية قريبة من النجاج في طريق مكة من البصرة.

(٣) النسرين: ضرب من الرياحين.

توفي ابنه محمد فطلب من المتوكل أن يجري أرزاقه على زوجته وأولاده:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال:

كان للحسين بن الضّحّاك ابن يسمّى محمداً، له أرزاق، فمات ففُطِعَتْ أرزاقه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفّى لزوجته وأولاده:

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعاً	بِوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشِبْهِكَ الْمَعْتَرِ أَوْ	جِهٍ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ
يَا ابْنَ الْخَلَائِقِ الْأَوَّلِ	مَنْ يَا أَبَا الْمَتَأْخِرِينَ
إِنَّ ابْنَ عِبْدِكَ مَاتَ وَ	لَا يَمُوتُ تَخْتَرِمُ الْقَرِينَا
وَمَضَى وَخَلَّفَ صِيَّةً	بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ ^(١)
/ وَمُهَيَّرَةً عَبْرِي خِلالاً	فَ أَقَارِبٍ مُسْتَعِيرِينَ
أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا	دَث يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
قَطَعَ الْوَلَاةُ جَرَايِمَةً	كَانُوا بِهَا مُسْتَمْسِكِينَ
فَامُنُّنٌ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا	قَطَعُوهُ غَيْرَ مَرَاقِبِينَ
أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تَسُو	مُلُّ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَ

[٢٢٤/٧]
٢١١
٦

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. فقال يشكره:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ	اسْلَمَ وَلَيْسَ عَلَى الْإِيَّامِ مِنْ بَاسٍ
أَحْيَيْتَ مِنْ أَمْلِي نَفْسُوا تَعَاوَرَهُ	تَعَاقَبُ الْيَاسُ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال:

كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّبحّاك ونحن على نبيذ؛ فعِثَ بِالْمَغْنِيَّةِ وَجَمَّشَهَا^(٢)؛ فصاحت عليه واستخفت به. فأنشأ يقول:

لَهَا فِي وَجْهِهَا عُكْنُ	وُلُتْهَا وَجْهَهَا ذَقْنُ
وَأَسْنَانُ كَرِيرٍ شِشِ الْبَطْنِ	أَصُولُهَا عَقْنُ

قال: فضحكنا، وبكت المغنّية حتى قلتُ قد عَمِيتْ؛ وما انتفعنا بها بقيّة يومنا. وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما. وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ. ثم هربت من سرٍّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

(١) المتلدد: المتحير.

(٢) في ب، س: «وخمّشها» بالخاء، وهو تصحيف.

قال جعفر وحدثنا أبو العيّن أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثل ما حكاه محمد.

حديثه عن سنه :

حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال :

/ سألت حسين بن الضحّاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنة التي وُلِدْتُ فيها [٢٢٥/٧] بعينها، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَةَ بن الحجاج سنة ستين ومائة .

وشى به جماعة إلى المتوكل فاسترضاه بشعر فأجازه :

حدثني الصّوليّ قال حدثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال :

أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحّاك ويلازمه ؛ فلم يُطَقْ ذلك لكِبَرِ سنه . فقال للمتوكل بعض من حضر عنده : هو يُطِيق اللّذهابَ إلى القرى والمَواخيرِ والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ! . فبلغه ذلك، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتها إلى المتوكل ، وهي :

أَمَّا فِي ثَمَانِينَ وَقَيْتُهَا	عَزِيزٌ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَغْزُ
فَكَيْفَ وَقَدْ جُزْتُهَا صَاعِدًا	مَعَ الصَّاعِدِينَ يَتَشَعُّ أْخَرُ
وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْلَامَهُ	عَنْ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ الْبَشَرِ
سَوَى مَنْ أَصَرَ عَلَى فِتْنَةٍ	وَالْحَدَّ فِي دِينِهِ أَوْ كَفَرِ
وَإِنِّي لَمَنْ أَسْرَأَ الْإِلَهِ	كَه فِي الْأَرْضِ نُضِبَ صُرُوفِ الْقَدَرِ
فَإِنْ يَقْضِ لِي عَمَلًا صَالِحًا	أَثَابَ وَإِنْ يَقْضِ شَرًّا غَفَرَ
فَلَا تَلْجُ فِي كِبَرِ هَذَنِي	فَلَا ذَنْبَ لِي أَنْ بَلَغْتُ الْكِبَرَ
هُوَ الشَّيْبُ حَلَّ بِعَقَبِ الشَّبَابِ	فَأَعْقَبَنِي غَوْرًا مِنْ أَشَرِ
/ وَقَدْ بَسَطَ اللَّيْلُ لِي عِذْرَهُ	فَمَنْ ذَا يَلُومُ إِذَا مَا عَذَرَ
وَإِنِّي لَفِي كَنَفٍ مُغْفِدِي	وَعِزُّ بِنَصْرِ أَبِي الْمُتَصِرِ
يُارِي الرِّيحَ بِفَضْلِ السَّمَاءِ	حَ حَتَّى تَبْلُغَ أَوْ تَنْحَسِرَ
/ لَهُ أَكْثَدُ الْوَحْيِ مِيرَاثُهُ	وَمَنْ ذَا يُخَالِفُ وَخْيَ السُّورِ
وَمَا لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ	وَمَنْ كَسَدَبَ الْحَقُّ إِلَّا الْحَجَرُ

٢١٢
٦

[٢٢٦/٧]

قال ابن حمدون : فلما أوصلتها شيعتها بكلامي أعذره، وقلت : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكل : صدقتَ ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملها إليه ؛ فأخذتها فحملتها إليه .

ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق :

حدثني عمي قال حدثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدثني خالي عن حسين بن الضحّاك قال :

ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبَتِي وَلَمَّ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْأَمِينُ لِمُمَايَلَةِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْمَأْمُونُ لِمِيلِي إِلَى

محمد، ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون، ثم ضربني الواصل لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل، وكل ذلك يجري مجرى الولع بي والتحذير لي. ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعاً بالولع بي، فتغاضب المتوكل عليّ. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني أبائك، فاعلم أن آخر ضرب^(١) ضربته بسبيك. فضحك وقال: بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك.

وصف حاله في أواخر أيامه بشعر:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن محمد بن مروان الأبراري^(٢) قال:

دخلت على حسين بن الضحّاك، فقلت له: كيف أنت؟ جعلني الله فداءك! فبكى ثم أنشأ يقول:

أصبحْتُ من أسراء الله مُحْتَبَساً في الأرض نحو قضاء الله والقَدَرِ
إن الثمانين إذ وقيتْ عَدْتَهَا لم تُبقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ



مركز تحقيقات مخطوطات إسلامية

(١) في ح: «سوط».

(٢) نسبة إلى أبار، وهي قرية بينها وبين نيسابور فرسخان. وقد تقدم في صفحة ٢١٦ من هذا الجزء: «الأبراري».

١ / أخبار أبي زكار الأعمى

مغنٌ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك :

قال أبو الفرج : أبو زكار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المغنّين، وكان منقطعاً إلى آل برمك، وكانوا يؤثرونه ويُفضّلون عليه إفضالاً.

قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه :

فحدّثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال : سمعت مسروراً يحدث أبي قال :

لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبْعَدْ^(١) فكلّ فتى سيأتني عليه الموت يطرق أو يُغادي
وكلّ ذخيرة لا بدّ يوماً وإن بقيت تصير إلى نفاذ
ولو يُقْدَى من الحدثان شيء فديتك بالطّريف وبالثلاد

طلب أن يقتل مع جعفر فأمر الرشيد بالإحسان إليه :

فقلت له : في هذا والله أتيتك ! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه . فقال لي أبو زكار : نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا الْحَقَّتْني به . فقلتُ : وما رغبتك في ذلك ؟ قال : إنه أغناني عمّن سواه بإحسانه ، فما أحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : استأمرُ أمير المؤمنين في ذلك . فلما أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضْمُمْهُ إِلَيْكَ وانظر / ما كان يُجرّبه عليه فأتئمّه له .

٢١٣
٦

قال إسحاق الموصلي عن صوت له : هو معرق في العمى :

حدّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال :

غنى علّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت مُعْرِقٌ^(٢) في العمى . الشّعْر لبشار الأعمى ، والغناء لأبي زكار الأعمى ، وأوّل الصوت «عميت أمري» .

(١) لا تبعد : لا تهلك .

(٢) كذا في حد . وفي سائر الأصول : «معروف في العمى» .

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي	فِيكَ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
مِنْ دَمْعٍ تَجْرِي، فَإِنْ كُنْتُ وَحْدِي	خَالِيًا أَسْعِدْتُ دَمْعِي انْتِحَابِي
إِنْ حَبَّيْ إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جَسْمِي	وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ
لَوْ مَنَحَتِ اللَّقَا شَفَى بِكَ صَبًّا	هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ تَوَى فِي التَّرَابِ

الشعر في الأبيات للسيد الحميري. والغناء لمحمد نعمة الكوفي، مَغَنٍّ غير مشهور ولا مَعْنٍ خدام الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثاني ثَقِيلٌ مطلق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعمة فيه أيضاً خفيف رمل بالبنصر.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی ایران

/ أخبار السيد الحميري

[٢٢٩/٧]

نسبه:

السيد لقبه. واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميري. ويكنى أبا هاشم. وأمه امرأة من الأزد ثم من بني الحُدَّان. وجده يزيد بن ربيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياداً^(١) وبنيه ونفاهم عن آل حرب؛ وحبه عبيد^(٢) الله بن زياد لذلك وعذبه، ثم أطلقه معاوية. وخبره في هذا طويل يُذكر في موضعه^(٣) مع سائر أخباره؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكر أخبار السيد.

ووجدت في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال: سمعت ابن عائشة والقحذمي يقولان: هو يزيد بن مُفَرِّغ، ومن قال: إنه يزيد بن معاوية فقد / أخطأ. ومفَرِّغ لقب ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُسًا من لبن $\frac{3}{4}$ فشربه حتى فرغه؛ فلُقِّب مفَرِّغاً. وكان شِعَاباً^(٤) بسِيَّالَة، ثم صار إلى البصرة.

شاعر متقدم مطبوع، وترك شعره لذمة الصحابة:

وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً. يقال: إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار، وأبو العتاهية، والسيد؛ فإنه لا يُعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع.

وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفَرِّط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، / فتُحُومِي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجره الناس تخوفاً [٢٣٠/٧] وتراقباً^(٥). وله طراز من الشعر ومذهب قلماً يُلْحَق فيه أو يُقَارَبُه. ولا يُعرف له من الشعر كثير. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضدٌ لهم. ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المَجْرَى ولا تَخْرُج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً؛ ولكننا شَرَطْنَا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاه من سيء اختياره^(٦) على قلة ذلك..

كان أبواه إباضيين ولما تشيع هما بقتله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني علي بن محمد التوفلي عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد، قال ابن عَمَّار وحدثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيْخ عن أبيه:

(١) هو زياد ابن أبيه الأموي. كان والياً على العراق في أيام معاوية بن أبي سفيان.

(٢) هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه يزيد. وهو الذي أمر بقتال الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) ذكرت ترجمته في «الأغاني» (ج ١٧ ص ٥١ - ٧٣ طبع بولاق).

(٤) الشعاب: مصلح الشعب وهو الصدع يكون في الإناء. والسِيَّالَة: أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٥) لعله: «توقياً».

(٦) لعله: «وأخلاه من سيء أخباره».

أن أبوي السيد كانا إباضيين^(١)، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبة، وكان السيد يقول: طالما سُب أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سُئِلَ عن التشيع من أين وقع له، قال: غاصت عليّ الرحمة غوصاً. وروى عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هَمَّا بقتله؛ فأتى عَقْبَةُ^(٢) بن سَلَم الهُنائي فأخبره بذلك، فأجاره ويؤاه منزلاً وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

[٢٣١/٧] قال راويته: إنه على مذهب الكيسانية:

وقد أخبرني الحسن^(٣) بن علي البرقي عن محمد بن عامر عن القاسم بن الربيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق^(٤) رواية السيد الحميري قال: ما مضى والله إلا على مذهب الكيسانية^(٥). وهذه القصائد التي يقولها الناس مثل:

* تجعفرتُ باسم الله والله أكبر *

و * تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا *

وقوله:

أيا راكباً نحو المدينة جَسْرَةً^(٦) عُدَافِرَةً تهوي بها كل سَبَسَبٍ

إذا ما هداك الله لاقيت جعفرأً: فقل يا أمين الله وابن المهذب

لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط، قالها ونحلها للسيد، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها، بمحل قاسم منه وخدمته إياه.

أوصافه الجسمية ومواهبه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد التوفلي قال حدثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضل^(٧) بن بشار قال:

كان السيد أسمر، تامّ القامة، أشنب^(٨)، ذا وفرة^(٩)، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه.

(١) الإباضية (بكسر الهمزة): أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، وهم قوم من الحرورية، زعموا أن مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكلته. وكفروا علماً وأكثر الصحابة. (انظر «شرح القاموس» مادة أبض و«الملل والنحل» للشهرستاني).

(٢) هو عقبه بن سلم الهنائي من بني هناة (بطن من الأزدي). ولي البصرة لأبي جعفر المنصور. (انظر الكلام عليه في «الطبري» ق ٣ ص ١٤٥، ١٤٦، ص ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٣).

(٣) في أ، م: «الحسين».

(٤) في أ، م: «الحنزق».

(٥) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، وهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب، وقيل: هو تلميذ لمحمد بن الحنفية. يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل. ومذهبهم مبسوط في علم الكلام.

(٦) الجسرة: العظيمة من الإبل. والعذافرة: الشديدة منها.

(٧) في أ، م: «الفضل».

(٨) الشنب: البياض والبريق والتجديد في الأسنان.

(٩) الوفرة: ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر.

حديث الفرزدق عنه وعن عمران بن حطان:

أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن عباد عن أبي عمرو الشيباني عن لبطة^(١) بن الفرزدق قال:

/ تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إن هاهنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء. فسألناه [٢٣٢/٧] من هما؟ فقال: السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي^(٢)، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه.

كان نتن الإبطين:

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال حدثني / علي بن محمد التوفلي قال حدثني أبو جعفر ابن بنت ٤/ الفضيل^(٣) بن بشار قال:

كان السيد أسمر، تام الخلق، أشنب، ذا وفرة، حسن الألفاظ، وكان مع ذلك أتن الناس إبطين، لا يقدر أحد على الجلوس معه لثخن راحتهما.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

قال حدثني التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد، فقال: لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه؛ فأقسم علي أن أخبره فأخبرته؛ فقال: أنشدني قصيدة منه؛ فأنشدته ثم أخرى وهو يستزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقة.

مدح أبو عبيدة شعره:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار.

قال راويته: إنه على مذهب محمد بن الحنفية:

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العنزي عن أبي شُرَاعَة القيسي عن مسعود بن بشر:

/ أن جماعة تذكروا أمر السيد، وأنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفية^(٤) وقال بإمامة جعفر^(٥) بن محمد. فقال [٢٣٣/٧]

(١) في الأصول: «لبط» بالياء المشناة من تحت. والتصويب عن «القاموس» مادة «لبط».

(٢) كذا في ح: وج ١٦ ص ١٥٢ من «الأهاني» طبع بولاق، وقد وردت فيه ترجمته. وفي سائر الأصول هنا: «الدوسي»، وهو تحريف.

(٣) انظر الحاشية رقم ٥ في الصفحة السابقة.

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة، وكنيته أبو القاسم. وكانت الكيسانية التي ذكرت آنفاً والتي منها السيد الحميري تعتقد إمامته وأنه بجبل رضوى (جبل بالمدينة) في شعب منه وأنه لم يمت، دخل الجبل ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، وهم أحياء يرزقون. ويقولون: إنه مقيم في هذا الجبل بين أسد ونمر وعنده عينان نضاختان تجريان عسلاً وماء، وأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً. وقد زعمت الشيعة أنه المهدي. هكذا ذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج ١ ص ٦٤٠ طبع بولاق) و«تهذيب التهذيب». وقد تضمنت القصيدة الدالية الواردة في هذه الترجمة جميع ما ذكر.

(٥) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ذكر في «الملل والنحل» بعد كلام كثير: «والشيعة متفقون في سوق الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق مختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده». وجاء في =

ابن الساحر راويته: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفرية إلا منحولة له قبلت بعده. وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً^(١) يروي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: «إنه سيولد لك بعدي ولد وقد نَحَلْتُهُ اسمي وكُنيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

أشأقتك المنازلُ بعد هند	وترنيها وذات الدَّلَّ دَغْدِ
منازل أفقرتْ منهم مَحَتْ ^(٢)	معالمهن من سَبَلِ ^(٣) ورَغْد
وريح حَرْجَفٍ ^(٤) تَسْتَنُّ فيها	بسافي الثُّرْب تُلْجِم ما تُسَدِّي
ألم يُلْغِ كَ والأنباء تُنْمي	مقال محمد فيما يُوْدِّي
إلى ذي علمه الهادي على	وخولة خادم في البيت تَرْدِي ^(٥)
/ ألم تر أن خولة سوف تأتي	بوارِي الزُّند صافي الخيم ^(٦) نَجْد
يفوز بكنيتي واسمي لأنني	نَحَلْتُهُمَا ^(٧) والمهدي بعدي
يُغَيِّب عنهم حتى يقولوا	تَضَمَّنْهُ بطيئة بطن لُحْد
سِنَن وأشهرأ ويُرَى برَضْوَى	بشغب بين أنمار وأُنْد
مقيم بين آرام وعيين	وَحَقَّانِ ^(٨) تروح خِلال رُند
تُراعيها السُّباع وليس منها	ملاقيهن مفترساً بَحْد
أمن به الرَّدَى فترتغن طُوراً ^(٩)	بلا خوف لدى مَرْغَى وِوزد
حلقتُ بسرب مكة والمُصَلَّى	وبيت طاهر الأركان فَرْد
يطوف به الحَجِيجُ وكلَّ عامٍ	يَحُلُّ لديه وفدٌ بعد وفْد
لقد كان ابنُ خولة غير شك	صَفَاء ولايتي وخُلوص وُدِّي
فما أحَدٌ أحب إليَّ فيما	أيسر وما أبوح به وأبْدي
سوى ذي الوحي أحمد أو علي	ولا أزكى وأطيب منه عُنْدِي

[٢٣٤/٧]

= «الملل والنحل» أيضاً: «الباقرية والجعفرية الواقعة أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين إلا أن منهم من توقف على واحد منهما». («الملل والنحل» ص ١٢٤ - ١٢٥).

(١) في حد: «راويا».

(٢) محت: عفت.

(٣) السبل: المطر. وفي ب، س: «سبل» بالياء المثناة.

(٤) ريح حرجف: باردة. وتستن: تعدو فيها إقبالاً وإدباراً.

(٥) تردى: تلعب، يقال: الجواري يردن ردياً إذا رفعن رجلاً ومشين على أخرى يلعبن.

(٦) الخيم: الطبيعة والسجية.

(٧) في الأصول: «نحلتها هو المهدي».

(٨) الحفان: صغار النعام.

(٩) كذا بالأصل ولعله: «صوراً» جمع صورا وهي المائلة العنق على أن يكون المراد أنها لا ترفع رأسها خوف ما يزعجها.

٥/٧

/ ومن ذا يابنَ حولةٍ إذ رمتني
يُذْذِبُ عَنْكُمْ وَيُسْذِمُ مَا
ومالي أن أُرَبِّه ولكن
فأدرك دولةً لك لست فيها
على قوم بَغَوْا فيكم علينا
لَتَغْلُ بنا عليهم حيث كانوا
/ إذا ما سِرتَ من بلد حرامٍ
وماذا غرهم والخيرُ منهم
وانت لمن بغى وعَدَا وأذكى

بأسْهُمها المنيّة حين وعدي
تَلَلَم من حصونكم كسْدي
أوْمل أن يؤخّر يوم فُقدي
بجّار فُتُوصَف بالتعدي
لَتُعْدي منكم^(١) يا خير مُعدي
بَغُور من تَهامة أو بنجد
إلى من بالمدينة من مَعَدٍ
بِأَشُوس^(٢) أَغْصَلِ الأنيابِ وَزِدْ
عليك الحرب واسترداك مُرْدٍ

[٢٣٥/٧]

في البيتين الأولين من هذه القصيدة غناء، نسبته:

صوت

أشأقتك المنازلُ بعد هــ
منازلُ أقفرت منهنّ مَحَتْ

عروضه من الوافر. الشعر للسيد الحميري. والغناء لمعبد ثَقِيلُ أَوَّل بالسبابة في مجرى البنصر عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أنه لكَرْدَم. وذكر عمرو بن بانه أن اللحن لمالك ثَقِيلُ أَوَّل بالوسطى.

ذكر إسماعيل بن الساحر مذهبه وكان راويته:

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد: كنتُ عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه ثم قال: يا إسماعيل، طال والله ما شُتِم أمير المؤمنين عليٍّ في هذا الجناح. قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبَوَاي. وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية، وله في ذلك شعر كثير. وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإمامية^(٣)، وله في ذلك:

تَجَعَفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَأَيُّقُنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

/ وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصَّل، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر [٢٣٦/٧] ضعيف يتبين التوليد فيه، وشعره في قصائده الكيسانية مُبَايِنٌ لهذا جزالة ومتانة، وله رونق ومعنى ليسا لما يُذكر عنه في غيره.

(١) يقال: استعداه فأعداه أي استنصره فنصره. ويحتمل أن «منكم» صفة لمحذوف أي لتنصر حزباً أو فريقاً منكم.

(٢) الشوس: النظر بمؤخر العين وإمالة الوجه في شق العين التي ينظر بها، ويكون ذلك من الكبر والتهيه أو الغضب. وأغصل الأنياب: معوجها.

(٣) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبي ﷺ نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. (انظر الكلام على ذلك بإسهاب في «الملل والنحل» ص ١٢٢ طبع أوروبا).

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثُمالي قال حدثني الثَّوَزِي قال قال لي الأصمعي: أَحِبَّ أَنْ تَأْتِيَنِي بِشَيْءٍ مِنْ شِعْرِ هَذَا الْحَمِيرِيِّ فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ؛ فَأَتَيْتُهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ؛ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: قَاتِلْهُ اللَّهُ! مَا أَطْبَعَهُ وَأَسْلَكَهُ لِسَبِيلِ الشُّعْرَاءِ! وَاللَّهِ لَوْلَا مَا فِي شِعْرِهِ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ لَمَا تَقَدَّمَ مِنْ طَبَقَتِهِ أَحَدٌ.

مدح أبو عبيدة شعره وكان يرويه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

أَتَيْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ مَغَمَّرَ بْنِ الْمُثَنَّى يَوْمًا وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابًا؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَطْبَقَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنْ أَبَا زَيْدٍ لَيْسَ مِمَّنْ يُخْتَشَمُ مِنْهُ، فَأَقْرَأْ. فَأَخَذَ الْكِتَابَ وَجَعَلَ يَقْرؤه، فَإِذَا هُوَ شِعْرُ السَّيِّدِ. فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ $\frac{7}{v}$ يَعْجَبُ مِنْهُ وَيَسْتَحْسِنُهُ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَرُوهُ. قَالَ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِي يَقُولُ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ^(١) بْنَ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِي يُنْشِدُ شِعْرَ السَّيِّدِ.

أخبرني ابن دَرِيْد قال: سُئِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَنْ أَشْعَرُ الْمُؤَلِّدِينَ؟ قَالَ: السَّيِّدُ وَبَشَّارٌ.

كثرة شعره وعدم الإحاطة به:

وقال الموصلي حدثني عمي قال:

جَمَعْتُ لِلْسَّيِّدِ فِي بَنِي هَاشِمٍ أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِينَ قَصِيدَةً؛ فَخِلْتُ أَنْ قَدْ اسْتَوْعِبْتُ شِعْرَهُ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ يَوْمًا رَجُلٌ ذُو أَطْمَارٍ رَثَّةٍ، فَسَمِعَنِي أَنْشُدُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ، / فَأَنْشَدَنِي لَهُ ثَلَاثَ قَصَائِدَ لَمْ تَكُنْ عِنْدِي. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ هَذَا يَعْلَمُ مَا عِنْدِي كُلَّهُ ثُمَّ أَنْشَدَنِي بَعْدَهُ مَا لَيْسَ عِنْدِي لَكَانَ عَجَبِيًّا، فَكَيْفَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ وَإِنَّمَا أَنْشُدُ مَا حَضَرَهُ! وَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ أَنَّ شِعْرَهُ لَيْسَ مِمَّا يُدْرِكُ وَلَا يُمَكِّنُ جَمْعَهُ كُلَّهُ. رَأَيْ بَشَّارَ فِيهِ:

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال:

وَقَفَّ السَّيِّدُ عَلَى بَشَّارٍ وَهُوَ يُنْشِدُ الشُّعْرَ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ:

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْظَمِي	إِنَّ اللَّهَ مَا بَأَيْدِي الْعِبَادِ
فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ	وَارْجُ نَفْعَ الْمُنَزَّلِ الْعَوَادِ
لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ	وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

قَالَ بَشَّارٌ: مَنْ هَذَا؟ فَعُرِّفَهُ؛ فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ شَغِلَ عَنَّا بِمَدْحِ بَنِي هَاشِمٍ لَشَغَلْنَا، وَلَوْ شَارَكْنَا فِي مَذْهَبِنَا لِأَتَعَبْنَا. وَرُوي فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حَظَّانَ الشَّارِي^(٢) خَاطَبَ الْفَرَزْدَقَ بِهَذِهِ الْمَخَاطَبَةِ وَأَجَابَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ.

(١) يَكْنَى أَبَا سُلَيْمَانَ النَّصْرِي، كَانَ يَنْزِلُ فِي بَنِي ضَبِيْعَةَ فَنَسَبَ إِلَيْهِمْ. وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ مَعْرُوفٌ بِالتَّشْيِيعِ. (انظر «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ٩٦).

(٢) الشَّارِي: أَحَدُ الشُّرَاةِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شَرُّوا أَنْفُسَهُمْ وَابْتَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ. قَالَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ مَعْدَانُ الْإِيَادِي: =

إذا قال في شعره «دع ذا» أتى بعده سب السلف :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد السكري عن الطوسي قال: إذا رأيت في شعر السيد «دع ذا» فدعه؛ فإنه لا يأتي بعده إلا سب السلف أو بليّة من بلاياه.

قال له ابن سيرين في رؤيا قصها عليه: تكون شاعراً:

وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيد قال: رأيت النبي ﷺ في النوم وكأنه^(١) في حديقَةٍ سَبَخَةٍ^(٢) فيها نخل طَوَالٌ وإلى جانبها أرض كأنها / الكافور ليس فيها شيء؛ فقال: أتدري لمن هذا النخل؟ قلت: [٢٣٨/٧] لا يا رسول الله؛ قال: لا مرىء القيس بن حُجر، فاقْلَعُها واغْرِسها في هذه الأرض ففعلتُ. وأتيت ابن سيرين فقَصَصْتُ رؤيائي عليه؛ فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا؛ قال: أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس إلا أنك تقول^(٣) في قوم بَرَّة أطهار. قال: فما انصرفْتُ إلا وأنا أقول الشعر.

أنشد غانم الوراق من شعره لجماعة فمدحوه:

قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصِرْتُ إلى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضهم فقال: هذا الشيخ والله راوية. فجلسوا إليّ وأنسوا بي، وأنشدتهم، وبدأتُ بشعر ذي الرمة فعرفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما؛ ثم أنشدتهم للسيد:

أتعرف رسماً بالسويّتين^(٤) قد دَئِرَ عَفَنُهُ أَهَاضِيبُ^(٥) السحاب والمطر
وجرت به الأذيال رِيحَانٍ خِلْفَةً صَبَاً وَدَبُورَ الْعَشِيَّاتِ وَالْبَكْرِ
منازلُ قد كانت تكون بجوِّها هُضِيمُ الحشا رِيّاً الشَّوَى سِحْرُهَا النِّظَرُ
قَطُوفُ الْخُطَا خَمْصَانَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ^(٦) كَأَنَّ مُحْيَاهَا سَنَّا دَارَةَ الْقَمَرِ
رَمَثْنِي بِنَعْدٍ بَعْدَ قَرَبٍ بِهَا التَّوَى فَبَانَتْ وَلَمَّا أَقْضِ مِنْ عَبْدَةِ الْوَطَرِ
ولما رأتني خشيّةً اليِّنْ مُوجِعاً أَكْفِكَفَ مِنِّي أَدْمُعاً فَيَضُهَا^(٧) دِرَزُ
/ أشارت بأطرافِ إليّ ودمعها كَنَظْمِ جَمَانٍ خَانَهُ السُّلُكُ فَاثْتَرُ
وقد كنتُ ممّا أحدث اليِّنْ حَادِرَا فلم يُغْنِ عَنِّي مِنْهُ خَوْفِي وَالْحَذَرُ

٧
٧

= سلام على من بايع الله شارباً وليس على الحسب المقيم سلام
(١) في أ، م: «وكان».

(٢) السبخة: الأرض التي تملؤها الملحوة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٣) كذا في ح. وفي ب، أ، م: «تقول». وفي س: «تقوم له» وهو تحريف.

(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «التوين» ولم نقف عليها.

(٥) الأهاضيب: حلبات القطر.

(٦) البخترية: الحسنة المشية والجسم.

(٧) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «بيضها» بالياء الموحدة، وهو تحريف.

[٢٣٩/٧] / قال: فجعلوا يُمرقون^(١) لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم؛ فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله.

له من الشعر ما يجوز أن يقرأ على المنابر:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سمعتُ عمي يقول:

لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها:

إِنَّ يَوْمَ التَّطْهِيرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ خُصَّ بِالْفَضْلِ فِيهِ أَهْلُ الْكِسَاءِ^(٢)

قرئت على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه وما عيَّناه.

وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثنا نافع عن التوزي بهذه الحكاية بعينها فإنه قالها في:

* إن يوم التطهير يوم عظيم *

قال: ولم يكن التوزي متشيعاً.

سمع أعرابي شعره ففضله على جرير:

قال علي بن المغيرة حدثني الحسين بن ثابت قال:

قدم علينا رجل بدوي وكان أروى الناس لجرير، فكان يُشدني الشيء من شعره، فأُشِد في معناه للسيد حتى أكثرْتُ. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا.

[٢٤٠/٧] مدح السفاح فأمر له بما أراد:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العنزي عن ابن عائشة قال:

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال:

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدُّوْا مِنْ عَهْدِهَا^(٣) الدَّارِ سَا

دُونَكُمْوَهَا لَا عِلَاكَ بِ^(٤) مَنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِ سَا

دُونَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِ سَا

(١) يمرقون: يغنون، والتمريق: ضرب من الغناء وهو غناء السفلة والإماء. وفي الأصول: «يمزقون» بالزاي المعجمة، وهو تصحيف.

(٢) روى واثلة بن الأسقع (صحابي مشهور): أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فآدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهما كساءه ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي». (انظر «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» ج ٧ ص ٤ طبع بولاق). وقد جاءت هذه القصة بروايات أخر فانظرها في (روح المعاني» ج ٧ ص ٤٤).

(٣) في أ، و، م: «عهدنا».

(٤) لا علا كعب: لا شرفه الله ولا أسعده.

لو خَيْرَ المنبرِ فُرسائَه ما اختار إلا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ماسه لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولستُ ممن أن تملكوها إلى مهبط عيسى فيكم آيسا
فُسر أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنت يا إسماعيل! سلني حاجتك؛ قال: تؤلّي سليمان بن حبيب
الأهواز، ففعل.

أنشد لجعفر بن محمد شعراً فبكي:

وذكر التميمي - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه
للسيد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرّمه خلف ستر. ودخل فسلم وجلس. فاستنشد فأنشده قوله:

أمرُزُ على جدّ الحبيب من فقل لأعظمه الزكيه
أعظم ما لا زلت من وطفاء^(١) ساكبة رويته
وإذا مررت بقبوره فأطل به وقف المطية
/ وإنك المظهور للظهور والمطهرة النقية
كبكاء مؤولة أتت يوماً لواحد من المنية

[٢٤١/٧]

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، / حتى أمره بالإمساك
فأمسك. قال: فحدثت أبي بذلك لما انصرفت؛ فقال لي: ويلى على الكيساني الفاعل ابن الفاعل! يقول:
فإذا مررت بقبوره فأطل به وقف المطية
فقلت: يا أبت، وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحرا! أو لا يقتل نفسه! فثكلته أمه!

يحاكم إليه رجلان من بني دارم في أفضل الناس بعد النبي ﷺ:

حدثني أبو جعفر الأخرج - وهو ابن بنت الفضيل^(٢) بن بشار - عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد - وهو
الذي يقول فيه السيد في بعض قصائده:

وإسماعيل يترز من فلان ويرغم أنه للثار صالي^(٣)

قال: تلاحي رجلان من بني عبدالله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؛ فرضيا
بحكم أول من يطلع. فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقلت: علي بن أبي طالب. فقطع السيد كلامه ثم قال:

(١) وطفاء: بيئة الوظف. والوظف في السحاب: أن يكون في وجهه كالحمل الثقيل، أو هو استرخاء في جوانبه لكثرة مائه.

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٣١ من هذا الجزء.

(٣) لعله يريد أن إسماعيل هذا ينحدر من أب حقير مجهول ويزعم أنه كريم يوقد النيران للقرى كمادة العرب المعروفة.

وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحز جواباً.

جعفر بن محمد وشعر السيد:

وقال التميمي وحديثي أبي قال قال لي فضيل الرسان^(١):

/ أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد: [٢٤٢/٧]

لأُم عمرو باللوى مَرَبِعٌ دارسةٌ أعلامه بَلَقُعُ

فسمعتُ التَّحِيْبَ من داره. فسألني لمن هي، فأخبرته أنها للسيد، وسألني عنه فعرَّفته وفاته؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنِّي رأيته يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق^(٢)؟ قال: اتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطرُ ذُنْبٍ عند الله أن يَغْفِرَه لِمُحِبِّ عليٍّ!.

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا محمد بن موسى قال: جاء رجلٌ إلى السيد فقال: بلغني أنك تقول بالرجعة^(٣)؛ فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني. قال: أفتعطيني ديناراً^(٤) بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد: نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً. قال: وأي شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي؛ فأفحمه.

جعفر بن عفان الطائي وعمر بن حفص:

أخبرني^(٥) الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفان الطائي الشاعر: أهدى إلي سليمان^(٦) بن عليٍّ مَهْراً أعجبنى وعزمتُ^(٧) تربيته. فلما مضت عليٍّ أشهرٌ عزمتُ على الحجِّ، ففكرت في صديق لي أودعه المهرَ ليقومَ عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص، فصرتُ إليه فسألته أن / يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي؛ ودعا بسائسه فتقدَّم إليه في ذلك؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيته به، ومضيتُ إلى الحجِّ. ثم انصرفْتُ وقلبي متعلِّقٌ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دبرَ ظهره وعَجِفَ من قلة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص، أهكذا أوصيتك من هذا المهر! فقال: وما ذنبي! لم يَنْجَع فيه العَلْفُ. فانصرفْتُ به وقلت:

(١) هو فضيل الرسان بن الزبير من أصحاب محمد بن عليٍّ وأبي خالد الواسطي ومنصور بن أبي الأسود، وكان من متكلمي الزيدية (عن «فهرست ابن النديم» ص ١٧٨ طبع أوروبا).

(٢) الرستاق: السواد والقرى (فارسيّ معرب). قال ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزدور وقرى. (انظر «شرح القاموس» مادة رزدق).

(٣) الرجعة: أن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من المسلمين من أولى البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي أ، م، س: «مهيأراً». وفي ب، س، ح: «مهيأراً». وهو تحريف.

(٥) هذه القصة ليست لها مناسبة واضحة في ترجمة السيد الحميري.

(٦) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، مات وهو على البصرة سنة ١٤٢ هـ. وعمره تسع وخمسون سنة.

(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وزعمت» وهو تحريف.

٩
٧

مَنْ عَازِرِي مَنْ أَبِي حَفْصٍ وَثَقْتُ بِهِ
فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي فِي أَمَانَتِهِ
/ أَضَاعَ مَهْرِي وَلَمْ يُحْسِنْ وَلَا بَنَهُ
عَاتِبْتُهُ فِيهِ فِي رَفَقٍ فَقُلْتُ لَهُ
فَقَالَ دَاءٌ بِهِ قَدْ مَاءً أَضْرَبَهُ
قَدْ كَانَ لِي فِي اسْمِهِ عَنْهُ وَكُنْتُهُ
فَكَيْفَ يَنْصَحَنِي أَوْ كَيْفَ يَحْفَظَنِي
لَوْ كَانَ لِي وَلَدٌ شَتَى لَهُمْ عَدُوٌّ
لَمْ يَنْصَحُوا لِي وَلَمْ يُقُوا عَلَيَّ وَلَوْ
وَكَانَ عِنْدِي لَهُ فِي نَفْسِهِ خَطَرُ
وَالظَّنُّ يُخْلَفُ وَالْإِنْسَانُ يُخْتَبَرُ
حَتَّى تَبَيَّنَ فِيهِ الْجَهْدُ وَالضَّرَرُ
يَا صَاحِبَ هَلْ لَكَ مِنْ عَذْرِ فَتَعْتَذِرُ
وَدَاوَهُ الْجَوْعُ وَالْإِتْعَابُ وَالسَّفَرُ
لَوْ كُنْتُ مُعْتَبِرًا نَاءً وَمُعْتَبَرُ
يَوْمًا إِذَا غِبْتُ عَنْهُ وَاسْمُهُ عَمْرُ
فِيهِمْ سَمِيُّوهُ إِنْ قَالُوا وَإِنْ كَثُرُوا
سَاوَى عَدِيدَهُمُ الْحَصْبَاءُ وَالشَّجَرُ

أرسل إلى المهدي يهجو بني عدي وبني تيم ويطلب إليه أن يقطع عطاءهم:

قال وحدثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش. فجاء السيد فرفع إلى الربيع^(١) رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

[٢٤٤/٧]

/ قُلْ لَابْنِ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ
أَخْرِمَ بَنِي^(٢) تَيْمٍ بَنَ مُرَّةً إِنَّهُمْ
إِنْ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً
وَإِنْ اتَّمَنْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ
وَلَكِنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّوْكُمْ
مَنَعُوا ثَرَاتَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ
وَتَأْمَرُوا مَنْ غَيْرَ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا
لَمْ يَشْكُرُوا^(٥) لِمُحَمَّدٍ إِنْعَامَهُ
لَا تُغْطِيَنَّ بَنِي عَدِيَّ^(٣) دَرَهَمًا
شَرُّ الْبَرِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدِّمًا
وَيَكَا فَنُوكَ بَأَنْ تُذَمَّ وَتُشْتَمَا
خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا خَرَا جَكَ مَغْنَمًا
بِالسَّمْنَعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا
وَابْنِيهِ وَابْنَتُهُ عَدِيلَةُ مَرْيَمًا^(٤)
وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَنَالِكَ مَأْثَمًا
أَفْشَكُرُونَ لَغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

(١) هو الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، حاجب المنصور الخليفة العباسي وأوثق رجاله عنده. وزر له بعد أبي أيوب المورياتي، توفي سنة سبعين ومائة. وقال الطبري: توفي سنة تسع وستين ومائة، قيل: إن الهادي سمعه، وقيل: إنه مرض ثمانية أيام ومات. (انظر «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٢٦٠ طبع بولاق).

(٢) هم بنو عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) هم رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) الذي بقي من أعمامه هو العباس بن عبد المطلب وقد مات بعده ﷺ. ويعني بابنته: الحسن والحسين. وبابنته فاطمة عليها السلام. وبمريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام.

(٥) في الأصول: «لا يشكروا...».

واللَّهُ مَنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا
ثُمَّ انْبَرَوْا لَوْصِيَّهِ وَلَوْلِيَّهِ بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلَقَمَا
وهي قصيدة طويلة حُذِفَ باقياها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) ثم قال: اقطع العطاء فقطعه؛
وانصرف الناس؛ ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل، ولم يُعْطِهِمْ شَيْئاً.
أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن إسحاق النَّخَعِيِّ عن أبي سليمان الرِّيَّاحِيِّ^(٢) مثله.

[٢٤٥/٧] / ناظره شيطان الطاق في الإمامة فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القُمِّي^(٣) قال حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْمُسْتَرِيقُ رَاوِيَةُ السَّيِّدِ:
أَنَّهُ حَضَرَ يَوْمًا وَقَدْ نَازَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ النُّعْمَانِ الْمَعْرُوفُ بِشَيْطَانِ الطَّاقِ^(٤) فِي الْإِمَامَةِ، فَغَلَبَهُ مُحَمَّدٌ فِي
دَفْعِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنِ الْإِمَامَةِ؛ فَقَالَ السَّيِّدُ:

الْأَيَّاهَا الْجَدِلُ^(٥) الْمَعْنِي
لَنَا، مَا نَحْنُ وَنَحْنُكَ وَالْعَنَاءُ!
أَتُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ كَهْلٌ
تُرَاكَ عَلَيْكَ مِنْ وَرَعٍ رِدَاءٍ^(٦)
أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيبِي
وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ مَسَوَاءُ
عَلَيٍّ وَالثَّلَاثَةُ^(٧) مِنْ بَنِيهِ
هُمُ اسْتَبَاطُهُ وَالْأَوْصِيَاءُ
فَأَتَى فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ
يَكُونُ الشُّكُّ مَنَا وَالْمِرَاءُ
/ بِهِمْ^(٨) أَوْصَاهُمْ وَدَعَا إِلَيْهِ
جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سَمِعَ الدَّعَاءُ
فَسَبَطَ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَجَلَمَ
وَسَبَطُ غَيْثِهِ كَرَبَّاءُ
سَقَى جَدْنًا تَضَمَّنَهُ مُلْكٌ
هَتُوفُ الرَّعْدِ مُرْتَجِزٌ رَوَاءُ^(٩)
تَظَلُّلٌ مُظْلَلَةٌ مِنْهَا عَزَالٌ^(١٠)
عَلَيْهِ وَتَغْتَدِي أُخْرَى مِلَاءُ

١٠
٧

(١) هو أبو عُبَيْدِ اللَّهِ مَعَاوِيَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ الْأَشْعَرِيُّ الْكَاتِبُ الْوَزِيرُ كَانَ كَاتِبَ الْمَهْدِيِّ وَتَوَلَّى لَهُ «دِيوان الرِّسَالِ». (انظر «الطبري»
قسم ٣ ص ٣٥١ و ٤٦١ - ٤٦٤ و ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ. وَلَعَلَّهُ مُحَرَّفٌ عَنِ النَّاجِي، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ وَسِيرِدَ فِي ص ٢٤٦ يَرَوِي عَنْهُ إِسْحَاقُ بْنُ
مُحَمَّدٍ هَذَا.

(٣) كَذَا فِي «كِتَابِ الدِّيَارَاتِ» لِلشَّابِثِيِّ وَ«مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» لِياقوتِ أَثْنَاءَ كَلَامِهِمَا عَلَى «دِير قَنِي» وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَم. وَقَم (بِضْمِ الْقَافِ
وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ): مَدِينَةٌ بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَسَاوَةَ. وَفِي الْأَصُولِ: «الْعَمَى» بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ. سَبَطَ هُوَ الصَّوَابُ.

(٤) الطَّاقُ: حَصْنٌ بِطَبْرِسْتَانَ. وَبِهِ سَكَنَ مُحَمَّدٌ هَذَا، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ الطَّائِفَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ مِنْ غَلَاةِ الشَّيْعَةِ.

(٥) الْجَدِلُ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ.

(٦) فِي أ، هـ، م: «رَوَاءُ» بِالْوَاوِ.

(٧) الثَّلَاثَةُ: يَعْنِي بِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

(٨) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

(٩) أَلَتْ الْمَطَرُ الثَّلَاثَ: دَامَ أَيَّامًا لَا يَقْلَعُ. وَارْتَجَزَ الرَّعْدُ: تَتَابَعَ صَوْتُهُ. وَالرَّوَاءُ: الْكَثِيرُ الْمُرُورِ.

(١٠) الْعَزَالِي: جَمْعُ عَزَلَاءَ وَهِيَ مَصْبُ الْمَاءِ مِنَ الرَّائِيَةِ وَالْقَرْبَةِ فِي أَسْفَلِهَا حَيْثُ يَسْتَفْرِغُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ. يُقَالُ: أُرْسِلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيهَا
أَيَّ كَثَرَتْ مَطَرُهَا، يَشْبَهُ اتِّسَاعَ الْمَطَرِ وَانْدِفَاقَهُ بِمَا يَخْرُجُ مِنْهَا.

/ وَسَبَطُ^(١) لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
مَنْ الْبَيْتِ الْمُحَجَّجِ فِي مَسَرَّةِ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
شُرَاةَ لَفَتْ بَيْنَهُمُ الْإِخَاءُ
عَصَائِبُ لَيْسَ دُونَ أَغْرَأَ أَجْلَى
بِمَكَّةَ قَائِمٌ لَهُمْ أَنْتِهَاءُ

رَأَى الْعَبْدِي فِي النَّوْمِ يَنْشُدُ النَّبِيَّ ﷺ شِعْرًا:

- وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثير - ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ:
رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّيِّدُ الشَّاعِرُ وَهُوَ يُنْشِدُ:

أَجَدَ بَالُ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ
حَتَّى أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا عَلَى آخِرِهَا وَهُوَ يَسْمَعُ. قَالَ: فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ رَجُلًا جَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ طُوسُ^(٢) عِنْدَ قَبْرِ
عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا، فَقَالَ لِي: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى خِلَافِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يُنْشِدُ:
* أَجَدَ بَالُ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ *

إِلَى آخِرِهَا؛ فَاسْتَبَقْتُ مِنْ نَوْمِي وَقَدْ رَسَخَ فِي قَلْبِي مِنْ حُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كُنْتُ
أَعْتَقِدُهُ.

أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلِيمَانَ التَّاجِي وَمُحَمَّدُ بْنُ حَلِيمٍ^(٣) الْأَعْرَجُ قَالَا:
كَانَ السَّيِّدُ إِذَا اسْتَنْشَدَ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ لَمْ يَبْدَأْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِقَوْلِهِ:

أَجَدَ بَالُ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ

/ مَدَحَ الْعَتَبِيَّ شِعْرَهُ وَأَلْفَاظَهُ فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ:

قَالَ إِسْحَاقُ: وَسَمِعْتُ الْعَتَبِيَّ يَقُولُ: لَيْسَ فِي عَصْرِنَا هَذَا أَحْسَنُ مَذْهَبًا فِي شِعْرِهِ وَلَا أَنْقَى أَلْفَاظًا مِنَ السَّيِّدِ،
ثُمَّ قَالَ لِبَعْضٍ مِنْ حُضُرٍ: أَنْشَدْنَا قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَةَ الَّتِي أَنْشَدْتَنَاهَا الْيَوْمَ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

هَلْ عِنْدَ مَنْ أَحْبَبْتَ تَنْوِيلُ أَمْ لَا فَإِنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلُ
أَمْ فِي الْحَشَى مِنْكَ جَوَى بَاطِنُ^(٤) لَيْسَ تُدَاوِيهِ إِلَّا بَاطِلُ
عُلَّقْتَ يَا مَغْرُورُ خَسَدَاعَةً بِالْوَعْدِ مِنْهَا لَكَ تَخْيِيلُ

(١) يعني بسبط الإيمان الحسن بن علي، والسبط الذي غيبته كربلاء الحسين بن علي وقد قتل في كربلاء بالعراق، والسبط الذي لا يذوق الموت هو محمد بن الحنفية.

(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر هارون الرشيد.

(٣) في أ، م: «حكيم» بالكاف.

(٤) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «باطل» باللام، تحريف.

رَيَّا رَدَاحَ^(١) النُّومِ خَمَصَانَةَ كأنها أذماءٌ عُطْبُولُ^(٢)
 يَشْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَخْلُو بِهَا ضُمَّ إِلَى النُّحْرِ وَتَقْبِيلُ
 وَذَوْقُ رِيْسِي طَيِّبٌ طَعْمُهُ كأنه بِالمسكِ مَغْلُوبُ
 فِي نِسْوَةٍ مِثْلِ الْمَهَا خُرْدُ تَضِيْقُ عَنْهُنَّ الْخِصْلَاخِيلُ
 يقول فيها:

أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَالْآثِمِ والمِرَّةِ عَمَّا قَالِ مَسْؤُولُ
 إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الثَّقَلَيْنِ وَالْبِرِّ مَجْبُولُ

١١ / فقال العتيبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب.
 في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمُخَارِقِ رَمَلٍ بالبنصر عن الهشامي، وذكر حبش أنه للغريص. وفيه لحنٌ
 لسليمان من كتب بَذَلٍ غيرُ مجنَّس.

كان لا يأتي في شعره بالغريب:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني إسحاق بن محمد التَّخَعِّي عن عبد الحميد بن
 عُقْبَةَ عن إسحاق بن ثابت العطار قال:

٢٤٨/١ / كُنَّا كَثِيرًا مَا نَقُولُ لِلسَّيِّدِ: مَا لَكَ لَا تَسْتَعْمِلُ فِي شِعْرِكَ مِنَ الْغَرِيبِ مَا تَسْأَلُ عَنْهُ كَمَا يَفْعَلُ الشُّعْرَاءُ؟ قَالَ: لِأَنَّ
 أَقُولُ شِعْرًا قَرِيبًا مِنَ الْقُنُوبِ يَكْلَهُ مَنْ سَمِعَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا مُتَعَقِّدًا تَضِلُّ فِيهِ الْأَوْهَامُ.

سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود:

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحِي رَاوِيَةُ الشُّعْرَاءِ
 بالكوفة قال حدثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّبَّاحِ ومحمد بن سَلَمَةَ، يزيد بعضهم على بعض:

أَنَّ السَّيِّدَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ أَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ رَاوِيَةُ الْكُمَيْتِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ فَقَالَ: مَنْ الَّذِي يَقُولُ:

يَعِيبُ عَلَيَّ أَقْسَامُ سَفَاسَاهَا بَأْسَانُ أَرْجِي^(٣) أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا

(١) الرِّدَاحُ: الثَّقِيلَةُ المعجزة. والرِّدَاحُ: الجمل المثل حملًا الذي لا انبعاث له. ولعل المعنى الأخير هو الأنسب وقد استعاره هنا للنوم،
 أي أنها نؤوم قليلة الانبعاث من النوم. وكان هذا مستحسنًا عند العرب، يقال: هي نؤوم الضحى.

(٢) الْأَذْمَاءُ: الظَّيْبَةُ. وَالْعُطْبُولُ: الطَّوِيلَةُ العنق.

(٣) فِي ب، س: «أَرْجُو» وهو تحريف. والإرجاء (وعدم الهمز في الفعل لغة): التأخير. وقد تكرر هذا اللفظ في ترجمة السيد الحميري
 وله معان: منها الإرجاء بمعنى تأخير الإمام علي (رضي الله عنه) إلى الدرجة الرابعة. والمرجئة بهذا المعنى يقابلون الشيعة وعلى
 هذا المعنى جاء شعر محارب بن دثار هذا. ومن معاني الإرجاء أيضًا إرجاء أمر من دخلوا الفتنة بين علي ومعاوية وتفويض أمرهم
 إلى الله تعالى. وعلى هذا المعنى يحمل قول السيد الآتي: أيرجى علي إمام الهدى * وعثمان ما أعند المرجيان.
 أما المرجئة التي تقول: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة فجماعات أخر جاءت بعد ذلك. وهم أصناف
 أربعة: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة.

وإرجائي أبا حسن صواب
فإن قدّمتُ قوماً قال قوم
إذا أيقنْتُ أن الله ربّي
وأن الرُّسُلَ قد بُعثوا بحق
فليس عليّ في الإرجاء بأس
عن العُمَرَيْنِ^(١) بَرّاً أو شَقِيّاً
أسأتَ وكنْتَ كذاباً رديّاً
وأزسلُ أحمداً حقّاً نبيّاً
وأن الله كان لهم وليّاً
ولا تَبَسُّرٌ ولست أخاف شيئاً؟

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله مُحارب^(٢) بن دِثَارِ الدُّهْلِيِّ: فقال السيّد: لا كان الله وليّاً للعاصِ بَظَرِ أمّه! من يُنشدنا قصيدة أبي الأسود:

/ أَحِبَّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحُمَزَةَ وَالْوَصِيَّ

٤٩/٧]

فأنشده القصيدة بعض من كان حاضراً؛ ففطّق يَسُبُّ محارب بن دِثَارِ ويترحم على أبي الأسود. فبلغ الخبر منصوراً التَّمَرِيّ فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاء بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال:

يَوَدُّ مُحَارِبٌ لَوْ قَد رَأَاهَا وَأَبْصَرَهُمْ حَوَالَيْهَا جُثَيَّاهَا
وَأَنَّ لِسَانَهُ مِنْ نَابٍ أَفْعَى وَمَسَا أَرْجَا أَبَا حَسَنِ عَلِيَّاهَا
وَأَنَّ عَجُوزَهُ مَصْعَثٌ^(٣) بِكَلْبٍ وَكَانَ دِمَاءُ سَاقِيهَا جَرِيَّاهَا
مَتَى تُرْجَىءَ أَبَا حَسَنِ عَلِيَّاهَا فَقَدْ أَرْجَيْتَ يَا لُكْعُ نَبِيَّاهَا

كان جعفر بن سليمان كثيراً ما ينشد شعره:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البرّقيّ^(٤) قال حدّثني إسحاق بن محمد النّخعيّ قال حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال:

دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعِيِّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما يُنشد شعر السيّد، فمن أنكره عليه لم يحدثه؛ فسمعتُه يُنشدهم:

/ مَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَمِيعاً كُلُّهَا مِنْ حَوْضِ أَحْمَدَ شَرِبَةً مِنْ مَاءٍ

١٢/٧

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميريّ.

مرت به امرأة من آل الزبير فقال شعراً:

حدّثني عمّي والكُرانيّ قالَا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد عن عبدالله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن

(١) العمران هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) هو محارب بن دِثَارِ بن كردوس تابعي من بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة. ولي قضاء الكوفة وتوفي في ولاية خالد بن عبدالله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك. وله أحاديث ولا يحتجون به. وكان من المرتجة الأولى الذين كانوا يرجئون علياً وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا كفر. (عن «طبقات ابن سعد»).

(٣) مصعت المرأة بولدها: رمت به.

(٤) كذا في ب، س، وفيما يأتي في جميع الأصول. وفي سائر الأصول هنا: «البري» بالراء المهملة.

الحارث بن صفوان، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه:

[٢٥٠/٧] / أن السيد كان بالأهواز؛ فمرت به امرأة من آل الزبير تزفت إلى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأخبر بها؛ فقال:

أَتَتْنَا تُزَفُّ عَلَى بَغْلَةٍ وَفَوْقَ رَحَالِهَا قُبَّةٌ
زُبَيْرَةٌ مِنْ بَنَاتِ الَّذِي ^(١) أَحَلَّ الْحَرَامَ مِنَ الْكُفَّةِ
تُزَفُّ إِلَى مَلِكٍ مَاجِدٍ فَلَا اجْتِمَاعَ وَبِهَا الْوَجْبَةُ ^(٢)

روى هذا الخبر إسماعيل بن الساجر فقال فيه: فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء، فنهشتها أفعى فماتت؛ فكان السيد يقول: لحققتها دعوتي.

خرج الناس للاستسقاء فجعل يدعو عليهم:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفري - وهو محمد بن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر - قال أخبرني أبي قال:

خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبة ومطرف وعمامة؛ فجعل يجز مطرفه ويقول:

أَفِطُّ إِلَى الْأَرْضِ فَخُذْ جَلْمِداً ثُمَّ ازْمِهِمْ يَا مُزْنَ بِالْجَلْمِ
لَا تَسْقِهِمْ مِنْ سَبَلِ قَطْرَةٍ فَإِنَّهُمْ حَزَبُ بَنِي أَحْمَدِ

رأى لوحاً في يد رجل فكتب فيه شعراً يعرض برواة الحديث من أهل السنة:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الحرمازي قال حدثني رجل قال:

[٢٥١/٧] / كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن؛ فلقيني السيد يوماً وأنا منصرف من عندهما، فقال: أرني الواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتها فمحوها ما فيها. فأعطيته الواح فكتب فيها:

لَشَرَبَةٍ مِنْ سَوِيْقٍ عِنْدَ مَسْغَبَةٍ وَأَكَلَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ لِحُمِّهِ وَارِي
أَشَدُّ مِمَّا رَوَى حُبَّالِ بْنِ قَيْسٍ وَمِمَّا رَوَى صَلْتُ ^(٣) بَنِ دِينَارٍ
مِمَّا رَوَاهُ فَلَانٌ عَنْ فَلَانِهِمْ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ

(١) يعني به عبدالله بن الزبير بن العوام وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به. وقد شرح ذلك أبو الفرج في ج ٦ ص ٢٠٦ من هذه الطبعة.

(٢) الوجبة: لعلها المرة من وجب القلب يجب أي خفق.

(٣) هو الصلت بن دينار الأزدي البصري، كان ضعيف الحديث متهم الرواية، وكان ينال من الإمام علي كرم الله وجهه ويتنصه.

رأه زيد بن موسى في النوم ينشد النبي ﷺ شعراً:

أخبرني أحمد بن علي الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل^(١) بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول:

رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقد أمه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرفه، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال: يا سيد، أنشدني قولك:

* لَأَمْ عمرو في اللوى مريع *
 * لَأَمْ عمرو في اللوى مريع *

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلّها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحانة رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد^(٢) هذه القصيدة لم يتتعتع^(٣) فيها ولم يلحن.

أنشد فضيل الرسان جعفر بن علي شعر فترحم عليه وترحم عليه أهله:

وقال^(٤) محمد بن داود بن الجراح في روايته عن / إسحاق النخعي حدثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن^(٥) علي بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال:

/ دخلت على جعفر بن محمد أعزّيه عن عمّه زيد، ثم قلت له: ألا أنشدك شعر السيد؟ فقال: أنشد؛ فأنشدته [٢٥٢/٧] قصيدة يقول فيها:

فالناس يوم البعث راياتهم
 فائدتها العجل وفرعونهم
 ومارق من دينه مخرج
 أسود عبداً لكع^(٥) أزع
 وراية قائدتها وجهه
 كأنه الشمس إذا تطلع

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال: من قاتل هذا الشعر؟ فقلت: السيد! فقال: رحمه الله. فقلت: جعلت فداك! إني رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله! فما ذنب على الله أن يغفره لآل علي! إن محب علي لا تزال له قدم إلا تبتت له أخرى.

حدثني الأخفش عن أبي العيّن عن علي بن الحسن بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال:

إن زلت له قدم فقد تبتت الأخرى.

(١) في أ، و، م: «قال حدثنا أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن إبراهيم... إلخ».

(٢) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «أنشده» وهو تحريف.

(٣) التمتع في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أو عي.

(٤) في الأصول: «وكان» وهو تحريف.

(٥) الأوكع: اللثيم. والظاهر أن السيد يعني رجلاً بالذات أو رجلاً من أعداء أهل البيت، يعرض بهم.

ماراه رجل في تفضيل علي ففرقه:

نسختُ من كتاب الشَّاهِيزِي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ الْحَمِيرِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

انحدر السيّد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فَمَارَاهُ رَجُلٌ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ وَبَاهِلِهِ ^(١) عَلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ ^(٢) اللَّيْلُ قَامَ الرَّجُلُ لِيُبَوِّلَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَدَفَعَهُ السَّيِّدُ فَمَرَّقَهُ؛ فَصَاحَ الْمَلَا حُونَ: غَرِقَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ! فَقَالَ السَّيِّدُ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ بَاهِلِي ^(٣).

[٢٥٣/٧] هَجَا قَوْمًا لَمْ يَنْصَتُوا لَشَعْرِهِ:

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ حَدَّثَنِي الثَّوْرِي قَالَ:

جَلَسَ السَّيِّدُ يَوْمًا إِلَى قَوْمٍ، فَجَعَلَ يُنْشِدُهُمْ وَهُمْ يَلْغَطُونَ؛ فَقَالَ:

قَدْ ضَيَّعَ اللَّأْمُ مَا جَمَعْتُ مِنْ أَدَبٍ	بَيْنَ الْحَمِيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ
لَا يَسْمَعُونَ إِلَيَّ قَوْلٍ أَجِيءُ بِهِ	وَكَيْفَ تَسْتَمِعُ الْأَنْعَامُ لِلْبَشَرِ
أَقُولُ مَا سَكَتُوا إِنْ سَنَ فَإِنْ نَطَقُوا	قَلْتُ الضَّفَادُعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالشَّجَرِ

اغتابه رجل عند قوم فهجاه:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْبَرْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ ^(٤) سُوَيْدِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ:

كَانَ السَّيِّدُ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا وَيَغْشَانَا، فَقَامَ مِنْ عِنْدَنَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَخَلَفَهُ ^(٥) رَجُلٌ وَقَالَ: لَكُمْ شَرَفٌ وَقَدَّرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ، فَلَا تَجَالِسُوا هَذَا فَإِنَّهُ مَشْهُورٌ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَتَمِ السَّلَفِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ السَّيِّدَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

وَصَفْتُ لَكَ الْحَوْضَ يَا بَنَ الْحُصَيْنِ	عَلَى صَفَةِ الْحَارِثِ الْأَغُورِ ^(٦)
فَإِنْ تُشَقِّقَ مِنْهُ غَدًا شَرِبْتَ	تَقْرُؤُ مَنْ نَصِييَكَ بِالْأَوْفَرِ
فَمَا لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنَّنِي	ذَكَرْتُ السَّيِّدَ ^(٧) فَرَّ عَنْ خَيْرِ

(١) المباهلة: الملاعة.

(٢) في ب، س: «قام» وهو تحريف.

(٣) يحتمل أن يكون «باهلي».

(٤) في أ، م: «بن سويد».

(٥) في الأصول: «فتخلفه».

(٦) هو الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مات بالكوفة سنة ٦٥ هـ. (انظر «الطبري» ق ٣ ص ٢٥٢٤ طبع أوروبا).

(٧) يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ حين نزل بحمص أهل خير أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خير فأنكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يعجبه أصحابه ويعجبهم. فأعطى رسول الله ﷺ اللواء إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقاتل حتى فتح الله له. (انظر «الطبري» ق ١ ص ١٥٧٩). وخير: اسم ولاية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، كانت تشتمل على سبعة حصون ذكرها كلها ياقوت وقد افتتحها رسول الله ﷺ. (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

[٢٥٤/٧]

/ ذكرتُ انمراً فرّ عن مِرْحَبٍ^(١) فِرَارَ الحمَارِ مِنَ الْقَسُورِ^(٢)
 فأنكر ذاك جليساً لكم زَيْمٌ أخو خُلُقِي أعور
 لَحَانِي بحبِّ إمام الهدى وفاروق^(٣) أُمْتُنا الأكبر
 / سَأَحْلِقُ لِحْيَتَهُ إِنهَآ شهوذاً على الزور والمُنكر

١٤
٧

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك الرجل ولزموا محبة السيد ومجالسته.

ردة سوار بن عبدالله شهادته فهجاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق.

أن السيد تقدّم إلى سوار^(٤) القاضي ليشهد عنده، وقد كان دافع^(٥) المشهود له بذلك وقال: أعفني من الشهادة عند سوار، وبذل له مالاً فلم يُعَفِّه. فلما تقدّم إلى سوار فشهد قال^(٦): ألسنتُ المعروف بالسيد! قال: بلى؛ قال: استغفر الله من ذنب تجرأتُ به على الشهادة عندي، فم لا أرضى بك. فقام مُغَضَّباً من مجلسه وكتب إلى سوار رقعة فيها يقول:

إِنْ سَوَّارٌ بِنَ عِبْدَاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْقَضَاةِ

فلما قرأها سوار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر، فسبقه السيد إليه فأنشده:

[٢٥٥/٧]

/ قُلْ لِلإِمَامِ الَّذِي يُنْجِي بِطَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بُخْبُوحَةٍ^(٧) النَّارِ
 لَا تَسْتَعِينَنَّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حَكَمِ سَوَّارِ
 لَا تَسْتَعِينَنَّ بِخِيَاثِ الرَّأْيِ ذِي صَلَافٍ جَمَّ الْعُيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جَبَّارِ
 تُضْجِي الْخُصُومُ لَدَيْهِ مِنْ تَجَبُّرِهِ لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ لِحْظَ أَبْصَارِ
 يَهْأُ وَكِبَرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ مِنْ ضَبْعِهِ^(٨) كَانَ عَيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي

(١) هو مرحب (كنبر كما في «شرح القاموس») اليهودي صاحب حصن خيبر. ذكر الطبري أنه خرج يطلب البراز وقد حاصر رسول الله ﷺ الحصون، فبرز له محمد بن مسلمة فقتله. وقال في رواية أخرى وافقه فيها شارح «القاموس» (مادة رحب): إن الذي قتله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) القسور: الأسد.

(٣) الفاروق: الذي يفرق بين الأمور ويفصلها.

(٤) هو سوار بن عبدالله التميمي العنبري قاضي البصرة وأميرها، جمع له ذلك أبو جعفر المنصور بعد عزله الهيثم بن معاوية عن إمرة البصرة، وكان سوار يتولى قضاءها. مات سنة ١٥٧ هـ وكان عادلاً. حدث أن اشتكاه قوم إلى المنصور فكشف عن ذلك فوجده باطلاً فأقره في عمله. (انظر «النجوم الزاهرة» ج ٢ ص ٢٨ و ٣٠ طبع دار الكتب المصرية).

(٥) كذا في م. وفي سائر الأصول: «رافع» بالراء المهملة وهو تحريف.

(٦) في الأصول: «فقال».

(٧) بخبوحه المكان: وسطه.

(٨) الضبع في الأصل: وسط العضد بلحمه، وقيل: الإبط. وقد جاء في أساس البلاغة مادة «ضبع»: وأخذت بضبعيه ومددت بضبعيه إذا نعشته ونوّهت باسمه.

ودخل سواراً؛ فلما رآه المنصور تبسم وقال: أما بلغك خبر إياس^(١) بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه! ثم أمر السيد بمصالحته.

مدح المنصور لما ولي ابنه العهد:

وقال إسحاق بن محمد التَّحِيّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحِمَيْرِيُّ قَالَ:
دخل السيد علي المهدي لما بايع لابنّه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

ما بال مَجْرَى دَمْعِكَ السَّاجِمِ	أَمِنْ قَلْدَى بَاتَ بِهَا لَازِمِ
أَمْ مِنْ هَوَى أَنْتَ لَهُ سَاهِرِ	صَبَابَةٌ مِنْ قَلْبِكَ الْهَائِمِ
/ أَلَيْتَ لَا أَمْدَحُ ذَانَا لِي	مِنْ مَغْشَرِ غَيْرِ بَنِي هَاشِمِ
أَوَلَيْتَهُمْ عِنْدِي يَدُ الْمُصْطَفَى	ذِي الْفَضْلِ وَالْمَنْ أَبِي الْقَاسِمِ
فَلِإِنِّهَا بِيضَاءُ مُحَمَّدٍ	جَزَاؤُهَا الشُّكْرُ عَلَى الْعَالَمِ
جَزَاؤُهَا حَفَظُ أَبِي جَعْفَرِ	خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ وَالْقَائِمِ
وَطَاعَةُ الْمَهْدِيِّ ثُمَّ ابْنِهِ	مُوسَى عَلِي ذِي الْإِرْبَةِ الْحَازِمِ
وَلِلرَّشِيدِ السَّرَابِيعِ الْمُتَقَضَّى	مُفْتَرَضٌ مِنْ حَقِّهِ الْإِلَازِمِ
مَلِكُهُمْ خَمْسُونَ مَعْدُودَةً	بِرَغْمِ أَنْفِ الْحَاسِدِ الرَّاغِمِ
لَيْسَ عَلَيْنَا مَا بَقُوا غَيْرَهُمْ	فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ مِنْ حَاكِمِ
حَتَّى يَرُدُّوَهَا إِلَى هَابِطِ	عَلَيْهِ عَيْسَى مِنْهُمْ نَاجِمِ

[٢٥٦/٧]

كان يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي بن أبي طالب:

/ وقال علي بن المغيرة حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّدُوسِيُّ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

١٥/٧

كان السيد يأتي الأعمش^(٢) فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري. كان مشهوراً بالذكاء النادر، والفراصة الصادقة، معدوداً من العقلاء الفضلاء الدهاء. ولما عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان فقيهاً عفيفاً فطناً. توفي سنة ١٢٢ هـ. أما سماعه شهادة الفرزدق وقبولها فقد كان خوفاً من هجوه. وخبر هذه الشهادة ساقه المؤلف في «الأغاني» (ج ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق) عن بعض شيوخ الأصمعي قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرحاً. فقبل له: إنه والله ما أجاز شهادتك؛ قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس. قالوا: أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر! فقال: وما يمتعه ألا يقبل شهادتي وقد قدفت ألف محصنة.

(٢) هو سليمان بن مهران مولى بني كاهل الكوفي الإمام، كان ثقة عالماً فاضلاً. قال أبو معاوية الضريير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش: اكتب لي مناقب عثمان ومساوي علي. فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلا كتبها وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك. فقال له الرسول: إنه قد ألى أن يقتلني إن لم آت بجوابك، ويحمل عليه بإخوانه. فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، يا أمير المؤمنين فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك. ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوي أهل الأرض ما ضرتك. فعليك بخويصة نفسك». توفي سنة ١٤٨ هـ (انظر «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٣٠١ طبع بولاق).

شعراً. فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمّله على فرس وخلع عليه؛ فوقف بالكُنَاسة^(١) ثم قال: يا معشر الكوفيين، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يُحدّثونه ويُشدهم؛ حتى أتاه رجل منهم وقال:

سمع عن عليّ قصة فتظمها:

إن أمير المؤمنين / عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب؛ فلبس ثيابه وأراد لبس الخُفّ [٢٥٧/٧] فلبس أحد خُفَيْهِ، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضَّ عُقَابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسود^(٢) وانساب فدخل جُحراً؛ فلبس عليّ رضي الله عنه الخُفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكر هنيهةً ثم قال:

الآ يا قوم للعجب العجائب	لخُفّ أبي الحسين وللجُباب ^(٣)
أتى خُفّاه وانساب فيه	لِيَهْشَ رِجْلَهُ مِنْهُ بِنَاب
فخر من السماء له عُقَابٌ	من العقبان أو شُبّه العقاب
فطار به فحلّق ثم أهوى	به لسلارض من دون السحاب
إلى جُحْرٍ له فانساب فيه	بعيد القفر لم يُرتج بيباب
كريم الوجه أسود ذو بصيص	حديد الناب أزرق ذو لعاب
ودُفِعَ عن أبي حسن عليّ	نقيع سمامه بعسد انسياب

ثم حرك فرسه ومضى وجعل تشبيهاً بعد ذلك:

صوت إلى سُلَيْمَى والرَّباب وما لأخي المشيب وللنصاب

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني عبد الله بن أحمد بن مُستورد قال:

وقف السيّد يوماً بالكوفة، فقال: من أتاني بفضيلة لعليّ بن أبي طالب ما قلت فيها شعراً فله دينار، وذكر باقي الحديث. فأما العُقَاب الذي^(٤) انقضَّ على خُفّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال / حدّثني جعفر بن علي بن نجيج قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود [٢٥٨/٧] الطّهوي عن أبي الزغل المرادي^(٥) قال:

قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلما عاد ليلبسه انقضّت عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد روي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

حدّثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد بن عُقبة قال حدّثنا محمد بن الصّلت

(١) الكُنَاسة: محلة بالكوفة.

(٢) الأسود: العظيم من الحيات.

(٣) الجباب: الحية.

(٤) العقاب: يذكر ويؤنث.

(٥) كذا في «شرح القاموس» مادة «زغل» وفي الأصول: «عن أبي الزغل» بالغين المعجمة وهو تصحيف.

قال حدثنا حَيَّان بن علي عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان النبي ﷺ إذا أراد حاجةً تَبَاعَدَ حتى لا يراه أحدٌ، فَتَزَعَّ خُفَّهُ فإذا عُقَابٌ قد تدلَّى فرفعه فسقط منه أسودٌ سالخ. فكان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما يمشي على بطنه ومن شرِّ ما يمشي على رجله ومن شرِّ ما يمشي على أربع ومن شرِّ الجن والإنس».

١٦٧ قال أبو سعيد وحدثنا / محمد بن إسماعيل الرّاشدي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حَيَّان بن علي عن سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس مثله.

بلغه أن الحسن والحسين ركبا ظهر النبي ﷺ فقال شعراً:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حاتم بن قبيصة قال:

سمع السيّد محدثاً يحدث أن النبي ﷺ كان ساجداً، فركب الحسن والحسين على ظهره؛ فقال عمرُ رضي الله عنه: نَعَمْ المَطِيُّ مَطِيكُما! فقال / النبي ﷺ: «وَنَعَمْ الرَّاكِبَانِ هُمَا». فانصرف السيّد من فورهِ فقال في ذلك:

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ	وقد جلسا حَجْزَةً ^(١) يلعبان
فقداهما ثم حَيَّاهُما	وكانا ليديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عانقاه	فنعم المَطِيُّهُ والراكبان
وليبدان أمهمما بَنَرةً	حَصَّانٌ مُطَهَّرةٌ للحَصَّان
وشيخُهما ^(٢) ابنُ أبي طالب	فنعم الوليدان والوالدان
خليلي لا تُرْجِيَا واعلما	بأن الهُدَى غيرُ ما تزعمان
وأن عمى الشكَّ بعد اليقين	وضغف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تُلْجِجَا فيهما	فبست لعمركما الخصلتان
أُرجى عليّ إمامُ الهدى	وعثمان ما أعند المُرْجِيان ^(٣)
وُرجى ابنُ حَرْبٍ ^(٤) وأشياعه	وهوَجُ الخَوارجِ ^(٥) بالنَّهْروان

(١) الحجرة: الناحية.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «وشخصهما» بالصاد المهملة، وهو تحريف.

(٣) كذا في الأصول.

(٤) يعني به معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

(٥) الخوارج: جماعة كانوا مع علي رضي الله تعالى عنه في صفين وخرجوا عليه منهم الأشعث بن قيس وغيره. أرادوه على أن يقبل التحكيم الذي دعاه إليه معاوية وعمرو بن العاص، فأراد أن يبعث عبدالله بن العباس فرفض الخوارج ذلك وقالوا: هو منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكما بكتاب الله تعالى فجري الأمر على خلاف ما رضي به. فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال! لا حكم إلا الله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان. وكبار فرق الخوارج ستة: الأزارقة والنجدات والصفورية والعجاردة والإباضية والثعلبية والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبري عن عثمان وعلي =

يكون إمامهم في المعاد خيبت الهوى مؤمن الشيبان^(١)

/ مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه:

[٢٦٠/٧]

وذكر^(٢) إسماعيل بن السّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد عن أبيه قال حدثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدثنا الحارث بن عبد المطلب قال: كنت جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دجلة بالبصرة وسوار بن عبدالله العنبري^(٣) قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيد بن محمد بين يديه يُنشد قوله:

إن الإله الذي لا شيء يُشبهه أعطاكم الملك للدينا وللدين
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له حتى يُقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برؤيته وصاحب الترك مجوساً على هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده؛ فحانت منه التفاتة فرأى وجه سوار يتردد غيظاً ويسود حنقاً ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويتحرق؛ فقال له المنصور: مالك! أراك شيء؟ قال: نعم، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله يا أمير المؤمنين ما صدقتك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيركم. فقال المنصور: مهلاً هذا شاعرنا ووليّنا، وما عرفتُ منه إلا صدق محبة وإخلاص نية. فقال له السيد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحملتُ غضبك لأحد، وما وجدتُ أبوي عليه فافتنتُ بهما، وما زلتُ مشهوراً بموالاةكم في أيام عدوكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن / هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً والذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجرات^(٤)، فنزلت فيهم آية من القرآن ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيد قصيدته التي أولها:

[٢٦١/٧]
١٧
٧

قف^(٥) بنا يا صاح وازبغ بالمغاني الموحشات

أنشدها أحمد بن عبيد الله بن عمار [عن]^(٦) الثؤفلي، وأخبرنا محمد بخبره مع سوار بالقصة من هاهنا إلى آخرها؛ وقال فيها:

= ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً. والنهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي.

(١) الشيبان: من أسماء الشيطان.

(٢) كذا ورد في ب، س. وفي سائر الأصول: «وذكر إسماعيل بن السّاحر أن السيد مر يزعة بن صالح قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري... إلخ». والسند على كلتا العبارتين مضطرب، لأن المعروف أن إسماعيل بن السّاحر راوية السيد يروي عنه مباشرة.

(٣) كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي بخطه والخلاصة في أسماء الرجال وفيما سيأتي في شعر السيد. وفي الأصول هنا: «العنزي» وهو تحريف.

(٤) يعني وفد بني تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات (بيوت نسائه عليه الصلاة والسلام) فنادوا بصوت عال جاف: اخرج إلينا يا محمد فقد جئنا لتفاخرك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ (انظر الكلام على هذه القصة بإسهاب في «الأغاني» ج ٤ ص ١٤٦ من هذه الطبعة).

(٥) في ب، س: «قم».

(٦) أثبتنا هذه الزيادة ليصح السند لأن أحمد بن عبيد الله بن عمار ليس نوفلياً وإنما الثؤفلي هو علي بن محمد بن سليمان وقد تكررت رواية أحمد بن عبيد الله عنه في الأجزاء السابقة.

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْ صَوَّرَ يَسَاخِيرَ السُّوَلَاةِ
 إِنَّ سَوَّارَ بَنِي عَسْبَدِ اللَّهِ مِنْ شَسْرِ الْقَضَاةِ
 نَعْلَنِي^(١) جَمَلَنِي^(٢) لَكُمْ غَيْرُ مُسَوَاتٍ
 جَدُّهُ سَارِقُ عُنْزٍ^(٣) فَجَرَّةٌ مِنْ فَجَرَاتِ
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَا ذِفْسُهُ بِالْمُنْكَرَاتِ
 وَابْنُ مَسْنُكَانٍ يَنَادِي مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
 / يَا هَنَاءُ^(٤) أَخْرُجْ إِلَيْنَا إِنَّمَا أَهْلُ هَنَاتِ
 مَذْحُنَا الْمَدْحُ وَمَنْ نَرُ مِ يَصْصَبُ بِالزَّفَرَاتِ
 فَكَفْنِيهِ لَا كَفَاهُ الْإِلَهُ شَرَّ الطَّارِقَاتِ

[٢٦٢/٧]

اعتذر إلى سوار فلم يعذره:

فشكاه سوار إلى أبي جعفر، فأمره بأن يصير إليه معترداً؛ ففعل فلم يعذره؛ فقال:

أَتَيْتُ دِعْيَ بْنَ سِي الْعَنْبَرِ أَرُومَ اعْتَذَاراً فَلَمْ أُغْذَرْ
 فَقُلْتُ لِنَفْسِي وَعَسَاتِبُهَا عَلَى اللُّؤْمِ فِي فَعْلِهَا أَقْصِرِي
 أَيْتَذَرُ الْحَسْرُ مَا أَتَيْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ
 أَبُوكَ ابْنُ سَارِقِ عُنْزِ النَّبِيِّ وَأَنْتُكَ بِنْتُ أَبِي جَحْدَرِ
 وَنَحْنُ عَلَى رَغْمِكَ الرَّافِضُ نَ لَا أَهْلَ الضَّلَالَةِ وَالْمُنْكَرِ

بلغه أن سواراً يريد قطعه في سرقة فشكاه إلى المنصور:

قال: وبلغ السيد أن سواراً قد أعد جماعة يشهدون عليه بسرقة ليُقطعه؛ فشكاه إلى أبي جعفر؛ فدعا بسوار وقال له: قد عزلتكَ عن الحكم للسيد أو عليه. فما تعرض له بسوء حتى مات.

رماء أبو الخلال عند عقبة بن سلم بسب الصحابة فقال شعراً:

وروى عبدالله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عُقْبَةَ^(٥) بن سلم والسيد عنده وقد أمر له

(١) نعل في الأصل: اسم رجل يهودي من أهل المدينة، وقيل: نعل رجل لحياتي (طويل اللحية) من أهل مصر كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه. (انظر «شرح القاموس» مادة نعل).

(٢) نسبة إلى وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة والتي خرجت فيها عائشة راكبة جملًا فسميت الوقعة به.

(٣) يعني جدّه «عنزة بن نقب» وكان يقال له «سارق العنز» كانت لآل رسول الله ﷺ، وكان قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني العنبر.

(٤) يا هناة: يا فلان وانظر الكلام على تصريف هذه الكلمة في «اللسان» «مادة هناة».

(٥) في الأصول: «عقبة بن سالم» وهو تحريف. وهو عقبة بن سلم بن نافع الهنابي ولي إمرة البصرة لأبي جعفر المنصور. وقد ذكر في «الأغاني» ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة في قصة طويلة مع بشار بن برد فانظرها. (وراجع «الطبري» ق ٣ ص ٣٥٠، ٣٥٣) طبع أوروبا.

بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها، فقال له: أيها الأمير، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتُر عن سب أبي بكر وعمرا. فقال له عقبه: ما علمت ذلك ولا أعطيتُه إلا على العشيرة والمودة القديمة وما يوجب حقه وجوارحه مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حَقُّهم ورعايتهم. فقال له أبو الخلال: فمره إن / كان صادقاً أن يمدح أبا بكر [٢٦٣/٧] وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرِّفْض^(١). فقال: قد سمعتك، فإن شاء فعل. فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد / فإني كمن يشري الضلالة بالهدى
ولا عهدَه يوم الغدير^(٢) المؤكدا / ومالي وتيم أو عدي وإنما
تنصّر من بعد التقى وتهودا / تيم صلاتي بالصلاة عليهم
أولو نعمتي في الله من آل أحمد / بكاملية إن لم أصل عليهم
وليس صلاتي بعد أن أتشهدا / بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي
وأذغ لهم رؤا كريماً ممجدا / وإن امرأ يلحى على صدق ودهم
مدى الدهر ما سُميت يا صاح سيّدا / فإن شئت فاختر عاقل الغم صيلة^(٣)
أحق وأولى فيهم أن يُفكدا /

ثم نهض مُغَضَّباً. فقام أبو الخلال إلى عقبه فقال: أعذني من شره أعاذك الله من سوء أيها الأمير؛ قال: قد فعلت على ألا تعرض له بعدها.

[٢٦٤/٧]

/ قصته مع امرأة تميمية إباضية تزوجها:

ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميمية إباضية، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنيكاح أم خارجة^(٤) قبل حضور ولي وشهود. فاستصْحَكَتْ وقالت: ننظر في هذا؛ وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

(١) الرافضة: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين (أبي بكر وعمر) فأبى وقال: كانا وزيرين جدي. فتركوه ورفضوه ورفضوا عنه. والنسبة رافضي، والمصدر الرفض. (انظر «القاموس» و «شرح» مادة رفض).

(٢) يريد غدير خم (بالضم) وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال منها. وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية - يعني «يأبها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» - في علي كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا: حايى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقال بولايته يوم غدير خم وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ولأهل السنة في أخبار الغدير واستدلال أهل الشيعة بها كلام طويل يراجع في روح المعاني (ج ٢ ص ٣٤٩ طبع بولاق).

(٣) كذا في أ، م. والضلة (بالكسر): الضلال. وفي سائر الأصول: «ظلة» بالغاء المعجمة، وهو تحريف.

(٤) نكاح أم خارجة يضرب به المثل في السرعة، فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». وهي عمرة بنت سعد بن عبدالله بن قدار بن ثعلبة. كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب، فتقول: نكح. فيقول: انزلي، فتقول: أنخ. قال المبرد: ولدت أم خارجة للعرب في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقة، وكانت هي إحدى النساء اللاتي إذا تزوجت واحدة منهن الرجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شئت أقامت وإن شئت ذهبت. وعلامة ارتضاها للزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح. (انظر «مجمع الأمثال» للميداني و «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه» و «القاموس» و «شرح» مادة خطب وخرج).

إن تَسأليني بقومي تسألني رجلاً
 حَوْلِي بها ذو كَلَعٍ^(١) في منازلها
 / والأزْدُ أَزْدُ [عُمَان] ^(٢) الأَكْرَمُونَ إذا
 بانت كريمتهم^(٣) عَنِّي فدارهم
 لي منزلان بَلَحَجٍ^(٤) منزلٌ وَسَطٌ^(٥)
 ثمَّ السَّوْلَاءُ الذي أرجو النجاة^(٦) به
 في ذِرْوَةِ العِزِّ من أحياء ذي يمن
 وذو رُعَيْنٍ^(٧) وَهَمْدَانٌ^(٨) وذو يَزَنٍ^(٩)
 عُدَّتْ مَسَائِرُهُمْ في سالف الزَّمنِ
 داري وفي الرَّحْبِ من أوطانهم وطني
 منها ولي منزلٌ للعِزِّ في عدن
 من كَبَّةِ النَّارِ للهادي أبي حسن

[٢٦٥/٧]

فقالت: قد عرفناك، ولا شيء أعجب من هذا: يمان وتميمية، ورافضي وإياضية، فكيف يجتمعان! فقال:
 بحسن رأيك في تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا عُلِمَ انكشف معه
 المستور، وظهرت خفيات الأمور. قال: فانا أعرض عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المُنْتَعَةُ^(١٠) التي لا يعلم بها

(١) ذو الكلاع (كسحاب): رجلان من أدواء اليمن، أحدهما الأكبر وهو يزيد بن النعمان الحميري. والآخر الأصغر ويتسب إلى ذي
 الكلاع الأكبر. وكان ذو الكلاع الأصغر مطاعاً في قومه فأسلم فكتب إليه النبي ﷺ في التعاون على قتل الأسود العنسي مع جرير بن
 عبدالله البجلي ففعل وهاجر، فمات النبي ﷺ قبل أن يصل إليه فقدم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه.
 (٢) ذو رعين هو أحد ملوك اليمن الأول واسمه «يريم» وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ. ورعين: اسم حصن كان له.
 وذكره عمرو بن معد يكرب في شعر قاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد خففه عمر بالدرة لكلام دار بينهما، فقال:
 أنضربنني كأنك ذو رعينين
 فكم ملك قديم قد رأيته
 فأنصحه عيشة أو ذو نواس
 وعز طاهر الجبروت قاسي
 فنأصبح أهله بادوا واضحى
 ينقل من أناس إلى أناس
 فقال: صدقت يا أبا ثور، قد هدم ذلك كله الإسلام.

(٣) هو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. ومن ولده قبيلة باليمن تنسب إليه؛ وهم الذين
 كانوا شيعة لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة. وقال فيهم أسعد تبع:
 ومعني قضاعتها وكندتها العلا
 والشَّمْ مَذْحِج والذري همدان
 (٤) ذو يزن: ملك من ملوك حمير، تنسب إليه الرماح اليزنية، واسمه عامر بن أسلم بن غوث وقيل: هو النعمان بن قيس الحميري. وقد ذكره
 قس بن ساعدة في قوله:

والقبيل ذا يزن شهدت مكبانه
 قد كان حرّم عنه شرب السراح
 وابنه سيف بن ذي يزن الذي قتل الحبشة وطردهم من اليمن وهو الذي بشر بالنبي ﷺ قبل مبعثه. (راجع ج ١٦ ص ٧٥ من هذا
 الكتاب طبع بولاق و «ما يعمل عليه في المضاف والمضاف إليه».)
 (٥) التكملة عن حر و «تجريد الأغاني». وساكن عمان من الأزْد هم يحمّد وحّدان ومالك والحارث وعتيك وجديد.
 (٦) كذا في الأصول.

(٧) لحج: مخالف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن.
 (٨) الوسط (بالتحريك): اسم لما بين طرفي الشيء، وقد يأتي صفة، على معنى أفضل الشيء وخياره وأعدله، كما في البيت هنا، وكما
 في قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً».

(٩) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «أرجو الحياة» وهو تحريف.
 (١٠) المنتعة: أن تتزوج امرأة تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها. وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ويعطيها
 شيئاً فيستحلها بذلك ثم يخلي سبيلها من غير تزويج ولا طلاق. وقد كانت المنتعة مباحة في أول الإسلام ثم حُرمت، وهي جائزة
 عند الشيعة. وللجلودي وكان من أكابر الشيعة الإمامية كتاب يسمى «كتاب المنتعة وما جاء في تحليلها». وللصفواني وهو من رجال
 الشيعة أيضاً «كتاب المنتعة وتحليلها والرد على من حرّمها».

أحد. قالت: تلك أختُ الزُّنَّاء. قال: أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان! قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾. فقالت: استخير^(١) الله وأقُلِّدك أن^(٢) كنتَ صاحبَ قِياس. ففعلت^(٣). فأنصرفت معه وبات مُغْرَساً بها. وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوَعَّدوها بالقتل وقالوا: / تزوجت بكافراً! فَجَحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمتعة. فكانت مدة [٢٦٦/٧] تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا.

عارضه ابن سليمان بن علي في مذهبه بباب عقبة بن سلم فأجابه:

وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال:

كنتُ مع السيد علي باب عُقْبَةَ بن سَلَمٍ ومعنا ابنُ سليمان^(٤) بن علي ننتظره وقد أُسْرِجَ له لَيْرَكَبٌ، إذ قال ابنُ سليمان بن علي يعرضُ بالسيد: أشعرُ الناسِ والله الذي يقول:

محمد خيرُ من يمشي على قدم
فوثب السيد وقال: أشعرُ والله منه الذي يقول:

١٩
٧

/ سائل قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَةٍ
من كان أعلمها علماً وأحلمها
إِنْ يَصْدُقُوكَ فَلنْ يَغْدُوا أَبَا حَسَنِ
مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الدِّينِ أَوْ تَادَا
حِلْمًا وَأَصْدَقَهَا قَوْلًا وَمِيعَادَا
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ لِلْأَبْرَارِ حُسَادَا

ثم أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشرف سلفك! أراك تهديم شرفك، وتثلب^(٥) سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلِكَ، وتفضل من ليس أصلُك من أصله على مَنْ فضلُك من فضله؛ وسأخبر أمير المؤمنين عنك بهذا حتى يضعك. فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عُقْبَةَ بن سَلَمٍ. وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرُّكُوبَةِ حتى خرجت الجائزة للسيد.

جلس مع قوم يخوضون في ذكر الزرع والنخل فقام وقال شعراً:

أخبرني محمد بن جعفر الثحوي قال حدثنا ابن القاسم البرقي عن إسحاق بن محمد النخعي عن عقبة بن مالك الدبلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال:

/ كنَّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيد، فجاء فجلس، وخُضْنَا في ذكر الزرع والنخل ساعة [٢٦٧/٧] فنَهَضَ. فقلنا: يا أبا هاشم، ممَّ القيام؟ فقال:

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «ألا تستخير الله».

(٢) في ح: «إذ».

(٣) في ب، س: «قال قد فعلت».

(٤) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس عم أبي جعفر المنصور. ولي له البصرة وعمان والبحرين، وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وأربعين ومائة. (انظر كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ١٩٠).

(٥) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وتثلب من سلفك».

إنني لأكرهه أن أطيل بمجلس
لا ذكر فيه لأحمد ووصيه
لا ذكر فيه لأحمد ووصيه
إن الذي ينسأهم في مجلس
لا ذكر فيه لأحمد ووصيه
حتى يفارقه لغير مُسَدَّد

سكر بالأهواز فحبسه العسس وكتب شعراً لواليتها فأطلقه وأجازه:

وروى أبو سليمان الناجي: أن السيد قديم الأهواز وأبو بجير بن سيمك الأسدي يتولأها، وكان له صديقاً. وكان لأبي بجير مولى يقال له يزيد بن مدعور يحفظ شعر السيد يُشده أبا بجير، وكان أبو بجير يتشيع. فذهب السيد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فتزل بهم وشرب عندهم؛ فلما أمسى انصرف، فأخذه العسس فحس. فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مدعور. فدخل على أبي بجير وقال: قد جئني عليك صاحب عسسك ما لا قوام لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات، كتبها السيد من الحبس؛ فأنشده يقول:

قِفْ بِالذِّيارِ وَحَيْها يَمْرُبِعُ
وَأَسْأَلُ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ
إِنَّ الذِّيارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجَوْها
إِلَّا الضُّوايِبُ^(٢) وَالْحَمَامُ الْوُقْعُ
وَلَقَدْ تَكُونُ بِها أَوَانِسُ كَالذُّمَى
جُمْلٌ وَعَزَّةٌ وَالرَّبَّابُ وَبَوَزَعُ
حَوْزٌ نَواعِمُ لَا تُرَى فِي مِثْلِها
أَمْثالُها مِنَ الصَّيْانَةِ أَرْبَعُ
فَعَرِيْنُ^(٣) بَعْدَ تَأْلُفٍ وَتَجْمُعُ
وَالذَّهْرُ - صَاحٍ - مُشْتَتٌ مَا تَجْمَعُ
/ فَاسْلَمْ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلِ
عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضُرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ
تُؤْتِي هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ
فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَيُشْفَعُ
قُلْ لِلْأَمِيرِ إِذَا ظَفِرَتْ بِخَلْوَةٍ
مِنْهُ وَلَمْ يَكْ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتَهُ فِي أَحْمَدَ
وَبَيْنَهُ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ
يَخْتَصِمُ آلَ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ
فِي الصَّدْرِ قَدْ طَوِيَتْ عَلَيْها الْأَضْلَعُ^(٤)

[٢٦٨/٧]

٢٠
٧

/ فِي هَذَا الْغَنَاءِ لَسَعِيدٍ.

ضمن رثاءه لعباد بن حبيب هجواً لسوار القاضي بعد موته:

وحكى ابن الساجر: أن السيد دُعي لشهادة عند سوار القاضي؛ فقال لصاحب الدعوى: أعفني من الشهادة عند سوار؛ فلم يُعفه صاحبها منها وطالبه بإقامتها عند سوار. فلما حضر عنده وشهد قال له: أَلَمْ أَعْرِفَكَ وَتَعْرِفَنِي!

(١) النطف: السبي الفاسد، والمتهم بريئة. وفي ب، س: «قص» وهو تحريف.

(٢) الضوايح: يعني بها الثعالب وغيرها، يقال: ضبح الثعلب والأرنب والأسود من الحيات والبوم والصدى إذا صوّت. ويقال: طائر واقع إذا كان على شجر أو موكناً، ووقع الطائر إذا نزل عن طيرانه.

(٣) كذا في الأصول. والضمير يعود على الديار. ويحتمل أن تكون: «فعرين» أي بعدن.

(٤) يلاحظ أن هذه القصيدة لم تتم، وأن الأبيات العينية الآتية في (ص ٢٧١) تنتم لهذه القصيدة، لأن ابن مدعور المخاطب بهذه القصيدة مذكور فيها، ولأن ما بعدها من كلام متصل بالخبر الذي سبقت فيه هذه القصيدة ومنتهم له. وما وقع بين أجزاء القصيدة من أخبار موضوع في غير موضعه.

وكيف مع معرفتك بي تُقدِّم على الشهادة عندي! فقال له: إني تخوّفتُ إكراهه، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل مني فأقمته^(١)؛ فلا يقبل الله لك صَرْفاً ولا عَدلاً إن قبلتها، وقام من عنده؛ ولم يقدر سواراً له على شيء لما تقدّم به المنصورُ إليه في أمره، واغتاض غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يقض يومئذٍ بين اثنين. ثم إن سواراً اعتلّ علته التي مات فيها فلم يقدر السيدُ على هجائه في حياته لِنهى المنصور إياه عن ذلك. ومات سوار فأخرج عَشِيّاً وحُفِر له، فوقع الحفر في موضع كَنيف. وكان بين الأزْد وبين تميم عداوةٌ، فمات عَقِب^(٢) موته عبّادُ بن حبيب بن المهلب؛ فهجا السيدُ سواراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها إلى نواتح الأزْد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوار يُنَحْن^(٣) بها، وأولّها:

[٢٦٩/٧]

يا مَنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوارٍ / من داره طاعناً منها إلى النارِ
لا قدسَ اللّهُ رُوحاً كان هيكلها / فقد مضت بعظيم الخزي والعار
حتى هَوَتْ قعرُ برهُوتٍ^(٤) مُعَذِّبَةً / وجسمه في كنيف بين أقدار
لقد رأيتُ من الرحمن مُعْجِبَةً / فيه وأحكامه تجري بمقدار
فاذهب عليك من الرحمن بهلته^(٥) / يا شرَّ حيٍّ براه الخالق الباري

مازح صديقاً له زنجياً بشعر:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد البقال قال حدثنا شيبان بن محمد الحرّاني - وكان يُلقَّب بعُوضَة وصار من سادات الأزْد - قال:

كان السيد جاري، وكان أدلَم^(٦)، وكان يُنادم فتیاناً من فتیان الحيّ فيهم فتى مثله أدلَمُ غليظ الأنف والشفّتين مُزَنِّج الخلقَة. وكان السيد من أتنّ الناس إبطين. وكانا يتمازحان، فيقول له السيد: أنت زنجي الأنف والشفّتين، ويقول الفتى للسيد: أنت زنجي اللون والإبطين. فقال السيد:

اعارك يومَ يغناه رَبّاحٌ^(٧) / مشافره وأنفك ذا القبيحَا
وكانت حصّتي إبطي منه / ولوناً حالكاً أمسى فضوحَا
فهل لك في مُبادلتك إبطي / بأنفك تحمّد البيع الرّيحَا
فلأنك أقبحُ الفتیان أنفَا / وإبطي أتنّ الأباط ريحَا

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «فإن أقمتها».

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «موت عبّاد».

(٣) في حـ: «فنحن».

(٤) برهُوت: بئر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها. ويشير بقوله: «حتى هوت قعر برهُوت» إلى ما ورد في هذه البئر من أنها ماوى أرواح الكفار والمنافقين.

(٥) البهلة: اللعنة.

(٦) الأدلم: الشديد السواد.

(٧) ربّاح: من أسماء العبيد.

كان له صديق ينفق عليه من ماله فلامته امرأته لذلك فهجها:

أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال:

مات^(١) منا رجلٌ موسرٌ وخلف ابناً له فورث ماله وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفساد واللهو، وقد تزوج امرأة تسمى ليلى، واجتمع على السيد وكان من أظرف / الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالا كثيراً؛
 وكانت ليلى تعذله على إسرافه وتقول له: كأني بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً. فهجها السيد. وكان / ممّا قال فيها:

أقول يا ليت ليلى في يَدَيَّ حَنَقٍ	من العداوة من أعدى أعاديها
يعلو بها فوق رَغْنٍ ثم يخدرها	في هُوة فتدهدى يومها فيها
أوليتها في عمار البحر قد عصفت	فيه الرياح فهاجت من أواذيتها ^(٢)
أوليتها قرنت ^(٣) يوماً إلى فرسي ^(٤)	قد شدّ منها إلى هاديه ^(٥) هاديتها
حتى يرى لحمها من حضرة زيماً ^(٦)	وقد أتى القوم بعد الموت ^(٧) ناعيتها
فمن بكاهها فلا جفّت مدامعه	لا أشخن اللّه إلا عين باكيها

أهدى له بعض ولاية الكوفة رداء فقال شعراً يمدحه ويستزیده:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي وعبد الحميد بن عُبَبة قال حدثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسّان عن محمد بن كُناسة قال:

أهدى بعض ولاية الكوفة إلى السيد رداءً عَدَنِيّاً؛ فكتب إليه السيد فقال:

وقد أنا رداءً من هَدَيْتكم	فلا عَدِمْتُكَ طول الدهر من وال
هو الجمال جزاك الله صالحاً	لو أنه كان موصولاً بسربال

فبعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد وقال: يُقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا.

[٢٧١] / سمع قاصاً بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما:

حدثني عمي قال حدثنا الكُراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرّقم قال:

كنت مع السيد، فمرّ بقاص على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يُوزن رسول الله ﷺ يوم القيامة في كفة

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «ملك منا رجل موسر مالا وخلف... إلخ».

(٢) الأواذي: الأمواج واحداً أذى بالتشديد وخفف لضرورة الشعر. وفي الأصول: «أواذيتها» بالذال المهملة، وهو تصحيف.

(٣) في ب، س: «قد دنت».

(٤) كذا في الأصول. ولعله «إلى فرس» بالتنكير.

(٥) الهادي: العنق.

(٦) زيماً: قطعاً متفرقة.

(٧) في ح: «اليوم».

بأتمته أجمع فيزجج بهم، ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيزجج ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح. فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمرى إن رسول الله ﷺ ليزجج على أتمته في الفضل، والحديث حق؛ وإنما رجح الآخران الناس في سيئاتهم؛ لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. قال: فما أجابه أحد. فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه.

صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعراً له متغزلاً فيها:

وقال أبو جعفر الأعرج حدثني إسماعيل بن الساجر قال:

خرجت من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب^(١) عقبة بن سلم والسيد ونحن سكارى. فلما كنا بزهران لقيتنا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة، وكانت امرأة بزة حسناء فصيحة، فواقفها السيد وتخطب عليها وأنشدها من شعره^(٢) بتجميش، فأعجب كل واحد منهما صاحبه. فقال السيد^(٣):

من ناكثين وقاسطين الأزوع^(٤) حول الأمين وقال هات لسمعوا
قم يابن مذعور فأنشد نكسوا خضع الرقاب بأعين لا ترفع
لولا حذار أبي بجير أظهروا شأنهم وتفرقوا وتصدعوا
لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا سبعين عاماً والأنوف تجدع
/ إذ لا يزال يقوم كل عروبة^(٥) منكم بصاحبنا خطيب مضقع
مستحفر^(٦) في غيه متايغ^(٧) في الشتم مثله بخيل^(٨) يسجع
/ ليسر مخلوقاً ويسخط خالقاً إن الشقي بكل شر مؤلع^(٩)

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحب عسسه فشمته وقال: جنيت علي ما لا يد لي به؛ اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيكم أبو هاشم؛ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابتك وامش معه صاغراً حتى تأتيني به ففعل. فأبى السيد ولم يجبه إلى الخروج إلا بعد أن يطلق له كل من أخذ معه. فرجع إلى أبي بجير فأخبره، فقال: الحمد لله الذي لم يقل أخرجهم وأعط كل واحد منهم مالا، فما كنا نقدر على خلافه؛ افعل ما أحب برغم أنفك الآن. فمضى فخلى سبيله وسبيل كل من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة، وأتى به إلى أبي بجير. فتناوله بلسانه وقال: قدمت علينا

(١) كذا في أ، و، م. وفي ح: «من منزل منصور بن مسعود كاتب عقبة بن سلم...». وفي ب، س: «من منزل نصر بن مسعود أنا وعقبة بن سلم... إلخ».

(٢) في ح: «شعرا».

(٣) تلاحظ الحاشية رقم ١ في ص ٢٦٨، إذ لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر الذي بعده.

(٤) هكذا ورد هذا الشعر ناقصاً في الأصول. ولم نوفق إلى إكماله من مصدر آخر.

(٥) عروبة: يوم الجمعة.

(٦) المستحفر: الماضي السريع. وفي ب س: «مستحفر» وهو تحريف.

(٧) التايغ: التهافت.

(٨) كذا في الأصول.

فلم تأتينا وأتيت بعض أصحابك^(١) الفُسَّاق وشربت ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى؛ فاعتذر من ذلك إليه؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدة.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد موله شعر السيد وطردهم:

قال التَّوْفَلِيَّيَ وحَدَّثني أبي: أَنَّ جماعة من أهل الثَّغُور قَدِمُوا على أبي بجير بتسبيب بهم^(٢) فأطلقهم، ثم جاءوه فعَاتَبُوهُ على التشيع وسألوه الرجوع؛ فغَضِبَ من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال: أَنشدني وَيلَكَ لأبي هاشم. فأنشده قوله:

يا صاحبي لِدِمْتَيْتَيْنِ عفاهما مَرُّ الرِّيحِ عليهما فمحاهما
حتى فرغ. ثم قال: هاتِ التَّوْنِيَّةَ؛ فأنشده:

يا صاحبي تَرَوْحَا وذُرَانِي ليس الخَلِيُّ كَمُسْعَرِ الأَحْزَانِ

/ فلما فرغ قال: أَنشدني الدَّمَاعَةَ الرَّائِيَّةَ، فأنشده إياها. فلما فرغ أقبل عليه الثَّغَرِيُّونَ فقالوا له: ما أَعْتَبْتَنَا فيما عَاتَبْنَاكَ عليه. فقال: يا حَمِير! هل في الجواب أكثر مما سمعتم! والله لولا أَنِّي لا أعلم كيف يَقَعُ فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقكم! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا. وبلغ السَّيِّدُ الخَبَرَ فقال:

إذا قال الأمير أبو بجير أخو أسدٍ لمنشده يَزِيدًا
طَرِبْتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم مديحاً من مديحك أو نشيدا
رايتُ لمن بحضرته وجُوهاً من الشُّكَّاكِ والمُرْجِجِينِ سُودًا
كَأَنَّ يَزِيدَ يُنْشِدُ بامتداح أبا حسنٍ نَصَارِي أو يَهُودًا

نقد العبدِي شعر له فصدقه وقال إنه أشعر منه:

ورَوَى أبو داود المستَرِقُّ: أَنَّ السَّيِّدَ والعَبْدِيَّ اجتمعَا؛ فأنشد السَّيِّدُ:

إنِّي أدِينُ بما دان الوَصِيَّ به يومَ الخُرَيْبَةِ^(٣) مَنْ قَتَلَ المُحَلِّينَا
وبالَّذِي دان يومَ النُّهْرَانِ به وشاركتُ كَفَّهَ كَفِّي بِصِفِينَا

فقال له العَبْدِيَّ: أخطأت، لو شاركتُ كَفَّكَ كَفَّهَ كُنْتُ مثله؛ ولكن قل: تابعت كَفِّي كَفَّهَ لتكون تابِعاً لا شريكاً. فكان السَّيِّدُ بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلَّا العبدِيَّ.

سب الشيخين في شعر له وسكر فرفع أمره إلى أبي بجير فأهانته:

وقال إسحاق التَّخَمِي عن عبد الحميد بن عُقْبَةَ عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن السَّاحِر قال:

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «أصحابنا» وهو تحريف.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «لهم». وكلاهما غير واضح.

(٣) كذا في «معجم البلدان» و «كتاب مناقب آل أبي طالب» (نسخة طبع الهند محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٣ تاريخ ص ٤٢٥). والخبرية: موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل. وفي الأصول: «الحديثة». وهو تحريف.

كنتُ مع السيد وقد اكرتينا سفينة إلى الأهواز؛ فجلس فيها معنا قومٌ سُراةً، فجعلوا يتالون من عثمان. فأخرج السيد رأسه إليهم وقال:

/ شَفَيْتَ مَنْ نَعَلِي فِي نَحْتِ أَثْلَتِهِ^(١) فَاغْمِدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ الْغَوِيِّينَ
اعْمِدْ^(٢) هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ اللَّذِينَ هَمَّا كَانَا عَنِ الشَّرِّ لَوْ شَاءَ غَيِّينَ

قال إسماعيل: فلما قَدِمْنَا الأهوازَ قَدِمَ السيد وقد سكر، فَأَتَيْ بِهِ أَبَا بجير بن سماك الأسدي؛ وكان ابنُ النَّجَاشِي عند ابن سماك بعد العشاء الآخرة، وكان^(٣) يعرفه باسمه ولم يعرفه. فقال له: يا شيخ السوء، تخرج سكران في هذا الوقت! لأُحْسِنَنَّ أَدَبَكَ. فقال له: والله لا فعلت، وَلَتُكْرِمَنِي وَلَتُخْلَعَنَ عَلَيَّ وَلَتُجِزَنِي. قال: أَوْ تَهْزَأُ أَيضاً! قال: لا والله! ثم اندفع يُنْشِده فقال:

مَنْ كَانَ مَعْتَذِراً مِنْ شَتْمِهِ عَمِراً فابنُ النَّجَاشِي مِنْهُ غَيْرُ مُعْتَذِرٍ
وابنُ النَّجَاشِي بَرَاءٌ - غَيْرَ مُحْتَشَمٍ - فِي دِينِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عَمْرِ
ثم أنشده قوله:

إِحْدَاهُمَا^(٤) تَمَثَّ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ وَيَغْت^(٥) عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِحْدَاهُمَا
فَهُمَا اللَّتَانِ سَمِعْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ فِي الذِّكْرِ قَصَّ عَلَى الْعِبَادِ بَاهُمَا^(٦)

فقال: أبو هاشم؟ فقال نعم. قال: اُزْتَفْع. فَحَمَلَهُ وَأَجَازَهُ، وقال: والله لأُصَدِّقَنَّ قولك في جميع ما حلفت عليه.

مركز تحقيق المخطوطات والكتب النادرة

/ أباح له أبو بجير شرب النبيذ:

قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيدَ متغيِّراً اللَّونَ، فسأله عن حاله؛ فقال: فَقَدْتُ الشَّرَابَ الَّذِي أَلِفْتُه لِكِرَاهَةِ الْأَمِيرِ إِيَّاهُ؛ قال: فاشربْهُ، فَإِنَّا نَحْتَمِلُهُ لَكَ. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتب له بمائتي دُورق مِيبَخْتَج^(٧). فقال له السيد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعُ ما يُستغنى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائتي دُورق «مِي» ولا تكتب «بَخْتَج»، فَإِنَّكَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ. فضحك، ثم أمر فَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ. قال: والمي: النبيذ.

(١) يقال: فلان ينحت أثلة فلان إذا ذمه وتنقصه.

(٢) في الأصول: «اعمل» باللام وهو تحريف.

(٣) كذا في ح. وفي ب، م: «وكان يعرف باسمه إلخ». وفي سائر النسخ: «وكان يعرض باسمه إلخ» وكلاهما تحريف.

(٤) لعله يعني بهذا الشعر حفصة وعائشة، وذلك أن حفصة وجدت رسول الله ﷺ مع أم إبراهيم (جاريته مارية) في يوم عائشة الذي خصصه لها، فأمرها أن تكتب الأمر على أن يحرم مارية، فأفشت حفصة ذلك إلى عائشة، فعلم به رسول الله ﷺ فعزف حفصة فقالت له: من أخبرك به؟ فقال: نبأني به العليم الخبير. فألى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقد وردت هذه القصة بروايات أخر فانظرها (في أسباب النزول) للواحدي ص ٣٢٧ وغيره من «كتب التفسير».

(٥) كذا في الأصل.

(٦) يريد سورة التحريم وقد قص الله فيها سبحانه وتعالى هذه القصة.

(٧) ميبختج: كلمة فارسية مركبة من لفظين: «مي» ومعناها النبيذ، كما سيذكره المؤلف، و «بختج» أي مطبوخ.

أظهرت المرجئة الشمانة بأبي بجير لما مرض فقال هو شعراً:

قال إسماعيل: وبلغ السيد وهو بالأهواز^(١) أن أبا بجير قد أشرف على الموت، فأظهرت المرجئة الشمانة به. فخرج السيد متحرّفاً حتى اكرى سفينة وخرج إليها، وأنشأ يقول:

تَبَاشَرَ أَهْلُ تَدْمُرَ^(٢) إِذْ أَتَاهُمْ بِأَمْرِ أَمِيرِنَا لَهُمْ بَشِيرُ
وَلَا لِأَمِيرِنَا ذَنْبٌ إِلَيْهِمْ صَغِيرُ فِي الْحَيَاةِ وَلَا كَبِيرُ
سِوَى حُبِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبِيهِ وَمَوْلَاهُمْ بِحُبِّهِمْ جَدِيرُ
وَقَالُوا لِي لَكَيْمًا يُحْزِنُونِي وَلَكِنْ قَوْلُهُمْ إِنْكَ وَزورُ
لَقَدْ أَمْسَى أَخُوكَ أَبُو بَجِيرٍ بِمَنْزِلِهِ يُزَارُ وَلَا يَزورُ
وظَلَّتْ شِيعَةُ الْهَادِي عَلَيَّ كَأَنَّ الْأَرْضَ تَحْتَهُمْ تَمُورُ
فَبِتُّ كَأَنَّنِي مِمَّا رَمَوْنِي بِهِ فِي قَدْ^(٣) ذِي حَلَقٍ أَسِيرُ
/ كَأَنَّ مَدَامَعِي وَجَفُونِ عَيْنِي تُوَحِّزُ^(٤) بِالْقَتَادِ فَهَنْ عُرُ
أَقُولُ عَلَيَّ لِلرَّحْمَنِ نَذْرُ صَحِيحٌ حَيْثُ تُخْتَبَسُ النَّذُورُ
بِمَكَّةَ، إِنْ لَقِيتُ أَبَا بَجِيرٍ صَحِيحاً وَاللَّوَاءُ لَهُ يَسِيرُ

[٢٧٦/٧]

/ وهي قصيدة طويلة. ٢٤/٧

من تحت كعبته يدور

رأى النبي ﷺ في النوم وأنشده قصيدته العينية:

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترق عن السيد:

أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فاستنشه فأنشده قوله:

لَأُمِّ عَمْرٍو بِاللَّوِيِّ مَرْبَعُ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ بَلَقْعُ
حتى انتهى إلى قوله:

قَالُوا لَهُ لَوْ شِئْتَ أَغْلَمْتَنَا إِلَى مَنِ الْغَايَةُ وَالْمَفْزَعُ

فقال: حسبك! ثم نقض يده وقال: قد والله أعلمتهم.

مرضه ووفاته:

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر: أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط وقد أصابه شرّ^(٥) وكرب^(٦).

(١) هذه العبارة هكذا بالأصول. وظاهر أنها مضطربة. ولعلها: «وبلغ السيد أن أبا بجير وهو بالأهواز إلخ» لتلتئم مع الكلام الآتي بعد.

(٢) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام. زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان.

(٣) في الأصول: «قر» بالراء المهملة. ولعلها محرفة عما أثبتناه. والقدر (بالكسر): سير يقدر من جلد. ويقال لكل محبوس في قد: أسير.

(٤) كذا في نسخة، أ. وفي سائر الأصول: «توخر» بالراء المهملة وهو تصحيف. والقناد: الشوك.

(٥) الشرى: داء يأخذ في الجلد أحمر كهينة الدراهم.

(٦) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «فطرب».

فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في حب آل محمد! قال: فكأنها كانت ناراً فطُفئت عنه.

قال شعراً وهو يحتضر في التبرؤ من عثمان والشيخين:

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسناد له لم يحضرني وأنا أُخرجه إن شاء الله تعالى قال:

حدّثني من حضر السيّد وقد احتضر فقال:

بَرِئْتُ إِلَى الْإِلَهِ مِنْ ابْنِ^(١) أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ

/ وَمِنْ فُعَلٍ بَرِئْتُ^(٢) وَمِنْ فُعَيْلٍ غَدَاةَ دُعَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

ثم كَانَ نفسه كانت حَصَاةً فَسَقَطَتْ.

بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنه فقال لئن صح لأحرقنها:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة عن أبي الهذيل العلاف عن أبي جعفر المنصور

قال:

بَلَّغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ مَاتَ بِوَاسِطٍ فَلَمْ يَدْفِنُوهُ. وَاللَّهِ لئن تَحَقَّقَ عِنْدِي لِأَحْرِقْنَهَا!

ترحم عليه جعفر بن محمد:

ووجدت في بعض الكتب: حدّثني محمد بن يحيى اللؤلؤي قال حدّثني محمد بن عباد بن صُهَيْب عن أبيه

قال:

كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَأَتَاهُ نَعْيُ السَّيِّدِ، فَدَعَا لَهُ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ! فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّ مُحِجَّبِي آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ وَقَدْ تَابَ، وَرَفَعَ مُصَلًّى كَانَتْ تَحْتَهُ، فَأَخْرَجَ كِتَاباً مِنَ السَّيِّدِ يَعْرِفُهُ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تَابَ وَيَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ لَهُ.

عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه:

وذكر محمد بن إدريس العُثَيْبِيُّ^(٣) أَنَّ مُعَاذَ بْنَ يَزِيدَ^(٤) الْحَمِيرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ السَّيِّدَ عَاشَ إِلَى خِلَافَةِ^(٥) هَارُونَ الرَّشِيدِ وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ، وَأَنَّهُ مَدَّحَهُ بِقَصِيدَتَيْنِ فَأَمَرَ لَهُ بِبَذْرَتَيْنِ ففَرَّقَهُمَا. فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا.

لما مات أحضر له سبعون كفنًا:

أخبرني ابن عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَشِيرٍ بْنُ عَمَّارِ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ جَدِّهِ بَشِيرِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ:

(١) يعني يابن أروى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وأروى: أمه. وهي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

(٢) في ب، س: «يريب» وهو تصحيف. ويعني بفعل وفعل أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما.

(٣) في ح: «العيسى».

(٤) في ح: «معاذ بن سعيد».

(٥) جاء في فوات الوفيات ص ٢٤ أنه مات في أول خلافة الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة.

/ حضرت وفاة السيد في الرملة^(١) ببغداد، فوجه رسولا إلى صف الجزارين^(٢) الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته؛ فغلط الرسول فذهب إلى صف السموسين^(٣)، فشتموه ولعنوه؛ فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته؛ فوافاه سبعون كفنًا. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسّر تحسراً^(٤) شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم، إلى أنا أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليك! قالها ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى. قال: فتجلّى والله في جبهته عرقٌ بياض، فما زال يتّسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبرد^(٥)، وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنيّة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.



مركز تحقيقات مخطوطات إسلامية

(١) كذا في جميع الأصول (بتقديم الميم على الياء مصغراً). وليس في بغداد مكان يعرف بهذا الاسم إلا «الرملة» - كما في «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي (ص ٢٧ طبع ليدن) و«معجم البلدان» لياقوت - و«الرملة» كما في «الأعلاق النفيسة» لابن رسته (ص ٢٤٨ طبع ليدن). ولعل هذا الاسم محرف عن إحداهما.

(٢) في «تجريد الأغاني»: «الخرازين».

(٣) كذا في الأصول. وفي «تجريد الأغاني»: «السوسين».

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ليتحير تحيرا».

(٥) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «كالبرد».

/ صوت

من المائة المختارة

فلا زلنَ حَسْرَى ظَلَعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصاديقِ
ولا ذَنْبٍ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبني بسوءٍ قبل إحدى البوائقِ
عروضه من الطويل.

قوله: «فلا زلن حسرى»: دعاء على الإبل التي ظعنث بها وأبعدتها عنه. وحسرى: قد حسرن أي بلغ منهم الجهد فلم يبق فيهن بقية، يقال حسر ناقته فهو يحسرها، وهي حسرى، والذكر حسير^(١)؛ قال الله عز وجل: «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ». وفي الحديث: «فإن أتعبتها حسرتها». والظلع في كل شيء: أن تألم رجله فلا يقدر أن يمشي عليها فيغمز في مشيه كالأعرج إذا مشى، ويقال: ظلع فهو ظالع. والنائي: البعيد، والنية: الناحية التي تنوي إليها، والتوى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بما يُحذَرُ بغتة، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الأول من الشعر لكثير، ويقال: إنه لأبي جندب الهذلي. والبيت الثاني لرجل من كنانة ثم من بني جديمة، وزعم ابن دأب أنه عبدالله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضاً: إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مغاربه التي وجهه رسول الله ﷺ فيها. / الغناء في اللحن المختار لمُتِمَّ مولاة [٢٨٠/٧] علي بن هشام وأم أولاده. ولحنها رمل بالبصر، من رواية إسحاق وعمرو؛ وهو من الأرمال النادرة المختارة. وفيه خفيف ثقيل، يقال: إنه لحسين بن مخرز، ويقال: إنه قديم من غناء أهل مكة.

أخبار عبدالله بن علقمة وتعشقه حبيشة:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثنا ابن دأب قال:

كان من حديث عبدالله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلام يَفَعَّة^(٢) دون المُخْتَلِم لتزور جارة لها، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشَة بنت حُبَيْش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآها عبدالله بن علقمة أعجبه ووقع في نفسه، وانصرف وترك أمه عند جارتها، فليثت عندها يومين.

(١) الذي في «معجم اللغة» يخالف ما ذكره المؤلف في تصريف هذه الكلمة. ففي «اللسان» (مادة حسر): «... ودابة حاسر وحاسرة وحسير الذكر والأنثى سواء، والجمع حسري مثل قتيل وقتلى». يريد أن «حسيرا» مما يستوي فيه المذكر والمؤنث.

(٢) غلام يافع ويفعة: شاب.

ثم أناها عبدالله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها، فوجد حبيشة قد زينت لأمرٍ كان في الحَيِّ، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداةٍ تُمطر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

وما أدري بكسي أنسي لأدري أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والسدي خلق الهدايا وما عن بُعدها للصب عيش
فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله. ثم مشياً ملياً، فإذا هو بظبي على رُبوةٍ من الأرض، فقال:
يا أمّتا أخبريني غير كاذبة وما يُريد مسؤل الحق بالكذب
أنت لك أحسن أم ظبي براية لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

/ فزجرته أمه وقالت له: ما أنت وهذا! تزوجك بنت عمك فهي أجمل من تلك. وأنت امرأة / عمه فأخبرتها خبره، وقالت: زيني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أمه: أيُّهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أفك عزاء ولا صبرا
كان الحشى حر السعير يحشيه^(١) وقود الغضى والقلب مستعرا^(٢)

وجعل يُراسل الجارية وتُرأسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حبيشة هل جدي وجدك جامع بشمليكم شملتي وأهلكم أهلي
وهل أنا ملتف بشوبك مرة بصخراء بين الألتين^(٣) إلى النخل
وهل أشتفي من ريق ثغبرك مرة كراح ومسك خالطا^(٤) ضرب النخل

فلما بلغ أهلها خبرهما حجّبوها عنه مدة، وهو يزيد غراماً بها ويكثر قول الشعر فيها. فأتوها فقالوا لها: عديهِ السرحة، فإذا أتاك فقول لي: نشدتك الله إن كنت أحببتي فوالله ما على الأرض شيء أبغض إليّ منك، ونحن قريب نستمع ما تقولين. فوعده وجلسوا قريباً يستمعون، وجلس عند السرحة، وأقبل عبدالله لوعدها. فلما دنا منها دعت عينيها والتفتت إلى حيث أهلها جلوس، فعرف أنهم قريب فرجع. وبلغه ما قالوا لها أن تقول له فأنشأ يقول:

لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صبر
/ ولم يك حبي عن نوال بذلته فيسليني عنه التجهّم والهجر
وما أنس من الأشياء لا أنس دمعها ونظرتها حتى يغيبني القبر

[٢٨٢/٧]

(١) يقال: حش النار يحشها حشاً إذا أوقدها.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «والقلب مصفراً». وكلاهما غير متزن.

(٣) كذا في أ، م. وألية: ماء من مياه بني سليم، وفيها أقوال أخرى. (راجع «معجم البلدان» لياقوت). وفي سائر الأصول: «الألتين» بتقديم التاء على الياء. والنخل: اسم لمواضع كثيرة.

(٤) الضرب (بالتحريك). العسل الأبيض الغليظ.

سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة:

وبعث النبي ﷺ على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوه وإلا قاتلهم^(١). فصَبَحَهُم^(٢) خالد بن الوليد بالغُمَيْصَاء^(٣) وقد سمعوا به فخافوه فظَلَعُوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية، وكانوا من أشد حَيٍّ في كنانة بأساً يُسمَّون «لَعَقَةَ الدَّم». فلما صَبَحَهُم خالد ومعه بنو سُليَم، وكانت بنو سليم طَلَبْتُهُمْ بمالك بن خالد بن صخر بن الشريد وإخوته كُرَز وعمره والحارث، وكانوا قتلوه في موطن واحد. فلما صَبَحَهُم خالد في ذلك اليوم وأوا معه بني سُليَم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. قالوا: نحن قوم مسلمون. قال: فَأَلْقُوا سِلَاحَكُمْ وانزلوا. قالوا: لا والله. فقال جَذِيمَةُ^(٤) بن الحارث أحد بني أقرم: يا قوم، لا تَضَعُوا سِلَاحَكُمْ، والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل. قالوا: لا والله لا نُلْقِي سِلَاحَنَا ولا نَنْزِل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمينين. قال خالد: فلا أمان لكم / إن لم [٢٨٣/٧] تنزلوا. فنزلت فرقة منهم فأسرهم، وتفرق بقيَّة القوم فرقتين، فأصعدت فرقة وسفلت فرقة أخرى.

رواية عبدالله بن أبي حدرد لما وقع لعبدالله بن علقمة مع حبيشة وهو يقتل:

قال ابن دأب: فأخبرني من لا أنهم عن عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ في جند خالد، فَبَعَثْنَا في أثر طُعْن^(٥) مُضْعِدَةٍ يسوق بهن فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا، ووقف لنا غلام شاب على الطريق. فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول:

/ يَبْنَ^(٦) أطراف الدُّبُولِ وَازْبَعْنَ مَنِي حَيَّاتٍ كَأَن لَّمْ يَفْزَعْنَ
* إِنْ يُنْعَ الْيَوْمَ نَسَاءُ تُنْعَنُ *

فقاتلنا طويلاً فقتلناه، ومضينا حتى لحقنا الطُعْن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول:

أَفْسَمَ مَا إِنْ خَادِرٌ^(٧) ذُو لِبْدَةٍ يَزَارِيَن أَيْكَةٍ وَوَهْدَةٍ
يَفْرِسُ شُبَّانَ الرِّجَالِ وَخَدَهُ بِأَصْدَقِ الْغَسَادَةِ مَنِي نَجْدَةٍ

فقاتلنا حتى قتلناه، وأدركنا الطُعْن فأخذناه، فإذا فيه غلام وضيء به صفرة في لونه كالمنهوك، فربطناه

(١) في كتاب «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص ٢٦٨ طبع ليدن): «بعث رسول الله ﷺ داعياً ولم يأمره بالقتال». وفي «معجم البلدان» لياقوت أثناء كلامه على الغميصاء أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ووداهم رسول الله ﷺ على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه». وهذا يخالف ما ذكره المؤلف في هذا الخبر. وسيذكر المؤلف فيما سيأتي ما يؤيد روايتهما.

(٢) صبح القوم: أغار عليهم صباحاً.

(٣) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة.

(٤) الذي في «سيرة ابن هشام»: «فقال رجل يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسَار وما بعد الإِسَار إلا ضرب الأعناق. والله لا أضع سِلَاحِي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا...» ثم ذكر القصة بخلاف ما ذكره أبو الفرج. (انظر «السيرة» ص ٨٣٤ طبع أوروبا).

(٥) الطعن (بسكون العين وضمها): جمع طعينة وهي المرأة في اليهودج.

(٦) في «سيرة ابن هشام» (المطبوعة بهامش «الروض الأنف» للسبيلي ج ٢ ص ٢٨٦ طبع مطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ): «رخين أطراف المروط». والموجود في «معجم اللغة»: «أرخاء» و «أرخاء». فلعن الألف سقطت من الطابع.

(٧) الأسد الخادر: المقيم في عرينه.

بجبل وقدّمناه لنقتله؛ فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: وما هو؟ قال: تُدركون بي الظُّعْنَ أسفل الوادي ثم تقتلونني؟ قلنا: نفع. فخرجنا حتى تُعارضَ الظُّعْنَ أسفل الوادي. فلما كان بحيث يَسْمَعْنَ الصوتَ، نادى بأعلى صوته: اسلمي حُبَيْش، عند نَفَاد العيش. فأقبلت إليه جاريةً بيضاء حسناء فقالت: / وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدة البلاء. فقال: سلامٌ عليكم دهرًا، وإن^(١) بقيت عصراً. قالت: وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشَفْعاً تَتْرَى، وثلاثاً وثِراً. فقال:

إن يَقتلونني يا حبيشُ فلم يَدْعُ هواك لهم مني سوى غَلّة الصدر
وأنتِ التي أخليتِ لحمي من دمي وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري
فقالت له:

ونحن بكينا من فراقك مرةً وأخرى وآسيناك في العسر واليسر
وأنت - فلا تَبْعُدْ فنعم فتى الهوى - جميلُ العفاف في المودة والستر^(٢)
فقال لها:

أَرَيْتُكَ إن طالتُكم فوجدتُكم بخليّة^(٣) أو أدركتُكم بالخوانق^(٤)
ألم يك حَقًّا أن يُسْؤَلَ عاشقٌ تكلف إدلاج السُرى والودائق^(٥)
فقالت: بلى والله. فقال:

فلا ذنب لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ أيي بؤة قبل إحدى البوائق
أيي بؤة قبل أن تَنحَط النوى ويُنْأى خليطُ بالحبيب المفارق

قال ابن أبي حَرْدَد: فضرينا عُنَقَه، فتَحَمَّت الجارية من خذرها حتى أتت نحوه فالتصقت فاه، فنزعنا منها رأسه [٢٨٥/٧] وإنها لتُكْسَع^(٦) بنفسها حتى ماتت مكانها. وأفلت / من القوم غلامٌ من بني أفرم يقال له السَّمِيدَع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع خالد وشكاه.

بلغ رسول الله ﷺ ما فعل خالد فأرسل علياً رضي الله عنه لأهل القنلى فوداهم:

قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ سأل: «هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع؟» فقال: نعم، رجل أصفر رُبْعٌ ورجل أحمر طویل. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني وصِفَتُهُ، وأما

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وأنت» وهو تحريف.

(٢) كذا بالأصول. ولعلها: «والبر».

(٣) كذا في نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج ٣ ص ٥ طبع بولاق). وحلية: واد بتهامة أعلاه لهذيل، وأسفله لكثانة. وفي ب، س: «بجيلة». وفي سائر الأصول: «بحقوة» وكلاهما تحريف.

(٤) المخوانق: جمع خانق، وهو موضع بتهامة وقعت فيه حرب بين إيد بن نزار وإخوتها مضر وربيعة فانهزمت إيد، وأصبح من بلاد كنانة بن خزيمة.

(٥) الودائق: جمع وديقة وهي شدة الحر في الهاجرة.

(٦) تكسع: تضرب.

الثاني فهو سالم مولى / أبي حذيفة. وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عبدالله بن عمر ^{٢٨}/_٧ وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بابل وورق وأمره أن يديهم فوداهم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله فقال علي: قدمت عليهم فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحللوا رسول الله ﷺ؟ قالوا نعم. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الرزق والفرع؟ قالوا نعم. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله ﷺ مما علم ومما لم يعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعته إليهم، وجعلت أديهم، حتى إني لأدي ميلغة^(١) الكلب، وفضلت فضلة فدفعتها إليهم. فقال رسول الله ﷺ: «أقبلوها؟» قال نعم. قال: «فوالذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم».

وقالت سلمى^(٢) بنت عُمَيْس:

وكم غادروا يوم الغميصاء من فتى
/ ومن سيد كهل عليه مهابة
أحاطت^(٣) بخطاب الأيامى وطلقت
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا

أصيب فلم يجرح وقد كان جارحاً
أصيب ولما يغله الشيب واضحاً
غداة تسي من كان منهم ناكحاً
سلاقت سليم يوم ذلك ناطحاً

[٢٨٦/٧]

ما وقع بين قريش وبين بني عامر بن عبد مناة في الجاهلية:

قال ابن داب: وأما سبب قتلهم القرشيين، فإنه كان نفر من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدَّم» وكانوا ذوي بأس شديد. فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين: إياكم أن يكون معكم رجل من قهم؛ لأنه كان له عندهم دخل. قالوا: لا والله ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوه فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوه وأخذوا أموالهم. فقال راجزهم:

إِنَّ قَرِيشاً غَدَرَتْ وَعَادَةٌ نَحْنُ قَتَلْنَا مِنْهُمْ بِغَادَةٍ^(٤)

* عشرين كهلاً مالهم زيادة *

وكان فيمن قُتل يومئذ عقان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عقان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المغيرة، والفاكه بن الوليد بن المغيرة. فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة فلم

(١) الميلغة: الإناء الذي يلغ فيه الكلب.

(٢) هي أخت أسماء بنت عيسى زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد وردت هذه الأبيات في «سيرة ابن هشام» باختلاف في كلماتها، وذكر أن بعضهم يقول: إنها لسلمى وآخر يقول: إنها لقائل من بني جذيمة.

(٣) في «الروض الأنف» للسيوطي (ج ٢ ص ٢٨٥ طبع مصر) و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الغميصاء: «ألظت». والنظ بالشيء ولظ به: لزمه.

(٤) غادة: موضع في ديار كنانة. قال ساعدة:

فما راعهم إلا أخوهم كأنه بنو غادة فتخاء الجناح كسير
(عن «معجم ما استعجم» للبكري).

يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار^(١). فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله:

[٢٨٧/٧] / دعوتُ إلى خطبة خالداً / من المجد ضيعها خالداً
فوالله أدري^(٢) أضاهى بها / بني^(٣) العجم أم صدره بارد
ولو خالداً عاد في مثلها / لتابعه عنق واردة^(٤)
وقال ضرار أيضاً:

أرى ابني لؤي^(٥) أسرعا أن تسالما / وقد سلكت أبناؤها كل مسلك
/ فإن أنتم لم تثاروا برجالكم / فدوكوا^(٦) الذي أنتم عليه بمدوك^(٧)
فإن أداة الحرب ما قد جمعتم / ومن يتي الأقوم بالشر يترك

سرايا النبي ﷺ يوم الفتح إلى قبائل كنانة:

فلما كان يوم فتح مكة بعث رسول الله ﷺ بالجيش إلى قبائل بني كنانة حوله، فبعث إلى بني ضمرة نميلة بن عبد الله الليثي، وإلى بني الدئل عمرو بن أمية الضمري، وبعث إلى بني مذليج عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وبعث إلى بني بغيض ومحارب بن فهر عبد الله بن نهيك أحد بني مالك بن حسل، وبعث إلى بني عامر بن عبد مناة خالداً. فوافاهم خالد بماء يقال له الغميصاء؛ وقد كان خبره سقط إليهم، فمضى منهم سلف قتله بقوم منهم، يقال لهم بنو قيس^(٨) بن عامر وبنو قعين بن عامر وهم خير القوم وأشرفهم، فأصيب من أصيب. فلما أقبل خالد / ودخل المدينة قال له النبي ﷺ: «يا خالد ما دعاك إلى هذا؟» قال: يا رسول الله آيات سمعتهن أنزلت عليك. قال: «وما هي؟» قال: قول الله عز ذكره: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءني ابن أم أصرم فقال لي: إن رسول الله ﷺ يأمر أن تقتل. فحينئذ بعث رسول الله ﷺ فوداهم.

(١) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري أحد الأشراف والشعراء المعدودين والأبطال المذكورين، من مسلمة الفتح، وهو رئيس بني فهر، وقد شهد فتح الشام: (انظر «شرح القاموس» مادة ضرر).

(٢) النفي مقدر هنا، أي فوالله لا أدري. وحذف حرف النفي في مثل هذا الموضع قياسي. وشرطه أن يكون الحرف «لا» وبعده فعل مضارع جواب لقسم.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «من» وهو تحريف.

(٤) عنق وارد: متدل، يكنى بذلك عن موته.

(٥) هو لؤي بن غالب بن فهر واليه ينتهي عدد قريش وشرفها. وولده كعب بن لؤي وعامر بن لؤي وسامة بن لؤي وسعد بن لؤي وخزيمة بن لؤي والحارث بن لؤي وعوف بن لؤي. ومن هؤلاء تنحدر بطون وأفخاذ. ولم ندر من المعني في هذا الشعر.

(٦) فدوكوا: اسحقوا.

(٧) كذا في حـ ونسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه. والمدوك: حجر يسحق به الطيب. وفي سائر الأصول: «بمدرك» بالراء وهو تحريف.

(٨) في حـ: «بنو قين» بالنون.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سعد بن أبي نصر قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق عن رجل من مُزينة يقال له ابن عاصم^(١) عن أبيه قال:

بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا ألا نقتل أحداً إن رأينا مسلحاً أو سمعنا أذاناً. قال وكيع وأخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا إبراهيم بن بشار الرَّمَادِي قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال:-

فبينما نحن نسير إذا بفتى يسوق طعائن؛ فعرضنا عليه الإسلام فإذا هو لا يعرفه؛ فقال: ما أنتم صانعون بي إن لم أسلم؟ قلنا: نحن قاتلوك. قال: فدعوني ألحق هذه الطعائن، فتركناه؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال: أسلمي حبيش، قبل نفاذ العيش. فقالت: وأنت فاسلم تسعاً وترأ، وثمانياً تترى، وعشراً أخرى. فقال لها:

فلا ذنب لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبي بوذ قبل إحدى البوائقي

أثيبي بوذ قبل أن تشخط النوى وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق

/ قال: ثم جاء فضربنا عنقه. فخرجت من ذلك الهودج جارية جميلة فجئنا^(٢) عليه، فما زالت تبكي حتى [٢٨٩/٧] ماتت.

حديث خالد للنبي ﷺ عن غزوته بني جذيمة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبدالله العنكي قال حدثنا عمر بن شبة قال:

يُروى أن خالد بن الوليد كان جالساً عند النبي ﷺ، فسئل عن غزوته بني جذيمة فقال: إن أذن رسول الله ﷺ تحدثت. فقال: «تحدثت». فقال: لقيناهم بالغُمَيْصَاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يَغِيْبُ، فَمَنَحَنَا اللَّهُ أَكْثَفَهُمْ فَتَبِعْنَاهُمْ نَطْلِبُهُمْ، فإذا بغلام له ذوائبٌ على فرسٍ ذَنُوبٌ^(٣) في أخرياتِ القوم، فبَوَّأْتُ^(٤) له الرمح فوضعتُه بين كتفيه؛ فقال: لا إله، فقبضتُ عنه الرمح؛ / فقال: إلا اللَّات أحسنُ أو أساءت. فهِمَسْتُ^(٥) ٣٠ هَمْسَةً أَذْرَيْتُهُ وَقِيداً^(٦)؛ ثم أخذته أسيراً فشددته وثاقاً؛ ثم كلمته فلم يكلمني، واستخبرته فلم يُخْبِرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بني جذيمة يسوق بهنَّ المسلمون، فقال: أيا خالداً قلتُ: ما تشاء؟ قال: هل أنت واقفي على هؤلاء النسوة؟ فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ، وفيهن جارية تُدْعَى حُبَيْشَةَ؛ فقال لها: ناوليني يدك فناولته يدها في ثوبها؛ فقال: أسلمي حبيش، قبل نفاذ العيش. فقالت: حُيِّتْ عشراً، وتسعاً وترأ، وثمانياً تترى. فقال:

أرَيْتَكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فوجدتكم بِحَلْيَةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ

أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يَكُونَ عَاشِقُ تَكْلَفُ إِدْلَاجِ الشُّرَى وَالْوَدَائِقِ

/ وقد قلتُ إذ أهلي لأهلك جيرةً أثيبي بوذ قبل إحدى الصّعائقي

[٢٩٠/٧]

(١) في ب، م: «عصام».

(٢) جئنا عليه: أكبت عليه. وفي الأصول: «فجاءت» وهو تحريف.

(٣) الذنوب: الفرس الوافر الذنب.

(٤) بوا الرمح: سدده وهياه.

(٥) همسه: أخذه أخذاً شديداً وعصره.

(٦) الوقيد: الدنف المشرف على الموت.

أثبيسي بوؤد قبل أن تشحط الثوى وينأ أمير بسالحبيب المفارق
فلأنني لا ضيعة سر أمانتي ولا راق عيني بعد عينك رائق^(١)
سوى أن مانال العشيرة شاغل عن الوؤد إلا أن يكون الثوائق
فلما جاء على حاله تلك قدمته^(٢) فضربت عنقه. فأقبلت الجارية ووضعت رأسه في حجرها وجعلت ترشفه
وتقول:

لا تبعدن يا عمرو حيا وهالكاً فحق بحسن المدح مثلك من مثلي
لا تبعدن يا عمرو حيا وهالكاً فقد عشت محمود الشا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تشجر^(٣) بالقنا وللخير يوماً عند قرقرة البزل^(٤)

وجعلت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه لفي حجرها. فقال رسول الله ﷺ: «لقد رُفعت لي
يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته».

أبو السائب المخزومي وطربه بصوت شغله عن الفطور والسحور وكان صائماً:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني
عبدالله بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام قالت:

كان أبو السائب المخزومي رجلاً صالحاً زاهداً متقللاً يصوم الدهر، وكان أرق خلق الله وأشدّهم غزلاً. فوجه
ابنه يوماً يأتيه بما يُفطر عليه، فأبطأ الغلام إلى العتمة. فلما جاء قال له: يا عدو نفسه، ما أخرك إلى هذا الوقت؟
قال: [٢٩١/٧] جُزْتُ بباب / بني فلان فسمعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذته. فقال: هاتِ يا بُني، فوالله لئن كنت أحسنت
لأخبرنك، ولئن كنت أسأت لأضربنك. فاندفع يغني بشعر كثير:

ولما علّوا شغباً^(٥) تبيت أنه تقطع من أهل الحجاز علائقي^(٦)
فلا زلن خسري ظلماً لم حملنها إلى بلد نساء قليل الأصادق

فلم يزل يغنيه إلى نصف الليل. فقالت له زوجته: يا هذا، قد انتصف الليل وما أفطرنا. قال لها: أنت طالق إن كان

(١) في هذا البيت والذي يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروي.

(٢) في الأصول: «فقدمته».

(٣) تشجر: تطعن.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والبزل: جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة. والقرقرة: دعاء الإبل، وهي أيضاً
هدير الفحل. وفي الأصول: «وللعجز يوماً عند قرقرة البذل» وهو تحريف.

(٥) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ونسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بوضع نقطة على العين بقلمه. وشغب: منهل بين
طريق مصر والشام. (عن «معجم ما استعجم» للبكري). وفي سائر الأصول: «شعباً» بالعين المهملة، وهو تصحيف.

(٦) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «علائق» بدون ياء.

فَطَوْرُنَا غَيْرَهُ . فلم يزل يَغْنِيهِ إِلَى السَّحَر . فلما كان السَّحَرُ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ : هَذَا السَّحَرُ وَمَا أَفْطَرْنَا ! فَقَالَ : أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ كَانَ سَحَوْرُنَا غَيْرَهُ . فلما أصبح قال لابنه : / خُذْ جُبَّتِي هَذِهِ وَأَعْطِنِي خَلَقَكَ لِيَكُونَ الْحِجَاءُ فَضَّلَ مَا بَيْنَهُمَا . فقال له : يَا أَبَتِ ، أَنْتِ ^{٢١} شَيْخٌ وَأَنَا شَابٌّ وَأَنَا أَقْوَى عَلَى الْبَرْدِ مِنْكَ . قال : يَا بَنِي ، مَا تَرَكْتُ صَوْتَكَ هَذَا لِلبَرْدِ عَلَيَّ سَبِيلًا مَا حَيِّتُ ^(١) .

شعر لسليمان بن أبي دباكل :

أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشَّيْبَانِيُّ عَنْ مَصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ لِسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي دُبَاكِلَ ^(٢) قَالَ :

فَهَلَّا نَظَرْتَ الصَّبْحَ يَا بَعْلَ زَيْنَبٍ فَتَقَضَّى لُبَانَاتُ الْحَيِّبِ الْمَفَارِقِ
يَرْوَحُ إِذَا يُمَسِّي حَنِينًا وَيَغْتَدِي وَتَهْجِيرُهُ عِنْدَ احْتِدَامِ الْوُدَائِقِ
/ فَطَرُ جَاهِدًا أَوْ كُنْ حَلِيفًا لَصَخْرَةٍ مُنْعَمَةٍ فِي رَأْسِ أَرْعَنَ شَاهِقِ
فَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ شَوْمٍ صَرَفِهِ يُفَسِّرُقُ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ الْأَوَامِقِ
فَيُبْعِدُنَا مِمَّنْ نُرِيدُ اقْتِرَابَهُ وَيُذْنِي إِلَيْنَا مَنْ نُحِبُّ نُفَارِقُ ^(٣)
وَلَمَّا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عِلَاقِي
فَلَا زِلْنِ حَسْرَى ظُلْمًا لَمْ حَمَلْنَهَا إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

[٢٩٢/٧]

(١) كذا وردت هذه العبارة في «نهاية الأرب» للنويري (ج ٤ ص ٢١٧ طبعة أولى . وفي الأصول : «... ما إلى ترك صوتك هذا للمبرد عندي سبيل ما حبيت» .

(٢) سليمان بن أبي دباكل : شاعر خزاغي من شعراء الحماسة .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

/ ذكر مَتَيْم الهشامية^(١) وبعض أخبارها

مغنية شاعرة اشتراها علي بن هشام وهي أم ولده:

كانت مَتَيْمُ صفراء مولدة من مولات البصرة، وبها نشأت وتآذبت وغتث. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين. وكانت من تخريج بذل وتعليمها. وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد. فاشتراها علي بن هشام^(٢) بعد ذلك، فازدادت^(٣) أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد، ولكنه يستحسن من مثلها. وحظيت عند علي بن هشام حظوة شديدة، وتقدمت على جواريه جمع^(٤) عنده، وهي أم ولده كلهم.

كانت مولاة للبانة واشتراها منها علي بن هشام وأولدها:
وقال عبدالله بن العنز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قرئش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بابي عبدالله الهشامي قال:

كانت مَتَيْمُ للبانة بنت عبدالله بن إسماعيل المراكبي^(٥) مولي^(٦) عريب، فاشتراها علي بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جويرية، فولدت له صفية / وتكنى أم العباس، ثم ولدت محمداً ويعرف بابي عبدالله، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون ويعرف بابي جعفر، سمّاه المأمون وكنّاه لما ولد بهذا الاسم والكنية. قال: ولما توفي علي بن هشام عتقت.

كانت تغني المأمون والمعتصم:

وكان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه. فلما خرج المعتصم إلى سر من رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها. وكانت تستأذن المعتصم في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع، ثم ضمها لما خرجت قلم. وقلم جارية كانت لعلي بن هشام. وكانت مَتَيْمُ صفراء حلوة الوجه.

(١) كذا في ح وهو الصواب، نسبة إلى علي بن هشام وكان قد اشتراها وحظيت عنده، كما سيأتي بعد قليل. وفي سائر الأصول: «الهشامية» وهو تحريف.

(٢) كان من أمراء المأمون وقواده تولى له حرب بابك الخرمي. ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان وغيرها، فبلغه ظلمه وأخذته الأموال وقتله الرجال فأمر بقتله. (راجع «الطبري» و «ابن الأثير» في حوادث سنة ٢١٧ هـ).

(٣) كذا في «نهاية الأرب» للنويري (ج ٥ ص ٦٢ طبع دار الكتب المصرية) نقلاً عن أبي الفرج. وفي ب، س: «فما ازدت أحداً» وفي سائر النسخ: «فإن زارت أحداً» وكلاهما تحريف.

(٤) في الأصول: «على جواريه أجمع». وتأكيده جمع الإناث إنما هو «جمع».

(٥) سترد له أخبار في «الأغاني» (ج ١٠ ص ١٢٦ وج ١٨ ص ١٨٥ - ١٨٦ طبع بولاق).

(٦) في ب، س: «مولاة» وهو تحريف.

فضلها عبدالله بن العباس على نفسه :

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ الحسين بن يحيى بن أكثم حدّثه عن الحسن بن إبراهيم بن رياح^(١) قال :

سألتُ عبدالله بن العباس الرّبيعيّ: مَنْ أَحْسَنُ مَنْ أَدْرَكَتْ صَنْعَةً؟ قال: إسحاق. قلت: ثم من؟ قال: علّويه. قلت: ثم من؟ قال: متيّم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجبتُ من تقديمه متيّم على نفسه؛ فقال: الحقُّ أحقُّ أن يُتبع.

أخبرني محمد بن الحسن قال حدّثنا عمر بن شبة قال :

/ سئل عبدالله بن العباس الرّبيعيّ عن أحسن الناس غناءً. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: ما $\frac{٣٢}{٧}$ أحسن أن أصنع كما صنعتُ متيّم في قوله :

* فلا زِلْنِ حَسْرَى ظُلَعًا لِمَ حَمَلْنَهَا *

ولا كما صنع علّويه في قول الصّمتة :

فواحسرتي لم أقضِ منك^(٢) لبانةٌ ولم أتمتّع بالجوار وبالقرب

/ قال: فأين عمرو بن بانة؟ قال: عمرو لا يَضَعُ نفسه في الصنعة هذا الموضع، ولكنه صنع لحناً في هذا [٢٩٥/٧] الغناء.

نسخة مخطوطة علّويه

صوت

فواحسرتي لم أقضِ منك لبانةٌ ولم أتمتّع بالجوار وبالقرب
يقولون هذا آخر العهد منهم^(٣) فقلت وهذا آخر العهد من قلبي
ألا يا حمام الشعب شغبٍ مراهق سقتك الغواصي من حمام ومن شغب

الشعر للصّمتة بن عبدالله القشيريّ. والغناء فيه لعلّويه، ثقیل أوّل مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيفٌ رمل بالوسطى، أوّله: «ألا يا حمام الشعب» ثم الثاني ثم الأوّل. وذكر حبش أن فيه لإسحاق ثاني ثقیل بالبتصر.

تطاول إبراهيم بن المهدي إلى منظرة كانت تغني بها وأخذ منها صوتاً :

وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال :

(١) كذا في حـ، م: وسيأتي كذلك في ج ١٢، ١٧ من «الأغاني» طبع بولاق. وفي سائر الأصول هنا: «رياح» بالباء الموحدة.

(٢) في حـ: «منكم».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «منكم».

كانت مَتِيَمٌ ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر؛ فغنت مَتِيَمٌ في الثقليل الأول:

لزينب طيفٌ تَغْتَرِينِي طوارقُهُ هُدُوءًا إذا ما النجمُ لاحَ لواحِقُهُ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده؛ فقالت مَتِيَمٌ للمعتصم: يا سيدي، إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه؛ فقال لها: لا تُعِيدِيهِ. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلسَ المعتصم ومَتِيَمٌ غائبةً، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومَتِيَمٌ في منزلها بالميدان^(١) وطريقه عليها وهي في مَنْظَرَةٍ لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت / وتَطْرَحُهُ على جوارِي علي بن هشام؛ فتقدم إلى المَنْظَرَةِ وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب بابَ المَنْظَرَةِ بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حَمْدِكَ.

طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض:

وقال ابن المعتز: وَحَدَّثْتُ أَنَّ المأمون سأل علي بن هشام أن يَهَبَهَا له وكان بغنائها مُعْجَباً^(٢)؛ فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ. فلما ألح المأمون في طلبها حَرَصَ عليٌّ على أن تَغْلُقَ منه حتى حَبِلَتْ ويش المأمون منها. فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله.

كان المعتصم يمازحها:

وحَدَّثَنِي سليمان^(٣) الطَّبَّالُ أَنَّهُ رَأَى مَتِيَمٌ فِي بَعْضِ مَجَالِسِ المَعْتَصِمِ يُمَازِحُهَا وَيَجْبِذُ بِرَدَائِهَا.

غنت علي بن هشام صوتاً أراد إسحاق انتحاله فَعَوَّضَهُ عَنْهُ بِبِرْدُون:

وحكى علي بن محمد الهشامي قال:

أُهِدِيَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ بِرْدُونٌ أَشْهَبُ قِرْطَاسِي^(٤) وكان في النهاية من الحسن والفراة، وكان علي به مُعْجَباً، وكان إسحاق يَشْتَهِيهِ شَهْوَةً شَدِيدَةً، وَعَرَضَ لِعَلِيٍّ بِطَلْبِهِ مَرَاراً فَلَمْ يَرْضَ أَنْ يُعْطِيَهُ له. فسار إسحاق إلى علي يوماً بِعَقَبٍ / صَنَعَةِ مَتِيَمٍ «فلا زِلْنِ حَسْرِي» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى مَتِيَمٍ أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت، فأطرب إسحاق إطراباً شديداً، وجعل يسترده، فترده وتشتوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يُصْغِي إليها ويتفهمه حتى صحَّ له. ثم قال لعلِّي: ما فعل البرْدُونُ الأشهب؟ قال: على ما عهدت من حسنه وفراسته. قال: فاختر الآن مني خَلَّةً من اثنتين: إما أَنْ طِبَّتْ لي نفساً به وحملتني عليه، وإما أَنْ أَيْتَ فَأَدْعِي وَالله هذا الصوت لي وقد أخذته، أفتراك تقول: إنه لمَتِيَمٍ وأقول: إنه لي ويؤخذ قولك / ويترك قولِي؟ قال: لا والله ما أظن هذا ولا أراه؛ يا غلام قَدْ^(٥) البرْدُونُ إلى منزل أبي محمد بِسَرَجِهِ ولجامه، لا بارك الله له فيه!

(١) شارع الميدان: محلة ببغداد وهي شرقي بغداد بباب الأزل.

(٢) في الأصول: «محسناً».

(٣) في أ، م: «سلمان».

(٤) القرطاسي: الأبيض الذي لا يخالط بياضه شبة.

(٥) كذا في «نهاية الأرب» (ج ٥ ص ٦٣ طبعة أولى) وفي الأصول: «قدم البرْدُون».

كان إسحاق يرى أنها ساوته :

قال عليّ بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون :

أن إسحاق قال لمتيّم لما سمع هذا الصوت منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ ! يريد أنها قد حلّت محلّه وساوته .

قال عليّ بن محمد وقال جديّ أبو جعفر :

كانت متيّم تقول :

صوت

* فلا زلن حسرى ظُلَعاً لم حملنها *

الزمل كله .

علي بن هشام وعتابه بذل جاريته :

وحدثني الهشاميّ قال مدّ عليّ بن هشام يده إلى بذل^(١) جاريته في عتاب يعاتبها ، ثم ندم على فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول :

فليت يدي بانست غداة مدّذتها إليكِ ولم ترجع بكفّ وساعد
وغنت متيّم جاريته فيه في الثقل الأول ؛ فكان يقال لبذل جارية عليّ بذل الصغيرة .

ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها :
وحدثني الهشاميّ قال :

كان^(٢) سبب موت بذل هذه أنها كانت ذات يوم جالسة عند المأمون فغته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس مؤسوس يكتنّ بأبي الكركدن من أهل طبرستان / يضحك منه المأمون ، فعثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحد حتى هرب المأمون ، وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها ، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجّها في شابورتها^(٣) اليمنى ؛ فانصرفت وحمت ، وكان سبب موتها .

تزوج المعتصم بذل الصغيرة وبقيت في قصره بعد موته :

وحدثني الهشاميّ قال :

لما مات عليّ بن هشام ومات المأمون ، أخذ المعتصم جوارى عليّ بن هشام كلهن فأدخلهن القصر ، فتزوج

(١) في الأصول : «يد جاريته» وهو تحريف .

(٢) وردت هذه الجملة في حدّ هكذا : «كان سبب موت بذل هذه وذلك أنها كانت ذات يوم جالسة إلخ» . وفي سائر الأصول : «كنت سبب موت بذل هذه وذلك أنها كانت ذات يوم دالة . . . إلخ» فاعتمدنا نسخة حدّ مع حذف كلمة «وذلك» لنبوها في ذلك الموضع وعدم ملأمتها السياق .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول . وظاهر أنها من أعضاء الرأس ولم نقف عليها في «معاجم اللغة العربية والفارسية» .

ببذل المغنية وبقيت عنده إلى أن مات؛ فخرجت بذل الكبيرة والباقون إلا بذل الصغيرة لأنها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها^(١).

ويقال: إنه لم يكن في المغنين أحسن صنعة من علويه وعبدالله بن العباس ومتيم.

شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها:

وفي أولادها يقول علي بن الجهم:

بَنِي مُتَيْمٍ هَلْ تَذَرُونَ مَا الْخَبْرُ وَكَيْفَ يُسْتَرُّ أَمْرٌ لَيْسَ يُسْتَرُّ
حَاجِيَتُكُمْ مَنْ أَبُوكُمْ يَا بَنِي عَصَبٍ شَتَّى وَلَكِنَّمَا لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ^(٢)

غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر:

قال: وحدثني جدي قال: كلم علي بن هشام متيم فأجابته جواباً لم^(٣) يَرْضَه، فدفع يده في صدرها، فغضبت ونهضت، فتأقلت عن الخروج إليه. فكتب إليها:

بشعر

فَلَيْتَ يَدِي بَانَتْ غَدَاةً مَدَدْتُهَا إِلَيْكَ وَلَمْ تَرْجِعْ بِكَفٍّ وَسَاعِدٍ
فَلَمَّا يَرْجِعِ الرَّحْمَنُ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْتُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي بَعَائِدٍ

مركز توثيق التراث الحضاري

٢٤ / غثته متيم خفيف رمل بالنصر. ٧

٢٩٩/٧ / عتبت علي بن هشام وترضاها ثم كتب إليها فرضيت:

قال: وعتبت عليه مرة فتمادى عتبتها، وترضاها فلم تَرْضَ؛ فكتب إليها^(٤): الإدلال يدعو إلى الإملال، ورب هجر دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتقلبه. ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول:

مَا أُرَانِي إِلَّا سَاهُجُورٍ مِنْ لِي سَسْ يَرَانِي أَقْوَى عَلَى الْهَجْرَانِ
قَدْ حَذَا بِي إِلَى الْجَفَاءِ وَفَائِي^(٥) مَا أَضُرُّ الْوَفَاءَ بِالْإِنْسَانِ

قال: فخرجت إليه من وقتها [ورضيت]^(٦).

كانت تهدي للهشامي نبأ لأنه يحبه:

وحدثني الهشامي قال:

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «فلم يخرجها» وهو تحريف.
(٢) العاهر: الزاني، أي أن الولد لصاحب الفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها.
(٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «ولم» وهو تحريف.
(٤) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وقال».
(٥) رواية هذا الشعر في «ديوان العباس بن الأحنف» طبع مطبعة الجوائب بالآستانة و«نهاية الأرب»:

* ملني وثقاً بحسن وفائي *

(٦) التكلمة عن «نهاية الأرب».

كانت مُتَيْمٌ تُحِبُّني حبًّا شديدًا يَتَجَاوِزُ مَحَبَّةَ الْأَخْتِ لِأَخِيهَا، وكانت تعلم أنني أُحِبُّ النَّبِيَّ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه. فلأنني لأذكرُ في ليلة من الليالي في وقت السَّحَرِ إذا أنا ببابي يُدَقُّ. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادمُ مُتَيْمٍ يريد أن يدخل إلى أبي عبدالله. فقلتُ: يَدْخُلْ. فدخل ومعه إليّ صِينِيَّةٌ فيها نَبَقٌ؛ فقال لي: تُقَرِّئك السلام وتقول لك: كنتُ عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بَنَبَقٍ من أحسن ما يكون؛ فقلتُ له: يا سيدي، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً؟ فقال لي: تَطْلُبِينَ ما شئت. قالت: يُطْعِمَنِي أمير المؤمنين من هذا النَّبَقِ. فقال لسمانة^(١): اجعل من هذا النَّبَقِ في صِينِيَّةٍ واجعلوها قَدَامَ مُتَيْمٍ؛ فأخذته وذللته [لك]^(٢) وقد بعثت به إليك معي، / ثم دفعت [٣٠٠/٧] إليّ دراهم وقالت: هَبْ لِلْخُرَّاسِ هذه الدراهم لكي يَفْتَحُوا الدَّرُوبَ لك حتى تصيرَ به إليه.

أراد إسحاق انتحال غناء متيم فعوضه علي بن هشام عن ذلك ببرذون:

ثم حدثنا الهشامي قال:

بعث علي بن هشام إلى إسحاق فجاء، فأخرج مُتَيْمَ جاريته إليه؛ فغنت بين يديه:

فلا زِلْنِ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلد ناءٍ قليل الأصاقد

فاستعاده إسحاق واستحسنه، ثم قال له: بكم تشتري مني هذا الصوت؟ فقال له علي بن هشام: جاريته تصنع هذا الصوت واشتره منك! قال: قد أخذته الساعة وأدعيه، فقول من يُصَدِّق، قولي أو قولك! فافتداه منه ببرذون اختاره له.

سمع علي بن هشام من قلم جارية زبيدة صوتاً فأخرجه لجواريه بمائة ألف دينار:

وحدثني الهشامي قال:

سمع علي بن هشام قَدَامَ المأمون من قَلَمِ جارية زبيدة صوتاً عجبياً، فرشا لمن^(٣) أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطُرح الصوتُ على جواريه. ولو علمت بذلك زبيدة لاشتد عليها، ولو سألها أن توجه به ما فعلت.

ذكر إسحاق متيم في كتابه وكان يتعالى من ذكر غيرها:

وحدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال:

لما صنعت مُتَيْمُ اللَّحْنِ في قوله:

* فلا زِلْنِ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا *

أعجب به علي بن هشام، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال: من أين لك هذا؟ فقال: من بعض الجواري.

(١) هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري» (ق ٣ ص ١٣٦٧، ١٣٧٤، ١٣٧٧، ١٣٧٨) وفي أكثر الأصول: «لسمانة اجعلي» خطاباً لمؤنثة. وفي س: «لسمانة اجعلي». والظاهر أنهما تحريف من النسخ.

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٣) الذي في «معاجم اللغة» أن «رشا» يتعدى إلى مفعوله بنفسه.

فقال^(١): إنه لعريب؛ ولم يَزَلْ يستعيده حتى قال: إنه لمُتَمِّمٌ؛ فأطرق. وكان متحاملاً على المغنين شديد التفاسة [٣٠١/٧] عليهم كثير الظلم لهم مُسْرِفاً / في حَطِّ درجاتهم، وما رأيته في غنائه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبدالله بن عباس ولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفعاً عن ذكرهم مُتَنَصِّباً^(٢) لهم، وذكر في آخر الكتاب قوله:

فلا زلن حَسْرِي ظُلماً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلد نساء قليل الأصادق

ووقع تحته «المُتَمِّم». وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسب إلى كل مغنٍ صوته غير مُخَارِقٍ وعلويه وعمرو بن بانة وعبدالله بن عباس فما ذكرهم بشيء.

سمعت شاهك جدة علي بن هشام صوتها فأعجبت بها وأمرت لها بجائزة:

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة / قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال قال لي علي بن هشام: ٣٥
٧

لما قدمت علي شاهك جدتي من خراسان، قالت: اغرض جواريك علي، فعرضتهن عليها. ثم جلسنا على الشراب، وغننا مُتَمِّمٌ. وأطالت جدتي الجلوس فلم أنبسط إلى جوارِي كما كنتُ أفعل؛ فقلت هذين البيتين:

أَبْقَى عَلَى هَذَا وَأَنْتِ قَرِيبَةٌ وَقَدْ مَنَعَ الزُّوَارُ بَعْضَ التَّكَلُّمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُؤَدِّعٍ وَلَكِنْ سَلَامٌ مِنْ حَيِّبِ مَتَمِّمِ

وكتبتهما في رُقعة ورميتُ بها إلى متَمِّمٍ؛ فأخذتها ونهضت إلى الصلاة^(٣)، ثم عادت وقد صنعت في اللحن الذي يُغَنَّى فيه اليوم، فغننت. فقالت شاهك: ما أُرانا إلّا قد / ثَقُلْنَا عليكم اليوم؛ وأمرت الجوارِي فحملنَ مَحَفَّتَهَا، وأمرت بجوازِرَ للجَّوَارِي وسات^(٤) بينهن، وأمرت لمُتَمِّمٍ بمائة ألف درهم.

(١) كذا بالأصول. والأحرى بهذه الجملة أن تكون هكذا: «فقال: من بعض الجوارِي، فاستعاده فقال: إنه لعريب... إلخ».

(٢) الانتصاب: إظهار العداوة.

(٣) في «نهاية الأرب»: «ونهضت لصلاة الظهر».

(٤) قد ورد بين هذه الكلمة وبين «أخبرني قال: أول من عقد من النساء... إلخ» خبر مبتور في ح، أ، س، م وهو:

هذا الصوت لعلّي بن هشام والغناء لمُتَمِّمٍ خفيف رمل... وأنا صغير إلى علي بن هشام منصرفاً... هي نفساً بانة لها وعليه سيفه... لمُتَمِّمٍ بين يديه تحبو بين السبع وبذل... يمين بذل... دنائير تزمز بالسرير على الغناء وهو يشرب فبعث إلى متَمِّمٍ: بالله وبحياتي تعالى إلينا ولم تزل الرسل ترسل إليها إلى أن جاءت وعليها جبة غز سفرجلية مزوقة وأمر مرة رأيت جيها مزرراً تلك الجبة فحين دخلت قعدت وحدها عن يمين الباب في الناحية التي كان علي فيها جالساً إلّا أن بينهما فرجة فتغننت:

* فلا زلن حَسْرِي ظُلماً لِمَ حَمَلْنَهَا *

فلم تزل كذلك حتى جاءته خداع جاريته فقالت له: يا سيدي قد والله طلع الفجر فقال أبانكم الله بعافية وانصرف إلى بيته.

هي أول من عقد على الإزار زناراً:

وأخبرني قال: أول من عقد من النساء في طَرف الإزار زناراً^(١) وخِيطَ إبريسم^(٢) ثم جعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول مئيم.

مرت بقصر مولاها بعد قتله فرثته:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

مرت مئيم في نسوة وهي مُستَخْفِيَةٌ بقصر علي بن هشام بعد أن قُتِلَ، فلما رأت بابَه مُغْلَقاً لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطُرحَتْ في أفنيتها المزابِلُ، وقفت عليه وتمثلت:

صوت^(٣)

يا منزلاً لم تَبْلَ أطلالُهُ حاشاً لأطلالِكَ أن تَبْلَى

لم أَبْكِ أطلالِكَ لكثني بكيتُ عيشي فيك إذ وَلَّى

/ قد كان لي فيك هوى مرة غيَّبه الترابُ وما مُلّا^(٤)

فصرتُ أبكي جاهداً فقدّه عند اذكاري حشماً حلاً

فالعيشُ أولى ما بكاه الفتى لا يذلل للمحزون أن يَسْأَلِي

- فيه رمل بالوسطى لابن جامع - قال: ثم بكث حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يناشِدُنَهَا وَيَقُلْنَ: اللّٰه في نفسك! فإنك تُؤخِذين الآن، فبعد لأي^(٥) ما حُمِلَتْ تَهَادِي بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع.

أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها:

نسختُ من كتاب أبي سعيد الشُّكْرِي حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن الحسن عن [عبدالله بن]^(٦) العباس الرِّبِيعي قال: قالت لي مئيم:

بعث إليّ المعتصم بعد قدومه بغداد، فذهبتُ إليه، فأمرني بالغناء فغنيْتُ:

هل مُسعدٌ لبكاء بعيرة أو دمَاء

فقال: أعدلي عن هذا البيت إلى غيره؛ فغنيته غيره من معناه؛ فدَمَعَتْ عيناه وقال: غنيّ غيرَ هذا. فغنيْتُ في لحنِي:

(١) الزنار في الأصل: ما يلبسه ويشده الذمي على وسطه.

(٢) الإبريسم: الحرير.

(٣) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٤) في ب، س: «وما هلا» وهو تحريف.

(٥) اللاي: الجهد والمشقة.

(٦) زيادة ضرورية فإن محمد بن الحسن يروي عن عبدالله لا عن أبيه. ويحتمل أن يكون: «عن أبي العباس الربيعي» وهي كنية عبدالله بن العباس، كما سيذكر في ترجمته في هذا الكتاب (ج ١٧ ص ١١٧ طبع بولاق).

أولئك قومسي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا وإلا تذر العين أكمَدِ
فبكى وقال: وَيَحْك! لا تُغْنِيَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئاً الْبَتَّةُ ^(١). فغَنَيْتُ فِي لِحْنِي:

لا تَأْمَنَ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَائِبَ تَغْشَى كُلَّ إِنْسَانٍ
/ واسلُكْ طَرِيقَكَ هَوْنًا غَيْرَ مَكْتَرٍ فسوف يَأْتِيكَ مَا يَمْنِي ^(٢) لَكَ الْمَانِي

[٣٠٤/٧]

^{٣٦}/_٧ فقال: والله لولا أنني أعلم أنك إنما غَنَيْتَ بما في قلبك لصاحبك وأنت لم تُرِيدَنِي لِمَثَلْتُ بِكَ؛ / ولكن خذوا بيدها فأخرجوها، فأخذوا بيدي فأخرجتُ.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هـل مُسَوِّدٌ لِبِكَاءٍ بَعْبُورَةٌ أَوْ دَمَاءُ
وَذَا لِفَقْدِ خَلِيلٍ لِسَادَةِ نُجَبَاءِ

الشعر لمُراد شاعرة علي بن هشام تُرثِيهِ لِمَا قَتَلَهُ الْمَأْمُونُ. والغناء لِمَتِّم. ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. منها:

..... ذَهَبْتُ ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبْتُ مِنِّي

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره، وُشْرِحَتْ أَخْبَارُهُ فِيهِ. ولحنه رمل بالوسطى. ومنها:

صوت

أولئك قومسي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا وإلا تذر العين أكمَدِ

/ وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنياهما في بني أمية. ولحن مَتِّم هذا الذي غَنَّتْ فِيهِ الْمُعْتَصِمُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى.

ومنها:

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «ألفته».

(٢) مناة الله: قدره. فما يعني لك الماني، أي ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى. وقد جاء هذان البيتان في «اللسان» هكذا وهما

لسويد بن عامر المصطلق:

إِنَّ الْمَنَائِبَ تَوَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ
حَتَّى تَسْلُقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فَسِي حِلٍّ وَلَا حَرَمٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

(٣) لم يتقدم لهذا الصوت ذكر في أول الخبر.

صوت

لا تَأْمَنِ المَوْتَ فِي حَلٍّ وَفِي حَرَمٍ

ذكر الهشاميُّ أنه ممَّا وجدَّه من غناء مَنِيَمٍ، غير أن لها لحنًا فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرح^(١) إن شاء الله تعالى، وإنما أَلَفْتُ صوتًا تولَّعتُ به وغنَّته فنسبه إليها^(٢).

كانت تغني لنفسها خفيف رمل:

وأخبرني قال: كنا في مجلسنا نيامًا. فلما كان مع الفجر إذا مَنِيَمٌ قد دخلت علينا وقالت: أطعموني شيئًا؛ فأخرجوا إليها شيئًا تأكله، فأكلت، ودعت بنبيذ وابتدأت الشرب، ودعت بعود فاندفعت تغني لنفسها وتشرب. وكان ممَّا غنَّت:

كيف القواء بأرض لا أراك بها يا أكثرَ الناس عندي مِنَّةً ويذا

- خفيف رمل - وقال: ما رأيت أحداً من المُنَغِّين والمُنَغَّيات إذا غنَّوا لأنفسهم يكادون يغنون إلا خفيف رمل.

[٣٠٦/٧]

/ نوحها على سبيلها:

وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال: لما أصبنا بعلي بن هشام، جاء النوائح، فطرح بعض من حضر من مُغَنِّيَّاته عليهن نوحاً من نوح مَنِيَمٍ، وكان حسناً جيِّداً، فأبطل نوح النوائح اللَّاتي جئن لحسنه وجودته. وكانت زين حاضرة فاستحسنته جدًّا، وقالت: رضي الله عنك يا مَنِيَم! كنتَ علماً في السرور، وأنت علم في المصائب. وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نوحها:

لعلِّي وأحمد وحسين ثم نصر وقبَّله للخليـل

هزج.

أرسلت لها مؤنسة هدية يوم حجامتها:

قال ابن المعتز: وأخبرني الهشاميُّ قال: وُجِّهَتْ مؤنسةٌ جاريةُ المأمون إلى مَنِيَمٍ جاريةِ علي بن هشام في يومٍ

(١) لعله: «مع شرح».

(٢) في أ، و، ح، م زيادة غير واضحة بين قوله: «وغنَّته فنسبه إليها» وبين «وأخبرني قال كنا في مجلسنا نياماً... إلخ» ثبتها كما وردت وهي:

«أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشترأها من إنسان مدني. فيه صوتين فأشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتي ثم سمعت بيتين هما لها أحدهما:

حاشا لأطلالك أن تبلى
بكيـت عيشي فيك إذ ولسي

يا منزلاً لسم تبلى أطلاله
لم أبك أطلالك لكتسي

والآخر:

إذ مشي فيسه الخليل
أيها الـربيع المحيـل
فلها دمعي يسيل
خاليها فيها أجـول

أصبح الـربيع بخـذي
وعلى مثلك يـكـي
عرفت عيني الطـلـول
وبكيت لسي إذ رأنتـي

احتجمت فيه مخنقة^(١) في وسطها حبة لها قيمة جليلة كبيرة^(٢) وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمردات وما بينها من شذور الذهب، وباقي المخنقة قد طيب بغالية.

كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره:

وأخبرني قال: كانت متيممٌ يُعجبها البنفسج جدًّا، وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب، حتى إنها من شدة إعجابها [به]^(٣) لا يكاد يخلو من / كمها الريحان ولا نراه إلا كما قُطف من البستان^(٤).

لما ماتت هي وإبراهيم بن المهدي وبذل قالت جارية للمعتصم أظن أن في الجنة عرساً:

وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة:

أن جارية للمعتصم قالت له لما ماتت متيممٌ وإبراهيم بن المهدي وبذل: / يا سيدي، أظن أن في الجنة عرساً، فطلبوا هؤلاء إليه. فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره. فلما كان بعد أيام، وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه. وسمع المعتصم الجلبة فقال: ما هذا؟ فأخبر عنه؛ فدعا بها فقال: ما قصتك؟ فبكت وقالت: يا سيدي، احترق كل ما أملكه. فقال: لا تجزعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس. أمرها المأمون بأن تجيز شعراً:

وقد ذكرت في متقدم أخبار متيمم أنها كانت تقول الشعر ولم أذكر شيئاً. فمن ذلك ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الديلمي قال حدثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدثني أبي قال:

قال المأمون لمتيمم جارية علي بن هشام: أجزبي لي هذين البيتين:

تعالني تكون الكُتُب بيني وبينكم ملاحظتة نومي بها ونشيري
ورُسلي بحاجاتي ومن كثيرة إليك إشارات بها وزفير^(٥)

صوت

من المائة المختارة

إنَّ العيون التي في طرفها مرض قلنتائم لم يُخَيَّن قتلانا
يضرغن ذا اللب حتى لا حراك له ومن أضعف خلق الله أركاننا

(١) المخنقة: القلادة.

(٢) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «كثيرة».

(٣) تكملة عن ح.

(٤) قد ورد بين هذه الكلمة وبين «وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا إلخ» خبر مبثور في ح. م وهو: «قال ابن المعتز وحدثني ابن المهدي ومتيم وبذل في أيام يسيرة قليلة العدد... الجنة عرس قد ذهبوا بهؤلاء المغنين المحبين إليه... قال أبو العباس توفوا في ستة أشهر فقال الناس».

(٥) يلاحظ أن الكلام هنا لم يتم.

عروضه من البسيط. والشعر لجريز. والغناء لابن مُحَرِّز. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل. وفي هذه القصيدة أبياتٌ آخرُ تُغَنَّى فيها الحانٌ سوى هذا اللحن، منها قوله:

[٣٠٨/٧]

/ صوت

من المائة المختارة

أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقَ هل مَاتَ رَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا
 إِنْ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثَمَّ لَمْ يُخَيِّبِن قَتْلَانَا
 [الغناء في هذين البيتين ثَقِيلٌ] ^(١) أَوَّلُ مَطْلَقٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ.
 ومنها أيضاً:

صوت

بِأَنَّ الْأَخْلَا وَمَا وَدَعْتُ مَنْ بَانَا وَقَطَعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَرْكَانَا
 أَصْبَحْتُ لَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِمْ بَدَلًا بِالدَّارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانِ ^(٢) جِيرَانَا
 وَصَرْتُ مَذْذَعُ الْأَطْعَانِ ذَا طَرْبٍ ^(٣) مَرُوءَةً مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مِخْزَانَا
 فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ مِنَ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ. وَفِيهَا لِلْغَرِيضِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ، مِنْ رَوَايَةِ
 عَمْرِو بْنِ بَانَةَ وَالْهَشَامِيِّ. وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى، وَلِابْنِ سَرَجَسٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي
 وَبَعْدَهُمَا:

* أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقَ *

رَمْلٌ بِالْوَسْطَى. وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لِابْنِ مُحَرِّزٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بَعْدَهُمَا «أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً» / لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ
 الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ، وَذَكَرَ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ.

انتهى الجزء السابع من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الثامن

والله نسب جريز وأخباره

(١) التكملة عنه وقد سقطت في سائر النسخ.

(٢) كذا في «ديوانه» وأكثر الأصول. وفي ب، س: «بالدار داراً وبالجيران جيراناً».

(٣) الطرب هنا: الحزن.



فهرس موضوعات الجزء السابع

الموضوع	الصفحة
١ - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه	٥
٢ - ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه	٦٢
٣ - أخبار أبي كامل	٦٦
٤ - أخبار يزيد بن ضبّه ونسبه	٦٩
٥ - أخبار إسماعيل بن الهريذ	٧٦
٦ - أخبار أبي ذهبل ونسبه	٨٥
٧ - أخبار حسين بن الضحاك ونسبه	١٠٧
٨ - أخبار أبي زكار الأعمى	١٦٥
٩ - أخبار السيد الحميري	١٦٧
١٠ - أخبار عبدالله بن علقمة وحبيشة	٢٠٥
١١ - ذكر مئيم الهشامية وبعض أخبارها	٢١٢
فهرس الموضوعات	٢٢٥

اكتسابُ الأُغنيَّاتِ

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦ هـ)

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي



مركز تحقيق مكتبة التراث العربي

الجزء الثامن

طبعة كاملة وهدية ، مصححة ، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيرة بفهارس شاملة

دار أحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثامن

من كتاب الأغاني

/ نسب جرير وأخباره

[٣/٨]

نسبه من قبل أبويه :

جرير بن عطية بن الخطفي. والخطفي لقب، وأسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ويكنى أبا خزرة. ولقب الخطفي لقوله :

يَرْفَعَنَّ لِلَّيْلِ^(١) إِذَا مَا اسْدَفَا^(٢) أَعْنَاقَ جَنَانٍ وَهَاماً رُجْفاً
وَعَنْقاً^(٣) بَعْدَ الْكَلَالِ خَيْطِفاً

مركزية تكوينة

ويروى: خطفي.

[٤/٨] / وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يذكروا الجاهلية جميعاً. ومختلف في أيهم المتقدم؛ ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسنَّ ونفد أكثر عمره. وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس^(٤) نَجْرُهُ^(٥) من نَجَارِ هذين في شيء؛ وله أخبار مفردة عنهما ستذكر بعد هذا مع ما يُغنى عن شعره.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي قال حدثنا محمد بن سلام الجُمَحي، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالَا حدثنا أبو سعيد الشكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دَمَاز

(١) في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادتي خطف وسدف) و«الاشتقاق» لابن دريد و«المؤلف والمختلف» للآمدي: «بالليل».

(٢) اسدف الليل: أظلم. والجنان: جنس من الحيات إذا مشيت رفعت رؤوسها، واحدها جان. والهام: الرؤوس.

(٣) المنق: السير المنبسط. والخيطة والخيطة: سرعة انجذاب السير، كأنه يختطف في شبه عنقه، أي يجتذبه. ورواية هذا الشطر في «الشعر والشعراء» (ص ٢٨٣ طبع أوروبا):

وعنقاً باقي الرسم خيطفاً

وقد ذكر صاحب «اللسان» (مادة خطف) رواية الأصل كما أورد رواية أخرى هي:

وعنقاً بعد الرسم خيطفاً

والرسم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض.

(٤) كذا في جميع الأصول. وليس لهذه الفاء، موقع في الكلام.

(٥) النجر والنجار: الأصل والحسب. يريد أنه ليس من معدنهما.

جرير وطبقته من الشعراء

/ وقال محمد بن سلام: قال العلاء بن جرير العنبري وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل [٦/٨] سابقاً فهو سُكَيْتٌ^(١)، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سَكَيْتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصَلِّياً^(٢) وسَكَيْتاً. قال محمد بن سلام: ورأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعر؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديحٌ وهجاءٌ ونسيبٌ، وفي كلِّها غلب جرير؛ قال في الفخر:

إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا
والمديح:

الَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْسَدَى الْعَالَمِينَ بِطَوْنٍ رَاحٍ
والهجاء:

فُضُّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَاً بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا
والنسيب:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّن قَتْلَانَا
قال أبو عبدالله محمد بن سلام: ويثُّ النَّسَبِ عِنْدِي:

فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أَصِيثَ مَقَاتِلُهُ
قال كيسان^(٣): أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَوْجَعَكُمْ (يعني في الهجاء). فقال: يَا أَحْمَقُ! أَوْ ذَاكَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَكُونَ شَاعِراً.

تفضيله عبدة بن هلال على الفرزدق

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثني عمر بن شبة قال قال أبو عبدة، وأخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني أَبَانُ بن عثمان الْبَلْخِيُّ قال:

/ تنازع في جرير والفرزدق رجلان^(٤) في عسكر المهلب، فأرتفعا إليه وسألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئاً [٧/٨] ولكني أدلكما على من يهون عليه سُخْطُهُمَا: عبدة^(٥) بن هلال الْيَشْكُرِيُّ - وكان بإزائه مع قَطَرِي^(٦) وبينهما نهر. وقال عمر بن شبة: في هؤلاء الخوارج من تهون عليه سِبَالُ^(٧) كلِّ واحد منهما - فأما أنا فما كنتُ لأعرض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج؛ فبذَر من الصفِّ ثم دعا بعبدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه.

(١) السكيت (بتشديد الكاف وتخفيفها): الذي يجيء آخر الخيل في السباق.

(٢) المصلي: الذي يجيء بعد الأول في السباق.

(٣) لم يتقدم لهذا الاسم ذكر في هذا الخبر.

(٤) في ب، س: «من».

(٥) هو عبدة بن هلال اليشكري أحد زعماء الخوارج وقوادهم وفصحائهم. (انظر فقرا عليه في «الطبري» ق ٢ ص ٣٩١، ٥١٥، ٥٨٥، ٥٨٦، ٧٦٢ طبع أوروبا).

(٦) هو قطري بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدميها، وكان شاعراً.

(٧) كذا في أ، ح. والسبال: جمع سبلة وهي طرف الشارب ومقدم اللحية. يريد أن في هؤلاء الخوارج من لا يباليهما. وفي ب، س: «يهون عليه أن يسأل كل واحد إلخ». وفي م، ن: «يهون عليه يسأل إلخ».

فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؟ فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأَيُّ الرجلين عندك أشعرُ؟ أجريُّ أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين! قالوا: لا بدَّ من حكمك. قال: فأَيُّ سائلكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سل. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فجع؟ قالوا: نُطِيعه وإن عصى الله عزَّ وجلَّ. قال: قَبِّحكم الله! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه؟ قالوا: نُنَبِّذُه وراء ظهورنا ونُعْطِلُ أحكامه. / قال: لعنكم الله إذاً! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننكح أمه. قال: أخزاكم الله إذاً والله لقد زِدْتُموني فيكم^(١) بصيرة. ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له: إن الوفاء يُلْزِمُكَ، وقد سألتنا فأخبرناك ولم تُخبرنا؛ فرجع فقال: من الذي يقول:

[٨/٨] / إِنَّا لَنَذْعَرِيَا قُفَيْرٌ^(٢) عَدُوْنَا
وَتَحُوطٌ حَوَزَتْنَا وَتَحْمِي سَرَحْنَا
أَجْرِي قَلَانَدَهَا وَقَدَّ لَحْمَهَا
وَطَوَى الْقِيَادُ مَعَ الطَّرَادِ مُتُونَهَا
بالخيل لاحقة^(٣) الأياطلِ قُودًا
جُرْدٌ تَرَى لِمُعَارِهَا^(٤) أَخْدُودًا
أَلَا يَذْفَنُ مَعَ الشُّكَاكِمِ عُدُودًا
طَيَّ التَّجَارَ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودًا
قالا: جرير، قال: فهو ذاك، فأنصرفا.

حديث الأصمعي وغيره عنه:

أخبرني عم أبي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا الرُّبَاشِي قال قال الأصمعي وذكر جريراً فقال^(٥):
كَانَ يَنْهَشُهُ ثَلَاثَةُ أَوْرِعَمُونَ شَاعِرًا فَيَنْبِذُهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَرْمِي بِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَنْفَعُهُ^(٦) فِيرْمِي بِهِ، وَبَيَّتَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ. وقال جرير: والله ما يهجونني الأخطل وحده وإنه ليهجونني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيز^(٧) ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمَّعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، ويتنحل هو القصيدة بعد أن يَتَمَمُوهَا.

قال ابن سلام: وحدثني أبو البيداء الرُّيَّاحِي قال قال الفرزدق: إِنِّي وَإِيَّاهُ لَنَغْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ وَاحِدٍ وَتَضْطَرِبُ دِلَاوُهُ عِنْدَ طَوْلِ النَّهْرِ.

[٩/٨] / أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَنَانِيُّ قَالَ:
كَانَ جَرِيرٌ مِيدَانُ الشَّعْرِ، مَنْ لَمْ يَجْرِ فِيهِ لَمْ يَزُ شَيْئًا، وَكَانَ مَنْ هَاجَى جَرِيرًا فغَلَبَهُ جَرِيرٌ أَرْجَعَ عَنْدهم مَنْ هَاجَى شَاعِرًا آخَرَ غَيْرَ جَرِيرٍ فغَلَبَ.

(١) لعل الصواب: «... بكم بصيرة».

(٢) كذا في «ديوانه» المخطوط بقلم المرحوم الأستاذ الشنقيطي (المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) و«شرح القاموس» (مادة قفر). وهي أم الفرزدق الشاعر. وفي الأصول: «فقير» بتقديم الفاء على القاف، وهو تصحيف.

(٣) الأياطل: جمع أياطل وهي الخاصرة. ولاحقة: ضامرة. والقود: جمع أقود وقوداء. والأقود من الخيل: الطويل العنق العظيمة.

(٤) المغار: الإغارة. والأخدود: الشبق، يريد أثر حوافرها في الأرض.

(٥) كذا في الأصول، والكلام مستغن عنها.

(٦) كذا في حد، يقال: نفحه (بالحاء المهملة) بالسيف أي ضربه به ضربة خفيفة. وفي سائر الأصول: «ينفخه» بالحاء المعجمة.

(٧) في ب، س: «عربي».

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حلقة يونس^(١) بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ومسمع وعامر ابنا عبد الملك المسمعيان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير والله أنسبهما وأسبهما وأشبههما.

مسح الراعي شعره فأقر بأنه جدير بالسبق:

قال ابن سلام: وحدثني أبو البيداء قال: مر ركب بالراعي وهو يغني بيتين لجرير، وهما:

وعاو عَوَى من غير شيء رميته بقارعة أنفأذها تقطُر الدما
خروج بأفواه الرؤاة كأنها قرأ هندوانني^(٢) إذا هُرَّ صمما

فأتبعه الراعي رسولا يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم ألام على أن يغلبني مثل هذا!

[١٠/٨]

رأي بشار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنة:

قال ابن سلام: وسألت بشاراً المرعث: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلها ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النوار فقاموا يتوحدون عليها بشعر جرير. فقلت لبشار: وأي شيء لجرير من المرائي إلا التي رثى بها امرأته! فأنشدني لجرير يرثي ابنة سودة ومات بالشام:

قالوا نصيبك من أجر لهم كيف العزاء وقد فارقته أشبالي
/ فارقته حين كف الدهر من بصري وحين حيرت كعظم الرمة البالي
أمسى سودة يجلو مقلتي لحيم^(٣) باز يصرصر فوق المربأ العالي
قد كنت أعرفه مئي إذا غلقت رهن الجياد ومد الغاية الغالي^(٤)
إن الثوي^(٥) يذي الزيتون فاحتسبي قد أسرع اليوم^(٦) ي عقلي وفي حالي
إلا تكن لك بالذيرين مغولة فرُب باكية بالرميل مغوال

(١) وردت هذه العبارة هكذا في جميع الأصول. ولعل الصواب فيها: في حلقة يونس بن حبيب وفيها أبو عمرو بن العلاء... إلخ لأن الذي كانت له حلقة بالبصرة هو يونس بن حبيب وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية. وكان من معاصري أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمسمعين المذكورين هنا، وهم الذين تكررت رواية محمد بن سلام عنهم في «طبقاته»، وكانوا يتزاوون ويتذكرون في المسائل العربية وغيرها ولهم مجالس معروفة في ذلك. (راجع «الأمال» لأبي علي الفاي ج ١ ص ٤٨ طبعة دار الكتب المصرية و«طبقات ابن سلام» طبعة أوروبا و«نزهة الألبا في طبقات الأدباء» لابن الأنباري).

(٢) الهندواني (بكر الهاء وتضم): المنسوب للهند، وهي نسبة شاذة.

(٣) اللحم: البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهي. وصرصر: صوت وأشد الصياح. والمربأ: المرقب.

(٤) الغالي: الراعي بالسهم.

(٥) الثوي المقيم.

(٦) كذا في أكثر الأصول و«تجريد الأغاني» و«ديوانه». وفي ب، س: «الموت».

كَأَمْ بَوَّ عَجُولٍ عِنْدَ مَغْهَدِهِ حَثَّ إِلَى جَلْدٍ^(١) مِنْهُ وَأَوْصَالَ
حَتَّى إِذَا عَرَفْتُ أَنْ لَا حَيَاةَ بِهِ رَدَّتْ هَمَاهِمٌ^(٢) حَرَى الْجَوْفِ مِثْكَالِ
زَادَتْ عَلَى وَجْدِهَا وَجْداً وَإِنْ رَجَعْتُ^(٣) فِي الصَّدْرِ مِنْهَا خُطُوبٌ ذَاتُ بَلْبَالِ

أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قُتَيْبِ بْنِ الْمُخَرِّزِ الْبَاهِلِيِّ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ حِجْنَاءَ وَعِمَارَةَ بْنِ عُقَيْلٍ قَالَا:

[١١/٨] / خَرَجَ جَرِيرٌ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الْوَلِيدِ، فَمَرَضَ ابْنُ لَهُ يَقَالُ لَهُ سَوَادَةٌ، وَكَانَ بِهِ مُعْجَبًا، فَمَاتَ بِالشَّامِ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ وَرثَاهُ جَرِيرٌ فَقَالَ:

أَوْدَى سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتِي لِحْمٍ بَارِ يَصْرِصِرُ فَوْقَ الْمَرْبَا الْعَالِي

حديث الفرزدق عنه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدثني أبو نصر اليشكري عن مولى لبني هاشم قال:

إِنَّمَا تَرَى^(٤) أَهْلَ الْمَجْدِ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ أَيُّهُمَا أَشْعَرُ، فَدَخَلْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ فَمَا سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى قَالَ: يَا نَوَّارَ، أَذْرَكْتُ بَرْنِيَّتَكَ؟ قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ أَوْ كَادْتُ. قَالَ: فَأَبْشِعِي بِدِرْهَمٍ فَاشْتَرِي لَحْمًا، فَفَعَلْتُ وَجَعَلْتُ تَشْرِحَهُ وَتُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ وَيَأْكُلُ. ثُمَّ قَالَ: هَاتِي بَرْنِيَّتَكَ، فَشَرِبْتُ قَدْحًا ثُمَّ نَاولَنِي، وَشَرِبْتُ آخَرَ ثُمَّ نَاولَنِي. ثُمَّ قَالَ: هَاتِي حَاجَتَكَ يَا بَنَ أَخِي، فَأَخْبَرْتُهُ؛ قَالَ: أَعَنِ ابْنُ الْخَطَفِيِّ تَسْأَلُنِي؟ ثُمَّ تَنَفَّسَ حَتَّى قُلْتُ: أَنْشَقْتُ حَيَازِيمُهُ^(٥)، ثُمَّ قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ! فَمَا أَخْشَنَ نَاحِيَتَهُ وَأَشْرَدَ قَافِيَتَهُ! وَاللَّهِ لَوْ تَرَكَوهُ لِأَبْنَى الْعَجُوزِ عَلَى شَبَابِهَا، وَالشَّابَّةِ عَلَى أَحْبَابِهَا، وَلَكِنَّهُمْ هَرَّوْهُ^(٦) فَوَجَدُوهُ عِنْدَ الْهَرَّاشِ نَاجِيًا وَعِنْدَ الْجِرَاءِ^(٧) قَارِحًا، وَقَدْ قَالَ بَيْتًا لَأَنْ أَكُونَ قَلْتُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ:

إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأصوص:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَا:

[١٢/٨] / نَزَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى الْأَحْوَصِ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ. فَقَالَ الْأَحْوَصُ: مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: شِوَاءٌ وَطِلَاءٌ^(٨) وَغِنَاءٌ. قَالَ: ذَلِكَ لَكَ؛ وَمَضَى بِهِ إِلَى قَيْنَةَ بِالْمَدِينَةِ؛ فَغَنَّتْهُ:

(١) الجلد محركة لغة في الجلد.

(٢) الهماهم: جمع همهمة وهي ترديد الزئير في الصدر من الهم.

(٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول:

... .. فلو رجعت في الصدر منها خطوباً ذات بلبال

(٤) أي تجادلوا.

(٥) الحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن.

(٦) كذا في «شرح شواهد التلخيص» ص ٣٠٤ طبع بلاق. وفي الأصول «هزوه» بالزاي المعجمة.

(٧) جاره مجارة وجراء: جرى معه وسابقه.

(٨) الطلاء: من أسماء الخمر.

صوت

أَلَا حَيِّ الدِّيارَ بَسُغَدَ^(١) إِنِّي أَحِبُّ لِحَبِّ فاطمة الدِّيارَ
إذا ما حَلَّ أَهْلُكَ يا سُلَيْمَى بِدارِةِ صَلُصَلِ^(٢) شَحَطُوا مَزَارًا
أراد الظَّاعِنونَ لِيَخْرُؤُنِي فهاجُوا صَدَعَ قَلْبِي فاستطارا

- / غناه ابن مُحَرِّزٍ خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالبصرة - فقال الفرزدق: ما أَرَقُّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأَمْلَحَها! قال: أو ما ٤٢
تَذَرِي لِمَن هَذَا الشَّعر؟ قال: لا والله. قال: فهو والله لجرير يَهْجُوكَ به. فقال: وَيَلُ أبنِ المَراغَةِ! ما كان أَخوَجَه مع
عقافه إلى صلابَةِ شعري، وأَخَوَجَنِي مع شَهواتي إلى رِقَّةِ شعره!.
قدم المدينة وتحدث مع الأَحوص حتى أخزاه وأقبل على أَشعب وأجازته:

أخبرني أحمد قال حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إِسحاق المَوْصِلِي، وأخبرني محمد بن مَزِيد عن حَمَّاد عن أبيه قال
[قال]^(٣) إِسحاق بن يحيى بن طلحة:

قَدِم علينا جريرُ المدينة فَحَشَدنا له، فَبَيَّننا نحن عنده ذات يوم إِذ قام لحاجته، وجاء الأَحوص فقال: أين هذا؟
فقلنا: قام آنفًا، ما تريد منه؟ قال: أَخْزِيه، والله إِن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرُ علينا وقال: مَنِ
الرجل؟ قلنا: الأَحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَفَلَح. قال: هذا الخَبِيثُ بنُ الطَّيِّب. ثم أَقبل عليه
فقال: قد قلت:

يَقَرُّ بِعَيْنِي ما يَقَرُّ بعينها وأَحسنُ شيء ما به العينُ قَرَّتْ

/ فإنه يَقَرُّ بعينها أَن يَدْخُلَ فيها مِثْلُ ذراعِ البَكْرِ، أَفَيَقَرُّ ذلك بعينك؟ - قال: وكان الأَحوصُ يُرَمِّي بالأُبنة - فانصرف [١٣/٨]
وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نَسأل جريراً وهو في مَوْخَرِ البيت وأَشعبُ عند الباب؛ فأقبل أَشعبُ يسأله؛ فقال له
جرير: والله إِنَّكَ لأَقْبَحُهُم وجهاً ولكِنِّي أراك أطولَهُم حَسَباً، وقد أَبْرَمْتَنِي. فقال: أنا والله أَنفَعُهُم لك. فأنْتبه جريرُ
فقال: كيف؟ قال: إِنِّي لأَمْلَحُ شعرك؛ واندفع يَغْنِيه قولَه:

صوت

يا أُنْتَ نَاجِيَةَ السَّلامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الفِراقِ وقِيلَ لَوَمِ التُّذَلِ
لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَن آخِرَ عَهْدِكُم يَوْمَ الفِراقِ فَعَلْتُ ما لَمْ أَفْعَلِ

قال: فادنا جريرُ منه حتى أَلصقَ ركبته بركبته وجعله قريباً منه؛ ثم قال: أَجَلُ! والله إِنَّكَ لأَنفَعُهُم لي
وأَحسَنُهُم تَزِيناً^(٤) لشعري، أَعِذْ؛ فأعاده عليه وجرير ييكِي حتى أَخَضَلْتُ لِحيتَه، ثم وَهَبَ لأشعبَ دراهمَ كانت معه
وَكَسَّاهُ حُلَّةً من حُلَلِ الملوِك. وكان يُرْسِلُ إليه طَوْلَ مُقامه بالمدينة فيَغْنِيه أَشعبُ ويُغْطِيه جريرُ شعرَه فيَغْنِي فيه قال:

(١) سعد: ذكر البكري في «معجم ما استعجم» أنه موضع بنجد، واستشهد بهذا البيت.

(٢) دارة صلصل: لعمر بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد، كذا ذكر ياقوت في «معجمه».

(٣) الزيادة عن ح.

(٤) في الأصول: «ترتیباً لشعري» وهو تصحيف.

وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج.

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد الشكري عن الرباشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيى^(١) بن أغين، وذكر ذلك هشام بن الكلبي قال حدثني الثعلبي من بني مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل قال حدثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الحطفي، / وأمه الربداء بنت جبرير - وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُختَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقض جبريراً أو أعْتَنَ^(٢) بينه وبين الفزردق وغيره فذكرته هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار :-

أن جبريراً قدم على الحكم بن أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل، وهو خليفة للحجاج يومئذ، فمدحه جبرير فقال:

أقبلتُ^(٣) من نَهْلَانٍ أو جَبَبِي خِيَمٍ على قِلاصٍ مثلِ خَيْطَانٍ^(٤) السَّلَمِ

٤٣/٨ - / نَهْلَانٌ: جبلٌ كان لباهلة ثم غلبت عليه نُعَيْرٌ. وخِيَمٌ: جبلٌ يتأوخه من طرفه الأقصى فيما بين رُكْنَيْه الأقصى وبين مَطْلَعِ الشمس، به ماء ونخل -

قد طَوِيَتْ بطونُها طَيَّ الأدم يَبْحَثْنَ بحثاً كَمْضِلَاتِ الخَدَمِ^(٥)

إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمٌ حتى تَنَاهَيْنَ^(٦) إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المُتَّهِمِ في مَعْقِدِ^(٧) العِزِّ وبُؤُوءِ الكَرَمِ

بعد أنْفِضَاخِ^(٨) البُذْنِ واللحمِ زَيْمٍ

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره؛ فكتب إلى الحجاج: إنه قدم عليّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن أبعث به إليّ، ففعل. فقدم / عليه فأكرمه الحجاج وكساه جُبَّةً صَبْرِيَّةً^(٩) وأنزله فمكث أياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أجب الأمير؛ فقال: ألبس ثيابي؛ فقالوا: لا والله لقد أمرنا أن تأتيه بك على الحال التي نجدك عليها؛ ففزع جبرير وعليه قميصٌ غليظ وملاء صفراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال: لا بأس عليك، إنما دَعَاكَ للحديث. قال جبرير: فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدو الله! علامَ تشتم الناسَ وتظلمهم؟ فقلتُ: جعلني الله فداء الأمير، والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنصرف. مالي ولابنِ أُمِّ عَسَّانٍ! ومالي وللبيث! ومالي

(١) هكذا بالأصول.

(٢) اعتن بينه وبينه: اعترض.

(٣) في «ديوانه»: «أقبلن» وقد وردت هذه الأرجوزة في «ديوانه» باختلاف عما هنا فانظرها في ص ١٨٨ من نسخة الشنقيطي.

(٤) الخيطان: جمع خوط وهو الغصن.

(٥) الخدم: جمع خدمة وهي الخلخال. يريد أنهم يبحثون بمناسمهم الأرض كما تبحث النساء المعضلات خلاخلهن عنها في التراب.

(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «تناهينا».

(٧) كذا في س. والمعقد: موضع العقد. وفي حديث الدعاء: «أسألك بمعقِدِ العز من عرشك». وفي سائر الأصول: «في مقعد العز». وفي «ديوانه»: «في ضنضي المجد».

(٨) كذا في «ديوانه». والانفضاخ: السمن والضمخ. وفي الأصول: «انفضاخ» بالخاء المعجمة وهو تصحيف. والبدن: النوق. والزيم: المتفرق على رؤوس الأعضاء.

(٩) صبرية: نسبة إلى صبر (يفتح فكسر) وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تمر (يفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الزاي المعجمة)، فيه عدة حصون وقرى باليمن.

وللفَرَزْدَق! ومالي وللأَخْطَل! ومالي وللتَّيْمِي! حتى عَدَّدهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما أَذْرِي مالك ولهم! قال: أَخْبِرُ الأميرَ أعزَّه الله: أَمَا غَسَّانُ بنُ ذُهَيْلٍ فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً. قال: فقال لك ماذا؟ قال قال لي:

جَرِيرٌ^(١) لَقَدْ أَخْزَى كُلِّيًّا جَرِيرُهَا
مَرَامِيكَ حَتَّى عَادَ صِفْراً جَفِيرُهَا^(٢)
طَوِيلٌ تَنَاجِيَهَا صِفَارٌ قُدُورُهَا

لَعَمْرِي لئن كانت بَجِيلَةً زَانَهَا
رَمِيتَ نِفْصَالاً عَنْ كُلِّبٍ فَقَصَّرتُ
وَلَا يَذْبَحُونَ الشَّاةَ إِلَّا بِمَيْسِرٍ^(٣)

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

سَلِيطٌ سَوَى غَسَّانَ جَاراً يُجِيرُهَا
يُنَاجِي بِهَا نَفْساً خَيْشاً ضَمِيرُهَا
إِذَا حَلَّ بَيْنَ الْأَمْلَحَيْنِ وَقِيرُهَا^(٤)
سَتَكْفُونُ رَكْضَ الْخَيْلِ تَذْمِي نَحُورُهَا^(٥)
لَأَوَّلِ جَانٍ بِالْعَصَا يَنْتَشِرُهَا^(٦)
إِذَا مَا السَّرَايَا حَثَّ رَكْضاً مُغِيرُهَا^(٧)
وَمَعْقِلُهَا يَوْمَ الْهَيْجِ جُعُورُهَا^(٨)
وَعَيْسَاءُ يَسْعَى بِالْعِلَابِ نَقِيرُهَا^(٩)

أَلَا لَيْتَ شُعْرِي عَنْ سَلِيطٍ^(٤) أَلَمْ تَجِدْ
فَقَدْ ضَمَعْنَا الْأَحْسَابَ صَاحِبَ سَوْءَةٍ
/ كَانَ سَلِيطاً فِي جَوَاشِنِهَا الْخُصَى
أَضْحَجُوا الرِّوَايَا بِالْمَزَادِ فَإِنَّكُمْ
كَانَ السَّلِيطِيَّاتِ مَجْنَأَةٌ كَمَاءُ
عَضَارِيطُ يَشُورُونَ الْفَرَاسِنَ بِالضُّحَى
فَمَا فِي سَلِيطٍ فَارِسٌ ذُو حَفِيطَةٍ
عَجِبْتُ مِنَ الدَّاعِي جُحِيشاً وَصَائِداً

[١١٦/٨]

(١) يريد جرير بن عبدالله البجلي، كان من أفاضل أهل الكوفة، قيل: إنه أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ ومات في سنة ٥١ هجرية، وهو الذي هدم الصنم المسمى بذي الخلصة.

(٢) الجفير: جعبة السهام.

(٣) الميسر: اللعب بالقداح.

(٤) سليط: قبيلة غسان بن ذهل.

(٥) الجواشن: الصدور. وفي جواشنها الخصى أي هي عظام الصدور. يريد أن أبدانهم معضلة كخلق العبيد قد أكتنزت من العمل فتعضلت ليست سبلة كسبوبة الأحرار. والأملاحان: ماءان، ويقال: هما جبلان لبني سليط. والوقير: الغنم فيها حماران أو أحمر، ولا تسمى الغنم وقيراً إلا بحمرها. «النقائض بين جرير والفرزدق» ص ١١ طبع أوروبا.

(٦) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «أضحوا» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وأضحوا الرواية أي ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضج وترغو. والرواية: الإبل يستقي عليها: والمزاد: جمع مزادة وهي القرية. يقول: اخدموا أئتم واستقوا فإن الحرب يكفيكموها غيركم.

(٧) رواية «النقائض»: «كان السليطيين أنقاض كمأة». والأنقاض: جمع نقض وهو هنا ما خرج من رأس الكمأة إذا انشقت عنها الأرض. يصفهم بالذل وأنهم لا يمتنعون كما لا يمتنع هذه الكمأة إذا استثرت بالعصا.

(٨) المضاريط: الأنباع، والواحد عضروط. والفراسن: أخفاف الإبل واحداً فرسن. يقول: ذلك حظهم من الجزور، وهو شر ما فيه. ويريد بقوله: «إذا ما السرايا حث ركضاً مغيرها» أنه إذا ركب الناس لغارة أو فرغ لم يركبوا معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب ولا خيل.

(٩) الجعر: ما يس من العذرة في الدبر. يقول: إذا تهايج الناس أحدثوا هم من الفرغ والجبن.

(١٠) هذه رواية «النقائض». وفي الأصول: «وعيساء يدعى بالفلاة نصيرها». وجحيش هو جحيش بن زياد أحد بني زيد بن سليط. =

قال: ثم مَنْ؟ قال: البعيث. قال: مالك وله؟ قال: اعترض دونه ابن أم عَسَّان يفضلُه عليَّ ويُعينه. قال: فما قال لك؟ قال قال لي:

٤٤ / كَلَيْبٌ لثَامُ النَّاسِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَأَنْتَ إِذَا عُدْتُ كَلَيْبٌ لثِيْمُهَا

أَتَرْجُو كَلَيْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلَيْبًا قَدِيمُهَا

/ قال: فما قلت له؟ قال قلت: [١٧/٨]

أَلَمْ تَرَأْنِي قَدْ رَمَيْتُ ابْنَ فَرْتَنِي بِصَمَاءَ لَا يَسْرَجُو الْحَيَاةَ أَمِيمُهَا^(١)

لَهُ أَمْ سَوَوْهُ بِشَسْ مَا قَدَّمْتُ لَهُ إِذَا فَرَطُ^(٢) الْأَحْسَابِ عُدَّ قَدِيمُهَا

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الْفَرَزْدَقُ. قال: وما لك وله؟ قلت: أَعَانَ الْبُعِيثَ عَلَيَّ.

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

تَمْنَى رَجَالٌ مِنْ تَمِيمٍ لِي الرَّدَى وَمَا ذَاكَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ذَائِدُ مِثْلِي

كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَوَاطِنِي وَقَدْ جَرَّبُوا أَنِّي أَنَا السَّابِقُ الْمُثْلَى^(٣)

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُفَالٍ أَعْدَانُهُمْ جَهْلِي

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الْأَخْطَلُ. قال: مالك وله؟ قلت: رَشَاءَ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَطَّارٍ زِقَاً مِنْ خَمْرٍ وَكَسَاهُ

حُلَّةً عَلَى أَنْ يُفْضَلَ عَلَيَّ الْفَرَزْدَقُ وَيَهْجُونِي. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إِخْسَاءٌ إِلَيْكَ كَلَيْبٌ إِنَّ مُجَاشِعاً وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلاً أَخَوَانِ

وَإِذَا وَرَدَّتْ الْمَاءَ كَانَ لِدَارِمِ جُمَّائِهِ وَمُهِوْلَةُ الْأَغْطَسَانِ^(٤)

وَإِذَا قَذَفْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يَاذَا الْعَبَاءِ^(٥) إِنَّ بِشْراً قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حَكُومَةُ الثَّنْشَوَانِ^(٦)

/ فَدَعُوا الْحَكُومَةَ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ لِحَكُومَةِ فِي بَنِي شَيْبَانَ

قَتَلُوا كَلَيْبَكُمْ بِلَفْحَةٍ جَارِهِمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُ بِهَاجَانِ^(٧)

[١٨/٨]

= وصائد: سليطي. وعيساء: جذة غسان بن ذهيل. والعلاب: جمع علبة وهي التي يحلب فيها، وهي تعمل من جلود الإبل. ونغيرها: قومها.

(١) الفرتى: الزانية. والأميم: المشجور الرأس.

(٢) فرط الأحساب: ما مضى وسبق منها: يعني أوائلها.

(٣) في ب، س: «المجلى» بالجيم.

(٤) الجمعة: مجتمع الماء ومعظمه. والأعطان: جمع عطن وهو مناخ الإبل حول وردها. وفي «ديوانه»: «صفواته» بدل «جلماته».

(٥) كذا في ج «النفاض». والعباءة: الكساء. يعيره لبسها. وفي سائر الأصول: «ياذا النبوة».

(٦) كذا في «النفاض». وفي الأصول: «النسوان». بالسین المهملة وهو تصحيف. ويشر هو بشر بن مروان بن الحكم.

(٧) اللقحة: الناقة الحلوب. والخزر: جمع أخزر، والخزر: حول إحدى العينين. والهجان: البيض الكرام. يشير إلى حادثة كليب بن =

قال: ثم مَنْ؟ قلت: عمر بن لَجَأَ الثِّمِيّ. قال: مالك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقَبَّحه وقاله على غير ما قلته؟ قلت:

لَقَوْمِي أَخْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلجَبَّارِ وَالنَّقْعِ سَاطِعُ
وَأَوْثِقُ عِنْدَ الْمُزْهَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقاً إِذَا مَا جَرَّدَ السَيْفَ لَامِعُ^(١)
فَزَعَمَ أَنِّي قُلْتُ:

وَأَوْثِقُ عِنْدَ الْمُزْهَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقاً إِذَا مَا جَرَّدَ السَيْفَ لَامِعُ
فَقَالَ: لِحِقَّتْهُنَّ عِنْدَ الْعَشِيِّ وَقَدْ أَخِذْنَ غُدُوَّةً، وَاللَّهِ مَا يُمَسِّينَ حَتَّى يُفَضَّخْنَ.
قال: فما قلتَ له؟ قال قلت:

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُوَفِّعُكُمْ فِي سَوَاءٍ عُمَرُ
وَأَبْرُزُ بِبِرْزَةٍ^(٢) حَيْثُ أَضْطَرَّكَ الْقَدَرُ خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ

حتى أتى على الشعر. قال: ثم مَنْ؟ قلت: سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيّ. قال: مالك وله؟ قال قلت: لا شيء، حمله
بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَكْرَهَهُ عَلَى هِجَاتِي، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَجِيبَهُ. قال: فما / قال لك؟ قال قال:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ بَرَزَتْ أَعْرَاقُهُ عَفَوًا وَغُودِرَ فِي الْغُبَارِ جَرِيرُ
مَا كُنْتَ أَوَّلَ مُحَمَّرٍ^(٣) قَعَدْتُ بِهِ مَسْعَاتُهُ إِنَّ اللَّثِيمَ^(٤) عَثُورُ
هَذَا قَضَاءُ الْبَارِقِيِّ وَإِنَّهُ بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِكُمْ لَبَصِيرُ

/ قال: فما قلتَ له؟ قال قلت:

يَا بِشْرُ حَقَّ لَوَجْهَكَ التَّبْشِيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ
بِشْرُ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِرَ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ
إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ أَبْنَاهَا وَابْنُ اللَّثِيمَةِ لِلثَّامِ نَصُورُ
قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرِ
وَكَسَخْتَ بِأَسْتِكَ لِلْفَخَارِ وَبَارِقُ شَيْخَانٍ أَغْمَى مُقْعَدُ وَكَبِيرِ

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الْبَلْتَعُ وَهُوَ الْمُسْتَنِيرُ^(٥) بَنُ سَبْرَةَ الْعَنْبَرِيِّ. قال: مالك وله؟ قلت: أَعَانَ عَلَيَّ ابْنُ لَجَأَ.
قال: فما قال لك؟ قلت قال:

= ربيعة ومقتله.

(١) اللامع: المشير بالسيف منلراً.

(٢) برزة: اسم أم عمر بن لجأ.

(٣) المحمر: اللثيم.

(٤) كذا في حد ونسخة الأستاذ الشنيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «الثام» وهو تحريف.

(٥) قد ورد في هذا الاسم اختلاف (انظر «النقائض» و«ديوانه» المخطوط ص ١٨٤).

إِنَّ التِّي رَيْثَكَ^(١) لَمَّا طَلَقْتُ قَعَدْتُ عَلَى جَحْشِ الْمَرَاغَةِ^(٢) تَمَرَعُ
أَتَعِيبُ مَنْ رَضِيَتْ قَرِيشُ صَهْرَهُ وَأَبُوكَ عَبْدٌ بِالْخَوَزَنِيِّ أَدْلَغُ^(٣)
قال: فما قلت له؟ قال قلت:

فَمَا مَسْتَنِيرُ الْخُبَيْثِ إِلَّا فَرَّاشَةٌ هَوَتْ بَيْنَ مُؤْتَجِجٍ^(٤) الْحَرِيقَيْنِ سَاطِعِ
نَهَيْتُ بَنَاتِ الْمَسْتَنِيرِ^(٥) عَنِ الرُّقَى وَعَنْ مَشِيهِنَ اللَّيْلِ بَيْنَ الْمَزَارِعِ

ويروى

... بين مؤتجج من النار ساطع

[٢٠/٨] / قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: راعي الإبل. قال: مالك وله؟ قلتُ: قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنه قال لي:
يا صاحبي دنا الرّواحُ فسيراً غَلَبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرًا
وقال أيضاً:

رَأَيْتُ الْجَحْشَ جَحْشَ بَنِي كُلَيْبٍ تَيْمَمَ حَوْضَ دِجْلَةَ ثُمَّ هَابَا

فقلت: يا أبا جندل، إنك شيخٌ مُضَرٌّ وشاعرُها، وقد بلغني أنك تُفَضِّلُ عَلِيَّ الْفَرَزْدَقَ، وأنت يُسَمِّعُ قَوْلُكَ، وهو ابنُ عمِّي دونك؛ فإن كان لا بدَّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومك وذكري إياهم. قال: وأبنة جندل على فرس له، فأقبل يسيرٌ بفرسه حتى ضربَ عَجُزَ دابّتي وأنا قائمٌ فكاد يقطع أصبعَ رجلي وقال: لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُلَيْبٍ؛ فمضَى، وناديته: ^(٦) أنا ابنُ يَرْبُوعٍ! إن أهلك بعثوك مائراً من هَبُودٍ^(٧) وبش المائر، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارعة هذا المَرِيدِ فلا يَسُبُّهُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَبَّيْتُهُ، وإن عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمُضاً حتى أخزيتك. قال: فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا
قال فَعَدَوْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِّ فَأَخَذْتُ بَعَنَانَهُ، فما فارقتُه حتى أنشدته إياها. فلما مررتُ على قولي:

/ أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَيْرُ فِي أَسْتِ أَيْكَ غَابَا

٤٦
٧

(١) في ب، س: «زينت» وهو تحريف.

(٢) المراغة في الأصل: الأتان التي لا تمتنع عن الفحول، وبه لقب الأخطل أم جرير.

(٣) في الأصول: «أولغ» بالواو وهو تحريف. والأدْلَغُ: الغليظ الشفتين، وهو أيضاً الأقلف.

(٤) كذا في ب وديوانه، واللجاج النار: التهابها. يريد أنه في تعرضه لي دون عمر بن لجأ كالفراسة نظرت إلى نار فألقت نفسها فيها. وفي سائر الأصول: «مرتج» وهو تحريف.

(٥) قال في «شرح ديوانه»: «كانت تميمه بنت المستنير بن سيرة وهو البلع العنبري جارية شابة جميلة وكانت تزعم أنها ترقى، فطبن لها فتى فأناها يشرقها، فلما خلا معها قال: ليس بي حاجة إلى الرقية ولكن قد قتلني حبك؛ فأمكنته من نفسها؛ فلم يرعهم إلا وهي في رابعها فهجاه جرير بذلك».

(٦) كذا في نسخة الشيخ الشقيطي مصححة بقلمه، ويربوع من أجداده كما تقدّم. وفي الأصول: «أيا بن يربوع» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.

(٧) هبود: اسم موضع ببلاد بني نمير.

قال: فأرسل يدي وقال: يقولون والله شراً.

قال: ثم من؟ قلت: العباس بن يزيد الكندي قال: مالك وله؟ قال لما قلت:

[٢١/٨]

/ إذا غضبت عليك بنو تميم حبيت الناس كلهم غضاباً

قال:

ألا رَغَمْتُ أُنُوفَ بني تميم فساءَ التمرِ إن كانوا غضاباً
لقد غضبت عليك بنو تميم فما نَكَأْتُ بغضبتها ذُبَاباً
لو أطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السُّوءات شاباً

قال: فتركته خمس سنين لا أهبوه، ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة، فطلبت إليهم أن يكفوه عني؛ فقالوا: ما نكفوه وإنه لشاعر وأوعدونني؛ فقلت:

ألا أبلغ بني حُجْر بن وَهَبٍ بأن التمر حُلُوٌّ في الشتاء
فعودوا للنَّخِيل فأبروها^(١) وعيشوا بالمشقر فالصفاء

قال: فمكثت قليلاً، ثم بعثوا إلي ركباً فأخبروني بمَنَالِهِ وجواره في طيء حيث جاور عتاباً، وحبل أخته هُضْبَةَ حيث حبلت. قال: فقلت ماذا؟ قال قلت:

إذا جهل الشقي ولم يُقَدِّرْ لبعض الأمر أَوْشَكَ أن يُصَاباً
أَعْبَدَا حَلَّ في شُعْبَى^(٢) غَرِيناً أَلُوماً لا أَبالك وأغتراباً
فما خفيت هُضْبَةَ حين جُرَّت^(٣) ولا إطعام سَخْلَتِهَا الْكِلَاباً
تُخَرِّقُ بِالْمَشَاقِصِ^(٤) حَالِيهَا وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُهَا التُّرَاباً
فقد حملت ثمانية وأوقَتْ بتاسعها وتَحَسَّبُهَا كَعَاباً

/ قال: ثم من؟ قلت: جَفْنَةُ الهِزَانِي بن جعفر بن عَبَّاد بن شَكْس من عَنَزَة. قال: ومالك وله؟ قال: أَقْبَلَ [٢٢/٨] سائلاً حتى أتاني وأنا أمدُر^(٥) حوضاً لي، فقال: يا جرير، قُمْ إلي ها هنا؛ قلت نعم. ثم أتيتُه فقلت: ما حاجتك؟ قال: مدحتك فاستمع مني. قلت: أَنشِدْنِي فَأَنشَدَ؛ فقلت: قد والله أحسنت وأجملت؛ فما حاجتك؟ قال: تَكْشُونِي الحُلَّةَ التي كَسَاكها الوليدُ بن عبد الملك العام. فقلت: أني لم أَقِفْ فيها بالموسم، ولا بد من أن أَقِفْ فيها العام،

(١) أبر النخل: أصلحه. والمشقر: حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر.

(٢) شعبي: موضع في جبل طيء. (عن شرح القاموس).

(٣) كذا في «ديوانه». وقد جاء فيه في شرح هذا البيت أن العباس قتل ولدها فرمى به وقتلها؛ (الرماء بها جرير وعيره ذلك. وفي الأصول:

فما تخفي هُضْبَةَ حيث تمشي

(٤) المشقص من النصال: ما طال وعرض وقد جاء هذا البيت في «الديوان» هكذا:

يقطع بالمعابل حاليها وقد بليت مشيمتها الثيابا والمعابل: المشاقص.

(٥) المدر: تطييبك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء.

ولكنني أكنسوك حلّة خيراً منها كان كسانيتها الوليدُ عاماً أوّل. فقال: ما أقبل غيرَها بعينها. فقلت: بلى، فأقبل وأزيدك معها دنائير نفقة. فقال: ما أفعل؛ ومضى فأتى المَرَّارُ بنَ مُنْقِذِ أَحَدِ بني العَدَوِيَّةِ، فحمّله على ناقه له يقال لها القَصْوَاءُ. فقال جَفَنَة:

لَعَفْسُكَ لِلْمَرَّارِ يَوْمَ لَقِيْتُهُ على الشَّحْطِ خَيْرٌ مِنْ جَرِيرٍ وَأَكْرَمُ

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

لَقَدْ بَعَثْتُ هِزْأَنَ جَفَنَةَ مَائِراً فَيَا رَاكِبَ الْقَصْوَاءِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ
أَظُنُّ عِجَاناً^(٢) التَّيْسَ هِزْأَنَ طَالِباً / كَأَنَّ بَنِي هِزْأَنَ حِينَ رَدِيَتْهُمْ
بَنِي عَبْدِ عَمْرٍو قَدْ فَرَعْتُ إِلَيْكُمْ / وَرَضَعَاءَ هِزْأَنِيَّةٍ قَدْ تَحَفَّشَتْ^(٥)

٤٧
٧

[٢٣/٨]

قال: ثم من؟ قلتُ: المَرَّارُ بن مُنْقِذ. قال: مالك وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدق. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

بَنِي مُنْقِذٍ لَا صُلْحَ حَتَّى تُضَيِّقُوا^(٦) مِنْ الْحَرْبِ صَمَاءُ الْقَنَاقَةِ زَبُونُ^(٦)
وَحَتَّى تَذُوقُوا كَأْسَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَيَسْلُحُ^(٧) مِنْكُمْ فِي الْجِبَالِ قَرِينُ
فَإِنْ كُنْتُمْ كَلَبَى^(٨) فَعِنْدِي شِفَاؤُكُمْ وَلِلْجَنِّ إِنْ كَانَ أَعْتَرَاكَ جَنُونُ

قال: ثم من؟ قلتُ: حَكِيمُ بن مُعَيَّةَ من بني ربيعةَ بن مالك بن زيد مَنَاءَ بن تميم. قال: ومالك وله؟ قلتُ: بلغني أنه أعان عليّ غَسَّانَ السَّلِيلِيَّ. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

(١) كذا في أ، م و«ديوانه». وأحذاه: أعطاه مما أصاب. وفي سائر الأصول: «أجدي» بالجيم.

(٢) كذا في «ديوانه». والمعجان: الدبر. وفي الأصول: «نحاف التيس» ولا معنى لها.

(٣) العلالة: الجري بعد الجري. والأضاميم: الجماعات، واحده إضمامة. والمرجم: الشديد.

(٤) الوبار: مفردة وبر، وهي دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت. وتضاعت: صوّتت.

(٥) هذا البيت ساقط في الأصول عدا ب، س. ورواية «الديوان»:

ورضعاء هزانية يخلق ابنها

غليظة جلد الكاذبين تحفشت

الرضعاء: الزلاء التي لا عجيبة لها. وماص: اغتسل. والكاذبان: ما نأ من اللحم في أعالي الفخذين. وتحفشت المرأة على زوجها: أقامت عليه ولزمته وأكبت عليه.

(٦) حرب زبون: يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

(٧) في ج: «ويصبح».

(٨) الكلبي: الذين أصابهم مرض الكلب، جمع كلب (بفتح فكسر).

إذا طَلَعَ الرُّكْبَانُ نَجْدًا وَعَوَّزُوا بها فَأَزْجُرَا^(١) يَا بَنِي مُعَيَّةَ أَوْ دَعَا
أَتَسْمَنُ أَسْتَأْهُ الْمَجْرُ^(٢) وَقَدْ رَأَوْا مَجْرًا بَوَّغَسَاوِي^(٣) رُمَاحَ مَصْرَعَا
أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ غَضُوبٌ^(٤) مُحَامِيَا غَدَاةَ اللُّوَى لَمْ تَذْفَعِ الضَّيْمَ مَذْفَعَا

/ قال: ثم من؟ قلتُ [ثور بن] ^(٥) الأشهب بن رُمَيْلة النَّهْشَلِيّ. قال: ومالك وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدق. [٢٤/٨] قال: فما قلتُ له؟ قال قلتُ:

سَيَخْزِي إِذَا ضَمَّتْ^(٦) حَلَاثِبُ مَالِكِ ثَوِيرٌ^(٧) وَيَخْزِي عَاصِمٌ وَجَمِيعُ^(٨)
وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَا الرُّمَاءَ إِذَا رَمَوْا صَفَا لَيْسَ فِي قَارَاتِهِنَّ^(٩) صُدُوعُ

قال: ثم من؟ قلتُ: الدَّلْهَمَسُ أَحَدُ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ. قال: مالك وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدق. قال: فما قلتُ له؟ قال قلتُ:

لَقَدْ نَفَخْتُ مِنْكَ الْوَرِيدَيْنِ^(١٠) عِلْجَةً خَيْشَةَ رِيحِ الْمَنْكَبَيْنِ^(١١) قَبُوعُ
وَلَوْ أَنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلْهَمَسِ لَمْ يَعْ^(١٢) - فَوَارِسَنَا لَا عَاشَ^(١٣) وَهُوَ جَمِيعُ
الْيَسَّ أَبْنَ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةُ غَرَبَانٍ عَلَيْهِ وَقُوعُ
فَلَا تُذْنِبَا رَحْلَ^(١٤) الدَّلْهَمَسِ إِنَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَأْتِي اللَّثَامُ سَمِيعُ^(١٥)
هُوَ النَّخْبَةُ^(١٦) الْخَوَارُ مَا دُونَ قَلْبِهِ حِجَابٌ وَلَا حَوْلَ الْحِجَابِ ضُلُوعُ

(١) كذا في «الديوان»، وهو الصواب؛ لأن حكيم بن معية والمرار بن حكيم بن معية كانا راجزين وهما اللذان يعنيهما جرير. وفي الأصول: «فأزجرا» وهو تصحيف.

(٢) بنو المجر: من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة.

(٣) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. وفي «ديوانه»: «بعبلاي رماح». والعبلاء: الأرض ذات الحجارة البيض ليست بسود ولا حمر. ورماح: موضع بالدعنة. وقد ورد في الأصول: «رماح ومصرعا» بزيادة الواو وهو تحريف.

(٤) غضوب: امرأة من بني المجر كانت شاعرة بذية، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به.

(٥) التكملة عن «ديوانه».

(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «إذا ضمت جلايب مالك» وهو تحريف. ومالك هو مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل.

(٧) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «ثوير» بالنون وهو تصحيف.

(٨) عاصم وجميع: رجلان من بني عامر.

(٩) القارة: الصخرة العظيمة. وفي «ديوانه»: «عاديهن».

(١٠) كذا في «ديوانه» وأكثر الأصول. وفي ب، س: «لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة». وهو تحريف.

(١١) في «ديوانه»: «المنخرين». يريد أن يصفها بأنها راعية. والقبروع: التي تغيب الصقاة وهو أن تنثي رأس السقاء إلى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه.

(١٢) كذا في أ، م، و «ديوانه». وفي سائر الأصول: «لم تعب» وهو تصحيف.

(١٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «لا مات».

(١٤) كذا في أ، م، و «ديوانه»، وفي سائر الأصول: «رجل» بالجيم وهو تصحيف.

(١٥) يريد أنه محكم في اللوم.

(١٦) النخبة: الجبان.

قال: ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يُخبروني من قاله:
 / غَضِبْتَ عَلَيْنَا أَنْ عَلَاكَ أَبْنُ غَالِبٍ^(١) فَهَلَا عَلَى جَدِّكَ فِي ذَاكَ تَغَضَبُ
 هُمَا إِذْ عَلَا بِالْمَرْءِ مَسْعَاةٌ قَوْمِهِ أَنَاخَا فَشَذَاكَ الْعِقَالُ الْمَوْزُبُ^(٢)
 قال: فعلمتُ أنه شِعْرُ قَبِيْضَةَ^(٣) الْكَلْبِ. قال: فجمعتهم في شعري فقلت:

[٢٥/٨]

[و] ^(٤) أَكْثَرُ مَا كَانَتْ رَبِيعَةٌ أَنَهَا خِبَاءَانِ^(٥) شَتَّى لَا أُنَيْسُ وَلَا قَفْرُ
 مُحَالِفُهُمْ فَقَرَّ شَدِيدٌ وَذَلَّةٌ وَبُسُ الْحَلِيفَانِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ
 فَصَبْرًا عَلَى ذُلِّ رَيْعِ بَنِّ مَالِكٍ وَكُلُّ ذَلِيلٍ خَيْرٌ عَادَتِهِ الصَّبْرُ

٤٨ / قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: هُبَيْرَةُ بْنُ الصَّلْتِ الرَّبِيعِيّ مِنْ رَبِيعَةِ بَنِّ مَالِكٍ أَيْضًا، كَانَ يَزُورِي شِعْرَ الْفَرَزْدَقِ. قال: فما
 قلتُ له؟ قال قلتُ:

يَمْشِي هُبَيْرَةُ بَعْدَ مَقْتَلِ شَيْخِهِ مَشْيَ الْمُرَاسِلِ^(٦) أَوْذَنْتَ بِطَلَاقي
 مَاذَا أُرِدْتَ إِلَيَّ حِينَ تَحَرَّقْتَ نَارِي وَشُمُرٍ مِثْزَرِي عَنْ سَاقِي
 إِنَّ الْقِرَافَ^(٧) بِمَنْخَرِيكَ لَيَبْسُ وَسَوَادَ وَجْهِكَ بِأَبْنِ أُمِّ عِفَاقٍ^(٨)
 / سِيرُوا فَرُبَّ مُسَبِّحِينَ وَقَائِلٍ هَذَا شَقَا^(٩) لَبَنِي رَبِيعَةَ بَاقِي
 أَبْنِي رَبِيعَةَ قَدْ أَحْسَنَ بِحَظِّكُمْ لَوْمُ الْجُدُودِ وَدَقَّةُ^(١٠) الْأَخْلَاقِ

[٢٦/٨]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عِلْفَةُ^(١١) وَالسَّرَنْدَبُ مِنْ بَنِي الرُّبَابِ كَانَا يُعِينَانِ أَبْنَ لَجَأَ. قال: فما قلتُ لهما؟ قال قلتُ:

(١) ابن غالب: الفرزدق.

(٢) الموزب: المحكم.

(٣) في أ، م، م: «قضية الكلب» بالياء المثناة من تحت.

(٤) التكملة عن «ديوانه» (ص ٦٢). وهذه الأبيات من قصيدة مطلعها:

طربت وهاج الشوق منزلة قفر تراوحها عصر خلا دونه عصر

(٥) كذا في حـ و«ديوانه». وفي سائر الأصول: «حيان» وهو تحريف.

(٦) المراسل: التي أحست من زوجها أنه يريد تطليقها فهي تزين لآخر، وهي أيضاً التي مات عنها زوجها. يقول: هو لا يطلب بثأره وإنما همته التصنع كالمطلقة التي تخطب فهي تنهياً وتزين. فلو كان حراً لأنصبه طلب ثأره. أو المراسل: التي طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه. يقول: فهبيرة قد اعتاد أن يقتل له قتيل ولا يطلب بثأره فأصبح لا يبالي ذلك، مثل المراسل التي اعتادت الطلاق فلا تباليه.

(٧) يريد قرفة أنفه أي قشرته وهي المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف، ومنه الحديث: «ما على أحدكم إذا أتى المسجد أن يخرج قرفة أنفه» أي ينقى أنفه.

(٨) عفاق: اسم رجل، ولعله أخو هبيرة بن الصلت هذا.

(٩) كذا في «ديوانه». والشقا يمد ويقصر. وفي الأصول: «شفا» بالفاء وهو تصحيف.

(١٠) الدقة: الخسة. ورواية «الديوان»:

... إنما أزرى بكم نكد الجدود
 (١١) كذا في «ديوانه» ونسخة الأستاذ الشنقيطي. وفي الأصول: «علفة». بالفاء وهو تصحيف.

عَصْرُ السَّرْنَدِي عَلَى تَثْلِيمِ نَاجِدِهِ
وَعَصْرُ عِلْقَةٍ لَا يَأْلُو بَعْرُورَهُ^(١٢)
مَنْ أَمَّ عِلْقَةً بَطْراً غَمَهُ^(١١) الشَّعْرُ
مَنْ بَطَّرَ أُمَّ السَّرْنَدِي وَهُوَ مُتَصَرِّ

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الطُّهُوي، كان يزوي شعر الفرزدق. قال: ما قلت له؟ قال قلت:

أَتَنْسُونَ وَهْباً يَا بَنِي زَبَدٍ أَسْتِهَا
فَمَا تَنْقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ
الْأَرْبُ أَخْشَى ظَالِمٍ مُتَخَمِّطٍ^(٤)
وَقَدْ كُنْتُمْ جِرَانٍ وَهْبٍ بَنِي أَبَجْرَا^(٣)
وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرَا
جَعَلْتُ لِعَيْنِهِ جِلَاءً^(٥) فَأَبْصُرَا

قال: ثم مَنْ؟ قلت: عُقْبَةُ بْنُ الشُّنَيْعِ^(٦) الطُّهُوي وكان نَذَر دَمِي. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يَا عُقْبُ يَا بَنَ سُنَيْعٍ لَيْسَ عِنْدَكُمْ
يَا عُقْبُ يَا بَنَ سُنَيْعٍ بَعْضُ قَوْلِكُمْ
مَا ظَنَنْتُمْ بَيْنِي مَيْثَاءً إِنْ فَرَعُوا
يَغْدُو عَلَيَّ أَبُو لَيْلَى لِيَقْتُلَنِي
إِزْوُوا^(٩) عَلَيَّ وَأَرْضُوا بِي صَدِيقَكُمْ
مَأْوَى الرَّفَاقِ وَلَا ذُو الرَّايَةِ الْغَادِي^(٧)
إِنْ الْوِثَابَ لَكُمْ عِنْدِي بِمِرْصَادٍ
لَيْلًا وَشَدَّ عَلَيْهِمُ حَيَّةُ الْوَادِي
جَهْلًا عَلَيَّ وَلَمْ يَنْأَرْ بِشَدَادٍ^(٨)
وَأَسْتَنْمِعُوا يَا بَنِي مَيْثَاءٍ إِنْ شَادِي

مَيْثَاءُ هِيَ بِنْتُ زُهَيْرِ بْنِ شَدَادِ الطُّهُوي وَهِيَ أُمُّ عَوْفِ بْنِ أَبِي سُودِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ حَنْظَلَةَ.

وقال أيضاً لبني ميثاء:

بُيِّتُ عُقْبَةَ خَصَافًا^(١٠) تَوَعَّدَنِي
لَوْ فِي طَهِيَّةٍ أَحْلَامٌ لَمَا اعْتَرَضُوا
يَا رَبُّ أَدَرَ مِنْ مَيْثَاءٍ مَأْفُونٍ
دُونَ الَّذِي كُنْتُ أَزْمِيهِ وَيَزْمِينِي

قال: ثم مَنْ؟ قلت: سُحْمَةُ^(١١) الْأَعْوَرُ النَّبْهَانِي، كانت له امرأة من طيء ولدت في بني سَلِيطَ فَأَعْطَوْهُ وَحَمَلُوهُ عَلَيَّ. فسألني فأشْتَطَّ، ولم يكن عندي فحرمته، فقال:

(١) غمه: غطاه. وفي ب، س: «عمه» بالعين المهملة.

(٢) العرعة: رأس كل شيء وأعله.

(٣) هو وهب بن أبجر بن جابر العجلي، وكان خرج مع يزيد بن المهلب، فلما هزم آل المهلب لحق بأخواله بني طهية، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميرا المازني فأخذ وهباً فقتله. وفي «ديوانه»: «أتعنون وهباً...».

(٤) المتخمط: المتكبر الشديد الغضب والجلبة.

(٥) الجلاء: الكحل.

(٦) كذا في «ديوانه» و«شرح القاموس» مادة «سنع». وفي الأصول: «السميع» وهو تحريف.

(٧) كذا في أكثر الأصول و«ديوانه». وفي ب، س: «العادي» بالعين المهملة.

(٨) هو شداد الميثاوي، كان يتحدث إلى امرأة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة، فآلقاه أهلها في بئر.

(٩) كذا في «ديوانه». وفي ب، س: «ردوا» وفي أ، هـ: «أردوا». وفي ج: «أرزوا» وهو تحريف. ولعله يريد: أرووا شعر الفرزدق في هجائي وأرضوه بذلك.

(١٠) الخصاف: الكذاب. والآدر: الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه.

(١١) كذا في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادة «قرن») وهو أحد الأقوال في اسم الأعور النبھاني. قال ابن الكلبي: اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هودة، وقال أبو عبيدة في «التقاضي»: يقال له العناب واسمه سحيم بن شريك.

أقول لأصحابي النجاء فإنه
جرير أبن ذات البظر هل أنت زائل
/ وهل يحرم الأضياف كلب لكلبة^(٣)
فلو عند غسان السليطي عرست^(٤)
/ فتى هو خير منك نفساً والداً
فقال^(٦) جرير:

[٢٨/٨]

٤٩
٧

وجئنا بني نهبان أذنب طيء
تغنى^(٧) ابن نهبانية طال بظرها
وأغور من نهبان أما نهاره
ستأتي بني نهبان مئي قصائد
تري قزم المغزى مهور نسايم
ولناس أذنب ثرى وصدور
وباع أبنها عند الهياج قصير
فأغمى وأما ليلة فبصير^(٨)
تطلع^(٩) من سلمى^(١٠) وهن وعور
وفي قزم المغزى لهن مهور^(١١)

قال: وطلع الصبح فنهض ونهضت. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال: قاتله الله أعرابياً إنه لجرير هراش.

[٢٩/٨] / قصته مع الراعي وابنه جندل:

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن
حجناء قال حدثني أبي عن أبيه قال:

كان راعي^(١٢) الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره وكان من شعراء

(١) قد وردت هذه القصيدة هكذا في الأصول. والروي فيها مرفوع؛ على أنه يلاحظ أن البيت الأول والثاني منها يجب فيها نصب
الروي؛ فأما البيت الأول فذلك فيه ظاهر. وأما الثاني فإن زال يتعدى، يقال: زال الشيء يزوله ويزيله أي نحاه. يريد هل أنت
كاشف ستور قدرك لمن ينزل بك ويفد عليك؟

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «لقد زل» وهو تحريف.

(٣) روايته في «النقائص»: «وأنت كليبي لكلب وكلبة». شبهه في قلة خيره بالكلب.

(٤) الضمير في عرست يفهم من البيت السابق لهذا البيت، وهو كما في «اللسان» و«النقائص»:

أقول لها أمى سليطاً بأرضها فبس مناخ النازلين جرير

(٥) كذا في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادة «قرن») و«النقائص». والقرن: البعير المقرون بآخر. وكأس عقير، يريد أنه عقير له بعير
فقام على ثلاث. يقول: لو نزلت بغسان لأعطاني جملاً يرغو وعقر لي آخر. وقد ورد هذا الشطر في ب، س «لعاقرن منها وهي
كأس عقير». وفي سائر الأصول: «لها قرن منها وكأس عقير» وهما تحريف.

(٦) المناسب لسياق القصة «فقلت».

(٧) كذا في «النقائص». وفي الأصول: «تعني» بالعين المهملة.

(٨) هذا البيت ورد في جد وسقط من سائر النسخ. يريد أنه أعمى النهار عن الخيرات بصير الليل بالسوءات يسرق ويزني.

(٩) كذا في «النقائص». وفي الأصول: «تطلع».

(١٠) سلمى: اسم جبل لطي، وهو لبني نهبان خاصة. ووعور: خشنة غلاظ، يعني القصائد.

(١١) القزم: الصغار العليقة واحدها قزمة. وروى «تري شرط المعزى»، وشرط المال: أحسه وشراره: يقول: ليس تبلغ أقدارهم أن تمهر
نساوهم الإبل إنما يمهرون خسيس المعزى.

(١٢) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجودة نعته إياها، وهو شاعر =

الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هَلَّا تَعَجَّبُونَ لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضرِبْتُ^(١) رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابته، وقال: والله ما يسرُّني أن يعلم^(٢) أحد. وكان لراعسي الإبل والفرزدق وجلسائهما حَلَقَةً بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أنعرِض له لألقاه من حِيَالٍ حيثُ كنت أراه يمرُّ إذا أنصرف من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مرَّ على بغلة له وأبنته جَنْدَلٌ يسير وراءه على مُهْرٍ له أَخَوِي^(٣) محذوف الذَّنْب وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض السَّبَب، فلما استقبلته قلت: مَرْحَباً بك يا أبا جَنْدَل! وضربتُ بِسِمَالِي على مَعْرِفَةِ بغلته، ثم قلت: يا أبا جَنْدَل! إن قولك يُسْتَمَع وإنك تُفْضِل الفرزدق عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويَكْفِيكَ من ذاك هَيْئٌ^(٤): إذا ذُكِرْنَا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه لائمة. قال: فبينما أنا وهو كذلك واقفاً عليّ. وما ردَّ عليّ بذلك شيئاً حتى / لحق أبنته جَنْدَلٌ، فرفعَ كَرْمَانِيَّةً^(٥) معه فضرَبَ بها عَجَزَ [٣٠/٨] بغلته ثم قال: لا أَرَاكَ واقفاً على كلبٍ من بني كُليب كأنك تَخْشَى منه شراً أو ترجو منه خيراً! وضربَ البغلة ضربةً، فَرَمَحْنِي^(٦) رَمَحَةً وقعت منها قَلَنْسُوتِي، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلْتُ سَفِيَّةٌ غَوَى - يَغْنِي جَنْدَلًا أبنته - ولكن لا والله ما عاج عليّ، فأخذتُ قَلَنْسُوتِي فمسختها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت:

أَجَنْدَلُ مَا تَقُولُ بَنَسُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْإِيرُ فِي أَسْتِ أَيْكَ غَابَا

فسمعتُ الرَّاعِيَّ قال لابنته: أما والله لقد طرحتُ قَلَنْسُوتَهُ طَرْحَةً مشؤومة. قال جرير: ولا والله ما القلنسوة بأَغِيظُ أمره إليّ لو كان عاج عليّ. فانصرف جرير غضباناً حتى إذا صَلَّى العِشَاءَ بمنزله في عِلْيَةٍ^(٧) له قال: ارفعوا إليّ باطِيَةً من نبيد وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيد. قال: فجعل يَهْمُهُمْ^(٨)؛ فسمعتُ صوته عَجُوزٌ في الدار فأطلعتُ في الدَّرَجَةِ / حتى نظرتُ إليه، فإذا هو يَحْبُو على الفراش غُرِيَانًا لما هو فيه، فأنحدرتُ فقالت: ضيفكم ٥٠ مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لِطَيْتِكَ، نحن أعلم به وبما يُمارِس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبُرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَيْر. فلما ختمها بقوله:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَاً بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

كَبُرَ ثم قال: أَخْزَيْتُهُ وَرَبَّ الكَغْبَةِ. ثم أصبح، حتى إذا عَرَفَ أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرف

= فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ٢٠ ص ١٦٨ طبع بلاق).

(١) في ج: «فصوت».

(٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «أن أعلم أحداً».

(٣) الأخوي: الذي يضرب إلى السواد من شدة خضرته. والحذف: قطف الشيء من الطرف، يقال: حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه.

(٤) هذه الكلمة «هين» ساقطة من ب، س.

(٥) كذا في الأصول و«الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٦٩ طبع بلاق) في ترجمة الراعي. وظاهر أنها ضرب من السياط. وقد جاءت هذه القصة في «التقاضي» (ص ٤٣١) وفيها: «فأقبل يشند به فرسه حتى يهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه... إلخ».

(٦) في «التقاضي»: «فرحمتني والله زحمة وقعت منها على كفى في الأرض».

(٧) العلية: الغرفة.

(٨) في ج: «يهينم». والهمهمة والهيمنة: الصوت الخفي.

[٣١/٨] مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بذهن / فأذهن وكف^(١) رأسه، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام، أخرج لي، فأخرج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم؛ حتى إذا كان بموضع^(٢) السلام قال: يا غلام - ولم يسلم - قل لعبيد: أبعتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق! أما والذي نفس جريز بيده لترجعن إليهن يسهو هن ولا يسهن! ثم أندفع فيها فأنشدها. قال: فنكس الفرزدق وراعى الإبل وأزم^(٣) القوم، حتى إذا فرغ منها سار^(٤)، وثبت راعي الإبل ساعة ثم ركب بغلته بشراً وعراً وخلى المجلس حتى ترقى إلى منزله^(٥) الذي ينزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام، فضحككم والله جريراً فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤم ابنك. قال: فما كان إلا ترحلهم. قال فسرنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهن بالشريف وهو أعلى دار بني نعيم. فيحلف بالله راعي الإبل إنا وجدنا في أهلنا:

فغض الطرف إنك من نعيم

واقسم بالله ما بلغه إنسي قط، وإن لجريز لأشياء من الجن. فتشامت به بنو نعيم وسبوه وأبته، فهم يتشامون به إلى الآن.

قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد التوفلي عن أبيه قال حدثني مؤلى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيث أسمه قال:

[٣٢/٨] / كنت أجمع شعر جريز واشتبهى أن أحفظه وأزويه. فجاءني ليلة فقال: إن راعي الإبل النعميري قد هجاني، وإنني آتيك الليلة فأعده لي شواء رشراًشاً^(٦) ونبيذاً مخففاً^(٧)، فأعددت له ذلك. فلما أعتم جاءني فقال: هلّم عشاءك، فأتيته به، فأكل ثم قال: هلّم نبيذك، فأتيته به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواة وكتفاً^(٨)، فأتيته بهما، فجعل يملئ عليّ قوله:

أفلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نعيم

فجعل يردد ولا يزيد عليه حتى حملتني عيني، فضربت بدقني صدري نائماً، فإذا به قد وثب حتى أصاب السقف رأسه وكبر ثم صاح: أخزيته والله أكتب:

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

(١) كف شعره: جمعه وضم أطرافه.

(٢) كذا فيما سيأتي في «الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٧٠) طبع بلاق. وفي باقي الأصول هنا: «موقع السلام».

(٣) كذا في ج. وأزم القوم: سكنوا. وفي سائر الأصول: «أزم بالزاي وهو تصحيف».

(٤) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «... سار وثبت راعي الإبل ساعتئذ فركب بغلته... إلخ».

(٥) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «حتى أتى إلى المنزل الذي ينزله».

(٦) شواء رشراًش: خضل ند يقطر دسماً.

(٧) كذا في ج. والمخفف: السريع الإسكار. وفي سائر الأصول: «مخففاً» وهو تصحيف.

(٨) كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم.

غَضَبْتُهُ^(١) وَقَدَمْتُ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَا يُفْلَحُ بَعْدَهَا [أَبْدًا]. فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ مَا أَفْلَحَ هُوَ وَلَا تُمَيِّرِي بَعْدَهَا.

أَنشَدَ الْفَرَزْدَقُ أَشْطَارَ شَعْرِ لَهُ فَأَخْبَرَ بِتَوَالِيهَا:

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

أَقْبَلَ رَاكِبٌ مِنَ الْيَمَامَةِ؛ فَمَرَّ بِالْفَرَزْدَقِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَرْيَدِ؛ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْيَمَامَةِ. فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ ابْنَ الْمَرَاعَةِ؟ قَالَ نَعَمْ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَخَذْتَ بَعْدِي؟ فَأَنشَدَهُ:

هَاجَ الْهَوَى لِفُؤَادِكَ الْمُهْتَاجِ

// فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

فَانْظُرْ بَتُوضِيعٍ^(٢) بِأَكْرَ الْأَخْدَاجِ

فَأَنشَدَهُ الرَّجُلُ:

/ هَذَا هَوَى شَغَفَ الْفُؤَادَ مَبْرُوحَ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَنَوَى تَقَازَفَ غَيْرِ ذَاتِ خِلَاجٍ^(٣) *

فَأَنشَدَهُ الرَّجُلُ:

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهَتْ لِمَوْلَعٍ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

بِنَوَى الْأَحْبَةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ^(٤) *

فَقَالَ الرَّجُلُ: هَكَذَا وَاللَّهِ، قَالَ أَفَسَمِعْتَهَا مِنْ غَيْرِي؟ قَالَ: لَا! وَلَكِنْ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ؛ أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: أَمَدَحَ بِهَا الْحَجَّاجَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: إِيَّاهُ أَرَادَ.

أَجَابَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْحَجِّجِ جَوَابًا حَسَنًا:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ:

إِلْتَقَى جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ بِمَنْى وَهُمَا حَاجَّانِ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لَجَرِيرٍ:

فَإِنَّكَ لَاقٍ بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى فَخَارًا فَخَبَّرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ

(١) فِي ب، س: «غَضَبْتُهُ» بِالصَّادِ.

(٢) تَوْضِيعٌ: كَتِيبٌ أَيْضًا مِنْ كَتَبَانَ حَمَرٍ بِالْدهْنَاءِ قَرِبَ الْيَمَامَةِ. وَالْأَخْدَاجُ: مَرَاقِبُ النِّسَاءِ.

(٣) غَيْرِ ذَاتِ خِلَاجٍ أَيْ نَوَى مَقْطُوعٍ بِهَا لَا يَخَالِجُ فِيهَا الشُّكَّ وَالرَّيْبَ. يَقَالُ: خَلَجَهُ وَخَالَجَهُ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ إِذَا شَكَّ فِيهِ. وَفِي «لِسَانِ

العَرَبِ»: «وَنَوَى خُلُوجَ بَيْتِ الْخِلَاجِ: مَشْكُوكَ فِيهَا» ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ.

(٤) تَشْحَاجُ الْغُرَابِ: صَوْتُهُ.

[٣٤/٨] / فقال له جرير: بَلَيْتِكَ اللَّهُمَّ^(١) لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون^(٢) منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم:
أخبرني أبو خَلِيفَةَ عن محمد بن سَلَام، وأخبرني وَكِيعٌ عن محمد بن إسماعيل [عن ابن^(٣) سَلَام] قال حدثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حَجْنَاء بن جرير قال:
قلت لأبي: يا أَبَتِ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلا أفسدتهم سوى التَّيْمِ. فقال: إني لم أجد حسباً أضَعُهُ، ولا بَنَاءً أهدِمُهُ.

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء:
قال ابن سَلَام أخبرني أبو قيس^(٤) عن عِكْرِمَةَ بن جَرِير قال: قلت لأبي: يا أَبَتِ، من أشعرُ الناس؟ فقال: الجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية. قال: شاعرُ الجاهلية زُهَيْر. قلت: فالإسلام؟ قال: نَبْعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر. قلت: فما تركتَ لنفسك؟ قال: دَعْنِي فَإِنِّي نَحَرْتُ^(٥) الشعرَ نَحْراً.

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن:
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحَسَن بن عُثَيْل قال حدثني محمد بن عبد الله العَبْدِيُّ عن عُمَارَةَ بن عُقَيْل عن جدّه قال:

وقف الفرزدقُ على أبي بمرزند البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرَّاعي؛ فلما بلغَ إلى قوله:
فَغَضُّ الطَّرْفِ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فلا كُفْباً بلغْتَ ولا كِلَاباً
أقبل الفرزدقُ على روايته فقال: غَضَّه^(٦) والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُقلح بعدها. فلما بلغَ إلى قوله:
/ بها برَّصٌ بجانبِ إنسَكَّيها^(٧)

[٣٥/٨]

وضع الفرزدقُ يده على فيه وغطَّى عَنَفَقَتَهُ^(٨)؛ فقال أبي:

كعَنَفَقَةِ الفرزدقِ حين شاباً

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول: اللهم أَخْزِهِ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا، ولكن طَمِعْتُ ألاَّ

(١) في جـ: «ليك اللهم ليك».

(٢) في جـ: «ويعجبون به».

(٣) زيادة عن جـ.

(٤) كذا في ابن سلام وهو أبو قيس العنبري، قال عنه ابن سلام: ولم أر بدوياً يزيد عليه. وفي أكثر الأصول: «أبو الدقيش». وفي جـ:

«أبو الدلهمس» وكلاهما تحريف.

(٥) في ب، س: «بحرت الشعر بحرًا».

(٦) في ب، س: «غضه» بالصاد المهملة.

(٧) الإسكتان: جانباً الفرج.

(٨) العنفة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

يَأْبَهُ فَغَطَّيْتُ وَجْهِي، فَمَا أَغْنَانِي ذَلِكَ شَيْئاً. قَالَ الْعَزْرِيُّ حَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بَشْرٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ يُونُسُ: مَا أَرَى جَرِيراً قَالَ هَذَا الْمِصْرَاعُ إِلَّا حِينَ غَطَّى الْفَرَزْدَقُ عَنَفَقَتَهُ، فَإِنَّهُ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِتَغْطِيَتِهِ إِيَّاهَا.

سئل الفرزدق ممن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به:

أخبرني حبيب بن نصر المهلهبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحداً يرُمي معك؟ فقال: لا والله ما أعرف نابحاً إلا وقد أستكان ولا ناهشاً إلا وقد أنجحر إلا القائل:

٥٢
٧

فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ حَاجَتِي / تَشَامْتُ أَوْ حَوَلْتُ وَجْهِي بِمَانِيَا
فَرُدِّي جَمَالَ الْحَيِّ ثُمَّ تَحَمَّلِي / فَمَالِكٍ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ وَلَا لِيَا
فَأُنْسِي لِمَغْرُورٍ أَعْلَلَ بِالْمُنَى / لِيَالِي أَرْجُو أَنْ مَالِكَ مَالِيَا
وَقَائِلَةٍ وَالْدَمْعُ يَخْذُرُ كُحْلَهَا / أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْمَوَالِيَا
بِأَيِّ نَجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَ مَا / قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ الْقَرَمَ^(١) بَعْدَمَا / نَزَعْتَ سِنَاناً مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
/ لِسَانِي وَسِيفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا / وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى^(٢) وَقَعَةً مِنْ لِسَانِيَا

[٣٦/٨]

قال: وهذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته:

أخبرني علي بن سليمان الأقفش قال حدثني محمد بن يزيد عن عُمَارَةَ بْنِ عُقَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

قال جرير: وفدتُ إلى يزيد بن معاوية وأنا شابٌّ [يومئذ]^(٣)؛ فاستؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إلي وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك شيء فنادن لك على بصيرة. فقلت له: تقول لأمر المؤمنين: أنا القائل:

وَأُنْسِي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرَكُ الْغِنَى / سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي انْتَقَالِيَا
جَرِيءُ الْجَنَانِ لَا أَهَابَ مِنَ الرَّدَى / إِذَا مَا جَعَلْتُ السِّيفَ قَبْضَ بَنَانِيَا
وَلَيْسَ لِسِيفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ / وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى وَقَعَةً مِنْ لِسَانِيَا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات؛ ثم خرج إلي وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء؛ فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظن أبياتك التي توسلت بها إلي إلا لي.

(١) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «القوم» بالواو.

(٢) يقال: رماء فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله. والشوى: الأطراف.

(٣) زيادة عن ج.

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق:

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال:

أتيت الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيت الكلب جريراً؟ قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. / فقال: لم تناصحني. فقلت: هو أشعر إذا أرخى من خنقه، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر.

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنبسة القرشي وعوانة بن الحَكَم:

أن جريراً والفرزدق أجمعاً عند بشر بن مروان؛ فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر وتهاجيتما. فأما الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجذداً بين يدي فخرأ ودعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحن السَّنامُ والمَناسيمُ^(١) غيرُنا فَمَنْ ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسِماً!

فقال جرير:

على موضع الأمتاء أنتم زعمتم وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للفَلَّاصِمِ^(٢)

فقال الفرزدق:

على مَخَرَّتِ^(٣) للفرز أنتم زعمتم ألا إن فوق الغلصمات الجماجم

٥٣ / فقال جرير:

وأنبأتمونا أنكم هام قومكم ولا هام إلا تابعٌ للخرطوم

فقال الفرزدق:

فنحن الزمام القائد المقتدى به من الناس، ما زلنا ولسنا لهازماً^(٤)

فقال جرير:

فنحن بني زيد قطعنا زمامها فتاهت كسار طائش الرأس عارم^(٥)

٣٨/٨ / فقال بشر: غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناق. وأحسن الجائزة لهما وفضل جريراً.

(١) المنسم: طرف خف البعير.

(٢) الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٣) في ب، س: «محرض» وهو تحريف.

(٤) اللهازم: جمع لهزمة. واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين. يريد أنه من الذين يقودون الناس لا ممن يقادون.

(٥) العرام: الشدة والقوة والشراسة.

جرير وسكينة بنت الحسين :

قال المدائني وحدثني عوانة بن الحَكَم قال :

جاء جرير إلى باب سُكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جارية لها فقالت : تقول لك سيدتي : أنت القاتل :

طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزَّيَارَةِ فَأَرْجِعِي بِسَلَامٍ

قال نعم . قالت : فالأأ أخذت بيدها فرحبت بها وأدنت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها ! أنت عفيفٌ وفيك ضعف ، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحق بأهلك .

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق :

قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو يعقوب الثَّقَفِيُّ عن الشَّعْبِيِّ : أَنَّ الْفَرَزْدَقَ خَرَجَ حَاجًّا ، فَلَمَّا قَصَى حَجَّهُ عَدَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ إِلَى سُكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا فَرَزْدَقُ ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَتْ : كَذَبْتَ ! أَشْعَرُ مِنْكَ الَّذِي يَقُولُ :

بِنَفْسِي مَنْ تَجَبَّهَ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لَمَامٌ

وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَّعَ النَّيَامُ

فقال : والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه . قالت : أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي أَسْتَعْبَارُ وَلَزُزْتُ قَبْرِكَ وَالْحَيِيبُ يُزَارُ

كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضُّجَيْعُ فِرَاشَهَا كُتِمَ الْحَدِيثُ وَعَفَّتِ الْأَسْرَارُ^(١)

/ لَا يَلْبَسُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ [٣٩/٨]

/ فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات ٥٤ لها كأنهن التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها وبُهِتَ ينظر إليها . فقالت له سُكينة : يا فرزدق ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا نَمَ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا

يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَمَنْ أضعفُ خَلَقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

أَتَبِعْتُهُمْ مُقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقُ هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا

فقال : والله لئن تركتني لأسمعك أحسن منه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : يا بنت رسول الله - ﷺ - إن لي

(١) الضجيج : الحليل ، وهجره هاهنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها ، فأما إذا أقربت فهي أكرم عليه من أن يهجر فراشها . وكتم الحديث أي لا تحدث أحدا بريية . والسر هو النكاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سُرًّا ﴾ . يصفها بأن ليس عندها إلا العفاف . (عن «التقاضي» .)

عليك حقاً عظيماً. [قالت: وما^(١) هو؟ قال: [ضربتُ إليك [أباط الإبل]^(٢)] من مكة إرادة التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَّرِدِي وتفضيلَ جرير عليّ ومنعك إيتاي أن أنشدك شيئاً من شعري، وبني ما قد عيلَ منه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت؛ فإذا أنا ميتٌ فمُرِّي بي أن أُدرج في كفني وأُدفن في حِرِّ هذه (يعني الجارية التي أعجبته). فضحكت سكينه وأمرت له بالجارية، فخرج بها أخذاً بريئتها^(٣)؛ وأمرت الجوارِي فدفعن في أففيتهما، ونادته. يا فرزدق أحفظ بها وأحسن صحبتها فلإني آثرتك بها على نفسي.

حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه ثم سألَه عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير.

قال المَدائني في خبره هذا وحدثني أبو عمران بن عبد الملك بن عُمير عن أبيه، وحدثني عوانة أيضاً قالاً:

[٤٠/٨] / صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيب هذا الطعام! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه. فقال أعرابي من ناحية القوم: أما أكثر فلا، وأما أطيب فقد والله أكلتُ أطيب منه، فطفقوا^(٣) يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأذني منه؛ فقال: ما أنت بمنحوق فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا بهجر^(٤) في برث^(٥) أحمر في أقصى حَجَر^(٦)، إذ تُوَفِّي أبي وترك كلاً^(٧) وعيلاً، وكان له نخل، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها، كان تمرها أخفاف الرباع^(٨) لم يَرِ تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أخلى حلاوة منه^(٩). وكانت تطرقها أتان وخشبة قد ألِفَتْها تأوي الليل تحتها، فكانت تُثبَّت رجليها في أصلها وترفع يديها وتعطو^(١٠) يفيها فلا تترك فيها إلا النبيذ^(١١) والمتفرق؛ فأعظمَني ذلك ووقع مني كلُّ موقع، فأنطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني أرجع من ساعتِي؛ فمكثت يوماً و ليلة لا أراها، حتى إذا كان السحرُ أقبلت، فتهياتُ لها فرشقتها فأصبَّتها وأجهزتُ عليها، ثم عمَدْتُ إلى سُرَّتِها فأقتدذتها^(١٢)، ثم عمَدْتُ إلى حطب جَزَل فجمعتُه إلى رَضَف^(١٣) وعمَدْتُ إلى زندي فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب، وألقيتُ / سُرَّتِها فيه؛ وأدركني نومُ السَّباب^(١٤) فلم يُوقظني إلا حرُّ الشمس في ظهري؛ فأنطلقتُ إليها

(١) زيادة عن جـ.

(٢) الرِبطة: الملاة.

(٣) في الأصول: «وطفقوا».

(٤) هجر: مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر.

(٥) كذا في «البخلاء» طبع أوروبا ص ٢٤٣، والبرث: الأرض اللينة السهلة، ومنه في الحديث: «بين الزيتون إلى كذا برث أحمر». وفي الأصول: «ترب أحمر» وهو تصحيف.

(٦) في أقصى حجر أي في أبعد ناحية. وفي «البخلاء»: «في طلوع القمر».

(٧) الكل: الثقل والعيال، الذكر والأنثى في ذلك سواء، وربما جمع على الكلول في الرجال والنساء.

(٨) الرباع: جمع ربع (كمضر) وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أولُ التناج، والذي ينتج في آخر التناج يسمى هبع (بضم ففتح).

(٩) في الأصول: «منها».

(١٠) تعطو: تتناول.

(١١) كذا في أ، هـ، م. والنبيذ: المنبوذ. وفي سائر الأصول: «النبد» والنبد: الشيء القليل اليسير.

(١٢) كذا في جـ. وأقتذ الشيء: قطعه. وفي سائر الأصول: «فانترتها» وهو تحريف.

(١٣) الرَضَف: الحجارة المحمأة بالشمس أو النار.

(١٤) كذا في جـ و«البخلاء». وفي سائر الأصول: «السبات».

فكشفتها وألقيت ما عليها من قذَى وسواد ورماد، ثم قلبت [منها^(١)] مثل الملاءة البيضاء، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة^(٢) والمُنصّفة، فسمعت لها أطيّطاً^(٣) كنداعي عامرٍ وغطفان، ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين الثمرتين وأهوي إلى فمي، فبما أحلف إنّي^(٤) ما أكلت طعاماً مثله قط. فقال له عبد الملك: لقد أكلت طعاماً طيباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبيني عننة^(٥) تميم وأسد وكشكشة^(٦) ربيعة وحوشي^(٧) أهل اليمن وإن كنت منهم. فقال: من أيهم أنت؟ قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس؛ فهل لك علم بالشعر؟ قال: سلني عما بدالك يا أمير المؤمنين. قال: أي بيت قالته العرب أمدح؟ قال: قول جرير:

الستم خيرَ مَنْ ركب المطايا وأنادي العالمين بطونَ راح

/ قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأني بيت قالته العرب أفخر؟ قال: قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً

/ قال: فتحرّك [لها^(٨) جرير]. ثم قال له: فأني بيت أهنّجى؟ قال: قول جرير:

ففض الطرف إنك من نَميرٍ فلا كُعباً بلغت ولا كلاباً

قال: فاستشرف لها جرير. قال: فأني بيت أغزل؟ قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلتنا ثم لم يُخَيّن قتلنا

قال: فأهتز جرير وطرب. ثم قال له: فأني بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قول جرير:

سرى نحوهم ليل كأن نجومه قنديل فيهن الدُّبالي^(٩) المفئّل

فقال جرير: جائزتي للعدريّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: ولم مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنتقص منها شيئاً. وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحُمَلاَن والكُسوة. فخرج العدريّ وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب.

(١) زيادة عن جد.

(٢) جزع البسر: بلغ الإرطاب نصفه، وقيل: بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه وقيل: إلى ثلثيه وقيل: بلغ بعضه من غير أن يحد. واختلف في المجزعة أي بفتح الزاي أم بكسرهما. ونصف البسر: أرطب نصفه.

(٣) أطيّط كل شيء: صوته. وعامر وغطفان: قبيلتان.

(٤) في ب، س: «فيما أحلف... إلخ». وفي جـ: «فما أحلف أكلت... إلخ» أي فأحلف ما أكلت. فوقع فعل القسم معترضاً بين «ما» النافية ومنفيها.

(٥) عننة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون «عن» يريدون «أن».

(٦) كذا في جـ. والكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عlish مكان عليك. وفي سائر الأصول: «كسكة ربيعة» وهو تصحيف لأن الكسكة لغة هوازن. (انظر «اللسان» مادة كسس وكشش).

(٧) الحوشي من الكلام: الغامض.

(٨) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٩) الذبالة: الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.

تفضيل عبدة بن هلال لجريز على الفرزدق:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن^(١) عن عبد الله بن عياش الهمداني قال:

بينما المهلب ذات يوم [أو ليلة^(٢)] بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة وصياحاً، فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إنا اختلفنا في جريز والفرزدق؛ فكل فريق [٤٣/٨] منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر، وقد رخصنا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم [أن^(٣)] تعرضوني / لهذين الكلبيين فيمزقاً جلدي! لا أحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يهون عليه سبال جريز وسبال^(٤) الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنهم قوم عرب يتصرون بالشعر^(٥). ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغد خرج عبدة بن هلال اليشكري ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقاً؛ فقال له: يا عبدة، سألتك الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه. قال: سل. قال: أو تخبرني؟ قال: نعم إن كنت أعلمه. قال: أجريز أشعر أم الفرزدق؟ قال: قبحك الله! أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر! إنا تشاجرنا في ذلك ورخصنا بك. فقال من الذي يقول:

وطوى الطراد^(٦) مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت بروداً

فقال: جريز. قال: هذا أشعر الرجلين.

لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز: مزجته كجوز طين مسوي
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن العنبي قال:

قال جريز: ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى، ولولا أنني أخاف أن يستغري^(٧)ني لأكثر منه.

جريز في ضيافة عبدالعزيز بن الوليد:

أخبرني حبيب بن نصر المهلب وعمي قال حدثنا ابن الأعرابي قال حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن يهس بن صهيب الجرهمي [عن عامر^(٧) بن شبل الجرهمي] قال:

(١) أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عدي، وقد تقدّم مراراً أنه يروي عن عبد الله بن عياش الهمداني، وقد صححنا هذا السند بناءً على ذلك. وفي أكثر الأصول: «عن أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن عباس الهذلي». وفي ب، س مثل ذلك، غير أن فيهما «الهمداني» بدل «الهذلي» وكلاهما تحريف.

(٢) زيادة عن حد.

(٣) السبال: الشوارب. وفي ب، س: «سؤال» وهو تحريف.

(٤) في الأصول: «يصرون الشعر» والأفصح تعديته بالباء.

(٥) كذا في حد هنا وجميع الأصول فيما تقدّم. وفي سائر الأصول هنا: «وطوى الطراد بطونها كأنها».

(٦) كذا في حد. وهو محووف في سائر النسخ.

(٧) ما بين هاتين القوسين ساقط من ب، س.

/ قدم جرير على عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْرِ مَرَّان^(١)؛ فكنا نغدو إليه بَكَراً^(٢)، فيخرج [٤٤/٨] إلينا ويجلس في بُرْثَس خَزْزْ له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طَبَاخُ عبدالعزيز إليه بِقَدَحٍ من طَلَاءٍ مَسْحَنٍ / يَفُور، ويُكْتَلَةُ^(٣) من سمن كأنها هامة رجل فيخوضها فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، ويُقْبِل علينا ويحدثنا في كل فن، ويُشَدُّنا لنفسه ولغيره؛ حتى يحضر غداء عبدالعزيز فنقوم إليه جميعاً. وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيُطِيل. فقال له رجل: ما يُغْنِي عنك هذا التسبيح مع قَدْزِكَ لِلْمُخَصَّنَاتِ! فتبسّم وقال: يَا بَنَ أَخِي (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إنهم والله يَا بَنَ أَخِي يَبْدُونِي ثم لا أَحْلُم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة فأسمعتهم هجو جرير لهم وقصة عشقها لابن عم محمد:

أخبرني عمي قال حدثنا أبني أبي سَعْد قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى^(٤) قال حدثني الأكخفش عن أبي مَحْذُورَةَ الْوَرَّاقِ عن أبي مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدثني إبراهيم بن محمد الطائفي قال حدثني محمد بن مَسْعُودَةَ^(٥) الأكخفش عن أبي مَحْذُورَةَ الْوَرَّاقِ عن أبي مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدق يقول: أَبَقَ غلامان لرجلٍ منا يقال له الْخَضِرُ، فحدثني قال: خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْسَاءُ^(٦) كَوْمَاءَ أريد اليمامة؛ فلما صِرْتُ في ماءٍ لبني حَنِيْفَةَ يقال له الصَّرْصَرَانُ أرتفعتُ سحابةً فرعدتُ وبرقتُ وأرختُ عَزَالِيْهَا^(٧)؛ / فعدلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ الْقَرَى فأجابوا (فدخلتُ داراً لهم وأنختُ الناقةَ [٤٥/٨] وجلستُ تحت ظِلِّهِ لهم من جَرِيدِ النخل، وفي الدار جُوبِرَةٌ لهم سَوْدَاءُ، إذ دخلتُ جاريةً كأنها سَبِيكَةٌ فضة وكان عينيها كوكبان دُرِّيَّانِ؛ فسألتُ الجارية: لمن هذه الْعَيْسَاءُ؟ (تَغْنِي نَاقَتِي) فقالت: لضيفكم هذا. فعدلتُ إِلَيَّ فقالت: السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام. فقالت لي: ممّن الرجل؟ فقلت: من بني حَنْظَلَةَ. فقالت: من أيّهم؟ فقلت: من بني نَهْشَل. فتبسّمتُ وقالت: أنت إذا ممّن عناه الفرزدق بقوله:

إن الذي سَمَك السماءَ بَنَى لنا	بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنا المليك وما بَنَى	مَلِكُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ
بيتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ	ومُجَاشِعُ وأبو الفَوَّارِسِ نَهْشَلُ

قال: فقلت: نعم جُعِلَتْ فِدَاكِ! وأعجبني ما سمعتُ منها. فضحكتُ وقالت: فإن ابنَ الْخَطَفَى قد هدَمَ عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول:

(١) دير مَرَّان: قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، ويناؤه بالجص وأكثر فرشته بالبلاط الملون. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه).

(٢) البكر (بالتحريك): البكرة.

(٣) ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول.

(٤) الأكخفش كثيرون وليس منهم من له هذا الاسم، غير أن أحدهم يسمى سعيد بن مسعدة.

(٥) العيساء من النوق: التي يضرب لونها إلى الأدمة، وقيل: هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة. وكوماء: عظيمة السنام طويلته.

(٦) العزالي: جمع عزلاء، والعزلاء في الأصل: مصب الماء من الراوية والقرية. شبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من قم المزادة.

أَخْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً وَبَنَى بِنَاءَكَ^(١) بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
يَتَأُ يُحَمِّمُ^(٢) قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ دَنَساً مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَذْخَلِ

قال: فوجئت. فلما رأيت ذلك في وجهي قالت: لا عليك؛ فإن الناس يُقال فيهم ويقولون. ثم قالت: أين تؤم؟ قلت: اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت: ها هي تلك أمامك؛ ثم أنشأت تقول:

تُذَكِّرُنِي بِلَدَا خَيْرُ أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ
/ أَلَا فَسَقَى الْإِلَهَ أَجَشُّ صَوْباً يُسُخُّ بِذَرَّةٍ بِلَدِ الْيَمَامَةِ
وَحَيّاً بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ فَأَهْلُ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ

[٤٦/٨]

٥٧ / قال: فَأَنِشْتُ بِهَا وَقُلْتُ لَهَا: أَذَاتُ خِذْنِ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ؟ فَأَنشَأَتْ تقول:

إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنْ عَمِراً تَوَرَّقَهُ الْهَمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذُّكُورَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلْيِ وَلَا بِصَاحِ
سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمُرُو وَيَجِنُّ إِلَى الرُّوَّاحِ

فقلتُ لها: من عمرو هذا؟ فَأَنشَأَتْ تقول:

سَأَلْتُ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمِنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَيْرِ
فَإِنْ تَكَ ذَا قَبُولٍ إِنْ عَمِيراً هُوَ الْقَمَرُ الْمُضِيءُ الْمُسْتَبِيرُ^(٣)
وَمَالِي بِالتَّبَعْلِ مُشْتَرَاخٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعْلُ لِي أَسِيرِي

قال: ثم سكتت سكتة كأنها تستمع^(٤) إلى كلام، ثم تهافتت^(٥) وأنشأت تقول:

يَخِيلُ لِي هَيَا عَمُرُو بَنَ كَنْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
يَسِيرُ بِكَ الْهُوَيْنَى الْقَوْمُ لَمَّا رَمَاكَ الْحَبُّ بِالْعَلَقِ^(٦) الْعَسِيرِ
فَإِنْ تَكَ هَكَذَا يَا عَمُرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبْرِ

ثم شَهَقَتْ شَهَقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً. فقلتُ لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عَقِيلَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحَرَّقِ بْنِ التُّعْمَانِ بْنِ الْمُتَذَرِّبِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ. فقلتُ لهم: فمن عمرو هذا؟ قالوا: ابْنُ عَمَّهَا عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ مُحَرَّقِ بْنِ

(١) في أكثر الأصول: «وبنى بناء» والتصويب عن و «البنائين» ص ٤١٣.

(٢) يحمم: يسخن. والقين: الحداد، يشير إلى أن مجاشعا قبيلة الفرزدق كانت قيونا لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيرا فتسبب جرير غالبا أبا الفرزدق إلى القين ولذلك يقول جرير:

وجدنا جبيرا أبا غالب
أنجعسل ذا الكيسر من دارم

(٣) في هذا البيت أقواء، وهو اختلاف حركة الروي.

(٤) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تستمع إلى كلام».

(٥) يريد أنها تساقطت من ضعفها وخورها.

(٦) العلق: الهوى يكون للرجل في المرأة.

الثَّالِمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ؛ فَارْتَحِلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ. فَلَمَّا دَخَلْتُ الْيَمَامَةَ سَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو هَذَا فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ مَا قَالَتْ.

[٤٧/٨]

/ قصته مع عمر بن عبدالعزيز حين وفد عليه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيْخٍ قال حدثنا محمد بن الحَكَمِ، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهَرِيُّ قال حدثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدثنا أبو الهَيْثَمِ بدر بن سعيد العَطَّار قال حدثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال:

لَمَّا اسْتُخْلِفَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاءَهُ الشَّعْرَاءُ فَجَعَلُوا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ؛ فَجَاءَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا فَدَخَلَ؛ فَصَاحَ بِهِ جَرِيرٌ:

يَا أَيُّهَا الْقَارِئُ^(١) الْمُرْخَى عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هياً له شعراً، فلما دخل عليه غيره وقال:

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
نَالِ الْخِلَافَةِ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ
أَذْكَرَ الْجَهْدِ وَالْبَلَوَى الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلُغْتَ مِنْ خَبَرِي
مَا زِلْتُ بِعَدِكَ فِي دَارٍ تَعْرِقُنِي^(٢) قَدْ طَالَ بِعَدِكَ إِصْعَادِي وَمُنْحَدِرِي
لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرُ الْمَجْهُودُ بِأَدِينَا وَلَا يَجُودُ لَنَا بِإِدٍ عَلَى حَضَرٍ
كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَعْنَاءَ أَرْمَلَةٍ وَمَنْ يَتِيَمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ
يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مُلْهَوِّفٍ كَأَنَّهُ بِهِ خَبَلًا مِنَ الْجَنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ النَّشْرِ^(٣)
/ مَمَّنْ يُعَذِّدُكَ تَكْفِي فَقَدْ وَالِدَهُ كَالْفَرَخِ فِي الْعُشْرِ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرْ

٥٨
٧

/ قال: فبكى عمر ثم قال: يَا بَنَ الْخَطَفَى، أَمِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ أَنْتَ فَتَعْرِفَ لَكَ حَقَّهُمْ، أَمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَيَجِبُ^[٤٨/٨] لَكَ مَا يَجِبُ لَهُمْ، أَمْ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَتَأْمُرُ صَاحِبَ صِدْقَاتِ قَوْمِكَ فَيَصِلَكَ بِمِثْلِ مَا يَصِلُ بِهِ قَوْمُكَ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَنَا بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قَوْمِي مَالًا، وَأَحْسَنِهِمْ حَالًا، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ مَا عَوَّدْتَنِيهِ الْخُلَفَاءُ: أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ كُسُوفٍ وَحُمْلَانٍ. فَقَالَ لَهُ عَمْرُ: كُلُّ أَمْرٍ يَلْقَى فَعْلَهُ، وَأَنَا أَنَا فَمَا أَرَى لَكَ فِي مَالِ اللَّهِ حَقًّا، وَلَكِنْ أَنْتَظِرْ، يَخْرُجُ عَطَائِي، فَأَنْظُرْ مَا يَكْفِي عِيَالِي سَنَةً مِنْهُ فَأَذْخِرْهُ لَهُمْ، ثُمَّ إِنْ فَضَّلَ فَضْلٌ صَرَفْنَاهُ إِلَيْكَ. فَقَالَ جَرِيرٌ: لَا، بَلْ يُوَفِّرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَمَّدُ وَأَخْرُجُ رَاضِيًا؛ قَالَ: فَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ فَخَرَجَ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ عَمْرُ: إِنْ شَرَّ هَذَا لِيَتَّقَى؛ رُدُّوهُ إِلَيَّ، فَرَدُّوهُ فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي أَرْبَعِينَ دِينَارًا وَخِلْعَتَيْنِ إِذَا غُسِلْتُ إِحْدَاهُمَا

(١) في ديوان جرير المخطوط: «يأيها الرجل».

(٢) أصل معنى التعرق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان. يريد أنها تفقره ولا تدع له شيئاً.

(٣) كذا في ديوانه. وفي الأصول: «من البشر» بالباء وهو تصحيف والنشر: جمع نشر وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

لِيسْتُ الأخرى، وأنا مُقَاسِمُكَ ذلك، على أن الله جَلَّ وعَزَّ يعلم أن عمر أخرجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وَفَّرَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين وأنا والله راض. قال: أمّا وقد حَلَفْتُ فإن ما وَفَّرَنِي عَلَيَّ ولم تَضَيِّقْ به معيشتنا آثُر في نفسي من المدح، فامضِ مُصَاحِباً؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صَنَعَ بك أمير المؤمنين يا أبا حَزْرَةَ؟ قال: خرجت من عند رجل يقربُ الفقراءَ ويُبَاعِدُ الشعراءَ وأنا مع ذلك عنه راضٍ ثم وضع رجلَه في غَرَزِ راحلته وأتى قومَه. فقالوا له: ما صَنَعَ بك أمير المؤمنين أبا حَزْرَةَ؟ فقال:

تركتُ لكم بالشَّامَ حَبْلَ جماعةٍ أَمِنَ القَوَى مُسْتَحْصِدَ^(١) العَقْدِ باقياً
وجدتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لا تَسْفِرُهُ وقد كان شيطانِي من الجِنِّ راقياً

هذه رواية عمر بن شَبَّة. وأما اليَزِيدِي فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ يا أمير المؤمنين، فلأني ابنُ سَبِيل. قال: لك [٤٩/٨] ما لأبناء السبيل، زَادُكَ وَنَفَقَةُ تَبْلُغَكَ / وتَبَدَّلَ راحلتُك إن لم تحمِلْكَ. فَأَلَحَّ عليه؛ فقالت له بنو أمية: يا أبا حَزْرَةَ، مهلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نُرضيك من أموالنا عنه، فخرج. وَجَمَعْتُ له بنو أمية مَالاً عظيماً؛ فما خَرَجَ من عند خليفة بِأَكْثَرِ ممَّا خرج من عند عمر.

رؤيا أمه وهي حامل به:

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أبي الأزهر قال حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحَاق عن أبيه عن أبي عُبَيْدة قال:
رأت أُمَّ جَرِيرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدَتْ حَبْلًا من شَعَرٍ أسود، فلما سَقَطَ منها جعل يَنْزُو فيقع في عُنُقِي هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فأتبته فَرَعَةً فَأُولِيتِ الرُّؤيا فقبل لها: تَلِدِينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشدَّةِ شَكِيمَةٍ وبلاءٍ على الناس. فلما ولدته جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجري: الحبل.
قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء:

قال إِسْحَاق وقال الأصمعي حَدَّثَنِي بِلال بن جرير - أو حَدَّثْتُ عنه -

أن رجلاً قال لجرير: من أشعرُ الناس؟ قال له: قُمْ حتى أعْرِفَكَ الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عَنَزاً له فأعقلها وجعل يَمْصُ صَرْعَهَا، فصاح به: اخرج يا أبت؛ فخرج شيخٌ دَمِيمٌ رَتْكَ الهَيْثَة وقد سال لبْنُ العَنَزِ على لِحْيَتِهِ؛ فقال: أَلَا^(٢) تَرَى هذا؟ قال نعم. قال: أو تعرفه؟ قال لا. هذا أبي، أفَتَدْرِي لِمَ كان يشرب من صَرْعِ العَنَزِ؟ قلت لا. قال: مَخَافَةً أن يُسمع صوتُ الحَلْبِ فيُطْلَبَ منه لبْن. ثم قال: أشعرُ الناس / مَنْ فاخرَ بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً.

إخوته:

حَدَّثَنِي عَمِّي قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حَدَّثَنِي عُمارة بن عُقَيْل عن المُغْبِرَةِ بن حَجَنَاء عن أبيه قال:

[٥٠/٨] / وُلِدَ جريرٌ لسبعة أشهر؛ فكان الفرزدقُ يعيره ذلك^(٣)، وفيه يقول:

وأنت أبْنُ صُغْرَى لم تَتَمَّ شهورها

(٢) في ح: «أثرى هذا؟».

(١) المستحصد: المستحكم.

(٣) في الأصول: «يعيره بذلك» والفصح الكثير تعديه بنفسه حتى أنكر بعضهم تعديه بالباء.

قال وولد عطية جريراً - وأمه أم قيس بنت مُعيد من بني كليب - وعمرأ وأبا الورد. فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً؛ فذهبت لجرير إبل فشمت به أبو الورد فقال له جرير:

أبا الورد أبقي الله منها بقية كفت كل لؤام خذول وحاسد
وأما عمرو فكان أكبر من جرير، وكان يقارضه الشعر. فقال له جرير:

وعمرو^(١) قد كرهت عتاب عمرو وقد كثر المعاتب والدنوب
وقد صدعت صخرة من رماكم وقد يرمى بي الحجر الصليب
وقد قطع الحديد فلا تماروا فرنذ لا يقل ولا يذوب

شعر قاله ليزيد ابن معاوية يعاتب به أباه:

قال: وأول شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فردي جمال البين ثم تحملي فما لك فيهم من مقام ولا ليا
لقد قادني الجيران يوماً وقذتهم وفارقت حتى ما تصب^(٢) جاليا
وإني لمنورز أعلل بالمنى ليالي أرجو أن مالك ماليا
بأي سنان تطفن القرم بعدما نزع سناناً من قناتك ماضيا
بأي نجاد تحمل السيف بعدما قطعت القوى من مخمل كان باقيا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه؛ لأن جريراً لم يكن شعره شهر حينئذ. فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذن له / مع الشعراء، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره؛ فقال [٥١/٨] جرير: قولوا له: أنا القائل:

فردي جمال الحي ثم تحملي فما لك فيهم من مقام ولا ليا
فأمر بإدخاله. فلما أنشده قال يزيد: لقد فارقت أبي الدنيا وما يحسب إلا أنني قائلها، وأمر له بجائزة وكسوة.

استعار من أبيه فحلاً ولما استرده منه عرض به:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال قال أبو عبيدة قال أبو عمرو:

استعار جرير من أبيه فحلاً يطرقه في إبله، فلما أستغنى عنه جاءه أبوه في ب^(٣) خلق يسترده؛ فدفعه إليه وقال: يا أبت، هذا «ترد إلى عطية تغت^(٤)». يعرض بقول الفرزدق فيه:

ليس الكرام بنا حليك أباهم حتى تُرد عطية تغت^(٤)

(١) في ب، س: «أعمر» وفي ح: «وعمرأ». وقيل هذا البيت كما في ديوانه:

رأيتك يا حكيماً علاك شيب ولكن ما لحملك لا يشوب

(٢) يقال: صب في الوادي إذا انحدر.

(٣) البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، قيل: هو من وبر وصوف.

(٤) نحل: أعطى. وتعتل: تساق قسراً. ويقال: تعتل: تقاد بين اثنين. (عن النفاض).

اتعاضه بجنائز مرّت عليه :

أخبرني هاشم بن محمد الحُزاعي قال حدّثنا الرّياشي وعمر بن شبة قالّا حدّثنا الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال :

جلس جرير يُملّي على رجل قوله :

وَدَعُ أَمَامَةً حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لَمَنْ تَحَبَّ قَلِيلُ
فَمَرُوا عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ؛ فَقَطَعَ الْأَنْشَادَ وَجَعَلَ يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ: شَيْئَتْنِي هَذِهِ الْجَنَازَةُ. قَالَ أَبُو عمرو: / فَقُلْتُ لَهُ: فَعَلَّامُ تَقْذِفِ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ ذَاكَ وَكَذَا! فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَبْدُوْنَنِي ثُمَّ لَا أَعْفُو.

[٥٢/٨] / قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق :

أخبرني عمّي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبّي قال حدّثنا عبدالله بن المُعَدَّل قال :
كان أبي وجماعة من علمائنا يقولون : إنما فَضِّلَ جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ ، وأفضل^(١) شعرٍ قاله جرير :
حَيَّ الْهَدْمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ^(٢)

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم :

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثنا أبو الغرّاف قال :
أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجَيْمِ^(٣) في مسجدهم فأنشدهم ؛ وبلغ ذلك جريراً فأناهم من الغدِ لِيُنْشِدَهُمْ كما أنشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هذا أَتَى اللَّهَ ! فَإِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ إِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ . فقال جرير :
أَقَرَرْتُمُ لِلْفَرَزْدَقِ وَمَنْعْتُمُونِي ! وَخَرَجَ مُغْضَباً وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ الْهُجَيْمَ قَبِيلَةٌ مَلْعُونَةٌ حُصٌّ^(٤) اللَّحَى مُتَشَابَهُو الْأَلْوَانِ
هُمْ يَتْرَكُونَ بَنِيَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ صُغَرَ الْأَنْسُوفِ لَرِيحٍ كُلُّ دُخَانٍ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانُ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانُ

قال : وخفّة اللّحى في بني هُجَيْمٍ ظاهرة . وقيل لرجل منهم : ما بالكم يا بني الهُجَيْمِ حُصَّ اللّحَى؟ قال : إن الفحل واحد .

حديثه مع عبدالملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه :

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي قال حدّثنا الحسن بن عُقَيْلٍ العتري قال حدّثني محمد بن عبدالله بن آدم قال سمعت عُمارة بن عُقَيْلٍ يحدّث عن أبيه عن جدّه قال :

(١) في ب، س : «وأقوم شعر» .

(٢) الهدملة : موضع بعينه ، هكذا ذكره ياقوت واستشهد بقول جرير هذا . والمواعيس : موضع ، كما جاء في «شرح القاموس» .

(٣) بنو الهجيم : بطنان من العرب : أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم ، والثاني الهجيم بن علي بن سود من الأزد .

(٤) حص : جمع أحص وأحص اللحية : قليل شعرها .

/ قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال فقال: ابنُ العشرين^(١). قال: فما رأيك في أبي سُلَمَى^(٢)؟ قال: كان شعرهما نيرًا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في أمرىء القيس؟ قال: اتَّخَذَ الخبيثُ الشعرَ نَعْلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذُلَّاهُ^(٣). قال: فما تقول في ذي الرُّمَّة؟ قال: قَدَّرَ من ظريف الشعر وغيره وحَسَنَه [على]^(٤) ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ابنِ النُّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعَةٌ من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً؟ قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إنِّي لَمَدِينَةُ الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبْتُ فاطرِث، وهجوتُ فأرديث، ومدحتُ فسئيت^(٥)، وأزملتُ فأغزرت، ورجزتُ^(٦) فأبهرت؛ فأنا قلت ضرُوبَ الشعر كُلِّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقت.

طلبت جاريه له أن يبيعهما فبيعه الفرزدق ذلك:

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: كانت لجرير أمة وكان بها معجباً، فاستخفَّت المَطْعَمَ والملبس والغشيان وأستقلت ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهل خُصْب ونَعْمَة، فسأته أن يبيعهما وألحَّت في ذلك؛ فقال فيها:

/ تكلَّفْني معيشة آل زيـدٍ وَمَنْ لي بالمُرْفَقِ والصَّنَابِ^(٧)
تقول ألا تَضُمُّ كَضَمَّ زيـدٍ وَمَا ضُمِّي وليس معي شَبَابِي
فقال الفرزدق يعير ذلك^(٨):

فإن تُفْقِرَكَ عِلْجَةً آل زيـدٍ وَيُعْجِزَكَ المَرْقُقُ والصَّنَابِ^(٩)
/ فِقْدَمًا كان عيشُ أبيك مُرًّا يَعِيشُ بما تعيش به الكلابُ^(١٠)

١١
٧

(١) يعني به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين: قتله عمرو بن هند بيد أبي الربيع بن حوثة عامله على البحرين. (انظر «الشعر والشعراء» ص ٩١).

(٢) يعني زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير.

(٣) ذلائل القميص: ما يلي الأرض من أسافله. ولعله يريد أنه كان يلزمه ويخدمه.

(٤) الزيادة عن حـ.

(٥) كذا في الأصول. وسنى الشيء: سهله وفتحته، والأخرى بهذه الكلمة أن تكون «فأسنيت». وأسنى: رفع وأعلى.

(٦) كذا في أ، هـ، م. وفي ب، س، حـ: «وزجرت» وهو تصحيف.

(٧) المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة. والصناب: آدم يتخذ من الخردل والزبيب.

(٨) في الأصول: «بذلك» راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٠ من هذا الجزء.

(٩) قد ورد هذا البيت في حـ هكذا:

فإن تعدم معيشة آل زيـدٍ ويعجزك المرقق والصناب
وفي «النقائض»:

«إن تفركك عِلْجَةً آل زيـدٍ ويعجزك ... إلخ»
وفركت المرأة زوجها تفركه فركاً إذا أبغضته.
(١٠) في ب، س: «كريها لا يعيش به الكلاب».

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبدالله:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا التوزي عن أبي عبيدة عن أيوب بن كُسيب قال:

دخل جرير على المهاجر بن عبدالله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرمة يُنشد. فقال المهاجر بن عبدالله لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنعم. فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول:

أنا أبو الحارث وأسمي غيلان

فنهض جرير وقال:

إني^(١) أمراً خلقتُ شكساً أشوساً إن تضرّساني تضرّسا مضرّسا^(٢)
قد ليس الدهر وأبقى ملبساً من شاء من نار الجحيم اقتبساً

قال: فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يُجبه.

/ أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطّاح عن أبي عبيدة قال: [٥٥/٨]

كان ذو الرمة ممّن أعان على جرير ولم يُضجر^(٣) له؛ فقال جرير فيه:

أقول نصّاحة لبني عديّ ثيابكم ونضح دم القتييل

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يُضجرون له.

مركزية تكملة لدراسات

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرثي:

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال:

قال الفرزدق لذي الرمة: ألهالك البكاء في الديار وهذا العبد يرّجز بك (يعني هشاماً المرثي) بمقبرة بني حصن.

قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني أمريء القيس يقال لها: مرأة^(٤)، فلم يقرّوه ولم يعلّفوا له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقد طال^(٥) النهار وأوقدت علينا حصى المعزاة^(٦) شمس تنالها
أنخنا فظللنا بأبرادٍ يُمْنَة^(٧) رِقاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صقالها

(١) وردت هذه الأبيات في «ديوانه» المخطوط (صفحة ٢٠٨) باختلاف عما هنا.

(٢) الشكس: الصعب الخلق. والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيطاً والجريء على القتال الشديد. وضرسه: عضه وعجمه ليختره.

(٣) لم يصحر له: لم يبرز له، من قولهم: أصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء.

(٤) مرأة: قرية بني أمريء القيس بن زيد مناة بن تميم، كما ذكر أبو الفرج، وهي باليمامة. سميت بشطر أسم أمريء القيس، بينها وبين ذات ضل مرحلة على طريق النجاج.

(٥) رواية «الديوان»: «غار». وغار النهار: انتصف. راجع هذا الشعر في «الديوان» ففيه اختلاف في الرواية عما هنا.

(٦) المعزاة: الأرض الصلبة ذات الحصى.

(٧) الأبراد: جمع برد وهو الثوب. واليمنة: ضرب من برود اليمن.

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَهْلَ مَرْزَاةٍ أَغْلَقُوا مَخَادَعٌ^(١) لَمْ تُزْفَعْ لَخَيْرِ ظِلَالِهَا
وَقَدْ سُئِيتَ بِأَسْمِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ قَزِيَّةً كِرَامٌ صَوَادِيهَا^(٢) لِنَاثِمِ رَجَالِهَا
/ يَظَلُّ الْكِرَامُ الْمُزْمَلُونَ بِجَوِّهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ حَمْلُهَا وَحِيَالُهَا^(٣)
وَلَوْ وُضِعَتْ أَكْوَارُهَا عِنْدَ بَيْتِهِ عَلَى ذَاتِ غَسَلٍ لَمْ تُشْمَسْ رِحَالُهَا^(٤)

[٥٦/٨]

فقال جرير لهشام، وكان يتهم ذا الرمة بهجائه التميم وهم إخوة عدي: عليك العبد (يعني ذا الرمة). قال: فما أصنع يا أبا حذرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرجز، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رَفَذْتَنِي! قال: قل له:

عَجِبْتَ لِرَجُلٍ مِنْ عَدِيٍّ مُشْمَسٍ وَفِيَّ عَدِيٍّ عِنْدَ تَيْمٍ مِنَ الْعُلَا
مَدَدْتُ بِكَفٍّ مِنْ عَدِيٍّ قَصِيرَةٍ لُتَذْرِكَ مِنْ زَيْدٍ يَدَا لَا تَنَالُهَا
وَضَبَّةٌ عَمِّي يَأْبَنَ جَلٌّ^(٥) فَلَا تَرُمُ مَسَاعِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْكَ سِجَالُهَا
يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمُهَا مَا تُجِثُّهُ مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِينُ بِنِسَائِهَا عَلَيَّ فَقَدْ أَغْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
/ أَذَا الرُّمِّ قَدْ قَلَّدْتُ^(٦) قَوْمَكَ رُمَّةً بَطْنِيًّا بِأَيْدِي الْمُطَلِّقِينَ أَنْحِلَالُهَا
تَرَى اللُّؤْمَ مَا عَاشَتْ عَدِيٌّ مُخْلَدًا مَرَايِلُهَا مِنْهُ وَمِنْهُ نِعَالُهَا

١٢
٧

قال: فَلَجَّ الهجاء بين ذي الرمة وهشام. فلما أنشد المَرِّيَّ هذه الأبيات وسمعتها ذو الرمة قال: كَذَبَ الْعَبْدُ السَّوْءُ! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نَجْدِيٍّ حَنْظَلِيٍّ، / هذا كلام ابن^(٧) الأتَّان. قال: ولم يزل ذو الرمة مستعلياً على هشام [٥٧/٨] حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن مَزَيْدٍ قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَدْنَانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ^(٨) مِنْ وَلَدِ حَجْنَاءَ بْنِ نُوحٍ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

أَتَى هِشَامُ بْنُ قَيْسِ الْمَرِّيِّ أَبِي (يعني جريراً) فَاسْتَرْفَدَهُ عَلَى ذِي الرَّمَةِ، وَقَدْ كَانَا تَهَاجِيَا دَهْرًا، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ

(١) المخادع: البيوت.

(٢) الصوادي: النخل التي لا تسقى وإنما تشرب بعروقها، الواحدة صادية.

(٣) أرمل القوم: فني زادهم. يقول: سواء عليهم أحوال نخيلهم أم حملت، فهم لا ينالهم منها شيء.

(٤) يبهس وذات غسل: سيذكرهما المؤلف بعد قليل. لم تشمس رجالها: لم تعرض للشمس. يريد أنها لا تهمل بل تكرم بإدخالها البيوت.

(٥) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه، وهو جل بن عدي، رجل من مضر رهط ذي الرمة العدوي. وفي الأصول: «خل» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) كذا في جـ ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه وترجمة ذي الرمة (ص ١١٧ ج ١٦ من «الأغانى» طبع بلاق). وفي سائر الأصول: «قد قلدن» بالنون وهو تصحيف. والرمة: الحبل يقلد به البعير.

(٧) ابن الأتَّان: لقب كان ينسب به جرير.

(٨) في ب، س: «أبو صخرة».

أن ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني أمريء القيس فلم يُدْخِلُوا رحله، فذمّهم في القرى، ومدح بيّهساً صاحب ذات غِسل - وهو مَرَكَيّ. وذات غِسل: قرية له - فقال ذو الرُّمّة:

ولمّا وردنا مُرارة اللّؤم أغلقت
ولو عُريت أصلابها^(١) عند بيّهس
على ذات غِسل لم تُشَمْس رحالها
إذا ما أمرؤ القيس أبى لؤم تطعمت
دسّكر لم تُفتَح لخير ظلالها
بكأس الندامى خبثها^(٢) سبالها

فقال جرير للمَرَكَيّ: قل له:

عَصِبْتَ لِرَحْلٍ مِنْ عَدِيٍّ مُشَمْسٍ وفي أيّ يومٍ لم تُشَمْس رحالها
وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة. قال: فلقى ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصبت للمَرَكَيّ وأنا خالك! قال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلتُ له أن يقول لي:

عجبت لِرَحْلٍ مِنْ عَدِيٍّ مُشَمْسٍ

[٥٨/٨] / فقال له جرير: لا بل ألهاك البكاء في دارمّة حتى أبيضت مَحَارمُكَ. قال: وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمَرَكَيّ:

يُعَدّ الناسِون إلى تميم
يُعَدّون الرّباب وآل سَعْدٍ
وَيَهْلِكُ بينهما المَرَكَيّ لَغَوّاً
وَعَمراً ثم حَنَظْلَةَ الْخِيَارِ
كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْحَوَارِ^(٣)

فقال ذو الرُّمّة قصيدته التي أولها:

نَبْتُ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِجُزْوَى^(٤) عَفَثُ الرِّيحِ وَأَمْتِجِ الْقِطَارَا

وَأَلْحَقَ فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ. فلما أنشدها وسمعا المَرَكَيّ جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بوزله وحرّبه ويقول: مالي ولجريراً فقيل له: وأين جرير منك! هذا رجل يُهَاجِرُكَ وتُهَاجِرُهُ! فقال: هيهات! لا والله ما يُخَسِّنُ ذو الرُّمّة أن يقول:

وَيَذْهَبُ بَيْنَهَا الْمَرَكَيّ لَغَوّاً كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْحَوَارَا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قط. قال: ومَرَّ الْفَرَزْدَقُ بِذِي الرُّمّة وهو يُنشد هذه القصيدة؛ فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الْفَرَزْدَقُ: أَعِذْ يَا غَيْلَان، فَأَعَادَ؛ فقال له: أأنت / تقول هذا؟ قال: نعم يا أبا فِرَاس. قال: كَذَبَ فُوكُ! والله لقد نَحَلَكُمَا أَشَدَّ لَحِيْنٍ مِنْكَ، هذا شعر ابن الْأَكْثَان. قال: وجاء الْمَرَكَيّونَ إِلَى جرير فقالوا: يا أبا حَزْرَةَ، قد

(١) الأصلاب: جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب. يريد: لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيّهس لأكرمها ولم يتركها. وفي ب، س: «غرس» وهو تحريف.

(٢) كذا في أ، م (و«ديوان» ذي الرُّمّة طبع أوروبا ص ٥٤٤). وفي سائر الأصول: «ما خبثها» وهو تحريف.

(٣) الحوار: ولد الناقة، وقيل: هو الفصيل أول ما يتنج. يريد أن المَرَكَيّ لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة إذا تبع أمه وقد سبقت في دية القتيل.

(٤) حزوي: موضع في ديار تميم.

أستعلى علينا ذو الرمة، فأعيتنا على عادتك الجميلة. فقال: هيهات! قد والله ظلمتُ خالي لكم مرة وجاءني فاعتذر وحلف، وما كنتُ لأعينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرمة في تلك الأيام.

[٥٩/٨]

/ أقر له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل:

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثني العُمري عن لَقِيط قال حدثني أبو بكر بن نَوَفل قال حدثني من سأل النَّصِيب قال: قلت له: يا أبا مَخْجَن، بيتٌ قلته نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأحب أن تخبرني أيكم فيه أشعر؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولك:

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها أَكَبَّ عليها جازِرٌ مُتَعَرِّقٌ^(١)

وقال جميل:

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها بقايا سُلَالٍ^(٢) لم يدعها سُلَالُها

وقال جرير:

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيِّدْ وفي طول الكلالِ لها قيودُ

فقال نَصِيب: قاتل الله أبنَ الخطَفَي! ما أشعره! قال: فقال له الرجل: أما أنتَ فقد فضلتَه؟ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن منذر هو أشعر الناس:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحمن بن القاسم العجلي قال حدثني الحسن بن علي المنقري قال قال مسعود بن بشر:

قلت لابن مُتَادر بمكة: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: من إذا شئتَ^(٣) لَعِبَ، وإذا شئتَ جَدَّ؛ فإذا لعبَ أطعمك لَعِبُه فيه، وإذا رُمته بَعُدَ عليك؛ وإذا جَدَّ فيما قصدَ له أيا سَكَ من نفسه. قلتُ: مثلُ مَنْ؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لَعِبَ:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

/ ثم قال حين جَدَّ:

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبَا جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالنُّبُوَّةَ فِينَا
مُضَرُّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا آلَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَيْنَا
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأْتُكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا^(٤)

(١) التمرق: إزالة ما على العظم من اللحم.

(٢) السلال: مثل السل، وهو داء معروف. يهزل ويضني ويقتل.

(٣) في ب، س: «قال من إذا لعب شبيب فإذا لعب أطعمك... إلخ».

(٤) القطين: الخدم والحشم.

اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرباشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال:

لَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَوْلُ جَرِير:

هَذَا أَبْنُ عُمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَفْكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

قال: ما زاد أبْنُ الْمَرَاغَةِ عَلَى أَنْ جَعَلَنِي شُرْطِيًّا أَمَّا إِنَّهُ لَوْ قَالَ:

لَوْ شَاءَ سَأَفْكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

لَسَقَتُهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ.

فصله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق:

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال:

سَأَلْتُ بَشَارًا الْعُقَيْلِيَّ عَنِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ: لَمْ يَكُنِ الْأَخْطَلُ مِثْلَهُمَا، وَلَكِنْ رَبِيعَةٌ تَعْصِبُ لَهُ وَأَفْرَطُ فِيهِ. قُلْتُ:

فَجَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ؟ قَالَ: كَانَ جَرِيرٌ يُخْسِنُ ضَرْبًا مِنَ الشَّعْرِ لَا يُحْسِنُهَا الْفَرَزْدَقُ، وَفَضَّلَ جَرِيرًا عَلَيْهِ.

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق:

وَقَالَ أَبْنُ سَلَامٍ: قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ جَرِيرٍ - وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّاسَ وَسَمِعَ -: كَانَ يُقَالُ: الْأَخْطَلُ إِذَا لَمْ يَجِيءْ سَابِقًا

٢٤/٧ فَهُوَ سُكَيْتٌ، وَالْفَرَزْدَقُ لَا^(١) يَجِيءُ سَابِقًا وَلَا سُكَيْتًا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُصَلِّي / أَبْدَأَ، وَجَرِيرٌ يَجِيءُ سَابِقًا وَمُصَلِّيًّا

وَسُكَيْتًا. قَالَ أَبْنُ سَلَامٍ: وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: إِنْ لِلْأَخْطَلِ خَمْسًا أَوْ سِتًّا أَوْ سَبْعًا طَوَالًا رَوَائِعَ غُرَرًا جَيَادًا هُوَ بِهِنَ سَابِقٌ،

[٦١/٨] وَسَائِرُ شَعْرِهِ دُونَ أَشْعَارِهِمَا، فَهُوَ فِيمَا بَقِيَ بِمَنْزِلَةِ السُّكَيْتِ - وَالسُّكَيْتُ: آخِرُ الْخَيْلِ / فِي الرَّهَانِ - وَالْفَرَزْدَقُ دُونَهُ فِي

هَذِهِ الرَوَائِعِ وَفَوْقَهُ فِي بَقِيَّةِ شَعْرِهِ، فَهُوَ كَالْمُصَلِّيِّ أَبْدَأَ - وَهُوَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ السَّابِقِ وَقَبْلَ السُّكَيْتِ - وَجَرِيرٌ لَهُ رَوَائِعُ

هُوَ بِهِنَ سَابِقٌ، وَأَوْسَاطُ هُوَ بِهِنَ مُصَلٍّ، وَسَفَسَافَاتُ^(٢) هُوَ بِهِنَ سُكَيْتٌ.

مناقضة بينه وبين الفرزدق:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زُرَّارة قال:

قال جرير بالكوفة:

لَقَدْ قَادَنِي مِنْ حُبِّ مَاوِيَّةَ الْهَوَى وَمَا كُنْتُ تَلْقَانِي الْجَنِيَّةُ أَقْوَدًا^(٣)

أَحِبُّ ثَرَى تَجِدُ وَبِالْفَوْرِ حَاجَةً فَغَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا

أَقُولُ لَهُ يَا عَبْدَ قَيْسٍ صَبَابَةً بِأَيِّ تَرَى مُسْتَوَقِدَ النَّارِ أَوْقَدًا

فَقَالَ أَرَى نَارًا يُشَبُّ وَفُودَهَا بِحَيْثُ أَسْتَفَاضَ الْجِرْعُ شَيْحًا وَغَرَقَدًا^(٤)

(١) في ب، س: «إذا لم يجيء» وهو تحريف.

(٢) سفاسف الشعر: رديته.

(٣) كذا في «النقائض» رواية أشار إليها الشارح. وفي الصلب: «وما كان يلقاني الجنية...». وفي الأصول: «وما كنت ألقى للجنية»

بالقاف ولعلها «ألقى» بالفاء. والجنية: التي تجنب معه. والأقود: المنقاد المطيع.

(٤) الغرقد: كبار العوسج.

فأعجبت الناس وتناشدوها. قال: فحدثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جرير: أعجبتكم هذه الأبيات؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بآبين القين^(١) وقد قال:

أَعِدْ نَظْرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّمَا
قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت وبعده:

حَمَارٌ بِمَرُوتِ الشَّحَامَةِ قَارِبْتُ
وَوَظِيفِيهِ حَوَّلَ الْبَيْتِ حَتَّى تَرُدُّدًا^(٢)
/ كَلْبِيَّةٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ وَجْهَهَا
كَرِيمًا وَلَمْ يَسْنَحْ بِهَا الطَّيْرُ أَسْعَدًا

[٦٢/٨]

قال: فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم بآبين المَرَاغَةِ قد قال:

وَمَا عِبْتُ مِنْ نَارٍ أَضَاءَ وَقُودُهَا
فِرَاسًا وَبِسُطَامَ بْنِ قَيْسٍ^(٤) مَقِيدًا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجرير ومعه:

وَأَوْقَدْتَ بِالسَّيْدَانِ نَارًا ذَلِيلَةً
وَأَشْهَدْتَ مِنْ سَوَاءِ جَعْنٍ^(٥) مَشْهَدًا

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال:

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا ولم ير أحدهما صاحبه، فلما أستاذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمح طرقت جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعك نومك وتهضمت قومك. فقال له جرير: ذلك أشقى لك كائناً من كنت. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! فضحك ثم قال: هذا الأخطل يا أبا حَزْرَةَ. فَرَدَّ عليه بصره ثم قال: فلا حَيَاكَ الله يا ابن النصرانية! أما منعك نومي فلو نممت عنك لكان خيراً لك. وأما تهضمت قومي فكيف تهضمتهم وأنت ممن ضربت عليه الذلّة وباء بغضب من الله وأدى الجزية عن يد وهو صاغِر. وكيف تهضمت لا أُمّ لك فيهم / النبوة والخلافة وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكوم عليه / لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: أئذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية؟ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي.

[٦٣/٨]
١٥
٧

(١) ابن القين: لقب كان ينيز به الفرزدق، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥.

(٢) يريد حماراً من حمير بني كليب وذلك أنهم أصحاب حمير، يهجوهم بذلك ويؤنبه ويضع من قدره، نسبه إلى رعية الحمير. (راجع «النقائض» ص ٤٩١).

(٣) المروت: لبني حمان بن عبد العزي بن كعب بن سعد. والسحامة: مائة لبني كليب باليمامة. وورد الشطر الأخير من هذا البيت في «النقائض» هكذا: «كليبية قينية حتى ترددوا». والقينان: الوظيفان أو موضع القيد منهما.

(٤) يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود (عن «النقائض»).

(٥) قال أبو عبيدة: السيدان: موضع. وجعثن: أخت الفرزدق يريد بهذا البيت تعريضاً بالفرزدق وبأخته («النقائض» ص ٤٨٢).

تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن هدي في بئر فحكم له :

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال :

نازع جريرُ بني حِمَّان^(١) في رَكِيَّةٍ لهم؛ فصاروا إلى إبراهيم^(٢) بن عَدِيٍّ باليَمَامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير :

أَعُوذُ^(٣) بِالْأَمِيرِ غَيْرِ الْجَبَّارِ مِنْ ظُلْمِ حِمَّانٍ وَتَحْوِيلِ الدَّارِ
مَا كَانَ قَبْلَ حَفَرِنَا مِنْ مِحْفَازٍ وَضَرْبِي الْمِنْقَارِ^(٤) بَعْدَ الْمِنْقَازِ
فِي جَبَلٍ أَصَمٍّ غَيْرِ خَوَازٍ يَصِيحُ بِالْجُبِّ^(٥) صِيَاخَ الصَّرَازِ^(٦)
لَهُ صَهِيلٌ كَصَهِيلِ الْأَمْهَازِ^(٧) فَاسْأَلْ بَنِي صَحْبٍ^(٨) وَرَهْطَ الْجَرَازِ
وَالسَّلَمِيِّينَ^(٩) الْعِظَامَ الْأَخْطَازِ وَالْجَارُ قَدْ يُخِيرُ عَنْ دَارِ الْجَارِ

فقال الحِمَّانيُّ^(١٠) :

مَا لِكُلَيْبٍ مِنْ حِمَى وَلَا دَارٍ غَيْرُ مُقَامٍ أَتُنِي وَأَغْيَازِ^(١١)
فَنَسِ الظُّهُورَ دَامِيَاتِ الْأَثْفَازِ^(١٢)

[٦٤/٨] / قال فقال جرير : فعن مُقَامِهِنَّ، جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَجَادِلُ. فقال ابنُ عَدِيٍّ لِلْحِمَّانيِّ : قد أَقَرَرْتَ لَخَضَمِكَ؛ وَحَكَمَ بِهَا لَجَرِيرِ.

نزل بيني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم :
قال ابنُ سَلَامٍ وأخبرني أبو يحيى الضبي قال :

بيننا جريرُ يسير على راحلته إذ هَجَمَ على أبياتٍ من مَازِنٍ وَهَلَالٍ - وهما بطنان من ضَبَّةٍ - فخافهم، لسوء أثره
في ضَبَّةٍ، فقال :

فَلَا خَوْفَ عَلَيْكَ وَلَنْ تُرَاعِي بَعْقُوةً^(١٣) مَازِنٍ وَبَنِي هِلَالٍ

(١) بنو حمان : حي من تميم أحد حبي بني سعد بن زيد مناة.

(٢) في «ديوان جرير» المخطوط : «المهاجر بن عبدالله الكلابي».

(٣) راجع «الديوان» فينبه وبين ما هنا اختلاف كثير.

(٤) المنقار : حديدة يحفر بها.

(٥) كذا في «ديوانه» : والجب : البئر. وفي الأصول : «الجب» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٦) الصرار : ضرب من الخنافس يصوت في الصحاري من أول الليل إلى الصبح.

(٧) في الأصول : «له صليل كصليل الأمهار». وفي «الديوان» : «يصهلن في الجب صهيل الأمهار».

(٨) كذا في «ديوانه». وبنو صحب : قبيلة من باهلة. وفي الأصول : «أبا عصم».

(٩) السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(١٠) في «ديوانه» : «فقال عبد لبني حمان».

(١١) الأتن : جمع أتان، وهي الحمارة. والأعيار : جمع عير، وهو الحمار.

(١٢) القعس : جمع أقعس وقساء. والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة. والثفر (بالضم والفتح) لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة، وقد يستعار لغير ذلك.

(١٣) العقوة : ساحة الدار.

هَمَّا الْحَيَّانِ إِنْ فَزَعَا يَطِيرَا
أَمَّا زَنْ يَأْبَنَ كَعْبٍ إِنْ قَلْبِي
إِلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي^(١)
لَكُمْ طَوْلَ الْحَيَاةِ لَغَيْرُ قَالِي
غَطَارِيفُ بَيْتِ الْجَارِ فِيهِمْ
قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِ وَمَالِ
قال^(٢): أَجَلُ يَا أَبَا حَزْرَةَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْكَ.

وفد على عبدالملك في دمشق فالتفت الناس حوله في المسجد دون الفرزدق:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال قال شعيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال:

رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبدالملك والناس عُنُقُ^(٣) واحد على جرير: [قيس^(٤) وموالي بني أمية] يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرَةَ في مَسِيرِكَ، وكيف أَهْلُكَ وأسبابُكَ. وما يُطِيفُ بالفرزدق / إِلَّا نَفَرٌ مِنْ خِنْدِفٍ جُلُوسٌ مَعَهُ. قال شعيب: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: [٦٥/٨] لمدحه قيساً وقوله في المعجم:

فِيَجْمَعُنَا وَالْفَرَّ أَوْلَادَ سَارَةَ^(٥) أَبُ لَا تُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَدَّرَا

قال شعيب: بلغني أنه أُهْدِيَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ مَائَةُ حُلَّةٍ، أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمَوَالِي سِوَى غَيْرِهِمْ، وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَخْرٍ، فَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ حِكَايَةِ أَبِي زَيْدٍ، إِلَّا أَنَّهَا أَنْتُمْ مِنْ حِكَايَةِ ابْنِ سَلَامٍ. وَقَالَ أَبُو خَلِيفَةَ فِي خَبَرِهِ: سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ عُقَيْلٍ بْنِ بِلَالٍ يَقُولُ: وَافَتْهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مَائَةُ حُلَّةٍ مِنْ بَنِي الْأَحْرَارِ^(٦).

رأى الأحوص في قباء فعرّض به لثلاث يعين عليه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال:

بينما جرير بقباء إذ طلع الأحوص / وجرير يُنشد قوله:

لَوْ لَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي أَسْتَعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول:

(١) السعالي: جمع سعلاة، وهي الغول، وقيل: هي ساحرة الجن.

(٢) كذا في الأصول: ولعل الصواب: «قالوا أجل... إلخ».

(٣) العنق: الجماعة الكثيرة.

(٤) الذي بين القوسين هو عبارة ابن سلام في «الطبقات» وهو الذي يناسب ما يأتي من قوله: «لمدحه قيساً وقوله في المعجم إلخ». وفي ب، س: «... على جرير وكلهم من قريش وموالي قريش يسلمون عليه... إلخ». وفي سائر الأصول: «والناس عنق واحدة يسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرَةَ إلخ».

(٥) كذا في «ديوانه»، وهو الصحيح. وهي سارة زوجة إبراهيم الخليل صلوات الله عليه. وقد جاء عقب هذا البيت قوله:

أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا
رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهَ وَقَدَّرَا
وفي الأصول: «سادة» بالبدال المهملة، وهو تحريف.

(٦) بنو الأحرار: أبناء الموالى من الفرس.

عَوَى^(١) الشعراءُ بعضهم لبعضٍ
إذا أرسلتُ قافيةً شُروداً
عليّ فقد أصابهم انتقامٌ
/ فمُضْطَلَمٌ^(٢) المَسَامِعِ أو خَصِيٍّ
وأخِرُ عَظْمٍ هَامِتِهِ حُطَامٌ
رأوا أخرى تحرق فاستداموا^(٣)

[٦٦/٨]

ثم عاد من حيث قطع. فلما فرغ قيل له: ولم قلت هذا؟ قال: قد نهيتُ الأحوص أن يُعين عليّ الفرزدق، فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذتُ من شاعر قط، ولولا حقكم ما تعوذت منه.

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به:

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين الشكري قال: قال عُمارة بن عُقيل حدثني أبي عن أبيه:

أن الحجاج أوفد ابنه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّةً. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إن العرب لتحذث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردّته؛ فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج! ألسنتُ القائل:

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مِنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ

إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته. أو لست القائل:

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيفَةً إِذْ لَا يَنْقُصَنَّ بَغْيَ رَةِ الْأَزْوَاجِ

يا عاض كذا وكذا من أمه! والله لهَمَمْتُ أن أطير بك طيرةً بطيئاً سقوطها، أُخْرِجُ عَنِّي، فَأُخْرِجُ بَشَرًا. فلما كان بعد ثلاث شفع إليه محمد لجرير وقال له: / يا أمير المؤمنين، إني أدت رسالة عبدك الحجاج وشفاعته في جرير، فلما أذنت له مخاطبته بما أطار لُبّه منه وأشمت به عدوّه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فلن رأيت أن تهب كلّ ذنب له لعبدك الحجاج ولي فافعل، فإذن له. فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لا تُنشدني إلّا في الحجاج فإنما أنت للحجاج خاصّة. فسأله أن يُنشد مديحه فيه، فأبى وأقسم ألا يُنشد إلّا من قوله في الحجاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أَرَفَ الرَّحِيلُ قال جرير لمحمد: إن رحلتُ عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ له جائزة سقطت آخر الدهر، ولست بارحاً بابّه أو يأذن لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: إزحل أنت وأقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير وأستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبّل يده ورجله، فإذن

[٦٧/٨]

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «غوى» بالغيّن المعجمة وهو تصحيف. وعواؤهم: المراد به تناصرهم وتعاونهم، كما يعوي الذئب لأصحابه لتجتمع حوله.

(٢) رواية «الديوان» و«لسان العرب» (مادة دوم): «إذا أوقعت صاعقة عليهم». ومعنى استداموا: انتظروا، كقول الشاعر:

تَرَى الشُّعْرَاءَ مِنْ صَعَقٍ مَصَابٍ بِصَكَّتِهِ وَأَخْرَجَ مُسْتَدِيمٍ

(٣) الاصطلاح: القطع.

له. فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أَنْشِدْ وَيَحْك! فأنشده قصيدته / التي يقول ١٧
فيها:

السُّمَّ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
فَتَبَسَّ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ: كَذَلِكَ نَحْنُ وَمَا زَلْنَا كَذَلِكَ. ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ:
دَعَوْتُ الْمُلْحِدِينَ أَبَا خَيْبٍ^(١) جَمَاحاً هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجَمَاحِ
وَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيّاً^(٢) أَلَفْتُ^(٣) الْعَيْصَ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي
وَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيشٍ بَعْثَاتٍ^(٤) الْفُرُوعَ وَلَا ضَوَاحِي
/ قَالَ: ثُمَّ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا حَتَّى أَتَى عَلَى ذِكْرِ زَوْجَتِهِ فِيهَا فَقَالَ:

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لِقَاحٍ
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ^(٥) مِنَ الشَّبِيمِ الْقَرَّاحِ

فقال عبد الملك: هل تُزويها مائة لِقحة؟ فقال: إن لم يُزوها ذلك فلا أروها الله! فهل إليها - جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين - من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقحة وثمانية من الرُّعاء. وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بواحدةٍ منهن تكون مخلباً؟ فضحك وندس^(٦) إليه واحدةً منهن بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك! فأخذها وقال: بلى والله يا أمير المؤمنين ليُنفَعَنِي كُلُّ مَا مِنْخَتْنِي، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جرير في شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك.

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ^(٧) يَخْدُوهَا ثَمَانِيَةً مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنٌّ وَلَا سَرَفٌ

هجا سراقه البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا دَمَازُ أَبُو عَسَّانَ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ:

بذل محمد بن عُمَيْرٍ بن عَطَّارِدٍ بن حَاجِبٍ بن زُرَّارَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَفَرَساً لِمَنْ فَضَّلَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْفَرَزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ، فَلَمْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سُرَاقَةَ الْبَارِقِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ يُفْضِلُ الْفَرَزْدَقَ:

(١) أبو خبيب: هو عبدالله بن الزبير، وخبيب ابنه، وبه كان يدعى.

(٢) الهبرزي: الخالص.

(٣) الألف: الملتف. والعيص: الأصل، وهو أيضاً الشجر. يريد أنه من وسط العز لا من نواحيه.

(٤) العشة: الشجرة الدقيقة القضبان اللثيمة المنبت. والضواحي: البادية العيدان لا ورق عليها. وفي اللسان (مادة ضحي) بعد أن أورد هذا البيت «قال أبو منصور: أراد جرير بالضواحي في بيته قريش الظواهر، وهم الذين لا ينزلون شعب مكة ويطحاهها. أراد جرير أن عبد الملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر، وقريش الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر؛ لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم، والظواهر أعراب بادية».

(٥) الأنفاس: جمع نفس (كسبب) وهو جرعة الماء. والشيم: البارد. والقراح: الخالص. يريد أنها تعلمهم بالماء عند افتقاد اللبن.

(٦) كذا في ديوانه المخطوط ص ٢٠ والندس في الأصل: القطن الخفيف. يريد أنه دفع إليه جاما منها بعضا كانت في يده. وفي بعض

الأصول: «ودحس». وفي بعضها: «ودس» وكلاهما تحريف.

(٧) هنيذة: اسم من الإبل وغيرها.

أَبْلَغَ تَمِيمًا غَثَّهَا وَسَمِينَهَا
 أَنَّ الْفَرَزْدَقَ بَرَزْتَ أَعْرَاقَهُ
 / ذهب الفرزدق بالفضائل^(١) والعلاء
 هذا قضاء البارقي وإنسي
 والحكم يقصد مرةً ويجورُ
 سَبَقًا وخُلِفَ في الغبار جريرُ
 وأبْنُ الْمَرَاغَةِ مُخْلَفٌ محسورُ
 بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِهِمْ لَبَّيْرُ

[٦٩/٨]

قال أبو عبيدة فحدثني أيوب بن كُسيب قال حدثني أبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه، وقال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهاراً أو ليلتك إن لقيتك ليلاً، وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها. فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فتهتف به صاحبه من الجن من زلوية البيت فقال له: أزعمت أنك تقول الشعر ما هو إلا أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسن أن تقول شيئاً^(٢)! فهلاً قلتُ:

يَا بَشْرُ حَقَّ لَوَجْهِكَ التَّبَشِيرُ هَلَّا قَضَيْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ

٣٨ / فقال له جرير: حَسْبُكَ كَفَيْتَكَ. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أثار الصبحُ؛ فقال جرير:

يَا صَاحِبِي هَلِ الصَّبَاحُ مُبِيرُ أَمْ هَلِ لِلْيَوْمِ عَوَازِلِي تَقْتِيرُ^(٣)

إلى أن فرغ منها. وفيها يقول:

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ بَارِقِ يَا آلَ بَارِقِ فِيمَ سُبِّ جَرِيرُ

يُعْطَى النِّسَاءُ مَهْرَهُنَّ كَرَامَةً وَنِسَاءُ بَارِقٍ مَالَهُنَّ مُهْرُ

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر، فقرئت بالعراق وأُنجم سُرَاقَةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضته.

[٧٠/٨] / مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك:

أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام حدثني أبو يحيى الضَّبِّي قال:

كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان يُشيد أجزوةً له يصف فيها إبلاً وجريراً حاضراً،

فقال فيها:

قَدْ وَرَدْتُ قَبْلَ إِنَّا ضَحَائِهَا تُفَرِّسُ الْحَيَّاتِ فِي خِرْشَائِهَا^(٤)

[جَرَّ الْعَجُوزِ الثَّانِي مِنْ رِدَائِهَا^(٥)]

فقال له جرير: أَخْفَقْتَ. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

جَرَّ الْعُرُوسِ الثَّانِي مِنْ رِدَائِهَا

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «بالقصائد».

(٢) في جـ: «حتى لم تحسن أن تجيب عنها».

(٣) الفتور والتفتير: السكون بعد الحدة واللين بعد الشدة. وفتن (بالتضعيف) يتعدى ويلزم.

(٤) الأنا (بفتح الهمزة وكسرهما): الوقت. والضحاء: الضحى. وتفريس: تقتل. والخرشاء: جلد الحية.

(٥) التكملة عن ابن سلام ص ١٠١ طبع أوروبا.

فقال له التَّيْمِيُّ أَنْتَ أَسْوَأُ قَوْلًا مِنِّي حَيْثُ تَقُولُ:

وَأَوْتَقُّ عِنْدَ الْمُزْدَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَدَ السِّيفَ لَامِعُ
فَجَعَلْتَهُنَّ مُزْدَفَاتٍ غُدُوَّةً ثُمَّ تَذَارَكْتَهُنَّ عَشِيَّةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:
* وَأَوْتَقُّ عِنْدَ الْمُزْدَفَاتِ عَشِيَّةً *

فقال جرير: والله لهذا البيت أحبُّ إليَّ من بِكَرِي حَزْرَةَ، ولكنك مُجَلِّبٌ^(١) للفرزدق^(٢). وقال فيه جرير:

هَلَا سَوَانَا أَذْرَأْنَسَمَ يَا بَنِي لَجَايَ شَيْئًا يُقَارِبُ أَوْ وَخْشًا لَهَا غِرَرُ^(٣)
أَحِينَ كُنْتُ سِمَامًا يَا بَنِي لَجَايَ وخاطرت بي عن أحسابها مُضَرًّا
/ خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَتَنِي المَنَارَ بِهِ وَأَبْرَزُ بَيْرَزَةً^(٤) حَيْثُ أَضْطَرَّكَ القَدَرُ
أَنْتَ أَبْنُ بَيْرَزَةٍ مَنْسُوبًا إِلَى لَجَايَ عِنْدَ العُصَارَةِ والعِيدَانِ تُغْتَصَرُ

ويروي:

أَلَسْتُ نَزْوَةً خَوَارٍ عَلَى أُمَةٍ عِنْدَ العُصَارَةِ والعِيدَانِ تُغْتَصَرُ
فقال ابن لَجَا يرد عليه:

لَقَدْ كَذَبْتَ وَشَرُّ الْقَوْلِ أَكْذَبُهُ مَا خَاطَرْتُ بِكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مُضَرُّ
بَلْ أَنْتَ^(٥) نَزْوَةٌ خَوَارٍ عَلَى أُمَةٍ لَا يَسْبِقُ الحَلَبَاتِ اللُّؤْمُ والخَوَرُ
مَا قُلْتَ مِنْ هَذِهِ إِلَّا سَأْنَقُضُهَا يَا بَنَ الْأَتَانِ بِمَثَلِي تُنْقَضُ المِرَرُ
وقال عمر بن لَجَا^(٦):

عَجِبْتُ لِمَا لَاقَتْ رِيَّاحُ^(٧) مِنَ الْأَذَى وَمَا أَقْبَسُوا مِنِّي وَلِلشُّرْقَابِيسُ
غَضَابًا لِكَلْبٍ مِنْ كُلَيْبٍ فَرَسْتُهُ هَوَى وَلَشَدَّاتِ الْأَشْوَدِ فَرَائِسُ
إِذَا مَا أَبْنُ يَرْبُوعٍ أَتَاكَ لِمَا كَلِ عَلَى مَجْلِسٍ إِنْ الْأَكْيَلِ مُجَالِسُ
فَقُلْ لَابْنِ يَرْبُوعٍ أَلَسْتُ بِرَاحِضٍ سِبَالِكَ عَنَّا إِنَّهِنَّ نَجَائِسُ

(١) كذا في حد والمجلب: المعين. وفي سائر الأصول: «مجلب» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٢) يلاحظ أن في هذا تنافياً مع ما تقدم في حديثه مع الحجاج؛ إذ صرح فيما تقدم بأن عمر بن لجأ هو الذي عمد إلى هذا التغير تقييحاً للشعر. (راجع ص ١٨ من هذا الجزء).

(٣) ادرائم: ختلتم: وغرر: غفلات، واحداً غرة.

(٤) برزة: أم عمر بن لجأ.

(٥) في الأصول: «ألسنت نزوة إلخ» والتصحيح عن «النفاض» ص ٤٨٨.

(٦) في جميع الأصول: «وقال جرير» وهو خطأ إذ أن هذا الشعر قاله ابن لجأ يهجو به جريراً. (انظر في ترجمة الأخطل صفحة ١٨١ - ١٨٢ طبع بلاق).

(٧) رياح هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير.

/ تُمْسُخُ يَرْبُوعٌ سِبَالًا لَثِيمَةً / بها من مَنِيِّ الْعَبْدِ رَطْبٌ وَيَابِسٌ^(١)

قال: ثم اجتمع جرير وابن لَجَأَ بالمدينة وقد وَرَدَهَا الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتأله^(٢) في نفسه، فقال: أَتَقْدِفَانِ [٧٢/٨] الْمُخَصَّنَاتِ وَتُغَضِّبَانِهِنَّ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْمٍ / الأنصاري - وكان والياً له بالمدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلْسِ^(٣) مقرونين، والتَّيْمِيُّ يومئذٍ أَشْبُ من جرير، فجعل يَشُولُ^(٤) بجرير وجرير يقول وهو المَشُولُ به:

فَلَسْتُ مُفَارِقاً قَرْنِي حَتَّى يَطُولَ تَصَعُّدِي بِكَ وَأُنْحَدَارِي

فقال ابن لَجَأَ:

وَلَمَّا أَنْ قُرِنْتُ إِلَى جَرِيرٍ أَبَى ذُو بَطْنِهِ^(٥) إِلَّا أَنْحَدَارَا

فقال له قَدَامَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ: وَيَسْمَا قُلْتَ! جعلت نفسك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقول؟ قال تقول:

وَلَمَّا لَزَّ فِي قَرْنِي جَرِيرٌ

فقال: جُزَيْتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا.

هو والأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ عُقَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تَهَاجِيَا ولم يَلْقَ أحدهما صاحبه. فلما أَسْتَأْذَنُوا لجرير أذن له فَسَلَّمَ وجلس، وقد عَرَفَهُ الأخطل، فطَمَحَ بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعْتُ نَوْمَكَ وَهَضَمْتُ قَوْمَكَ. فقال له جريرٌ: ذاك أَشَقَى لك كائناً مَنْ كُنْتُ. ثم أَقْبَلَ على عبد الملك فقال: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكَ وقال: هَذَا الْأَخْطَلُ يَا أبا حَزْرَةَ. فَرَدَّ بصره إليه وقال: فَلَاحِيَاكَ اللَّهُ يَا بَنَ النَّصْرَانِيَّةِ! أَمَا / منعكُ نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهَضُّمُكُ قومي فكيف تهَضُّمُهُمْ وأنت ممن ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَيَاءُوا وَبَغَضِ مِنْ اللَّهِ! إِيذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَبْنِ النَّصْرَانِيَّةِ. فقال: لا يكون ذلك بين يدي. فَوَثَبَ جريرٌ مُغَضِّباً. فقال عبد الملك: قم يا أَخْطَلُ وَأَتْبِعْ صَاحِبَكَ؛ فَإِنَّمَا قَامَ غَضَباً عَلَيْنَا فَيَكُ؛ فَتَهَضُّ الْأَخْطَلُ. فقال عبد الملك لخدام له: انظر ما يَصْنَعَانِ إِذَا بَرَزَ لَهُ الْأَخْطَلُ. فخرج جرير فدعا بغلام له فَقَدَّمَ إِلَيْهِ حِصَاناً لَهُ أَذْهَمَ فَرْكَبَهُ وَهَدَرَ وَالْفَرَسُ يَهْتَرُ مِنْ تَحْتِهِ، وَخَرَجَ الْأَخْطَلُ فَلَاذَ بِالْبَابِ وَتَوَارَى خَلْفَهُ، وَلَمْ يَزَلْ واقفاً حَتَّى مَضَى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره؛ فَضَحِكَ وقال: قَاتَلَ اللَّهُ جَرِيرًا! مَا أَفْحَلَهُ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ النَّصْرَانِيُّ بَرَزَ إِلَيْهِ لَأَكَلَهُ.

(١) لهذا قصة بسطها أبو الفرج في ترجمة الأخطل في الصفحتين السابقتين.

(٢) التأله: التنسك والتعبد.

(٣) البلس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها الثين ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه.

(٤) يشول به: يرتفع به.

(٥) ذو البطن: الرجيع.

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال: سئل جرير أيُّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فيتكلف مني ما لا يطيقه؛ وأما الأخطل فأشدُّنا اجترأً وأزماناً للغرض؛ وأما أنا فمدينة الشعر. وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الأصمعي فذكر نحو ما ذكره الرياشي، وقال في خبره: وأما الأخطل فأنعتنا للخمر وأمدحنا للملوك.

فضله أبو مهدي على جميع الشعراء:

أخبرنا عتي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن عطاء بن مُصعب قال:

قلت لأبي مَهْدِي الباهلي وكان من علماء العرب: أيما أشعر أجريُّ أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعرُ العربِ كُلِّها؛ ثم قال: / لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكم بينهم.

٧٠
٧

لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازني يقول:

/ قال جرير: هجوتُ بني طهية أنواعَ الهجاء، فلم يخفُلوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي:

كَانَ بَنِي طَهْيَةَ رَهْطَ سَلَمَى حَجَارَةُ خَارِيٍّ يَرْمِي كَلَابَا

فجزعوا حينئذٍ ولاذوا بي.

كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال:

كان جرير من أعقِّ الناس بأبيه^(١)، وكان بلالُ ابنه أعقِّ الناس به. فراجع جريرٌ بلالاً الكلام يوماً؛ فقال له بلال: الكاذب مني ومنك ناك أمه. فأقبلت أمه عليه وقالت له: يا عدو الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فوالله لكانه سمعها^(٢) مني وأنا أقولها لأبي.

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمري عن لقيط قال:

كان عمر بن يزيد بن عُمير الأسدي يتعصب للفرزدق على جرير. فتزوج امرأة من بني عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم؛ فقال جرير:

نكحتُ إلى بني عُدُس بن زيد
فقد هَجَّنتُ خيلَهُمُ العَرَابَا
أَتَشَى يَوْمَ مَسْكِنٍ^(٣) إِذْ تُنَادِي
وقد أخطأتُ بالقَدَمِ الرُّكَابَا

(١) كذا في الأصول ولعله: «أعق الناس لأبيه... أعق الناس له».

(٢) كذا في ح: وفي سائر الأصول: «لكنني أسمعها مني...».

(٣) مسكن: موضع كانت به الوقعة بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧١ هـ، وفيها قتل مصعب.

وهي قصيدة، فأجتمعوا على عمر بن يزيد. ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه.

[٧٥/٨] / استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الهيثم قال حدثني عمي أبو فراس قال حدثني وذقة بن معروف قال:

نزل جرير على عنبسة^(١) بن سعيد بواسط، ولم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجاج. فلما دخل على عنبسة، قال له: وَيْحَكَ! لقد غررت بنفسك! فما حملك على ما فعلت؟ قال: شعرت قلته اعتلج في صدري وجاشت به نفسي وأحببت أن يسمعه الأمير. قال: فعثقه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تطلعن رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قانظ، وهو قاعد في الخضر^(٢) وقد صب فيها ماء استنقع^(٣) في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسي موضوع ناحية. قال عنبسة: ففعدت على الكرسي، وأقبل علي الحجاج يحدثني. فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت: أصلح الله الأمير! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفه عجباً به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له. قال: ومن هو؟ قلت: ابن الخطفي. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغلمان يتسارعون. قال: صفت لهم موضعه من دارك؛ فوصفت لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعه حتى رُمي به في الخضر، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفس كما يتنفس الفرخ. فقال له: هيه! ما أقدمك علينا بغير إذنتنا / لا أم لك؟ قال: أصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحد، فجاش به صدري وأحببت أن يسمعه مني الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلق الحجاج وسكن، واستنشه فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يصعون. فقال: عليّ بالجارية / التي بعث بها إلينا عامل اليمامة؛ فأتي بجارية بيضاء مديدة القامة. فقال: إن أصبت صفتها فهي لك. فقال: ما أسمها؟ قال: أمانة؛ فأنشأ يقول:

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
مِثْلُ الْكَثِيبِ تَهَيَّلْتُ أُعْطِافُهُ فَالرَّيْحُ تَجْبُرُ مَنَّتَهُ وَتَهِيلُ
تِلْكَ الْقُلُوبُ صَوَادِيأَ تَيْمَنِيهَا وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وأنتحبت. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورحالها.

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخل عليه بلباس أبائهما في الجاهلية:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو العزاف قال:

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجريز^(٤) البصرة: اثنياني في لباس أبائكما في الجاهلية. فلبس

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشرف بني أمية، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق. (انظر الطبري ق ٢ ص ٧٩٢، ٨٦٩، ٨٧١ طبع أوروبا).

(٢) المراد بها خضر واسط، وتعرف بالقبة الخضراء، بناها الحجاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة. (راجع المجلد السابع من المكتبة الجغرافية ص ٣٢٢ طبع أوروبا).

(٣) استنقع الماء: اجتمع.

(٤) كذا في ج و «معجم ما استعجم» للبكري ومعجم ياقوت. وحريز: موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد. وقد ورد محرّفاً في جميع الأصول.

الفرزدقُ الدُّيَّاجَ والخَزْرَ وقعد في قُبَّة. وشاور جريرَ دهاة بني يَزْبُوع فقالوا له: ما لباسُ آبائنا إلا الحديد؛ فليس جرير دِزْعاً وتقلَّد سيفاً وأخذ رُمحاً وركب فرساً لَعْبَاد بن الحُصَيْن يقال له المِنْحَارُ^(١) وأقبل في أربعين فارساً من بني يَزْبُوع، وجاء الفرزدقُ في هيئته؛ فقال جرير:

لَيْسْتُ سَلاحِي والفرزدقُ لُغْبَةً عليه وشاحاً كُرَّجٌ^(٢) وجَلَّاجُهُ^(٣)
/ أَعِدُّوا مع الحَلِي^(٤) المَلَابَ^(٥) فإنما جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حَلَالُهُ

[٧٧/٨]

ثم رجعا، فوقف جرير في مَقْبَرَةِ بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِزْبَد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال: كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنه أصغرُهما في عيني.

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك:

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليَقْظَان عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال:

قدم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبدالله الكِلَابِيُّ فقال: لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلم بي جريراً فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير:

رَأَيْتُكَ إِذْ لَمْ يُغْنِكَ اللهُ بِالْغِنَى رجعتُ إلى قيسٍ وخَدُّكَ ضَارِعُ
وما ذاك إن أعطى الفرزدقُ بَأْسَتِهِ بأولِ ثَغْرِ ضَيْعَتِهِ مُجَاشِعُ
فلما بلغ ذلك الفرزدقُ قال: لا جَرَمَ والله لا أدخل عليه ولا أَرْزُوهُ شيئاً ولا أُقِيم باليمامة، ثم رحل.

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال أبو اليَقْدَاء:

لقي الفرزدقُ عمر بن عطيةَ أخا جرير، وهو حينئذٍ يُهاجِي أَبْنَ لَجَأ، فقال له: وَيْلَكَ! قل لأخيك: ثَكَلْتُكَ أَفْكَ! إِبْنِ التَّيْمِيِّ مِنْ عُلْ كَمَا أَصْنَعُ أَنَا بكَ. وكان الفرزدقُ قد أَنَفَ لجريرٍ وَحَمِيٍّ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ التَّيْمِيُّ. قال أبْن سَلَام. فأنشدني له خَلَفَ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيِّ:

وما أنت إن قَرَمَا تَمِيمٍ تَسَامِيَا أخا التَّيْمِ إِلَّا كَالْوَشِيْظَةِ^(٦) فِي الْعَظْمِ
/ فلو كنتَ مَوْلى العِزِّ أو فِي ظِلَالِهِ ظَلِمْتَ وَلَكِنْ لَا يَدْنِي لَكَ بِالظَلَمِ

[٧٨/٨]

فقال له التَّيْمِيُّ:

كَذَبْتَ أَنَا الْقَرَمُ الَّذِي دَقَّ مَالِكاً وَأَفْنَاءَ يَرْزُوعٍ وما أنت بالقرم

قال أبْن سَلَام فحدثني أبو الغَرَّاف: أن رجال تَمِيمٍ مشَتْ بين جريرٍ والتَّيْمِيِّ وقالوا: والله ما شعراؤنا إلا بَلَاءٌ علينا

(١) كذا في «شرح القاموس» (مادة نحر). وفي ب، س: «المنجاز». وفي سائر الأصول: «المنحار»، وهما تصحيف.

(٢) الكرج: شيء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه.

(٣) كذا في اللسان (مادة كرج) والنقائض (ص ٦٥٠) وفي الأصول: «وخلخله».

(٤) كذا في أكثر الأصول و«النقائض». وفي ب، س: «الخز».

(٥) كذا في جـ والنقائض. والملاب. ضرب من الطيب. وفي ب، س: «الملاء». وفي سائر الأصول: «الملاءة» وهما تحريف.

(٦) الوشيطة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم.

٧٢ ينشرون مساويتنا ويهجون أحياءنا وموتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى / أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة ألا يعودا في هجاء. فكف التميمي، وكان جريراً لا يزال يسأل^(١) الواحدة بعد الواحدة فيه؛ فيقول التميمي: والله ما نقضت هذه ولا سمعتها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ابن سلام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حزملة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتميمي، قال [لي] ^(٢) سعيد بن المسيب ترو^(٣) شيئاً مما قالوا؛ فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر، فقال لي: أرويت؟ قلت نعم. فأقبل علي بوجهه فأنشدته للتميمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير، فقال: أكله أكله!

لم يؤثر هجاؤه في التيمم للؤمهم:

قال ابن سلام وحدثني الرازي عن حجباء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً قط إلا فضحتهم إلا التيمم. فقال: يا بني، لم أجد بناءً أهدمه ولا شرفاً أضعه وكانت تيمم رعاء غنم يغدون في غنمهم ثم يروحون، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فينتحلها ابن لجأ. فقل لجرير: ما صنعت في التيمم شيئاً؛ فقال: إنهم شعراء لئام.

[٧٩/٨] / هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة:

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو اليقظان قال:

قال جرير لرجل من بني طهية: أيما أشعر أنا أم الفرزدق؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حزرة! غلبته ورب الكعبة! والله ما في كل مائة رجل عالم واحد. هو وعدي بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك:

حدثنا أحمد بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن النطاح قال؛ وحدثني أبو الأخضر لمخارق بن الأخضر القيسي قال^(٤): إني كنت والله الذي لا إله إلا هو أخص الناس بجرير، وكان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عدي بن الرقاع خاصاً بالوليد مداحاً له؛ فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحداً من التزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس بن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل. فقلت له: يا أبا حزرة، اختصصت عدوك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزي قومه. قال: ولم يكن ينشده شيئاً من شعره، وإنما كان ينشده شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه. فأذن الوليد للناس ذات عشية فدخلوا ودخلنا، فأخذ الناس مجالسهم، وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم وأطمأنوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أولف

(١) في الأصول «يسأل». والتصويب عن «طبقات ابن سلام» (ص ٦٢ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧ أدب ش) ويريد بذلك أنه يرسل القصيدة تلو القصيدة خفية.

(٢) التكملة عن ابن سلام.

(٣) في الأصول: «تروي» والتصحيح عن ابن سلام؛ يقال: تروي الحديث إذا نقله.

(٤) في ب، س: «قال قال».

بعضها إلى بعض! - قال: وأنا جالسٌ أسمع - فقال الوليد: والله لهممْتُ أن أُخرِجه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير وهو قائمٌ كما هو:

[٨٠/٨] / فإِنْ تَنَهَيْتَنِي عَنْهُ فَسَمِعاً وَطَاعَةً وَإِلَّا فإِنِّي عُزْضَةٌ لِلْمَرَاْجِمِ^(١)

قال فقال له الوليد: لا كثرَ اللهُ في الناس أمثالُكَ. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سَعَرْتُ^(٢) الأُمّة، فلو كثرَ أمثالي لأكَلوا الناسَ أَكْلاً. قال: فنظرتُ والله إلى الوليد تبسّم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجَلَدِه. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني أبْنُ عَمَّارٍ قال حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو النَّطَّاحِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

كَانَ / جَرِيرٌ عِنْدَ الْوَلِيدِ وَعَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ يُنْشِدُهُ. فَقَالَ الْوَلِيدُ لَجَرِيرٍ: كَيْفَ تَسْمَعُ؟ قَالَ: وَمَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ. قَالَ: فَإِنْ شَرَّ الثِّيَابِ الرَّقَّاعُ، ثُمَّ قَالَ جَرِيرٌ: «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً»^(٣)؛ فغَضِبَ الْوَلِيدُ وَقَالَ: يَا بَنَ اللَّخْنَاءِ! مَا بَقِيَ لَكَ إِلَّا أَنْ^(٤) تَتَنَاوَلَ كِتَابَ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَيَرْكِبَنَّكَ! يَا غَلَامَ أَوْكُفْهُ^(٥) حَتَّى يَرْكَبَهُ. فغَمَزَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْغَلَامَ الَّذِي أَمَرَهُ الْوَلِيدُ فَأَبْطَأَ بِالْإِكَافِ. فَلَمَّا سَكَنَ غَضَبُ الْوَلِيدِ قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَكَلَّمَهُ وَطَلَبَ إِلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا شَاعِرٌ مُضَرٌّ وَلِسَانُهَا، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا يَغْضَضَ مِنْهُ! وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَغْفَاهُ، وَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَئِنْ هَجَوْتَهُ أَوْ عَرَضْتَ بِهِ لِأَفْعَلَنْ بِكَ وَلِأَفْعَلَنْ! فَقَالَ فِيهِ تِلْكَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

أَقْصِرْ فَإِنْ نَزَّاراً لَنْ يَفَاخِرَهَا فَرْعٌ لَثِيمٌ وَأَصْلٌ غَيْرٌ مَغْرُوسٌ
وَذَكَرَ وَقَائِعَ نِزَارٍ فِي الْيَمَنِ؛ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ عَنَاهُ. وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ.

وصف شبة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل:

حَدَّثَنِي عُمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَيْرِيُّ عَنْ الْعُتْبِيِّ قَالَ:

[٨١/٨] / قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَشَبَّةَ بْنِ عِقَالٍ وَعِنْدَهُ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ، وَهُوَ يَوْمُنَا أَمِيرٌ أَلَّا تَخْبِرَنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ مَزَقُوا أَعْرَاضَهُمْ وَهَتَكُوا أَسْتَارَهُمْ وَأَغْرَوْا بَيْنَ عَشَائِرِهِمْ فِي غَيْرِ خَيْرٍ وَلَا بَرٍّ وَلَا نَفْعٍ أَتِيَهُمْ أَشْعَرُ؟ فَقَالَ شَبَّةُ: أَمَا جَرِيرٌ فَيَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ، وَأَمَا الْفَرَزْدَقُ فَيَنْجَحُ مِنْ صَخْرٍ، وَأَمَا الْأَخْطَلُ فَيُجِيدُ الْمَدْحَ وَالْفَخْرَ. فَقَالَ هِشَامُ: مَا فَسَّرْتَ لَنَا شَيْئاً نَحْصُلُهُ. فَقَالَ مَا عِنْدِي غَيْرُ مَا قُلْتَ. فَقَالَ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: صِفْهُمْ لَنَا يَا بَنَ الْأَهْتَمِ؟ فَقَالَ: أَمَا أَعْظَمُهُمْ فَخْراً، وَأَبْعَدُهُمْ ذِكْراً، وَأَحْسَنُهُمْ عِذْراً؟ وَأَسِيرُهُمْ^(٦) مَثَلًا، وَأَقْلَهُمْ غَزَلًا، وَأَخْلَاهُمْ عِلَلًا؛ الطَّامِي إِذَا زَخَرَ، وَالْحَامِي إِذَا زَارَ، وَالسَّامِي إِذَا خَطَرَ؛ الَّذِي إِنْ هَدَرَ قَالَ، وَإِنْ خَطَرَ صَالَ؛ الْفَصِيحُ اللَّسَانُ، الطَّوِيلُ الْعِنَانُ؛ فَالْفَرَزْدَقُ. وَأَمَا أَحْسَنُهُمْ نَعْتًا، وَأَمْدَحُهُمْ بَيِّنًا، وَأَقْلَهُمْ قَوْنًا؛ الَّذِي إِنْ هَجَا وَضَعَ، وَإِنْ مَدَحَ رَفَعَ، فَالْأَخْطَلُ. وَأَمَا أَغْزَرُهُمْ بَخْراً، وَأَرْقَهُمْ شِعْراً، وَأَهْتَكُهُمْ لَعْدُوهُ سِتْراً؛ الْأَغْرُ الْأَبْلَقُ، الَّذِي أَنْ طَلَبَ لَمْ يُسْبَقْ، وَإِنْ طُلِبَ لَمْ يُلْحَقْ؛

(١) يقال: فلان عرضة للكلام إذا كان كثيراً ما يعترضه كلام الناس ويقذف به. والمراجع: الكلم القبيحة.

(٢) سمرت الأمة، يريد أوقدت فيها الشر.

(٣) يريد التعريض بعاملة قبيلة عدي بن الرقاع.

(٤) ويحتمل أن تكون العبارة: «... إلا أن تناوَلَ كتاب الله».

(٥) أوكف الدابة: وضع عليها الإكاف، وهو البرذعة.

(٦) في الأصول: «وأشدَّهم مثلاً».

فَجَرِيرٌ. وَكُلُّهُمْ ذَكَيُّ الْفَوَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ، وَارِي الزُّنَادِ. فَقَالَ لَهُ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِكَ يَا خَالِدُ فِي الْأَوَّلِينَ وَلَا رَأَيْنَا فِي الْآخِرِينَ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَحْسَنُهُمْ وَصَفَاءَ، وَأَلْيَنُهُمْ عِطْفَاءَ؛ وَأَعَفُّهُمْ مَقَالًا، وَأَكْرَمُهُمْ فَعَالًا. فَقَالَ خَالِدٌ: أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ، وَأَجَزَلُ لَدَيْكُمْ قِسْمَهُ؛ وَأَنْسَ بِكُمْ الْغُرْبَةَ، وَفَرَّجَ بِكُمْ الْكُرْبَةَ. وَأَنْتَ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ أَيْهَا الْأَمِيرُ، كَرِيمُ الْغِرَاسِ، عَالِمٌ بِالنَّاسِ؛ جَوَادٌ فِي الْمَحَلِّ، بَسَامٌ عِنْدَ الْبَذْلِ؛ حَلِيمٌ عِنْدَ الطَّيْشِ، فِي ذِرْوَةِ قُرَيْشٍ؛ وَلُبَّابٌ عَبْدُ شَمْسٍ، وَيَوْمُكَ خَيْرٌ مِنْ أَمْسٍ. فَضَحَكَ هَشَامٌ وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَتَخْلُصِكَ يَا بَنَ صَفْوَانَ فِي مَدْحِ هَؤُلَاءِ وَوَصْفِهِمْ حَتَّى أَرْضَيْتَهُمْ جَمِيعًا وَسَلَّمْتُ مِنْهُمْ^(١).

[٨٧/٨] / جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبدالعزيز حين تقاذفا:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ قال حدثني إبراهيم بن عبدالله مولى بني زُهرة قال:

حَضَرْتُ عَمْرَ بْنَ لَجَأَ وَجَرِيرَ بْنَ الْخَطَفِيِّ مَوْفُوفِينَ لِلنَّاسِ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ لَمَّا تَهَاجَيَا وَتَقَادَفَا وَقَدْ أَمَرَ بِهِمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَرْنَا وَأَقِيمَا. قَالَ: وَعَمْرُ بْنُ لَجَأَ شَابٌّ كَأَنَّهُ حِصَانٌ، وَجَرِيرٌ شَيْخٌ قَدْ أَسَنَّ وَضَعُفٌ. قَالَ فَيَقُولُ ابْنُ لَجَأَ:

٧٤ / رَأَا قَمَرًا بِسَاحَتِهِمْ مُبِيرًا وَكَيْفَ يُقَسِّرُنَ الْقَمَرُ الْحِمَارَا

قَالَ: ثُمَّ يَنْزُو بِهِ وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي حَبْلِ فَيَسْقُطَانِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَمَّا ابْنُ لَجَأَ فَيَقَعُ قَائِمًا، وَأَمَّا جَرِيرٌ فَيَخِرُّ لِرُكْبَتَيْهِ وَوَجْهِهِ، فَإِذَا قَامَ نَفَضَ الْغُبَارَ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ بُغَيْتُهُ قَوْلًا يُخْرِجُ الْكَلَامَ بِهِ مِنْ أَنْفِهِ - وَكَانَ كَلَامُهُ كَانَ فِيهِ نُونًا -:

فَلَسْتُ مَفَارِقًا قَرْنِي حَتَّى يَطْطُولَ تَصَعُّدِي بِكَ وَانْحِدَارِي

قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عَمْرَ لَهُ حِينَ حَضَرَ غَدَاؤَهُ: لَوْ دَعَا الْأَمِيرُ بِأَسِيرِيهِ فغَدَاهُمَا مَعَهُ! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تقاذفا، وكان جرير قال له:

تَقُولُ وَالْعَبْدُ مُسْكِينٌ يُجَرَّرُهَا أَزْفَقُ فَدَيْتُكَ أَنْتَ النَّاكِحُ الذَّكَرُ

قَالَ: وَهَذِهِ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُوقِعُكُمْ فِي سَوْءَةِ عَمْرُ

قَالَ ابْنُهُ: أَجُودُ شِعْرُهُ قَصِيدَتُهُ الدَّالِيَّةُ:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد التُّوفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ:

كَنتُ بِالْيَمَامَةِ وَأَنَا وَالْيَها فَكَانَ ابْنُ لَجَرِيرٍ يُكْثِرُ عِنْدِي [الدُّخُولُ^(٢)] وَكَنتُ أَوْثَرُهُ فَلَمْ أَقُلْ لَهُ قَطُّ أَنَشْدَنِي أَجُودَ شِعْرٍ لَأِيكَ إِلَّا أَنَشْدَنِي الدَّالِيَّةَ:

[٨٣/٨] / أَهْوَى أَرَاكَ بَرَامَتَيْنِ وَفُودَا^(٣) أَمْ بِالْجُنَيْنَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا^(٤)

(١) كَذَا فِي ح. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «عَلَيْهِمْ».

(٢) التَّكْمِلَةُ عَنْ ح.

(٣) فِي ب، س: «وَفُودَا» بِالْفَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٤) الْجُنَيْنَةُ: رَوْضَةٌ نَجْدِيَّةٌ بَيْنَ ضَرِيَّةٍ وَحِزْنِ بَنِي يَرْبُوعَ. وَالْمَدَافِعُ: مَجَارِي السِّيُولِ. وَأَوْدُ: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ تَمِيمٍ ثُمَّ لَبَنِي يَرْبُوعَ مِنْهُمْ يَنْجِدُ فِي أَرْضِ الْحِزْنِ.

فأقول له: وَنَحَكَ! لا تَرِيدُنِي عَلَى هَذِهِ! فيقول سألته عن أجود شعر أبي وهذه أجود شعره، وقد كان يقدمها على جميعه.

ذهب إلى الشام ونزل على نميري فأكرمه:

حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّار قَالَ حَدَّثَنِي التَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكُفَيْيِّ مِنْ وَلَدِ كَعْبِ مَوْلَى الْحَجَّاجِ قَالَ حَدَّثَنِي فَلَانُ الْعَلَامَةُ التَّمِيمِيُّ يَزُودُهُ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ:

مَا نَدِمْتُ عَلَى هِجَائِي بَنِي نُمَيْرٍ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَإِنِّي خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ فَتَزَلْتُ بِقَوْمِ نَزُولٍ فِي قَصْرِ لَهُمْ فِي ضَيْعَةٍ مِنْ ضِيَاعِهِمْ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْقُصُورِ مَشِيداً حَسَناً وَسَلَّطْتُ عَنْ صَاحِبِهِ فَقِيلَ لِي: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ. فَقُلْتُ: هَذَا شَامٌ وَأَنَا بَدَوِيٌّ لَا يَعْرِفُنِي، فَجِئْتُ فَاسْتَضَفْتُ. فَلَمَّا أُذِنَ لِي وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ عَرَفَنِي فَقَرَأَنِي أَحْسَنَ الْقِرَى لَيْلَتَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جَلَسْتُ، وَدَعَا بَيْتَةً لَهُ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ وَتَرَشَّفَهَا، فَإِذَا هِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً وَلَهَا نَشْرٌ لَمْ أَشَمُّ أَطْيَبَ مِنْهُ. فَتَنَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهَا فَقُلْتُ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ عَيْنِي هَذِهِ الصَّبِيَّةُ وَلَا مِنْ حَوْرِهَا قَطُّ، وَعَوَّذْتُهَا: فَقَالَ لِي: يَا أَبَا حَزْرَةَ، أَسَوْدَاءُ الْمَحَاجِرِ^(١) هِيَ؟ فَذَهَبْتُ أَصِفُ طِيبَ رَائِحَتِهَا. فَقَالَ: أَصَنُّ وَيَرُّ هِيَ^(٢)؟ فَقُلْتُ: يَزَحْمُكَ اللَّهُ! إِنَّ الشَّاعِرَ لَيَقُولُ، / وَوَاللَّهِ لَقَدْ سَاءَنِي مَا قُلْتُهُ، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ بَدَأَنِي فَأَنْتَصَرْتُ، وَذَهَبْتُ أَعْتَذِرُ. [٨٤/٨] فَقَالَ: دَعْ ذَا عَنكَ أَبَا حَزْرَةَ، فَوَاللَّهِ مَا لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا تَحِبُّ. قَالَ: وَأَحْسَنَ وَاللَّهِ إِلَيَّ وَزَوْدَنِي وَكَسَانِي، فَأَنْتَصَرْتُ وَأَنَا أُنَدِمُ النَّاسَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنِّي إِلَى قَوْمِهِ.



كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه بحاج بقصيدته السينية:

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُلْقَمَةَ الثَّقَفِيُّ قَالَ:

كَانَ الْمَفْضَلُ يَقْدُمُ الْفَرَزْدَقَ، فَأَنْشَدْنَاهُ قَوْلَ جَرِيرٍ:

حَيَّ الْهَدْمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ فَالْحِنُوْ أَصْبَحَ قَفْرًا غَيْرَ مَانُوسٍ^(٢)

/ وَقُلْتُ أَنْشَدْنِي لغيره مثلها فسكت. قَالَ: وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ إِذَا أَنْشَدَهَا يَقُولُ: مِثْلَهَا فَلْيَقُلْ أَبْنُ اللَّخْنَاءِ. رثاء الفرزدق ابن أخيه وجريه ابنه:

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُسَاحِقِيِّ عَنِ الْمُحَرَّرِ^(٣) بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

(١) يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير:

وخضرء المغابن من نمير يشين سواد محجرها النقابا

ويشير بقوله «أصن وبرهي» إلى قول جرير في هذه القصيدة أيضاً:

تطلسى وهي سيئة المعزى بصن الوبر تحبسه ملايا

والوبر: دوية على قدر السور. وصنه بوله، وهو متن جداً. والملايا: الطيب.

(٢) الهدملة والمواعيس والحنو مواضع.

(٣) كذا في حو «شرح القاموس» والخلاصة في أسماء الرجال، وهو المحرر بن أبي هريرة الدوسي، تابعي. وفي الأصول: «المحرر» بالزاي وهو تصحيف.

إني لفي عسكر سليمان بن عبد الملك وفيه جرير والفرزدق في غزاة، إذ أتانا الفرزدق في غداة، ثم قال،
اشهدوا أن محمد ابن أخي^(١)، ثم أنشأ يقول:

فَيْتُ^(٢) بِدَيْرِي أَرْيَحَاءَ^(٣) بَلِيلَةٍ / أَكَابِدُ فِيهَا نَفْسَ أَقْرَبِ مَنْ مَشَى
أَبُوهَ بِأَمٍّ غَابَ عَنْهَا نِيَامُهَا^(٤) / وَكُنَّا نَرَى مِنْ غَالِبٍ فِي مُحَمَّدٍ
شَمَائِلَ تَغْلُو الْفَاعِلِينَ كِرَامُهَا / وَكَانَ ذَا مَا حَلَّ أَرْضاً تَزَيَّنَتْ
بَزَيَّتِهَا صَحْرَاؤُهَا وَإِكَامُهَا / سَقَى أَرْيَحَاءَ الْغَيْثُ وَهِيَ بَغِيضَةٌ
إِلَيْنَا وَلَكِنْ بِي لُتْسَقَاهُ هَامُهَا^(٥)

[٨٥/٨]

قال: ثم أنصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه؛ وما أبْنُ أخيه فعل الله به وفعل!
قال: ومضى جرير، فوالله ما لبثنا إلا جُمعاً حتى جاءنا جرير فقام مقامه ونعى ابنه سَوَادَةً فقال:

أَوْدَى سَوَادَةً يَجْلُو مُقْلَتِي لَحْمٍ / بَاذٍ يَصْرُصِرُ فَوْقَ الْمَرْبَأِ الْعَالِي
فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي / وَحِينَ صِرْتُ كَعْظَمِ الرُّمَّةِ الْبَالِي
إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالذَّيْرَيْنِ بَاكِيَةٌ / فَرُبَّ بَاكِيَةٍ بِالرَّمْلِ مِغْوَالٍ
قَالُوا نَصِييَكَ مِنْ أَجْرِ فَقُلْتُ لَهُمْ / كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا:

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن شطام بن قيس على حُكْمِ أبيها، فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على
الحجاج يسأله ذلك؛ فعذله وقال له: أتزوج امرأة على حكمها! فقال عَبَسَةُ بن سعيد وأراد نفعه: إنما هي من
خَوَاشِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فأمر له الحجاج بها. فوثب جرير فقال:

يَا زَيْقُ قَدْ كُنْتَ مِنْ شَيْبَانٍ فِي حَسَبٍ / يَا زَيْقُ وَيَحَكَ مَنْ أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ
/ أَنْكَحْتَ وَيَحَكَ قَيْنًا بِاسْتِهِ حَقَمٌ / يَا زَيْقُ وَيَحَكَ هَلْ بَارَتْ بِكَ الشُّوقُ

[٨٦/٨]

(١) هكذا في الأصول. وهنا يشعر القارئ بنقص في الكلام لم نوفق لتكميلته.

(٢) كذا في ديوان الفرزدق «طبع أوربا». وفي الأصول: «بتنا». وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها الفرزدق محمداً ابن أخيه الذي مات
بالشام. ومطلع القصيدة في الديوان: البيت الآتي.

سقى أريحاء الغيث وهي بغیضة

(٣) أريحا: (بفتح أوله وكسر ثانيه وسكون الياء مقصوراً، وقد تحرك ياءه ويمد في الشعر): مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام
(راجع «معجم البلدان» لياقوت و«معجم ما استعجم» للبكري). وخدارية: شديدة الظلمة.

(٤) يريد أكابد فيها نفس عزيز عليّ أبوه أقرب الناس إليّ. وورد هذا الشعر في الديوان:

أبوه لنفسه مات عني نيامها

(٥) كذا في حد و«الديوان». وفي سائر الأصول: «بي لتسقاء هامها» وهو تحريف.

غاب المثنى^(١) فلم يشهدنِجِكمَا^(٢) والحوَفَزَانُ^(٣) ولم يشهدك مفروق^(٤)
يا رُبَ قاتلةٍ بعد البناء بها لا الصُّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ
أين الألى استنزلوا النُّعْمانَ صاحبةً أم ابنُ أبناءِ شَيْبَانَ الغَرَانِيقُ^(٥)
وقال: فلم يُجِبْهُ الفرزدقُ عنها. فقال جريرٌ أيضاً:

فلا أنا مُعْطِي الحَكَمِ عن شِفِّ^(٦) مَنْصِبٍ ولا عن بَنَاتِ الحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبُ
وهُنَّ^(٧) كماءُ المَزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى وكانت مِلَاحاً^(٨) غَيْرَهُنَّ^(٩) المَشَارِبُ
فلو كنتَ حُرّاً كان عَشْراً سِياقُكم^(١٠) إلى آلِ زَيْقٍ والوَصِيفُ المُقَارِبُ^(١١)

/ فقال الفرزدق:

فَنَلْ مِثْلَهَا^(١٢) مَنْ مِثْلُهُمْ ثُمَّ لَمْهُمُ على دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
/ هُمْ زَوَّجُوا قِبْلِي لَقِيطاً وَأَنْكَحُوا ضِرَّاراً وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاسِبِ
ولو قَبِلُوا مِنِّي عَطِيطَةً سُقَّتْهُ إلى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا إِذَا لَنَكْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ

قال ابنُ سَلَامٍ فحدثني الرَّازِيُّ عن أبيه قال: ما كانت امرأةٌ من بني حَنْظَلَةَ إِلَّا تَرْفَعُ لجريرِ اللَّوِيَّةِ في عَظَمِهَا لِطَرْفِهِ بها لقوله:

وَهُنَّ كَمَاءٌ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ المَشَارِبُ

فقلتُ للرَّازِي: ما اللَّوِيَّةُ؟ قال: الشَّرِيحةُ من اللحم، أو الفِذْرَةُ^(١٣) من التمر، أو الكُبَّةُ من الشحم، أو الحَفْنَةُ من الأقط؛ فإذا ذهب الألبانُ وضاعت المعيشةُ كانت طُرْفَةٌ عندهم.

(١) يريد المثنى بن حارثة الشيباني أحد قواد الإسلام وهو الذي فتح سواد العراق وقتل يوم الجسر في وقعة بين المسلمين والعجم في أيام عمر رضي الله عنه.

(٢) كذا في حو «التقاضي». وفي ب، س: «بجبكما» وفي م، أ، و: «مجبكما» وكلاهما تحريف.

(٣) الحوفزان: اسم الحارث بن شريك الشيباني، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه بأعجله. وقال ابن سيدة: سمي بذلك لأن قيساً التميمي حفزه بالرَّمح حين خاف أن يفوته فخرج من تلك الحفزة فسمي لحوفزان.

(٤) مفروق: هو النعمان بن عمرو الشيباني.

(٥) الغرائيق: جمع غرنوق - وفيه لغات أخرى - وهو الشاب الناعم الجميل.

(٦) الشف هاهنا: التقصان، وقد يكون الشف الفضل والزيادة.

(٧) في «التقاضي»: «أراهن ماء المزن».

(٨) ملاح: جمع ملح وهو ضد العذب. وفي ب، س: «بينهن المشارب» وهو تحريف.

(٩) السياق: المهر. سمي المهر بذلك لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأنها كانت الغالبة على أموالهم.

(١٠) المقارب: الدون، وقيل: هو الوسط بين الجيد والردىء.

(١١) الشطر الأول من بيت والشطر الثاني عجز بيت آخر. والبيتان كما في التقاضي هما:

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم على دارميٍّ بين ليلَى وغَالِبِ
فَنَلْ مِثْلَهَا من مثلهم ثم لمهم بمالك من مال مراح وعازب

(١٢) الفذرة: القطعة.

قال: وقال جرير أيضاً في شأن حذراء:

أثائرة حذراء مَنْ جُرَّ بِالنَّقا وهل لأبي حذراء في الوثر طالسب
أثأرُ بسطاماً إذا أبتلتِ أسُها وقد بَوَلَّتْ في مِسْمَعِيهِ الثعالب^(١)

قال ابن سلام: والثَّقَا الذي عناه جرير هو الموضع الذي قُتِلَتْ فيه بنو ضَبَّةِ بسطاماً، وهو بسطام بن قيس. قال: فكرهت بنو شيبان أن يَهْتِكَ جرير أعراضهم. فلما أراد الفرزدق نقل حذراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت. فقال جرير:

فأُقْسِمُ ما ماتت ولكتما ألتوى بحذراء قوم لم يروك لها أهلا
راؤا أن صهر القيس عارٌ عليهم وأن لبسطام على غالب فضلاً

[٨٨/٨] / مدح قوم عادوه في مرضه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا ابن أبي سغد قال حدثنا محمد ابن إدريس اليمامي قال حدثنا علي بن عبدالله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جده قال:

دخلنا على جرير في نفرٍ من قريش نعوذه في عِلته التي ماتت فيها، فالتفت إلينا فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زينوا حَسبي وإن مَرِضْتُ فهم أهلي وعوادي
إن تَجِرَ طَيْرٌ بأمر فيه عافية أو بالفراق فقد أَحْسِثُم زادي
لو أن ليشاً أبا شبلين أو عَدَنِي لم يُسَلِّمُونِي ليلِ الغابة العادي

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو جناح أحد بني كعب بن عمرو بن تميم قال:

نُعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبدالله وجرير عنده فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدَّعُته ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

فقال له المهاجر: بشَّ لَعَمْرُ اللَّهِ ما قلتَ في ابن عمك! أتَهجو ميتاً! أما والله لو رَأَيْتَهُ لَكُنْتَ أَكْرَمَ العرب وأشعرها. فقال: إن رأى الأمير أن يَكْتُمَهَا علي فإنها سَوَاءٌ؛ ثم قال من وقته:

فلا وَضَعْتُ بعد الفرزدق حامل ولا ذات بَغْلٍ من نَفَاسٍ تَعَلَّتِ^(٢)

/ هو الوافد الميمون والرائقُ الشَّاي^(٣) إذا النعل يوماً بالعشيرة زَلَّتِ

٧٧
٧

[٨٩/٨] / قال: ثم بكى ثم قال: أما والله إنِّي لأعلم أنَّي قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً وكل واحد منا مشغول

(١) كناية عن أنه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه.

(٢) تعلت المرأة من نفاسها: برئت منه وخرجت.

(٣) الشَّاي: الفتق والفساد.

بصاحبه، وقلما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتاً آخر، ولم يقل غيرهما وإنما أضيف إلى ما قاله.

قصود

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رَحَلَ الْخَلِيطُ جِمَالَهُمْ بِسَوَادٍ وَحَدَا عَلَى إِثْرِ الْبَخِيلَةِ حَادِي
مَا إِنْ شَعَسَزْتُ وَلَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغَرَابَ يُنَادِي
الشعر لجميل. والغناء لإبراهيم، ولحنه المختار من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى.



مركز تحقيقات اللغة والأدب العربي

/ نسب جميل وأخباره

[٩٠/٨]

هو جميل بن عبدالله^(١) بن معمر بن الحارث^(٢) بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن^(٣) بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة^(٤) بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد - وهو هذيم، وسمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه - ابن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. والنسابون مختلفون في قضاة، فمنهم من يزعم أن قضاة ابن معد وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه، وهي معانة بنت جوسم^(٥) بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دُب بن جُرهم؛ ومنهم من يزعم أنهم من حمير. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معدّيًا فقال:

أنا جميل في السنام من معد
وقال راجز من قضاة ينسبهم إلى حمير:

قضاة الأثرون خير مغشّر
قضاة بن مالك بن حمير

ولهم في هذا أراجيز كثيرة. إلا أن قضاة اليوم تنسب كلها في حمير، فتزعم أن قضاة ابن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب / بن قحطان. وقال القحذمي: اسم سبأ عامر؛ وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء. وكان يقال له عب الشمس^(٦)، أي عدل الشمس؛ سمي بذلك لحسنه. ومن زعم من هؤلاء أن قضاة ليس ابن معد ذكر أن أمه عكيرة^(٨) (أمرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخلفه عليها معد بن عدنان، فولدت قضاة على فراشه. وقال: مؤرّج بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً الصقوه به ليصححوا هذا القول، وهو:

يأيها الداعي ادعنا وأبشّر
وكن قضاة عينا ولا تنزّر

(١) في الشعر والشعراء: «وقد يقال فيه جميل بن معمر بن عبدالله».

(٢) في تهذيب تاريخ ابن عساكر و «ابن خلكان» و «شرح القاموس» (مادة صبح): «صباح» بدل الحارث.

(٣) كذا في ابن خلكان: وفيه «... ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام... إلخ». وفي حد: «خيرى» ويؤيده ما في «شرح القاموس» (مادة خبر) حيث قال: «وجميل بن معمر بن خيرى العذري الشاعر المشهور». وهو محرف في سائر الأصول.

(٤) كذا في «شرح القاموس» (مادة صن). وفي الأصول «ضبة» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٥) في «الطبري» ق ١ ص ٦٧٥ طبع أوروبا: «جرشم» وفي نسخة أشير إليها بهامشه: «جوشم».

(٦) الحصدة: القوية.

(٧) عب الشمس (بالتخفيف والتشديد): ضوءها.

(٨) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (ح ١ ص ٣١٥) بعد ما ذكر خلاف بعض النسابة في قضاة ما نصه: «قال السهيلي: إن أم قضاة (وهي جكرة) مات عنها مالك بن حمير وهي حامل فتزوجها بعده بعد معد بن عدنان فولدت قضاة على فراشه فتبناه فنسب إليه».

قضاعَةُ الْأَثَرُونَ خَيْرٌ مَغْشَرٍ قضاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ

٧٨
٧

* / النسبُ المعروف غير المُتَكَرَّر *

قال مؤرِّج: وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية. وشعراء قُضَاعَة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي إلى مَعَد. قال جميل:

وَأَيُّ مَعَدٍّ كَانَ فَنِيءٌ^(١) رِمَاحِهِمْ كَمَا قَدْ أَفَانَا وَالْمُفَاخِرُ مُنْصِفٌ

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ:

وَإِذَا مَعَدٌّ أَوْقَدَتْ نِيرَانَهَا لِلْمَجْدِ أَغْضَتْ عَامِرٌ وَتَضَعَعُوا

كان راوية هُدْبَة بن خشرم وكان كثير راويته:

وجميل شاعر فصيح مقدّم جامع للشعر والرواية، كان راوية هُدْبَة بن خَشْرَم، وكان هُدْبَة شاعراً راويةً لِلْحَطِيطَةِ، وكان الحطيط شاعراً راويةً لَزُهَيْرِ وأبنة. وقال أبو مُحَلَّم: آخِرُ مَنْ أَجْتَمَعَ لَهُ الشَّعْرُ وَالرَّوَايَةُ كَثِيرٌ، وَكَانَ رَاوِيَةً جَمِيلٍ، وَجَمِيلٌ رَاوِيَةً هُدْبَةَ، وَهُدْبَةُ رَاوِيَةً الْحَطِيطَةِ، وَالْحَطِيطَةُ رَاوِيَةً زُهَيْرٍ.

[٩٢/٨]

/ نسب بثينة عشيقته:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِيِّ قال: كان جميلٌ يَهُوَى بُثَيْنَةَ بِنْتَ حَبَّاءَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَلْهُوْذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْبَبِّ بْنِ حُنَّ بْنِ رَبِيعَةَ [تلقني هي وجميل في حنّ من ربّيعَة^(٢)] في النسب.

كان كثير راويته يقدمه على نفسه:

حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أبو دُلَفِّ الخُزَاعِي قالَا حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي أَبِي الزُّنَادِ قَالَ:

كَانَ كَثِيرٌ رَاوِيَةً جَمِيلٍ، وَكَانَ يَقْدِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَّخِذُهُ إِمَامًا، وَإِذَا سِئِلَ عَنْهُ قَالَ: وَهَلْ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَسْمَعُونَ إِلَّا مِنْهُ!

أخبرني محمد بن مَرْزُوقٍ عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ صَبَاحِ بْنِ خَاقَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ:

كَانَ كَثِيرٌ إِذَا ذُكِرَ لَهُ جَمِيلٌ قَالَ: وَهَلْ عَلَّمَ اللَّهُ مَا تَسْمَعُونَ إِلَّا مِنْهُ!

مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه:

أخبرني الحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عِمْرَانَ عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ نَصِيبِ مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ:

قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِهَا بِالشَّعْرِ، فَقِيلَ لِي: الْوَلِيدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سِنَانَ الْأَسْلَمِيِّ، فَوَجَدْتُهُ بِشُعْبِ سَلْعٍ^(٣) مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ. فَإِنَّا لَجُلُوسٌ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ طَوِيلٌ بَيْنَ الْمَنَكِبَيْنِ

(١) الفية: الغنيمة.

(٢) التكملة عن تجريد الأغاني.

(٣) سلع: موضع بقرب المدينة.

طَوَالَ^(١) يقود راحلةً عليها بزةٌ حسنة. فقال عبدالرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزهر: يا أبا جُبَيْر^(٢)، هذا جميلٌ، فأدعه لعله أن يُنشدنا. فصاح به عبد الرحمن: هَيَّا جميلٌ هَيَّا جميل!

[٩٣/٨] / فالتفت فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا عبدالرحمن بن أزهر. فقال: قد علمتُ أنه لا يجترىء عليّ إلا مثلك. فأتاه فقال له أنشدنا، فأنشدهم:

نحنُ مَنَعْنَا يَوْمَ أَوَّلِ^(٣) نساءنا
ويومَ رَكَايَا ذِي الجِذَاةِ^(٤) ووقعةٍ
يُحِبُّ العَوَانِي اليَاضُ ظِلُّ لَوَانَا
نَسِيرُ أَمَامَ النَّاسِ وَالنَّاسُ خَلْفَنَا
فَأَيُّ مَعَدٍّ كَانَ قَيِّءٌ رِمَاحِهِ
وَكُنَّا إِذَا مَا مَغْشَرُ نَصَبُوا لَنَا^(٥)
وَضَعْنَا لَهُمْ صَاعَ القِصَاصِ رَهِينَةً
/ إِذَا أَسْتَبَقَ^(٦) الْأَقْوَامُ مَجْدًا وَجَدْتَنَا

٧٩
٧

قال: ثم قال له: أنشدنا هزجا. قال: وما الهزج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده - قال الزبير: لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين، وأنشدنا باقيها بَهْلُول بن سليمان بن قُرْضَاب البَلَوِيّ -.

[٩٤/٨]

رَسَمِ^(٧) دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلَةٍ
مُوحِشاً مَا تَرَى بِهِ أَحَدًا تَدَّ
كَدْتُ أَقْصِي الغَدَاةِ^(٨) مِنْ جَلَلَةٍ
تَسِجُ الرِّيحُ تُرَبُّ مُغْتَدِلَةٍ
عَارِمَاتِ المَدَبِ فِي أَسَلَةٍ^(٩)

(١) هذه الكلمة «طوال» ساقطة في ب، س.

(٢) كذا في حـ والخلاصة في أسماء الرجال. وفي سائر الأصول: «يا أبا جبر» وهو تصحيف.

(٣) أول: واد بين الفيل وأكمة على طريق اليمامة إلى مكة (كما في «معجم البلدان» لياقوت). وفي ب، س: «يوم أول» بالراء وهو تحريف.

(٤) قال ياقوت: أقي: موضع في شعر نصيب، واستشهد بهذا البيت.

(٥) كذا في «معجم ما استمعجم» للبكري ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وذو الجذاة: موضع. وفي ب، س: «ذو الجذاة» بالحاء والدال المهملتين. وفي سائر الأصول: «ذو الجذاة» بالجيم، وكلاهما تصحيف. وركايا: جمع ركية، وهي البثر ذات الماء.

(٦) كذا في «معجم ما استمعجم» للبكري في الكلام على بيان ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وبنيان: موضع. وقد ورد محرفاً في الأصول.

(٧) في «منتهى الطلب في أشعار العرب» لمحمد بن المبارك (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٣ أدب ش): «جحفوا بنا».

(٨) في الكتاب السابق: «إذا انتهب الأقوام... إلخ».

(٩) رسم دار أي رب رسم دار إلخ.

(١٠) في ب، س: «أقصى الحياة». وهي رواية في البيت. ومن جلله: من أجله، أو من عظمه في عيني.

(١١) ورد هذا البيت في جميع الأصول بصور مختلفة وكلها محرفة، وقد صححناه عن شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطي طبع فارس. =

بين عليّاء وإبش فبلي^(١) واقفاً في ديار أم جسي^(٢)
 يا خليلي إن أم جسي^(٣) روضة ذات حنوة وخزامى
 بينما هن بالآراك معاً فتأطرن ثم قلن لها
 فقللنا بنعمة وأتكانا^(٤) / قد أضون الحديث دون خليل^(٥)
 غير ما بغضة ولا لآجتباب غير أني ألخت من وجلة^(٦)
 وخليل صاقت^(٧) مُرتضياً^(٨) لا أخاف الأداة من قبله
 غير أني ألخت من وجلة^(٩) وخليل فارقته من ملله

[٩٥/٨]

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً. فقال ابن الأزهري: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حسان: نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيه. فقال عبدالرحمن بن الأزهري: صدقت. قال نصيب: وأنشدت الوليد فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، والله ما زاد عليها. فقلت: يا أبا مخجن، أفرضيت منه بأن تكون أشعر السودان؟ قال: وددت والله يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل، ولست بكاذبك.

كان صادق الصباة وكان كثير يقول:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

كان لكثير في النسيب حظاً وافراً وجميل مقدّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثير رواية

= والشام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص. والعارمات: القوة الشديدة. والمدب: مجرى السيل. والأسل: نبات له أغصان كثيرة، واحده أسلة.

(١) كذا في حدو «معجم ما استعجم» و «شرح شواهد المغني». وإبش: واد أو جبل بين وادي القرى والشام. وفي سائر الأصول: «رائس». ويلى: تل قصير أسفل حافة بينها وبين ذات عرق. والغميم: موضع بالحجاز.

(٢) كذا في حدو. وأم جسي: أخت بثينة صاحبة جميل. وفي سائر الأصول: «أم حسين» وهو تحريف.

(٣) قال في «خزانة الأدب». والغلل داء. وقال العيني: هو الماء بين الأشجار. وفي «اللسان» أن من معاني الغلل العطش وحرارته.

(٤) الحنوة: نبات سهلي طيب الريح. والسبل: المطر.

(٥) التأطر: التثني. والنزل (بضم نين): ما يهيا للضيف أن ينزل عليه.

(٦) اتكأنا: قال ابن قتيبة: معناه طعمنا وأكلنا، من قوله تعالى: «وأعادت لهن مأكلاً» أي طعاماً أو مجلس طعام؛ فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً، ولذلك نهى عنه.

(٧) في «خزانة الأدب» للبهدادي و «شرح شواهد المغني»: «دون أخ».

(٨) في «شرح شواهد المغني» و «خزانة الأدب»:

غير بغض له ولا ملق غير أني أشحت من وجله

(٩) كذا في حدو. وصاقت: قاربت. وفي سائر الأصول: «صافيت».

(١٠) كذا في «شرح شواهد المغني». وفي الأصول: «مرتقباً».

جميل، وكان جميل صادق الصّباة والعشق، ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سليل
قال: ورأيت من يفضل عليه بيت جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي
[٩٦/٨] / قال ابن سلاّم: وهذا البيت الذي لكثير أخذه من جميل حيث يقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى على كلّ مرّقب

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فردّ عليه بمثله:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار عن محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عمران عن محمد بن عبدالعزيز عن أبي شهاب عن طلحة بن عبدالله بن عوف قال:

لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط^(١) وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سليل
يعرض له بسرقة من جميل. فقال له كثير: وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول:

ترى الناس ما سرّنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

- قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرّقه الفرزدق - فقال الفرزدق لكثير: هل كانت أمك مرّت بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أبي، فكان نزيلاً لأمك^(٢). قال طلحة بن عبدالله: فوالذي نفسي بيده لعجبت من كثير وجوابه، وما رأيت أحداً قطّ أحقّ منه، رأيتني دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به، فقلنا: كيف تجدك يا أبا صخر؟ قال: بخير، أما سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلنا: نعم، يتحدثون أنك الدجال. فقال: والله لئن قلت ذلك لاني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام.

[٩٧/٨] / كان كثير يفضل على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره:

أخبرني الحرّمي قال حدّثنا الزُّبير قال كتب إليّ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدّثني أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال:

كان أبو صخر كثير صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلّما استنشدتُه إلّا بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضل ويأخذ إماماً.

قال الزبير وكتب إليّ إسحاق يقول حدّثني صباح بن خاقان عن عبدالله بن معاوية بن عاصم بن المُنذر بن الزُّبير قال:

(١) البلاط: موضع معروف بالمدينة.

(٢) في حد: «هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال لا، ولكن أبي كان كثيراً ما يردّها».

ذَكَرَ جَمِيلٌ لكَثِيرٍ، فَقَالُوا: مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ: مِنْهُ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الزُّهْرِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ الْكُوفِيِّ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ قَالَ:

سَأَلْتُ نُصَيْبًا: أَجْمِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ؟ فَقَالَ: أَنَا سَأَلْتُ كَثِيرًا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَهَلْ وَطَأَ لَنَا النَّسِيبَ إِلَّا جَمِيلًا!

قَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ وَقَالَ إِسْحَاقُ حَدَّثَنِي السَّعِيدِيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ النَّهْدِيِّ قَالَ:

جَلَسَ إِلَيْنَا نُصَيْبٌ فَذَكَرْنَا جَمِيلًا، فَقَالَ: ذَلِكَ إِمَامُ الْمُحِبِّينَ، وَهَلْ هَدَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا تَرَى إِلَّا بِجَمِيلٍ.

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ قَالَ: مَا أَسْتَشْدْتُ كَثِيرًا قَطُّ إِلَّا بِدَا بِجَمِيلٍ وَأَنْشَدَنِي لَهُ ثُمَّ أَنْشَدَنِي بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ، وَكَانَ يَفْضُلُهُ وَيَتَّخِذُهُ إِمَامًا.

أَوَّلُ عَشْقِهِ بَشِينَةُ:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي بُهْلُولُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ قِرْضَابِ الْبَلَوِيِّ قَالَ:

/ كَانَ جَمِيلٌ يَنْسُبُ بِأُمِّ الْجُسَيْرِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا عَلِقَ بِبَشِينَةَ أَنَّهُ أَقْبَلَ يَوْمًا بِإِبِلِهِ حَتَّى أَوْرَدَهَا وَادِيًا يُقَالُ لَهُ [٩٨/٨] بَغِيضٌ^(١)، فَاضْطَجَعَ وَأَرْسَلَ إِبِلَهُ مُضْعِدَةً، وَأَهْلُ بَشِينَةَ بِذَنْبِ الْوَادِي؛ فَأَقْبَلَتْ بِشِينَةُ وَجَارَةً لَهَا وَارْدَتَيْنِ الْمَاءَ، فَعَرَّتَا عَلَى فَصَالٍ لَهُ بَرْوَكٍ فَعَرَمْتَهُنَّ^(٢) بِشِينَةَ - يَقُولُ: نَفَرْتَهُنَّ - وَهِيَ إِذْ ذَاكَ جُوَيْرِيَةُ صَغِيرَةٌ؛ فَسَبَّهَا جَمِيلٌ، فَأَفْتَرَتْ عَلَيْهِ، فَمَلَحَ إِلَيْهِ سَبَابُهَا / فَقَالَ:

٨١
V

وَأَوَّلُ^(٣) مَا قَادَ الْمَوْدَةَ بَشِينَةَ بِوَادِي بَغِيضٍ يَا بُشَيْنَ سَبَابُ

وَقَلْنَا لَهَا قَوْلًا فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُشَيْنَ جَوَابُ

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ نُبَيْهِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْعُدْرِيِّ - وَكَانَتْ بِشِينَةُ عِنْدَ أَبِيهِ نُبَيْهِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَإِيَّاهُ يَعْنِي جَمِيلٌ بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ أَنْكَحُوا جَهْلًا نُبَيْهَا ظَعِينَةً لَطِيفَةً طَيِّ الْكَشْحِ ذَاتَ شَوَى خَذَلٍ^(٤)

- قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي أَيْضًا الْأَشْبَاطُ بْنُ عِيسَى بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعُدْرِيِّ أَنَّ جَمِيلًا بَنَ مَعْمَرَ خَرَجَ فِي يَوْمِ عِيدٍ وَالنِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ يَتَزَيَّنُّ وَيَبْدُو بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ وَيَبْدُونَ لِلرِّجَالِ، وَأَنَّ جَمِيلًا وَقَفَ عَلَى بُشِينَةَ وَأَخْتَهَا أُمِّ الْجُسَيْرِ فِي نِسَاءٍ مِنْ بَنِي الْأَكْحَبِ وَهِيَ بَنَاتُ عَمِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قُطَيْبَةَ أَخِي أَبِيهِ لَحَا^(٥)، فَرَأَى مِنْهُنَّ مَنْظَرًا وَأَعْجَبَنَّهُ وَعَشِقَ بُشِينَةَ وَقَعَدَ / مَعَهُ، ثُمَّ [٩٩/٨] رَاحَ وَقَدْ كَانَ مَعَهُ فِتْيَانٌ مِنْ بَنِي الْأَكْحَبِ، فَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ عَرَفُوا فِي نَظَرِهِ حُبَّ بُشِينَةَ وَوَجَدُوا عَلَيْهِ، فَرَاحَ وَهُوَ يَقُولُ:

(١) فِي ح: «بَغِيضٌ» بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ.

(٢) كَذَا فِي ح. وَعَرَمْتَهُنَّ: أَصَابَتْهُنَّ بِشَرِّ وَأَذَى. وَفِي أ، س، م: «فَعَرَمْتَهُنَّ». وَفِي ب، س: «فَعَزَمْتَهُنَّ» وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ.

(٣) فِي ح: «لَأَوَّلُ» وَفِي ب هَكَذَا: «الْأَوَّلُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) كَذَا فِي أ، س، م وَالْخَذَلُ: الْمَمْتَلَى. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «جَذَلٌ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٥) لَحَا: لَازَقًا. يُقَالُ: هُوَ ابْنُ عَمِّ لَحٍ بِالْكَسْرِ فِي التَّكَرُّعِ عَلَى الْإِتِّبَاعِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي لَحَا، بِالنِّسْبِ فِي الْمَعْرِفَةِ عَلَى الْحَالِ. وَالْوَّاحِدُ وَالْإِثْنَانِ وَالْجَمْعُ وَالْمَذْكَرُ وَالْمَوْثُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ. وَشَرْطُهُ الْإِتِّحَادُ فِي الذَّكَوْرَةِ أَوِ الْأُنْثَى. فَلَا يُقَالُ: هُمَا ابْنَا خَالَ لَحٍ، وَلَا ابْنَا عَمَّةٍ لَحٍ لِأَنَّهُمَا مُفْتَرَقَانِ إِذْ هُمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ. وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَمُّ لَحَا وَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْعَشِيرَةِ قُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّ الْكَلَالَةِ وَابْنُ عَمِّ كَلَالَةٍ. (رَاجِعْ «لِسَانُ الْعَرَبِ» مَادَّةَ لَحَج).

عَجِلَ الْفِرَاقُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَغْجَلِ وَجَرَتْ بِوَادِرُ دَمْعِكَ الْمُتَهَلِّلِ
طَرِباً وَشَاقَكَ مَا لَقِيتَ وَلَمْ تَخَفْ يَبْنَ الْحَيِيبُ غَدَاةً بُرْقَةً مِجْوَلِ^(١)
وَعَرَفْتَ أَنَّكَ حِينَ رُحْتَ وَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ الْبَقِيْنُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِمُشْكِلِ
لَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَى بَيْتِنَا رَجْعَةً بَعْدَ التَّفَرُّقِ دُونَ عَامٍ مُقْبِلِ

قال: وإنَّ بَيْتِنَا لَمَّا أُخْبِرْتُ أَنَّ جَمِيلاً قَدْ نَسَبَ بِهَا حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا يَأْتِيهَا عَلَى خَلَاءٍ إِلَّا خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَلَا تَتَوَارَى مِنْهُ، فَكَانَ يَأْتِيهَا عِنْدَ غَفَلَاتِ الرِّجَالِ فَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا وَمَعَ أَخَوَاتِهَا، حَتَّى نُمِيَ إِلَى رَجَالِهَا أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا إِذَا خَلَا مِنْهُمْ، وَكَانُوا أَضْلَافاً غَيْراً - أَوْ قَالَ غِيَارَى - فَرَصَدُوهُ بِجَمَاعَةٍ نَحْوِ مِنْ بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا وَجَاءَ عَلَى الصُّهْبَاءِ^(٢) نَافَتِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَيْتِنَا وَأَمَّ الْجُسَيْرَ وَهَمَا يَحْدِثَانَهُ وَهُوَ يُنْشِدُهُمَا يَوْمَئِذٍ:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنَى هُوِيَّ الْقَطَا يَجْتَزْنَ بَطْنَ دَفِينِ^(٣)
لَقَدْ ظَنَنْتُ هَذَا الْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ لَاقِيَاً سُلَيْمَى وَلَا أُمَّ الْجُسَيْرِ لِحِينِ
فَلَيْتَ رَجَالاً فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بَيْتِنَا لَقُونِي

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِذْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَمَاهُمْ بِهَا فَسَبَقَتْ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا جَمَعَ الْإِنْسَانُ^(٤) جَمْعاً رَمَيْتُهُمْ بِأَرْكَانِهَا حَتَّى تُخْلَى سَبِيلُهَا
فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ سَبَبِ الْمُهَاجَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ قُطَيْبَةَ.

[١٠٠/٨] وَاَعْدَتُهُ بَيْتِنَا فَمَنْعَهَا أَهْلُهَا فَقَرَعَهُ نِسَاءَ الْحَيِّ، وَشَعَرَهُ فِي ذَلِكَ:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا بُهْلُولُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مَشِيخَةٍ مِنْ عُدْرَةِ:

أَنَّ بَيْتِنَا^(٥) وَاعِدَتْ جَمِيلاً أَنْ يَلْتَقِيَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فَأَتَى لَوْعِدَهَا. وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يَسْتَضِيفُ الْقَوْمَ فَأَنْزَلُوهُ وَقَرَّوْهُ؛ فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مُتَفَرِّقِينَ مُتَوَارِينَ فِي الشَّجَرِ، وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكُمْ أَنْ يَسْلُبُوا بَعْضَ إِبْلَكُمْ؛ فَعَرَفُوا أَنَّهُ جَمِيلٌ وَصَاحِبَاهُ، فَحَرَسُوا بَيْتِنَا وَمَنْعُوهَا مِنَ الْوَفَاءِ بِوَعْدِهِ. فَلَمَّا أَشْفَرَ لَهُ الصَّبْحُ أَنْصَرَفَ^{٨٢} كَثِيباً سِوَى الظَّنِّ بِهَا وَرَجَعَ إِلَى / أَهْلِهِ؛ فَجَعَلَ نِسَاءَ الْحَيِّ يَقْرَعُنَّهُ بِذَلِكَ وَيَقْلُنَ لَهُ: إِنَّمَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالْغَدْرِ، وَغَيْرُهَا أَوْلَى بِوَصْلِكَ مِنْهَا، كَمَا أَنَّ غَيْرَكَ يَحْظَى بِهَا. فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

(١) كَذَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» لِيَاقُوتَ وَ«شَرْحِ الْقَامُوسِ»، وَذَكَرَ شَارِحُ الْقَامُوسِ أَنَّهُ مَوْضِعٌ. وَفِي الْأَصُولِ: «بُرْقَةٌ مُحُولٌ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ.

(٢) فِي جَدِّ: «الشَّهْبَاءُ».

(٣) دَفِينٌ: أَسْمٌ مَوْضِعٌ كَمَا فِي «شَرْحِ الْقَامُوسِ» (مَادَّةُ دَفَنٍ).

(٤) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنِ الشَّنَانِ وَهُوَ الْبَغْضُ وَالْعَدَاوَةُ.

(٥) وَرَدَّ هَذَا الْخَبَرُ فِي أ، س، م، ح هَكَذَا: «... عَنْ مَشِيخَةٍ مِنْ عُدْرَةِ وَبَلَى أَنْ رَهَطَ بَيْتِنَا نَذَرُوا دَمَ جَمِيلٍ وَسَمِعُوا أَنَّهُ قَدْ أَمْسَى بِوَادِي الْقُرَى وَهُوَ يَرِيدُ طَرِيقَ مَكَّةَ فَخَرَجَ مِنْهُمْ رُكْبَانٌ فَتَقَدَّمُوا فَوَجَدُوهُ عَلَى مَضِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ بِسَنَدِ الْوَادِي فَأَخَذُوا جَانِبِي الْقُرَى بِأَخْذِهِ السَّيْلِ وَهُوَ يَجْهَدُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ الرَّاحِلَةُ وَالشَّقُّ بَعْضُ إِبْلِكُمْ... إلخ» وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ.

صوت

أُبَيِّنُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجِحِي
وَحُذِي بِحَظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
فَأَجِبْهَا فِي الْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرٍ
حُبِّي بِثِيَّةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي^(١)
فَلَرَبِّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَضَلَّهَا
بِالْجِدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ
فَضْلًا وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي

- الغناء ليحيى المكي ثقبيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه :-

صوت

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ
مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلَبَّاطِلٌ مِمَّا أَحَبُّ حَدِيثِهِ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَازِلِ
لِيُزِلْنَ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلَنِي
وَإِذَا هَوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ

- الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوزاء. وروى حماد عن أبيه في أخبار ابن سريج أن لابن سريج فيه لحنًا ولم يجتسه :-

صَادَتْ فَوَادِي يَا بُيِّنَ جِبَالِكُم
يَوْمَ الْحُجُونِ وَأَخْطَأْتُكَ حَبَائِلِي
مَتَّيْسِي فَلَوْنَتْ مَا مَتَّيْسِي
وَجَعَلْتَ عَاجِلَ مَا وَعَدْتَ كَآجِلِ
وَتَقَاوَلْتُ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي بِهَا
أَحْبَبَ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مِثَاقِلِ
وَأَطْعَمْتَ فِيَّ عَوَاذِلًا فَهَجَرْتَنِي
وَعَصَيْتُ فَيْكَ وَقَدْ جَهَذَنْ عَوَاذِلِي
حَاوَلْتَنِي لِأُبْتُ حَبْلَ وَصَالِكُم
مُنِّي، وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَذَنْ بِفَاعِلِ
فَرَدَدْتُهُنَّ وَقَدْ سَبَعَيْنَ بِهِجْرِكُم
لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بِأَفُوقٍ نَاصِلِ^(٢)
يَعْفَضْنَ مِنْ غِيْظِ عَلَيَّ أَنْامِلًا
وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنَادِلِ
وَيَقْلَسْنَ إِنَّكَ يَا بُيِّنَ بِخَيْلَةٍ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضُنَيْنِ بَاخِلِ

قالوا: وقال جميل في وعد بثينة بالثلاقي وتأخرها قصيدة أولها:

يَا صَاحٍ عَنْ بَعْضِ الْمَلَامَةِ أَقْصِرْ / إِنَّ الْمُئْسَى لِلِقَاءِ أُمِّ الْمِسْوَرِ

فمما يغنى فيه منها قوله:

(١) كذا ورد ترتيب هذه الأبيات في أكثر الأصول. وورد في ب، س تقديم البيت الثاني على الأول. على أن سياق الشعر يقتضي أن يكون البيت الثالث في الوضع مكان الثاني والبيت الثاني مكان الثالث.

(٢) السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمته. والفوق (بالضم): مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وحرفاه زنمته. وناصل: لا نصل له. وفي الأصول: «ناصل» بالضاد المعجمة. والتصويب عن «تجريد الأغاني».

صوت

وكان طارقها على علل الكرى والنجم وفناً قد دنا لتغور
يشتاف^(١) ریح مُدَامَةٍ معجونة بذكي منك أو سحيق العنبر
[١٠٢/٨] / الغناء لابن جامع ثقیلاً أول بالنصر من رواية الهشامي. وذكر عمرو بن بانة أنه لابن المكي.
ومما يغني فيه منها قوله:

صوت

٨٣٠ / إنني لأحفظ غيتكم ويسرني / إذ تذكرين بصالح أن تذكرني
ويكون يوم لا أرى لك مرسلاً أو نلتقي فيه علي كاشهر
يا ليتني ألقى المنيّة بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقدر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم فيفتق^(٢) بعض صبابتي وتغري
الغناء لابن مخرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيه يقول:

لو قد تجن كما أجن من الهوى لعدزت أو لظلمت إن لم تغدر
والله ما للقلب من علم بها غير الظنون وغير قول المخبر
لا تحسبي أنني هجرتك طائعا حدثت لعمرك رائع أن تهجري
فلتبكين الباقيات وإن أبخ يوماً بسرّك مغلناً لم أغدر
يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمث يتبع صداي صدك بين الأقبر

صوت

إنني إليك بما وعدت لناظر نظرت الفقيسر إلى الغني المكسر
يعد الديون وليس يتجز موعداً هذا الغريم لنا وليس بمغسر
ما أنت والوعد الذي تعديني إلا كبرق سحابة لم تمطر
قلبي نصحت له فرد نصحتي فمتى هجرتيه فمنه تكثري^(٣)
[١٠٣/٨] / الغناء في هذه الأبيات لسليم رمل عن الهشامي. وفيه قدح طنبري أظنه لجحظة أو لعلبي بن مودة^(٤).
قالوا: وقال في إخلافها إياه هذا الموعد:

(١) يشتاف: يشم.

(٢) في تزيين الأسواق (ص ٤٦): «فأفتق بعد صبابتي».

(٣) أي تكثري من الهجر واستريدي.

(٤) في أ، د، م: «سودة».

صوت

أَلَا لَيْتَ رَعِيانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُيْنَ يَعُودُ
فَنَقَى^(١) كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ قَرِيبُ وَإِذَا مَا تَبْذُلِينَ زَهِيدُ

ويروى .

* وَمَا لَا يَزِيدُ^(٢) بَعِيدُ *

وهكذا يغنى فيه :

الغناء لسليم خفيف ثقيل أول بالوسطى . ومما يغنى فيه من هذه القصيدة :

صوت

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَهَلْ أَلْفَيْنَ فَرْدًا بَيْنَهُ مَرَّةً تَجُودُ لَنَا مِنْ وَدْهًا وَنُجُودُ
عَلَقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِأَنْتَظَارِي وَعَدَهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى . ومما يغنى فيه منها :

صوت

وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرُبْتُ بُضْرَى^(٣) امْصَرَ تُرِيدُ
/ وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى لَزُرْتُكَ فَأَعْدِزْنِي فَدَثُكَ جُدُودُ
خَلِيلِي مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ قَاتِلِي وَدَمَعِي بِمَا قَلْتُ الْغَدَاةَ شَهِيدُ
يَقُولُونَ جَاهِذْ يَا جَمِيلُ بَغْزَوَةَ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

الغناء للغريض خفيف ثقيل من رواية حماد عن أبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إِذَا قَلْتُ مَا بِي يَا بَشِينَةً قَاتِلِي مِنَ الْحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
يَا جَمِيلُ بَغْزَوَةَ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ
وَإِنْ قَلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ

(١) في تزيين الأسواق : «فنبقى» .

(٢) كذا في الأصول . ولعله «ومما لا يزيد» ليستقيم المعنى .

(٣) كذا في «الأمالي» لأبي علي القالي (ج ١ ص ٢٧٢ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) . وفي الأصول : «وقد قربت نضوى» . وقد وردت هذه القصيدة في «الأمالي» باختلاف في تقديم الأبيات وتأخيرها وفي بعض الكلمات .

ألا قد أرى والله أن رُبَّ عُبْرَةٍ إذا الدَّارُ شَطَّثَ بَيْنَنَا سَرُودُ^(١)
 إذا فُكِّرْتُ قالت قد أدركتُ وَدَّه وما ضَرَّني بُخْلِي فكيف أَجُودُ
 فلو تُكْشِفُ الْأَخْشَاءُ صُودَفَ تَحْتَهَا لَبْنَنَةٌ حَبٌّ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
 تُذَكِّرُنِيهَا كُلُّ رِيحٍ مَرِيضَةٍ لها بِالسَّلَاحِ الْقَاوِيَاتِ وَتَيْدُ^(٢)
 وقد تَلْتَقِي الْأَشْأَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وقد تُذَرِّكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

عائته بثينة لشعر قاله فيها :

أخبرني علي بن صالح قال حدَّثني عمر بن شُبَّة عن إسحاق قال :
 لقي جميلٌ بثينةً بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدَّتُهُ، فتعابتا طويلاً فقالت له : وَيَحْكُ يا جميل ! أنزعِم أنك
 تَهْوانِي وأنت الذي تقول :

رَمَى اللهُ فِي عَيْنِي بُثَيْنَةَ بِالْقَذَى وفي الْغُرِّ من أَنْبَاهَا بِالْقَوَادِحِ !
 فَأَطْرَقَ طَوِيلاً يَبْكِي ثم قال : بل أنا الْقَانِلُ :

أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصُمُّ تَقْوُدُنِي بثينةُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا
 [١٠٥/٨] / فقالت له : وَيَحْكُ ! ما حملك على هذه الْمُنَى ! أَوَلَيْسَ فِي سَعَةِ الْعَافِيَةِ ما كَفَانَا جَمِيعاً .

نَجَسَ أَبُوهُمَا وَأَخُوها كَلَامَهُ مَعَ بُثَيْنَةَ فَلَمْ يَرِ بِرِيَّةٍ :

قال إسحاق وحدَّثني أَيُّوبُ بن عَبَّادٍ قال :

سَعَتْ أُمَةٌ لِبُثَيْنَةَ بِهَا إِلَى أَبِيهَا وَأَخِيهَا وَقَالَتْ لَهَا : إِنْ جَمِيلاً عِنْدَهَا اللَّيْلَةُ ؛ فَاتِيَاها مُشْتَمِلِينَ عَلَى سَيْفِينَ ، فَرَأَاهُ
 جَالِساً حَجْرَةً مِنْهَا يَحْدِثُهَا وَيَشْكُو إِلَيْهَا بَتَّةً ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا بُثَيْنَةَ ، أَرَأَيْتِ وُدِّي إِيَّاكَ وَشَغَفِي بِكَ أَلَا تَجْزِينِيهِ ؟ قَالَتْ :
 بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا جَمِيلُ ، أَهَذَا تَبْغِي ! وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي بَعِيداً مِنْهُ ، وَلِئِنْ
 عَاوَدْتَ تَعْرِضاً بِرِيَّةٍ لَا رَأَيْتُ وَجْهِي أَبَدًا . فَضَحِكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ لَكَ هَذَا إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ فِيهِ ، وَلَوْ عَلِمْتُ
 أَنَّكَ تُجِيبِينَنِي إِلَيْهِ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ تُجِيبِينَ^(٣) غَيْرِي ، وَلَوْ رَأَيْتُ مِنْكَ مُسَاعَدَةً عَلَيْهِ لَضَرَبْتُكَ بِسَيْفِي هَذَا مَا أَسْتَمْسَكَ فِي
 يَدِي ، وَلَوْ أَطَاعَنِي نَفْسِي لَهَجَرْتُكَ هَجْرَةَ الْأَبَدِ ؛ أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلِي :

وإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ
 بَلًا وَبَأَن لَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ
 وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

٨٥/٧ قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بِنَا ، فَمَا يَنْبَغِي لَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ نَمْنَعَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ لِقَائِهَا ، / فَأَنْصَرَفَا وَتَرَكَاهُمَا .

(١) تروود أي تذهب وتجيء ، يريد تحير ماء العين فيها .

(٢) القَاوِيَات : الخاليات . والْوَيْد : الصوت العالي الشديد .

(٣) كانت هذه الكلمة في الأصول : «تحيين غيري» .

قابلها مرة بسعي صديق له :

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية عن رجل من عُذرة قال :
كنتُ تَرْباً لجميل وكان يَأْلُفُنِي، فقال لي ذات يوم : هل تساعدني على لقاء بُيُنة؟ فمضيتُ معه، فكَمَن لي في
الوادي وبعث بي إلى راعي بُيُنة بخاتمه، فدفعته / إليه، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِد منها إليه. فلما كان الليلُ [١٠٦/٨]
جاءته فتحادثنا طويلاً حتى أَصْبَحَا ثم ودَّعَهَا وركب ناقته. فلما استوى في غَرَزِهَا^(١) وهي باركةٌ قالت له : اذُنْ مِنِّي يا
جميل^(٢).

صوت

إِنَّ الْمَنَازِلَ هَيَّجَتْ أَطْرَابِي وَأَسْتَعْجَمْتُ آيَاتَهَا بِجَوَابِي
قَفَرًا تَلُوحُ بِذِي اللَّجَيْنِ كَأَنَّهَا أَنْضَاءُ رَسَمٍ أَوْ سُطُورُ كِتَابٍ
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرْتُ مَنِّي الدَّمُوعُ لَفَرْقَةِ الْأَجَابِ
وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بُيُنةُ شَاقِي وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَحَ شَبَابِي

الغناء في هذه الأبيات للهذليّ ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق.

أرسل كثيراً إلى بُيُنة ليستجِدَّ منها موعداً :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعِيدِيّ، وأخبرني
محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثنا أبو مالك النَّهْدِيّ قال :
جلس إلينا كثيرٌ ذات يوم فتذاكرنا جميلاً؛ فقال : لقيني مرّةً فقال لي : من أين أقبلت؟ قلتُ : من عند أبي
الحبيبة (أعني بُيُنة). فقال : وإلى أين تمضي؟ قلتُ : إلى الحبيبة (أعني عَزّة). فقال : لا بدّ من أن ترجع عَوْدَكَ على
بَذْلِكَ فتستجِدَّ لي موعداً من بُيُنة. فقلت : عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع. فقال : لا بدّ من ذلك. فقلت
له : فمتى عَهْدُكَ بِبُيُنة؟ فقال : في أوّل الصيد وقد وقعت سحابةٌ بأسفل وادي^(٣) الدَّوْم فخرجتُ ومعهما جاريةٌ لها
تَغْسِلُ ثِيَابَهَا^(٤)؛ فلما أبصرتني / أنكرتني، فضربتُ يديها إلى ثوب في الماء فالتحفّت به، وعرفتني الجارية، [١٠٧/٨]
فأعادت الثوب في الماء، وتحدثنا حتى غابت الشمس. وسألْتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون؛ وما وجدتُ أحداً
أَمَنَهُ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهَا. فقال له كثيرٌ : فهل لك في أن آتيَ الحيَّ فَأَنْزِعَ^(٥) بأبياتٍ من شعرٍ أذكرُ فيها هذه العَلَامَةَ إن لم أقدر
على الخَلُوةِ بها؟ قال : ذلك الصوابُ، فأرسله إليها؛ فقال له : انتظرني ثم خرج كثيرٌ حتى أناخ بهم. فقال له
أبوها : ما رَدَّكَ؟ قال : ثلاثة أبياتٍ عَرَضْتُ لي فأحبيْتُ أن أعرضها عليك. قال : هايتها. قال كثيرٌ : فأنشدته وبُيُنةُ
تسمَع :

(١) الغرز: ركاب الرجل من جلد، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب.

(٢) الكلام هنا ناقص.

(٣) وادي الدوم : واد معترض من شمالي خيبر إلى قبلها، وهو يفصل بين خيبر والمعارض.

(٤) في جـ: «ثياباً».

(٥) نزع الشعر: تمثل به

فقلت لها يا عزّ أرسِلْ صاحبي إليك^(١) رسولاً والموَكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تجعل لي بَيْتِي وَبَيْتَكَ موعِداً وأن تأمريني ما أَلْذي فيه أَفْعَلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لِقيتني بأسفلِ وادي الدَّوْمِ والشَّوْبِ يُغْسَلُ

قال: فضربتُ بُيْتِي جانِبَ خِذْرَها وقالت: إِيحَسَا إِيحَسَا! فقال أبوها: مَهَيْمُ^(٢) يا بُيْتِي؟ قالت: كَلْبُ يَأْتِينَا إِذَا نَوْمُ
النَّاسِ من وراءِ الرَّايةِ. ثم قالت للجارية: ابْغِيْنَا مِنَ الدَّوْمَاتِ حَطْباً / لِنَذْبَحَ لكَثِيرِ شاةٍ ونشويها له. فقال كثير: أنا
أعْجَلُ من ذلك. وراح إلى جميل فأخبره. فقال له جميل: الموعِدُ الدَّوْمَاتُ. وقالت لأم الحسين وَلَيْلَى وَنُجَيَّا بناتِ
خالتها وكانت قد أَنَسَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَطْمَأَنَّتْ بِهِنَّ: إني قد رأيتُ في نَحْوِ نَشِيدِ كَثِيرٍ أن جميلًا معه. وخرج كثير وجميلٌ
حتى أَتَيَا الدَّوْمَاتِ، وجاءت بُيْتِي ومن معها، فما بِرَحوا حتى بَرَقَ الصَّبْحُ. فكان كثير يقول: ما رأيتُ مجلساً قَطُّ
أَحْسَنَ من ذلك ولا مثلِ عِلْمِ أَحدهما بضمير الآخر! ما أَذْري أَيُّهُما كان أَفْهَمَ!

[١٠٨/٨] / وصف صالح بن حسان بيتاً من شعره:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بن أَسَدٍ قال حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عن الهَيْثَمِ بن عَدِيٍّ، وأخبرني
عَمِي عن الْكُرَّانِيِّ عن الْعُمَرِيِّ عن الهَيْثَمِ بن عَدِيٍّ قال قال لي صالح بن حسان:

هل تعرف بيتاً نصفه أعرابي^(٣) في شَمْلَةٍ وآخره مخنثٌ من أهل العَقِيقِ يتقصّف تقصُّفاً؟ قلتُ: لا. قال: قد
أَجَلْتُكَ حَوْلًا. قلتُ: لا أَذْري ما هو! فقال قولٌ جميلٌ:

* أَلَا أَيُّهَا التَّوَّامُ وَيَحْكُمُ هُبُؤًا *

كانه أعرابي في شَمْلَةٍ. ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال:

* أَسْأَلُكُمْ هل يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ *

كانه من كلام مُخَنَّثِي الْعَقِيقِ.

أهدر السلطان لأهل بيته دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك:

أخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن زُهَيْرِ بن حَرْبٍ قال أخبرنا عبدالله بن أبي كَرِيمٍ عن أبي عمرو
وَإِسْحَاقَ بن مَرْوَانَ قال^(٤):

عشق جميلٌ بيثنة وهو غلام، فلما بلغ خطبها فَمُنِعَ منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتهر وطُرد، فكان
يأتيها سراً ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها [في الحين] خُفِيَةً إلى أن استعمل دَجَاجَةُ بن رُبَيْعٍ على وادي
الْقُرَى فشكوه إليه فتقدم إليه أَلَّا يَلْمَ بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها، فأحتبس حينئذ.

(١) رواية «الأمالي» لأبي علي القالي (ج ٣ ص ٢٣١ طبع دار الكتب المصرية):

على نأي دار والرسول موكل

(٢) مهيم: كلمة يمانية ومعناها: ما أمرك، وما شأنك، وما الذي أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام.

(٣) كذا وردت هذه العبارة في «الأغاني» فيما يأتي في هذه الترجمة (ص ١١٨). ووردت في ب، س هنا: «هل تعرف بيت أعرابي

في شملة ونصف مخنث... إلخ» وفي سائر الأصول: «... بيت أعرابي في شملة ونصفه مخنث... إلخ».

(٤) لعله «قالا».

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدثني إبراهيم الرَّمَاح قال حدثنا جابر أبو العلاء التَّنُوخِي قال:

/ لما نذر أهل بُيُوتِ دَمَ جميل وأهذره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يَصْعَدُ بالليل على قُورٍ^(١) رملي [١٠٩/٨] يتنَّسَّم الرِّيحَ من نحو حَيِّ بُيُوتِهِ ويقول:

أَيَا رِيحَ الشَّامِ أَمَا تَرَيْنِي أَهْيَمُ وَأَنْتِي بِأَيْدِي التُّحُولِ
هَبِي لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بَنِي وَمُنِّي بِالْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ
وَقُولِي يَا بُيُوتَهُ حَسْبُ نَفْسِي قَلِيلُكَ أَوْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصُّبْحِ أَنْصَرَفَ. وكانت بثينة تقول لجوارٍ من الحي عندها: وَتَحَكَّنْ! إني لأسمع أُنِينَ جميل من بعض الْقِيرَانِ! فيقلن لها: أَتَقِي اللَّهَ! فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقة له.

تذاكر هو وكثير شعريهما في العشق وبكيا:

حدثني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني أحمد بن يَغْلَى قال حدثني سُويْدُ بن عِصَام قال حدثني رَوْحُ أبو نعيم^(٢) قال:

التقى جميلٌ وكثيرٌ فتذاكرا النَّسِيبَ؛ فقال كثيرٌ: يا جميل، أترى بُيُوتَهُ لم تسمع بقولك:

يَقِيكَ جَمِيلٌ كُلُّ سُوءٍ، أَمَا لَهُ لَدَيْكَ حَدِيثٌ أَوْ إِلَيْكَ رَسُولٌ
وَقَدْ قُلْتُ فِي حُبِّي لَكُمْ وَصَبَابَتِي مَكْسَبِينَ شَعْرٍ ذَكَرُهُنَّ يَطُولُ
/ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رِضَاكَ فَعَلَمِي هُبُوبَ الصَّبَايَا بَنِي كَيْفَ أَقُولُ
فَمَا غَابَ عَنْ عَيْنِي خِيَالُكَ لِحِظَةً وَلَا زَالَ عَنْهَا، وَالْخِيَالُ يَسْزُولُ

فقال جميل: أترى عَزَّةٌ قَدْ حَالَ يَا كَثِيرٌ لَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِكَ:

يَقُولُ الْعِدَا يَا عَزَّ قَدْ حَالَ دُونَكُمْ شَجَاعٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مُصَّمَّمٌ
فَقُلْتُ لَهَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ دُونَكُمْ جَهَنَّمٌ مَا رَاعَتْ فَوَادِي جَهَنَّمِ
/ وَكَيْفَ يَرْوِعُ الْقَلْبُ يَا عَزَّ رَائِعٌ وَوَجْهَكَ فِي الظُّلُمَاءِ لِلسَّفَرِ مَغْلَمٌ
وَمَا ظَلَمْتُكَ النَّفْسُ يَا عَزَّ فِي الْهَوَى فَلَا تَنْقِمِي حُبِّي فَمَا فِيهِ مَنَقَمٌ

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم أنصرفا.

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب:

وقال الهيثم بن عديٍّ ومن ذكر روايته معه من أصحابه:

زار جميلٌ بُيُوتَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فنزل قريباً من الماء يترصد أمةً لها أو راعية؛ فلم يكن نزوله بعيداً من ورود أمة حبشية معها قُرْبَةً، وكانت به عارفةً وبما^(٣) بينها وبينه. فسلمت عليه وجلست معه، وجعل يحدثها ويسألها عن

(٢) في حد: «روح بن نعيم».

(١) القور: الآكام العظيمة، واحدها قارة.

(٣) في الأصول: «لما» باللام.

أخبار بُيُوتَها ويحدثها بخبره بعدها ويحملها رسائله. ثم أعطاهَا خاتمه وسألها دَفَعَهُ إلى بُيُوتِها وأخذَ موعدَ عليها، ففعلتْ وأنصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأت عليهم. فلقبها أبو بُيُوتَها وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأَ بها، فالتوت عليهم ولم تُخبرهم وتعللتْ؛ فضربوها ضرباً مبرحاً؛ فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعَتْ إليهم خاتمه. ومرَّ بها في تلك الحال فتَيَّان من بني عُذرة فسمعا القصَّة كلَّها وعرفا الموضعَ الذي فيه جميل، فأحبَّتا أن يُبَيِّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتمُ جميلاً وليست بُيُوتَها معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه؛ وأهلُ بُيُوتِها^(١) أعزُّ عُذرةً، فدعُوا الأُمَّةَ تُوصِلْ خاتمه إلى بُيُوتِها، فإذا زارها يبيئُوهما جميعاً؛ قالوا: صدقتما لعُمري إن هذا الرأي. فدفعوا الخاتم إلى الأُمَّة وأمروها بإيصاله وحذروها أن^(٢) تُخبر بشيئة بأنهم علموا القصَّة، ففعلتْ. ولم تعلم بُيُوتُها بما جرى. ومضى الفتَيَّان فأنذرا جميلاً؛ فقال: والله ما أَرَهَبهم، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأُ كلَّ واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبَانُ الجَبَّان. فناشدها الله وقالوا: البقية^(٣) أصلح، فتَقَيَّم عندنا في بيوتنا حتى يَهْدَأَ الطلب، ثم نبعثُ إليها فتزورك وتَقْضِي من لقائها وطراً وتنصرفُ سليماً غيرَ مُؤَيَّن^(٤). فقال أما الآن فابعثا إليها من يُنذرها؛ فأتياه براءةٍ لهما وقالَا له: قُلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلي إليها وقولي لها: إني أردتُ اقتناصَ ظبي فحذره ذلك جماعةً اغتَوَرَّوه من القَنَاصِ ففاتني الليلة. فمضتْ فأعلمتها ما قال لها؛ فعرَفَتْ قصَّته وبحثت عنها فعرَفَتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تَبْرَحْ مكانها ومَضَوْا يَقْتَضُونَ أثره فراوَا بعَرِ ناقته فعرَفُوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك:

خليلي عوجاً اليومَ حتى تسلمَا على عَذْبَةِ الأنيابِ طيِّبَةُ النَّشْرِ
أَلَمَّا بها ثم أشفعَا لي وتسلمَا عليها سقاها الله من سَبِيلِ^(٥) القَطْرِ^(٦)

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت جَرِغْتُ لَنَأيِ الدارِ منها وللْبُعْدِ
/ أبى القلبُ إلا حبَّ بَشَنَةٍ لم يُرِدْ سِوَاهَا وحبُّ القلبِ بَشَنَةٌ لا يُجْدِي

٨٨
٧

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يُضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القوافي تدلُّ على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

(١) كذا في جمع الأصول. والأخرى بهذه الجملة أن تكون: «وأهل جميل إلخ».

(٢) في الأصول: «بأن».

(٣) البقية كالبقية وهي أن تبقى على عدوك ولا تستأصله.

(٤) غير مؤيَّن: غير معيب. يريد لم تصب بمكروه. وفي «مختصر الأغاني»: «غير موتور».

(٥) في ب، س «من سائغ القطر».

(٦) كذا في الأصول التي بين أيدينا. ويلاحظ أن الكلام ما هنا مقتضب، إذ لا اتصال بين الشعر الذي قافيته راء والشعر الذي قافيته دال.

وورد في مختصر الأغاني بعد هذين البيتين اللذين قافيتهما راء ثلاثة الأبيات الآتية، وهي من أبيات سيورها المؤلف قريباً في ص ١٥٠.

أنرتاح يسوماً أم تهش إلى ذكرى
وشتان ما بين الكواكب والبدر
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

وبوحا بذكرى عند بَشَنَةٍ وانظرا
هي البدر حسناً والنساء ككواكب
لقد فضلت ليلي على النياس مثل ما

ألم تَسْأَلِ الدَّارَ الْقَدِيمَةَ هَلْ لَهَا بِأَمِّ جُسَيْرٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ

وفيهما يقول:

[١١٢/٨]

أصوات

سَلِي الرُّكْبِ هَلْ عَجْنَا لِمَعْنَاكَ مَرَّةً صَدُورَ الْمَطَايَا وَهِيَ مُوقَرَّةٌ تَخْدِي
وَهَلْ فَاضَتْ الْعَيْنُ الشَّرُوقُ بِمَانِهَا مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى اخْضَلَّ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي
الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقبيل بالوسطى: -

وإِنِّي لَأَسْتَجِرِي لَكَ الطَّيْرَ جَاهِدًا لتَجْرِي يُمْنٍ مِنْ لِقَائِكَ مِنْ^(١) سَعْدِ
وإِنِّي لَأَسْتَبْكِي إِذَا الرُّكْبُ غَرَّدُوا بِذِكْرِكَ أَنْ يَحْيَا بِكَ الرُّكْبُ إِذْ يَخْدِي^(٢)
فَهَلْ تَجْزِيئِي أُمُّ عَمْرٍو بِوَدَّهَا فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى بِهَا فَوْقَ مَا أُبْدِي
وَكُلُّ مُحِبٍّ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ جَهْدِهِ وَقَدْ زِدْتُهَا فِي الْحَبِّ مَنِّي عَلَى الْجَهْدِ

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تراه إياها:

أخبرني الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرُهُ وَهَلُولُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَلَوِيُّ:
أَنَّ رَهْطَ بَيْتِنَا ائْتَمَنُوا عَلَيْهَا عَجُوزًا مِنْهُمْ يَقُونُ بِهَا يُقَالُ لَهَا أُمُّ مَنْظُورٍ. فَجَاءَهَا جَمِيلٌ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّ مَنْظُورٍ،
أَرَيْنِي بَيْتِنَا. فَقَالَتْ: لَا! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، قَدْ ائْتَمَنُونِي عَلَيْهَا. فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَضُرَّكَ؛ فَقَالَتْ: الْمَضْرَّةُ وَاللَّهِ فِي أَنْ
أَرِيكَهَا. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَقُولُ:

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفَتْ بِالْحَجَرِ^(٣) يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُورٍ
وَلَا أَنَسِلَابَتَهَا^(٤) خُرْسًا جَائِرُهَا إِلَيَّ مِنْ سَاقِطِ الْأَوْرَاقِ^(٥) مُسْتَوِرٍ

/ قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَيْهِمْ هَذَانِ الْبَيْتَانِ. قَالَ: فَتَعَلَّقُوا بِأُمِّ مَنْظُورٍ فَحَلَفْتُ لَهُمْ بِكُلِّ يَمِينٍ فَلَمْ يَقْبَلُوا [١١٣/٨]
مِنْهَا. هَكَذَا ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي خَبَرِ أُمِّ مَنْظُورٍ، وَقَدْ ذَكَرَ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل وبثينة:

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُوبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فِرَاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ
عَدِيٍّ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ:

(١) لعله «أو سعد».

(٢) فِي حَدٍّ: «إِذْ تَخْدِي». وَفِي م، س: «أَوْ تَحْدِي»، وَفِي ب، س: «إِذْ تَحْدِي».

(٣) الْحَجَرُ: أَسْمُ مَوْضِعٍ.

(٤) كَذَا فِي حَدٍّ وَ«مَخْتَصِرُ الْأَغَانِي»: وَانْسَلَبَ فِي الْأَصْلِ: أَسْرَعَ، كَأَنَّهُ لِسْرَعَتِهِ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي النَّاقَةِ.
وَالْجَبَائِرُ: الْأَسَاوِرُ، يُرِيدُ تَسْلُلَهَا إِلَيْهِ خَفِيَةً فِي سُرْعَةٍ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «اسْتَلَابَتَهَا».

(٥) كَذَا فِي حَدٍّ. وَالْأَوْرَاقُ: الْقَسَاطِيطُ. يُقَالُ: ضَرَبَ فُلَانٌ رَوْقَهُ بِمَوْضِعٍ كَذَا إِذَا نَزَلَ لَهُ كَمَا يُقَالُ: ضَرَبَ خَيْمَتَهُ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ:
«الْأَوْرَاقُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

أن رجلاً أنشد مُضْعَبَ بنِ الزُّبَيْرِ قولَ جميل:

ما أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفْتُ بِالْحَجَرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُورِ

فقال: لودِدْتُ أَنِّي عَرَفْتُ كَيْفَ جَلَّتْهَا. فقليل له: إن أم منظور هذه حَيَّة. فكتب في حَمْلِهَا إِلَيْهِ مَكْرَمَةً فَحَمَلْتُ إِلَيْهِ. فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

ما أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفْتُ بِالْحَجَرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُورِ

كيف كانت هذه الجَلْوَةُ؟ قالت^(١): أَلْبَسْتُهَا قِلَادَةً بَلَّحَ وَمِخْنَقَةً بَلَّحَ وَاسْطَئْتُهَا تَفَاحَةً، وَضَفَرْتُ شَعْرَهَا وَجَعَلْتُ فِي فَرْقِهَا شَيْئاً مِنَ الْخَلْقُوقِ. وَمَرَّ بِنَا جَمِيلٌ رَاكِباً نَاقَتَهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا حَتَّى غَابَ عَنَّا. فقال لها مُضْعَبُ: فَلَا تُنِي أَقْسِمُ عَلَيْكَ / إِلَّا جَلَوْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ مِثْلَ مَا جَلَوْتُ بَيْثِنَةَ، ففعلت: وَرَكِبَ مُضْعَبُ نَاقَتَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَسِيرُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَ.

زارها مرةً متكرراً في زي سائل:

أخبرني الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي بُهْلُولُ عَنْ بَعْضِ مَشَايخِهِ:

أَنَّ جَمِيلاً جَاءَ إِلَى بُيُوتِ لَيْلَةٍ وَقَدْ أَخَذَ ثِيَابَ رَاعٍ لِبَعْضِ الْحَيِّ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَيْفَاناً لَهَا، فَأَتَبَذَّ نَاحِيَةً، فَسَأَلَتْهُ: [١١٤/٨] مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مَسْكِينٌ مُكَاتَبٌ^(٢)، فَجَلَسَ / وَحْدَهُ، فَعَشَّتْ ضَيْفَانَهَا وَعَشَّتَهُ وَحْدَهُ. ثُمَّ جَلَسْتُ هِيَ وَجَارِيَةُ لَهَا عَلَى صِلَاتِهِمَا وَأَصْطَبَجَ الْقَوْمُ مُتَتَحِينَ. فقال جميل:

وَاعِدْتُهُ مَرَّةً وَأَحْسَ أَهْلُهَا فَمَنَعُوهَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْراً:

هَلِ الْبَائِسُ الْمَقْرُورُ دَانٍ فَمُضْطَلٌّ مِنَ النَّارِ أَوْ مُغْطًى لِحَافاً فَلَابِسُ

فَقَالَتْ لَجَارِيَتِهَا: صَوْتُ جَمِيلٍ وَاللَّهِ! أَذْهَبِي فَانْظُرِي! فَرَجَعْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هُوَ وَاللَّهِ جَمِيلٌ! فَشَهِقْتُ شَهْقَةً سَمِعَهَا الْقَوْمُ فَأَقْبَلُوا يَجْرُونَ وَقَالُوا مَا لَكَ؟ فَطَرَحْتُ بُرْدَا لَهَا مِنْ جَبْرَةٍ فِي النَّارِ وَقَالَتْ: أَحْتَرَقَ بُرْدِي، فَرَجَعَ الْقَوْمُ. وَأَرْسَلْتُ جَارِيَتَهَا إِلَى جَمِيلٍ، فَجَاءَتْهَا بِهِ، فَحَبَسَتْهُ عِنْدَهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ.

وَقَالَ الْهَيْثَمُ وَأَصْحَابُهُ فِي أَخْبَارِهِمْ:

كَانَتْ بُيُوتُهُ قَدْ وَاعِدَتْ جَمِيلاً لِلْإِتْقَاءِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَأَتَى لَوْعُهَا. وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يَسْتَضِيفُ الْقَوْمَ فَأَنْزَلُوهُ وَقَرَّوْهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مَتَفَرِّقِينَ مُتَوَارِينَ فِي الشَّجَرِ وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكُمْ أَنْ يَسْأَلُوا^(٣) بَعْضُ إِبِلِكُمْ. فَعَرَفُوا أَنَّهُ جَمِيلٌ وَصَاحِبَاهُ، فَحَرَسُوا بُيُوتَهُ وَمَنَعُوهَا مِنَ الْوَفَاءِ بِوَعْدِهِ. فَلَمَّا أَسْفَرَ لَهُ الصَّبْحُ أَنْصَرَفَ كَثِيباً سَبَّءَ الظَّنَّ بِهَا وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَعَلَ نِسَاءَ الْحَيِّ يَمْرُغْنَ بِهِ بِذَلِكَ وَيَقْلُنَ لَهُ: إِنَّمَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالْغَدْرِ، وَغَيْرُهَا أَوْلَى بِوَضْلِكَ مِنْهَا، كَمَا أَنَّ غَيْرَكَ يَخْطِئُ بِهَا. فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أَبَيَّنَ إِنْكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِجِي وَخُذِي بِحُظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ

(١) فِي الْأَصُولِ: «قَالَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) الْمَكَاتِبَةُ: أَنْ يَكْتُبَ الرَّجُلُ عَبْدَهُ عَلَى مَالٍ يُوَدِّيهِ إِلَيْهِ مِنْجِماً، فَإِذَا آدَاهُ صَارَ حُرّاً.

(٣) السَّلْ: انْتِزَاعُ الشَّيْءِ وَاجْتِنَابُهُ.

صوت

فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلها
فأجبتُها بالقول بعد تسُّرٍ
/ لو كان في قلبي كَقَدْر قَلَامَةٍ
فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

[١١٥/٨]

- الغناء ليحيى المكيّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى من رواية أحمد -

وَيَقُلْنَ أَنْكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ
ولِبَاطِلٍ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثِهِ
منها فهل لك في اجتناب الباطلِ
أشهى إليّ من البغيض الباذلِ

الغناء لسُليم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليريد حوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر:

وذكر الهيثم بن عديّ وأصحابه أن جماعة من بني عُذْرَةَ حَدَّثُوا أَنَّ جَمِيلًا رَصَدَ بَثِينَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي تَجْمَعَةٍ لَهُمْ،
حتى إذا صادف منها حُلُوءَةً سَكِرَ ودنا منها وذلك في لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ ذَاتِ غَيْمٍ ورياح ورعد، فحذفتها بحصاة فأصابَتْ
بعضَ أترابها، ففزعَتْ وقالت: والله ما حذفتني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجَنُّ! فقالت لها بثينةٌ وقد فطنت: إن
جميلًا فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت وبقيت مع بُثَيْنَةَ أُمِّ الْجُسَيْرِ وأُمِّ مَنْظُورٍ، فقامت إلى
جميلٍ / فأدخلته الخِباءَ معها وتحدثا طويلاً، ثم أَضْطَجَعَا وأضْطَجَعَتْ إلى جَنْبِهِ فذهبَ النومُ بهما حتى أَصْبَحَا ٩٠
وجاءها غلامٌ زوجها بصُبُوحٍ من اللبنِ بعث به إليها، فأراها نائمةً مع جميلٍ، فمضى لوجهه حتى خَبَرَ سَيِّدَهُ. ورأته
لَيْلَى والصَّبُوحُ معه وقد عرفت خبرَ جميلٍ وبُثَيْنَةَ فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت حذري
بثينةً وجميلًا، فجاءت الجارية فنبهتهما. فلما تَبَيَّنَتْ بَثِينَةُ الصَّبُوحَ قد أضاع والناس متشرّين ارتاعَتْ وقالت: يا
جميل! نَفْسَكَ نَفْسَكَ! فقد جاءني غلامٌ نُبِيٌّ بصُبُوحٍ من اللبنِ فأرانا نائمين! فقال لها جميل وهو غير مكتربٍ لما
خَوَّفَتْهُ مِنْهُ:

لَعَمْرُكَ مَا خَوَّفَتْنِي مِنْ مَخَافَةٍ
فَأَقْسِمُ لَا يُلْقَى لِي الْيَوْمَ غِرَّةٌ
بُثَيْنَ وَلَا حَذَرْتُنِي مَوْضِعَ الْحَذَرِ
وفي الكَفِّ مَنِّي صَارِمٌ قَاطِعٌ ذَكَرُ

/ فأقسمت عليه أن يُلْقِيَ نَفْسَهُ تَحْتَ التُّضَدِ (١) وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً [١١٦/٨]

عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، وأضْطَجَعَتْ أُمُّ الْجُسَيْرِ إلى جانبها وذهبت خادِماً لَيْلَى إليها فأخبرتها الخبرَ
فتركت العبدَ يمضي إلى سَيِّدِهِ فمضى والصَّبُوحُ معه وقال له: إني رأيتُ بُثَيْنَةَ مُضْطَجِعَةً وجميلٌ إلى جنبها. فجاء نُبِيٌّ
إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم إلى بُثَيْنَةَ وهي نائمة فكشفوا عنها الثوبَ فإذا أُمُّ
الْجُسَيْرِ إلى جانبها نائمة. فخجل زوجها وسبَّ عبده وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها: قبحكما الله! أفى كلُّ يومٍ تَفْضَحَانِ
فَتَأْتِيكُمَا وَيَلْقَاكُمَا هَذَا الْأَعُورُ فِيهَا بِكُلِّ قَبِيحٍ! قبحه الله وإياكما! وجعلَا يَسْتَبَانِ زَوْجُهَا وَيَقُولَانِ لَهْ كُلُّ قَوْلٍ قَبِيحٍ. وأقام
جميلٌ عند بَثِينَةَ حتى أَجَنَّهُ اللَّيْلُ ثم ودَّعها وأنصرف. وحذرتهم بُثَيْنَةُ لِمَا جَرَى مِنْ لِقَائِهِ إِذَاهَا فَتَحَامَتَهُ مَدَّةً، فقال في
ذلك:

(١) التُّضَدُ: متاع البيت المتضود بعضه فوق بعض.

كسوت

أَنْ هَتَفْتُ وَزَقَاءَ ظَلَمْتُ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمْلٍ لَوَزَقَاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة صَرَمْتُ وَلَكْنِي عَنِ الصَّرمِ أَضْعَفُ

للهدلي في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقیلٌ أوّلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر غيره لابن جامع. وفيه لبذل الكبري خفيف ثقیلٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله:

كسوت

[١١٧/أ]

لها في سواد القلب بالحُبِّ مَيْعَةٌ^(١) هي الموت أو كادت على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرك النفس يا بَنَنْ مَرَّةً من الدهر إلا كادت النفس تَتَلَفُ
ولأأعترثني زَفَرَةٌ وأَسْكَانَةٌ وجاد لها سَجَلٌ من الدمع يَذْرِفُ
وما أَسْتَظَرَفْتُ نفسي حديثاً لَحُلَّةً أَسْرُبُ بِهِ إِلَّا حَدِيثُكَ أَطْرَفُ

الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن الهشامي. وأوّل هذه القصيدة:

أَمِنْ مَنْزِلٍ قَفَرٍ تَعَفَّتْ رُسُومُهُ شَمَالٌ تُغَادِيهِ وَنُكْبَاءُ^(٢) حَرْجَفُ
فأصبح قَفَرًا بعد ما كان أَهْلًا وَجُمْلُ الْمُنَى تَشْتُرِبُهُ وَتُصَيِّفُ
ظَلَلْتُ وَمُسْتَنٌّ^(٣) مِنْ الدَّمْعِ هَامِلُ مِنَ الْعَيْنِ لَمَّا عَجُتُ بِالذَّارِ يَشْرِفُ
أُمْنِصِفَتِي جُمْلٌ فَتَغْدِلَ بَيْنَا إِذَا حَكَمْتُ وَالْحَاكِمُ الْعَدْلُ يُنْصِفُ
تَعَلَّقْتُهَا وَالْجِسْمُ مِنِّْي مَصْحَحُ فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ جُمْلٍ وَأَضْعَفُ
إِلَى الْيَوْمِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَشَفَنِي وَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
قَنَاءٌ مِنَ الْمُرَانِ^(٤) مَا فَوْقَ حَقْوِهَا وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقَاً يَتَقَصِّفُ
لَهَا مُقْلَتَا رِيَمٍ وَجِدُّ جِدَايَةِ^(٥) وَكَشَحَ كَطَيِّ السَّابِرِيَّةِ^(٦) أَهْيَفُ
وَلَسْتُ بِنَاسِ أَهْلِهَا حِينَ أَقْبَلُوا وَجَالُوا عَلَيْنَا بِالسَّيْفِ وَطَوَّفُوا
/ وَقَالُوا جَمِيلٌ بَاتَ فِي الْحَيِّ عِنْدَهَا

[١١٨/أ]

(١) كذا في «متهى الطلب في أشعار العرب» نسخة مخطوطة محفوظة بالدار (تحت رقم ٥٣ أدب ش) وفي الأصول: «منعة» بالنون.
(٢) النكباء: الريح التي انحرقت عن مهب الرياح القوم ووقعت بين مهب ريحين أو بين الصبا والشمال. والحرجف: الباردة الشديدة الهبوب.

(٣) مستن: منصوب.

(٤) رواية «متهى الطلب»: «صبرد كغصن البان ما فوق حقوها» والمران: الرماح.

(٥) الجداية: الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستة أشهر.

(٦) السابري: الرفيق من الثياب، وهو أيضاً الدرع الدقيقة النسيج.

وفي البيت لَيْتُ الغَابِ لولا مَخَافَةٌ على نفس جُنُلي والإلهِ لأزَعِفُوا^(١)
هَمَمْتُ وقد كَادَتْ مِرَاراً تَطْلُعْتُ إلى حَرْبِهِمْ نفسي وفي الكَفِّ مُرْهَفُ
وما سَرَّني غيرُ الذي كان مِنْهُمْ ومثي وقد جاءوا إليَّ وأَوْجَفُوا
فكم مُسَرَّتَجِ أَمراً أُتِيحَ له الرَّدَى ومن خَائِفٍ لم يَنْتَقِضْهُ التَّخَوُّفُ

له بيت كان نصفه أعرابي ونصفه مخنث:

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرَانِي قال حدَّثنا العُمَرِيُّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا الخليل بن أسد قال حدَّثنا العُمَرِيُّ عن الهَيْثَمِ بن عَدِي قال، قال لي صالح بن حسان:
هل تعرف بيتاً نصفه أعرابي في شَمْلَةٍ وآخره مخنث يتفكك من مخنثي العَقِيق؟ فقلت: لا أدري. قال: قد أَجَلَّتْكَ فيه حَوْلًا. فقلت: لو أَجَلَّتْنِي حولين ما علمت. قال: قول جميل:
* ألا أيُّها الثَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُوا *

هذا أعرابي في شَمْلَةٍ. ثم قال:

* نَسَائِلُكُمْ هل يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ *

كانه والله من مخنثي العَقِيق. في هذا الشعر غناء، نسبته وشعره:

مرزوقية
صوت

ألا أيُّها الثَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُوا نَسَائِلُكُمْ هل يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ
ألا رَبُّ رَكْبٍ قد دَفَعْتُ وَجِيفَهُمْ^(٢) إليك ولولا أنْتِ لم يُوجِفِ الرُّكْبُ

/ الغناء لابن مُخَرِّزٍ خفيف رَمَلٍ بالسَّبَابَةِ والوُسْطَى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يُنسبْه إلى [١١٩/٨] أحد. وفيه لُسْلِيمٌ ما خُورِيٌّ عن الهِشَامِي. وفيه لمالك ثاني ثقيل بالسَّبَابَةِ في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق، وقيل: إنه لَمَعْبَد. وفيه لَعَرِيبٌ هَزَجٌ من رواية أبْنِ المَعْتَز. وذكر عبدالله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأول وأن خفيف الرَّمَل لابن سُرَيْج وأن الهزج لَحْمَدُونَةَ بِنْتِ الرَّشِيد.

جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي:

أخبرنا الحُسَيْن بن يحيى المِرْدَاسِي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عَباية المَخْرَزِي عن شيخ من رَهْطِ جميل من عُدْرَةٍ:

أن بَئِينَةَ لما عَلِقْتُ حُجْنَةَ الهِلَالِي جَفَّاهَا جميل. قال: وأنشدني لجميل في ذلك:

(١) أَرَعَفَهُ: أَعَجَلَهُ.

(٢) الوجيف: سرعة السير.

/ صوت

بَيْنَا جِبَالَ ذَاتُ عَقْدٍ لَبَنِيَّةٍ أُتِيحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا
فُعْدُنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا هَوَى وَصَارَ الَّذِي حَلَّ الْجِبَالَ هَوَى لَهَا
وَقَالُوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيَّرَهَا السَّوَاشِي فَحَلَّتْ لَعْلَهَا

الغناء للهذلي خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع ولم ينسبه إلى أحد.

تمثل إفريقي بشعر له يعرض فيه بفتى من آل عثمان:

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو عوف عن عبدالرحمن بن مكرم قال:

بَعَثَنِي الْمَنْصُورُ لِأَتْبَعَ لَهُ جَارِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِي: اْعْمَلْ بِرَأْيِ ابْنِ نُفَيْسٍ؛ فَكُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ، وَأَغَشَى ابْنَهُ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ مَغْنِيَّةٌ قَدْ كَلِفَتْ بِهَا فَتَى مِنْ / آلِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَكَانَ يَبِيعُ عَقْدَةً^(١) مِنْ مَالِهِ وَيَنْفِقُ ثَمَنَهَا عَلَيْهَا. وَأَبْتُلِي بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَغَشِيْتُ ابْنَ الْإِفْرِيقِيِّ بَيْتَ ابْنِ نُفَيْسٍ فَجَعَلَ يَكْسُو الْجَارِيَةَ وَأَهْلَهَا وَيَبْرُهُمْ حَتَّى حَظَّتْ عِنْدَهُمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ وَتَثَاقَلُوا الْعَثْمَانِي. فَقَضَيْتُ أَنْ أَجْتَمِعُنَا عَشِيَّةً عِنْدَهَا وَحَضَرَ ابْنُ الْإِفْرِيقِيِّ وَالْعَثْمَانِي؛ فَتَزَعَ ابْنُ الْإِفْرِيقِيِّ خُفَّهُ فَتَنَاطَرَ الْمِسْكُ مِنْهُ، وَأَرَادَ الْعَثْمَانِي أَنْ يَكِيدَهُ بِفَعْلِهِ. فَجَلَسْنَا سَاعَةً؛ فَقَالَ لَهَا ابْنُ الْإِفْرِيقِيِّ: غَنِّي:

بَيْنَا جِبَالَ ذَاتُ عَقْدٍ لَبَنِيَّةٍ أُتِيحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا
يَعْرُضُ بِالْعَثْمَانِي. فَقَالَ لَهَا الْعَثْمَانِي: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا، وَلَكِنْ غَنِّي:

وَمَنْ يَزْعُ نَجْدًا يُلْفِنِي قَدْ رَعَيْتَهُ بِجَنَّتِهِ^(٢) الْأُولَى وَيُورِذُ عَلَى وَرِذِي
قال: فَتَنَسَّ ابْنُ الْإِفْرِيقِيِّ رَأْسَهُ وَخَرَجَ الْعَثْمَانِي فَذَهَبَ، وَخَمِدَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِقِيَّةِ يَوْمِهِمْ.

شعره حين زوّجت بثينة نبيها:

أخبرني الحرّمي قال حدّثنا الزُّبَيْرُ قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي وبُهْلُولُ بن سليمان البَلَوِي: أن جميلاً قال لما زوّجت بثينة نبيها:

/ صوت

أَلَا نَادِ عِيراً^(٣) مِنْ بُثَيْنَةَ تَرْتَعِي نَوْدُوعٍ عَلَى شَخِطِ السَّوَى وَنُودُوعٍ
وَحُثُّوا عَلَى جَمْعِ السَّرْكَابِ وَقَرُّوْا جِمَالاً وَنُوقاً جِلَّةً لَمْ تَضْغَضَعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيْجٍ عن الهشامي. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

(١) العقدة: الضيعة.

(٢) كذا في ب، س وفي سائر الأصول: «بحبته».

(٣) العير: القافلة.

أَعْيْذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ عَيْشٍ شِفْوَةٍ وَأَنْ تَطْمَعِي يَوْمًا إِلَى غَيْرِ مَطْمَعٍ
إِذَا مَا أَبْنُ مَلْعُونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ عَلَيْكَ فَمُوقِي بَعْدَ ذَلِكَ أَوْدَعِي
مَلِلْنِ وَلَمْ أَتَمَلَّ وَمَا كُنْتُ سَائِمًا لِأَجْمَالِ سُنْدَى مَا أَنْخَنَ بِجَفَجٍ^(١)
وَحُشُّوا عَلَى جَمْعِ الرُّكَّابِ وَقَرَّبُوا جِمَالًا وَنُوقًا جِلَّةً لَمْ تَضَعُضِعْ
أَلَا قَدْ أَرَى إِلَّا بُيْنَةَ هَاهُنَا لَنَا بَعْدَ ذَا الْمُضْطَافِ وَالْمُتَرَبِّعِ

لمعبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقیلٌ أوّلٌ بالخِصَرِ في مجرى الوسطى عن / إسحاق. ولابن سُرَيْجٍ في ٩٣
الأوّل والثاني والخامس خفيفٌ رملٌ بالبِئَصْرِ عن عمرو. وللأبجر في الأوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِئَصْرِ.
وفي الأوّل والثاني خفيفٌ ثقیلٌ يُنسَبُ إلى معبد وغيره، ولم تُعرَفْ صحته من جهةٍ يوثق بها.
شعره لما أبعده السلطان عن بئنة:

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ قال أنشدنا بُهْلُولُ بن سليمان لجميل لما بُعد عن بئنة وخاف السلطان، وكان
بُهْلُولٌ يُعْجَبُ بِهِ، :

أَلَا قَدْ أَرَى إِلَّا بُيْنَةَ لِلْقَلْبِ بِسَوَادِي بَدَأَ لَا بِحِسْمِي وَلَا الشُّغْبِ^(٢)
وَلَا بِبُصَاقٍ^(٣) قَدْ تَيَمَّمْتَ فَأَعْتَرَفَ لَمَّا أَنْتَ لَاقِي أَوْ تَنْكُبُ عَنِ الرُّكْبِ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُخَدِّثُ صَيُوفَةٍ تَمُوتُ لَهَا بُذُلْتُ غَيْرَكَ مِنْ قَلْبِ

/ حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها:

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ قال حدّثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزُّهريّ عن سليمان بن صخر الحرّشيّ
قال حدّثنا سليمان بن زياد الثَّقَفِيّ:

أَنْ بُيْنَةَ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. فَرَأَى امْرَأَةً خَلْفَاءَ^(٤) مَوْلِيَةً؛ فَقَالَ لَهَا: مَا الَّذِي رَأَى فِيكَ جَمِيلٌ؟
قَالَتْ: الَّذِي رَأَى فِيكَ النَّاسُ حِينَ اسْتَخْلَفُوكَ؛ فَضَحَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ سِنَّ سَوْدَاءُ كَانَ يَسْتُرُهَا.
شعره في جملة «جديل»:

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ قال حدّثني عمر بن إبراهيم العَوَيْثِيّ:
أَنْ جَمَلُ جَمِيلٍ الَّذِي كَانَ يَزُورُ عَلَيْهِ بُيْنَةَ يُقَالُ لَهُ «جَدِيلٌ» وَفِيهِ يَقُولُ:

(١) جمع: موضع بئنة، وهو في الأصل المتطامن من الأرض، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ.
(٢) بدا: موضع بوادي عذرة قرب الشام. وحسمي (بكسر أصله): موضع وراء وادي القرى بما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام.
وشغب: ضيعة خلف وادي القرى.
(٣) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه وتقويم البلدان. وبصاق: موضع قريب من مكة، كما قال ابن دريد. وقال ابن حبيب: هو
جبل بين أيلة والنتيه. وفي جميع النسخ: «براق».
(٤) الخلفاء: الحمقاء.

أَنْخُثُ جَدِيدًا عِنْدَ بَيْتَةِ لَيْلَةٍ وَيَوْمًا أَطَالُ اللَّهُ رَغَمَ جَدِيدٍ
أَلَيْسَ مُنَاحُ النَّصْرِ يَوْمًا وَلَيْلَةٍ لَبَيْتَةٍ فِيمَا بَيْنَنَا بِقَلِيلٍ؟

مهاجاته قومها بنى الأحب وإهدار السلطان لهم دمه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّد بن يحيى المَكِّي:
أَنَّ جَمِيلًا لَمَّا أَشْتَهَرَتْ بَيْتُهُ بِحَبِّهِ إِيَّاهَا اعْتَرَضَهُ عُيَيْدَالُ بن قُطَيْبَةَ أَحَد بني الأَحَبِّ وَهُوَ مِنْ رَهْطِهَا الْأَذْنَنَ
فَهَجَاهُ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ جَمِيلًا فَاجَابَهُ، وَتَطَاوَلَا فَعَلَبَهُ جَمِيلٌ وَكَفَّ عَنْهُ أَبْنُ قُطَيْبَةَ، وَاعْتَرَضَهُ عُمَيْرُ بن رَمْلٍ (رَجُلٌ مِنْ بَنِي
الأَحَبِّ) فَهَجَاهُ. وَإِيَّاهُ عَنَى جَمِيلٌ بِقَوْلِهِ:

إِذَا النَّاسُ هَابُوا خِزْيَةً ذَهَبَتْ^(١) بِهَا أَحَبُّ المَخَازِي كَهْلُهَا وَوَلِيدُهَا
لَعَمْرُ عَجُوزٍ طَرَقَتْ^(٢) بِكَ إِنْسِي عُمَيْرُ بن رَمْلٍ لِأَبْنِ حَرْبٍ أَقْوَدُهَا
بِنَفْسِي فَلَا تَقْطَعْ فؤْدَاكَ ضَلَّةً كَذَلِكَ حَزَنِي وَغَثَا وَصَعُودُهَا

١٢٣/٨ / قال: فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ عَامِرُ بن رَبِيعٍ بن دَجَاجَةَ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ بِلَادُ عُدْرَةَ، وَقَالُوا: يَهْجُونَا وَيَغْشَى بِيوتَنَا وَيَنْسُبُ
بِنِسَائِنَا! فَأَبَاحَهُمْ دَمَهُ، وَطُلِبَ فَهَرَبَ مِنْهُ. وَغَضِبَتْ بَيْتُهُ لَهْجَاتِهِ أَهْلَهَا جَمِيعًا. فَقَالَ جَمِيلُ:

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ^(٣) قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَمُمَرُّ^(٤) الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ
لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرُ^(٥) وَنَضْلٌ كَنَضْلِ الزَّاعِبِي^(٦) فَتِيقُ
عَلَى نَبْعَةٍ^(٧) زُورَاءُ أَمَّا خِطَامُهَا فَمَثْنٌ وَأَمَّا عُودُهَا فَعَتِيقُ
بِأَوْشَكٍ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِذَ لَمْ تَنْظَهَرْ لَهُنَّ خُرُوقُ
تَفَرَّقَ أَهْلَانَا بَيْنَ فَمَنْهُمْ فَرِيقٌ أَقَامُوا وَأَسْتَمَرَ فَرِيقُ
/ فَلَوْ كُنْتُ خَوَارًا لَقَدْ بَاحُ مُضْمَرِي^(٨) وَلَكِنِّي صُلْبُ الْقَنَاسَةِ عَرِيقُ
كَأَنَّ لَمْ نُحَارِبْ يَا بَيْنَ لَوْ أَنَّهُ تَكْشَفُ غَمَاهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ

قال ويدل على طلب عامر بن ربيعي إياه قوله:

(١) يريد: أخذتها واستمسكت بها.

(٢) يريد: حملت بك. يقال: طرقت الناقة والمرأة وكل حامل بولدها إذا نشب في بطنها ولم يسهل خروجه.

(٣) كذا في «الكامل» للمبرد ص ٤٢ طبع أوروبا. وفي الأصول: «نائل».

(٤) ممر العقدين يعني وترا. والممر: الشديد الفتل.

(٥) لعله يريد ريشات سودا متشابهة. وفي حد: «جم نظائر». وفي سائر الأصول: «جم تطاير».

(٦) الزاعبي من الرماح: الذي إذا هز تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه. أو إلى زاعب رجل أو بلد. والفتيق: الحاد الرقيق.

(٧) النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي؛ وأكرم القسي ما كان من النبع. وزوراء: معوجة، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً

كان سهمها أعضى. وخطام القوس: وترها. ومتن: قوي. وعتيق: قديم.

(٨) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ميسي» بالياء المثناة. ولعله «ميسي» بالياء الموحدة.

أَهْرَبَ بِأَخْفَافِ الْبُعْلَةِ أَهْأَا حِذَارَ ابْنِ رَيْبِي بِهِنَ رُجُومٍ^(١)

لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن عبدالله الخزنبلي الأصبهاني قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة:

/ أن السلطان أهدر دمَ جميلٍ لَرَهْطِ بُيُوتَةٍ إن وجدوه قد غَشِيَ دُورَهُمْ. فحذَرَهُمْ مَدَّةً، ثم وجدوه عندها، [١٢٤/٨] فَأَعْدَرُوا إِلَيْهِ وَتَوَعَّدُوهُ وَكَرِهُوا أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِ حَرْبٌ فِي دَمِهِ، وكان قَوْمُهُ أَعَزَّ مِنْ قَوْمِهَا، فَأَعَادُوا شَكْوَاهُ إِلَى السُّلْطَانِ، فَطَلَبَهُ طَلَبًا شَدِيدًا، فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً. وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي ذَلِكَ:

أَلَمْ خَيَالًا مِنْ بُيُوتَةٍ طَارِقُ عَلَى الثَّأِي مُشْتَاقٌ إِلَيَّ وَشَائِقُ
سَرَتْ مِنْ تِلَاعِ الْحِجْرِ حَتَّى تَخَلَّصْتُ إِلَيَّ وَدُونِي الْأَشْعَرُونَ وَغَافِقُ^(٢)
كَأَنَّ فَتِيَّتَ الْمَسْكِ خَالَطَ نَشْرَهَا تَغْلُ^(٣) بِهِ أَزْدَانُهَا وَالْمَرَاثِقُ
تَقُومُ إِذَا قَامَتْ بِهِ عَنْ فِرَاشِهَا وَيَغْدُو بِهِ مِنْ حِضْنِهَا مَنْ تُعَانِقُ

قال أبو عمرو وحدثني هذا العذري:

أَنْ جَمِيلًا لَمْ يَزَلْ بِالْيَمَنِ حَتَّى عَزَلَ ذَلِكَ الْوَالِي عَنْهُمْ، وَانْتَجَعُوا نَاحِيَةَ الشَّامِ فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَلَقِيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَمَّا أَخَذْتُ بَعْدِي؛ فَأَنْشَدَنِي:

سَقَى مَنَزِلِنَا يَا بُيُوتَ بِحَاجِرٍ عَلَى الْهَجْرِ مَنَا صَيِّفٌ وَرَبِيعُ
وَدُورِكَ يَا لَيْلَى وَإِنْ كُنَّ بَعْدَنَا بَلِيْنٌ يَلَى لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
وَخِيَمَاتِكَ أَلَا تَلِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى لَقَمَرِيْهَا بِالْمَشْرِقَيْنِ سَجِيعُ^(٤)
تُزَعِزُ^(٥) مِنْهَا الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ هَزِيمٌ بِسُلَافِ الرِّيحِ رَجِيعُ
/ وَإِنِّي أَنْ يَغْلَى بِكَ اللَّوْمُ أَوْ تُرَى بَدَارِ أَدَى مِنْ شَامِتٍ لَجَزُوعُ
وَإِنِّي عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يُلْتَوَى بِهِ وَإِنْ زَجَرْتَنِي زَجْرَةً لَوْ رِيعُ^(٦)
فَقَدْ ذُكِّتُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَإِنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ

(١) الرجوم: اضطرام العدو أي شدة السير.

(٢) الأشعر: جمع أشعري، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، تخفف ياء النسب فتخلف في الجمع. (راجع «القاموس وشرحه» مادة شعر). وغافق: قبيلة.

(٣) غل الدهن في رأسه وفي ثوبه: أدخله فيه.

(٤) لم يرد هذا المصدر في معجمات اللغة التي بين أيدينا، مع أن «فعيلاً» كثير وروده في الأصوات. والموجود في كتب اللغة «سجوع» جمع «سجع» بالفتح، كما قال ابن جني. (راجع «اللسان» مادة سجع).

(٥) زعزعت الريح الشجر ونحوه: حركته. والهزيم: صوت الرعد، والمراد الصوت الشديد. وسلاف الرياح (كما وردت في ب، س): مقدماتها، والواحد سالف وسالفة. وقد وردت هذه الكلمة في بعض الأصول الخطية: «بسدوف الرياح» وفي بعضها: «بسدف

الرياح». ورجيع: مردد، وهو نعت لهزيم.

(٦) ربيع: كاف.

فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ هُنَاكَ ثَنَانًا مَا لَهْنٌ طُلُوعُ
يَقُولُونَ صَسْبٌ بِالْغَوَانِي مُوَكَّلٌ وهل ذاك من فعل الرجال بَدِيعُ
وَقَالُوا رَعِيَتَ اللَّهْوَ وَالْمَالُ ضَائِعٌ فكأناس فيهم صَالِحٌ وَمُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامي وأبن خُرْدَاذْبَةَ وإبراهيم. وذكر حَبَشُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِإِسْحَاقَ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ بِالْوَسْطَى؛ وَلَمْ يَذْكُرْ هَذَا أَحَدٌ غَيْرَهُ وَلَا سَمِعْنَاهُ وَلَا قَرَأْنَاهُ إِلَّا فِي كِتَابِهِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُدْخِلُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي قَصِيدَةِ الْمَجْنُونِ الَّتِي عَلَى رَوِيٍّ وَقَافِيَةٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، وَلَيْسَتْ لَهُ.

أَنشَدَ كَثِيرٌ مِنْ شِعْرِهِ وَقَالَ هُوَ أَشْعَرُ النَّاسِ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ^(١) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

دَخَلَ عَلَيْنَا كُثَيْبٌ / يَوْمًا وَقَدْ أَخَذَ بِطَرَفِ رِئِطَتِهِ وَأَلْقَى طَرَفَهَا الْآخَرَ وَهُوَ يَقُولُ: هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ:

وَحَبَّرْتُ مَانِيَّ أَنْ تَيْمَأَ مَنْزِلٌ لِلْيَلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَّاسِيَا
فَهَذِي شَهْرُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ أَنْقَضَتْ فَمَا لِللَّوَى تَرْمِي بِلَيْسِ الْمَرَّاسِيَا
وَيَجْرُ رِئِطَتُهُ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْنَا، ثُمَّ يُولِّي عَنَّا وَيَجْرُهَا وَيَقُولُ: هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ:

/ وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ كَثُرَتْ عَيْشَتِي وَإِنْ شِئْتَ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتَ بِأَلْيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا بَرَى نَفْسُو مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَأَى لِيَا

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ: هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ. فَقُلْنَا: مَنْ تَعْنِي يَا أَبَا صَخْرٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ أَعْنِي سِوَى جَمِيلٍ! هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ هَذَا. وَتَيْمَأُ خَاصَّةً: مَنْزِلُ ابْنِي عُذْرَةَ، وَلَيْسَ مِنْ مَنَازِلِ عَامِرٍ؛ وَإِنَّمَا يَرْوِيهِ عَنِ الْمَجْنُونِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ.

وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ جَمِيلٌ:

وَمَا زِلْتُمْ يَا بَنُّنَ حَتَّى لَوِ اتَّنِي مِنْ الشَّوْقِ أَسْتَبْكِي الْحَمَامَ بَكِّي لِيَا
إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي وَقِيلَ شَفَاؤُهَا دَعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتُ أَنْتِ دُعَايَا
وَمَا زَادَنِي النَّأْيُ الْمُفَرِّقَ بَعْدَكُمْ سُلُوءًا وَلَا طَوْلُ التَّلَاقِي تَقَالِيَا^(٢)
وَلَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا كَثْرَةُ النَّاهِينَ إِلَّا تَمَادِيَا
أَلَمْ تَلْعَمِي يَا عَذْبَةَ الرِّيتِ اتَّنِي أَظَلُّ إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكَ صَادِيَا

(١) كَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ ص ١٢٣ (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ). وَفِي جَمِيعِ الْأَصُولِ هُنَا: «الْمَوْصِلِي».

(٢) فِي «مَتَهَى الطَّلَب»: «وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا».

لقد خِفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا
أخبرنا الحَرَمِيَّ بن أبي العَلَاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر قال حَدَّثَنِي بعض أصحابنا عن محمد بن مَعْن الغِفَارِيِّ عن
الأَصْبَغ بن عبدالعزيز قال:

كنت عند طَلْحَة بن عبدالله بن عَوْف؛ فدخل عليه كَثِيرٌ؛ فلما دخل من الباب أخذ برجله ففُتِنَاها ثم حَجَلَ حتى
بلغَ الْفِرَاشَ وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول:

* وَخَبِرْتُمَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَرْزُوقٌ *

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مَرْزُوق.

/ يوم ذي ضال:

أخبرني الحَرَمِيَّ قال حَدَّثَنِي الزُّبَيْر قال حَدَّثَنِي عمر بن إبراهيم السُّعْدِيُّ.

أَنْ رَهَطَ بُيُوتُهُ قَالُوا إِنَّمَا يَتَّبِعُ جَمِيلٌ أُمَّةً لَنَا. فواعد جميلٌ بُيُوتَهُ حِينَ لَقِيَهَا بِبَرْقَاءَ ذِي ضَال، فتحدثنا ليلاً طويلاً
حتى أَسْحَرْنَا^(١). ثم قال لها: هل لك أن ترقُدي؟ قالت: ما شئت، وأنا خائفةٌ أَنْ نَكُونَ قَدْ أَصْبَحْنَا. فوسَّدها جانبَهُ
ثم أَصْطَجَعَا ونامت؛ فَأَنْسَلَّ وَأَسْتَوَى على راحلته فذهب، وأصْبَحْتُ فِي مَضْجَعِهَا، فلم يَرِ الْحَيُّ إِلَّا بِهَا راقدةً عند
مُنَاخِ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك:

فَمَنْ يَكُ فِي حُجِّي بُيُوتَهُ يَمْتَرِي فَبَرْقَاءَ ذِي عَلِيٍّ شَهِيدُ

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنَا عبدالله بن شَيْبٍ عن الْحَزَامِيِّ عن فُلَيْحِ بن إسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما
أَنْتَبَهْتُ بِشَيْئَةٍ عَلِمْتُ مَا أَرَادَهُ جَمِيلُ بِهَا، فَهَجَرْتُهُ وَأَلْتُ إِلَّا تَظْهَرُ لَهُ، فقال:

/ أَلَا هَلْ إِلَى إِمَامَةٍ أَنْ أَلْتَهَا بُيُوتُهُ يَوْمًا فِي الْحَيَاةِ سَيِلُ؟
فإن هي قالت لا سَيِلَ فَقُلْ لَهَا عَنَاءٌ عَلَى الْعُذْرِي مِنْكَ طَوِيلُ
على حين يسلو الناس عن طَلَبِ الصَّبَا وَيَنْسَى أَتْبَاعُ الْوَصْلِ مِنْهُ خَلِيلُ

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه، وشعره في ذلك:

وقال الهَيْثَمُ وأصحابُهُ في أخبارهم:

تَشَكَّى زَوْجَ بُيُوتِهِ إِلَى أَبِيهَا وَأَخِيهَا إِلَى إِمَامٍ جَمِيلٍ بِهَا. فَوَجَّهُوا إِلَى جَمِيلٍ وَأَعْدَرُوا إِلَيْهِ وَشَكَّوهُ إِلَى عَشِيرَتِهِ
وَأَعْدَرُوا إِلَيْهِمْ فِيهِ وَتَوَعَّدُوهُ، وَأَتَاهُمْ فَلَامَهُ أَهْلُهُ وَعَتَّقُوهُ وَقَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْلِفُ إِلَيْهِمْ وَنَتَبَرَّأُ مِنْكَ وَمِنْ جَرِيرَتِكَ. فَأَقَامَ
مُدَّةً لَا يُلَمُّ بِهَا، ثُمَّ لَقِيَ أَبْنِيَّ عَمَّهُ رَوْقًا وَمَسْعُودًا، فَشَكََا إِلَيْهِمَا مَا بِهِ وَأَنْشَدَهُمَا قَوْلَهُ:

وَأُنِّي عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يُلْتَوَى بِهِ وَإِنْ زَجَرْتَنِي زَجْرَةَ لَوْرِعُ
/ فَقَدْ ذُنُوكَ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ فَلَمْنِي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ هُنَاكَ تَنَائِيَا مَا لَهْنُ طُلُوعُ

(١) في الأصول: «أسحر» بدون ألف الثانية. والإسحار: الدخول في وقت السحر.

يقولون صَبَّبَ بِالْغَوَانِي مُوَكَّلٌ وهل ذاك من فعل الرجال بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللَّهُوَ وَالْمَالُ ضَائِعٌ فكالتاس فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

تمثل محمد بن عبدالله بن حسن بشعره لزوجته:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مُصْعَبُ بن عبدالله قال:

كانت تحت محمد بن عبدالله بن حسن امرأة من ولد الزُبَيْر يقال لها فُلَيْحَة، وكانت لها صبيّة يقال لها رُخْيَة، قد رَبَّيْتَهَا لغير رِشْدَة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأت محمداً وقد نظر إليها ذات يوم نظراً شديداً، ثم تمثل قول جميل:

* بُيِّنَتْهُ مِنْ صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أَيْدِي الرُّمَاءِ وَمَا يَحْمِلْنَ قَوْساً وَلَا نَبْلًا *
وَلَكِنَّمَا يَظْفَرْنَ بِالصَّيْدِ كَلَّمَا جَلَوْنَ النَّسَايَا الْغُرَّ وَالْأَعْيُنَ التُّجَلَا
يُخَالِسْنَ مِعَادَا يُرَغْنَنَّ لِقَوْلِهَا^(١) إِذَا نَطَقَتْ كَانَتْ مَقَالَتُهَا فَضْلاً
يَرَيْنَنَّ قَرِيباً بَيْتَهَا وَهِيَ لَا تَرَى سَوَى بَيْتِهَا بَيْتاً قَرِيباً وَلَا سَهْلاً

فقالت له فُلَيْحَة: كأنك تريد رُخْيَة! قال: إي والله! قالت: إني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدَة. فقال لها: إِنَّ الدَّنَسَ لَا يَلْحَقُ الْأَعْقَابَ وَلَا يَضُرُّ الْأَحْسَابَ. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! والله ما يضرُّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبْتُها لك. فسُرَّ بذلك وقال: أَمَا والله لقد أعطيتكِ خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميل التي أنشدتْكِ إياها! لقد مكثتُ أسعى في طلبها حَوْلَيْنِ. فَضَحِكْتُ وَقَالَتْ: مالي ولأبياتِ جميل! والله ما أبتغيْتُ إلا مَسَرَّتَكَ. / قال: فولدت منه غلاماً. وكانت فُلَيْحَة تدعو الله ألا يُقْبِيَه. فبينما محمدٌ في بعض هَرَبِهِ مِنَ الْمَنْصُورِ والجاريةُ وأبنتُها معه إذ رَهَقَهُمَا الطَّلَبُ، فسقط الصبي من الجبل فتقطع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أُجِيبَ فِي هَذَا الصَّبِيِّ دَعَاءُ فُلَيْحَة.

نصح أبوه له فردَّ عليه رداً أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره في ذلك:

وقال الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ فِي أَخْبَارِهِمْ:

لَمَّا نَذَرَ أَهْلُ بَيْتِنَا دَمَ جَمِيلٍ وَأَبَاحَهُمُ السُّلْطَانُ قَتْلَهُ، أَعْذَرُوا إِلَى أَهْلِهِ. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم

^{٩٧}/_٧ بَيُّوتَاتٌ يَفْتَرِقُونَ كَمَا يَفْتَرِقُ الْبَطُونُ وَالْأَفْخَاذُ وَالْقَبَائِلُ غَيْرَ مُتَبَاعِدِينَ؛ أَلَمْ تَرَ إِلَى / قول جميل:

أَبِيتُ مَعَ الْهَلَاكِ^(٢) ضَيْقاً لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ أَوْلُو فَضْلٍ

فَمَشَتْ مَشِيخَةً الْحَيَّ إِلَى أَبِيهِ - وَكَانَ يُقَلِّبُ صُبَّاحاً وَكَانَ ذَا مَالٍ وَفَضْلٍ وَقَدَّرَ فِي أَهْلِهِ - فَشَكَوَهُ إِلَيْهِ وَنَاشَدُوهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ وَسَلَّوَهُ كَفَّ أَبْنَهُ عَمَّا يَتَعَرَّضُ لَهُ وَيَفْضَحُهُمْ بِهِ فِي فِتْنَتِهِمْ؛ فَوَعَدَهُمْ كَفَّهُ وَمَنْعَهُ مَا أَسْتَطَاعَ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا. فدعا به فقال له: يَا بُنَيَّ! حَتَّى مَتَى أَنْتَ عَمَّةٌ فِي ضَلَالِكَ، لَا تَأْنَفُ مِنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِذَاتٍ بَغْلٍ يَخْلُو بِهَا وَيَنْكِحُهَا وَأَنْتَ عَنْهَا بِمَعَزَلٍ ثُمَّ تَقُومُ مِنْ تَحْتِهِ إِلَيْكَ فَتَعْرُوكَ بِخِدَاعِهَا وَتُثْرِيكَ الصَّفَاءَ وَالْمَوَدَّةَ وَهِيَ مُضْمِرَةٌ لِبَعْلِهَا مَا تُضْمِرُهُ الْحُرَّةُ لِمَنْ

(١) هذا الشطر هكذا في الأصول.

الهلاك: الصعاليك.

مَلَكُهَا، فَيَكُونُ قَوْلُهَا لَكَ تَعْلِيلًا وَغُرُورًا، فَإِذَا أَنْصَرَفَتْ عَنْهَا عَادَتْ إِلَى بَعْثِهَا عَلَى حَالَتِهَا الْمَبْذُولَةِ؛ إِنْ هَذَا لَذُلٌّ وَضَمِيمٌ! مَا أَعْرِفُ أَخِيْبَ سَهْمًا وَلَا أَضْيَعَ عُمْرًا مِنْكَ. فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ وَتَأَمَّلْتَ أَمْرَكَ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا قُلْتَهُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ لَبَدَلْتُ مَا أَمْلِكُهُ فِيهَا، وَلَكِنْ هَذَا أَمْرٌ قَدَفَاتٍ وَأَسْتَبَدُّ بِهِ مَنْ قُدِّرَ لَهُ، وَفِي النِّسَاءِ عَوَضٌ. فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ، وَالْقَوْلُ كَمَا قُلْتَ؛ فَهَلْ رَأَيْتَ قَبْلِي أَحَدًا قَدَّرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ / قَلْبِهِ هَوَاهُ، أَوْ مَلَّكَ أَنْ [١٣٠/٨] يُسْلِيَ نَفْسَهُ، أَوْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يَدْفَعَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَوْ قَدَّرْتُ أَنْ أَمْحُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا عَنْ عَيْنِي لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ بَلَّيْتُ بِهِ لَحَيْنِي قَدْ أُتِيحَ لِي، وَأَنَا أَمْتَنُ مِنْ طُرُوقِ هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْعَامِ بِهِمْ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا؛ وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَقَامَ وَهُوَ يَبْكِي؛ فَبَكَى أَبُوهُ وَمَنْ حَضَرَ جَزَعًا لَمَّا رَأَوْا مِنْهُ. فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ جَمِيلٌ:

نصوت

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْمَلُ أِفْئُ فَالْتَّعَزَّى عَنْ بُيْنَةِ أَجْمَلُ
سَلَا كُلُّ ذِي وَدٍّ عِلْمَتْ مَكَانَهُ وَأَنْتَ بِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ مُوَكَّلُ
فَمَا هَكَذَا أَحْيَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
* - الْغَنَاءُ لِمَالِكَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ - *
فِيَا قَلْبُ دَغْ ذِكْرِي بُيْنَةَ إِنِّهَا وَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا تَضُنُّ وَتَبْخُلُ
وَقَدْ أَبَاسْتُ مِنْ نَيْلِهَا وَتَجَهَّمْتُ وَلَلْيَاسُ إِنْ لَمْ يُقَدِّرِ النَّيْلُ أَمْثَلُ
وَلَا فَسَلَهَا نَائِلًا قَبْلَ بَيْنِهَا وَأَبْخُلُ بِهَا مَسْؤُولَةً حِينَ تُسْأَلُ
وَكَيْفَ تُرَجِّحِي وَصَلَهَا بَعْدَ بُغْدِهَا وَقَدْ جُدَّ حَبْلُ الْوَصْلِ مِمَّنْ تَوْمَلُ
وَإِنَّ الَّتِي أَحْيَيْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِمًا، وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ
فَفِي الْيَاسِ مَا يُسْلِي وَفِي النَّاسِ خُلَّةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَغْزِلُ
بَدَا كَلَفْتُ مَنِّي بِهَا فَتَشَاقَلْتُ وَمَا لَا يُرَى مِنْ غَائِبِ الْوَجْدِ أَفْضَلُ
هَبْنِي بِرِيثَاءٍ نَلْتَمِسُ بِظُلَامَةٍ عَقَاهَا لَكُمْ أَوْ مُذْنِبًا يَنْتَضِلُ
فَتَاةٌ^(١) مِنَ الْمُرَّانِ مَا فَوْقَ حَقْوِهَا وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقًّا يَنْهَيْلُ

/ قَالَ وَقَالَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْحَالِ:

نصوت

أَعَنْ ظُعْنِ الْحَيِّ الْأَلَى كُنْتَ تَسْأَلُ بَلِيلٍ فَرَدُّوا عِيْرَهُمْ وَتَحْتَلُّوا
فَأَمَسُوا وَهُمْ أَهْلُ الدِّيارِ وَأَصْبَحُوا وَمَنْ أَهْلُهَا الْغَرِيْبَانُ بِالْدَارِ تَخْجُلُ
- فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِسِيَّاطٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ. وَفِيهِ لَأَبْنُ جَامِعٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى -
عن عمرو -

فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ: «فَتَاةٌ». وَفِي حَذِّ «فَتَاةٍ» وَهِيَ تَحْرِيفٌ.

على حين ولّى الأمرُ عَنَّا وأُسمحت^(١) فما هو إلا أن أهيمَ بذكرها
وقد أبقت الأيَّامُ مِنِّي على العدا ولستُ كمن إن سيمَ ضيماً أطاعه
لعمري لقد أبدي ليَّ البينَ صَفْحَه^(٢) وآخِرُ عهدي من بُيُنة نظرة
فلله عينا مَنْ رأى مثلَ حاجةٍ وإنسي لأشْبَكسي إذا ذُكر الهوى
نظرتُ بِبُشْرِ نظرةٍ ظَلْتُ أُمْتَرِي إذا ما كَرَزْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ رَدَه

عَصَا الْبَيْنِ وَأَبَتْ الرِّجَاءُ الْمُؤَمَّلُ
ويحظَى بِجَذَوَاهَا سِوَايَ وَيَجْدَلُ
حُسَاماً إِذَا مَسَّ الصَّرِيَّةَ يَقْصِلُ
ولا كَأَمْرِي إِنْ عَضَّه السَّهْرُ يَنْكُلُ
وَبَيْنَ لِي مَا شِئْتُ لَوْ كُنْتُ أَعْقِلُ
على موقفٍ كادت من البين تَقْتُلُ
كَتَمْتُكُمَهَا وَالتَّفَسُّسُ مِنْهَا تَمْلَسُ
إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ هَوَاكِ لَأَوْجَلُ
بِهَا عِبْرَةٌ وَالْعَيْنُ بِالدَّمْعِ تُكْحَلُ
من البعدِ فَيَاضُ مِنَ الدَّمْعِ يَهْمِلُ^(٣)

ودع بيئته حين خروجه إلى الشام:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عتبة قال: / [١٣٢/٨]
لَمَّا أَرَادَ جَمِيلُ الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ، هَجَمَ لَيْلاً عَلَى بُيُوتِهِ وَقَدْ وَجَدَ غَفْلَةً. فَقَالَتْ لَهُ: أَهْلَكْتَنِي وَاللَّهِ وَأَهْلَكَتَ
نَفْسَكَ! وَيَحْكَ! أَمَا تَخَافُ! فَقَالَ لَهَا: هَذَا وَجْهِي إِلَى الشَّامِ، إِنَّمَا جِئْتُكَ مُودِعاً. فَحَادِثُهَا طَوِيلاً ثُمَّ وَدَّعَهَا،
وَقَالَ: يَا بُيُوتَهُ، مَا أَرَانَا نَلْتَقِي بَعْدَ هَذَا، وَبَكِيَا طَوِيلاً. ثُمَّ قَالَ لَهَا وَهُوَ يَبْكِي:

أَلَا لَا أَبَالِي جَفْوَةَ النَّاسِ مَا بَدَا لَنَا مِنْكَ رَأْيِي يَا بُيُوتَ جَمِيلُ
وَمَا لَمْ تُطِيعِي كَاشِحاً أَوْ تَبَدَّلِي بِنَا بَدَلاً أَوْ كَانَ مِنْكَ ذُهُولُ
وَإِنِّي وَتَكَرَّرِي الزِّيَارَةَ نَحْوَكُمْ بَيْنَ بَلَدِي هَجَرٍ بَيْنَ يَطُولُ^(٤)
وَإِنْ صَبَّابَاتِي بِكُمْ لَكثِيرَةٌ بَيْنَ وَنَسِيَانِيكُمْ لَقَلِيلُ

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالوا شعراً في الفخر:

أخبرني الحرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْبُوخُ بْنُ عُدْرَةَ:
أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ خَرَجَ مُسَافِراً فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ وَمَعَهُ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ وَجَوَّاسُ بْنُ قُطْبَةَ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
قُطْبَةَ. فَقَالَ مَرْوَانُ لَجَوَّاسٍ: انْزِلْ فَأَرْجُزْ بِنَا، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ. فَتَزَلَ جَوَّاسٌ وَقَالَ:

يَقُولُ أَمِيرِي هَلْ تَسُوقُ رِكَابَنَا فَقُلْتُ لَهُ حَادٍ لَهْنٍ سَوَائِيَا

(١) أَسْمَحْتُ: سَهَلْتُ وَذَلْتُ.

(٢) الصَّفْحُ: الْجَانِبُ.

(٣) فِي الْأَصُولِ «مَهْمِلٌ». وَالَّذِي فِي «كُتُبِ اللَّغَةِ»: هَمِلَ الدَّمْعُ إِذَا سَالَ.

(٤) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَصُولِ.

٩٩
٧

[١٣٣/٨]

تَكْرَمْتُ عَنْ سَوْقِ الْمَطِيِّ وَلَمْ يَكُنْ سِبَاقُ^(١) الْمَطِيِّ هَمَّتِي وَرَجَائِيَا
/ جَعَلْتَ أَبِي رَهْنًا وَعِزِّي سَادِرًا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يَكُونُوا كِفَائِيَا
إِلَى شَرِّ بَيْتٍ مِنْ قُضَاعَةٍ مَنُصَّبَا وَفِي شَرِّ قَوْمٍ مِنْهُمْ قَدْ بَدَأِيَا^(٢)
/ فَقَالَ مِرْوَانُ: ارْكَبْ لَا رَكْبَتَا. ثُمَّ قَالَ لَجَمِيلٍ: انْزِلْ فَأَرْجُزْ بِنَا، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ. فَنَزَلَ جَمِيلٌ فَقَالَ:
أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ الْأَعْظَمِ الْفَارِعِ النَّاسِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ
أَخِمِّي ذِمَّتَارِي وَوَجَدْتُ أَقْرَمِي كَانُوا عَلَى غَارِبٍ طَوْدٍ خِفْرِمِ
* أَعْيَا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يُهْدَمْ *

فَقَالَ: عَدُّ عَنْ هَذَا. فَقَالَ جَمِيلُ:

لَهْفًا عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْدِي لَهْفَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَكْفَا
وَلَوْ دَعَا اللَّهَ وَمَدَّ الْكَفَا لَرَجَفَتْ مِنْهُ الْجِبَالُ رَجْفَا
فَقَالَ لَهُ ارْكَبْ لَا رَكْبَتَا.

أَمْرَهُ الْوَلِيدُ بِالْحَدَاءِ لِيَمْدَحَهُ فَقَالَ شِعْرًا فِي الْفَخْرِ، وَلَمْ يَمْدَحْ أَحَدًا قَطُّ:

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ قَالَ:
كَانَ جَمِيلٌ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي سَفَرٍ وَالْوَلِيدُ عَلَى نَجِيبٍ؛ فَرَجَزَ بِهِ مَكِينُ الْعُدْرِيِّ فَقَالَ:
يَا بَنُكَرُ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلَكََا خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى ذُرَاكََا
فَقَالَ الْوَلِيدُ لَجَمِيلٍ: انْزِلْ فَأَرْجُزْ، وَظَنَّ الْوَلِيدُ أَنَّهُ يَمْدَحُهُ. فَنَزَلَ فَقَالَ:

أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ مِنْ مَعَدَّ فِي السَّدُورَةِ الْعَلِيَاءِ وَالرُّمُحِ الْأَشَدَّ
وَالْبَيْتِ مِنْ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ وَالْعَدَدَّ مَا يَتَنَفَّى الْأَعْدَاءُ مَنِّي وَلَقَدْ
أَضْرِي^(٣) بِالشُّنَمِ لِسَانِي وَمَرَدَّ أَقْوَدُ مَنْ شِثْتُ وَصَغَبْتُ لَمْ أَقْدُ
فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: ارْكَبْ لَا حَمَلَكَ اللَّهُ!. قَالَ: وَمَا مَدَحَ جَمِيلٌ أَحَدًا قَطُّ.

هَذِهِ الْحَزِينُ الدِّيلِيُّ فَهَجَاهُ:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٤) بْنِ سَالِمٍ قَالَ:

/ وَقَفَ جَمِيلٌ عَلَى الْحَزِينِ الدِّيلِيِّ وَالْحَزِينُ يُشَدُّ النَّاسَ. فَقَالَ لَهُ الْحَزِينُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ: كَيْفَ تَسْمَعُ شِعْرِي؟ [١٣٤/٨]

(١) فِي حَدٍّ: «سِبَاقِي».

(٢) كَذَا فِي تَرْجُمَةِ جَوَاسٍ (فِي الْجُزْءِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ «الْأَغَانِي» طَبْعُ بَلَّاقٍ ص ١١٣). وَفِي الْأَصُولِ هُنَا: «إِلَى خَيْرِ بَيْتٍ فِيهِمْ قَدْ بَدَأِيَا».

(٣) فِي كِتَابِ «مَنْتَهَى الطَّلَبِ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ»: «أَضْرَمَ». وَفِي الْأَصُولِ: «أَضْرَى». وَضَرَى بِالشَّيْءِ (مِنْ بَابِ فَرَحٍ) لَهَجَ بِهِ، وَأَضْرَاهُ بِالشَّيْءِ الْهَجَهُ بِهِ.

(٤) فِي حَدٍّ: «عَبِيدُ اللَّهِ».

قال: صالحٌ وَسَطٌ. فغضب الحزين وقال له: ممن أنت؟ فوالله لأهجوئك وعشيرتك! فقال جميل: إذا تَنَدَّمَ. فأقبل الحزين يُهَمِّمهم يريد هجاءه. فقال جميل:

الدَّيْلُ أَذْنَابُ بَكْرٍ حِينَ تَنْسُبُهُمْ وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ذَنْبٌ
فقامت له بنو الدَّيْلِ وناشدوه الله إِلَّا كَفَّ عَنْهُمْ، ولم يزالوا به حتى أمسك وأنصرف.

راجز جَوَّاس بن قُطَيْبَة حين ذكر أخته فغلبه:

أخبرني الحرَمي ومحمد بن مَزِيد - واللفظ له - قالاً حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي محمد بن الضَّحَّاك عن أبيه قال:

لَمَّا هَاجَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قُطَيْبَةَ جَمِيلًا وَأَسْتَعْلَى عَلَيْهِ جَمِيلٌ، أَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَعْتَرَضَهُ أَخُوهُ جَوَّاسُ بْنُ قُطَيْبَةَ فَهَجَاهُ وَذَكَرَ أَخْتًا لَجَمِيلٍ. وَكَانَ جَمِيلٌ قَبْلَ ذَلِكَ يَحْتَقِرُهُ وَلَا يَنْصَبُ^(١) لَهُ، حَتَّى هَجَا أَخْتَهُ فَقَالَ فِيهِمَا ذِكْرَهَا بِهِ مِنْ شَعْرِهِ:
إِلَى فَخَذَيْهَا الْعَبْلَتَيْنِ وَكَانَتَا بَعْهَدِي لَقَاوَيْنِ^(٢) أُرْدِفَتَا ثِقْلًا

فغضب جميلٌ حينئذ فواعده للمراجعة. قال الزُّبَيْرُ فحدَّثَنِي بعضُ آلِ العباسِ بن سَهْلٍ بن سعد عن عباسٍ قال: قَدِمْتُ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَقَدْ أَجَازَنِي وَكَسَانِي بُرْدًا، كَانَ ذَلِكَ الْبُرْدُ أَفْضَلَ جَائِزَتِي، فَتَزَلْتُ وَادِي^{١١٠} الْقُرَى فَوَافَقْتُ الْجُمُعَةَ بِهَا فَاسْتَخَرْتُ بُرْدِي / الَّذِي مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقُلْتُ أَصْلِي مَعَ النَّاسِ؛ فَلَقِينِي جَمِيلٌ، وَكَانَ صَدِيقًا لِي، فَسَلَّمَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ وَتَسَاءَلْنَا ثُمَّ افْتَرَقْنَا. فَلَمَّا أَمْسَيْتُ إِذَا هُوَ قَدْ أَتَانِي فِي رَحْلِي / فَقَالَ: الْبُرْدُ الَّذِي رَأَيْتَهُ عَلَيْكَ تُعِيرُنِيهِ حَتَّى أَتَجَمَّلَ بِهِ؛ فَإِنْ بَيْنِي وَبَيْنَ جَوَّاسِ مُرَاجَزَةٌ، وَتَحْضُرُ فَتَسْمَعُ. قَالَ قُلْتُ: لَا! بَلْ هُوَ لَكَ كُسُوءٌ، فَكَسُوهُ إِيَّاهُ، وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ مُرَاجَزَتَهُمَا. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَعَلَ الْأَعَارِبُ يَأْتُونَ أَرْسَالًا حَتَّى أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَحَضَرْتُ وَأَصْحَابِي، فإِذَا بِجَمِيلٍ قَدْ جَاءَ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، وَإِذَا بُرْدِي الَّذِي كَسُوهُ إِيَّاهُ قَدْ جَعَلَهُ جُلًّا لَجَمَلِهِ؛ فَتَرَا جَزَا فَرَجَزَ جَمِيلٍ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ تَكْنَى أُمُّ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ:

يَا أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ أَضْرِمِينِي	فَبَيِّنِي صَرْمِي أَوْصِلِينِي
أَبْكِي وَمَا يُذْرِيكَ مَا يُبْكِينِي	أَبْكِي حِذَارَ أَنْ تُقَارِقِينِي
وَتَجْعَلِي أَبْعَدَ مِنِّي دُونِي	إِنْ بَنِي عَمَّكَ أَوْعَدُونِي
أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسِي إِذَا لَقُونِي	وَيَقْتُلُونِي ثُمَّ لَا يَدُونِي ^(٣)
كَلَّا وَرَبَّ الْبَيْتِ لَوْ لَقُونِي	شَفَعًا وَوَثْرًا لَتَوَاكَلُونِي ^(٤)
قَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ دُونِي	ضَرْبًا كَلِيزَاغٍ ^(٥) الْمَخَاضِ الْجُونِ

(١) كَذَا فِي م، أ، م. وَنَصَبَ لَهُ: عَادَاهُ وَتَجَرَّدَ لَهُ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ «وَلَا يَنْصَبُ لَهُ».

(٢) لَقَاوَان: ضَخْمَتَانِ مَكْتَنَزَتَا اللَّحْمِ.

(٣) وَدَاهُ بِدِيهِ: دَفَعَ دِيَتَهُ.

(٤) أَيِ وَكَلَنِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ خَوْفًا مِنِّي وَجَبَانًا.

(٥) الْإِيزَاغُ: إِخْرَاجُ الْبُولِ دَفْعَةً وَاحِدَةً. وَالْحَوْلَالُ تَوْزُغٌ بِأَبْوَالِهَا، وَالطَّعْنَةُ تَوْزُغٌ بِالْدَمِ.

أَلَا أَسُبُّ الْقَوْمَ إِذْ سَبُّونِي بَلَى وَمَا مَرَّ عَلَى دَفِينٍ^(١)
 وسابحاتِ بَلَوِي الْحُجُونِ^(٢) قَدْ جَرَّئُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي
 حتى إذا شَابُوا وشيَّبُونِي أَخْزَاهُمُ اللَّهُ وَلَا يُخْزِينِي
 أَشْبَاهُ أَغْيَارٍ عَلَى مَعِينِ^(٣) أَحْسَنَنَّ حَسَّ أَسَدٍ حَارُونِ
 فَهَنْ يَضْرِبُنَّ مِنَ الْيَقِينِ أَنَا جَمِيلٌ فَتَعَرَّفُونِي
 / وَمَا تَقَنَعْتُ فَتَكْرُونِي وَمَا أُعَيَّنْكُمْ لَتَشَالُونِي
 أَنْمَى إِلَى عَادِيَةِ طَحُونِ يَنْشَقُّ عَنْهَا السَّيْلُ ذُو الشَّوُونِ
 غَمْرٌ يَذُقُ رُجْحَ^(٤) السَّفِينِ ذُو حَدَبٍ^(٥) إِذَا يُرَى حُجُونِ

[١٣٦/٨]

* تَنَحَّلَ أَحْقَادُ الرِّجَالِ دُونِي *

قال: ورجز جميل أيضاً:

* أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ مِنْ مَعَدٍّ *

وقد تقدّمت هذه الأرجوزة. ثم رجز بعده جَوَّاسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيت غَلَبَةً مثَلَهَا قَطُّ.

هجا خواتنا العذري وبني الأحب:

أخبرنا الحَرَمِيّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا بُهْلُولُ بن سُلَيْمَانَ عن العَلَاءِ بن سعيد الْبَلَوِيِّ وجماعةٍ غيره من قومه:
 أَنَّ رَجُلًا من بني عُذْرَةَ كان يقال له خَوَاتٌ، أُمُّهُ بَلَوِيَّةٌ، وكان شاعراً، وكان جميل أبْنُ جُدَامِيَّةٍ. فخرج جميل
 إلى أخواله بجُدَامٍ وهو يقول:

جُدَامُ سَيُوفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ إِذَا أَزَمَتْ يَوْمَ اللَّقَاءِ أَزَامُ^(٦)
 هُمْ مَنَعُوا مَا بَيْنَ مِضْرَ فِذِي الْقُرَى إِلَى الشَّامِ مِنْ حِلٍّ بِهِ وَحَرَامِ
 بِضَرْبِ يُزَيْلِ الْهَامِ عَنْ سَكَنَاتِهِ^(٧) وَطَعْنِ كَلِيسَزَاغِ الْمَخَاضِ ثَوَامِ
 / إِذَا قَصُورَتْ يَوْمًا أَكُفْتُ قَبِيلَةَ عَنْ الْمَجْدِ نَالَتِهِ أَكُفْتُ جُدَامِ

١١١
٧

فَاعْطَوْهُ مائة بَكْرَةٍ. قال: وخرج خَوَاتٌ إلى أخواله من بَلِيٍّ وهو يقول:

إِنْ بَلِيًّا غُرَّةً يُهْتَدَى بِهَا كَمَا يَهْتَدِي السَّارِي بِمُطْلَعِ النَّجْمِ
 هُمْ وَلِدُوا أُمِّي وَكُنْتُ أَبْنَى أُخْتِهِمْ وَلَمْ أَتَخَوَّلْ^(٨) جِذْمَ قَوْمٍ بِلَا عِلْمِ

(١) دفين: موضع.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة.

(٣) الأعيار: الحمر. والمعين: الماء العذب الغزير.

(٤) الرجح من السفن: الثقليلة الموقرة.

(٥) حدب السيل: ارتفاعه. وحجون: بعيد.

(٦) أزام: شدة، وهو مبني على الكسر.

(٧) السكنة (بفتح فكسر): مقر الرأس من العنق.

(٨) اتخول: اتخذ خالاً. وفي الأصول: «أتخول» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. والجذم: الأصل.

[١٣٧/٨] / قال: فأعطوه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وليدة؛ ففخر على صاحبه، وذكر أن الغُرَّة الواحدة مما أتى به مما معه
تَعْدِلُ كُلَّ شَيْءٍ أَتَى بِهِ جَمِيلٌ. فقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قُطَيْبَةَ:

سَتَقْضِي بَيْنَنَا حَكَمَاءُ سَعْدٍ أَقْطِبَةُ كَسَانٍ خَيْرًا أَمْ صَبَاحُ
قال: وكان عبدالله بن معمر أبو جميل يلقب صَبَاحًا. وكان عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قُطَيْبَةَ يلقب حماظًا^(١). فقال النَّخَّارُ العُدْرِي
أحد بني الحارث بن سعد: قُطَيْبَةُ^(٢) كان خيرًا من صَبَاحٍ. فقال جميل يهجو بني الأَحَبِّ رَهْطَ قُطَيْبَةَ ويهجو النَّخَّارَ:
إِنَّ أَحَبَّ سُقُلٍ^(٣) أَشْرَارُ حُفَالَةُ عُودُهُمْ خَسَوَارُ
أَذَلُّ قَوْمٍ حِينَ يُذْعَى الْجَارُ كَمَا أَذَلَّ الْحَارِثُ النَّخَّارُ
وقال الأبيرق العُتَيْبِيُّ^(٤): قُطَيْبَةُ كان خيرًا من صَبَاحٍ. فقال جميل:

يَا بَنَ الْأَبِيرِقِ وَطَبِّ بِتٍ^(٥) مُسْنِدَهُ إِلَى وَسَادِكَ مِنْ حَمِّ الدُّرَى جُونِ
وأكلتان إذا ما شئت مرتفقاً بالسَّيرِ مِنْ نَغْلِ الدَّفِينِ مَدَهُونِ^(٦)
أَذْكَرُ^(٧) وَأَمُّكَ مَنِي حِينَ تَنْكُبُنِي^(٨) جِنِّي فَيَغْلِبُ جِنِّي كُلَّ مَجْنُونِ
[١٣٨/٨] / وقال جماعة من شعراء سَعْدٍ في تفضيل قُطَيْبَةَ على صَبَاحٍ أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له
جعفر بن سُرَّاقَة أحد بني قُرَّة:

نَحْنُ مَتَّعْنَا ذَا الْقُسْرَى مِنْ عَدُونِنَا وَعُذْرَةَ إِذْ نَلَقَى يَهُودًا وَيَعِشْرًا^(٩)
مَتَّعْنَاهُ مِنْ عَلِيٍّ مَعْدًى وَأَنْتُمْ سَقَايِفُ رَوْحٍ بَيْنَ قُرَحٍ^(١٠) وَخَيْسَرَا
فَرِيقَانِ رُفْبَانٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْقُرَى وَبِالشَّامِ عَرَّافُونَ فِيمَنْ تَنْصَرَا
فلما بلغت جميلًا أتقاه وعلم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل:

بَنَى عَامِرٌ أَنَّى أَنْتَجَعْتُمْ وَكُنْتُمْ إِذَا حُصِّلَ الْأَقْوَامُ كَالْخُصِيَةِ الْفَرْدِ
فَأَنْتُمْ وَلَآئِي مَوْضِعِ الدَّلِّ حَجْرَةَ وَقُرَّةُ أَوْلَى بِالْعَلَاءِ وَبِالْمَجْدِ

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول «حلماطا». وليس لدينا ما يرجع إحدى الروايتين.

(٢) في الأصول «... الحارث بن سعد بن قطبة... إلخ» وهو تحريف.

(٣) كذا في أكثر الأصول، والسفل: جمع سافل وهو الدنيء، ويقال لأسافل الناس وغوغالهم: سفلة (بفتح فكسر) وسفلة (بكسر فسكون) والعامية تقول رجل سفلة (بفتح فكسر) من قوم سفل (بفتح فكسر) قال ابن الأثير وليس بعربي. وفي حد: «قزم أشرار» والقزم (بفتح تين أو بضم تين): اللثام.

(٤) في ب، س: «القيني».

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أنت مسنده».

(٦) لم نهتد إلى وجه الصواب في هذا البيت وقد أثبتنا صورته كما وردت في الأصول، فهو هكذا في ب، س. وفي حد هكذا: «من نعل الذي فين». وفي م، أ، ه هكذا: «من بغل الذي فين».

(٧) في ب، س، حد: «أزكى وأملك...». وهو تحريف.

(٨) في م، أ، ه: «تتكئني».

(٩) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ويعثر». ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه.

(١٠) السفاسف: التراب الدقيق. والروح: الريح. وقرح: سوق وادي القرى وقصبتها.

فأعرض عنه جعفر - قال الزبير: بنو عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهط هذبة بن خشرم بن كرز بن أبي حنيفة بن الكاهن وهو سلمة بن أشحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد. وزيادة ابن زيد بن مالك بن عامر بن قرّة بن خنيس بن عمرو بن ثعلبة بن عبدالله^(١) بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم. ولأبي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم - قال: فدخل جميل على هذبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقة؛ فلما دخل عليه عرض ذلك عليه؛ فقال هذبة: أنت يابن قميثة^(٢) الذي تقول:

بني عامر أئى أنتجعتهم وكتتم إذا عُدّ الأقوام كالخضية الفرد

/ أما والله لئن خلّص الله لي ساقى لأمدنّ لك مضمارك؛ خذ بُردك ونفقتك. فخرج جميل؛ فلما بلغ باب السجن [١٣٩/٨] ١٠٢ / خارجاً قال: اللهم أغن عني أجدر بني عامر. وكانت بنو عامر قد قلّوا فحالفوا لأياً.

لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي قال حدثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

• يا أبا الحارث قلبي طائر •

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبدالله بن مغمر وقد اجتمعوا بالأبطح؛ فأنشد جميل قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلتي	بئنة أو أبدت لنا جانسب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنسي	لأقسم ما بي من بئنة من مهل
أحلماً فقبل اليوم كان أوائه	أم أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل
لقد أنكحوا حربي نبيها ظعينة	لطيفة طي البطن ذات شوى خذل
وكم قد رأينا ساعياً بنميمة	لآخر لم يغمذ بكف ولا رجل
إذ ما تراجعنا الذي كان بيننا	جرى الدمع من عيني بئنة بالكحل

قصيدة

كلنا بكى أو كاد يبكى صباة	إلى إفسه وأستعجلت عبرة قلبي
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها	ولكن طلائها لِمَا فات من عقلي
فيا ونح نفسي حسب نفسي الذي بها	ويا ونح أهلي ما أصيب به أهلي

(١) في الأصول: «ابن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان إلخ».

(٢) القميّة: الدليّة.

/ وقالت لأثراب لها لا زعانسف
إذا حميت شمس النهار أتقينها
تداعين فاستعجن من مشياً بذى الغضا
إذا أرتعن أو فزغن فمّن حوالها
أجدّي لا ألقى بئنة مرة
خليلي فيما عشتما هل رأيتما
قال: وأنشده عمر قوله:

جری ناصح بالود بيني وبينها
فما أنس م الأشياء أنس موقفي
فلما تواقفنا عرفت الذي بها
فقلن لها هذا عشاء وأهلنا
فقلت فما شئت قلن لها أنزلي
فأقبلن أمال الدمي فاكتنفها
نجوم دزاري تكفن صورة
/ فسلمت وأستانست خيفة أن يرى
فقلت وألقت جانب الشر إنما
/ فقلت لها ما بي لهم من ترؤب
فلما أقتصرنا دونهن حديثنا
عرفن الذي نهوى^(٧) فقلن أئذني لنا
فقلت فلا تلبن قلن تحدّثي
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما

فقرّيتي يوم الحصاب إلى قلتي
وموقفها وهنأ^(٤) بقارعة النخل
كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
قريب ألما تسامي مركب البغل
فلأرض خير من وقوف على رخل
وكل يقدي بالمودة والأهل
من البدر وافث غير هوج ولا ثجل^(٥)
عدو مكاني أو يرى كاشح فعلي
معي فتحدّث غير ذي رقة أهلي
ولكن ميري ليس يحملّه مثلي
وهن طبيبات بحاجة ذي الثبل^(٦)
نطف ساعة في برد ليل وفي سهل
أتيك وأنسبن أنساب مهة الرمل
أئين الذي يأتين من ذاك من أجلي

١٠٣
٧

[١٤١/أ]

(١) الزعانف: جمع زعنفة وهي القصيرة. والكس: جمع كساء. والكسس: قصر الأسنان وصغرها. والثعل: جمع ثعلاء. والثعل: زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى.

(٢) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء. والضحل: الماء القليل.

(٣) الرجل: الخوف أو الفزع من فوت الشيء، يقال أنا من أمرى على رجل أي على خوف من قوته. وفي ب، س: «على رجل» بالحاء المهملة.

(٤) كذا في أكثر الأصول و«ديوان عمر بن أبي ربيعة» (طبع أوروبا). وفي ب، س: «يوماً بفاغرة النخل».

(٥) ثجل: جمع ثجلاء، وصف من الثجل وهو عظم البطن واسترخاؤه، ويروى: «ولا عجل».

(٦) كذا في «ديوانه». والثبل: أن يسقم الهوى الإنسان. وفي الأصول: «ذي الشكل».

(٧) في «ديوانه»: «نهوى» بالثاء.

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطاب: لا أقول والله مثل هذا مسجيس^(١) الليالي! وما خاطب النساء مخاطبتك أحد؛ وقام مشمراً.

نسبة ما في هذا الخبر من «الأناني»

صوت

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي
أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ موسعون ذرو فضل
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابها لما فات من عقلي
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وذكر حماد والهشام أن فيه لنافع الخير مولى عبدالله بن جعفر لحناً من الثقيل الأول.

ومنها:

صوت

ألا أيها البيت الذي جيل دونه بنا أنت من بيت^(٢) وأهلك من أهل
/ ثلاثة أيات فيئت أجبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي
كلنا بكى أو كاد يكي صباية إلى ألفه وأستعجلت عبرة قبلي
الغناء لإسحاق خفيف ثقيل الثاني بالبصرة.

ومنها:

صوت

لقد فرح الواشون أن صرمت حيلي بشنة أو أبذت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم ما بي عن بئنة من مهل
الغناء لابن مخزوم من كتاب يونس ولم يجثته، وذكر إسحاق أنه مما ينسب إلى ابن مخزوم وابن مسجح، ولم يصح عنده لأيهما هو ولا ذكر طريقته.

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حسان قال أخبرني نافع مولى عبدالله بن جعفر - وما رأيت أحداً قط كان أشكل ظرفاً ولا أزين في مجلس ولا أحسن غناء منه - قال:
قدمنا مع عبدالله بن جعفر مرة على معاوية؛ فأرسل إلي يزيد يذعوني ليلاً؛ فقلت: أكره أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشككوني إلى ابن جعفر. قال فأمهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يقتلك

(١) مسجيس الليالي: طول الليالي.

(٢) فر، ب، سر: بنا أنت من بيتي وأهلك من أهلي.

١١٤ / وَنَخْلُو نَحْنُ بِمَا نَرِيدُ قَبْلَ قِيَامِهِمَا. / فَأَتَيْتُهُ فغَيْثُهُ؛ فوالله ما رأيتُ فتى أشرفَ أَرْيَحِيَّةَ منه؛ والله لألقَى عليَّ من الكُسا الحَزَّ والوَشْيِ وغيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنا فيه، حتى قام معاوية ونهض أبْنُ جعفر معه، وكان باب يزيد في سَقِيفَةِ معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا أبْنُ جعفر؟ قال: هذا والله صوتُ نافع. فدخل علينا؛ فلما أحسَّ به يزيدُ تناوَم. / فقال له معاوية: مالك يا بُنَيَّ؟ قال: صُدِغْتُ فرجوتُ أن يُسَكِّنَ عَنِّي بصوتِ هذا. قال: فتبسَّم معاوية وقال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قُدومِكَ. فقال له أبْنُ جعفر: يا أميرَ المؤمنين، إن هذا في بعضِ الأحايين يُذَكِّي^(١) القلب. قال: فضحك معاوية وأنصرف. فقال لي أبْنُ جعفر: وَيْلَكَ! هل شَرِبَ شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إنِّي لأرجو أن يكون من فِتْيَانِ بني عبد مَنَاف الذين يُتَنَفَّعُ بهم. قال نافع: ثم قَدِمْنَا على يزيدَ مع عبدالله بن جعفر بعد ما أَسْتُخِلِفَ، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلَّم عليه ودخلت معهم. فلما نظر إليَّ تبسَّم. ثم نهض أبْنُ جعفر وتبعناه. فقليل له: نظر إلى نافع وتبسَّم. فقال أبْنُ جعفر: هذا تأويلُ تلك الليلة. ففَضَى حوائجَ أبْنِ جعفر وأضعف ما كان يَصِلُهُ به معاوية. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه؛ فأرسل إليَّ يزيدُ فدخلتُ عليه. قلل: وَيْحَكَ يا نافع! ما أَخْرَجْتُكَ إلا لَاتَفَرَّغَ لك. هَاتِ لَحَنَكَ:

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
فَأَسْمَعْتُهُ؛ فقال: أَعِذْ وَيْلَكَ! فأعدته، ثم قال: أَعِذْ فأعدته ثلاثاً. فقال: أَحْسَنْتُ؛ فَسَلَّ حاجتك. فما سأله في ذلك اليوم شيئاً إلا أَعْطَانِيهِ. ثم قال: إِنْ يَصْلُحْ لَنَا هَذَا الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ أبْنِ الزُّبَيْرِ فَلَعَلَّنَا أَنْ نَحْجَّ فَتَلْقَانَا بِالْمَدِينَةِ! فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا هُنَاكَ. قال نافع: فَمَنَعْنَا وَاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ شَوْمُ ابْنِ الزُّبَيْرِ.

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدثها:
أخبرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيُّ قال حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي الزُّنَادِ قال:

١١٤ / خَرَجَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ يَرِيدُ الشَّامَ، فَلَمَّا كَانَ بِالْجَنَابِ^(٢) لَقِيَهُ جَمِيلٌ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْشِدْنِي، فَأَنْشَدَهُ:

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
ثم قال جميل: أَنْشِدْنِي يَا أَبَا الْخَطَّابِ، فَأَنْشَدَهُ:
أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيْطْنِ حُلِيِّاتٍ دَوَارِسَ بَلَقَعَا
فلما بلغ إلى قوله:

فلما تسواقفنا وسلمتُ أَشْرَقَتْ وَجوهَ زَهَامَا الْحَسَنِ أَنْ تَتَقَفَا
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْتَنِي^(٣) وَقُلْنَ أَمْرٌ بِأَعْيُنٍ أَوَّضَعَا

(١) في ب، س: «يلذكر».

(٢) الجنب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام.

(٣) في ب، س: «رأيتني».

وَقَرْنَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتَيْمٍ يَمِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إَضْبَعَا
قال: فصاح جميلٌ وأستخذني وقال: ألا إن النسيب أخذ من هذا، وما أنشده حرفاً، فقال له عمر: اذهب بنا إلى
بُيْنَةَ حتى نسلّم عليها. فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها، وهاتيك أبياتها. فأتاها عمرٌ
حتى وقف على أبياتها ونأّس حتى كُلم؛ فقال: / يا جارية، أنا عمر بن أبي ربيعة، فأعْلمني بشيئة مكاني. فخرجت إليه ١٥
بشيئة في مَبَازِلِهَا وقالت: والله يا عمر لا أكون من نسائك اللَّاتِي يَزْعُمْنَ أن قد قتلهنَّ الوجدُ بك؛ فأنكسر عمر؛ قال
وإذا امرأةٌ أدماءُ طَوَالَةً.

وأخبرني بهذا الخبر علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبير فذكر مثل ما ذكره الزبير
وزاد فيه قال: فقال لها قول جميل:

[١٤٥/أ]

/ وَهُمَا قَالَتَا لَوْ أَنَّ جَمِيلًا عَرَضَ الْيَوْمَ نَظْرَةً فَرَأَا
يَتِيمًا ذَاكَ مِنْهُمَا وَإِذَا بِي^(١) أَعْمَلُ النَّصْرِ^(٢) سَيَرَةً زَفَيَانَا
نظرت نحو تزويجها ثم قالت قد أتانا - وما علمنا - مُنَانَا
فقلت: إنه أستملى منك فما أفلح؛ وقد قيل: اربط الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلم من جزيه تعلم من خلقه.

لقي بيئة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بيئة وشعره في ذلك:
وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم: أن جميلًا طال مقامه بالشام ثم قدم، وبلغ بيئة خبره فراسلته مع
بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدتها به وطلبها للحيلة في لقائه، وواعدته لموضع يلتقيان فيه؛ فسار إليها
وحدثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما،
فوثب جميلٌ فانتفض سيفه وشد عليهما فأتقياه بالهرب؛ وناشدته بيئة الله إلا أنصرف، وقالت له: إن أقمت
فضحتني، ولعل الحي أن يلحقوك. فأبى وقال: أنا مقيمٌ وأمضي أنت وليصنعوا ما أحبوا. فلم تزل تناشده حتى
أنصرف. وقال في ذلك وقد هجرته وأنقطع التلاقي بينهما مدة:

[١٤٦/أ]

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْخَلَاءَ فَيَنْطِقْ وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيْدَاءَ سَمَلَقْ^(٣)
وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَمَائِي وَمَلَّ الْوُقُوفَ الْأَرْحَحِيَّ^(٤) الْمَنُوقْ
تَعَزَّ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ لَعَلَّكَ مِنْ رِقِّ لَبَنَّةٍ تَغْتَسِقْ
لَعَمْرُكُمْ إِنْ الْبِعَادَ لَشَائِقِي وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشَوْقْ
/ لَعَلَّكَ مُحْزُونٌ وَمُبْدٍ صَبَابَةٌ وَمُظْهِرُ شَكْوَى مِنْ أَنْاسٍ تَفَرَّقُوا
وَبَيْضُ غَرِيرَاتٍ تُشْشِي خُصُورَهَا إِذَا قُمْنَسَ أَعْجَازُ نَقَالٍ وَأَشَوْقْ

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وأنا» وهو تحريف.

(٢) النص: السير الشديد. وزفيانا: سريعا.

(٣) سملق: مقفرة لا نبات بها. وقد وردت هذه القصيدة. في «متهى الطلب من أشعار العرب» مختلفة الألفاظ عما هنا.

(٤) الأرحبي: النجيب من الإبل، ينسب إلى قبيلة بني أرحب. والمنوق: الذلول.

غَرَائِرَ لَمْ يَلْقَيْنَ بؤْسَ مَعِيشَةٍ يُجِنَ بِهِنَ النَّاظِرُ^(١) الْمَتَوَقُّ
وَعَلَّغْتُ^(٢) مِنْ وَجْدٍ إِلَيْهِنَّ بَعْدَمَا سَرَيْتُ وَأُخْشَائِي مِنَ الْخَوْفِ تَخْفِقُ
مَعِيَ صَارِمٌ قَدْ أَخْلَصَ الْقَيْنُ صَفْلَهُ لَهُ حِينَ أَغْشِيهِ الضَّرِيبَةُ رَوْقُ
فَلَوْلَا أَحْتِيَالِي ضِقْنِ ذُرْعَا بَزَائِرِ بِهِ مِنْ صَبَابَاتٍ إِلَيْهِنَّ أُولَسُقُ^(٣)
تَبُوكُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ مَفْلَجاً يُشْغِشِعُ فِيهِ الْفَارِسِيُّ^(٤) الْمَرُوقُ
ابْنَةُ لِلْوَضَلِ الَّذِي كَانَ يَتَسَا نَصّاً مِثْلَ مَا يَنْضَوُ الْخِضَابُ فَيَخْلُقُ
ابْنَةُ مَا تَتَأَيَّنَ إِلَّا كَأَنِّي بِنَجْمِ الثَّرَيَّا مَا نَأَيْتِ مُعَلَّقُ

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبٍ وهو ظالم مُتَعَتِّبٌ^(٥).

١٠٦ / فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رِدِّ الْمَاءَ مَا جَاءَتْ بِصَفْوِ ذَنَابِي^(٦) وَدَعُهُ إِذَا خِيَضَتْ بِطَرَقِي^(٧) مَشَارِبُهُ
أَعَاتِبُ مَنْ يَحْلُو لَدَيَّ عَتَابُهُ وَأَتْرِكُ مَنْ لَا أَشْتَهِي وَأَجَانِبُهُ
وَمَنْ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ ظَالِماً عِنَاؤُكَ مَظْلُوماً وَأَنْتِ تُعَاتِبُهُ

١٤٧/٨ / فقال: أحسن والله! أعدها علي؛ فأعدتها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحرم.

ذهب معه صديق له إلى بئنة فطارده أهلها فرجع:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعِيدِي^(٨) قال: حدثني رجلٌ كان يصحب

جميلاً من أهل تيماء قال:

كنت يوماً جالساً مع جميل وهو يحدثني وأحدثه، إذ ثار وتربد وجهه، فأكرته ورأيت منه غير ما كنت أرى،
ووثب نافراً مُقَشِّعَ الشعر متغير اللون، حتى أتني بناقة له قريية من الأرض مُجْتَمِعَةٍ مُوثِقَةِ الْخَلْقِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهُ،
ثم أتني بِمِخْلَبٍ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَهُ، ثم ثنى فشربت حتى رويت؛ ثم قال لي: اشدُّ أداة رَحْلِكَ وَأَشْرَبُ وَأَسْقِي جَمَلِكَ

(١) تنوَّق في أموره: جود وبالف.

(٢) غلغل الرجل: دخل في تعب وشدة. وفي «ديوان منتهى الطلب من أشعار العرب»: «تنضيت» ومعناها: هزلت.

(٣) الأولق: الجنون.

(٤) الفارسي: من أسماء الخمر.

(٥) متعتب: متجن.

(٦) الذناب: جمع ذنوب وهي الدلو العظيمة.

(٧) الطرق: أن تبول الإبل في الماء وتبعر فتكدره. ويقال للماء الذي خوضته الإبل فبال فيهِ وبعرت: مطروق وطرق.

(٨) في ب، س: «السعدي».

فلإني ذاهب بك إلى بعض مَدَاهِبي، ففعلتُ. فجال في ظهر ناقته وركبتُ ناقتي، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا كله، لا والله ما نزلنا إلا للصلاة، فلما كان اليوم الثالث دَفَعْنَا إلى نسوة فمال إليهن، ووجدنا الرجال خُلُوفاً^(١)، وإذا قَدْرُ لبنٍ ثم وقد جُهِدْتُ جوعاً وعَطْشاً. فلما رأيتُ القَدْرَ أَقْتَحَمْتُ عن بعيري وتركته جانباً، ثم أدخلتُ رأسي في القَدْرَ ما يَكْنِينِي حَرُّهَا حتى رَوَيْتُ؛ فذهبتُ أُخْرِجُ رأسي من القَدْرَ فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قلنسية، فضجكن متي وغسلن ما أصابني. وأتي جميل يقرئ فوالله ما ألتفت إليه. فبينما هو يحدثهن إذا رَوَاعِي^(٢) الإبل، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمه إن وجدوه في بلادهم؛ وجاء الناس فقالوا له: وَيَحْكَ! أَنْجُ وَتَقَدَّمْ! فوالله ما أَكْبَرَهُمْ كُلَّ الإكْبَارِ. وغشيه الرجال فجعلوا يرمونه ويطرُدونه، فإذا قَرَّبُوا منه قاتلهم ورمى فيهم. وهامَ بي جَمَلِي، فقال لي يَسْرُ: / لنفسك مَرَكِباً خلفي، فَأَزْدَنِي خَلْفَهُ. ولا والله ما أنكسر ولا أنحلَّ عن فِرْصَتِهِ^(٣) حتى رجع إلى أهله، وقد سار ست ليال وستة أيام وما ألتفت إلى طعام.

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك:

وشكا زوج بُيْنَةَ إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها؛ فوجهوا إلى جميل فأغذروا إليه وشكوه إلى عَشِيرَتِهِ وأغذروا إليهم وتوعدوه وإيَّاهم. فلامه أهله وعثقوه وقالوا: اسْتَخْلِصْ إليهم ونبراً منك ومن جَرِيرَتِكَ. فأقام مدة لا يُلِمُّ بها. ثم لقي أبنِي عَمِّهِ رَوْقاً ومسعدة، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

صوت

زُورًا بُيْنَةَ فَالْحَيِّبُ مَزُورُ إن الزيادة للمحبب يسيرُ

إن الترخُّلَ، إن تلبَّس أمرُّنا وأعتاقنا قَدْرُ أَحِمِّ، بكور

- الغناء لعريب رمل بالوسطى -

صوت

إني عشيَّة رُخْتُ وهي حزينة تشكو إلي صابئة لَصْبُورُ

/ وتقول بث عندي فديتُك ليلة أشكو إليك فلإن ذاك يسيرُ

١٠٧
٧

- الغناء لسليم خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقل أول بالنصر ذكر الهشامي أنه لمُخَارِقُ، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيف رمل -

غراء منسَامُ كأن حديثها دُرَّ تَحَدَّرَ نَظْمُهُ مَثُورُ

محطوطة^(٤) المتئين مضمرة الحشى رِيا الروادف خلقتها ممكور

/ لا حُسْنِهَا حُسْنٌ ولا كَدَلَالِهَا دَلٌّ ولا كَوَفَارِهَا تَوَقِيرُ

[١٤٩/٨]

(١) خلُوفًا: غيبًا.

(٢) المراد هنا الإبل الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فإن جمع الراعي رعاة ورعاء ورعيان.

(٣) الفرصة: القطعة من الصوف والقطن. ولعله يريد ما وضعه على رجل بعيره وجعله تحته.

(٤) محطوطة المتئين: ممدوتهما. وفي الأصول: «مخطوطة المتئين» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

إِنَّ اللِّسَانَ بِذِكْرِهَا لَمَوْكِلٌ وَالْقَلْبُ صَادٍ وَالْخَوَاطِرُ صُورٌ^(١)
ولمَنْ جَزَيْتِ الْوَدَّ مَنِّي مِثْلَهُ إِنْسِي بِذَلِكَ يَا بَيْتِنَ جَدِيرُ

فقال له رَوْق: إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها، وإنك منها بين فجورٍ أرفَعُك عنه، أو ذُلٍّ لا أُحِبُّه لك، أو كَمَدٍ يُؤدِّيك إلى التَّلَف، أو مخاطرةً بنفسك لقومها إن تَعَرَّضْتَ^(٢) لها بعد أَعذارهم إليك. وإن صرفتَ نفسك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرعتَ مرارةَ الحَزْمِ حتى تَأَلَّفَها وتَصْبِرَ نفسك عليها طائعةً أو كارهةً أَلِفْتَ ذلك وسلَّوتَ. فبكى جميل وقال: يا أخي، لو ملكْتُ اختياري لكان ما قلت صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألا تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلُوم، وأن تُحِمِّلَ على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنتَ لا بدَّ مُهْلِكاً نَفْسَكَ فَأَعْمَلْ على زيارتها ليلاً؛ فإنها تخرج مع بناتِ عَمٍّ لها إلى مَلْعَبٍ لهنَّ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً، ولي أَخٌ من رَهْطِ بَيْتِنَ من بني الأَحَبِّ، نَأْوِي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتك عليّ هذا، فتقيم عنده أياماً نهارَكَ وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقْضِيَ أَرْبَعًا؛ فشكره. ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رَهْطِ بَيْتِنَ، فأخبره الخبرَ وأستعده كتمانَه وسأله مساعدته فيه. فقال له: لقد جئتني بإحدى العظام؛ وَيَحْكُ! إن في هذا مُعَاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِنَ به. فقال: أنا أتحَرِّزُ في أمره من أن يَظْهَرَ، فواعده في ذلك؛ ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة، فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بَيْتِنَ بوليده له بخاتم جميل فدفعته إليها؛ فلما رآته عرفتُ، فتبعته وجاءته فتحدثا ليلتهما. وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودَّعها، / وقال لها: عن غيرِ قَلِيٍّ والله ولا مَلَلٍ يا بَيْتِنَ كان ودَّاعي لك، ولكني قد تدممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ عليّ ذلك، ثم أنصرف. وقال في عَذْلِ رَوْقِ أَبِي عَمِّه إِيَّاهُ:

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةِ حَبِيبٌ إِلَيْهِ فِي مَلَامَتِهِ رُشْدِي
وقال أَفِئْتُ حَتَّى مَتَى أَنْتَ هَائِمٌ بَيْتَنَ فِيهَا قَدْ تُعِيدُ وَقَدْ تُبْذِرُ
فقلتُ له فيها قَضَى اللهُ مَا تَرَى عَلَيَّ وَهَلْ فِيمَا قَضَى اللهُ مِنْ رَدٍّ
فإن بك رُشْداً حُبُّهَا أَوْ غَوَايَةً فَقَدْ جِئْتُه مَا كَانَ مَنِّي عَلَى عَمْدٍ

/ صوت

١٠٨
V

لَقَدْ لَجَّ مِثْقَالُ مِنَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يُوفِ اللَّهُ مِنْ عَهْدٍ
فلا وأبيها الخير ما خُنْتُ عَهْدَهَا وَلَا لِيَّ عِلْمٌ بِالَّذِي فَعَلْتُ بَعْدِي
وما زادها الواشون إلا كرامةً عَلَيَّ وما زالت مودَّتها عندي

- الغناء لمُتِمِّ بِقِيلٍ أَوَّلُ عَنْ الْهَشَامِيِّ، وَذَكَرَ أَبُو الْمَعْتَزِ أَنَّهُ لَشَارِيَّةٌ، وَذَكَرَ أَبُو خُرْدَاذِبَةَ أَنَّهُ لَقَلَمُ الصَّالِحِيَّةِ -

أَفِي النَّاسِ أَمْثَالِي أَحَبُّ فَحَالُهُمْ كَحَالِي أَمْ أَحَبُّتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي

(١) صور: مائلات.

(٢) في الأصول: «تعدت» وليس لها معنى مناسب.

وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما لقيت بها أم لم يجذ أحدٌ وجدي

وقال جميل فيها:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلمنا
ألمّا بها ثم أشفعنا لي وسلمنا
وروحاً بذكرى عند بئنة وأنظراً
فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا
/ فسوف ^(١) يرى منها اشتياق ولوعة
وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا
فسوف يرى منها صدود ولم تكن
اعوذ بك اللهم أن تشحط التوى
وجاوز إذا ما مك بيني وبينها
عديمتك من حب أمّا منك راحة
ألا أيتها الحب المبرح هل ترى
أجذك لا تبلى وقد بلى الهوى
أغري أجذك لا تبلى وقد بلى الهوى

[١٥١/٨]

نحوه

هي البدر حسناً والنساء كواكب
لقد فضلت حسناً على الناس مثلاً
وشتان ما بين الكواكب والبدر
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

غثت شارية في هذين البيتين خفيف رملي من رواية ابن المعتز.

تهاجرا مدة ثم اصطالحا:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني الرّحال بن سعد المازني قال: وقع بين جميل وبئنة هجر في غيرة كان غارها عليها من فتى كان يتحدث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدث إلى غيرها، فيشق ذلك على بئنة وعلى جميل، وجعل كل واحد منهما يكره أن يبيدي لصاحبه شأنه. فدخل جميل يوماً وقد غلبه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بئنة. فلما رآته بئنة جاءت إلى البيت ولم تبرز له؛ فجزع لذلك جميل؛ وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه؛ وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ، / فأنشأ يقول:

/ لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة
وإنسي لتثنيبي الحفيظة كلّما
وفي النفس حاجات إليك كما هيّا
لقيك يوماً أن أبئك ما ييا

١٠٩

[١٥٢/٨]

(١) كذا في ح. و. ف. ساك الأصول: «فكف».

ألم تعلمي يا عذبة الرقيق أنني
أظلل إذا لم أُنقِ ريقك صديدا
قال: فرقت له بئينة، وقالت لمولاة لها كانت معها: ما أحسن الصدق بأهلك! ثم أصطلحا. فقالت له بئينة: أنشدني قولك:

تَظَلُّ وراءَ الشَّيْرِ تَرْتُوبُ بِلَحْظِهَا إذا مرَّ من أتربها مَنْ يَرُوقُها

فأنشدها إيّاها؛ فبكت وقالت: كلاً يا جميل! ومن ترى أنه يروقني غيرك!

نعي جميل وحزن بئينة عليه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر أيوب بن عتبة قال: خرجت من تيماء في أغباش^(١) السحر، فرأيت عجوزاً على أتان، فتكلمت فإذا أعرابية فصيحة. فقلت: ممن أنت؟ فقالت: عذرية. فأجريت ذكر جميل وبئينة؛ فقالت: والله إننا لعلنا بالجَنَاب وقد تنكبنا الجادة^(٢) لحيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز، وقد خرج رجالنا لسفرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً؛ فأنحدروا ذات عشية إلى صِرم^(٣) قريب منا يتحدثون إلى جوارٍ منهم، فلم يبقَ غيري وغير بئينة، إذ أنحدر علينا منحدراً من هضبة تلقاها، فسلم ونحن مُستوحشون وجِلون. فتأملتُ ورددتُ السلام فإذا جميل. فقلت: أجميل؟ قال: إي والله؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمّت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقْطُ^(٤) مطحون وإلى عَكَّة^(٥) فيها سَمْنٌ ورُبٌّ^(٦)، فعصرتها على الأقط / ثم أدنيتها منه وقلت: أصب من هذا، فأصاب منه؛ وقيتُ إلى سِقَاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرب منه وتراجعت نفسه. فقلت له: لقد بلغت ولقيت شراً، فما أمرك؟ قال: أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاثٍ ما أريمتها أنتظر أن أرى فرجةً، فلما رأيتُ مُنَحْدَرَ فِتْيَانِكُمْ أتيتُكم لأودعكم وأنا عامدٌ إلى مِصر. فتحدّثنا ساعةً ثم ودّعنا وشخص، فلم تَظَلْ غيبته أن جاءنا نعيه. فرعّموا أنه قال حين حضرته الوفاة:

صَدَعَ^(٧) النَّعْسِيُّ وما كنسى بجميل
ولقد أجّر الدُّيْلَ في وادي القُرى
وَنُصِيَ بِمِصْرَ نَوَاءَ غيرِ قُقولٍ
نَشْوانَ يمين مزارعٍ ونخيلٍ
قُومِسي بئينة فأنذبي بعويل
وأبكي خيلك دون كل خليل

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعي قال: حدثني رجلٌ شهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعاه فقال: هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك؟ فقال قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا مكٌ فخذْ حُلَّتِي هذه التي في عَيْيَتِي فأعزِلْها جانباً ثم كلْ شيء سواها لك، وأزحلْ إلى رَهْط بني الأحب من عُدرة - وهم رَهْط بئينة - فإذا صرت إليهم فأرتحلْ ناقتي هذه وأركبها، ثم ألبسْ حُلَّتِي هذه وأشققها

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.

(٢) الجادة: الطريق.

(٣) الصرم: الجماعة من الناس ليسوا بالكثير.

(٤) الأقط (بفتح فكسر)، وفيه لغات أخرى هذه أفصحها: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

(٥) العكة: زقيق صغير للسمن.

(٦) الرب: ما يطبخ من التمر.

(٧) صدع: جاهر وصرح.

ثم أغل على شرف وصيخ بهذه الأبيات وخلّاك ذمّ. ثم أنشدني هذه الأبيات:

/ صَدَعَ النَّعِيّ وَمَا كُنِيَ بِجَمِيلٍ وَثَوَى بِمَضْرَ ثَوَاءٍ غَيْرِ قُفُولٍ ^{١١٠}/_٧

- وذكر الأبيات المتقدمة - فلما قضى وواريته أنيث رَهْطَ بُيُوتِ ففعلت ما أمرني به جميل، فما أستتممت

الأبيات حتى برزت إليّ امرأة يتبعها نسوة قد فرعنهنّ / طولاً وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دُجْنَةٍ وهي تتعثر [١٥٤/٨]

في مِرْطِهَا^(١) حتى أتتني، فقالت: يا هذا، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنني، ولئن كنت كاذباً لقد فضختني. قلت:

والله ما أنا إلا صادق، وأخرجت حُلَّتَه. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكّت وجهها، واجتمع نساء الحيّ يبيكين

معهن ويندبنه حتى صعبت فمكثت مغشياً عليها ساعة، ثم قامت وهي تقول:

وإن سُلُوِيَّ عن جميلٍ لَسَاعَةٌ من الدهرٍ ما حانت ولا حان حينها

سواءً علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ إذا مِتُّ بأساء الحياة ولينها

قال: فلم أر يوماً كان أكثر باكيةً وبكيةً منه يومئذ.

قصود

من المائة المختارة من رواية جخظة عن أصحابه

أَمْسَى الشَّبَابُ مُودَّعاً مَحْمُوداً وَالشَّيْبُ مُؤْتَنِفٌ^(٢) الْمَحَلُّ جَدِيداً

وَتَغْيِيرُ الْبَيْضِ الْأَوَانِسُ بَعْدَ مَا حَمَلَتْهُنَّ مَوَائِقُهَا وَعُوداً

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطثريّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبصرة.

وفيه لبابويه خفيف ثقیل بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

(١) المرط: كساء من صوف.

(٢) اتتنف الشيء واستأنفه: استقبله، أو أخذ أوله وابتدأه.

أ / ذكر يزيد بن الطثيرة^(١) وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه:

ذكر ابن الكلبي أن أسمه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير. وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير. وقال أبو عمرو الشيباني: اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وإنما قيل له سلمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشر. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة. والطثيرة أمه، فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن الشكري عن محمد بن حبيب، امرأة من طثر، وهم حي من اليمن عداؤهم في جرم. وقال غيره: إن طثراً من عتر^(٢) بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعيمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وكان أبو جرّاد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسر طثراً فمكث عنده زماناً ثم خلاه وأخذ عليه إصراً^(٣) ليبتغى إليه بفدائه أو ليأتيه بنفسه وأهله فلم يجد فداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جرّاد فوسمه / سمّة إبله، فهم خلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يؤولون^(٤) بني المنتفق، وهم يُعيرون ذلك^(٥) الوسم. وقال بعض من يهجوهم:

• عليه الوسم وسم أبي جرّاد •

وفيهما يقول يزيد بن الطثيرة:

ألاً بشما أن تجرموني^(٦) وتغضبوا علي إذا عاتبكم يا بني طثر
/ وزعم بعض البصريين: أن الطثيرة أم يزيد كانت مولعة بإخراج زبد اللبن، فسميت الطثيرة. وطثرة اللبن: زبدته.

(١) كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال: «والطثيرة بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهي أمه ينسب يزيد المذكور إليها، وهي من بني طثر بن عتزر بن وائل. والطثر: الخصب وكثرة اللبن، يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفي «القاموس» و«شرح» (مادة طثر): «وطثيرة محرّكة أم يزيد بن الطثيرة الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في الحماسة للتبريزي و«الأمالي» لأبي علي القالي و«الشعر والشعراء» بإسكان الثاء.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وابن خلكان و«المعارف» لابن قتيبة و«الاشتقاق» لابن دريد و«القاموس» (مادة عتزر). وعتزر هذا ويكر وتغلب جميعاً أبناء وائل بن قاسط وأمههم هند بنت تميم بن مر. وفي الأصول: «عبد» وهو تحريف.

(٣) الإصر: العهد.

(٤) في أكثر الأصول «يؤولون بني المنتفق». ووالاه وتولاه: دخل في ولائه. وفي ب، س: «يؤولون إلى بني المنتفق».

(٥) في الأصول: «يعيرون بذلك». والفصيح الكثير أن يقال: يعيرون ذلك، حتى قيل: إن تعدية «عير» إلى مفعوله الثاني بالياء ممنوعة.

(٦) كذا في ب، س. والجرم: القطع والصرم. وفي سائر الأصول: «تحرمني» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

كان يلقب مودقاً لجماله، وكان كثير التحدث إلى النساء:

ويُكنى يزيدُ أبا المَكشوح^(١). وكان يلقَّب مودقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودقهن^(٢).

أخبرني محمد بن خلف عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان يزيد بن الطثرية يقول: من أفعِم عند النساء فليُنشد من شعري. قال: وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء، وكان يقال: إنه عيِّن.

ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مباد الجرمي ويزيد بن الطثرية:

وروى عنه^(٣) عبدالله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كلاب عن سعاد بنت يزيد بن زريق^(٤) امرأة منهم:

/ أن يزيد بن الطثرية كان من أحسن مَنْ مَضَى وجهاً وأطيبه حديثاً، وأن النساء كانت مفتونة به، وذكر الناس [١٥٧/٨] أنه كان عيِّناً، وذلك أنه لا عَقَبَ له، وأن الناس أمحلُّوا^(٥) حتى ذهبت الدققة من المال ونُهكت^(٦) الجليلة؛ فأقبل صِرْمٌ^(٧) من جَرَم ساقته السَّنة والجَذْب من بلاده إلى بلاد بني قُشير، وكان بينهم وبين بني قُشير حربٌ عظيمة؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمِي قشير بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَذْب والمَجَاعَة ودَقَّة الأموال وما أشرفوا عليه من الهَلَكَة. ووقع الربيع في بلاد بني قُشير فأتبعها الناس وطلبوها؛ فلم يُعَدَّ أن لقيت جَرَم قُشيراً، فنصبت قشير لهم الحرب. فقالت جَرَم: إنما جئنا مُستجيرين غير محاربين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السَّنة والجَذْب والهَلَكَة التي لا باقية لها. فأجارتهم قشير وسالمتهم وأزعتهم طرفاً من بلادها. وكان في جَرَم فتى يقال له مَيَّاد، وكان غزلاً حسن الوجه تامَّ القامة آخذاً بقلوب النساء. والغزل في جَرَم جائزٌ حسن، وهو في قُشير نائرة^(٨). فلما نازلت جَرَم قُشيراً وجاورتها أصبح مَيَّاد الجَرَمي فغدا إلى القُشيريَّات يطلبُ منهنَّ الغَزَلَ والصَّبَا والحديث واستبraz الفتيات^(٩) عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسَّقْي والرُّغِيَّة وما أشبه ذلك؛ فدفعنه عنهنَّ وأسمعنه ما يكره. وراحت رجالهنَّ عليهنَّ وهنَّ مُغضبات؛ فقال عجائزُ منهنَّ: والله ما ندري أزعيتُ جَرَم المَرعى أم أزعيتُموهم نساءكم! فأشدت ذلك عليهم فقالوا: وما أدراكُ^(١٠)؟ قلن: رجلٌ منذُ اليوم ظلَّ مجحراً^(١١) لنا / ما يطلعُ منا^(١٢) رأسٌ واحدة، يَدُور بين بيوتنا. فقال بعضهم: [١٥٨/٨]

(١) كنى بذلك لأنه كان على كشحه (خاصرته) كي نار.

(٢) كذا في أكثر الأصول. يريد أنه فتنهن بجماله وحلاوة حديثه. يقال: ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل. والأصل فيه لذوات الحافر ثم نقل إلى الإنسان. وفي ب، س: «أودق».

(٣) مرجع الضمير في «عنه» غير واضح، على أنه يحتمل أن تكون كلمة «عنه» زيدت سهواً.

(٤) في م: «زريق» بتقديم الزاي على الراء.

(٥) في ب، س: «محلوا»، وهو تحريف، إذ يقال: محللت الأرض (من باب كلام ومنع) وأمحللت، ويقال: أمحل القوم ليس غير.

(٦) كذا في ج. وفي «سائر الأصول»: «وتهكت الحليلة».

(٧) الصرم (بالكسر): الجماعة من الناس.

(٨) كذا في الأصول. والنائرة: العداوة والشحناء، أي أن الغزل في قشير سبب العداوة والتباغض. وفي «تجريد الأغانى»: «مكروه».

(٩) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «الفتيان» بالنون، وهو تصحيف.

(١٠) في «تجريد الأغانى»: «... ماذاكنه».

(١٢) كذا في الأصول: «مجحراً» (بهاء مهمله فجيم) والأرجح أن تكون (بجيم معجمة بعدها حاء) وهو مأخوذ من أحجره إذا جاء إلى أن يدخل حجره. ومجاحر القوم: أماكنهم.

(١٣) كذا في «تجريد الأغانى». وفي الأصول: «ما يطلع بنا».

بَيَّتُوا جَزْماً فَاصْطَلِمُوها^(١). وقال بعضهم: قبيح! قوم قد سَقَيْتُمُوهم مِياهكم وأَرَعَيْتُمُوهم مَرَاعِيَكُمْ وَخَلَطْتُمُوهم بَأَنفُسِهِمْ وَأَجَرْتُمُوهم مِنَ الْقَحْطِ وَالسَّيِّئَةِ تَفْتَاتُونَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْاِفْتِيَاتِ لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ تُصْبِحُوا^(٢) وَتَقَدَّمُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ سَفِيءٌ مِنْ سَفَهَاتِهِمْ فَلْيَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ. فَإِنْ يَفْعَلُوا فَأَتَتْهُمُ لَهُمْ إِحْسَانُكُمْ، وَإِنْ يَمْتَنَعُوا وَيُقَرُّوا مَا كَانَ مِنْهُ يَحِلُّ لَكُمْ الْبَسْطُ عَلَيْهِمْ وَتَخْرُجُوا مِنْ ذِمَّتِهِمْ؛ فَاجْتَمِعُوا عَلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَاً نَفَرُوا مِنْهُمْ إِلَى جَزْمٍ فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي قَدْ جَاوَرْتُمُونَا بِهَا! إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ سَجِيَّةً لَكُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَنَا إِرْعَاءٌ وَلَا إِسْقَاءٌ، فَبَرَّزُوا عَنَّا أَنْفُسَكُمْ وَأَذَنُوا بِحَرْبٍ. وَإِنْ كَانَ افْتِنَانًا فَغَيِّرُوا^(٣) عَلَى مَنْ فَعَلَهُ. وَإِنَّهُمْ لَمْ يَغْدُوا أَنْ قَالُوا لَجَزْمٍ ذَلِكَ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جَزْمٍ وَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي نَالَكُمْ؟ قَالُوا: رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمْسَ ظِلٌّ يَجْرُ أَدْيَالَهُ بَيْنَ أَيْبَاتِنَا مَا نَدْرِي عِلَامَ كَانَ أَمْرُهُ فَقَهَقَتْ جَزْمٌ مِنْ جَفَاءٍ / الْقُشَيْرِيِّينَ وَعَجَزَتْ بِهَا وَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَتَحْسُونُ مِنْ نَسَائِكُمْ بِبِلَاءٍ؛ أَلَا فَابْعَثُوا إِلَى بَيْوتِنَا رَجُلًا وَرَجُلًا. فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نُحْسُ مِنْ نَسَائِنَا بِبِلَاءٍ، وَمَا نَعْرِفُ مِنْهُنَّ إِلَّا الْعَقَّةَ وَالْكَرْمَ، وَلَكِنْ فَيَكُمُ الَّذِي قُلْتُمْ. قَالُوا: فَإِنَّا نَبْعَثُ رَجُلًا إِلَى بَيْوتِكُمْ يَا بَنِي قُشَيْرٍ إِذَا غَدَتِ الرِّجَالُ وَأَخْلَفَ النِّسَاءُ، وَتَبْعَثُونَ رَجُلًا إِلَى الْبَيْوتِ، وَتَنَحَالِفُ أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى زَوْجَةٍ وَلَا أُخْتٍ وَلَا بِنْتٍ وَلَا يُعْلَمُهَا بِشَيْءٍ مِمَّا دَارَ بَيْنَ الْقَوْمِ؛ فَيَظَلُّ كِلَاهُمَا فِي بَيْوتِ أَصْحَابِهِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيْنَا عَشِيَّةَ الْمَاءِ وَتُخْلَى لَهُمَا الْبَيْوتُ^(٤)، وَلَا تَبْرُزُ عَلَيْهِمَا أَمْرًا وَلَا تُضَادِقُ مِنْهُمَا وَاحِدًا فَيُقْبَلُ مِنْهُمَا صَرْفٌ وَلَا^(٥) عَدْلٌ إِلَّا بِمَوَاقِفٍ يَأْخُذُهَا عَلَيْهَا وَعِلَامَةٌ / تَكُونُ مَعَهُ مِنْهَا. قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَظَلُّوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ وَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدُوا^(٦) إِلَى الْمَاءِ وَتَنَحَالَفُوا أَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى الْبَيْوتِ مِنْهُمْ أَحَدٌ دُونَ اللَّيْلِ. وَغَدَا مِيَادَ الْجَزْمِيِّ إِلَى الْقُشَيْرِيَّاتِ، وَغَدَا يَزِيدُ بْنُ الطُّشَيْرِيَّةِ الْقُشَيْرِيَّ إِلَى الْجَزْمِيَّاتِ؛ فَظَلَّ عِنْدَهُنَّ بِأَكْرَمِ مَظَلٍّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا أَفْتَتَنَتْ بِهِ وَتَابَعَتْهُ إِلَى الْعُودَةِ وَالْإِخَاءِ وَقَبَضَ مِنْهَا رَهْنًا وَسَأَلَتْهُ أَلَّا يَدْخُلَ مِنْ بَيْوتِ جَزْمٍ إِلَّا بَيْتَهَا، فَيَقُولُ لَهَا: وَأَيُّ شَيْءٍ تَخَافِينَ وَقَدْ أَخَذْتِ مِنِّي الْمَوَاقِفَ وَالْعُهُودَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي قَلْبِي نَصِيبٌ غَيْرِكَ؛ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ. فَانصَرَفَ يَزِيدُ بِفَتْحٍ^(٧) كَثِيرٍ [وَذَبَلٍ]^(٨) وَبَرَّاقِعَ وَأَنْصَرَفَ مَكْحُولًا مَدْهُونًا شَبَعَانِ رِيَّانَ مُرَجَّلٍ اللَّئِمَةُ^(٩). وَظَلَّ مِيَادَ الْجَزْمِيِّ يَدُورُ بَيْنَ بَيْوتِ الْقُشَيْرِيَّاتِ مَرْجُومًا مُقْصَى لَا يَتَقَرَّبُ إِلَى بَيْتٍ إِلَّا اسْتَقْبَلَتْهُ الْوَلَائِدُ بِالْعَمَدِ^(١٠) وَالْجَنْدَلِ، فَتَهَالِكُ لَهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُ أَرْتِيَادُ^(١١) مِنْهُنَّ لَهُ، حَتَّى أَخَذَهُ ضَرْبٌ كَثِيرٌ بِالْجَنْدَلِ وَرَأَى الْبَاسَ^(١٢) مِنْهُنَّ وَجَهَدَهُ الْعَطَشُ، فَانصَرَفَ حَتَّى جَاءَ إِلَى سَمُرَةٍ^(١٣) قَرِيبًا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَتَوَسَّدَ يَدَهُ وَنَامَ تَحْتَهَا نُؤِيمَةً حَتَّى أَفْرَجَتْ عَنْهُ

(١) اصطلمه: استأصله.

(٢) أي لتصبحوا، فالفعل مجزوم بلام محذوفة.

(٣) أي أزعجوه وأنكروا عليه ما فعله واصرّفوه عنه.

(٤) هذه العبارة: «وتُخْلَى لَهُمَا الْبَيْوتُ» ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب، س.

(٥) «في الأصول»: «فيقبل منهما صرفاً ولا عدلاً» وقد جعلناها (صرف ولا عدل) بالرفع على أنه نائب الفاعل وهو الفصيح الكثير.

(٦) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول «تجريد الأغاني»: «تواعدوا الماء».

(٧) الفتح (كسبب): واحدة فتحة، وهي حلقة من فضة لا فص لها، فإذا كان فيها فص فهي الخاتم.

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ب، س. والذبل: جلد السلفاة البرية، وقيل: البحرية، وقيل: عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء

منه الأسورة والأمشاط.

(٩) في «تجريد الأغاني»: «الجمعة». واللمة (بالكسر): الشعر المجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمعة.

(١٠) العمد (بفتحيتين وبضميتين أيضاً): قضبان الحديد. والجندل: الحجارة.

(١١) الارتياذ: الطلب.

(١٢) في ح، ه، م: «البأس» بالياء المشاة التحتية.

(١٣) السمرة: شجرة من الغضاه.

الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالَ وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب وبَرَد عطشُه قليلاً، ثم قَرُبَ إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أمةً تَدُود غنماً في بعض الظعن^(١)، فأخذ بُرْقَعَهَا فقال: هذا برقعُ واحدةٍ من / نسائكُم، [١٦٠/٨] فطَرَحَه بين يدي القوم؛ وجاءت الأمةُ تَعْدُو فتعلقت بِبُرْقَعِها فرُدَّ عليها وخجل مَيَّادٌ خجلاً شديداً. وجاء يزيد مُمَسِّباً وقد كاد القوم أن يتفرَّقوا، فنثر كُتْمَه بين أيديهم ملأَنَ براقعَ [وذَبَلًا] وفتَحَا، وقد حَلَفَ القومُ ألا يعرف رجلٌ شيئاً إلا رفعه. فلما نثر ما معه أسودَّت وجوهُ جَرَمٍ وأمسكوا بأيديهم^(٢) إمساكةً. فقالت^(٣) قُشَيْر: أنتم تعرفون ما كان بيننا أَمِس من اليهود والمواثيق وتحرَّج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه وتفرَّقوا عن حرب؛ وقالوا: هذه مَكِيدَةُ يا قُشَيْر. فقال في ذلك يزيد بن الطثيرة:

فإن شئت يا مَيَّادُ زُرْنَا وزُرْتُم ولم نَنفُسْ^(٤) الدنيا على من يُصِيبُها
أيذهب مَيَّادُ بِالْبَابِ نِسْوتِي ونسوةً مَيَّاسِدٍ صَحِيحُ قُلُوبِها

وقال مَيَّادُ الجَرَمِي:

لَعَنَرُكَ إِنَّ جَنَعَ بَنِي قُشَيْرٍ لَجَرَمٍ فِي يَزِيدَ لظالمونا
/ أليس الظلمُ أن أباك مَيَّادُ وأنتك في كَتِيبةٍ آخِرِينَا
أحالفَةُ عَلَيْكَ بَنُو قُشَيْرٍ يَمِينُ الصَّبْرِ^(٥) أُمُّ مَتَحَرِّجُونَا

أحب وحشية ومرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرى:

قال: وبُلِّي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرَمٍ في ذلك اليوم يقال لها وَحْشِيَّة، وكانت من أحسن النساء. ونافرتهم جَرَمٌ فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت وأشتدَّ به الجَهْدُ؛ فجاء إلى أبْنِ عَمٍّ له يقال له خَلِيفَةُ بن بوزل^(٦)، بعد اختلاف الأطباء إليه ويأسهم منه، فقال [له]^(٧): يابْنَ عَمٍّ، قد تَعْلَم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل، / وأنَّ التعمُّزِي أجمل، فما أَرَيْكَ في أن تقتل نفسك وتأتَم بربِّك؟ قال: وما هَمِّي يابْنَ عَمٍّ بنفسي وما لي فيها [١٦١/٨] أمر ولا نهْي، ولا هَمِّي إلا نفسُ الجَرَمِيَّة؛ فإن كنت تريد حياتي فأرنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحمِلني إليها. فحملة إليها وهو لا يطمع في الجرمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحْشِيَّة أبَلَّ قليلاً وراجع وطمع، وإذا أيس منها أشتدَّ به الوجع. فخرج به خَلِيفَةُ بن بوزل فحملة فتخلَّل به اليمَن، حتى إذا دخل في قبيلة أنتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة. وأبَلَّ حتى صلح بعض الصَّلاح، وطمع فيه أبْنُ عَمِّه، وصارا^(٨) بعد زمانٍ إلى حيٍّ

(١) كذا في أكثر الأصول. والظعن: سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مَرِيع أو تحوُّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. وفي حد، أو «تجريد الأغاني» «تدود غنماً في العطن». والعطن: المناخ حول الورد، فأما في مكان آخر فمراح وماوى.

(٢) يريد أنهم قبضوا أيديهم. ولم يمدوها إلى شيء مما نثر أمامهم.

(٣) كذا في حد و«تجريد الأغاني». وفي «سائر الأصول»: «فقال».

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». ونفس عليه الشيء (من باب علم): لم يره أهلاً له. وفي «جميع الأصول»: «تنفس» بالتاء المثناة.

(٥) يمين الصبر: هي التي يحبس المرء حتى يحلفها.

(٦) في أ، و«تجريد الأغاني»: «خليفة بن بورك».

(٧) زيادة عن «تجريد الأغاني».

(٨) في الأصول: «وصار بعد زمانٍ إلى حيٍّ وحشية فلقى...» بدون ألف التشية في الفعلين.

وَحْشِيَّةٌ فَلَقِيَا الرُّعْيَانَ وَكَمَمَا فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ. فَجَعَلَ خَلِيفَةُ يَنْزِلُ فَيَتَعَرَّضُ لِرُّعْيَانِ الشَّاءِ فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ رَاعِي وَحْشِيَّةٍ^(١)، حَتَّى لَقِيَ غَلَامَهَا وَغَنَمَهَا؛ فَوَاعَدَهُمْ مَوْعِداً وَسَأَلَهُمْ مَا حَالُ وَحْشِيَّةٍ؟ فَقَالَ غَلَامُهَا: هِيَ وَاللَّهِ بَشْرًا لَا حِفْظَ اللَّهِ بَنِي قُشَيْرٍ وَلَا يَوْمًا رَأَيْنَاهُمْ فِيهَا فَمَا زَالَتْ عَلِيلَةً مِنْذُ رَأَيْنَاهُمْ - وَكَانَ بِهَا طَرَفٌ مِمَّا بَابُنِ الطُّثْرِيَّةِ - فَقَالَ: وَيَحْكُ! فَإِنَّ هَاهُنَا إِنْسَانًا يُدَاوِيهَا، فَلَا تَقُلْ لِأَحَدٍ غَيْرِهَا. قَالَ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَأَعْلَمَهَا الرَّاعِي مَا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ حِينَ صَارَ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: وَيَحْكُ! فَجِيءَ بِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ فَلَقِيَهُ بِالْغَدِ فَأَعْلَمَهُ، وَظَلَّ عِنْدَهُ يَرْعَى غَنَمَهُ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الشَّاءِ حَتَّى تَقْدُمَتْهُ الشَّاءُ وَجَنَعَ اللَّيْلُ، وَأَتَحَدَّرَ بَيْنَ يَدَيْ غَنَمِهِ حَتَّى أَرَا حِجَابَهَا^(٢). وَمَشَى فِيهَا يَزِيدُ حَتَّى^(٣) قَرُبَتْ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعٍ وَتَجَلَّلَ شَمْلَةً سَوْدَاءَ بِلَوْنِ شَاةٍ مِنَ الْغَنَمِ؛ فَصَارَ إِلَى وَحْشِيَّةٍ، فَسُرَتْ بِهِ سُرُوراً شَدِيداً، وَأَدْخَلَتْهُ سِتْرًا لَهَا وَجَمَعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ مَنْ تَثَقُّ بِهِ مِنْ صَوَاحِبَاتِهَا وَأَتْرَابِهَا. وَقَدْ كَانَ عَهْدٌ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ أَنْ يَقِيمَ / فِي الْجَبَلِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ لَمْ يَرَهُ فَلْيَنْصَرِفْ. فَأَقَامَ يَزِيدُ عِنْدَهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَصَارَ إِلَى صَاحِبِهِ. فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا يَزِيدُ؟ وَرَأَى مِنْ سُرُورِهِ وَطِيبِ نَفْسِهِ مَا سَرَّهُ. فَقَالَ:

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصُّبَا يَابْنَ بَنُوزَلٍ بَفَرْعِ الْغَفْصَى إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلَةً^(٤)
لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ مِنَ النَّوَى عَلَى بَنَخَطِ الْأَعْدَاءِ حُلُوءاً شَمَائِلَةً

صوت

وَيَوْمًا كَابِهَامٍ^(٥) الْقَطَاةِ مُزَيَّنًا لِعَيْنِي ضَحَاءُ غَالِبٍ لِسِي بَاطِلُهُ

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:
تُشَاهِدُ لَهُوًا بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

مُخَارِقُ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصَّبَّاح قال:

قال أبو محضه^(٦) الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد / بن الطُّثْرِيَّةِ، فَلَمَّا بُلِّغَ إِلَى قَوْلِهِ:

بَنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كِبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ

وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ وَهَيْبُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ

طَرِبَ^(٧) لَذَلِكَ وَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ مِنْ مَغْنَجِ الْكَلَامِ.

(١) في ب، س، ح: «عن راعي وحشية وحالها حتى لقي النخ».

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وفي «الأصول»: «حتى أراحوا».

(٣) كذا في «الأصول» ولعله: «حين».

(٤) الغياطل: جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة، استعارها هنا لجهالات الصبا.

(٥) يضرب المثل في القصر بإبهام القطا وكذلك بإبهام الحباري والضب.

(٦) في «تجريد الأغاني»: «أبو محيصة».

(٧) في «الأصول»: «فطرب» بالغاء.

/ كتب إلى وحشية شعراً فأجابته :

ونسخت من كتاب الحسن بن علي: حدثنا عبدالله بن عمرو قال حدثني هشام بن محمد بن موسى قال حدثنا عبدالله بن إبراهيم الطائي قال حدثني عبدالله بن رزح الغنوي قال حدثني ظبية بنت وزير الباهلية قالت^(١) :

كتب يزيد بن الطثيرة إلى وحشية :

أَحْبَبَكَ أَطْرَافَ النَّهَارِ بِشَاشَةٍ وَبِالْأَيْلِ يَدْعُونِي الْهَوَى فَاَجِيبُ
لَنْ أَصْبَحْتَ رِيحُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا شَمَالاً لَقَدْ مَأْكَنْتِ وَهِيَ جُثُوبُ

فأجابته بقولها :

أَحْبَبَكَ حَبُّ الْيَأْسِ إِنْ نَفَعَ الْحَيَا^(٢) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ هَوَاكَ طَيِّبُ

يزيد بن الطثيرة وابن بوزل برملة حائل :

أخبرني يحيى بن علي إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني هاني بن سعد :

أَنَّ ابْنَ الطُّثِيرَةِ وَأَبْنَ بَوَزْلَ، وَهُوَ قَطْرِي^(٣) ابْنُ بَوَزْلَ، خَرَجَا يَسِيرَانِ حَتَّى نَزَلَا بِرَمْلَةِ حَائِلَ^(٤) بَيْنَ قَفَّارِ الْمِلْحِ؛ فَقَالَ يَزِيدُ لابْنِ بَوَزْلَ: أَذْهَبَ فَاسْقِ رَاحِلَتَكَ وَأَسْقِنَا. فَلَمَّا جَاوَزَ أَوْفَى يَزِيدُ عَلَى أَجْرَعٍ^(٥)، فَرَأَى أَشْبَاحاً فَأَتَاهَا. فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ وَاللهُ فَلَانَةٌ وَأَهْلُهَا عَجِيبَةٌ بِهَا (أَيُّ مُعْجَبُونَ بِهَا). فَأَتَاهَا فَظَلَّ عَشِيَّتَهُ وَبَاتَ لَيْلَتَهُ وَأَقَامَ الْغَدَّ حَتَّى رَاحَ عَشِيّاً وَقَدْ لَقِيَ أَبْنَ بَوَزْلَ كُلَّ شَرٍّ وَمَاتَ غِيظاً. فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ:

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصُّبَا بِأَبْنِ بَوَزْلَ بِجَزَعِ الْغَضَى إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلُهُ

/ بِأَسْفَلِ خَلٍّ^(٦) الْمِلْحِ إِذْ دَيْنُ ذِي الْهَوَى مُؤَذَى وَإِذْ خَيْرُ الْوَصَالِ^(٧) أَوَائِلُهُ
لشاهدت يوماً بعد شحط من النوى وبعد تنائي الدار خلوا شمائله

- وقد روي :

وَعَيْمٌ^(٨) الصُّبَا إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلُهُ

فاخترط^(٩) سيفه أبْنُ بَوَزْلَ؛ وَحَاوَلَهُ^(١٠) يَزِيدُ بِعَصَاهُ^(١١)، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ فَقَبِلَ مِنْهُ. وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الْآيَاتُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ فَزَادَ فِيهَا عَلَى إِسْحَاقَ هَذِهِ الْآيَاتُ:

(١) في الأصول: «قال» وهو تحريف.

(٢) كذا في الأصول. ولعله: «أحبك حب الناس أن يقع الحيا... إلخ».

(٣) الذي تقدم ذكره هو خليفة ابن بوزل. ولعل قطرياً هذا أخ لخليفة.

(٤) حائل: موضع في أرض اليمامة لبني قشير.

(٥) الأجرع: الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة.

(٦) كذا في «معجم البلدان» لياقوت عند الكلام على «خل» وهو موضع. وفي «الأصول»: «حل الملح» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٧) في «معجم البلدان»: «وإذ خير القضاء».

(٨) في ب، س: «وغنم الصبا».

(٩) اخترط السيف: استله من غمده.

(١٠) حاوَلَهُ: داوَرَهُ.

(١١) كذا في م. وفي سائر الأصول: «بنفضة» والغضاة: خشبة من أصلب الخشب.

أَلَا حَبِّدَا عَيْنَاكَ يَا أُمَّ شَنْبَلٍ
فَدَاكَ مِنَ الْخُلَانِ كُلِّ مَمْرُجٍ^(١)
فَرُخْنَا^(٢) تَلَقَّانَا بِهِ أُمَّ شَنْبَلٍ
وَكُنْتُ كَأَنِّي حِينَ كَانَ كَلَامُهَا
رَهِينٌ^(٣) بِنَفْسٍ لَمْ تُفَكِّ كُبُولُهُ
فَقَالَ دَعُونِي سَجْدَتَيْنِ وَأَزْعِدَتْ
إِذَا الْكُخْلُ فِي جَفْنَيْهِمَا جَالُ جَائِلَةٍ
تَكُونُ لِأَدْنَى مَنْ يُلَاقِي وَسَائِلَةٍ^(٤)
ضَحِيًّا وَابْكُنَا عَشِيًّا أَصَائِلَةٍ
وَدَاعَاً وَخَلَى مَوْثِقَ الْعَهْدِ حَامِلُهُ
عَنِ السَّاقِ حَتَّى جَرَدَ السِّيفُ قَاتِلُهُ
حِذَارَ الرَّدَى أَحْشَاؤُهُ وَمَقَاصِلُهُ^(٥)

[١٦٥/٨] بنو سدره ويزيد ابن الطثرية:

/ قال إسحاق وقال أبو عثمان سعيد بن طارق:

نزلت سارية^(٦) من بني سدره على بني قُشير بمالهم؛ فجعلت فتيان قُشير تترجل وتزوين وتزور بيوت سدره.
١١٥ فاستنهنهم^(٧)؛ فقال يزيد بن الطثرية: وما في هذا عليكم! زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم، وقال:

دَعُوهُمْ يَتَبَغْنَ الصَّبَا وَتَبَادَلُوا بِنَا لَيْسَ بِأَسْ بَيْنَنَا بِالْتَّبَادُلِ
ثُمَّ إِنَّ بَنِي سِدْرَةَ قَالُوا لِنِسَائِهِمْ: وَيَحْكُنْ فَصَحْنُنَا! نَاتِي نِسَاءَ هَؤُلَاءِ فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ وَيَأْتُونَكُنَّ فَلَا تَخْتَجِبْنَ عَنْهُمْ.
فَقَالَتْ كَهْلَةٌ مِنْهُمْ: مُرُوا نِسَاءَكُمْ يَجْتَمِعْنَ إِلَى بَيْتِي، فَإِذَا جَاءُوا لَمْ يَجِدُوا أَمْرًا إِلَّا عِنْدِي، فَإِنْ يَزِيدُ أَتَانِي لَمْ يَغْدُ فِي
بِیُوتِکُمْ ففعلوا. فجاء يزيد فقال:

سَلَامٌ عَلَيْكِنَّ الْغَدَاةَ فَمَالَنَا إِلَيْكِنَّ إِلَّا أَنْ تَشَأَنَّ سِيْلُ
فَقَالَتْ الْكَهْلَةُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

أَنَا الْهَائِمُ الصَّبُّ الَّذِي قَادَهُ الْهَوَى إِلَيْكَ فَأَمْسَى فِي حَبَالِكَ مُسْلَمًا
بَرَّتْهُ دَوَاعِي الْحَبِّ حَتَّى تَرَكْنَاهُ سَقِيمًا وَلَمْ يَشْرُكَنَّ لِحْمًا وَلَا دَمًا

فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ تَمْضِيَ ثُمَّ تَرْجِعَ عَلَيْنَا فَإِنَّا نَرْقُبُ عِيُونَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَبَّوْنَا فَيْكَ؛ وَإِمَّا
أَنْ تَخْتَارَ أَحَبَّنَا إِلَيْكَ، وَأَنْ تَطْلُبَ أَمْرًا وَاحِدَةً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَشْهَرَكَ النَّاسُ، وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ. فَقَالَ: سَأَخُذُ إِحْدَاهُمَا،
فَاخْتَارِي أَنْتَ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ. قَالَتْ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: إِمَّا أَنْ أُحْمِلَكَ عَلَى مَرُضُوفٍ^(٨) مِنْ أَمْرِي فَتَرْكِبِيهِ، وَإِمَّا

(١) الممزج: المخلط الكذاب، والذي لا يثبت على خلق.

(٢) في حد: «رسائله» بالراء.

(٣) في ب، س: «فرحبا».

(٤) في ب، س: «رهينا» وهو تحريف.

(٥) في ج: «وخصائله». والخصيلة: كل لحمة استطالت وخالطت عصبًا، أو كل عصبه فيها لحم غليظ.

(٦) السارية: الجماعة تسري.

(٧) استنهنه: قال له انته. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة.

(٨) المرضوف: المحمي. من رصف الحجارة إذا أحماها؛ والكتابة فيه ظاهرة.

[١٦٦/٨] أن تحمليني على مشرّوج^(١) من أمرك فأركبه، وإما أن تلزّي بكري / بين قلوّصيك. قالت: لو وقع بكرك بين قلوّصي لطمرنا^(٢) به طمرة يتطامن^(٣) عنقه منها. قال: كلا! إنه شديد الوجيف^(٤)، عارم الوظيف^(٥)، فغلّ بها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتانى رجل لا تمتنع عليه امرأة. فلما أن تغمضوا له، وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا! فرحلوا وذهبوا. فقال حكيم بن أبي الخلّاف السدري في قصيدة له يذكر أنه إنما أرتحلوا عنهم لأنهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بهم:

فكان الذي تهدون للجار منكم بخاتج حبات^(٦) كثيراً سعالها

يزيد بن الطثيرة وأسماء الجعفرية:

قال إسحاق فأخبرني الفزاري: أن قوماً من بني نمير وقوماً من بني جعفر تزاوروا؛ فزار شبان من بني جعفر بيوت بني نمير، فقبلوا وحذثوا، وزار بنو نمير بني جعفر فلم يقبلوا؛ فاستنجدوا أبناً الطثيرة فزار معهم بيوت بني جعفر، فأنشدتهم وحذثهم فأعجبهم به واجتمعوا إليه من البيوت. فتوعد^(٧) بنو جعفر أبناً الطثيرة، فتتاركوها وأمسك بعضهم عن بعض. فأرسلت أسماء الجعفرية إلى أبناً الطثيرة أن لا تقطعني، وإن منعت فلاني سأتلخص إلى لقائك. فأنشأ يقول:

خليلي بين المنحني من مخمر^(٨) وبين اللوى من عرفجاء^(٩) المُسَابِلِ
ففايين أعناق اللوى^(١٠) لمريّة جُثوبٌ تُداوي غلّ شوقي مُطاطِلِ
/ لكنيما أرى أسماء أو لثمّسنسي رياح برّياها لَذَاذُ الشَّمَائِلِ
لقد حادلت^(١١) أسماء دونك باللوى عيون العدا سقياً لها من مُحَادِلِ
ودست رسولاً أن حولي عصابة هم الحرب^(١٢) فاستبطن سلاح المُقَاتِلِ
/ عشية مالي من نصير بأرضها سوى السيف ضمته إليّ حمالي
فياؤها الواشون بالغش بيننا فرادى ومثني من عدو وعاذل

[١٦٧/٨]

١١٦
٧

(١) المشرّوج: المشقوق.

(٢) طمر الشيء: دفنه وخبأه.

(٣) في الأصول: «تطامن» بالثاء والعنق يذكر ويؤنث والتذكير فيه أكثر.

(٤) الوجيف: سرعة السير.

(٥) العارم: القوي الشديد. والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق.

(٦) كذا في أكثر الأصول. والبخاتج: جمع بختج (بالضم) وهو العصير المطبوخ. وفي ب، س: «نحاح حمان» وفي م. «مخاتج حبات».

(٧) في الأصول: «فتواعد».

(٨) مخمر (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الميم مشددة، كما في «معجم ما استعجم». وقد ضبطه ياقوت في «معجمه» بفتح الميم مشددة): واد لبني قشير.

(٩) قال أبو زياد: عرفجاء: ماء لبني قشير وقال في موضع آخر: لبني جعفر بن كلاب مطوية في غربي الحمى.

(١٠) كذا في ياقوت في الكلام على مخمر. وفي الأصول: «أعناق الهوى».

(١١) كذا في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على «مخمر». وحادل: راوخ. وفي الأصول: «... جادلت... من مجادل» بالجيم.

(١٢) كذا في «مذهب الأغاني». وفي الأصول: «الحوت».

دَعَوْهَنْ يَتَّبِعْنَ الهوى وتبادَلوا
بنا، ليس بأسً بيننا بالتَّبَادُلِ
تَرَوْا حِينَ نَأْتِيهِنَّ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
لِمَنْ وَعَلَى مَنْ وَطْأَةُ الْمُتَقَابِلِ
وَمَنْ عُرِيتُ لِلْهَوَى قَدْ مَارَكَابُهُ
وشاعت قَوَافِي شعْرِه في القبائل
تُبْرُزُ وجوهُ السَّابِقِينَ وَيَخْتَلِطُ
على الْمُقْرِفِ^(١) الكافي غبارُ القنابلِ
فَإِنْ تَمَنَعُوا أَسْمَاءَ أَوْ يَكُ نَفْعُهَا
لكم أَوْ تَدْبُرُوا بَيْنَنَا بِالْغَوَائِلِ
فَلَنْ^(٢) تَمْنَعُونِي أَنْ أُعْلِلَ صُخْبَتِي
على كل شيء^(٣) من مدى العينِ قابل^(٤)

حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك:

قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلابي:

أن يزيد بن الطثرية كان شريفاً مثلاً فأغشاه الدَّيْنُ؛ فإذا أُخِذَ به قضاء عنه أخ له يقال له ثُور، ثم إنه كثر عليه دَيْنٌ لمولى لعُقْبَةَ بن شريك الحرشي يقال له البربري فحبسه له عُقْبَةُ بالعقيق من بلاد بني عُقَيْل، وعُقْبَةُ عليها يومئذ أميرٌ. [١٦٨/٨] وقال الْمُفَضَّلُ بن سَلَمَةَ قال أبو عمرو الشَّيبَانِي: كان يزيد قد هَرَبَ منه، فرجع إليه من حبٍّ / أسماء، وكانت جارة البربري، فأخذه البربري. ويقال: إنه أعطاه بغيراً من إبل ثور أخيه. فقال يزيد في السجن:

قضى غَرَمَائِي حُبُّ أَسْمَاءَ بَعْدَ مَا
تَخَوَّنَتْنِي ظَلَمٌ لَهُمْ^(٥) وَفَجُورُ
فَلَوْ قُلَّ دَيْنُ الْبَرْبَرِيِّ قَضَيْتُهُ
ولكن دَيْنُ الْبَرْبَرِيِّ كَثِيرُ
وَكُنْتُ إِذَا حَلَلْتُ عَلَيَّ دِيُونَهُمْ
أَضْمُ جَنَاحِي مِنْهُمْ فَأَطِيرُ
عَلَيَّ لَهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَدِيَّةٌ^(٦)
ثمانون وَاثْنَيْ عَشَرَ وَجَزُورُ
نَجِيءٌ^(٧) إِلَى ثُورٍ فَنِيَمَ رَحِيلُنَا
وَتُورُ عَلَيْنَا فِي الْحَيَاةِ صَبُورُ
أَشْدَّ عَلَيَّ ثُورٌ وَثُورٌ إِذَا رَأَى
بنا خَلَّةَ جَزَلِ الْعَطَاءِ غُفُورُ
فَذَلِكَ دَأْبِي مَا بَقِيَتْ وَمَا مَشَى
لِثُورٍ عَلَيَّ ظَهْرُ الْبِلَادِ بَعِيرُ

ويروى: «فهذا له ما دمتُ حيًّا» ثم إن عُقْبَةَ حَجَّ على جمل له يقال له أبن الكُمَيْتِ أَنْجَبَ ما ركب الناس، وثبت أبنُ

(١) المقرف: النذل. والكافي: الخادم والقنابل: جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل.

(٢) في الأصول: «فإن تمنعوا». والمراد في هذا البيت غامض.

(٣) في ب، س: «على كل شر».

(٤) في أ، ع، م: «قاتل».

(٥) كذا في «الكامل للمبرد» (ص ٣٣٤ طبع أوروبا) وبه يستقيم روي القافية. قال في «أساس البلاغة»: وتخون فلان حقي إذا تنقصه كأنو خانه شيئاً فشيئاً. وكل ما غيرك عن حالك فقد تخونك. قال لبيد:

تخونها نزولي وارتحالي

وفي الأصول: تجردت من مطل لهم وغرور.

(٦) الأدية في اللغة: المال القليل.

(٧) في ب، س: «نحن».

الطثيرة في السجن حتى أنصرف عُقْبَةُ بْنُ شَرِيكٍ من مكة، فأرسل ابن الكُمَيْت في مخاضه^(١) مستقبلة الربيع وهي حاضرة العقيق، تأكل الغصَى وتشرب بأخسائه^(٢)، وانحدر عُقْبَةُ نحو اليمامة وعليها المهاجر بن عبدالله الكلابي. فلما ضاقت بأبن الطثيرة المَخَارِج قال له صاحب له: لا أعلم لك أنجى إن قَدَرْتَ على الخروج من السجن إلا أن تركب ابن الكُمَيْت فينجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحداد^(٣)، على أن يرسله ليلة إلى ابن عمه، جُعْلًا؛ فشكا إليه وجده / بها فأرسله. فمضى يزيد نحو الإبل عشاءً فاحتكم ابن الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجهه [١٦٩/٨] قَصَدَ اليمامة يريد عُقْبَةُ بْنُ شَرِيكٍ؛ وقال في طريقه:

لَعْمَرِي إِنْ أَبْنَ الكُمَيْتِ عَلَى الوَجَا^(٤) وَسَيَرِي خَفْسًا بَعْدَ خَفْسٍ مُكَمَّلُ
/ لَطَلْتُ الهَوَادِي بِالْوَجِيفِ إِذَا وَتَى ذَوَاتُ الْبَقَايَا^(٥) وَالْعَتِيقُ الْهَمْرَجَلُ^{١١٧}
فورد اليمامة فأناخ بأبن الكُمَيْت على باب المهاجر^(٦)، فكان أول مَنْ خرج عليه عُقْبَةُ بْنُ شَرِيكٍ. فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال: وَيَحَكَ! أيزيد أنت؟ قال نعم وهذا ابن الكُمَيْت؟ قال نعم قال: ويحك! فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فار منك إليك؛ وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

يَا عُقْبُ قَدْ شُدِّبَ اللَّحَاءُ عَنِ الْعَصَا عَنِّي وَكُنْتُ مُؤَزَّرًا مَحْمُودًا
صِلْ لِي جَنَاحِي وَأَتَّخِذْنِي^(٧) عُدَّةً تَرْمِي بِي الْمُتَعَاشِي الصُّنْدِيدَا
فقال له عقبة - وكانت من خير فَعْلَةٍ علمناه فعلها -: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَبْرَأْتُهُ مِنْ دَيْنِ الْبَرَبَرِيِّ وَأَنْ لَهُ ابْنَ الكُمَيْتِ؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذان البيتان من القصيدة التي أولها:

أَمْسَى الشَّبَابُ مُوَدَّعًا مَحْمُودًا

وهي من جيّد شعره، يقول فيها:

وَمُدِّلَةٌ^(٨) عِنْدَ التَّبْدُلِ^(٩) يَفْتَرِي^(١٠) مِنْهَا الْوِشَاحُ^(١١) مُخَصَّرًا أَمْلُودًا
/ نَازَعْتُهَا غَنَمَ الصُّبَا إِنْ الصُّبَا قَدْ كَانَ مُنِّي لِلْكَوَاعِبِ عِيدَا
يَا لَلرُّجَالِ وَإِنَّمَا يَشْكُو الْفَتَى مَرَّ الْحَوَادِثِ أَوْ يَكُونُ جَلِيدَا

[١٧٠/]

(١) المخاض: الحوامل من النوق.

(٢) الأحساء جمع واحد الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.

(٣) الحداد: السجن.

(٤) الوجا: أن يشتكي البعير باطن خفه.

(٥) ذوات البقاي من الخيل: التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل. والعتيق: الرائع: والهمرجل: السريع.

(٦) في الأصول: «على باب ابن المهاجر».

(٧) في الأصول: «واتخذ لي».

(٨) في ب، س: «ومدلة». وفي سائر الأصول: «ومدلة». وكلاهما تصحيف.

(٩) كذا في أ، هـ، م. والتبدل: ترك التزين والتهيو بالهيئة الحسنة. وفي سائر الأصول: «التبدل». بالبدال المهملة، وهو تصحيف.

(١٠) يفتري: يريد به يكسو، والأصل في معنى الافتراء: لبس الفروة.

(١١) الوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها مخالفاً بينهما. والمخصر: الدقيق

الضامر. والأبلود: الناعم الغض.

بَكَرَتْ نَوَارُ تَجْدُ^(١) بَاقِيَةَ الْقُسْوَى يَوْمَ الْفِرَاقِ وَتُخْلِفُ الْمَوْعُودَا
وَلَرُبَّ أَمْرٍ هَوَى يَكُونُ نَدَامَةً وَسَيِّلٍ مَكْرَهَةٍ يَكُونُ رَشِيدَا

ثم قال يفخر:

لَا أَتَّقِي حَسَكَ^(٢) الضَّغَائِنِ بِالرُّقَى فِعْلَ الدَّلِيلِ وَإِنْ يَقِيْتُ وَحِيدَا
لَكِنْ أَجْرُدُ لِلضَّغَائِنِ مِثْلَهَا حَتَّى تَمُوتَ وَلِلْحَقُودِ حُقُودَا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبدالله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصَّبَّاح قال:

قال أبو محضّة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطُّثْرِيّة: هي والله من مغنّج الكلام:

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بِرَدُّ بَنَانِهِ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنْامِلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَبْتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَخْشِيّة الجَرَمِيّة التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ، وشعره في ذلك:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العَلَاء قال حدثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدثني ظَبْيَةُ قالت:

مرّ يزيد بن الطُّثْرِيّة بأعداء له؛ فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبل على أثره؛ فخشي أن يُدْرِكُوهُ
وكانت^(٣) نفسه عنده أوثق من الراحلة، فتزل فسبقهم عدوّاً، وأدركوا الراحلة فعمّروها. فقال في ذلك:

/ أَلَا هَلْ أَتَى لِيَلَى عَلَى نَأْيِ دَارِهَا بَأَن لَمْ أَقَاتِلْ يَوْمَ صَخْرٍ^(٤) مُذَوْدَا
وَأَتَى أَسْلَمْتُ الرُّكَّابَ فَعُقِّرْتُ وَقَدْ كُنْتُ مَقْدَاماً بِسَيْفِي مُفَرِّدَا

[١٧١/٨]

/ أَثَرْتُ فَلَمْ أَشْطِغْ قِتَالاً وَلَا تَرَى أَخَا شَيْعَةٍ يَوْمَ كَأَخْرَأَوْحَدَا^(٥)
فَهَلْ تَضَرِّمَنَّ الْغَانِيَاتُ مَوْدَتِي إِذَا قِيلَ قَدْ هَابَ الْمُنُونُ فَعَرَّدَا^(٦)

١١٨
٧

هاجى فديكا الجرمي لأنه عذب وحشية بالنار ليصدها عنه:

أخبرني يحيى إجازة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال:

كان يزيد بن الطُّثْرِيّة يتحدّث إلى نساء فُدَيْكُ بن حَنْظَلَةَ الجَرَمِيّ، ومنزلهما بالفَلَج^(٧) فبلغ ذلك فُدَيْكَا فَشَقَّ
عليه فزجر نساءه عن ذلك، فأبيّن إلّا أن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ فُدَيْكُ ذات يوم وقد جمعهنّ جميعاً

(١) تجدّ: تقطع.

(٢) المراد بحسك الضغائن: الحقد والعداوة.

(٣) المراد من هذه الجملة واضح وهو أن ثقته بنفسه في الجري أكثر من ثقته براحلته، وكان ينبغي لتأدية هذا المعنى أن يقول: «وكان نفسه أوثق منه بالراحلة».

(٤) كذا في أكثر الأصول: وفي حـ «يوم صحراً مذوداً». وفي ب، س: «يوم صحراء مذوداً». ومذوداً: ذائداً.

(٥) هذا البيت ساقط في جميع الأصول عدا ب، س.

(٦) عرّد: هرب.

(٧) الفلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير.

أَخَوَاتِهِ وَبَنَاتِ عَمِّهِ وَغَيْرَهُنَّ مِنْ حُرْمِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ يَزِيدَ دَخَلَ عَلَيْكُنَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُنَّ عَنْهُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ نَذْرًا وَاجِبًا - وَأَخْطَرْتُ سَيْفَهُ - إِنْ لَمْ أَضْرِبْ أَعْنَاقَكُنَّ بِهِ. فَلَمَّا مَلَأَهُنَّ رُغْبًا ضَرَبَ عُنُقَ غُلَامٍ لَهُ مُوَلَّدٌ يَقَالُ لَهُ عِصَامُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

جَعَلْتُ عِصَامًا عِبْرَةً حِينَ رَأَيْتُي أَنَسِيَّ مِنْ أَهْلِي مِرَاضٌ قَلْبُوهَا

ثُمَّ إِنَّ فُذَيْكًا رَأَى يَزِيدَ قَائِمًا عِنْدَ بَابِ أَهْلِهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُوَاعِدُ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَأَرْتَصَدَهُ عَلَى طَرِيقِهِ ^(١) وَأَمَرَ بِزُبَيْيَةٍ ^(٢) فَحَفَرَتْ عَلَى الطَّرِيقِ ثُمَّ أَوْقَدَ فِيهَا نَارًا لِيُتَنَّهُ ثُمَّ أَخْتَبَأَ فِي مَكَانٍ وَمَعَهُ عَبْدَانِ لَهُ وَقَالَ لِهَمَّا: تَبَصَّرَا هَلْ تَرَيَانِ أَحَدًا؟ فَلَمْ يَلْبَسَا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى خَرَجَتْ بِنْتُ أَخِي فُذَيْكٍ، وَكَانَ يَقَالُ لَهَا وَخَشِيَّةٌ، تَتَهَادَى فِي بُرُودِهَا لِمِيعَادِ يَزِيدَ؛ فَأَيَّقَظَهُ / الْعَبْدَانِ؛ وَمَضَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى الزُّبَيْيَةِ فَأَحْتَرَقَ بَعْضُهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، وَأَحْتَمَلَهَا الْعَبْدَانِ فَانْطَلَقَا بِهَا إِلَى [١٧٢/٨] دَارِهِ. فَقَالَ فُذَيْكُ:

شَفَى النَّفْسَ مِنْ وَخْشِيَّةِ الْيَوْمِ أَنَّهُمَا تَهَادَى وَقَدْ كَانَتْ سَرِيعًا عَنِيقُهَا ^(٣)
فَلَا تَدْعُ خَبْطَ الْمَوَارِدِ فِي الدُّجَى تَكُنْ قَمَنًا ^(٤) مِنْ غَشِيَّةٍ لَا تُفِيقُهَا
دَوَاءٌ طَيِّبٌ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُدَاوِي الْمَجَانِينَ الْمُخْلَى طَرِيقُهَا

فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ فَقَالَ:

سَبَّرًا مِنْ بَعْدِ الضَّمَانَةِ ^(٥) رَجُلُهَا وَتَأْتِي الَّذِي تَهْوَى مُخْلَى طَرِيقُهَا
عَلَيَّ هَذَا يَا الْبُذْنَ إِنْ لَمْ أَلَاقِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فُذَيْكُ يَسُوقُهَا
يُحَصِّنُهَا مِنِّي فُذَيْكُ سَفَاهَةً وَقَدْ ذَهَبَتْ فِيهَا الْكُبَّاسُ ^(٦) وَخُوقُهَا
تُذَيِّقُونَهَا شَيْئًا مِنَ النَّارِ كُلَّمَا رَأَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ غُلَامًا يَرُوقُهَا
قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَتْ وَضَعَتْ رَجُلَهَا فَأَحْرَقَتْهَا النَّارُ.

وَقَالَ يَزِيدُ أَيْضًا:

يَا سُخْنَةَ الْعَيْنِ ^(٧) لِلْجَرْمِيِّ إِذْ جَمَعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ نَسَوَارٍ وَحِشَّةِ الدَّارِ
خُبِّرْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَتَهُمْ وَمَنْ يُعَذِّبُ غَيْرَ اللَّهِ بِالنَّارِ
فَبَلَغَ ذَلِكَ فُذَيْكًا فَقَالَ:

(١) فِي الْأَصُولِ: «عَلَى طَرِيقَتِهِ».

(٢) الزُّبَيْيَةُ: الْحَفْرَةُ يَصَادُ بِهَا الْأَسَدُ وَالذُّثْبُ.

(٣) الْعَنِيقُ: السَّيْرُ الْمُنْبَسِطُ.

(٤) هُوَ قَمْنٌ بِكَذَا وَقَمْنٌ مِنْهُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ) وَقَمْنٌ (بِكَسْرِ الْمِيمِ) وَقَمِينٌ أَيْ حَرِيٌّ وَخَلِيقٌ وَجَدِيرٌ. فَمَنْ فَتَحَ الْمِيمَ لَمْ يَثْنِ وَلَا جَمَعَ وَلَا أَنْتَ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، وَمَنْ كَسَرَهَا أَوْ زَادَ الْيَاءَ فَقَالَ قَمِينٌ ثَنِي وَجَمَعَ وَأَنْتَ لِأَنَّهُ وَصَفٌ.

(٥) الضَّمَانَةُ: الزَّمَانَةُ وَالْعَاهَةُ. أَرَادَ احْتِرَاقَ رَجُلِهَا.

(٦) الْكُبَّاسُ: الْكُمْرَةُ الضَّخْمَةُ. وَالْحَقُوقُ: مَا اسْتَدَارَ مِنْ حُرُوفِهَا.

(٧) سَخْنَتْ عَيْنُهُ سَخْنًا وَسَخُونَةً وَسَخْنَةً. نَقِیْضُ قَرَّتْ.

أحالفه عليك بنو قُشَيْرٍ يمين الصَّبْرِ^(١) أم متحرِّجونا
/ - ويروى: يمين الله - [١٧٣/٨]

فإن تنكَل قُشَيْرٌ تقضِ جَرْمُ وتقض لها^(٢) مع الشبه اليقينا
أليس الجَوُزُ أن أباك منّا وأنتك في قبيلةٍ آخرينا
لَعَفَرُ الله أن بني قُشَيْرٍ لجَرم في يزيدَ لظالمونا
فإلا يحلفوا فعليك شكْلُ^(٣) ونَجَرُ^(٤) ليس مما يعرفونا
وأعرفُ فيك سيمّا آلِ صَفَرٍ ومِشيتهم إذا يتخيّلونا
قال: وكانت جَرْمُ تدّعيه، وقُشَيْرٌ تدّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعيّ.

وقال فُذَيْكُ بن حَنْظَلَة يهجو:

وإنّا لسَيّارون بالسُّكّة النسي أحلّت^(٥) وفينا جَفْوَةٌ حين نُظَلَمُ
ومنّا السذي لا قنّه أُنك خالياً فلم تدِرِ ما أيّ الشهور المحرّمُ
فقال يزيد يهجو فُذَيْكاً:

أنعتُ غيراً من عُيُورِ القَهْرِ أقَمَر من شرِّ خَمِيرِ قُمَرٍ^(٦)
صَبَحَ أبيات فُذَيْكٍ يَجْرِي منزلة اللؤم ودار الغُذِرِ
فلقيته عند بابِ العَقْرِ^(٧) ينشطها والذُرْعُ عند الصُّدْرِ
نَشَطَكَ بالدُّلُو قَرَاخَ الجَفْرِ^(٨)

حاور حسناء عرفته من حديثه:

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانيء بن سَعْد الحَفَاجيّ
قال:

/ ذُكِرْتُ ليزيد بن الطُّثَرِيّة امرأةً حَدَثَةٌ جميلةٌ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان،
فسلمَ عليهم؛ فأوجست أنه يزيد ولم تَكُنْ^(٩)، ورأت عليه مَسْحَة. فقالت: أيّ ربيع جاء بك يا رجل؟ قال:

(١) يمين الصبر: هي التي يلزم بها المرء ويحس عليها حتى يحلف بها؛ فلو حلف من غير إحلاف لم يكن قد حلف صبراً.
(٢) في أ، ب: «بها».

(٣) في ب، س: «نكل» وهو تحريف.

(٤) كذا في حـ. والنجر: اللون. وفي «سائر الأصول»: «نجر» وهو تصحيف.

(٥) في حـ: «أجلت» بالجيم.

(٦) القهر: موضع. والقمرة: لون إلى الخضرة، وقيل: بياض فيه كدرة.

(٧) العقر: موضع. وينشطها: يرفعها.

(٨) الجفر: البئر.

(٩) في الأصول: «يثبت» بالياء.

الْجَنُوبُ. قَالَتْ: فَأَيُّ طَبِيرٍ جَرَتْ لَكَ الْغَدَاةُ؟ قَالَ: عَنَزُ زَنْمَةٌ^(١) رَأَيْتُهَا يَدَاوِرُهَا ثُعْلَبَانِ؛ فَأَنْقَضَ عَلَيْهَا سِرْحَانٌ^(٢) فَرَاغَ الثُعْلَبَانِ. قَالَ: فَطَفَرْتُ وَرَاءَ سِتْرِهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَزِيدُ.

ذُهِبَ مَعَهُ قَطْرِيٌّ لِرُؤْيَا نِسَاءٍ يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ، وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ:

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي عَطَرْدُ قَالَ:

قَالَ قَطْرِيٌّ بْنُ بَوَزَلٍ لِيَزِيدَ بْنِ الطُّثِيرَةِ: انْطَلِقْ مَعِيَ إِلَى فُلَانَةٍ وَفُلَانَةٍ فَإِنَّهُنَّ يَبْرُزْنَ لَكَ وَيَسْتَرْنَ عَنِّي، عَسَى أَنْ أَرَاهُنَّ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِكَ. فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا النِّسْوَةُ وَظَلًّا يَتَحَدَّثَانِ عِنْدَهُنَّ حَتَّى تَرَوَحَا. وَقَالَ يَزِيدُ فِي ذَلِكَ:

عَلَى قَطْرِيٍّ نَعْمَةٌ إِنْ جَرَى بِهَا يَزِيدُ وَإِلَّا يَجْزِيهِ اللَّهُ لِي أَجْرًا
ذَنُوبٌ بِهِ حَتَّى رَمَى الْوَحْشَ بَعْدَمَا رَأَى قَطْرِيٍّ مِنْ أَوَائِلِهَا نَفْرًا

قَصَتْهُ مَعَ رَجُلٍ مِنْ صُدَاءٍ أَحَبَّ خَنْعَمِيَّةً فَأَعَانَهُ عَلَيْهَا:

أَخْبَرَنَا يَحْيَى إِجَازَةً عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَرْدُ قَالَ:

نَزَلَ نَفَرٌ مِنْ صُدَاءٍ^(٣) بِنَاحِيَةِ الْعَقِيقِ، وَهُوَ مَتَزُلُّ ابْنُ الطُّثِيرَةِ، نَصَفَ النَّهَارَ فَلَمْ يَأْتِهِمْ أَحَدٌ؛ فَأَبْصَرَهُمْ ابْنُ الطُّثِيرَةِ فَمَرَّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَنْصَرِفٌ وَلَيْسُوا قَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُمْ مُزْمِلِينَ^(٤) أَنْفَعَدَ إِلَيْهِمْ هَدِيَّةً وَمَضَى عَلَى حَيَالِهِ وَلَمْ يَرَا جُعْلُهُمْ. فَسَأَلُوا عَنْهُ بَعْدُ حَتَّى عَرَفُوهُ، فَحَلَّاهُ عَنْهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ فَتًى مِنْهُمْ وَادَّهَ فَأَخَاهُ فَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا وَجُبَّةً / وَثُعْلَبَيْنِ. ثُمَّ أَغَارَ الْمُقَدَّمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ هَمَّامِ بْنِ مُطَّرَفِ بْنِ الْأَعْلَمِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عُقَيْلٍ عَلَى نَاسٍ مِنْ خَنْعَمَ. وَفِي ذَلِكَ [١٧٥/٨] يَقُولُ الشَّاعِرُ:

مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيٍّ خَنْعَمًا

فَأَخَذَ مِنْهُمْ إِبِلًا وَرَقِيقًا، وَكَانَتْ فِيهِنَّ جَارِيَةٌ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ، وَكَانَ يَهْوَاهَا الَّذِي آخَى يَزِيدَ، فَأَصَابَهُ عَلَيْهَا بَلَاءٌ عَظِيمٌ حَتَّى نَحَلَ جِسْمَهُ وَتَغَيَّرَتْ حَالُهُ؛ فَأَقْبَلَ الْفَتَى حَتَّى نَزَلَ الْعَقِيقَ مُتَنَكِّرًا؛ فَشَكَا إِلَى يَزِيدَ مَا أَصَابَهُ فِي تِلْكَ الْجَارِيَةِ. / فَقَالَ: أَفِيكَ خَيْرٌ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَلَا تَدْفَعُهَا إِلَيْكَ. فَخَبَّاهُ فِي عَرِيشٍ لَهُ أَيَّامًا حَتَّى خَطَفَ الْجَارِيَةَ^(٥) ١٢٠ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا قَطْرِيٌّ بْنُ بَوَزَلٍ، فَاعْتَرَضَ لَهَا بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ السُّوقِ فَذَهَبَ بِهَا حَتَّى دَفَعَهَا إِلَيْهِ وَقَدْ وَطَّنَ لَهُ نَاقَةً مُفَاجَأَةً^(٥) فَقَالَ: التَّجَاةُ فَإِنَّكَ لَنْ تُصْبِحَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ قُشَيْرٍ وَتَصِيرَ إِلَى دَارِ نَهْدٍ فَقَدْ نَجَوْتَ؛ وَأَنَا أُخْفِي أَثْرَكَ فَعَفَى أَثْرَهُ، وَقَالَ لَابْنَةِ خَمَّارَةَ كَانَ يَشْرَبُ عِنْدَهَا: اسْحَبِي ذِيْلَكَ عَلَى أَثْرِهِ فَفَعَلْتُ. ثُمَّ بُحِثَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى

(١) عنز زنمة: لها لحيتان متدلّيتان من حلقها.

(٢) السرحان: الذهب.

(٣) كذا في ح، ب، س. وصداء: مخالف باليمن، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً. وفي سائر الأصول: «كداء» وهو موضع بأعلى مكة.

(٤) المرملة: الذي نغد زاده.

(٥) المفاجأة: التي تفرّج في المشي بين رجلَيْها.

قيل: قد كان قَطَرِي أَخَذَتْ النَّاسَ بِهَا عَهْدًا؛ فَأَسْتَعْدَى عَلَيْهِ فَظَفَر بِبِزِيدٍ فَأَخَذَ مَكَانَهُ فَجُبِسَ بِحُجْرٍ^(١)، حَبَسَهُ الْمُهَاجِرُ. ففي ذلك يقول يزيد:

أَلَا لَا أَبَالِي إِنْ نَجَا لِي أَبْنُ بَوَزَلٍ ثَوَائِي وَتَقْيِيدِي بِحُجْرٍ لِيَالِيَا
إِذَا حُمَّ أَمْرُ فَهَوَ لَا بَدَّ وَاقِعٌ لَهُ لَا أَبَالِي مَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي طَوْرًا وَتَارَةً هُوَ السَّمُّ وَالذِّيفَانُ^(٢) وَاللَّيْثُ عَادِيَا

نَحَرَ نَاقَةَ مِنْ إِبِلٍ أَخِيهِ لِنِسْوَةٍ فَسَبَهُ فَقَالَ شِعْرًا:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلَام الجُمَحِي قال حَدَّثَنِي أَبُو الْغَرَّاف قال.

/ كان يزيد بن الطُّثْرِيَّة صاحبَ غَزَلٍ وَمُحَادَثَةٍ لِلنِّسَاءِ، وَكَانَ ظَرِيفًا جَمِيلًا مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ شِعْرًا، وَكَانَ أَخُوهُ ثَوْرٌ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ وَالنَّخْلِ وَالرَّقِيقِ، وَكَانَ مَتَسَكِّيًا كَثِيرَ الْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ كَثِيرَ الْمُتَلَاظِمَةِ لِإِبِلِهِ وَنَخْلِهِ، فَلَا يَكَادُ يُلِمُّ بِالْحَيِّ إِلَّا الْفَلْتَنَةُ^(٣) وَالْوَقْعَةُ، وَكَانَتْ إِبِلُهُ تَرُدُّ مَعَ الرُّعَاءِ عَلَى أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ الطُّثْرِيَّةِ فَتُسْقَى عَلَى عَيْنِهِ. فَبَيْنَا يَزِيدُ مَارًا^(٤) فِي الْإِبِلِ وَقَدْ صَدَرَ عَنِ الْمَاءِ إِذْ مَرَّ بِخَبَاءٍ فِيهِ نِسْوَةٌ مِنَ الْحَاضِرِ؛ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ قُلْنَ: يَا يَزِيدُ، أَطْعَمْنَا لَحْمًا. فَقَالَ: أَعْطَيْتَنِي سَكِينًا فَأَعْطَيْتَنِي، وَنَحَرَ لَهْنَ نَاقَةً مِنْ إِبِلٍ أَخِيهِ. وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَخَاهُ؛ فَلَمَّا جَاءَهُ أَخَذَ بِشَعْرِهِ وَفَسَّقَهُ وَشَتَمَهُ. فَأَنشَأَ يَزِيدُ يَقُولُ:

يَا ثَوْرُ لَا تَشْتَمَنَّ عِرْضِي فَذَاكَ أَبِي فَإِنَّمَا الشَّتْمُ لِلْقَوْمِ الْعَوَاوِيرِ^(٥)
مَا عَقَرْنَا بِ لَأَمْثَالِ الدُّمَى خُرْدٍ عَيْنِ كِرَامٍ وَأَبْكَارٍ مَعَاصِيرِ^(٦)
عَقَفَنَ حَوْلِي يَسْأَلُنَ الْقَرَى أَصْلًا وَلَيْسَ يَرْضَيْنَنِي مَنِّي بِالْمَعَاذِيرِ
هَبْنُ ضَيْفًا عَرَاكِمَ بَعْدَ هَجَعَتِكُمْ فِي قِطْقِطٍ^(٧) مِنْ سَقِيطٍ^(٨) اللَّيْلِ مَشُورٍ^(٩)
وَلَيْسَ قُرْبُكُمُ شَاءٌ وَلَا لَيْسَ أَيْرَحَلُ الضَّيْفُ عَنْكُمْ غَيْرَ مُجْبُورٍ
مَا خَيْرٌ وَارِدَةٌ لِلْمَاءِ صَادِرَةٌ لَا تَنْجَلِي عَنْ عَقِيرٍ^(١٠) الرَّجُلِ^(١١) مَنْحُورٍ

(١) حجر (بالضم): قرية باليمن.

(٢) الماذي: العسل الأبيض. والذيفان (بالفتح ويكسر): السم النافع.

(٣) يريد الوقت بعد الوقت.

(٤) في الأصول: «مارًا» وهو ظاهر الخطأ.

(٥) العواوير: الجبناء.

(٦) الخرد: جمع خريدة وهي المرأة الحبيبة، والبكر التي لم تمس، والعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين، والمعاصير: جمع معصر وهي الجارية التي بلغت شبابها أو أدركت.

(٧) القلقط (كزبرج): المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر، وقيل: هو دون الرذاذ.

(٨) كذا في «طبقات الشعراء» لابن سلام. والسقيط: الندى والثلج. وفي الأصول: «سواد الليل».

(٩) كذا في حد و«طبقات الشعراء» ومهذب الأغاني. وفي سائر الأصول: «منشور».

(١٠) كذا في حد ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «عقيل» باللام وهو تحريف.

(١١) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «الرجل» وهو تصحيف.

/ أحب امرأة وعلم أن سعة يحبونها فقال شعراً:

أخبرني أبو خليفة قال قال ابن سلام:

كان يزيد بن الطثيرة يتحدث إلى امرأة ويُعجّب بها. فبينما هو عندها إذ حدث لها شابٌ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخرٌ ثم آخر. فلم يزالوا كذلك حتى تمّوا سبعة وهو الثامن؛ فقال:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي وسطهم حين أوحشوا^(١) فما صار لي من ذاك إلا ثمينها
وكنيت عزوف النفس أشناً أن أرى على الشرك من وزهاء طنوع قرينها^(٢)
فيوماً تراها بالمهود وفية ويوماً على دين ابن خاقان دينها
/ يدأ يبد من جاء بالعين منهم ومن لم يجيء بالعين جيزت رهونها

١٢١
٧

وقال فيها وقد صارمها:

ألا بابي من قد برى الجسم حبة ومن هو موقوف إلي حيب
ومن هو لا يزداد إلا تشوقاً وليس يرى إلا عليه رقيب
وإني وإن أحموا^(٣) علي كلامها وخالت أعاد دونها وحروب
لئن علي ليلى ثناء يزيدها قواف بأفواه الرواة تطيب
أليلى أهدري نقض القوي لا يزل لنا على النأي والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لذاء شعبة كما أنا للواشي الدشغوب
فإن خفت ألا تحكيمي مرة القوي فردي فؤادي والمزار قريب

/ كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فحلق لمتة فقال شعراً:

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال:

استعدت جزم على ابن الطثيرة في وخشية (امرأة منهم كان يشبب بها) فكتب بها صاحب اليمامة إلى نور أخي يزيد بن الطثيرة وأمره بأدبه، فجعل عقوبته خلق لمتة فحلّقها، فقال يزيد:

أقول لشور وهو يخلق لمتي بحجناء^(٤) مردود عليها نصائبها

(١) أوحشوا: خلطوا وصاروا إلى الوحشة أي الرذالة، يقال: وخش الشيء (بالضم) وخاشه ووخوشه ووخوشا أي رذل وصار رديئاً. وفي «الأصول»: «أوحشوا» بالحاء المهملة، والتصويب عن «اللسان» (مادة وخش).

(٢) الورهاء: الحمقاء. وطوع قرينها أي أن قرينها يطيعها، ولا تخضع هي لقرين، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت، فقرينها يطيعها وهي لا تطيع قريناً.

(٣) أحمى: حرّم ومنع.

(٤) في «الكامل للمبرد»: «بعقفاء». والعقفاء والحجناء بمعنى، وهي كل حديدة لوى طرفها.

- قال عبدالرحمن: كان عمي يحتج في تأنيث الموصى بهذا البيت -

تَرْفُقُ بِهَا يَا ثَوْرٌ لَيْسَ ثَوَابُهَا بِهَذَا وَلَكِنْ غَيْرُ هَذَا ثَوَابُهَا
أَلَا رَبِّمَا يَا ثَوْرٌ قَدْ غَلَّ^(١) وَسَطُهَا أَنَامِلُ رَخَصَاتٍ حَدِيثُ خَضَابُهَا
وَتَسْلُكُ^(٢) مِذْرَى الْعَاجِ فِي مُذْلَهْمَةٍ إِذَا لَمْ تَقْرَجْ مَاتَ غَمًّا صَوَابُهَا
فَرَّاحَ بِهَا ثَوْرٌ تَرَفُّ^(٣) كَأَنَّهَا سِلَاسِلُ دِرْعٍ خَيْرُهَا^(٤) وَأَنْسَكَا^(٥) بِهَا
مُنْعَمَةٌ كَالشَّرِيَةِ^(٦) الْفَرْدُ جَادَهَا نِجَاءُ الثَّرِيَّا هَطْلُهَا وَذَهَابُهَا
/ فَاصْبَحَ رَأْسِي كَالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفْتُ عَلَيْهَا عُقَابٌ ثُمَّ طَارَتْ عُقَابُهَا

[١٧٩/٨]

أخبار من حلق رؤوسهم:

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُهُ فَرثَاهَا، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشيء بمثله:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ:

شَرِبَ طُخَيْمُ الْأَسَدِيِّ بِالْحِيرَةِ، فَأَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْبُدٍ الْمُزَنِيُّ، وَكَانَ عَلَى شُرْطِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ؛ فَقَالَ:

وَبِالْحِيرَةِ الْبَيْضَاءِ شَيْخٌ مُسَلِّطٌ إِذَا حَلَفَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ بَسَرَتْ
لَقَدْ حَلَقُوا مِنَّا غُدَافًا كَأَنَّهَا عَنَاقِيدُ كَزَمٍ أَيْنَعَتْ فَاسْتَبَطَرَتْ^(١)
يَقْلَلُ الْعَذَارَى حِينَ تُحَلَّقُ لِمَتِّي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُظْنَهَا حِينَ جُزَتْ

أخبرني محمد بن^(٢) عبدالرحمن عن عمه عن بعض بني كِلَابٍ قَالَ:

أَخَذَ فَتًى مِنَّا مَعَ بَعْضِ فِتْيَاتِ الْحَيِّ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

يَا لِمَتِّي وَلَقَدْ خُلِقْتَ^(٣) جَمِيلَةً وَكُرُمْتِ حِينَ أَصَابَكَ الْجَلْمَانِ

(١) غل شعره بالطيب: أدخله في أصوله. وفي ب، س «عل» بالعين المهملة وهو تصحيف. وفي «الكامل» (ص ٣٣٤ طبع أوروبا): «... يا ثور فرق بينها».

(٢) في «الكامل»: «فيهلك». وفيهلك: يصل. والمدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل من من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لم يكن له مشط. ومد لهم: سوداء.

(٣) كذا في «الكامل». وفي الأصول: «تزف». وهو تصحيف: ورف لونه: برق وتلألأ. وفيه أيضاً: فجاء بها» بدل «فراح بها».

(٤) الخير: الهيئة. وفي ب، س: «خبوها». ورواية هذا الشطر في «الكامل»: «سلاسل برق لينها وانسكا بها». وسلاسل البرق هي ما استطل في عرض السحاب، ترى فيه هيئة انشاء والتواء.

(٥) الشرية: شجرة الحنظل، تشبه اللحم بها لحسنها لأنها جعدة. والنجاء: جمع نجو كبحر بحار، وهو السحاب الذي هراق مائه. والذهاب: جمع ذهبة (بالكسر) وهي المطرة الضعيفة، وقيل: الجود. ورواية هذا البيت في «الكامل»:

خُدَارِيَّةٌ كَالشَّرِيَةِ الْفَرْدُ جَادَهَا مِّنَ الصَّيْفِ أَنْوَاهُ مَطِيرٌ سَحَابُهَا

والخدارية: وصف للمة، أي شديدة السواد.

(٦) اسبطرت: طالت وامتدت.

(٧) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «محمد بن عبد الرحمن» وهو تحريف. إذ أن محمداً هذا هو محمد بن الحسن بن دريد، وقد تقدمت روايته في السند السابق وفي غيره عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي.

(٨) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «حلقت» بالحاء المهملة.

/ أَمَسَتْ تَرُوقُ النَّاظِرِينَ وَأَصْبَحَتْ قَصَصاً^(١) تَكُونُ^(٢) فَوَاصِلَ الْمَرْجَانِ
شعره في أخيه ثور:
أخبرني وكيع قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا أبو محلم قال:
كان ليزيد بن الطثرية أخ يقال له ثور أكبر منه، فكان يزيد يغير على ماله ويثله، فيتحمله ثور لمحبه إياه.
فقال يزيد في ذلك:

/ نُغَيِّرُ عَلَى ثَوْرٍ وَثَوْرٌ يَسُرُّنَا وَثَوْرٌ عَلَيْنَا فِي الْحَيَاةِ صَبُورٌ
وَذَلِكَ دَائِبِي مَا حَيِّتُ وَمَا مَشَى لَثَوْرٌ عَلَى عَفْرِ الثَّرَابِ بَعِيرٌ
الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء:
وقتل يزيد بن الطثرية في خلافة بني العباس^(٣)، قتلته بنو حنيفة.

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال أخبرنا أبو سعيد الشكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن
المفضل بن سلمة عن أبي عبيدة وابن الكلبي، وأخبرنا يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجراح
العقيلي قال:

أغارث بنو حنيفة على طائفة من بني عقيل ومعهم رجل من بني قشير جاز لهم؛ فقتل القشيري ورجل من
بني عقيل وأطردت^(٤) إبل من العقيليين؛ فأتى الصريح^(٥) عقيلاً فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجلاً
وعقروا أفراساً ثلاثة من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبثوا سنة. ثم إن عقيلاً انحدرت متجعة من بلادها إلى بلاد بني
تميم، فذكر لحنيفة وهم بالكوكبة^(٦) والقيصاف، فغزتهم حنيفة، وحذر العقيليون وأنتهم اللذر من تميم فأنكشفوا
فلم يقدروا عليهم؛ فبلغ ذلك من بني عقيل وتلفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة، ثم تشاوروا.

فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً / في منازلهم ودورهم فيتحصنوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمن أن يفضحوكم،
فأقاموا بالعقيق. وجاءت حنيفة غازية كعباً لا تتعداها حتى وقعت بالفلج، فتطائر الناس، ورأس حنيفة يومئذ
المنذلف، وجاء صريح كعب إلى أبي لطيبة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها؛ فضاق بالرسول ذرعاً وأتاه

(١) القصص (بالتحريك): ما قص من الشعر.

(٢) في ب، س: «تفوق».

(٣) قال ابن خلكان في ترجمة يزيد بن الطثرية: «وقال أبو بكر بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب «أنساب الأشراف»، بعد ذكر مقتل
الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي الحكمي ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة، فكان في أثناء ذلك وقعة قتل
فيها المنذلف بن إدريس الحنفي وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج» ثم قال: وذكر أبو الحسن الطوسي
المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية، فلما قتل المنذلف وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية، وكان عليه جبة
خز فتشبهت في عشرة (بضم العين وفتح الشين والراء) فعثر فضره بنو حنيفة حتى قتلوه. ثم استنبط ابن خلكان أن قتل يزيد بن
الطثرية كان في هذه السنة عقب مقتل الوليد بن يزيد. ثم نقل عن أبي الفرج قوله في أول «ديوان يزيد» الذي جمعه من شعره أنه قتل
في خلافة بني العباس، وقال: والأول أصح.

(٤) طرد الأبل: ساقها، والمطايح له أطردت الإبل.

(٥) الصريح: الاستغاثة.

(٦) لم نجد هذين الموضعين في «معجمات البلدان».

هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيْلٍ يستمدّها؛ فأنته ربيعةً بن عُقَيْلٍ وقُشَيْرُ بن كعب والحريش بن كعب وأقنأء حُفَاجَة، وجاش^(١) إليه الناس؛ فقال: إني قد أرسلتُ طليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلم ما تُشير^(٢) به. قال أبو الجراح: فأصبح صُبَحُ ثالثة على فرس له يَهْتِف: أعزَّ الله نصركم وأمتعنّا بكم! انصرفوا راشدين فلم يكن بأسٌ؛ فانصرف الناس؛ وصار في بني عمّه ورَهْطِه دُنيّة. وإنما فعل ذلك لتكون له الشُّمعةُ والذِّكر. فكان فيمن سار معه القُحَيْف بن حُمَيْر^(٣) ويزيد بن الطُّثريّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم، فقتلوا المُثَدِّلَفَ، رَمَوْه في عينه، وسَبَّوْا وأسروا ومَثَلُوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمَامَة وصنَّعوا^(٤) ما أرادوا. ولم يُقتل ممن كان مع أبي لَطِيفَة غيرُ يزيد بن الطُّثريّة، نَسِب ثوبه في جِذَلٍ^(٥) من عَشْرَة فانقلب، وخبطه القومُ فقتل. فقال القُحَيْف يرثيه:

الْأَنْبَكِي سَرَاةً بَنِي قُشَيْرٍ عَلَى صِنْدِيدِهَا وَعَلَى فَتَاهَا
فَإِنْ يُقْتَلُ يَزِيدٌ فَقَدْ قَتَلْنَا سَرَاتَهُمُ الْكُهُولَ عَلَى لِحَاهَا
/ أبا المَكْشُوحَ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِي وَمَنْ يُزْجِي الْمَطِيَّ عَلَى وَجَاهَا
/ وقال القُحَيْفُ أيضاً يرثيه:

١٢٣
٧
[١٨٢/٨]

إِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا شَهِيداً صَابِراً فَقَدْ تَرَكْنَا مِنْكُمْ مَجَازِراً
عَشْرِينَ لَمَّا يَدْخُلُوا الْمَقَابِرَا فَتَلَّى أَصِيْبَتْ قَعَصاً^(٦) نَحَائِرَا
نَعِجَا^(٧) تَرَى أَرْجُلَهَا شَوَاغِرَا

وهذه من رواية ابن حَبِيبٍ وحده. وقال القُحَيْفُ أيضاً ولم يَرَوْهَا إِلَّا ابْنُ حَبِيبٍ:

يَا عَيْنُ بَكِّي هَمَلًا عَلَى هَمَلٍ عَلَى يَزِيدٍ وَيَزِيدَ بْنِ حَمَلٍ
فَقَالَ أَبْطَالُ وَجَرَّارٍ حُلَلٍ

قال: ويزيد بن حَمَلٍ قُشَيْرِي قُتِلَ يَوْمَئِذٍ أيضاً. وقالت زينب بنت الطُّثريّة ترثي أخاها يزيد - وعن أبي عمرو الشَّيْبَانِي أن الأبيات لأُم يزيد، قال: وهي من الأزد. ويقال: إنها لَوَحْشِيّة الجَرَمِيّة -.

أَرَى الْأَنْثَلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيْقِ مُجَاوِرِي مُقِيمَاً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ

(١) جاش إليه الناس: ساروا إليه ليلاً.

(٢) كانت العبارة في الأصل «ما تشير».

(٣) كذا في «شرح القاموس» (مادة قحف) وفي ب، س: «القحيف بن حمير». بالحاء المهملة، وهو تصحيف. وفي سائر الأصول «المحيف بن حمير» وهو تحريف.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «وتصنعوا ما أرادوا» وهو تحريف.

(٥) الجذل: أصل الشجرة. والعشرة: شجرة من العضاء وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض.

(٦) القعص (بالفتح وبالتحريك): القتل المعجل والموت الوحي، يقال: مات فلان قعصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.

(٧) كذا في أكثر الأصول ولعله: «نعي» جمع نعي كزمن وزمني. ونعي الرجل ربا وانتفع، وذلك ملحوظ في الميت بجلاء. وفي ب، س: «نفجا» بالفاء. وشواغر: مرفوعات.

[١٨٣/٨]

فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفِ لَا مُضَائِلَ
فَتَى لَا تَرَى قَدْ الْقَمِيصَ بِخَضْرَاهُ
إِذَا نَزَلَ الْغُيْفَانُ كَانَ عَذُوراً^(١)
يَسْرُكُ^(٢) مَظْلُوماً وَيَرْضِيكَ ظالماً
/ إِذَا جَذَّ عِنْدَ الْجَدِّ^(٣) أَرْضَاكَ جِدَّهُ
إِذَا الْقَوْمُ أَثْمُوا بَيْتَهُ فَهُوَ عَامِدٌ
مَضَى وَوَرَّثَنَاهُ دَرِيْسَ مُفَاضَّةٍ^(٤)
وَقَدْ كَانَ يَحْمِي الْمَخَجِرِينَ^(٥) سَيْفَهُ
فَتَى لَيْسَ لَابْنِ الْعَمِّ كَالذَّنْبِ إِنْ رَأَى
سَيْبِيكِهِ مَوْلَاهُ إِذَا مَا تَرَفَّعْتَ
الذُّذُلُ^(٦): هُذْبُ الشَّيَابِ.

وقد أخبرنا الحرَمِيُّ عن الزُّبَيْرِ عن عمر بن إبراهيم السَّعْدِيِّ عن عباس بن عبد الصمد قال:
قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْرِ السَّلُولِي: أَصَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ فِي ابْنِ عَمِّكَ^(٧)؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين،
الْأَ إِنِّي قُلْتُ:

فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفِ لَا مُضَائِلَ وَلَا زَهْلَ لَبَائِثِهِ وَأَبَاجِلِهِ^(٨)

/ فذكر هذا البيت وحده ونسبه إلى العُجَيْرِ السَّلُولِي من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثيرة أو إلى أمه وأتى [١٨٤/٨]
بأبيات آخر ليست منها، وسيذكر ذلك في أخبار العُجَيْرِ مشروحاً إن شاء الله تعالى.

(١) البادل: جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة.

(٢) العذور: السبيء الخلق القليل الصبر عما يريده وما يهيم به. والمراجل: جمع مرجل وهو القدر. واستقلالها: انتصابها على الأثافي.

وصفته بسوء الخلق والتشدد في الأمر والنهي حتى تنصب المراجل وتهاى المطاعم للضيغان ثم يعود إلى خلقه الأول.

(٣) في «اللسان»: يعينك مظلوماً وينجيك ظالماً ويريد بقوله. ويرضيك ظالماً أنك إن ظلمت فظولبت بظلمك حماك ومنع منك.

(٤) كذا في أ، ع، م. وفي سائر الأصول: «عند الظلم».

(٥) رواية «ديوان» الحماسة: «لأحسن ما ظنوا به... إلخ».

(٦) الدريس: الخلق من الدروع وغيرها. والمفاضة: الدرع الواسعة. وأبيض يعني سيفاً. وجملة طويل الحمائل لطول قوامه. يريد: أنه

أنفق ماله فيما نشر له حمداً فلم يكن إرثه إلا ما ذكر من السلاح.

(٧) المحجر: الحرم وما يمنعه القوم. ورواية هذا الشطر في الحماسة:

وقد كان يروي المشرفي بكفه

يريد أنه كان شديد النكاية في الأعداء.

(٨) الحجرة (بالفتح): الناحية.

(٩) في الأصول: «الذلال» بزيادة ألف ولم نقف عليها في «كتب اللغة»، وإنما واحد الذلال ذلل وذليلة.

(١٠) كذا في «ترجمة العجير السلولي» (ج ١١ ص ١٥٣ طبع بلاق). وفي الأصول: «في ابن عمر» وهو تحريف.

(١١) الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الرجل، وقيل: هو في باطن الذراع.

ومما يُغنى فيه من شعر يزيد بن الطثيرة قوله:

صوت

بنفسي مَنْ لا بدَّ أنِّي هاجِرُهُ ومن أنا في الميسور والعُسْر ذاكِرُهُ

/ ومن قدر ما به الناسُ بي فأتَقاهم ببغضي إلا ما تُجِنُّ ضمائرُهُ

١٢٤
٧

عروضه من الطويل. غنى في هذين البيتين عبدالله بن العباس الربيعي لحناً من خفيف الثقيل بالنصر. وغنّت فيه عريبٌ وفي أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأول آخر. وغنّت عليّة بنت المهدي فيها خفيف رمل. وذكر الهشامي أن لإبراهيم فيها لحناً مأخوذاً. والأبيات المضافة:

بنفسي مَنْ لا أخبرُ الناسَ بأسمه وإن حمَلْتُ حِفْداً عليّ عشائِرُهُ

بأهلي ومالي من جلبتُ له الأذى ومن ذكره منّي قريبٌ أسامرُهُ

ومن لوجرت شخناء بيني وبينه وحاوَرَنِي لم أدر كيف أحاورُهُ

صوت

من المائة المختارة

شأنك المنازلُ بالأبرقِ دوارسَ كالعين في المَهْرَقِ

لآلِ جَمِيلَةٍ قد أنخلتُ ومهما يطُلْ عهدُهُ يُخْلِيقُ

فإن يَقلِ الناسُ لي عاشِقُ فأين الذي هو لم يَغشَقِ

ولم يتركْ نُؤيّا على غُبَرَةٍ بسداء الصَّبَابَةِ والمَعْلَقِ

[١٨٥/٨] / شأنك: بُعدت عنك. والشاؤ. البعد. يقال: جرى الفرسُ شاوًا، يريد طَلَقًا. والمَهْرَق: الصحيفة، والجمع المَهَارِق. يريد أن الدار قد بقيت منها طرائق كالصَّحف وما فيها.

الشعر للأحوص. والغناء لجميلة. ولحنها المختار خفيف رمل بالوسطى^(١) عن إسحاق. وفيه لَعَطَرْد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ عن حَبَش: وفيه رمل يقال: إنه لفريدة، ويقال: إنه لمالك. وقيل: إن الثقيلَ الأوّل لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانه أن خفيف الرمل لَعَطَرْد أيضاً.

(١) في ب، س: بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

/ ذكر جميلة وأخبارها

ولاء جميلة وشعر عبدالرحمن بن أَرْطاة فيها:

هي جميلة مولاة بني سُلَيْم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بَهْر، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الْخَزْرَج، وكانت تنزل فيهم، فغلب عليها ولأء زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنزل بالسُّنْح^(١) وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصديق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأموي السعدي. وذكر عبدالعزيز بن عُمَرَان أنها مولاة للحجاج بن علاط السلمى وهي أصل من أصول الغناء، وعنهما أخذ معبد وابن عائشة وحَبَابَةُ وسَلَامَةُ وعقيلة العقيقية والسَّمَّاسِيَّان خُلَيْدَةُ ورُبَيْحَةُ. وفيها يقول عبدالرحمن بن أَرْطاة:

صوت

إِنَّ الدَّلَالَ وحسنَ الغنَا • شَطَطَ يَوتِ بني الْخَزْرَجِ
/ وتلكم جميلة زِينُ النِّسَاءِ إِذَا هِيَ تَزْدَانُ لِلْمُخْرِجِ
إِذَا جِئْتَهَا بِذَلَّتْ وَدَّهَا بِوَجْهِه مُنِيرٍ لَهَا أَبْلَجِ

١٢٥
٧

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة. والغناء لمالكٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٍ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى، ويقال: فِيهِ الدَّلَالُ وَجَمِيلَةُ لِحْنَانٍ.

كانت أعلم خلق الله بالغناء:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشِيِّ عن الْمُخْرَزِيِّ^(٢) قال:

كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَمِيلَةُ وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغَنِّينَ.

/ كيف تعلمت الغناء:

قال إسحاق وحدثني أَيُّوب بن عَبَّاسٍ قال حدثني رجل من الأنصار قال:

سُئِلَتْ جميلة: أُنِىَ لِكَ هَذَا الْغِنَاءُ؟ قالت: والله ما هو إلهاً ولا تعليم ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعُه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذتُ تلك التَّغَمَّات فبنيتُ عليها غِنَائِي، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء، فعلمتُ وألقيتُ، فسمعني مَوَالِيَانِي^(٣) يوماً وأنا أغني سرّاً ففهمتني ودخلن عليّ وقُلْنَ: قد علمنا فما نَكْتُمِينَا. فأقسمن عليّ، فرفعتُ صوتي وغنيتُهنَّ بشعر زُهَيْر بن أبي سُلَمَى:

(١) السُّنْح (بالضم وبضمين): موضع قرب المدينة.

(٢) فِي حَد: «المخرزي بالخاء المعجمة.

(٣) مَوَالِيَانِي: هو جمع الجمع، كصواحبات.

وما ذكرْتُكَ إِلَّا هَجَّتْ لِي طَرَباً إِنَّ المحبَّ ببعض الأمر معذورُ
ليس المحبَّ بمن^(١) إن شَطَّ غَيْرُهُ هجرُ الحبيب وفي الهجران تغييرُ

صوت

نسام الخلي فنوم العين تغدير^(٢) مما أذكرْتُ وهم النفس مذكورُ
ذكرْتُ سلمى وما ذكرِي براجعها ودونها سَنَسَبَ يَهْوِي به المور^(٣)

- الشعر لزهير. والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حبش - فحيث ظهرَ أمري وشاع ذكرِي، فقَصَدني الناسُ وجلسَتُ للتعليم؛ فكان الجواري يتكاوسنني^(٤)، فربما أنصرف أكثرهن ولم يأخذن شيئاً سوى ما سمِعتني أطارحُ لغيرهن، ولقد كَسَبْتُ لِمَوَالِي ما لم يخطرُ لهنَّ بهال، وأهلُ ذلك كانوا وكنْتُ.

[١٨٨/٨] / إجماع الناس على تقدمها في الغناء :

وحدثني أبو خليفة قال حدثني ابن سلام قال حدثني مسلمة بن محمد بن مسلمة الثقفي قال :
كانت جميلة ممن لا يُشكُّ في فضيلتها في الغناء، ولم يدع أحدٌ مقاربتها^(٥) في ذلك، وكلُّ مدني ومكي يشهد لها بالفضل.

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة :

قال إسحاق وحدثني هشام بن المُرِّيَّة المدني قال حدثني جرير المدني - قال إسحاق : وكانا جميعاً مغنيين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفيين، وكانا قد أسنا، فأما هشام فبلغ الثمانين، وأما جرير فلا أدري - قال جرير :
وقد أبى سُرَيْج والغريص وسعيد بن مسبح ومسلم بن مِحْرَز المدينة لبعض من وفدوا عليه، فأجمع رأيهم على النزول على جميلة مولاة بهز، فنزلوا عليها فخرجوا يوماً إلى العقيق متنزهين، فوردوا على معبد وأبن عائشة فجلسوا إليهما فتحدثوا ساعة؛ ثم سأل معبدُ ابنَ سُرَيْج وأصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألفوا. فقال ابن عائشة :
إنَّ للقوم أعمالاً كثيرة حسنة ولك أيضاً يا أبا عباد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كل واحد منا صوتاً ساعته ثم يغنُ به. قال / معبد : يابن عائشة، قد أعجبك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة! قال ابن عائشة : أو غَضِبْتُ يا أبا عباداً إنِّي لم أقل هذا وأنا أريد أن أنتقصك فإنك لَأنت المُفَادُ منه. قال معبد : أما إذ قد اختلفنا وأصحابنا المكيون سكوتٌ فلنجعل بيننا حكماً. قال ابن عائشة : إن أصحابنا شركاء في الحكومة. قال ابن سُرَيْج : على شريطة؛ قال^(٦) : على أن يكون ما نُغني به من الشعر ما حُكمت فيه امرأة. قال ابن عائشة / ومعبد :

(١) في ب، س : «كمن».

(٢) تغدير : قليل. وفي ب، س : «تقير» وهو تحريف.

(٣) المور : الغبار المتردد، وقيل : التراب تثيره الريح.

(٤) يتكاوسني، تريد : يتكفني ويتزاحمن حولي. ضمن «تكاوس» بمعنى «تكفف» فتعدى تعديته؛ إذ الموجود في «كتب اللغة» أن التكاوس التزاحم والتراكم، فهو فعل لازم؛ يقال : تكاوس النخل والشجر والعشب إذا كثر والتف، وتكاوس النبات إذا التف وسقط بعضه على بعض.

(٥) في ح، أ : «مقاربتها» بالنون.

(٦) كلمة «قال» هنا ظاهرة الزيادة.

رَضِينَا، وهي أُمُّ جُنْدَبٍ. فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْاجْتِمَاعِ فِي مَنْزِلِ جَمِيلَةَ مِنْ غَدٍ. فَلَمَّا حَضَرُوا قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: مَا تَرَى يَا أَبَا عَبَادٍ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ يَبْتَدِيَءَ أَصْحَابُنَا أَوْ أَحَدُهُمْ. قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ: بَلْ أَنْتُمْ أَوْلَى. قَالَا: لَمْ نَكُنْ لِنَفْعَلْ. فَأَقْبَلَ لِبْنُ سُرَيْجٍ عَلَى سَعِيدِ بْنِ مَسْجَعٍ فَسَأَلَهُ أَنْ يَبْتَدِيَءَ فَأَبَى. فَأَجْمَعَ رَأْيُ الْمَكِّيِّينَ عَلَى أَنْ يَبْتَدِيَءَ ابْنُ سُرَيْجٍ. فَعَنَى ابْنُ سُرَيْجٍ:

صوت

ذَهَبْتُ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّعْجُبِ
خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ أَقْضُ^(١) لُبَّاسَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ
فَإِنْكَمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبٍ
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيًّا وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ

- الشعر لامرئ القيس. ولابن سُرَيْجٍ فيه لحنان ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، وخفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن أسحاق -

وغنى مَعْبَد:



فَلَلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشْتُ وَأَنَّى مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(٣)
عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجِرْمَةٍ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يُثْرِبِ^(٤)
/ فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكِ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ جَانِغِ نَجْدِ كَبْكَبِ^(٥)
فَعَيْنَاكَ غَرِبًا جَذُولٍ فِي مُقَاضَةٍ كَمَرٍ خَلِيجٍ فِي سَنِيعِ مُقَقَّبِ^(٦)

وغنى ابْنُ مَسْجَعٍ:

(١) في الأصول هنا: «أقضى». وفي «شرح ديوانه»: لتقضى حاجات.

(٢) يلاحظ أن البيت الأول من هذه الأبيات من شعر علقمة الفحل وهو مطلع قصيدة له.

(٣) المحصب: موضع رمي الجمار بمكة.

(٤) علون: يعني الطعائن. وإنما يريد الإبل التي تحمل الطعائن، يعني علون بالخدور التي فيها ثياب أنطاكية أي علمت بأنطاكية. والعمقة: ضرب من الوشي. والجرمة: ما جرم من البسر. شبه ما على الإبل من الألوان بالبسر الأحمر والأصفر. والجنة: البستان. يريد نخل المدينة.

(٥) بطن نخلة: موضع على ليلة من مكة. والجازع: القاطع، يقال: جزعت الوادي أي قطعت. وكبكب هو الجبل الأحمر الذي يجعله خلف ظهره إذا وقفت مع الإمام بعرفة.

(٦) كذا في «ديوان امرئ القيس» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش). وفي الأصول: «مصوب» وهو تحريف. والغرب: الدلو الضخمة. والمفاضة ها هنا: الأرض الواسعة. والخليج: الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ. والسنيح: اللؤلؤ. شبه ما يسيل من عينيه بالغربين، وما يسيل من الغربين باللؤلؤ المتناثر. (عن شرح الديوان).

صوت

وقالت فإن يُتَخَلَّ عليك ويُتَمَلَّلُ
وإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخِرٍ^(٢)
وإنك لم تَقْطَعْ لُبَانَةَ عاشقٍ
/ بأَذْمَاءِ حُرْجُوجٍ كأنَّ قُودَهَا
يغرد بالأسحار في كل سُذْفَةٍ
وغنى ابن عائشة:

[١٩١/٨]

صوت

وقد أَغْتَدِي والطيرُ في وُكُنَاتِهَا
/ بِمُنْجَرِدٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ لَاحَةً
إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وَأَبْثَلَ عِظْفَهُ
له أَيْطَلًا^(٩) ظَبْيِي وساقاً نَعَامَةً

١٢٧
٧

[١٩٢/٨] / وغنى ابن مُخْرِز:



(١) كل الشعر الماضي، ما عدا البيت الأول كما تقدّم، من قصيدة امرئ القيس. وقد اختلف في هذا البيت أهو من قصيدة امرئ القيس أم من قصيدة علقمة. (راجع كتاب «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» للإمام العيني فقد فصل الكلام في ذلك). وتدريب: من الدربة وهي التجربة. ومعنى البيت أنه إن بخل عليك بالوصال واعتل ساءك ذلك، وإن وصلت وكشف غرامك كان ذلك عادة لك ودربة. وإنما يريد أنها كانت لا تقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس والسلو، ولا فصله كل الوصل فيتعود ذلك ويستكثر منه حتى يدعوه إلى الملل. (عن شواهد المعنى). وفي الأصول: «تدريب» بالذال المعجمة وهو تصحيف.

(٢) في ب، س: «كماجز». والمغلب (بصيغة المفعول): الذي من عادته أن يغلب. (٣) المؤوب: المردّد المتكرر. ويصح أن يكون بالكسر باعتبار أن صاحبه يؤوب فيه أي يرده مع الليل بعد سير النهار كله. وهذا البيت من شعر علقمة.

(٤) الأدماء: الناقة البيضاء. والحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. والقنود: جمع قند وهو أداة الرحل. وأبلى الكشحين: أبيض الخاصرتين. والإغراب: بياض الأشجار والوجه، فالمغرب: الذي تتسع غرته حتى تأخذ عينيه وأشجاره. وقيل: الإغراب: بياض الأرفاغ مما يلي الخاصرة. أو المغرب الذي كل شيء منه أبيض وهو أقيح البياض. أي ليس بلقه بإغراب. يريد: كأن قنود هذه الناقة على حمار وحشي موصوف بما ذكره بهذا البيت وما بعده لشدة نشاطها. وفي الشعر الأول رواية أخرى أشار إليها شارح «الديوان» وهي: «بمعجزة حرف... إلخ». والمعجزة: المتنفخة. والحرف: الضامرة.

(٥) يغرد: يطرب. وسدفة: طائفة من الليل، ومياح: وصف من ماح في مشيته يميح مياحاً ويمحوحة إذا تبخر. والندامى: الغتيان الذين يتنادمون، الواحد ندمان ونديم. يصف الحمار بأنه يرفع بالأسحار صوته كأنه يطرب نفسه.

(٦) المذنب: مسيل الماء إلى الروضة.

(٧) المنجرد: القصير الشعر. والأوايد: الوحش. ولاحه: غيره وأهزله وأضناه. والطراد: المطاردة. والهوادي: السوابق المتقدّمات. والشأو: الطلق وهو جري مرة إلى الغاية. والمغرب: البعيد المدى.

(٨) عطفه: ناحيته. وهزيز الرياح: صوتها. والأناب: شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت.

(٩) الأيطل: الخاصرة. والصهوة: الظهر. والعير: حمار الوحش. وليس في الدواب أحسن موضع لبد من حمار الوحش. وإنما قال: «قائم» لأنه إذا قام تمدد وإذا عدا اضطرب. والمرقب: المكان المرتفع من الأرض.

صوت

- فَلِلْسَوْطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ (١)
وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَخْرَجَ مُهَذَّبٌ (١)
فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يُبَلِّ شَدَّهُ (٢)
يَمُرُّ كَحُذْرُوفِ السَّوْلِدِ الْمُثْقَبِ (٢)
تَذُبُّ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا تُمَرُّهُ (٣)
كَذَبَ الْبَشِيرَ بِالرَّدَاءِ الْمُهَذَّبِ (٣)
إِذَا مَا ضَرَبْتُ الدَّفَّ أَوْصَلْتُ صَوْلَةً (٤)
تَرْقُبُ مِنِّي غَيْرَ أَذْنَى تَرْقُبِ (٤)

وغنى الغريض:

صوت

- أَخَافُ لَا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ (٥)
صَبُورًا عَلَى الْعِلَاتِ غَيْرَ مُسَبِّبِ (٥)
رَأَيْنَا شِيَاهًا يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً (٦)
كَمَشَى الْعَذَارَى فِي الْمَلَأِ الْمُجَوَّبِ (٦)
/ وَمَا أَنْتَ أُمَّ مَا ذَكَرُهَا رَبِيعَةٌ (٧)
تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأَكْنَفِ شُرُوبِ (٧)
أَطَعْتُ الْوُشَاةَ وَالْمُشَاةَ بِصُرْمِهَا (٨)
فَقَدْ أَنْهَجَتْ حَبَالُهَا لِلتَّقْضِيبِ (٨)

[١٩٣/٨]

فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ: كُلُّكُمْ مُحْسِنٌ وَكُلُّكُمْ مُجِيدٌ فِي مَعْنَاهُ وَمَذْهَبُهُ. قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: لَيْسَ هَذَا بِمُقْنَعٍ دُونَ التَّفْضِيلِ. فَقَالَتْ: أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا يَحْيَى (٩) فَتَضْحِكُ التَّكْلَى بِحُسْنِ صَوْتِكَ وَمَشَاكِلَتِهِ لِلنَّفُوسِ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَبَادٍ فَتَنْسِيحُ وَخَدِكَ (١٠) بِجُودَةٍ تَأْلِفُكَ وَحَسَنَ نَظْمِكَ مَعَ عَذُوبَةِ غَنَائِكَ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَثْمَانَ فَلَكَ أَوْلِيَّةُ هَذَا الْأَمْرِ وَفَضِيلَتُهُ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرَ فَمَعَ الْخُلَفَاءِ تَصْلُحُ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ فَلَوْ قَدَّمْتُ أَحَدًا عَلَى نَفْسِي لَقَدَّمْتُكَ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا

(١) الإلهاب والألهوب: شدة العدو الذي يشير للهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار. وللساق درة أي إن حرك بالساق درة على ذلك وزاد في عدوه. والأخرج: الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه. والمهذب: الشديد العدو. أي إذا زجر أخرج منه الزجر عدواً كعدو الظليم.

(٢) يريد أنه يدرك طريدته من غير جهد ولا مشقة. والخدروف: والدوارة التي يلعب بها الصبيان.

(٣) هذا البيت والذي بعده من شعر علقمة وهما في وصف ناقته. ويرجع الضمير في «به» إلى ذنبها الذي وصفه في البيت الذي قبل هذا البيت وهو:

كَأَنَّ بِحَاذِيهَا إِذَا مَا تَشَدَّرَتْ عَاكِيلٌ قَنُومٍ مِنْ سَمِيحَةٍ مَرْطَبِ

وذوب البشير أن يلعب للقوم برده إذا جاءهم بخير خير. والمهذب: ذو الهدب. شبه خطران الناقة بذنبها بلعب البشير بردها ذي هدب.

(٤) الدف: الجنب. وترقب: تلاحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف. وغير أدنى ترقب أي ترقباً شديداً.

(٥) هذا البيت والأبيات التي بعده في «ديوان علقمة» وغير مسبب: غير مسبوب.

(٦) شياه: بقر من الوحش. والخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل في الثوب. والمجوب: المصنوع له جيب.

(٧) قوله: وما أنت أم ما ذكرها: يوبخ نفسه وينكر عليها تتبع هذه المرأة مع بعد دارها. وإير: جبل لبني غطفان غربي جبل طي. وشرب: واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم في شمال اليمامة. والأكناف: النواحي.

(٨) أنهجت: خلقت وبلت. والتقضب: التقطع.

(٩) أبو يحيى كنيته ابن سريج، وأبو عباد كنية معبد، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجع، وأبو جعفر كنية ابن عائشة، وأبو الخطاب كنية ابن محرز، ومولى العبلات لقب الغريض.

(١٠) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «فانسحج وحده» وهو تحريف.

مَوَلَى الْعَبَلَاتِ فَلَوْ أَبْتَدَأْتَ لَقَدَّمْتُكَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ سَأَلُوها جَمِيعاً أَنْ تَغْنِيَهُمْ لِحَنّاً كَمَا غَنَّا؛ فَغَنَّتَهُمْ بَيْتاً لَامِراً الْقَيْسَ
وَأَرْبَعَةَ آيَاتٍ لِعَلْقَمَةَ وَهِيَ:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ أَقْضُ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ
لِيَالِي لَا تَبْلَى^(١) نَصِيحَةً بَيْنَنَا لِيَالِي حَلَّوْا بِالسُّتَارِ^(٢) فَغُرِبِ
/ مُبَيَّنَةً^(٣) كَأَنَّ أَنْصَاءَ حَلِيهَا عَلَى شَادِنٍ مِنْ صَاحَةِ مُتْرِبِ
مَحَالٌ^(٤) كَأَجْوَازِ الْجَرَادِ وَلَوْلُو مِنَ الْقَلَقِيِّ وَالْكَيْسِ الْمَلُوبِ
إِذَا أَلْحَمَ الْوَاشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا تَبْلُغُ رَسُّ الْحَبِّ غَيْرُ الْمَكْذَبِ^(٥)

[١٩٤/٨]

فَكَلَّهْمُ أَتَوْا لَهَا وَفَضَّلُوهَا. فَقَالَتْ لَهُمْ: أَلَا أَحَدْتُكُمْ بِحَدِيثٍ يَتِمُّ بِهِ حَسَنُ غِنَائِكُمْ^(٦) وَتَمَامُ اخْتِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى
وَالله. قَالَ الْغَرِيضُ: قَدْ وَاللهُ فَهَمُّهُ يَا سَيِّدَتِي قَالَتْ: لَعَنَكَ اللهُ يَا مَخَنَّثُ! مَا أَجُودَ فَهْمَكَ وَأَحْسَنَ وَجْهَكَ! وَمَا يَلَامُ
فِيكَ أَبُو يَحْيَى إِذْ عَرَفْتَهُ؛ فَهَاتِهِ حَدَّثْنَا. قَالَ: يَا سَيِّدَتِي وَسَيِّدَةُ مَنْ حَضَرَ، وَاللهُ لَا نَطْلُقُ بِحَرْفٍ مِنْهُ وَأَنْتَ حَاضِرَةٌ،
وَلَكَ الْفَضْلُ وَالْعُتْبَى. قَالَتْ: نَازِعَ أَمْرُ الْقَيْسِ عَلْقَمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْفَحْلِ الشَّعْرِي؛ فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَكَمْتُ^(٧) بَيْنِي وَبَيْنَكَ
/ ١٢٨ / أَمْرَانِكَ أُمِّ جُنْدَبٍ؛ قَالَ: قَدْ رَضِيتُ. فَقَالَتْ لَهَا: قَوْلًا شِعْراً عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَقَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ صِفَا فِيهِ الْخَيْلُ.
فَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ أَقْضُ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ لِمُعَذِّبِ

[١٩٥/١] / وَقَالَ عَلْقَمَةُ:

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقّاً كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

وَأَنْشَدَاهَا، فَغَلَّبَتْ عَلْقَمَةَ. فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: بَأَيِّ شَيْءٍ غَلَبَتْهُ؟ قَالَتْ: لِأَنَّكَ قُلْتَ:

(١) كَذَا فِي «دِيوان علقمة». وَفِي الْأَصُولِ: «لِيَالِي فَلَا تَبْلَى» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) السُّتَارُ (عَلَى وَزْنِ كِتَابٍ): جَبَلٌ بِعَالِيَةِ الْحِجَازِ. وَغَرِبَ مَوْضِعٌ تَلْقَاءَهُ. وَهَذَا الْبَيْتُ وَاقِعٌ فِي «دِيوان علقمة» بَعْدَ قَوْلِهِ:

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقّاً كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

وَهُوَ مُطْلَعُ الْقَصِيدَةِ. يَقُولُ لِنَفْسِهِ: ذَهَبَتْ مِنْ هَجْرَانِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لَكَ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ يَجِبُ، أَيُّ لَمْ تَهْجُرْكَ لِرَبِّيةٍ رَابِتِكَ بِهَا لَكِنْ إِدْلَالاً
وَتَجَنُّباً، وَلَمْ يَكُنْ تَجَنُّبُهَا حَقّاً، إِذْ لَمْ تَأْتِ إِلَيْهَا مَا يَوْجِبُ التَّجَنُّبَ. وَقَوْلُهُ: لِيَالِي لَا تَبْلَى أَيُّ فَعَلْتَ هَذَا بِكَ زَمَنَ الْمَرْتَبِ إِذْ كَانَ حَيْهَا
وَحَيْكَ مُتَجَاوِرِينَ، فَكُنَّا نَجِدُ النَّصَائِحَ وَنَقْرُبُ الْوَسَائِلَ. (رَاجِعْ شَرْحَ دِيوانِ عَلْقَمَةَ الْفَحْلِ لِلْأَعْلَمِ الشُّتَمْرِيِّ).

(٣) الْمُبَيَّنَةُ: الْمَكْتَنَزَةُ لِلْحَمِّ الضَّامِرَةِ الْكُشْحِ. وَأَنْصَاءُ الْحَلِيِّ: مَا دَقَّ مِنْهُ وَلَطَفَ. يَعْنِي قُرْطِيهَا وَقَلَاتُهَا وَلَمْ يَمِنْ سَوَاراً وَلَا خَلْخَالاً،
لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَصِدَ إِلَى تَشْبِيهِ جِيدِهَا وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَلِيِّ يَجِيدُ الشَّادِنِ. وَصَاحَةُ: جَبَلٌ أَحْمَرٌ بَيْنَ الرِّكَاءِ وَالْدُخُولِ، وَقِيلَ: صَاحَةُ هَضْبَتَانِ
عَظِيمَتَانِ لَهَا زِيَادَاتٌ وَأَطْرَافٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ مِنْ عِمَايَةِ (جَبَلٍ بِالْبَحْرَيْنِ ضَخْمٌ) تَلِي مَغْرِبَ الشَّمْسِ بَيْنَهُمَا فَرَسَخٌ. (عَنْ «مَعْجَمِ مَا
اسْتَعْجَمَ» لِلْبَكْرِيِّ). وَمُتْرِبٌ: مَرَبٍ.

(٤) الْمَحَالُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَلِيِّ يَصَاغُ مَقْرَراً (أَيُّ مُحْزَراً) عَلَى تَفْقِيرِ وَسْطِ الْجَرَادِ، وَالْجُوزِ: وَسْطُ الشَّيْءِ، وَالْقَلَقِيُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْقَلَائِدِ
الْمَنْظُومَةِ مِنَ اللَّوْلُؤِ. قَالَ صَاحِبُ «اللِّسَانِ»: وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِتَقْلُقِهَا (أَيُّ اضْطِرَابِهَا). وَالْكَيْسُ: حَلِيٌّ يَصَاغُ مَجَوْفاً ثُمَّ
يَحْشَى طَيِّباً ثُمَّ يَكْبَسُ. وَالْمَلُوبُ: الْمَعْطَرُ بِالْمَلَابِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعَطْرِ، وَقِيلَ: الْمَلَابُ كُلُّ عَطْرِ مَانِعٍ.

(٥) الْحَمُّ: أَدْخَلَ. يَقَالُ: الْحَمُّ بَيْنَ بَنِي فُلَانٍ شِراً إِذَا جَنَاهُ لَهُمْ. وَقَوْلُهُ: تَبْلُغُ رَسَّ الْحَبِّ أَيُّ تَبْلُغُ فِي الْقَلْبِ وَثَبَتْ فِيهِ. وَالرَّسُّ: الثَّابِتُ
الرَّاسِخُ. وَغَيْرُ الْمَكْذَبِ أَيُّ غَيْرِ الْمُنْقَطِعِ الرَّائِلِ.

(٦) فِي ب، س: «غَضَارَتُكُمْ».

(٧) فِي الْأَصُولِ: «حَاكَمْتُ».

فَلِلْسُوطِ أَهْوَبُ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ^(١) وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجٍ مِنْعَبٍ^(٢)
فَجَهَذَتْ فَرَسَكَ بِسَوْطِكَ، وَمَرَّيْتَهُ^(٣) بِسَاقِكَ وَزَجَرَكِ، وَأَتَعَبْتَهُ بِجَهْدِكَ. وقال علقمة:

فَوَلَّى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَغَيَّيَّةٍ شُوْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهَبٍ^(٣)
فَادْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ^(٤)

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمر به ساق، ولم يتعبه بزجر. فقال ابن عائشة: جُعِلَتْ فِدَاكِ! أتأذنين أن أحدث؟ قالت: هيه. قال: إنما تزوج أم جندب حين هرب من المنذر بن ماء السماء فأتى بجيلي طيء، وكان مفركاً^(٥). فبينما هو معها ذات ليلة إذ قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت. فلم يقم؛ فكررت عليه فقام فوجد الفجر لم يطلع، فرجع فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فأمسكت. وألح عليها فقالت: حملني أنك ثقیل الصدر، خفيف العجيزة، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة. فعرف تصديق قولها وسكت. فلما أصبح أتى علقمة وهو في خيمته وخلفه أم جندب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة مثل ذلك، فتحاكما إلى أم جندب، ففضلت أم جندب علقمة على امرئ القيس. / فقال لها: بم فضلت علي؟ قالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك. [١٩٦/٨] زجرت وضربت وحركت ساقيك، وابن عبدة جامد لا مقتدر^(٦). فنضب من قولها وطلقها، وخلف عليها علقمة. فقالت جميلة: ما أحسن مجلسنا لو دام اجتماعنا. ثم دعت بالغداء فأتى باللوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة. ثم قالت: لولا شناعة^(٧) مجلسنا لكان الشراب معداً ولكن الليل بيننا. فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جئهم الليل دعت بالشراب ودعت لكل رجل منهم بعود، وأخذت هي عوداً فضربت، ثم قالت: أضربوا فاضربوا عليها بضرب واحد، وغنت بشعر امرئ القيس:

أَذْكُرْتُ نَفْسَكَ مَا لَنْ يُعُودَا فَهَاجَ التَّدَكُّرُ قَلْبًا عَمِيدَا
تَدَكُّرْتَ هَذَا وَأَتَرَابَهَا وَأَيَّامَ كُنْتَ لَهَا مُسْتَقِيدَا^(٨)
وَيُعْجِبُكَ اللَّهُوُّ وَالْمُسْمِعَاتُ فَأَصْبَحْتَ أَزْمَعْتَ مِنْهَا صُدُودَا
وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي^(٩) وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك. ثم قالت: تَغَنُّوا جميعاً بلحن واحد؛ فغَنَّاها هذا الشعر والصوت بعينه

(١) المتعب: الاحمق المصوت، كذا في «اللسان» واستشهد بالبيت. والمتعب أيضاً: الذي يمد عنقه في العدو.

(٢) مري الفرس: استخرج جريه.

(٣) على آثارهن: يعني البقر. وبحاصب: يعني بعدو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر. والغية: المطرة التي تجيء شديدة. والشوبوب: أول كل شيء وحدته. وملهب: مثير للهب من شدة جريه. واللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

(٤) الرائح: يعني السحاب الذي يأتي بالعشي، والسحاب أغزر ما يكون بالعشي. والمتحلب: المتساقط المتتابع.

(٥) المفرك: الذي يفضيه النساء.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «مقتدر» بالغين المعجمة. وكلاهما غير واضح.

(٧) تريد: لولا شهرة مجلسنا وقبح الأحذوة عنه.

(٨) استفاد له: أعطاه مقادته أي أطاعه له.

(٩) أوجهه: شرفه وجعله وجيهاً.

١٢٩/٧ كما غنّته. وعلم القوم ما أرادت بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة: جُعِلْتُ / فِدَاكِ! نرجو أن يدوم مجلسنا، ويؤثر أصحابنا المقام بالمدينة فتواسيهم من كل ما نملكه. قال أبو عبّاد: وكيف بذاك! فباتوا بأنعم ليلة وأحسنها. قال إسحاق قال أبي قال لي يونس: قال أبو عبّاد: لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيره مثل ذلك اليوم، ولا أحسبه / يكون بعدُ. قال يونس: ولا أدركنا نحن مثل ذلك اليوم ولا بلغنا. قال إسحاق: ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليوم يكون بعدُ.

زارها عبدالله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه:

وحذّني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عبّاد:

أتيتُ جميلةً يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ^(١) أنّي سبقتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسها غاصّ؛ فسألْتُها أن تُعلّمني شيئاً؛ فقالت لي: إنّ غيرك قد سبقك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَنْ سواك فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكِ! إلى متى^(٢) تفرّغين مِن سبقتي! قالت: هو ذاك، الحقُّ يَسْعُكُ وَيَسْعُهُمْ. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدالله بن جعفر - وإنه لأول يومٍ رأيته وآخره وكنت صغيراً كَيِّساً، وكانت جميلةً شديدة الفرح - فقامت وقام الناس، فتلقتُه وقبّلت رجله ويديه، وجلس في صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحوّق^(٣) أصحابه حَوْلَه، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناس، وغمزتني أن لا أبرحُ فأقمتُ. وقالت: يا سيدي وسيّد آبائي ومواليّ، كيف نشطتُ إلى أن تنقل قدميك إلى أمّتك؟ قال: يا جميلة، قد علمتُ ما آليت على نفسك ألا تغني أحداً إلّا في منزلك، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فسيحاً. قالت: جُعِلْتُ فِدَاكِ! فأنّا أصيرُ إليك وأكفر. قال: لا أكلفك ذلك، وبلغني أنك تُغنين بيتين لأمري القيس تُجيدان الغناءَ فيهما، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت: يا سيدي نعم! فأندفعتُ تغني فغنّت بعودها، فما سمعتُ منها قبل ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء؛ فسبح عبدالله بن جعفر والقوم معه. وهما:

١٩٨/٨ / ولما رأت أنّ الشريعةَ هُمها / وأنّ البياضَ من فرائضها دامي^(٤)
تيمّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ / بقيءٍ عليها الظلُّ عَرْمَضُها طامي^(٥)

حديث عبدالله بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق فأنقذهم الله بشعر أمريء القيس:

- ولابن مسجّع في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنهما - فلما فرغتُ قالت جميلة: أي سيدي أريدك؟ قال: حسبي. فقال بعضُ من كان معه: بأبي جُعِلت فِدَاكِ! وكيف أنقذ الله من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعم، أقبل

(١) جملة ظننت وما بعدها حال من فاعل أتيت، وليس من الضروري في مثل هذا المقام أن تفتن بالواو أو قد أو بها.

(٢) هكذا في الأصول. وكلمة «إلى» في هذا المقام ظاهرة الزيادة.

(٣) تحوّقوا حوله: استداروا حوله وأحاطوا به.

(٤) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب. وهما: طلبها. والفريضة: اللحم الذي بين الكتف والصدر. والفرائض أيضاً:

العروق. والضمير في رأت للحر. يريد أن الحر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماء وأن تدمي فرائضها من

سهامهم فعدلت إلى «ضارج» لعدم الرماء على العين التي فيها. و«ضارج»: موضع في بلاد بني عبس. والعرمض: الطحلب.

وطام: مرتفع. «هن اللسان» مادة ضرج.

(٥) ورد في «اللسان» (مادة ضرج) بعد إيراد هذه الرواية: «قال ابن بري: ذكر النحاس أن الرواية في البيت: بقيء عليها الطلح».

قوم من أهل اليمن يريدون النبي ﷺ فصلوا^(١) الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء، وجعل الرجل منهم يستذري^(٢) بفنيء السمر والطلع يائساً من الحياة، إذ أقبل راكب على بعير له، وأنشد بعض القوم هذين البيتين فقال:

ولما رأث أن الشريعة ههنا وأن البياض من قرأها دامي
تيممت العين التي عند ضارج بقيء عليها الظل عزمها طامي

فقال الراكب: مَنْ يقول هذا؟ قال: أمرؤ القيس. قال: والله ما كذب؛ هذا ضارج عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحبّوا على الركب فإذا ماء^(٣) عذب وإذا عليه العزم والظل بقيء عليه، فشربوا منه ريّهم وحملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماء، فأتوا / النبي ﷺ / فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عز وجل بيتين من شعر أمرئ القيس، وأنشده الشعر. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار». فكل استحسن الحديث. ونهض عبدالله بن جعفر ونهض القوم معه. فما رأيت مجلساً كان أحسن منه.

سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدم أمرؤ القيس:

قال إسحاق: حدثني بعض أهل العلم عن ابن عباس عن الشَّعْبِيِّ قال:

رأيت دغفلاً النسابة يحدث أنه رأى العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء، فقال: أمرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن^(٤) معاني غور أصح بصراً^(٥)، قال إسحاق: معنى خسف: احتقر. وهو من كنزة من اليمن، وليست لهم فصاحة مضر، ولا شعرهم بجيد. فجعل معاني اليمن معاني غوراً وما قاله: أصح بصراً^(٥) أي أجود شعراً. ومعنى افتقر: احتقر. والفقيرة: الحفيرة تُحفر للفسيلة لتغرس. وكل ما ابتدأت حفره فهو فقير. والمعنى أنه قال شعراً جيداً وليس هو في معنى شعر مضر.

حديث جرير عن طرفة وامرئ القيس وزهير وذو الرمة:

وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي:

سمعت أبي يقول: دخل جدّي على بعض ملوك بني أمية؛ فقال: ألا تخبرني عن الشعراء؟ قال بلى. قال: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أبْنُ العشرين (يعني طرفة). قال: فما تقول في أمرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيث الشعر نعلين، فأقسم بالله لو أدركته لرفعت له ذلّاه^(٦). قال: فما رأيك في ابن أبي سلمى؟ قال: كان يبري / الشعر. قال: فما رأيك في ذي الرمة؟ قال: قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد حتى صنّف الشعر.

(١) في الأصول: «فأصلوا». ولا يقال: أضللت الشيء إلا إذا ضاع منك. وأما إذا أخطأت موضع الشيء الثابت مثل الدار والمكان قلت: ضللت، ولا تقل: أضللت.

(٢) يستذري: يستظل.

(٣) في أ، م: «عذ». والماء العذ: الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر.

(٤) كذا في «لسان العرب» (مادة فقر). وفي الأصول: «من معاني».

(٥) في جميع الأصول واللسان: «أصح بصراً» ولم يظهر له عندنا وجه.

(٦) كذا في حـ. والذلاذل: أسافل القميص الطويل، الواحد ذلذل. وفي سائر الأصول: «زلزله» بزايين، وهو خطأ.

زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة ثم غناء كل منهم وحده:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عبيدة عن رجل من الأنصار قال:
زار معبدُ مالك بن أبي السَّمْح؛ فقال له: هل لك أن نصير إلى جميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها؛ فأذنت لهما
فدخلتا، فأخرجتا إليهما رُقعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بعث بهذه الرقعة إلي فلان أغني فيها^(١). فقال لمعبد:
فأبتدئي؛ فأبدأت جميلة فغنت:

صوت

إنما الذُّلفاء همِّي فليدعني من يُلومُ
فغنى معبد:

أحسنُ الناسِ جميعاً حين تمشي وتقوم
فغنت جميلة:

حَبِّبَ الذُّلفاءَ عندي منطِقُ منها رَحيم
فغنى معبد:

أصلُ الجبلِ لترضِي وهي للجبلِ صَـرُومُ
فغنت جميلة:

حُبُّها في القلبِ داءٌ مستكِنٌ لا يَـرِيـمُ

طريقة واحدة - الشعر للأخوص. وذكر ابن الطَّحَّاح أنه للبخترى^(٢) العبادي. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان خفيف
[٢٠١/٨] ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر عن ابن / المكي، وثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر أحمد بن سعيد
المالكي أن له فيه خفيف ثقيل آخر. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه لمالك وجميلة لحنين. وقالت لمعبد ولمالك:
يغني كل واحد منكما لحناً مما عمله. فغناها معبد بشعر قاله فيها الأخوص يصفها به، وكان مُعْجَباً بها، وكانت هي
١٣١ له / مُكرمة، وهو قوله:

شَأْنُكَ المَنَازِلُ بِالْأَبْرِقِ دَوَارِسَ كَالْعَيْنِ فِي الْمُهْرَقِ
لَا لَـ جَمِيلَةً قَدْ أَخْلَقْتَ وَمَهْمَا يَطْلُ عَهْدُهُ يُخْلِقِ
فَإِنَّ يَـقِلُ النَّاسَ لِي عَاشِقُ فَأَيُّنَ الَّذِي هُوَ لَمْ يَغْشَقِ
وَلَمْ يَتَّكِ نُؤْبَاءَ عَلَى عُبْرَةٍ بَدَاءَ الصَّبَابَةِ وَالْمَغْلَقِ

- في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعطرد، وذكر ابن المكي أنه لجميلة.
وفيه خفيف رمل بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه لعطرد أيضاً وعمرو، وذكر الهشامي أن الثقيل الأول لابن

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «بها».

(٢) في ب، س: «اللبخري العبادي» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

عائشة. وذكر حبس أن فيه خفيف ثقيل لمعبد وأن خفيف الرمل لمالك - قال معبد: فُسِّرَتْ جميلة بما غنيتهما به وتبسمت وقالت: حَسْبُكَ يَا أَبَا عَبَّادٍ! ولم تكنني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيء هات ما عندك وجئنا مثل قول عبد ابن قطن^(١)؛ فأندفع وغنى بلحن لها، وقد تغنى به أيضاً معبد لها. واللحن:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْمَلُ أَفَقُ فَالتعزِّي عن بُيْنَةٍ أَجْمَلُ
فَمَا هَكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
فَإِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِماً وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ

- لحنُ جَمِيلَةٍ هَكَذَا ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ. وفيه ألحان عدة مع أبيات آخر من القصيدة، وهي لجميل - فقالت جميلة: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ فِي غَنَائِكَ وَفِي الْإِدَاءِ عَنِّي. / أَمَا قَوْلُهُ: «شَأْنُكَ» فَأَرَادَ بَعُدْتُ عَنْكَ. وَالشَّأْوُ: الْبَعْدُ، يُقَالُ: جَرَى [٢٠٢/٨] الْفَرَسُ شَأْوًا أَوْ شَاوِينَ أَيْ طَلَقًا أَوْ طَلَّقِينَ. وَالْمُهَرَّقُ: الصَّحِيفَةُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، وَالْجَمْعُ مَهَارِقُ؛ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

كُمُتَغِيرٍ فِي رَسْمِ دَارٍ كَانَتْهَا بَوْعَسَاءَ تَنْضُوهَا الْجَمَاهِيرُ^(٢) مُهَرَّقُ

الذَّلْفَاءُ الَّتِي شَبَّ بِهَا الْأَحْوَصُ:

والعين أن تتعين الإداوة أو القرية التي تُخْرَزُ وَيَسِيلُ الْمَاءُ عَنْ عِيُونِ الْخَرْزِ. فَشَبَّهَ مَا بَقِيَ مِنَ الدَّارِ بِتَعْيُنِ الْقَرْيَةِ وَطَرِائِقِ خُرُوقِهَا الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا الْمَاءُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. فَأَمَّا الذَّلْفَاءُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا فَهِيَ الَّتِي قُتِنَ بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ مَا طَلَّقَهَا:

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي دَارٍ عَدَدْتُ بِهَا طَلَاقَ ذُلْفَاءٍ مِنْ دَارٍ وَمِنْ بَلَدٍ
فَلَا يَقُولُنَّ ثَلَاثًا قَائِلٌ أَبَدًا إِنِّي وَجَدْتُ ثَلَاثًا أَنْكَدَ الْعَدَدِ
فَكَانَ إِذَا عَدَّ شَيْئًا يَقُولُ: وَاحِدًا اثْنَانِ أَرْبَعَةً وَلَا يَقُولُ ثَلَاثَةً.

حَدَّثَ بَشِيَّةَ لَهَا مِنْ عَفَّةٍ جَمِيلٍ وَمِنْ حَالِهَا لَمَّا سَمِعَتْ نَعِيَهُ:

وقالت جميلة: حَدَّثَنِي بُيْنَةٌ - وَكَانَتْ صَدُوقَةً^(٣) اللِّسَانِ جَمِيلَةً الْوَجْهَ حَسَنَةً الْبَيَانَ عَفِيفَةً الْبَطْنَ وَالْفَرْجَ - قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَنِي جَمِيلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرِيَّةٍ قَطُّ وَلَا حَدَّثْتُ أَنَا نَفْسِي بِذَلِكَ مِنْهُ. وَإِنَّ الْحَيَّ أَنْتَجَعُوا مَوْضِعًا، وَإِنِّي لَفِي هَوْدَجٍ لِي أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يُنْشِدُ أَبْيَاتًا، فَلَمْ أَتِمَّاكَ أَنْ رَمِيتُ بِنَفْسِي وَأَهْلُ الْحَيِّ يَنْظُرُونَ، فَبَقِيتُ أَطْلُبُ الْمُنْشِدَ فَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، فَنَادَيْتُ: أَيُّهَا الْهَاتِفُ بِشَعْرِ جَمِيلٍ مَا وَرَاءَكَ مِنْهُ؟ وَأَنَا أَحْسِبُهُ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ، فَلَمْ يُجِيبْنِي مُجِيبٌ؛ فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيَّ أَحَدٌ شَيْئًا. فَقَالَ صَوَّاحِبَاتِي: أَصَابَكَ يَا بُيْنَةُ طَائِفٌ / مِنَ الشَّيْطَانِ؟ فَقُلْتُ: كَلَّا! لَقَدْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ! قُلْنَ: / نَحْنُ مَعَكَ وَلَمْ نَسْمَعْ! فَرَجَعْتُ فَرَكِبْتُ مَطِيَّتِي وَأَنَا [٢٠٣/٨] حَيْرَى وَالْهَةُ الْعَقْلُ كَاسِفَةُ الْبَالِ، ثُمَّ سَرْنَا. فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ إِذَا ذَلِكَ الْهَاتِفُ يَهْتَفُ بِذَلِكَ الشَّعْرِ بَعِينَهُ، فَرَمِيتُ بِنَفْسِي وَسَعَيْتُ إِلَى الصَّوْتِ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ أَنْقَطَعَ؛ فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْهَاتِفُ، أَرْحَمُ حَيْرَتِي وَسَكُنْ عَابِرَتِي بِخَبَرِ هَذِهِ

(١) تعني معبدًا، إذ هو مولى ابن قطن.

(٢) الوعساء: الرملة اللينة. والجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع.

(٣) التاء في صدوقة اللسان لتوكيد المبالغة؛ فإن «فعلولاً» بمعنى الفاعل لا تلحقه التاء الفارقة بين المؤنث والمذكر.

الآبيات؛ فإن لها شأنًا فلم يرد عليّ شيئاً. فرجعتُ إلى رَحلي فركبت وسرُتُ وأنا ذاهبة العقل؛ وفي كل ذلك لا يُخبرني صَوَاحِبَاتِي أَنَّهُنَّ سَمِعْنَ شيئاً. فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحيّ مضاجعهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتف بي ويقول: يا بُنَيَّة، أَقْبِلِي إِلَيَّ أَنِّيكَ عَمَّا تريدن. فأقبلتُ نحو الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحيّ، فسألته عن اسمه وبيته. فقال: دَعِي هذا وخُذِي فيما هو أهُمُّ عليك^(١). فقلتُ له: وإن هذا لِمِمَّا يَهْمُنِي. قال: اقْنَعِي بما قلتُ لك. قلتُ له: أنت المنشدُ الآبيات؟ قال نعم. قلتُ: فما خبرٌ جميل؟ قال: نعم فارقته وقد قَضَى نَحْبَهُ وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه. فصَرَخْتُ صَرَخَةً أَذْنْتُ^(٢) منها الحيّ، وسقطتُ لوجهي فأغْمِي عليّ، فكان صوتي لم يسمعه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أَقْبْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعتُ صوتي بالعويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبرُكِ وما شأنُكِ؟ فقَصَصْتُ عليهم القصة. فقالوا: يَرْحَمَ الله جميلاً. واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتهنَّ الآبيات فأسعدنني بالبكاء، فأَقْمَنَ^(٣) كذلك لا يفارقتني ثلاثاً، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبَكَوْا ورَنَوْهُ وقالوا كلُّهم: يَرْحَمُهُ الله، فإنه كان عفيفاً صَدُوقاً! فلم أكتحلْ بعده بِإِثْمٍ ولا فَرَقْتُ رَأْسِي بِمُخِيطٍ^(٤) ولا مُشَطَّ ولا دَهْنَةً إلا من صُدَاعٍ خِفْتُ على / بَصَرِي منه ولا لِسْتُ خِمَاراً مصبوغاً ولا إِزَاراً ولا أَزال أَبْكِيهِ إلى الممات. قالت جميلة: فأنشدتني الشعرَ كلَّه وهذا الغناء بعضه، وهو:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفْسُقُ فَانْتَعَزِي عَنْ بُنَيَّةَ أَجْمَلُ

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعبد ومالك بشعر حاتم الطائي:

قال ابن سلام حدثني جرير قال: *مَرْثِيَةُ كُوفِيَّةٍ بِرُوحِ سُرِيحٍ*

زار ابنُ سُرِيحٍ جميلةَ لِيَسْمَعَ منها ويأخذَ عنها. فلما قَدِمَ عليها أنزلته وأكرمه وسألته عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبير^(٥). [وكانت تُطَارِحُه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها]. وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنَةٌ لِقَقَّةٌ ظريفةٌ، فأبتدأت تُطَارِحُها. فقال ابنُ سُرِيحٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ! نحنُ كُنَّا أَحَقُّ بِالْإِبْتِدَاءِ. قالت جميلة: كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه. فقال ابنُ سُرِيحٍ: صدقتِ جُعِلَتْ فِدَاكِ! وما أَذْرِي إِلَيْهِمَا أَحْسَنُ أَدَبِكِ أم غَنَاؤُكِ! فقالت له: كُفَّ يَا عُبَيْد، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «اُخْشَوْا فِي وَجْهِهِ الْمَدَاحِينَ التَّرَابَ»^(٦). فسكت ابنُ سُرِيحٍ. وطارحت الجاريةُ بشعر حاتم الطائي:

أَتَعْرِفُ آثَارَ الدِّيارِ تَوْهُمًا^(٧) كَخَطِّكَ فِي رَقٍّ كِتَاباً مُتَمَنِّمًا

(١) يريد: فيما هو أجدى عليك.

(٢) في ب، س: «أذيت» وهو تصحيف.

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فلم نزل كذلك إلخ».

(٤) لعله: «بمخيط».

(٥) هذه الجملة المحصورة بين قوسين وردت في ب، س، ح. وفي سائر الأصول: «ويلغ معبداً الخبير فوجد عندها جارية إلخ».

(٦) المراد بالمداحين هنا الذين عادتهم مدح الناس لغرض من الأغراض كتحصيل المال أو الجاه، وأما المدح على الفعل الحسن للتحريض على عمل الخير فليس منه. وحشو التراب في وجوههم، يراد به تجنبهم وترك التحفي بهم.

(٧) رواية هذا الشطر في «ديوانه»: «أعرف أطلالاً وتوباً مهتماً».

أذاعت به الأرواح^(١) بعد أنيسها
فأصبخن^(٢) قد غيّرْنَ ظاهرَ ثريبه
/ وغيرها طولُ التقادُم والبلَى

[٢٠٥/أ]
١٣٣
٧

قال^(٤): فحدثت أنه حضر ذلك المجلس جماعة من حذاق أهل الغناء، فكلّهم قال: مَرَامِيرُ داودا. قال ابن سُرَيْج لها: أفأسمعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاتِه؛ فغنى:

ديار التي قامت ثريبك وقد عَفَتْ
تَهَادَى عليها حَلْيُهَا ذات بهجة
فبانت لِبَلِيَّاتٍ^(٦) لها وتبدّلت
وعاذلتان هَبَّتَا بعد هَجْمَةٍ

قالت جميلة: أحسنت يا عبيد، وقد غفرنا لك زلتك لحسن غنائك. قال معبد: جعلت فداك! أفلا أسمعُكِ أنا أيضاً لَحْنًا عملته في هذا الشعر؟ قالت: هاتِ وإنّي لأعلم أنك تُحَسِّن. فاندفع فغنى:

فقلت وقد طال العتاب عليهما
ألا لا تُلوماني على ما تقدّما
تُلومان لما غَوَرَ النجمُ ضلّةً
ففتى لا يرى الإنفاق في الحق مُغرماً^(٧)

قالت جميلة: ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها. قال: مالك؟ أفلا أغنيكِ أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتك إلا تُجيد الغناء وتُحَسِّن، فهات. فاندفع فغنى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيت الظليل^(٨) خصاصة^(٩)
/ إذا أنقلب^(١٠) فوق الحشيشة مرةً
وتَحَرَّأ كَفَاثُورٍ^(١١) اللّجين يزينه
توقدُ ياقوت وشذِر^(١٢) منظمًا

[٢٠٦/أ]

(١) الأرواح: جمع ريح. وأذاعت به الأرواح أي أذهبت وطمست معالمه، ومنه قول الراعي:
ربيع قواء أذاع المعصرات به

(٢) حولا مجرماً: تاماً كاملاً.

(٣) رواية «الديوان»: دوارج قد غيرن إلخ.

(٤) في الأصول: «قالت».

(٥) السابرية: الثياب الرقيقة. والأهضم: اللطيف الكشح.

(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «فبانت لآيات به... إلخ».

(٧) يقع هذا البيت في «الديوان» قبل البيتين السابقين.

(٨) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «يضيء لها البيت الظليل إلخ».

(٩) الخصاص: المنافذ.

(١٠) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «انصرفت» وهو تحريف.

(١١) الفاثور: الخوان الذي يتخذ من فصة، وبه يشبه الصدر الواسع.

(١٢) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «وشذرا» والسياق يقتضي أن يكون معطوفاً على ياقوت. وهذا البيت في «ديوانه» بعد قوله: «وكشحا كعلي السابرية أهضمًا». والشذر: اللؤلؤ الصنير والخرز يفصل به بين الجواهر في النظم.

كَجَنَرِ الْغَضَى هَبْتُ^(١) بِهِ بَعْدَ هَجْعَةٍ مِنْ اللَّيْلِ أَزْوَاجَ الصَّبَا فَتَنَسَمَا^(٢)

فَقَالَتْ: جَمِيلٌ مَا قُلْتَ وَحَسَنٌ مَا نَفَضْتِ، وَإِنَّ صَوْتَكَ يَا مَالِكُ لِمِمَّا يَزِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً وَالنَّفْسَ طِبْيَاً وَالطَّبِيعَةَ سُهولةً، وَمَا أَحْسَبُ أَنْ مَجْلِسَنَا هَذَا إِلَّا سَيَكُونُ عِلْمًا وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ مُتَوَاصِفًا؛ وَالْخَبْرُ لَيْسَ كَالْمَشَاهِدَةِ، وَالْوَاصِفُ لَيْسَ كَالْمَعَايِنِ وَخَاصَّةً فِي الْغِنَاءِ.

زَارَهَا ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَابْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ وَالْأَحْوَصُ فَغَنَّتْهُمْ:

وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُثْبَةَ اللَّهَيْيِّ قَالَ حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى أَبْنَ أَبِي عَتِيقٍ وَأَبْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ وَالْأَحْوَصَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَقَدْ أَتَوْا مَنْزَلَ جَمِيلَةٍ فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا فَأَذِنَتْ لَهُمْ، فَلَمَّا جَلَسُوا سَأَلَتْ عَمَرَ وَأَخْفَتْ؛ فَقَالَ لَهَا: إِنِّي قَصْدُكَ مِنْ مَكَّةَ لِلْسَّلَامِ عَلَيْكَ. فَقَالَتْ لَهُ: أَهْلُ الْفَضْلِ أَنْتَ. قَالَ: وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تُفَرِّغِي لَنَا نَفْسَكَ الْيَوْمَ وَتُخْلِي لَنَا مَجْلِسَكَ؛ قَالَتْ: أَفْعَلُ. قَالَ لَهَا الْأَحْوَصُ: أَحِبُّ إِلَّا تُغْنِي إِلَّا مَا أَسْأَلُكَ. قَالَتْ: لَيْسَ الْمَجْلِسُ لَكَ، وَالْقَوْمُ شُرَكَاءُكَ فِيهِ. قَالَ: أَجَلٌ. قَالَ عَمَرُ: إِنْ تُرِذْ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَكُنْ. قَالَ الْأَحْوَصُ: كَلَّا. قَالَ عَمَرُ: فَإِنِّي أَرَى أَنْ نَجْعَلَ الْخِيَارَ إِلَيْهَا. قَالَ أَبْنُ أَبِي عَتِيقٍ: وَفَقَّكَ اللَّهُ. فَدَعَتْ بِالْعُودِ وَغَنَّتْ:

/ تَمْشِي الْهُوَيْنَى إِذَا مَشَتْ فُضْلًا / مَشَى التَّزْيِفِ الْمَخْمُورِ فِي الصُّعْدِ^(٣) [٢٠٧/٨]

تَقْلُ مِنْ زُورٍ^(٤) بَيْتَ جَارَتِهَا / وَاضْعَةً كَقَهْهَا عَلَى الْكَبْدِ

/ يَا مَنْ لِقَلْبٍ مَثِيمٍ سَدِيمٍ / عَالٍ رَهِيْنٍ مَكْلَمٍ كَمِيدٍ^(٥) ١٣٤

أَزْجُرُهُ وَهُوَ غَيْرُ مُزْدَجِرٍ / عَنْهَا وَطَسْرُفِي مَكْحَلُ السَّهْدِ

فَلَقَدْ سُمِعَتْ لِلْبَيْتِ زَلْزَلَةٌ وَلِلدَّارِ هَمَّةٌ. فَقَالَ عَمَرُ: اللَّهُ دَرَكُ يَا جَمِيلَةُ! مَاذَا أُعْطِيتِ! أَنْتِ أَوَّلُ الْغِنَاءِ وَآخِرُهُ! ثُمَّ سَكَتَتْ سَاعَةً وَأَخَذُوا فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ أَخَذَتِ الْعُودَ وَغَنَّتْ:

شَطَطْتُ سَعَادُ وَأَنْسَى الْبَيْنُ قَدْ أَفْدَا / وَأُورَثُوكَ سَقَامًا يَصُدُّعُ الْكَبْدَا

لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا هَجْرًا وَلَا تَرَةً / وَلَا تَزَالُ أَحَادِثِي بِهَا جُدَا

- الْغِنَاءُ فِيهِ لِسِيَاطٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ. وَلَمْ يَذْكُرْ حَبِشَ لَحْنِ جَمِيلَةٍ. وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا لِحَكَمِ الْوَادِي. وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ وَأَبْنُ خُرْدَاذِبَةَ أَنَّهُ مِنَ الْهَانِ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فِي سَعَادٍ^(٦) وَأَنَّ طَرِيقَتَهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى. وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ لَابْنَ جَامِعٍ فِيهِ أَيْضًا صَنْعَةٌ - فَاسْتَخَفَّ^(٧) الْقَوْمُ أَجْمَعِينَ، وَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ وَفَحَّصُوا بِأَرْجُلِهِمْ وَحَرَّكُوا رُؤُوسَهُمْ، وَقَالُوا: نَحْنُ فِدَاؤُكَ مِنَ السُّوءِ وَوِقَاؤُكَ مِنَ الْمَكْرُوهِ، مَا أَحْسَنَ مَا غَنَّيْتَ وَأَجْمَلَ مَا قُلْتَ! وَأَخْضَرَ الْغَدَاءَ فَتَغَدَّى الْقَوْمُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الْحَارَّةِ وَالْبَارِدَةِ وَمِنَ الْفَاكِهَةِ

(١) كَذَا فِي «دِيوَانِهِ». وَفِي الْأَصُولِ: «لَهُ».

(٢) كَذَا فِي «دِيوَانِهِ». وَفِي الْأَصُولِ: «فَتَنَسَمَا» وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٣) تَمْشِي فَضْلًا أَيْ تَمْشِي مُبْتَدَلَةً فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ. وَالتَّزْيِفُ: السُّكْرَانُ. وَالصُّعْدُ: الصُّعُودُ وَالْإِرْتِفَاعُ وَيُرِيدُ هُنَا الْمَكَانَ الْعَالِيَّ.

(٤) الزُّورُ: مُصْدَرٌ كَالزِّيَارَةِ.

(٥) السَّدَمُ: الشَّدِيدُ الْعَشَقِ الْمَهْمُومِ الْحَزِينِ. وَالْمَكْلَمُ: الْمَجْرَحُ.

(٦) رَاجِعْ هَذِهِ الْأَلْحَانَ فِي «ج ٨ ص ١٥٨ مِنْ الْأَغَانِي طَبْعُ بَلَّاق».

(٧) مُرْجِعِ الضَّمِيرَ فِي «اسْتَخَفَّ» الْغِنَاءَ الْمَفْهُومَ مِنْ قَوْلِهِ: «وَعَنَّتْ».

الرَّطْبَةِ واليابسة، ثم دعت بأنواع من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكنني أشرب؛ وما جزاء جميلة أن يُمتنع / من شربها! قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن [٢٠٨/٨] يَحْمِلَنِي بنفسي وَيَخْلِطَ رُوحِي بِرُوحِهِ شكرناه، ومن أبى ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسنُ بنا إلا مساعدتك. قال عمر: لا أكون أخسَّكم، إفعِلُوا ما رَشِيتُمْ تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغَنَّتْ صوتاً بشعر لَعُمَرُ:

ولقد قالت لجاراتِ لها كالمها يلعبنَ في حُجَرَتِها
خُذْنِ عَنِّي الظِّلَّ لا يتبعُنِي ومضتْ تَسْعَى إِلَى قُبْرِهَا
لَمْ تُعَانِقْ^(١) رجلاً فيما مضى طفلةٌ غَيَّداً في حُلَّتِها
لَمْ يَطِشْ قَطُّ لَهَا سَهْمٌ وَمَنْ تَرَمِيهِ لَا يَنْجُ مِنْ رَمِيَّتِها

- لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهشامي أن فيه لابن المكي رَمَلاً بالبصرة. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سُرَيْج رَمَلاً بالوسطى - فصاح عمر: وَيَلَاهُ! وَيَلَاهُ! ثلاثاً ثم عمَدَ إلى جَبِّبَ قَمِيصَهُ فشقَّه إلى أسفله فصار قَبَاءً، ثم آب إليه عقله فنَدِمَ واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي^(٢) أصابك وأُغْمِي علينا، غير أنا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بشابٍ فخلعتُها على عمر، فقيلها ولبسها، وأنصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق، فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه، فقيلتها جميلة. وأنصرف عمر إلى مكة جَذْلَانِ مَسْرُوراً.

حجبت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبتها في مكة وفي المدينة حين آبت من الحج:

قال إسحاق وحديثي أبي عن سباط وأبن جامع عن يونس قال^(٣): حَجَّتْ جميلة، وأخبرني / إسماعيل بن ١٣٥
يونس قال حَدَّثَنَا عمرُ بن شَبَّة قال حَدَّثَنَا إسحاق / ابن إبراهيم قال حَدَّثَنِي أبي عن سباط وأبن جامع عن يونس [٢٠٩/٨] الكاتب، وأخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثَنَا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي عُمِّي مُصْعَب قالوا جميعاً:

إنَّ جَمِيلَةَ حَجَّتْ - وقد جمعتُ رواياتهم لتقاربها، وأحسب الخبر كله مصنوعاً وذلك بين فيه - فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذَّاقِ بالغناء هَيْتَ^(٤) وطُويسُ والدَّلالُ وبرزُ الفؤاد ونُومَةُ الضُّحَى وفندُ ورحمة^(٥) وهبةُ الله - هؤلاء مَسَايِخُ وكلُّهم طيِّبُ الغناء - ومَعْبُدُ ومالكُ وابن عائشة ونافعُ بنُ طُبُورَةَ وبُدَيْحُ المَلِيحِ ونافعُ الخير، ومن المغنِّيات الفَرِهةُ [و]^(٦) عَزَّةُ المَيْلَاءِ وَحَبَّابَةُ وَسَلَّامَةُ وَخُلَيْدَةُ

(١) في أ، م، ن: «لم تعانين».

(٢) في ج: «كل الذي أصابك».

(٣) في الأصول: «قال».

(٤) كذا في الأصول والمشتبه في أسماء الرجال، وذهب جماعة إلى أنه «هنب» (بالنون والباء). وقد رجح الأزهرى أنه بالياء والتاء، واحتج برواية الشافعي له هكذا. (راجع «القاموس وشرحه واللسان» مادتي هنب وهيت).

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «رحمة».

(٦) التكملة عن «نهاية الأرب» (ج ٥ ص ٤٤ من الطبعة الأولى).

وَعَقِيلَةَ وَالشَّاسِيَّةَ وَفَرْعَةَ وَبُلْبُلَةَ^(١) وَلَذَّةَ الْمَيْسِ وَسُعَيْدَةَ وَالزُّرْقَاءَ، وَمِنْ غَيْرِ الْمَغْنِيِّنَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَالْأَخْوَصُ وَكَثِيرُ عَزَّةَ وَنُصَيْبٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ، وَكَذَلِكَ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ مَوَالِيهَا وَغَيْرِهِنَّ^(٢). وَأَمَّا سَيَّاطُ فَذَكَرَ أَنَّهُ حَجَّ مَعَهَا مِنَ الْقِبَاةِ مَشِيعَاتٍ لَهَا وَمَعْظَمَاتٍ لِقَدْرِهَا وَلِحَقِّهَا زُهَاءُ خَمْسِينَ قَيْنَةً، وَجِهَ بِهِنَّ مَوَالِيَهُنَّ مَعَهَا فَأَعْطَوْهُنَّ النِّفَقَاتِ وَحَمَلُوهُنَّ عَلَى الْإِبِلِ فِي الْهُوَادِجِ وَالْقِبَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَأَبَتْ جَمِيلَةٌ أَنْ تَنْفِقَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ دَرَاهِمًا فَمَا فَوْقَهُ حَتَّى رَجَعْنَ. وَأَمَّا يُونُسُ فَذَكَرَ أَنَّهُ حَجَّ مَعَهَا مِنَ الرِّجَالِ الْمَغْنِيِّينَ مَعَ مِنْ سَمَيْنَا زُهَاءُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَتَخَايَرُوا فِي اتِّخَاذِ أَنْوَاعِ اللَّبَاسِ الْعَجِيبِ الظَّرِيفِ وَكَذَلِكَ فِي الْهُوَادِجِ وَالْقِبَابِ. وَقِيلَ، فِيمَا / قَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، : إِنَّهُمْ مَا رَأَوْا مِثْلَ^(٣) ذَلِكَ الْجَمْعِ سَفَرًا طَيِّبًا وَحُسْنًا وَمَلَاخَةً. قَالُوا: وَلَمَّا قَارَبُوا مَكَّةَ تَلَقَّاهُمْ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ وَابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَابْنُ مُخْرَزٍ وَالْهَذَلِيُّونَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَقِيَانٌ كَثِيرٌ لَمْ يُسَمِّنْ لَنَا، وَمِنْ غَيْرِ الْمَغْنِيِّينَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيِّ وَالْعَرْجِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. فَدَخَلْتُ جَمِيلَةً مَكَّةَ وَمَا بِالْحِجَازِ مُغْنٌ حَاقِقٌ وَلَا مَغْنِيَّةٌ إِلَّا وَهُوَ مَعَهَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مِمَّنْ سَمَيْنَا وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَخَرَجَ أَبْنَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى جَمْعِهَا وَحُسْنِ هَيْئَتِهِمْ. فَلَمَّا قَضَتْ حَجَّهَا سَأَلَهَا الْمَكِّيُّونَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ مَجْلَسًا. فَقَالَتْ: لِلْغَنَاءِ أَمْ لِلْحَدِيثِ؟ قَالُوا: لَهَا جَمِيعًا. قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَخْلِطَ جِدًّا بِهَؤُلَاءِ، وَأَبَتْ أَنْ تَجْلِسَ لِلْغَنَاءِ. فَقَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: أَقْسَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ لَاسْتِمَاعِ غَنَائِهَا إِلَّا خَرَجَ مَعَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي خَارِجٌ. فَعَزَمَ الْقَوْمُ الَّذِينَ سَمَيْنَاهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ نَشِطُ، فَخَرَجْتُ فِي جَمْعٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمْعِهَا بِالْمَدِينَةِ. فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ تَلَقَّاهَا أَهْلُهَا وَأَشْرَافُهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَدَخَلْتُ أَحْسَنَ مِمَّا خَرَجْتُ بِهِ مِنْهَا، وَخَرَجَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مِنْ بَيْتِهِمْ فَوَقَفُوا عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَى جَمْعِهَا وَإِلَى الْقَادِمِينَ مَعَهَا. فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلَهَا وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَنَزَلَ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَقَارِبِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ أَنَا هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَسْتَكْفُفُ مِنْ ذَلِكَ كَبِيرٌ وَلَا صَغِيرٌ. فَلَمَّا مَضَى لِمَقْدَمِهَا عَشْرَةُ أَيَّامٍ جَلَسْتُ لِلْغَنَاءِ؛ فَقَالَتْ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: إِنِّي جَالِسَةٌ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ، وَإِذَا شِئْتُ / فَعِدِ النَّاسَ لَذَلِكَ الْيَوْمِ، فَخَصَّصْتُ الدَّارَ بِالْأَشْرَافِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. فَابْتَدَأَتْ جَمِيلَةٌ فَغَنَتْ صَوْتًا بِشَعَرِ عَمْرِ:

وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج :

[٢١١/٨] / هِيَاةَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا^(٤) فَلَيْسَ لَنَا
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ بِالْجِزْعِ عُبْرَتَهُ
إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَنْتُ بِصَاحِبِهَا
مَا أَنْسَسَ لَا أَنْسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا
إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ
إِلَّا التَّذَكُّرَ أَوْ حَظَّ مِنَ الْحَزَنِ
وَقَدْ تَفَرَّدَ قُمْسَرِيٌّ عَلَى فَنَنِ
وَأَيَّقَنْتُ أَنْ عَكَا^(٥) لَيْسَ مِنْ وَطَنِي
وَمَوْقِفِي وَكِلَانَا لَمْ ذُو شَجَنِ

(١) في «نهاية الأرب»: «نبيلة».

(٢) في الأصول: «وغيرهم» ومرجع الضمير جمع مؤنث.

(٣) في ح: «قبل ذلك الجمع».

(٤) أجساد: موضع بمكة يلي الصفا.

(٥) كذا في ب، س و«ديوانه». وروايته فيما تقدم (جـ ١ ص ١١١ من هذه الطبعة): «أن لحجا...». وعك: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن. ولحج: مخلاف باليمن. وفي سائر الأصول هنا: «أن نجحا...» وهو محرف عن «لحج».

وقولها للثريا وهي باكية^(١) والدمع منها على الخدين ذو شنين
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمَن
 إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها فما أصبت بشرك الحج من ثمن
 فكلهم استحسن الغناء، وضج القوم من حُسن ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناء قط أحسن من غنائها ذلك
 الصوت في ذلك اليوم. ودمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته. وإنه ما رُئيَ عمرٌ كذلك في محفل
 غيره^(٢) قط. ثم أقبلت على ابن سريج فقالت: هات؛ فاندفع يغني ورفع صوته بشعر عمر^(٣):

غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر:

أليس بالتي قالت لَمَوْلَاةٍ لَهَا ظُهُرًا
 أثير بالسلام له إذا هونحنونا نظرا
 وقولي في مِلاطفة لزِينَبَ نَوَلِي عَمْرًا
 وهذا سخرك التُسُورَا نَ قد خَبِرْتُني الخِبرَا

[٢١٢/٨]

/ غناء ابن مسجع:

فسمع من ابن سريج في هذا اللحن من الحُسن ما يقال إنه ما سُمع مثله. ثم قالت لسعيد بن مسجع: هات يا أبا
 عثمان؛ فاندفع فغنى:

قد قلت قبل البين لما خَشِيتُكَ لَتَقْبَلِ وَدَا أو لتعلم ما عندي
 لك الخير هل من مَضْدِرٍ تَضْدِرُنِيهِ^(٤) يُرِيحُ كَمَا سَهَّلْتَ لِي سُبُلَ الْوَرْدِ
 فلمَّا شكوتُ الحبَّ صَدَّتْ كَأَنَّمَا شَكُوتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى حَجَرٍ صَلْدِ
 تولت فأبَدتْ غُلَّةً دُونَ تَقْعِهَا كَمَا أَرَصَدْتُ مِنْ بُخْلِهَا إِذَا بَدَا وَجْدِي

غناء معبد:

فاستحسن ذلك منه وبرع فيه. ثم قالت: يا معبد هات؛ فغنى:

أَحَارِبُ مَنْ حَارِبَتْ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَخْبِسَ مَالِي إِنْ غَرِمْتَ فَأَعْقِلُ^(٥)
 وإنِّي أخوك الدائم العهد لم أحلْ إِنْ أَبْرَاكَ^(٦) خَصَمٌ أَوْ نَسَابَكَ مَنْزِلُ

(١) في «الديوان»: «وقولها للثريا يوم ذي خشب».

(٢) في ب، س: في محفل ولا غيره قط؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصول ما خلا ج: «ورفع صوته بشعر عمر فقال» بزيادة «فقال».

(٤) يقال: صدر هو صدر غيره وأصدره. فالثلاثي يتعدى ويلزم.

(٥) يريد: فأعقل عنه. يقال: عقل عنه إذا غرم ما لزمه من دية. وأما عقلته فمعناه دفعت ديته. ومعنى البيت: إن أصابك غرم حبست

مالي عليك واحتملت فيه الثقل عنك.

(٦) لم أحل: لم أنغير. وأبراك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك، من أبريت بفلان إذا بطشت به وقهرته. ويجوز أن يكون
 «أبري» منقولاً بالألف عن بزي يزي بزي (كفرج). والبري هو دخول الظهر وخروج البطن. ويكون المعنى: إن خفض منك خصم =

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فأنظر أي كفت تبذل
قالت جميلة: أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء - هذا الشعر لمعن^(١) بن أوس -

غناء ابن محرز:

ثم قالت: هات يابن محرز؛ فإنني لم أؤخر لك حساسة بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنني رأيتك تحب
من الأمور كلها أوسطها وأعدلها، فجعلتك حيث تحب واسطة بين / المكئين والمدنيين. فغنى:

وقفت بربع قد تحمل أهله فاذريت دمعاً يسبق الطرف هائلة
/ بسائلة الرّوحاء أو بطن متغبر^(٢) لها الضاحكات الرايات سواهلة^(٣)
هو الموت إلا أن للموت مدة متى يلق يوماً فارغاً فهو شاغلة

[٢١٣/٨]

غناء الغريض:

فقالت جميلة: يا أبا الخطاب، كيف بدا لك في ثلاثة^(٤) وأنت لا ترى ذلك؟ قال: أحبت أن أواسي معبدًا. قال
معبد: والله ما عدوت ما أردت^(٥). ثم قالت للغريض: هات يا مؤلى العبلات فأندفع يغني:

فوا ندمي على الشباب ووا ندمي ندمت وبان اليوم مني بغير دم
وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شائع وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
أرادت عراراً^(٦) بالهوان ومن يرد عراراً لعفري بالهوان فقد ظلم

قالت جميلة: أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن إذا أفسدت غناءك بالتعريض. والله ما وضعناك إلا موضعك ولا
نقصنا من حظك! فبماذا أهناك! ثم أقبلت على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقتنع بمكانه.
فأقبل القوم عليه وقالوا له: قد أخطأت إن كنت عرّضت. فقال: قد كان ذلك، ولست بمائد. وقام إلى جميلة فقبل
طرف ثوبها واعتذر فقبلت عذره وقالت له: لا تعذ. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هات؛ فتغنى
بشعر النابغة^(٧):

= وحملك من الثقل ما ييزي له ظهورك فلا تطيق الثبات تحته والنهوض به.

(١) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله ترجمة في «الأغاني» (ج ١٠ طبع بلاق).

(٢) مثغر: ماء لجيئة.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «سواحله» وكلتا الروايتين غير واضحة.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «في ثالثة».

(٥) هكذا في الأصول: والمراد في هذه الجملة كلها غير واضح.

(٦) هو عرار بن عمرو بن شأس. وقد ورد في أكثر كتب الأدب، «كالحماسة» و«الكامل للمبرد» و«الشعر والشعراء» و«طبقات ابن سلام»، مضبوطاً بالقلم بكسر العين. وضبطه شارح «القاموس» فقال: هو كسحاب. وهو ابن عمرو بن شأس من أمة له سوداء، وكان بينه وبين زوج أبيه أم حسان نزاع وخصام، فقد كانت تؤذيه وتعيده وتشتمه. وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها.

(٧) في الأصول: «بشعر حسان» وهو خطأ، فهذا الشعر للنابغة الذبياني وليس لحسان. (راجع «ديوان النابغة» طبع باريس و«شعراء النصرانية»، و«معجم ما استعجم» للبكري، و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام على جولان).

غناء أبين عائشة :

[٢١٤/٨]

/ سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ ^(١)
وَأَنْبَتَ حَوْذَانًا ^(٢) وَعَوْفًا مُنْشُورًا
بَكَى حَارِثُ الْجَوْلَانِ ^(٣) مِنْ هُلُكِ رَبِّهِ
وَمَا كَانَ يَنْبِي لَوْ لَقِيْتُكَ سَالِمًا
عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ جَوْذُ وَوَابِلُ
سَائِبُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ
فَحُورَانُ مِنْهُ خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ
وَيَبْنُ الْغَنَى إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ ^(٤)

غناء نافع وبديع :

قالت جميلة: حَسَنٌ مَا قُلْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى نَافِعٍ وَبَدِيعٍ فَقَالَتْ: أَحِبُّ أَنْ تَغْنِيَانِي صَوْتًا وَاحِدًا؛ فَغَنَّا جَمِيعًا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَلَحْنٍ وَاحِدٍ:

[٢١٥/٨]

أَلَا يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى التَّصَابِي
بَكَرَتْ تَلْسُومُنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا
/ أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكِّ
كَرِيمٌ نَالٌ وَدَا فِي عَفَافٍ
أَفِئْتُ شَيْئًا لِتَسْمَعِ مِنْ جَوَابِي
وَمَا فِي حَبِّ مِثْلِي مِنْ مَعَابٍ
هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابٍ
وَسْتَرٍ مَسْنٍ مُنْعَمَةٍ كَعَفَابٍ

غناء الهذليين الثلاثة :

فَقَالَتْ جَمِيلَةُ: هَوَاكُمَا وَاللَّهِ وَاحِدٌ وَغَنَاؤُكُمَا وَاحِدٌ، وَأَنْتُمَا نُحْنُمَا مِنْ بَقِيَّةِ الْكَرَمِ وَوَاحِدِ الشَّرَفِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى الْهَذَلِيِّينَ الثَّلَاثَةِ فَقَالَتْ: غَنُّوا صَوْتًا وَاحِدًا؛ فَأَنْدَفَعُوا فَغَنُّوا بِشَعْرِ عَنْتَرَةِ الْعَبْسِيِّ:

(١) كَذَا فِي «دِيَوَانِهِ» وَ«شُعْرَاءُ التَّنْصَرَانِيَّةِ» وَ«مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ». وَبُصْرَى وَجَاسِمٌ: مَوْضِعَانِ بِالشَّامِ. وَفِي الْأَصُولِ: «فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ بَيْتِي وَجَلَقُ». وَجَلَقُ: دِمَشْقُ، وَقِيلَ مَوْضِعُ بَقْرِيَّةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَأَمَّا «بَيْتِي» فَلَمْ نَقِفْ فِي الْمَرَاجِعِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَّا عَلَى «بَيْتَةٍ» وَهِيَ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْقَ.

(٢) الْحَوْذَانُ: نَبْتُ يَرْتَفِعُ قَدْرُ ذِرَاعٍ، لَهُ زَهْرَةٌ حُمْرَاءُ فِي أَصْلِهَا صَفْرَاءُ، وَوَرَقَتُهُ مَدَوْرَةٌ. وَالْعَوْفُ: نَبْتُ طَيْبِ الرَّاحَةِ.

(٣) الْجَوْلَانُ (بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ): قَرْيَةٌ، وَقِيلَ: جَبَلٌ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْقَ ثُمَّ مِنْ عَمَلِ حُورَانَ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: يُقَالُ لِلْجَبَلِ: حَارِثُ الْجَوْلَانِ، وَقِيلَ: حَارِثُ قَلَّةٍ فِيهِ. وَحُورَانُ: كَوْرَةٌ وَاسِعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ ذَاتِ قُرَى كَبِيرَةٍ وَمَزَارِعَ وَحَرَارٍ، وَمَا زَالَتْ مَنَازِلُ الْعَرَبِ، وَذَكَرَهَا فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ، وَقَصَبْتُهَا بِبُصْرَى.

(٤) هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مِنْ شَعْرِ النَّابِغَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْحَطِيطَةِ يَرِثِي بِهَا عُلُقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ وَالِي حُورَانَ مِنْ قَبْلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهَا - كَمَا فِي «الْأَغَانِي» (ج ١٥ ص ٥٨ طبع بِلَاقٍ) - «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» لِيَاقُوتٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى حُورَانَ:

لَعَمْرِي لَنَعْمَ الْمَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحُورَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ

وَأَمَّا بَيْتُ النَّابِغَةِ فَهُوَ - كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» طبع أَوْرُوبَا وَ«شَرْحُ الشُّوَاهِدِ الْكُبْرَى» لِلْعَيْنِيِّ الْمَطْبُوعِ عَلَى هَامِشِ خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٤ ص ١٦٧ طبع بِلَاقٍ -:

فَمَا كَانَ يَبْنِي الْخَيْرَ لَوْ جَاءَ سَالِمًا أَبُو حَجَرٍ إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ

وَهُوَ مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ مِنْهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَالَّتِي مَطْلَعُهَا:

دَعَاكَ الْهَوَى وَأَسْتَجْهَنْكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبَ شَامِلُ

يَرِثِي بِهَا التَّعْمَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي. وَأَبُو حَجَرٍ (بِالضَّمِّ) كُنْيَتُهُ، وَحَرَكُ فِي الْبَيْتِ لِفَرُورَةِ الشَّعْرِ.

(٥) فِي «ب»، «س»: «... وَوَاحِدِ الشَّرَفِ عَنَّتْ عَبْدُ اللَّهِ...».

حُيِّتَ مَنْ طَلَلِ تَقَادِمَ عَهْدِهِ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ
كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بَعْنِي زَيْتُونٌ^(١) وَاهْلُنَا بِالْغَيْلِمِ
/ إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ الْفِرَاقَ فإِنَّمَا زُمْتُ رِكَابُكُمْ بَلِيلِ مُظْلَمِ
شَرِبْتُ بِمَاءِ الدُّخْرُصَيْنِ^(٢) فَأَضْبَحْتُ زُورَاءَ تَنْفَرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

١٢٨
٧

غناء نافع بن طنبورة:

قالت: ما رأيتُ شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم. ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت: هاتِ يا نَقْشَ
الْغَضَارِ^(٣) ويا حَسَنَ اللِّسَانِ؛ فَأَنْدَفَعْ يَغْنِي:

يَا طُولَ لَيْلِي وَبِئْسَ لَمْ أَنْمِ وَمَسَادِي الْهَمِّ مُبْطِنٌ سَقَمِي
أَنْ قَمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ فَأَبِ صُرْتُ رَقَاشًا وَلَيْسَتْ لَمْ أَقَمِ

فقالت جميلة: حَسَنٌ وَالله - ولابن سُرَيْجٍ في هذا اللحن أربعة أبيات في صَوْت -

غناء مالك بن أبي السَّمْح:

[٢١٦/٨] ثم قالت: يا مالِكُ هَاتِ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخَرْكَ لَأَنَّكَ فِي طَبَقَةِ آخِرِهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ / أَخْتِمَ بِكَ يَوْمَنَا تَبْرُكًا بِكَ وَكَئِ
يَكُونُ أَوَّلَ مَجْلِسِنَا كَأَخِرِهِ وَوَسْطُهُ كَطَرَفِهِ، وَإِنَّكَ عِنْدِي وَمَعْبُدًا لِي فِي طَرِيقَةِ وَاحِدَةٍ وَمَذْهَبٍ وَاحِدٍ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَّا
ظَالِمٌ وَلَا يَنْكَرُهُ إِلَّا عَاضِلٌ. الْحَقُّ أَقُولُ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْكَرْ؛ فَسَكَتَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ إِقْرَارًا لِمَا قَالَتْ. وَأَنْدَفَعْ يَغْنِي:

عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وَسَلَّمْ لِسَلَمِهَا وَمَنْ قَرَّبْتُ سَلَمِي أَحَبَّ وَقَرَّبَا
هَيِّنِي أَمْرًا إِمَّا بِرِيثَا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئَاتِي تَابَ بَعْدُ^(٤) وَأَعْتَبَا
أَقُولُ أَلْتَمَسَ الْعُذْرَ لِمَا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا
لِيَهْنِكَ إِشْمَاتُ الْعَدُوِّ بِهَجْرِنَا وَقَطْعُكَ حَبْلَ الْوَصْلِ حَتَّى تَقْضَبَا

اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس:

قالت جميلة: ليت صوتك يا مالِكُ قَدْ دَامَ لَنَا وَدَمْنَا لَهُ. وَقَطَعْتَ الْمَجْلِسَ وَأَنْصَرَفَ عَامَّةُ النَّاسِ وَبَقِيَ خَوَاصُّهُمْ.
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي حَضَرَ الْقَوْمُ جَمِيعًا. فَقَالَتْ لَطُؤَيْسُ: هَاتِ يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ. قَالَ: فَأَنْكَرَ مَا فَعَلْتُ جَمِيلَةً فِي

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع في ديار بني عيس.

(٢) الباء بمعنى «من» أي شربت من ماء الدحرضين. والدحرضان: اسم موضع، وقيل: هما وسيع ودحرض. ماءان ثناهما بلفظ الواحد كما يقال القمران للشمس والقمر. فدحرض لال الزيرقان بن بدر، ووسيع لبني أنف الناقة. والديلم: الأعداء، وقيل: حياض الديلم بالغور، أو ماءة لبني عيس، وفيه غير ذلك أقوال كثيرة يرجع إليها في «اللسان» (مادة دلم) وفي «شرح التبريزي على المملقات».

(٣) الغضار: الطين اللازج الأخضر، وهو لقب له.

(٤) كذا في «نهاية الأرب» للتويزي (ج ٥ ص ٤٧ من طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى). وفي الأصول: «منه».

اليوم الأول؛ لأن طويساً لم يكن يرضى بذلك. فأخبرني ابنُ جامع أن جميلةً صَفَّتَهُمْ^(١) طويساً^(٢) وأصحابه وأبنَ سُرَيْجٍ وأصحابه، ثم أقرعت بينهم؛ فخرجت القرعة الأولى لابن سُرَيْجٍ وأصحابه والثانية لطويس وأصحابه. فأبتدا طويس^(٣) فغنى:

قد طال لئلي وعاد لي طرَبي من حبِّ خَوْدِ كريمةِ الحَسَبِ
غَرَاءَ مَثَلِ الهلالِ آنسةٍ أو مثلي تَغْثَالِ صُورةِ الذَّهَبِ
صادت فَوادي بجيد مُغْزَلَةٍ^(٤) تَرَعَى رِياضاً ملتقَّةَ العُشْبِ

/ غناء الدلال:

فقال جميلة: حسنٌ والله يا أبا عبدا النعيم. ثم قالت للدلال: هات يا أبا يزيد؛ فاندفع فغنى:

قد كنت أُمْلُ فيكم أملاً والمرء ليس بمدرِكِ أَمْلَةٍ
حتى بَدَا لي منكم خُلْفٌ فزَجَرْتُ قلبي فأزَعَوَى جَهْلَةٌ^(٥)
ليس الفتى بمخلدٍ أبداً حَيَساً وليس بفائتٍ أَجْلَةٌ
حَيِّ البَغُومِ وَمَنْ بَعَقَوْتَهَا^(٦) وَقَفَا العُمُودِ وَإِنْ خَلَا أَهْلَةٌ^(٥)

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى:

قالت: حسن والله يا أبا يزيد. ثم قالت لهيت: إنا نُجَلِّك اليومَ لِكَبَرِ سِنِّكَ ورِقَّةِ عَظْمِكَ. قال: أجل يا ماما. ثم قالت لبرِّد الفؤاد ونومة الضحى: هاتيا جميعاً لَحْنًا واحدًا؛ فغَنَيَا^(٧):

١٣٩
/ إني تَذَكَّرْتُ فلا تَلَحَّنِي لِسُلُوءَةٍ مَكْنُونَةٍ تَنْطَلِقُ
مَسْكُنُهَا طَيِّبَةٌ لَمْ يَغْذُهَا بِوَسْوَءٍ وَلَا وَالِ بِهَا يَخْرُقُ
قد قلت والعيْسُ سِرَاعُ بِنَا تُرْقِلُ إِرْقَالًا وَمَا تُغْنِي^(٨)
يا صاحِبِي شَوْقِي أَرَى قَاتِلِي وَمُورِدِي مِنْهَا جَوَى يُقْلِقُ

غناء فند ورحمة وهبة الله:

قالت جميلة: أحسنتما. ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله: هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متفقون في الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغَنَوْا:

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «صفتهم طبقين طويس...» والمعنى مستقيم على كلتا الروايتين.

(٢) في الأصول: «طويس» بالرفع. والإبدال في هذا المقام خير من القطع.

(٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «فابتدا طويس وأصحابه فغنى».

(٤) المغزلة: الظبية ذات الغزال.

(٥) تحريك عين الثلاثي الساكن إذا كان من الحروف الحلقية شائع كثير في الشعر وفي النثر أيضاً.

(٦) العقوة: ساحة الدار. والعمود: هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر. وقفاه: وراءه.

(٧) في الأصول: «فغنتا» بقاء التانيث وهو تصحيف.

(٨) الإرقال: السير السريع. والإعناق: السير المنبسط.

أشاقك من نحو العقيق بُروقُ لوامعُ تخفى تارة وتُشوقُ
ومالي لا أهوى جوارِي بِرَبْرِ ورُوحِي إلى أزواجهن تُشوق
لهنَّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحَةٌ ودلَّ عليّ دلُّ النساءِ يَفُوقُ

[٢١٨/٨] / وكان بِرَبْرٌ حاضراً، فقال: جوارِي والله على ما وصفتُم، فمن شاء أقرّ ومن شاء أنكر.

غناء جميلة:

فقال جميلة: صدق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى - ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها -:

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْقَطَعَا وَأَحْتَلَّتِ الْغُورُ فَالْجَدَّيْنِ فَالْفَرَعَا^(١)
وَأَسْتَكْرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا
تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مَرْتَحَلَا يَا رَبِّ جُنُبَ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَعَا
وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فغَيَّرَه دَهْرٌ مُلِحٌّ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

اليوم الثالث من أيام المدينة:

فلم يُسمَعْ شيءٌ^(٢) أحسنُ من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني. وقطعت المجلس فانصرف القومُ وأقام آخرون^(٣). فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناسُ، فضربت سِتارة وأجلست الجوارِي كلَّهن فضرِبْنَ وضربَتْ فضرِبْنَ على خمسين وترّاً فتزلزلت الدارُ؛ ثم غنّت على عودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر:

فإِنْ خَفَيْتُ كَانَتْ لَعِينُكَ قُرَّةً وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يُعْمَمِكَ^(٤) عَارُهَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرَ غِلْظَةً وَفِي الْحَسَبِ الضُّخْمِ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الْفَرَى يُمِجُّ السَّدَا جُنُجَاهُهَا وَعَرَارُهَا^(٥)
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا ذَا جِثَّتْ طَارِقًا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا

غناء عزة الميلاء:

فدمعت أعين كثير منهم حتى بَلَ ثوبه وتنفس الصُّعداء وقال: بنفسِي أنتِ يا جميلة! ثم قالت للجوارِي: اكفُفْنَ فكفُفْنَ؛ وقالت: يا عَزَّ غُنِّي؛ فغنّت بشعر لعمرو:

(١) الجدان: موضع. والفرع (بالتحريك): موضع بين الكوفة والبصرة. ورواية هذا الشعر في «معجم البلدان» في الكلام على الجدين والفرع: «فأحلت الغمر... إلخ».

(٢) في ب، س: «بشيء».

(٣) كذا في الأصول. ولعل صوابها: «فانصرف قوم وأقام آخرون».

(٤) كذا في ب، س، ج. وفي م، أ، هـ: «لم يعمرِكَ عارها». ولعل صوابه: «لم يغمك عارها» أي لم تأت بعار فيغمك ويحزنك، لأنها عفيفة.

(٥) قال أبو حنيفة الدينوري: الجشحات، من أحرار الشجر، ينبت بالقيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة عرفة، طيبة الريح، تأكله الإبل إذا لم تجد غيره. والعرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح. قال ابن بري: وهو النرجس البري.

٢١٩/٨]

/ تَذَكَّرْتُ هَنَدًا وَأَعْصَارَهَا^(١) ولم تَقْضِ نَفْسُكَ أَوْطَارَهَا
تَذَكَّرْتُ النَفْسُ مَا قَدْ مَضَى وَهَاجَتْ عَلَى الْعَيْنِ عُوَارَهَا^(٢)
لَتَمْنَحَ رَامَةً مَنَا الْهَوَى وَتَرْغَى لِرَامَةٍ أَسْرَارَهَا
إِذَا لَمْ نَزُرْهَا حِذَارَ الْعِيدَا حَسَدْنَا عَلَى الزُّورِ زَوَارَهَا

غناء حباية وسلامة:

فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ: يَا عَزَّ، إِنَّكَ لِبَاقِيَّةٌ عَلَى الدَّهْرِ، فَهَنِيئًا لَكَ حَسَنُ هَذَا الصَّوْتِ مَعَ جَوْدَةِ هَذَا الْغَنَاءِ. ثُمَّ قَالَتْ لِحَبَابَةِ
وَسَلَامَةٍ: هَاتِيَا لَحْنًا وَاحِدًا؛ فَغَنَّتَا:

١٤٠
٧

/ كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَغِيبُ وَتَشْهَدُ وَمَا نَلْتَقِي وَالْقَلْبُ حَرَانٌ مُقْصَدُ
وَمَنْ عَجَبٍ^(٣) أَنِّي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتِي أَقُومُ مِنَ الشُّوقِ الشَّدِيدِ وَأَقْعُدُ
أَحْنُ إِلَيْكُمْ مِثْلَ مَا حَنَّ تَائِقُ إِلَى الْوَرْدِ عَطْشَانُ الْفَوَادِ مَصْرُودُ^(٤)
وَلِي كَيْدٌ حَرَى يَعْذِبُهَا الْهَوَى وَلِي جَسَدٌ يَتَلَسَّى وَلَا يَتَجَدَّدُ

غناء خليدة:

فَاسْتُحْسِنَ غَنَاؤُهُمَا. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى خُلَيْدَةَ فَقَالَتْ لَهَا: بِنَفْسِي أَنْتِ أَغْنِي؛ فَغَنَّتْ:

أَلَا يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى النَّصَائِبِ أَفَقُ شَيْئًا لِتَسْمَعَ مِنْ جَوَابِي
بَكَرْتُ تَلُومُنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا وَمَا فِي حَبِّ مِثْلِي مِنْ مَغَابِ
أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكِّ هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابِ
كَرِيمٌ نَالَ وَدًّا فِي عَفَافِ وَسَثَرٍ مِنْ مَنْعَمَةٍ كَعَفَافِ

غناء عقيلة والشماسية:

فَاسْتُحْسِنَ مِنْهَا مَا غَنَّتْ، وَهُوَ بَلَّغْنَهَا حَسَنٌ جَدًّا. [ثُمَّ قَالَتْ لِعُقَيْلَةَ وَالشَّمَّاسِيَّةِ: هَاتِيَا، فَغَنَّتَا:

٢٢٠/٨]

/ هَجَرْتُ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا أَجْتَرَمُ وَقَطَعْتَ مِنْ ذِي وَدِّكَ الْحَبْلَ فَأَنْصَرَمُ
أَطَعْتُ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطْعُ مَقَالَةً وَاشْ يَقْرَعِ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٥)

غناء فرعة وبليلة ولذة العيش:

ثُمَّ قَالَتْ لَفَرْعَةَ وَبُلْبُلَةَ وَلَذَّةَ الْعَيْشِ: هَاتَيْنِ فَغَنَّتَيْنِ؛ فَاَنْدَفَعْنَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ:

(١) الأعصار: جمع عصر، يريد الأوقات التي كان يجتمع فيها معها.

(٢) العوار: ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها.

(٣) في أ، م، د: «وما عجيبي».

(٤) التصريد: سقي دون الرقي، ومنه:

يسقون منها شرابا غير تصريد.

(٥) الموضوع بين قوسين أنفردت به نسختا ب، س.

لَعَمْرِي لئن كان الفؤادُ من الهوى بَعَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمُ
 عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا عَلَى النَّأْيِ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ يَرِيمُ
 ثُلُمٌ مُلَمَّاتٌ فَيُنْسِنَ بَعْدَهَا وَيُذَكِّرُ مِنْهَا الْعَهْدُ وَهُوَ قَدِيمُ
 فَأَقْسِمُ مَا صَافَيْتُ بِعَدِّكَ خُلَّةً وَلَا لِكَ عِنْدِي فِي الْفؤَادِ قَسِيمُ

غناء سعداء والزرقاء:

قالت: أَحْسَنُ! وهو لَعَمْرِي حَسَنٌ. وقالت لسُعدَة والزرقاء: غَنِّيَا، فَغَنَّا:

قَدْ أَرْسَلُونِي يُعْزَوْنِي فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ سَارَتْ بِهَا الرُّفُقُ
 اسْتَهْذَتِ الرَّيْمَ عَيْنِهِ فَجَادَلَهَا بِمُغْلَتَيْهِ وَلَمْ تُتْرَكْ لَهُ عُنُقُ

فَأَسْتُخْسِنُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَمَاعَةِ فَغَنُّوْا، وَأَنْقَضَى الْمَجْلِسُ وَعَادَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى وَطْنِهِ. فَمَا رُئِيَ مَجْلِسٌ وَلَا جَمْعٌ أَحْسَنُ مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ.

طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتاً لها:

وَحَدَّثَنِي ^(١) عَمَّتِي - وَكَانَتْ أَسْنَى مِنْ أَبِي وَعُمُرَتْ بَعْدَهُ - قَالَتْ: كَانَ السَّبَبُ فِي طَلْبِ أَبِيكَ الْغَنَاءَ وَالْمَوَاطِبَةَ عَلَيْهِ لِحَنًا سَمِعَهُ لَجَمِيلَةً فِي مَنْزِلِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ، فَأَنْصَرَفَ وَهُوَ كَثِيبٌ حَزِينٌ مَغْمُومٌ لَمْ يَطْعَمْ وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَيْنَا بَوَاجِهَهُ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ. فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ فَأَمْسَكَ، فَالْحَحْتُ عَلَيْهِ فَأَنْتَهَرَنِي، وَكَانَ لِي مُكْرَمًا، فَغَضِبْتُ وَقَمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ إِلَى بَيْتٍ آخَرَ، فَتَبِعَنِي وَتَرَضَّائِي وَقَالَ لِي: أَجِدُّكَ وَلَا كِتْمَانَ مِنْكَ: عَشِقْتُ صَوْتًا لَامرَأَةٍ قَدْ مَاتَتْ، فَأَنَا بِهَا وَبِصَوْتِهَا هَائِمٌ إِنْ لَمْ يَنْدَارِكُنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ. فَقَالَتْ: / أَنْظُرْ أَنْ اللَّهُ يُخَيِّبَ لَكَ مِثْلًا قَالَ: بَلْ لَا أَشُكُّ. قَالَتْ: فَمَا تَعْلِيْقُكَ قَلْبِكَ بِمَا لَا يُعْطَاهُ إِلَّا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيٌّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَأَمَّا عَشْقُكَ الصَّوْتَ فَهُوَ أَنْ تَخَذِفَهُ وَتُغَنِّيَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَتَمَلَّهْ وَيَذْهَبَ عَشْقُكَ لَهُ! فَكَانَهُ أَرْعَوَى ^(٢) وَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَامَ فَقَبَّلَ رَأْسِي وَيَدِي وَرَجُلِي ^{١٤١} وَقَالَ لِي: فَرَجَّتْ عَنِّي مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ، / ثُمَّ تَمَثَّلَ: «حَبَّكَ الشَّيْءُ يُعْجِي وَيُصِمُّ وَلَزِمَ بَيْتَ يُونُسَ حَتَّى حَذَقَ الصَّوْتَ وَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا زَمَنًا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ يُونُسُ وَأَنْضَمَ إِلَى سَيَاطِرٍ، وَكَانَ مِنْ أَحَدِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْغَنَاءِ وَأَحْسَنِهِمْ أَدَاءَ عَمَّنْ مَضَى. قَالَتْ عَمَّتِي: فَقُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ: وَمَا الصَّوْتُ؟ فَأَنْشَدَنِي الشَّعْرَ وَلَمْ يُحْسِنْ أَدَاءَ الْغَنَاءِ:

مِنْ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةُ تُسَمِّي سُبُعَةً أَطْرِيئُهَا
 مَنْ آلِ أَبِي بَكْرَةَ الْأَكْرَمِينَ خَصَصْتُ بُودِي فَأَصْفِيئُهَا
 وَمَنْ حُبُّهَا زَرْتُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَسْخَطْتُ أَهْلِي وَأَرْضِيئُهَا
 أَمُوتْ إِذَا شَخَطْتُ دَارُهَا وَأَخِيَا إِذَا أَنَا لَا قِيئُهَا
 فَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّ مَا بِي بِهَا وَكُنْتُ الطَّيِّبَ لِدَاوِيئُهَا

(١) المتحدِّث هو إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِي وَهُوَ رَاوِي الْخَبَرِ الْمُتَقَدِّمُ كَمَا مَرَّ بِكَ.

(٢) كَذَا فِي حَدِّ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «فَكَانَ الْإِرْعَاءُ».

قالت عمتي: هذا شعرٌ حسنٌ، فكيف به إذا قُطِعَ ومُدِّدَ تمديدَ الأظربة^(١) وضُربَ عليها بقُضبانِ الدُّفلى^(٢) على بطون المِعزَى! فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدَّى، فما خرقَ مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه؛ ولقد أذكرني بما يؤثّر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ. فبينما أنا يوماً جالسةً^(٣) إذ طلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً؛ فقال لي: ألاّ أحذّثُكَ بَعَجِبٍ؟ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكاً / في عشق صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قال: [٢٢٢/٨] كنت عند سباطٍ في يومنا هذا وأنا أغنيهِ الصوتَ وقد وقَّفتُ فيه على شيءٍ لم أكن أحكمته عن يونسَ، وحضر عند سباطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبَّحَ على الصوتِ تسييحاً طويلاً، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغتُ أنا وسباطُ من اللحنِ قال الشيخُ: ما أعجب أمرَ هذا الشعرِ وأحسنَ ما غنَّيَ به وأحسنَ ما قال قائله! فقلت له دون القوم: وما بلغَ من العَجَبِ به؟ قال: نعم! حَجَّتْ سُبَيْعَةُ من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة، وكانت من أجمل النساء، فأبصرها عمرُ بن أبي ربيعة، فلما أتحدّث إلى العراقِ أتبعها يُشيعُها حتى بلغَ معها موضعاً يقال له الخَوَزَنَةُ. فقالت له: لو بلغتُ إلى أهلي وخطبتني لزواجك. فقال لها: ما كنتُ لأخلطُ تشييعي إياكِ بخطبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً؛ فرجع ومَرَّ بالمدينة فقال فيها:

قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه:

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةٌ تُسَمَّى سُبَيْعَةَ أَطَرِثُهَا

ثم أتى بيتٌ جميلة فسألها أن تُغنِّيَ بهذا الشعرِ ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجودة تأليفها، فحسُنَ موقعُ ذلك منه، فوجّهَ إلى بعض مَوَالِيَاتِهِ ممن كانت تطلبُ الغناء أن تأتيَ جميلةً وتأخذَ الصوتَ منها؛ فطارحتُها إياه أياماً حتى حدّقت ومهرت به. فلما رأى ذلك عمرُ قال: أرى أن تخرُجي إلى سُبَيْعَةَ وتغنِّيها هذا الصوتَ وتُبلِّغُها رسالتي؛ قالت: نعم. جعلني الله فداك. فأتتها فرحبتُ بها، وأعلمتها الرسالة، فحيّتُ وأكرمتُ، ثم غنَّتها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسولُ عمر فأعلمته ما كان وقال: إنها خارجة في تلك السنة.

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها:

فلما كان أو أن الحج استأذنت سُبَيْعَةُ أباه في الحج، فأبى عليها وقال لها: قد حَجَّجْتَ حِجَّةَ الإسلام. قالت له: تلك الحِجَّةُ هي التي أشهرت ليلي وأطالت / نهاري / وتوفقتني^(٤) إلى أن أعود وأزور البيتَ وذلك القبر؛ وإن أنت لم تأذن لي مُتَّ كَمَدًا وَغَمًّا؛ وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يشئ فالعوت لا شك نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رَقَّ لها وقال: ليس يَسْعُرُنِي منعُها مع ما أرى بها، فأذن لها. ووافى عمرُ المدينة ليعرف خبرها؛ فلما قدِمَتْ علم بذلك. وسألها أن تأتيَ منزلَ جميلة، وقد سبقَ إليه عمرُ، فأكرمتها جميلةً وسُرَّتْ بمكانها. فقالت لها سُبَيْعَةُ: جعلني الله فداك! أقْلَقْنِي وأشهرني صوتك بشعر عمر في، فأسمعيني إياه. قالت جميلة: وعزّازة لوجهك الجميل! ففتتتها الصوت، فأغَمِّيَ عليها ساعة حتى رُشَّ على وجهها الماء وثاب إليها عقلها. ثم قالت: أعيدي عليّ، فأعادت الصوت مراراً في كل مرة يُغَشَى عليها. ثم خرجت إلى مكة وخرج معها. فلما رجعت مرّت بالمدينة وعمرُ

(١) هذا جمع غريب.

(٢) الدفلي: نبت مرزهره كالورد الأحمر، وحمله كالخروب، وألفه للإلحاق عند جماعة فينون نكرة، وللتأنيث عند آخرين فلا ينون.

(٣) في جميع الأصول: «جالس».

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وذوبت قلبي أن أعود... إلخ».

معها، فأتت جميلةً فقالت لها: أعيدي عليّ الصوتَ ففعلت؛ وأقامتُ عليها^(١) ثلاثاً تسألها أن تُعيد الصوتَ. فقالت لها جميلة: إني أريد أن أغنيكِ صوتاً فاسمعيه. قالت: هايتيه يا سيديتي؛ فغنتها:

أبَتِ المَليحَةُ أن تُواصِلَنِي وأظُنُّ أني زائرٌ رَمِيسِي
لا خِيرَ في الدُنيا وزِينَتِها ما لم تُوافِقْ نَفْسُها نَفْسِي
لا صَبْرَ لي عِندَها إذا حَسَرْتُ كالْبدرِ أو قَرْنِ مِنَ الشَّمسِ
ورمَتْ فؤادَكَ عِندَ نَظَرَتِها بِمَلاحِةِ الإِثَارِ^(٢) والأُنسِ

قالت سُبَيْعة: لولا أن الأول شعر عمرَ لَقَدِمْتُ هذا على كل شيء سمعته. فقال عمر: فإنه والله أحسن من ذلك، فأما الشعرُ فلا. قالت جميلة: صدقتُ والله. قالت عَمَتِي قال لها أبي: لَعَنَرِي إنَّ ذلك على ما قالا. / ولا بن سُرَيْج في هذا الشعرُ لَحْنٌ عن جميلة وربما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل.

[٢٢٤/٨]

جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء فاختلفوا وخطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت: أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أن جميلةً قعدت يوماً على كرسِيٍّ لها وقالت لآذنتها: لا تحجبي عَنَّا أحداً اليوم، وأقعدي بالباب، فكل من يمرَّ بالباب فأعرضي عليه مجلسي؛ ففعلت ذلك حتى غَصَّت الدارُ بالناس؛ فقالت جميلة: اصعدوا إلى العَلَالِي؛ فصعدت جماعةً حتى امتلأت السطوحُ. فجاءتها بعض جوارِها فقالت لها: يا سيديتي، إن تماذى أمرُك على ما أرى لم يَبْقَ في داركِ حائِطٌ إلَّا سقط، فأظهري ما تريدِين. قالت: اجلسي. فلما تعالَى النهارُ واشتدَّ الحرُّ أَسْتَسْقَى الناسُ الماءَ فَدَعَتْ لَهُم بالسُّويقِ^(٣)، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمتُ على كل رجل وأمرأة دخل منزلي إلَّا شرب، فلم يبق في سَفْلِ الدار ولا عَلْوِها أحدٌ إلَّا شرب، وقام على رؤوسهم الجوّاري بالمناديل والمراوح الكبار، وأمرت جوارِها فقمْنَ على كراسِيٍّ^(٤) صِغارٍ فيما بين كلِّ عشرةٍ نَفَرٍ جاريةٍ تروِّج. ثم قالت لهم: إنِّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أَفْزَعَنِي وَأَرْعَبَنِي^(٥)، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفْتُ أن يكون قُرْبَ أَجْلي، وليس ينفعني إلَّا صالحٌ عملي، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةً أن يَلْحَقَنِي منه شيءٌ عند ربي. فقال قوم منهم: وَقَفْكَ اللهُ وثَبَّتَ عَزْمَكَ! وقال آخرون: بل لا حَرَجَ عليك في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سنٍّ وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعة، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهُمْ في رأيهم، فاستمعوا الآن لقولي وأنصتوا / ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قَبِلَ قولي فالحمدُ لله موفِّقهُ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربي. فسكت القومُ جميعاً. فتكلَّم الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي ﷺ ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتُم فَشِلْتُم ووثب عليكم عدوُّكم وظفر بكم ولا تُفْلِحُوا بعدها أبداً. إنكم قد أنقلبتم على

[٢٢٥/٨]

١٤٣
٧

(١) في ب، س: «عليه».

(٢) كذا، في ب، س. وفي سائر الأصول هكذا: «الأنياب» أو الأنياب. وجميع الروايات غير ظاهرة.

(٣) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

(٤) كلمة: «على كراسِيٍّ صغار» ساقطة من ب، س.

(٥) ذكر ابن الأعرابي في نوادره وتعلب في «الفصيح» أنه لا يقال: «أرعبه» بالهمز، وتبعهما الجوهري، وغيرهم رأى جوازه. (راجع

«شرح القاموس» مادة رعب).

أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لا يزال يُنكر عليكم ما هو وارثه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابذكُم بشهادة شريفكم ووضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم^(١). فأكثر ما يكون عند عابذكُم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد في الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأسرُّ النفوس من جميع الشهوات؛ يُحبي القلب ويزيد في العقل ويسر النفس ويقسح في الرأي ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويدلّل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند أستماعه، ويبري المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره، ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضاً باستماعه فيغزفون^(٢) عن طلب الأموال. من تمسك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً؛ لأنه لا منزلة أرفع ولا شيء أحسن منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل. وكلام كثير غير هذا ذهب عن^(٣) المحدث به، فما ردّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بشر، وكل عاد بالخطأ على نفسه وأقر بالحق^(٤) له. ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت ووقع من نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل وأنا أستغفر الله. قال لها: فأختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط؛ فغنت:

أفسي رسم دار دمّك المشرق
/ بحيث ألتقى جمع وأقصى مُحسّر^(٥)
سفاهاً! وما أستنطاق ما ليس ينطق
مغانيه قد كادت عن العهد تخلّق
مقام لنا بعد العشاء ومنزل
به لم يكدره علينا معوّق
فأحسن شيء كان أول ليلنا
وأخيره حزن إذا تنفّر

[٢٢٦/٨]

فقال الشيخ: حسن والله! أمثل هذا يترك^(٦) فيم تشاهد الرجال لا والله ولا كرامة لمن خالف الحق. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته، وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا:

وقال أبو عبد الله: جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك، وكان في القوم ابن سريج، وكان قبيح الصلّع قد اتخذ وفرة شعر^(٧) يضعها على رأسه، وأحبّت جميلة أن ترى صلّته. فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال: دبّرت علي ورب الكعبة! وكشف صلّته ووضع القلنسبة على رأسه، وضحك القوم من قبح صلّته؛ ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سريج يرقص ومعبّد والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها؛ فغنت وغنى القوم على غنائها:

(١) وردت هذه الجملة هكذا في الأصول، وهي غير واضحة.

(٢) في ج: «فيستغنون».

(٣) في ب، س: «ذهب على المحدث» وهو تحريف.

(٤) في ب، س: بالفضل له.

(٥) جمع: علم للمزدلفة. ووادي محسر: موضع بين منى والمزدلفة وليس من منى ولا مزدلفة بل هو واد برأسه، وقيل فيه غير ذلك. راجع «معجم البلدان» لياقوت.

(٦) في ب، س: «أمثل هذا ينزل فيه مشاهد الرجال لا والله لا ينزل هذا ولا كرامة» وهي محرفة.

(٧) كذا فيما سيأتي. وفي الأصول هنا: «وفرة شعرة» وهو تحريف. والوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه.

ذهب الشباب وليته لم يذهب / والغانيات يُردن غيرك صاحباً
وعلاً المقارق وقع شيب مُغرب^(١) / إنسي أقول مقالة بتجارب
ويعدنك الهجران بعد تقرب / صاف الكريم وكُن لِعرضك صائناً
حقاً ولم يُخبرك مثل مجرب / وعن اللثيم ومثله فتتكب

١٤٤
٧

[٢٢٧/٨]

ثم دعت بثياب مُصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فليسوا، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد:

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبَطَاحِ تَأَوُّدًا / قُبَّ الْبَطُونِ رَوَاجِحَ الْأَكْفَالِ
فِيهِنَّ آنَسَةُ الْحَدِيثِ حَيَّةٌ / لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مِثْقَالِ^(٢)
وَتَكُونُ رِيْقَتُهُمَا إِذَا نَبَّهْتُهُمَا / كَأَلَمْسِكَ فَوْقَ سُلَافَةِ الْجُرْيَالِ^(٣)

ثم نعت ونعر القوم طرباً، ثم جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيمهم، وأذنت لمن كان ببابها فدخلوا؛ وأنصرف المغنون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري.

استزارت عبدالله بن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها:

وحذثني عمتي قالت: سمعت سياتاً يحدث أباك يوماً جميلة فقال: بنفسي هي وأمي! فما كان أحسن وجهها وخلقها^(٤) وغناها! ما خلقت النساء مثلها شبيهاً؛ فأعجبني ذلك. ثم قال سيات: جلست جميلة يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواربها شعوراً مُسدلة كالعناقيد إلى أعجازهن، وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان، وزينتهن بأنواع الحلبي، ووجهت إلى عبدالله بن جعفر تستزيه، وقالت لكاتب أملت عليه: «بأبي أنت وأمي! قدرك يجل عن رسالتي وكرمك^(٥) يحتمل زلتي؛ وذنب لا تُقال عثرته ولا تُغفر حوبته. فإن

صَفَحْتَ فالصفح لكم مَعَشَرُ أَهْلِ الْبَيْتِ يُؤَثِّرُ، وَالْخَيْرُ وَالْفَضْلُ كُلُهُ^(٦) فيكم مُدْخَر، وَنَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتُمْ الْمَوَالِي. فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَكُمْ مُقَارِباً وَالِي وَجُوهَكُمْ نَظَرًا وَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَكُمْ^(٧) مُجَاوَرًا، وَبِعِزِّكُمْ قَاهِرًا، وَبِضْيَانِكُمْ مَبْصُرًا وَالْوَيْلَ لِمَنْ جَهِلَ قَدْرَكُمْ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ لَكُمْ! فَصَغِيرُكُمْ كَبِيرٌ بَلْ لَا صَغِيرَ فَيْكُمْ، وَكَبِيرُكُمْ جَلِيلٌ بَلْ الْجَلَالَةُ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخَلْقِ هِيَ لَكُمْ وَمَقْصُورَةٌ عَلَيْكُمْ. وَبِالْكِتَابِ نَسْأَلُكَ وَبِحَقِّ الرِّسُولِ نَدْعُوكَ إِنْ كُنْتَ نَشِيطًا لِمَجْلِسِ هَيَأَتِهِ لَكَ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَتَمَّ إِلَّا مَعَكَ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُنْقَلَ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَلَا يُسَلَّكَ بِهِ غَيْرُ طَرِيقِهِ». فلما قرأ عبدالله الكتاب قال: إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا. وقد علمت أنها قد آلت أليةً ألا تغني أحداً إلا في منزلها. وقال للرسول: والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع

(١) مغرب: أبيض.

(٢) المتفال: المتغيرة الريح لترك التطيب والأدهان.

(٣) الجريال: من أسماء الخمر.

(٤) في ب، س: «... وجهها وخلقها وخلقها وغناها...».

(٥) في ب، س: «ولكن كرمك إلخ» بزيادة كلمة «الكن» ولعلها مقحمة من الناسخ.

(٦) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٧) في جميع الأصول عدا ب، س: «لمن كان لكم أيضاً مجاوراً».

كذا^(١) وكان في عزمي المرور بها. فأما إذ وافق ذلك مُرادها فإني جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها. فلما صار إلى بابها أدخل بعض مَنْ كان معه إليها وصرف بعضهم. فنظر إلى ذلك الحُسن البارِع والهيئة الباذة^(٢)، فأعجبه ووقع من نفسه؛ فقال: يا جميلة! لقد أُوتيت خيراً كثيراً، ما أحسن ما صنعتِ! فقالت: يا سيدي، إنَّ الجميل للجميل يصلح، ولك هياتُ هذا المجلس. فجلس عبدالله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجَواري صَفَّين؛ / فاقسم ١٤٥ عليها فجلستُ غير بعيد. ثم قالت: يا سيدي، ألا أغنيك؟ قال: بلى! ففُتت:

[٢٢٩/٨]

/ بَنِي شَيْبَةَ^(٣) الحمدِ الَّذِي كان وجهُهُ
كُھولُهُم خَيْرُ الكُھولِ ونَسْلُهُم
أَبُو عُثْبَةَ الْمُلقِي إِلَيْكَ جَمالَهُ
لِساقِي^(٤) الحَجِيجِ ثم لِلخَيْرِ هاشِمِ
أَبوكُم قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمَّعاً
يُضِيءُ ظلامَ اللَّيْلِ كالقَمَرِ البَذْرِ
كنسلِ الملوِكِ لا يَئُورُ ولا يَحْرِي^(٥)
أَغْرُ هِجَانُ اللَّوْنِ من نَقَرِ زُفْرِ
وعَبْدِ منافٍ ذلِكَ السَّيِّدِ الغَمْرِ
بِهِ جَمَعَ اللهُ القَبائِلَ من فُهِرِ

فقال عبدالله: أحسنت يا جميلة وأحسن حُذافَةً ما قال! بالله أعيديهِ عليّ فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جارية يعود وأمرتهنَّ بالجلوس على كراسي صغارٍ قد أعدتها لهنَّ، فضربن وغتت عليهنَّ هذا الصوت وغتت جواربها على غنائها. فلما ضربن جميعاً قال عبدالله: ما ظننتُ أن مثلَ هذا يكون! وإنَّه لَمَتَا يَفْتَنُ القلبَ! ولذلك كَرِهَهُ كثيرٌ من الناسِ لما علموا فيه. ثم دعا بِنُغْلَتِهِ فركبها وأنصرف إلى منزله. وقد كانت جميلةٌ أعدت طعاماً كثيراً، وكان أراد المُقام، فقال لأصحابه: تَخَلَّفُوا للغداء، فتَغَدَّوْا وأنصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافَةَ^(٦) بنِ غانم^(٧) بنِ عُبَيْدالله بنِ عُويج بنِ عَدِي بنِ كُتَب يمدح به عبد المطلب.

[٢٣٠/٨]

/ أراد العرجي أن ينزل عليها حين فر من مكة فأبت وأنزلته على الأحوص:
قال وحذثني بعض المكيين قال:

كان العَرَجِيُّ (وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان) شاعراً سَخِيحاً شجاعاً أديباً ظريفاً. ويشبه شعره شعر عُمَرَ بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدُما عليه؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما، وكان صاحبَ صَيْد. فخرج يوماً متنزهاً من مكة ومعه جماعةٌ من غُلَمائِهِ ومَوَالِيهِ ومعه كِلابُهُ وفُهودُهُ وصُقُورُهُ وبَوَازِيهِ نحو الطائف

(١) في ب، س: «إلى موضع كذا وكذا».

(٢) الهيئة الباذة: الغالبة الفائقة، وفي ح: «والهيئة البارزة».

(٣) شيبه الحمد: لقب عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، لقب بذلك لكثرة حمد الناس له، لأنه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعلاً غير مدافع. وقيل: لأنه ولد في رأسه شيبه، وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض، أو سمي بذلك تفاؤلاً بأن يبلغ سن الشيب. (راجع «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه»). وفيه: وبنو شيبه الحمد.

(٤) يبور: يهلك. ويحري: ينقص.

(٥) ساقى الحجيج هو عبدالمطلب هذا، فهو الذي حفر زمزم.

(٦) في «السيرة لابن هشام» و«معجم البلدان» لياقوت: «حذيفة». وقد نسب هذا الشعر أيضاً لمطروود ابن كعب الخزاعي الشاعر. (راجع الطبري ص ١٠٨٨، ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوروبا، وصفحة ٥ من «كتاب الأوائل» لأبي هلال العسكري المخطوط والمحمفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٧٣ تاريخ).

(٧) في الأصول: «عامر» وهو تحريف. (راجع «الطبري» ص ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوروبا و«معجم البلدان» لياقوت ج ٢ ص ١٤٤ طبع أوروبا والسيرة ج ١ ص ٩٦، ١١١ طبع أوروبا، وما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه).

إلى مالٍ له بالعَرَج - وبهذا الموضع سُمي العَرَجِيّ - فجرى بينه وبين مولىّ لبني أميّة كلامٌ، فأَمْضَه المولى فكفّ عنه العرجي حتى أوى إلى منزله، ثم هَجَم عليه ومعه غلمانُه فأمرهم أن يُوثقوه، ثم أمرهم أن يَنْكِحُوا أَمْرَأَتَهُ وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أمير مكة ما فعل فطلبه، فخرج من منزله وأخرج معه غلمانَه ومواليه وآلة الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركب أفراسه وأعدّ عُدَّتَه. فلم يزل يتصيد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينة ليلاً، وأراد المُقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألا تغني بشعره ولا تُدْخِلَه منزلها لكثرة عُبّة وسَفْهه وحِدَاثَةِ سنّه. فلما أَعْلِمَتْ بمكانه ليلاً قالت: طارق! إن له لَشَانًا! فاستخبرت خبره فقيل لها: إنه قدم مُسْتَحْفِيًا، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أطيبُ له من منزلِك، والأيمانُ تكفر، والأشرافُ لا يُرَدُّون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزلُ جَوَازٍ. ولا يمكن مثلك الاستخفاء فيه، فعليك بالأحوص - وكان الأحوص مُجانِباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة - فقال: أتى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: أتتني عني وقل له: قد غَنَيْنَا بذلك الشعر؛ فَأَنْ أَحْيَيْتَ أن تظهر وتبقى مودتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبدالله، إذ أصلح ما بيننا، وأنزله منزلِك. قال لها: ليس هذا بمُقْنِعِي؛ أمّا إذ آتَيْت أن أقيم بمنزلِك فوجّهني معي رسولا إلى الأحوص؛ فَإِنَّ منزلَه / أحبّ المنازل إليّ بعد منزلِك. / فوجّهت معه إلى الأحوص بعضَ مَوْلِيَّاتِها؛ فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جُوارَه وسرَّ أمرَه. فقال شعراً ووَجَّه به إلى جميلة:

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الهَوَى كَيْفَ أَخْلَقَا فَلَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَشُوباً مُمَذَّقَا^(١)
وما من حبيبٍ يستزير حبيبه يُعَاتِبُهُ فِي الْوَدِّ إِلَّا تَفَرَّقَا
أَمَرٌ وَصَالُ الْغَانِيَاتِ فَاصْبَحَتْ مَضَاضَتُهُ يَشْجِي بِهَا مَنْ تَمَطَّقَا^(٢)
تَعَلَّقَ هَذَا الْقَلْبُ لِلْحَيْنِ مُعَلَّقَا غَرَّالًا تَحْلَى عِقْدَ دُرٍّ وَيَارَقَا^(٣)
إِذَا قَلْتُ مَهلاً لِلْفُؤَادِ عَنِ التِّي دَعْتُكَ إِلَيْهَا الْعَيْنُ أَغْضَى وَأَطْرَقَا
دَعَانَا فَلَمْ نَسْبِقْ حُبّاً بِمَا نَرَى فَمَا مِنْكَ هَذَا الْعَذْلُ إِلَّا تَخَرَّقَا^(٤)
فَقَدْ سَنَّ هَذَا الْحَبَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وَقَادَ الصَّبَا الْمَرْءَ الْكَرِيمَ فَأَعْنَقَا^(٥)

فلما قرأت شعره رقت له وقالت: كيف لي بإيلائي ألا يدخل منزلي ولا أغنيّه بشعره! فقيل لها: يدخل منزلِك وتغني وتكفّر عن يمينك. فوجّهت إليه أن صر إلينا والأحوص في تلك الليلة، فجاءها؛ وعرفت الأحوص تكفير اليمين؛ فقال لها: وأنا والله شفيعه إليك؛ ففرّجني ما به من غم فقد فارق من يحب ويهوى، فتؤنسني وتسرينه وتغنيّه بشعره. فغنت:

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الهَوَى كَيْفَ أَخْلَقَا فَلَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَشُوباً مُمَذَّقَا

(١) ممذّقاً: مخلوطاً، يقال: فلان يملّق الود إذا لم يخلصه.

(٢) تمطّق: تذوق وتمضغ.

(٣) اليارق: السوار.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول:

فَمَا مِنْكَ هَذَا الْعَذْلُ إِلَّا تَخَرَّقَا

دَعَانَا فَلَمْ نَسْبِقْ مُحِبّاً بِمَا نَرَى

(٥) الإعناق: السير المنبسط. يريد أن الصبا إذا قاد المرء الكريم إنقاد له وجرى في ميدانه.

وحدثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد:

كان الأخوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغيلاً له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة وغتتهما:

كان الأخوص مُعْجَباً بجميلة، ولم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلس. فصار إليها يوماً بغيلاً جميل الوجه يفتن مَنْ رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللحون عن / الجوّاري وخلطن في غنائهن. فأشارت جميلة إلى [٢٣٢/٨] الأخوص أن أخرج الغلام؛ فالحلّل قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري. فأبى الأخوص وتغافل، وكان بالغلام مُعْجَباً، فأثر لذته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجوّاري ونظرن إليه، وكان مجلساً عاماً. فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض مَنْ حضر بإخراج الغلام فأخرج؛ وغضب الأخوص وخرج مع الغلام ولم يقل شيئاً؛ فأحمد^(١) أهل المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظن بك، أكرمك الله! فقالت: إنه والله ما أستأذني في المعجىء به ولا علمتُ به حتى رأيت في داري، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك؛ وإنه ليُعِزّ عليّ غضب الأخوص، ولكن الحق أولى، وكان ينبغي له ألاّ يُعرّض نفسه وإيائي لما نكره مثله. فلما تفرّق أهل المجلس بعثت إليه: الذنب لك ونحن منه بُراء؛ إذ كنت قد عرفت مذهبي؛ فلم عرّضتني للذي كان؛ فقد ساءني ذلك وبلغ مني؛ ولكن لم أجد بُدّاً من الذي رأيت إماماً حياً وإماماً تصنعاً. فردّ عليها: ليس هذا لك بعذر إن لم تجعل لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمَجِّحُ به ما كان منك. قالت: أفعل ذلك سرّاً؛ قال الأخوص: قد رَضِيتُ. فجاءها ليلاً فأكرمتها، ولم تظهر واحدة من جواربها على ذلك إلاّ عجائز من موالها. وسألها الأخوص وأقسم عليها أن تغتبه / من شعره:

١٤٧
٧

وبالْقَفَر دارٌ من جميلة هيجتُ	سوالف حُبّ في فؤادك مُنْصِبِ
وكانت إذا تنأى نوى أو تفرقت	شِدَادُ الهوى لم تدر ما قولُ مُشْغِبِ ^(٢)
أسيلة مَجْرَى الدمع خَمَصَانَةُ الحشا	بَرُودُ الثنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشْرَعِبِ ^(٣)
/ ترى العين ما تهوى وفيها زيادة	من الحسن إذ تبدو وملهى لمُلْعِبِ ^(٤)

[٢٣٣/٨]

قال يونس: مالها صوت أحسن منه، وأبن مُخَرِّج يغتبه وعنها أخذه، وأنا أغنّيه فتعجبني نفسي ويدخلني^(٥) شيء لا أعرفه من التَّخَوُّع والتَّيّه. وقال المحدث لي بهذا الحديث عن يونس: إن هذا للأخوص في جميلة. والذي عندي أنه لطفيل الغنويّ قاله في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن^(٦) المهلهل بن المختلس بن عبد رضاء أحد بني نَبْهان، ونَبْهان

(١) أي رضوا ما كان منها وصار عندهم محموداً.

(٢) كذا في أ، م. والمُشْغِب: المشاغِب والعائد عن الحق. وفي ب، س: «لم تدر ما متشعب» ولعلها: «ما متشعبي» أي لم تدر مذهبي ولا أين طريق.

(٣) المشرعِب: الطويل.

(٤) ألعب المرأة: جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به.

(٥) لعلها: «ويدخلني».

(٦) يلاحظ أن ما أورده المؤلف هنا من الأسماء في نسب زيد الخيل يخالف ما أورده في ترجمته (ج ١٦ ص ٤٧ طبع بلاق).

لقب له، ولكنه سُودان^(١) بن عمرو بن العَوث بن طيء، أغار على بني عامر فأصاب بني كلاب وبني كعب، وأستحر القتل^(٢) في غني بن أعصر ومالك بن أعصر؛ وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطفاوة^(٣) وهو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، وعطفان بن سعد عثمهم. وكانت غني مع بني عامر في دارهم موالياً^(٤) لنمير، وكان فيهم فرسان وشعراء. ثم إن غنيًا أغارث على طيء وعليهم سيار^(٥) بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالقفر دارٌ من جميلة هيجت سواف شوقي في فؤداك مُنصبٍ

[٢٣٤/٨] / لحن قصيدة لعمرو بن أحمد بن العمرد في عمر بن الخطاب لحنًا جميلًا، ونبذة عن ترجمة ابن أحمد: وحدثني أيوب بن عباية قال:

كان عمرو بن^(٦) أحمد بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن فَرَّاص بن مَعْن بن مالك ابن أعصر بن قيس بن عيلان بن مَضَر من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك^(٧) بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالدًا إلى الشام؛ ولم يأت أبا بكر. وقال في خالد رحمه الله:

إذا قال سيفُ الله كُروا عليهم كَرَزْتُ بقلبٍ رابطٍ الجأش صارمٍ

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيدة:

أدركت آل أبي حفص وأُسرتَه وقبل ذاك ودهراً بعده كَلَبَا

قد ترمى بقوافٍ بيننا دُولُ بين الهناتين^(٨) لا جِذاً ولا لَعِبَا

اللهُ يعلم ما قولي وقولُهم إذ يركبون جَنَاناً^(٩) مُشَبَّهاً وَرَبَا

وقال في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حَتَّى فليس إلى عثمان مُرتَجِعُ إلّا العداة وإلّا مُكْنِعُ^(١٠) ضررُ

(١) كذا في «أسد الغابة» في «ترجمة زيد الخيل». وفي ب، س: «أسود بن عمرو». وفي «سائر الأصول»: «أسودان بن عمرو». وكلاهما تحريف.

(٢) كذا في ب، س. وفي أكثر الأصول: «... واستحر القتل في غني بن أعصر وأعصر اسمه مالك وأعصر هو الدخان ولذلك قيل لهما ابنا دخان وأخوهما... إلخ». وظاهر أن في هذه العبارة خطأ. والذي في كتاب «المعارف» لابن قتيبة أن أعصر بن سعد ولد غني بن أعصر ومعن بن أعصر وهو أبو باهلة ومنه بن أعصر وهم الطفاوة. وفيما بينه وبين ما في الأصول هنا خلاف كبير.

(٣) كذا في الأصول. ولعل صواب العبارة: «وهو الطفاوة بن أعصر بن سعد... إلخ».

(٤) في الأصول: «موالياً لنمير».

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «سنان بن هديم».

(٦) كذا في نسخة المرحوم الشنقيطي و«الشعر والشعراء» و«المعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «عمر بن أحمد بن العمرد». وهو تحريف.

(٧) وقيل: إنه مات في عهد عثمان رضي الله عنه. (راجع «معجم الشعراء» للمروزي).

(٨) في ب، س: «بين الهاتين». ولم نهتد إلى الصواب فيه.

(٩) الجنان: الأمر الخفي. والورب (وزان فرح): الفاسد. أي يركبون أمراً ملتبساً فاسداً. (راجع «اللسان» مادة جتن).

(١٠) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «مكعب صور» والمكعب: الدليل الحقيق.

/ إخالها سمعت عَزْفاً فتحسبه / إهابة القسر ليلاً حين تنتشر^(١)

وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

/ مَنْ مُبْلِغٌ مَالِكاً عَنِّي أبا حَسَنِ / فَأَرْتَحُ لَخَضَمٍ هَذَاكَ اللهُ مَظْلُومِ

١٤٨
٧

فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب، قالت: والله لأعملن فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى. قال إبراهيم: وصدقت؛ والله ما سمعته قط إلا أبكاني؛ لأنني أجِد حين أسمعُه شيئاً يضغَط قلبي ويخرقه فلا أملك عيني، وما رأيتُ أحداً قط سمعه إلا كانت هذه حاله.

صوت

من المائة المختارة

يا دارَ عَبلَةٍ من مَشَارِقِ مَأسَلٍ دَرَسَ الشَّوْونَ وعَهدُها لم يَنجَلِ
فاستبدلت عُفَرَ الظُّباءِ كأنما أبعارُها في الصَّيفِ حَبُّ الفُلُقُلِ
تمشي النِّعامُ به خِلاءَ حوْلِهِ مَشَى النُّصاري حوْلَ بيتِ الهَيْكَلِ
إِحْدَرَ مَحَلَّ السَّوءِ لا تَحُلُّ به وإذا نَبَسَ بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البُرْجُمي، إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشكُّ فيه. والغناء لأبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي، ولحنه المختار، على ما ذكره / أبو أحمد، من الثقيل الأول. وذكر ابن خرداذبه أن لحن أبي دُلف خفيف ثقيل بالوسطى. وذكر إسحاق أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دُلف لحناً ولم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لابن مُحَرِّز ثاني ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيْج في البيت الثاني ثقيلاً أول، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته.

(١) العزف: الصوت. والإهابة: مصدر إهاب بالشيء إذا دعاه. والقسر: اسم رجل كان راعياً لابن أحمر هذا. وتنتشر: تفرق، يقال:

انتشرت الإبل إذا تفرقت عن غرة من راعيها. وورد هذا البيت في ب، س:

إخالها شممت عَزْفاً فتحسبه / إهابة القسر ليلاً حين تنتشر

وهو تحريف.

/ ذكر عترة ونسبه وشيء من أخباره

[٢٣٧/أ]

نسب عترة:

أمه أمة حبشية، كان أبوه نفاه ثم الحقه بنسبه:

هو عترة بن شداد، وقيل: أبن عمرو بن شداد، وقيل: عترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبَس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. وله لقب يُقال له عترة الفُلحاء؛ وذلك لتشقق شفثيه. وأمّه أمة حبشية يُقال لها زَيْبِيَّة، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد، وكانوا إخوته لأمه. وقد كان شداد نفاه مرةً ثم أعترف به فألحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب أعترفت به وإلا بقي عبداً.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً:

فأخبرني علي بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكريّ عن محمد بن حبيب، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني، قالاً: كان عترة قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يُراودني عن نفسي؛ فغضب من ذلك شداد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرحاً وضربه بالسيف؛ فوَقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه. فلما رأَتْ ما به من الجراح بكّت - وكان أسمها سُمَيَّة وقيل: سُهَيْة^(١) - فقال عترة:

/ صوت

١٤٩
٧

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ
/ كَأَنَّهُ يَوْمٌ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمَنِي
تَجَلَّلَتْنِي إِذَا هَوَى الْعَصَا قَبْلِي
الْعَبْدُ عَبْدُكُمْ وَالْمَالُ مَالُكُمْ
لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ^(٢) قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
ظَنِّي بِعُسْفَانَ^(٣) سَاجِي الْعَيْنِ^(٤) مَطْرُوفُ
كَأَنَّهُا صَنَمٌ يُعْتَادُ مَعَكُوفُ
فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفُ
تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّوَلَاتُ السَّرَاعِيفُ
تَنْسَى بِلَاتِي إِذَا مَا غَارَةٌ لِحَقْتُ

[٢٣٨/أ]

(١) كذا في أ، وهو المعروف. وفي سائر الأصول: «سمينة».

(٢) كذا في «ديوانه» نسخة مخطوطة بقلم المرحوم الشنقيطي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٣٧ أ، ب، ش). وفيما سيأتي

في ج، أ في شرح الأبيات، وفي الأصول هنا: «فيك».

(٣) عسفان: متهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل فيها غير ذلك.

(٤) في بعض الأصول: «ساجي الطرف»، وهو الأكثر في الاستعمال.

يخرُجن منها وقد بُلَّت رَحائِلُها بالماء تركضها^(١) الشُّمُّ الغطاريِف
قد أطفعن الطعنة النجلاء عن عُرض تَصْفَرُ كَفُّ أخِيها وهو منزوف

غنى في البيت الأول والثاني علوية، ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال: إن لابن سُريج، وهو من منحول ابن المكي.

قوله «مذروف»: من ذرَفَت عينه، يقال: ذَرَفَت ذَرِيفاً وَذَرَفاً، وهو قَطْرٌ يكاد يتصل. وقوله: «لو أن ذامك قبل اليوم معروف». أي قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُكره. «ساجي العين». ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينه طَرْفَةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني»: ألقت نفسها عليّ. «أهوى»: اعتمد. «صنم يعتاد» أي يُؤتى مرّة بعد مرّة. «معكوف»: يُعَكَّفُ عليه. «السرايعف»: السراع، واحدها سرعوفة. «الطوالآت»: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. «الغطاريِف»: الكرام والسادة أيضاً. والغرفة: ضرب من السير والمشى يُختال فيه. «النجلاء»: الواسعة، / يقال: سِنَانٌ مِنْجَلٌ: واسع الطعنة: «عن عُرض» أي عن شِقِّ وَحَرْف. وقال غيره: أَعْتَرَضَهُ [٢٣٩/٨] اعتراضاً حين أقتله.

سبب ادعاء أبيه إياه:

أخبرني محمد بن الحسن بن ذرّيد قال حدّثني عمي عن ابن الكلبي، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن الكلبي:

شَدَّادٌ جَدُّ عترة غَلَبَ على نَسَبِهِ، وهو عترة بن عمرو بن شَدَّاد؛ وقد سمعتُ من يقول: إنما شَدَّادٌ عَمُّه، كان نشأ في حِجره فُنُسِبَ إليه دون أبيه. قال: وإنما أدعاه أبوه بعد الكبر؛ وذلك لأن أمه كانت أمة سوداء يقال لها زَبِيبة، وكانت العربُ في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمة استعبده. وكان لعترة إخوة من أمة عبيد. وكان سببُ أدعاء أبي عترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عَبَسَ فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا، فتيعهم العَبَسِيُّونَ فَلَاحِقُوهم فقاتلوهم عَمَّا معهم وعترة يومئذ فيهم؛ فقال له أبوه: كُرِّ يا عترة. فقال عترة: العبدُ لا يُحَسِّنُ الكَرَّ، إنما يُحَسِّنُ الحِلَابَ والصَّرَّ. فقال: كَرَّ وأنت حرّ. فكَّرَ وهو يقول:

أنا الهجينُ عَتَّـرُهُ كلُّ أُمريءٍ يحِمِّي حِرَّهُ
أَسـودَهُ وأحمـرَهُ والشَّـعـرَاتِ [المُشَعَّرُهُ]^(٢)
الوارداتِ مُشَفَّرُهُ^(٣)

وقاتل يومئذ قتالاً حسناً، فأدعاه أبوه بعد ذلك والحق به نسبه.

وحكى غير ابن الكلبي / أن السبب في هذا أن عَبَساً أغاروا على طييء، فأصابوا نَعَمًا، فلما أرادوا القِسْمة ^{١٥٠}/_٧ قالوا لعترة: لا نَقْسِمُ لك نصيباً مثل أنصبتنا لأنك عبد. فلما طال الخُطْبُ بينهم كَرَّث عليهم طييء؛ فأعتزلهم عترة

(١) كذا في «ديوانه» وفي الأصول: «يقدمها».

(٢) التكملة عن الديوان. والشطر كله ساقط من ب، من..

(٣) في أكثر الأصول: «مسفرة بالسيم الممهلة، والتصويب عن أ. كتاب الشعر».

[٢٤٠/٨] وقال: دُونَكُمْ الْقَوْمَ، فَإِنَّكُمْ / عَدَدُهُمْ. واستنقذت طيء الإبل. فقال له أبوه: كَرِّ يَا عَتْرَةَ. فقال: أَوْ يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكَرًّا فقال له أبوه: الْعَبْدُ غَيْرُكَ، فَأَعْتَرَفَ بِهِ، فَكَّرَ وَأَسْتَنْقَذَ النَّعَمَ. وجعل يقول:

أَنَا الْهَجِيْنُ عَتْرَةَ كُلُّ أَمْرِي يَحْمِي حِرَّةَ

الآيات.

قال ابن الكلبي: وعترَةُ أحدُ أغربة العرب، وهم ثلاثة^(١): عترة وأمه زبيبة، وخُفَاف بن عُمَيْر الشَّرِيدِي وأمه نُدْبَة، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْدِي وأمه السُّلَكَة، وإليه يُنسبون. وفي ذلك يقول عترة:

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنَصِباً شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ

وَإِذَا الْكَتِيْبَةُ أَحْجَمْتُ وَتَلَا حَظْتُ أَلْفَيْتُ خَيْراً مِنْ مُعِمِّ مُخَوِّلِ

يقول: إِنَّ أَبِي مِنْ أَكْرَمِ عَبَسٍ بِشَطْرِي، وَالشَّطْرُ الْآخِرُ يَنْوِبُ عَنْ كَرَمِ أُمِّي فِيهِ ضَرْبِي بِالسَّيْفِ، فَأَنَا خَيْرٌ فِي قَوْمِي مِمَّنْ عَمَّهُ وَخَالَهُ مِنْهُمْ وَهُوَ لَا يُغْنِي غَنَائِي. وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ الَّتِي يُضَافُ إِلَيْهَا الْبَيْتَانِ اللَّذَانِ يُغْنَى فِيهِمَا، وَهَذِهِ الْآيَاتُ قَالَهَا فِي حَرْبِ دَاخِسٍ وَالْغُبَرَاءِ^(٢).

[٢٤١/٨] / حَامِي عَنْ بَنِي عَبَسٍ حِينَ انْهَزَمَتْ أَمَامَ تَمِيمٍ، فَسَبَّهَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ فَهَجَاهُ:

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: غَزَتْ بَنُو عَبَسٍ بَنِي تَمِيمٍ وَعَلَيْهِمْ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو عَبَسٍ وَطَلَبْتَهُمْ بَنُو تَمِيمٍ، فَوَقَفَ لَهُمْ عَتْرَةُ، وَلِحَقَّتَهُمْ كَبْكَبَةٌ مِنَ الْخَيْلِ، فَحَامَى عَتْرَةُ عَنِ النَّاسِ فَلَمْ يُصَبِّ مُدْبِرٌ^(٣). وَكَانَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ سَيِّدَهُمْ، فَسَاءَ مَا صَنَعَ عَتْرَةُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ حِينَ رَجَعَ: وَاللَّهِ مَا حَمَى النَّاسَ إِلَّا ابْنُ السُّودَاءِ. وَكَانَ قَيْسٌ أَكُولًا. فَبَلَغَ عَتْرَةُ مَا قَالَ؛ فَقَالَ يَعْزُضُ بِهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

صوت

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي	أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَغْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا أَنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ	لَا بَدَّ أَنْ أُنْقَى بِكَسَاسِ الْمَنَهْلِ
فَأَقْنَى حِيَاءُكَ لَا أَبَالُكَ وَأَعْلَمِي	أَنِّي أَمْرٌ سَامُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتُلِ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثَلَّتٌ	مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكَ الْمَنْزِلِ
إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنَصِباً	شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ
وَإِذَا الْكَتِيْبَةُ أَحْجَمْتُ وَتَلَا حَظْتُ	أَلْفَيْتُ خَيْراً مِنْ مُعِمِّ مُخَوِّلِ

(١) اقتصر المؤلف على هذا العدد في أغربة العرب وهم الذين جاءهم السواد من قبل أمهاتهم. وذكر غيره أكثر من ذلك، فمنهم في الجاهلية عترة بن شداد وخفاف بن عمير بن الحارث وقيل: إنه مخضرم، وأبو عمير بن الحباب السلمي وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة بن أبي معيط وهو مخضرم، ومنهم في الإسلام عبدالله بن خازم وعمير بن أبي عمير بن الحباب السلمي وهمام بن مطرف التغلبي ومثشر بن وهب الباهلي ومطر بن أوفى المازني وتابط شراً والشنفري وحاجز غير منسوب. (راجع «القاموس وشرحه مادة غرب»).

(٢) راجع عن حرب داحس والغبراء الحاشية رقم ٤ ص ٣٣ ج ٥ من هذه الطبعة.

(٣) في الأصول: «فلم يصب مدبراً».

والخيْلُ تعلّم والفوارسُ أنسي
إذ لا أبادر في المضيق فوارسي
إن يُلْحَقُوا أَكْرُزْ وإن يُسْتَلْحَمُوا
حين النزول يكون غاية مثلنا
والخيْلُ ساهمة الوجوه كأنما
/ ولقد آبيت على الطوى وأظله
فرقت جمعهم بصريّة فيصل
أولا^(١) أوكل بالرعيل الأول
أشدّ وإن يُلْفُوا بضنك^(٢) أنزل
ويقر كل مضلّ مستوهِل^(٣)
تسقى فوارسها نقيع الحنظل
حتى أنال به كريم المأكّل

١٥١
٧

/ عرّوضه من الكامل. غنت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عريب خفيف رمل بالبصر من رواية الهشامي [٢٤٢/٨] وابن المعتز وأبي العباس.

«الحتوف»: ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. «عن عريض» أي ما يعرف منها. «بمعزل» أي في ناحية معتزة عن ذلك. و«منهل»: مورد. وقوله: «فأقني حياءك» أي أحفظه ولا تضيعه. و«الضنك»: الضيق. يقول: إن المنية لو خلقت مثلاً لكانت في مثل صورتي. و«المنصب»: الأصل. و«المنصل»: السيف، ويقال منصل أيضاً بفتح الصاد. وأحجمت: كعث^(٤). و«الكتيبة»: الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر^(٥). و«تلاحظت»: نظرت من يقدم على العدو. وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمؤخر العين. و«الفصل»: الذي يفصل بين الناس. وقوله: «لا أبادر في المضيق فوارسي» أي لا أكون أول منهزم ولكني أكون حاميتهم. و«الرعيل»: القطعة من كل شيء. و«يُستلحموا»: يذركوا^(٦). و«المستلحم»: المذرك؛ وأنشد الأصمعي:

نَجَّى علاجاً ويشرأ كل سلهبة^(٧) واستلحم الموت أصحاب البراذين

و«ساهمة»: ضامرة متغيرة، قد كَلَحَ^(٨) فوارسها لشدة الحرب وهولها. وقوله: «ولقد آبيت على الطوى وأظله». قال الأصمعي: آبيت بالليل على الطوى وأظّل بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكّل أي ما لا عيب فيه عليّ، ومثله / قوله: إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقهما طعاماً ولا شرباً أي لا أذوق فيهما. والطوى: خمص البطن، يقال: رجل [٢٤٣/٨] طَيّان وطاوي البطن.

أنشد النبي ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه:

وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدّثنا عمز بن شبة قال حدّثنا ابن عائشة قال:

أنشد النبي ﷺ قول عترة:

(١) في الأصول: «ولا أوكل» بدون ألف الاستفهام، والتصويب عن «اللسان وشرح القاموس» (مادة رعل).

(٢) في الديوان: «وإن يرموا بدهم أنزل».

(٣) المستوهِل: الضعيف الفزع.

(٤) كع (من بابي ضرب ونصر): جبن وضعف.

(٥) كذا في «المخصص» (ج ٦ ص ١٩٨) وفي الأصول: «ولم تنتشر» وهو تحريف.

(٦) عبارة «اللسان» (مادة «لحم»): واستلحم (مجهولاً): روهق في القتال، واستلحم الرجل: إذا احتوشه العدو في القتال.

(٧) السلهبة: الفرس الطويل، يطلق على الذكر والأنثى.

(٨) هذا تفسير لقوله: «كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل».

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنسال به كريم المأكـل
فقال عليه السلام: «ما وُصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عترة».

كيف الحق أخوته لأمه. بنسب قومه:

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة:
أن عترة كان له إخوة من أمه، فأحب عترة أن يدعيهم قومه؛ فأمر أخاً له كان خيرهم في نفسه يقال له
«حنبل»، فقال له: أزو مهرَك من اللبن ثم مرَّ به عليّ عشاء. فإذا قلت لكم: ما شأنُ مهرِكُم متخذداً^(١) مهزولاً
ضامراً، فأضرب بطنه بالسيف كأنك تُريهم أنك قد غَضِبْتَ مما قلتُ: فمرَّ عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأنُ مهرِكُم
متخذداً أعجراً^(٢) من اللبن؟ فأهوى أخوه بالسيف إلى بطن مهره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عترة:

أَبْيَ زَبِيَّةَ مَا لِمُهْرِكُم مُتَخَدِّدًا وَبَطُونُكُمْ عُجْرُ
الْكُم بِإِيغَالِ الْوَلِيدِ عَلَى أَثَرِ الشَّيْءِ بِشِدَّةِ خُبْرُ^(٣)

[٢٤٤/٨] / وهي قصيدة. قال: فأستلاظه^(٤) نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عترة:

أَلَا يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالطَّوِيِّ كَرَجِعِ الْوَشْمِ فِي كَفِّ الْهَدْيِ^(٥)
وهي طويلة يُعَدَّد فيها بلاءه وأثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب:

أخبرني عمي قال أخبرني الكراني عن / النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال:

قيل لعترة: أنت أشجع العرب وأشدها؟ قال لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا
رايتُ الإقدام عَزْماً، وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْماً، ولا أدخل إلا موضعاً^(٦) أرى لي منه مَخْرَجاً، وكنتُ أعتد
الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلبُ الشجاع فأثني عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبدالعزيز قالَا حدثنا عمر بن شبة قال:

قال عمر بن الخطاب للحطينة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟
قال: كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عترة فكنا نحمل إذا حمل ونُحْجِم إذا أحجم.
وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيرُه ولا نُخَالِفُه. وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتم بشعره، فكنا كما
وصفتُ لك. فقال عمر: صدقت.

(١) المتخذد: المهزول. وفي الأصول: «متخذداً» في المواضع الثلاثة. والتصويب عن «اللسان» (مادة عجر).

(٢) بطن أعجر: ملان.

(٣) رواية هذا البيت في «الديوان»:

الْكُم بِإِيغَالِ الْوَشْمِ إِذَا مَرَّ الشَّيْءُ بِرُقْعَةِ خَبَر

والمراد في كلتا الروايتين غامض.

(٤) استلاظه قومه: ألصقوه بهم وأدعوه.

(٥) الطوي: موضع. والهدى: العروس.

(٦) كذا في م. وفي سائر الأصول: «ولا أدخل موضعاً إلا أرى منه مخرجاً».

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة^(١) وابن الكلبي قالوا:

/ موته واختلاف الروايات في سببه:

أغار عترة على بني نهبان من طيء فطرد^(٢) لهم طريدة وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول:

أَثَارُ ظُلْمَانٍ بِقَاعٍ مُخْرَبٍ^(٣)

قال: وكان زِرَّ^(٤) بن جابر النُّبَهَانِي فِي قُتُوَّة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سَلَمَى، فقطع مَطَاه^(٥)؛ فتحامل بالرمية حتى أتى أهله؛ فقال وهو مجروح:

وإِنَّ أَبْنَ سَلَمَى عِنْدَهُ فَأَعْلَمُوهُ دَمِي

يَحِلُّ بِأَكْنَافِ الشُّعَابِ وَيَتَمِي^(٦)

رِمَانِي وَلَمْ يَذْهَبْ بِأَزْرَقٍ لَهْذِمٍ

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص^(٨). وأما أبو عمرو الشيباني فذكر أنه غزا طيء مع قومه، فانهزم عُبْسٌ، فخر عن فرسه ولم يقدِر من الكبر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلًا، وأبصره رَيْثَةُ^(٩) طيء فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيرًا فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسن وأحتاج وعجز بكبر سنه عن الغارات، وكان له على رجل من غطفان بكر، فخرج يتقاضاه إياه، فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شرج^(١٠) وناظرة، فأصابته فقتلته.

/ كان أحد الذين يبالغهم عمرو بن معد يكرب:

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسَانِ الْعَرَبِ ما لم يَلْقَنِي حُرَّاهَا وَهَجِينَاهَا. يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب، وبالعبدَيْن عترة والشليلك بن السلُكَة.

(١) في الأصول: ... عن المفضل وعن ابن حبيب عن ابن الكلبي قالوا. والظاهر أنه محرف عما أثبتناه فقد تقدّمت رواية المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبي في أكثر من موضع في هذا الجزء والأجزاء السابقة، ويعيد أن تكون له رواية عن ابن حبيب.

(٢) طرد الطريدة: ساقها. وفي الأصول: «فأطرد لهم طريدة» وليس في معجمات اللغة «أطرد» بمعنى ساق الذي هو المراد هنا.

(٣) ظلمان (بضم الظاء وكسرهما): جمع ظليم وهو ذكر النعام. والقاع: أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال والأكام. ومحرب، لعل صوابه «مجدب» بالذال.

(٤) في ب، س، ج: «وزر بن جابر».

(٥) المعطأ: الظهر.

(٦) كذا في «ديوان عترة» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٣٧ أدب). وفي الأصول: «إذا ما تمشي بين أجيال طي مكان الثريا إلخ».

(٧) النعف: ما انحدر عن السفح وغلظ. والمخرم: منقطع أنف الجبلي.

(٨) الأسد الرهيص: الذي لا يبرح مكانه كأنه رهص (شدخ) باطن حافره حجر، فهو كأنه لا يستطيع المشي خبثاً وتبهاً.

(٩) الرَيْثَةُ: الطليعة.

(١٠) شرج وناظرة: ماءان لبنى عبس.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي:

وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجد له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال: قرأت في كتاب لأبي عثمان المازني: كان عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها، فقال: والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً؛ فقدم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرت أهلي، وكنت أوثق الناس في نفسي. ^{١٥٣}فإن تحملتها فكم من حق قضيتهم وهم / كفيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ولم أنس غذك؛ ثم أنشأ يقول:

حملت دماء للبراجم جمّة	فجئت لك لما أسلمتني البراجم
وقالوا سفاهاً لم حملت دماء	فقلت لهم يكفي الحماله حاتم
مضى آتة فيها يئس لي مرجاً	وأهلاً وسهلاً أخطائك الأشائم
فيحملها عني وأن شئت زادني	زيادة من حيزت إليه المكارم
يعيش الندي ما عاش حاتم طيء	وإن مات قامت للسقاء مآتم
يؤايدن مات الجود منك فلا نرى	مجيئاً له ما حام في الجور حاتم
وقال رجال أنهب العام ماله	فقلت لهم إني بذلك عالم
ولكنه يعطى من أموال طيء	إذا حلق المال الحقوق اللوازيم
/ فيعطى التي فيها الغنى وكأنه	لتصغيره تلك العطية جارم
بذلك أوصاه عليّ ^(١) وخشرج	وسعد وعبدالله تلك القماقم

[٢٤٧/٨]

فقال له حاتم: إني كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك، وهذا مزباعي^(٢) من الغارة على بني تميم فخذ وافراً، فإن وفى بالحماله وإلا أكملت لك، وهي مائتا بعير سوى نبيها^(٣) وفصالها، مع أنني لا أحب أن تؤبس^(٤) قومك بأموالهم. فضحك أبو جليل^(٥) وقال: [لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا^(٦) منكم]، وأني بعير دفعته إليّ وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائة بعير، وأنصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم:

(١) هؤلاء الذين وردوا في البيت هم أجداد حاتم، فهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن أمية القيس بن علي بن أخزم. والقماقم: جمع قماقم وهو السيد العظيم.

(٢) المزباع: ما يأخذه الرئيس من الغنمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنمة.

(٣) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «سوى نبيها» وهو تصحيف.

(٤) تؤبس: تويخ وتؤنب.

(٥) كذا في كتاب «المفضليات» للضيبي ونسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي الأصول: «أبو جميل» بالميم وهو تحريف. وأبو جليل:

كنية عبد قيس بن خفاف، كما هو ظاهر من السياق.

(٦) هذه الجملة غير واضحة المناسبة في هذا الكلام.

أَنَانِي الْبُرْجُمِي أَبُو جُبَيْلٍ لَهُمْ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلِ
 فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ مِنْهَا فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ
 عَلَى حَالٍ وَلَا عَوَدْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَاتِهَا عَلَّلَ الْبَخِيلِ
 فَخُذْهَا إِنَّهَا مَائَتَا بَعِيرٍ سَوَى النَّابِ الرِّذِيئَةِ وَالْفَصِيلِ
 وَلَا مَنِّ عَلَيْكَ بِهَا فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَّ بُزْرِي بِالْجَمِيلِ
 فَآبَ الْبُرْجُمِي وَمَا عَلَيْهِ مِنْ أَغْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
 يَجُرُّ الذَّلِيلَ يَنْقُضُ مِذْرَوِيهِ^(١) خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلِ



مركز تحقيقات تكملة تاريخ اللغة العربية

(١) يقال: جاء فلان ينقض مذرويه، إذا جاء باغياً يتهدد. والمذري: في الأصل: طرف الآلية.

/ ذكر أبي كَلَفَ ونسبه وأخباره

[٢٤٨/أ]

نسب أبي دلف ومكانته:

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل بن لُجَيْم بن صُغْب بن علي بن بكر بن وائل. ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوُّ المحلِّ عند الخلفاء وعِظَمُ الغناء في المَشَاهِد وحُسْنُ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد^(١) من نُظَرائه. وذكرُ ذلك أجمع مما لا معنى له لَطُولُه؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْتَنَع. وله أشعارٌ جَيَّادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيّد شعره وله فيه صنعة قولُه:

صوت

بنفسي يا جَنَانُ وأنتِ مُني محلُّ الروح من جَسَدِ الجَبَانِ
/ ولو أتني أقول مكان نفسي خَشِيتُ عليكِ بَادِرَةَ الزَمَانِ
لإقدامي إذا ما الخيلُ حَامَتِ وهَابَ كُمَاتُهَا حَرَّ الطُّعْمَانِ

١٥٤
٧وله فيه لحن. وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النِّظَام^(٢).

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النِّظَام لغلّام:

أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحرّون قال:

لقي إبراهيم النِّظَام غلاماً حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سَبَقَ من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول، لَمَّا أَتَيْتُ^(٣) إلى مُخَاطِبَتِكَ ولا أنشرح صدري لمحادثتك، لكنه سببُ الإخاء وعَقْدُ المودّة، ومحلُّك من قلبي محلُّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام / - وهو لا يعرفه -: لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النِّظَام: الطباع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ وكياني مائلٌ إلى كيائك بكُلِّيَّتِي. ولو كان الذي أنطوى عليه عَرَضاً لم أعتدّ به وُدّاً، ولكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعدَمُه بَعْدَمُهَا؛ وأقول كما قال الهذلي:

فَتَيْقِظُنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

(١) يظهر أن صوابه: «ليس لكبير آخر».

(٢) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النِّظَام المعتزلي أحد شيوخ المتكلمين والمعتزلة في دولة المعتصم.

(٣) أتيت: رجعت. وفي ب، س: «لما أتيت».

فقال له النظام: إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن؛ ولو علمت أن محلك مثل محل مَعْمَرٍ^(١) وطَبَقَتِه في الجدَل لَمَا تَعَرَّضْتُ لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دَلَفَ قوله:

أَجْبُكَ يَا جِنَانُ وَأَنْتِ مَنِي محلُّ الرُّوحِ من جسد الجبانِ
ومن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله:

صوت

في كلِّ يومٍ أَرَى بِيضَاءَ طَالَعَةٍ كأنما أُنبِتُ في ناظرِ البَصَرِ
لئن قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصَرِي لَمَا قَطَعْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

بلغه طروق الشراة وهو بالسراذن مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم:

أخبرني علي بن عبدالعزيز الكاتب قال حدثني أبي قال سمعت عبدالعزيز بن دَلَفَ بن أبي دَلَفَ يقول: حدثني ظبية جارية أبي^(٢) قالت: إني لَمَعَةُ لَيْلَةٍ بالسَّرَادِنِ^(٣) وهو جالسٌ يشربُ معي وعليه ثيابٌ ممسكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة أطرافَ عسكره؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتل وأسر وأنصرف إليّ في آخر الليل وهو يغني - قالت: والشعر له -:

صوت

لَيْتَنِي بِالسَّرَادِنِ كُلُّتُ بِالْمَحَاسِنِ
وَجَوَارِ أَوَانِسِ كَالظُّبَاءِ الشُّوَادِنِ
بُدِّلْتُ بِالْمُمَسَّكَا تِ أَدْرَاعِ الْجَوَاشِنِ

الشعر لأبي دَلَفَ. والغناء له رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر.

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقله ابن أبي داود:

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دَلَفَ القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفشين^(٤) خَيْذَرُ بن كاووس

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش البصري النحوي العلامة. قال الجاحظ فيه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة. (عن وفیات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤).

(٢) كذا في «الأصول». ولعله يريد: «جدي».

(٣) السراذن: موضع ببلاد فارس.

(٤) قد وردت هذه الكلمة في «شرح القاموس» بكسر الشين مضبوطة بالعبرة وفي «كتب التاريخ» مضبوطة بالقلم. وفي «شعر أبي تمام» ما يؤيده إذا قال يمدحه من قصيدة:

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في هيجاء إلا عزّ هذا الدّينُ
قد كان عذرة مغرب فافتضها بالسيف فحلّ المشرق الإفشينُ

وفي «رسالة الغفران» طبع مصر ص ١٦٦ ما يدل على أن ضبطه بفتح الشين وإسكان الياء. وهو أحد قوادر المعتصم المقدمين وولائه، ولأه جرب بابك الخرمي، ثم غضب عليه وحجسه مضيقاً عليه ثم قتله. (انظر الطبري ق ٣ ص ١١٧٠، ١١٧٩، ١١٨٦، ١٢٣٤، ١٣٠٠، ١٣١٨).

١٥٥
لَمَّا خَرَجَ لِمَحَارِبَةِ بَابِكَ^(١)، ثُمَّ تَنَكَّرَ لَهُ؛ فَوَجَّهَ يَوْمًا بِمَنْ جَاءَ بِهِ لِيَقْتُلَهُ. وَبَلَغَ الْمُعْتَصِمَ الْخَبْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَحْمَدَ / بِنِ أَبِي دُوَادٍ وَقَالَ لَهُ: أَذْرِكُهُ، وَمَا أُرَاكَ تَلَحُّقَهُ، فَأَحْتَلَّ فِي خَلَاصِهِ مِنْهُ كَيْفَ شِئْتَ. قَالَ أَبُو أَبِي دُوَادٍ: فَمَضَيْتُ رَكْضًا حَتَّى وَافَيْتُهُ، فَإِذَا أَبُو دُلْفَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أَخَذَ بِيَدَيْهِ غَلَامَانِ لَهُ تَرْكِتَانِ، فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي عَلَى الْبِسَاطِ، وَكُنْتُ إِذَا جِئْتُهُ دَعَا لِي بِمُصَلِّيٍّ، فَقَالَ لِي: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَجْلَسْتَنِي هَذَا الْمَجْلِسَ. ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فِي الْقَاسِمِ وَسَأَلْتُهُ فِيهِ وَخَضَعْتُ لَهُ، فَجَعَلَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا غِلْظَةً. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: هَذَا عَبْدٌ وَقَدْ أَغْرَقْتُ فِي الرَّفْقِ بِهِ فَلَمْ يَنْفَعْ، [٢٥١/٨] وَلَيْسَ إِلَّا أَخَذَهُ بِالرَّهْبَةِ وَالصَّدْقِ؛ فَفَعَمْتُ / فَقُلْتُ: كَمْ تُرَاكَ قَدَرْتَ! تَقْتُلُ أَوْلِيَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَتُخَالِفُ أَمْرَهُ فِي قَائِدٍ بَعْدَ قَائِدٍ! قَدْ حَمَلْتُ إِلَيْكَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَاتِ الْجَوَابَ! قَالَ: فَذَلَّ حَتَّى لَصِقَ بِالْأَرْضِ وَبَانَ لِي الْاضْطِرَابُ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ نَهَضْتُ إِلَى أَبِي دُلْفَ وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ وَأَخْرَجْتُ الْقَاسِمَ فَحَمَلْتُهُ عَلَى دَابَّةٍ وَوَفَيْتُ الْمُعْتَصِمَ. فَلَمَّا بَصُرَ بِي قَالَ: بَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَرَيْتُ زِنَادِي، ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ خَبْرِي مَعَ الْإِفْشِينَ حَذْسًا بَطْنَهُ مَا أَخْطَأَ فِيهِ حَرْفًا؛ ثُمَّ سَأَلَنِي عَمَّا ذَكَرَهُ لِي وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْطِئْ حَرْفًا.

أَنكَرَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ الْغِنَاءَ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَكِبَرِ سَنَةِ:

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي جَدِّي قَالَ:

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يُنْكِرُ أَمْرَ الْغِنَاءِ إِنْكَارًا شَدِيدًا. فَأَعْلَمَهُ الْمُعْتَصِمُ أَنَّ صَدِيقَهُ أَبَا دُلْفَ يَغْنِي؛ فَقَالَ: مَا أَرَاهُ مَعَ عَقْلِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَسَرَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ فِي مَوْضِعٍ وَأَحْضَرَ أَبَا دُلْفَ وَأَمْرَهُ أَنْ يَغْنِي، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَطَالَ؛ ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَلَيْهِ مِنْ مَوْضِعِهِ وَالْكَرَاهَةَ ظَاهِرَةً فِي وَجْهِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ أَحْمَدُ قَالَ لَهُ: سَوَاءٌ لِهَذَا مِنْ فِعْلٍ^(٢)! بَعْدَ هَذِهِ السَّنِّ وَهَذَا الْمَحَلِّ تَضَعُ نَفْسَكَ كَمَا أَرَى! فَحَجَّلَ أَبُو دُلْفَ وَتَشَوَّرَ^(٣)، وَقَالَ: إِنَّهُمْ أَكْرَهُونِي عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ: هَبْهُمْ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْغِنَاءِ أَفْأَكْرَهُوكَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِصَابَةِ!

سَمِعَ الْمُعْتَصِمَ غِنَاءَهُ عِنْدَ الْوَائِقِ فَمَدَحَهُ:

قَالَ عَلِيُّ وَحَدَّثَنِي جَدِّي: أَنَّ سَبَبَ مُنَادِمَتِهِ لِلْمُعْتَصِمِ أَنَّهُ كَانَ نَدِيمًا لِلْوَائِقِ، وَكَانَ أَبُو دُلْفَ قَدْ وُصِفَ لِلْمُعْتَصِمِ فَأَحْبَبَ أَنْ يَسْمَعَهُ، وَسَأَلَ الْوَائِقَ عَنْهُ؛ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا عَلَى الْفَصْدِ غَدًا وَهُمْ عِنْدِي. فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ: [٢٥٢/٨] أَحِبَّ إِلَّا تُخْفِيَ عَلَيَّ / شَيْئًا مِنْ خَبْرِكُمْ. وَفُصِدَ الْوَائِقُ، فَأَنَاهُ أَبُو دُلْفَ وَأَتَتْهُ رِسْلُ الْخَلِيفَةِ بِالْهَدَايَا، وَأَعْلَمَهُمُ الْوَائِقُ حُضُورَ أَبِي دُلْفَ عِنْدَهُ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَقْبَلَ الْعَدَمُ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَ الْخَلِيفَةُ. فَقَامَ الْوَائِقُ وَكَلَّ مَنْ عِنْدَهُ حَتَّى تَلَقَّوْهُ حِينَ بَرَزَ مِنَ الدَّهْلِيزِ إِلَى الصَّنْحَنِ؛ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ، وَأَمَرَ بِتُدْمَاءِ الْوَائِقِ فَرُدُّوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ. قَالَ حَمْدُونَ^(٤): وَخَسَّتُ عَنْ مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ لِحَدَائِثِي؛ فَنَظَرَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ مَكَانِي خَالِيًا، فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِهِ فَسُمِّيتُ لَهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِي فَرَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي، وَأَمَرَ بَأَنْ يُؤْتَى بِرَطَلٍ مِنْ شَرَابِهِ فَأَتَانِي بِهِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو دُلْفَ فَقَالَ لَهُ: يَا قَاسِمَ، غَنِّ

(١) هُوَ بَابُكَ الْخَرْمِيُّ الطَّاعِيَةُ الَّذِي كَادَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ زَمَنَ الْمُعْتَصِمِ، كَانَ يَرَى رَأْيَ الْمَزْدَكِيَّةِ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ خَرَجُوا أَيَّامَ قَبَازٍ وَأَبَاحُوا النِّسَاءَ وَالْمَحْرَمَاتِ، وَقَتْلَهُمْ أَنْوَشُرُونَ. (هَذَا تَرْجُومَةُ الْقَامُوسِ مَادَّةُ خَرَمَ).

(٢) كَذَا فِي «جِه». وَفِي «سَائِرِ الْأَصُولِ»: «سَوَاءٌ لِمَنْ فَعَلَ هَذَا...».

(٣) تَشَوَّرَ: خَجَلَ.

(٤) هُوَ حَمْدُونَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ الْكَاتِبِ أَوَّلَ مَنْ نَادَمَ الْخُلَفَاءَ مِنْ أَهْلِهِ.

(١) أمير المؤمنين صوتاً؛ فما حَصِرَ ولا تَثَاقَلَ وقال: أُغْنِي أمير المؤمنين صوتاً بعينه أو ما^(١) أخترته؟ قال: بل غَنُّ صَنَعَتِكَ في شعر جرير:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا

فَغَنَاهُ إِتَاهُ. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، وشرب الرطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أرباط، ثم دعا بحمار فركبه، وأمر أبا دُلْفَ أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجتُ أَسْعَى / مع ^{١٥٦}/_٧ ركابه، فثَبَّتُ في ثَدَمَائِهِ من ذلك اليوم، وأمر لأبي دُلْفَ بعشرين ألف دينار.

نسبة الصوت الذي غنَّاهُ أبو دلف صوت

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَّمَا أَعْتَزَمُوا لِبَيْنِ تَجَزَّعُ
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مَذْغِيْثُكُمْ قَلْباً يَقْنَرُ وَلَا شَرَاباً يَنْقَعُ

عروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دُلْفَ ثاني ثقبيل بالنصر عن الهشامي وعمرو بن بانه.

[٢٥٣/٨]

/ ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: يُنَادِي بِرَامَتَيْنِ

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْدِيَّةِ يستخفُّ مُطِيعَ بن إياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة. فذكر له مُطِيعُ بن إياس حماداً الراوية، وكان مُطِيعاً مَجْفُوعاً في أيامهم. فقال له: دَعْنِي، فَإِنَّ دَوْلَتِي كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ وَمَا لِي عِنْدَ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ. فَأَبَى مُطِيعُ إِلَّا الذَّهَابَ بِهِ إِلَيْهِ. فَاسْتَعَارَ سَوَاداً وَسِيفاً؛ ثُمَّ أَتَاهُ فَدَخَلَ عَلَى جَعْفَرٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: أَنْشِدْنِي. فَقَالَ: لِمَنِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: لَجَرِيرٍ. قَالَ حَمَادُ: فَسَلِّخِ اللَّهَ شَعْرَهُ أَجْمَعَ مِنْ قَلْبِي إِلَّا قَوْلَهُ:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا

فَانْدَفَعْتُ أَنْشِدَهُ إِتَاهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ:

وَتَقُولُ بَوَزْعُ قَدْ دَبَّيْتُ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَيْتُ^(٢) بَغِيرَنَا يَا بَوَزْعُ

قال حماد فقال لي جعفر: أَعِذْ هَذَا الْبَيْتَ فَأَعِدْتُهُ؛ فَقَالَ: إِيْشْ هُوَ بَوَزْعُ؟ قُلْتُ: اسْمُ امْرَأَةٍ. قَالَ: امْرَأَةٌ اسْمُهَا بَوَزْعُ! هُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنْ كَانَتْ بَوَزْعُ إِلَّا غُولًا مِنَ الْغِيلَانِ! تَرَكْتَنِي وَاللَّهِ يَا هَذَا لَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ فَزَعِ بَوَزْعٍ! يَا غُلْمَانُ، قَفَّاهُ. قَالَ: فَصَفِّعْتُ وَاللَّهِ حَتَّى لَمْ أَدْرِ أَيْنَ أَنَا. ثُمَّ قَالَ: جُرُّوْا بَرَجْلَهُ، فَجُرُّوْا بَرَجَائِي

(١) في «الأصول»: «بعينه وما أخترته».

(٢) كذا في «النفاضة». وفي «الأصول»: «هذيت» بالذال المعجمة.

حتى أخرجت من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وأنكسر جفنُ السيفِ ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى من ذلك . وكان أغلظ من ذلك عليَّ غرامتي السوادَ والسيف . فلما أنصرف إليَّ مُطِيع جعل يتوجع لي . فقلت له : ألم أخبرك أنني لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أمية !

[٢٥٤/٨] / رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلف .

كان جواد ممدحاً وشعر علي بن جبلة فيه :

وكان أبو دُلف جواداً ممدحاً؛ وفيه يقول علي بن جبلة :

إنما الدُّنيا أبو دُلف بين مغزاه ومختصره
وإذا وُلِّي أبو دُلف ولَّت الدنيا على أثره

وهي من جيد شعره وحسن مدائحه . وفيها يقول :

ذاذِ وَرْدَ الغَيِّ عَنْ صَدْرِهِ وأرعوى^(١) واللَّهُوُ من وَطَرِهِ
نَسِمِي أَنْ الشَّبَابَ مَضَى لِم أَبْلَغُهُ مَدَى أَشْرِهِ
حَسَرْتُ عَنِّي بِشَاشْتِهِ وذوى المحمود من ثَمَرِهِ
وَدَمِ أَفْطَرْتُ مِنْ رَشَا لِم يُرْدُ عَقْلًا عَلَى هَذَرِهِ
فَأَتَتْ دُونَ الصَّبَا هَنَئِهِ قلبت فوقى^(٢) على وَتَرِهِ
/ دَغْ جَدَا فَخَطَّانَ أَوْ مُضَرِّ فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضَرِّهِ
وَأَمْتَدِخْ مِنْ وَائِلٍ رَجَلًا عُصْرُ الْآفَاقِ مِنْ عُصَرِهِ
الْمَنَائِيَا فِي مَقَانِيهِ والعطايَا فِي ذَرَا^(٣) حَجَرِهِ
مَلِكُ تَنَدَى أَنَامِلِهِ كَأَبْجَلِجِ النَّوْءِ عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كَأَبْجَلِجِ الرُّؤُوسِ عَنْ زَهَرِهِ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاسِكُهُ أَمِنْتُ عَذْنَانُ فِي نَفَرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلف بَيْنَ مَغْزَاهُ وَمُخْتَصَرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلف وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
/ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ^(٤)

١٥٧
٧

[٢٥٥/٨]

(١) كذا في «ج» ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى). وفي «سائر الأصول»: «واللهو واللهم من وكرة» وهو تحريف.

(٢) الفوق من السهم: موضع الوتر.

(٣) كذا في «نهاية الأرب». وفي «الأصول»: «في ذوي حجره» وهو تحريف.

(٤) في «الأصول»: «بين بادية ومختصره». والتصويب عن «نهاية الأرب».

مستعيرٌ منه مَكْرُمَةٌ يكتسبها يومَ مُفْتَحِرةٍ
وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمونَ على عليِّ بن جبلة حتى سلَّ لسانه من قفاه، وقوله في أبي دلف أيضاً:
أنت الذي تُنزل الأيَّامَ منزلَها وتَنقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالٍ
وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلَّا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالٍ
وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليِّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد هنا أمر أبي دلف.

ذكرت قصة له في الكرم وأخرى لأبي البخترى فكان هو أكرم:
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال:

كنا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنده فتى من ولد أبي البخترى وهب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه،
وفتى من ولد أبي دُلف العجلِيّ شبيه به في الجمال. فقال المبرّد لابن أبي البخترى: أعرف لجدك قصّةً ظريفةً من
الكرم حسنةً لم يُسبق إليها. قال: وما هي؟ قال: دُعِيَ رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقّوه نبيذاً غير
الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم:

نبيذانٍ في مجلسٍ واحدٍ لا يشار مُنيرٌ على مُقْتَرِرٍ
فلو كان فعلُك ذا في الطعام لَنَزِمْتَ قِيَّاسَكَ في المُشْكِرِ
ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرام صنعتَ صنيعَ أبي البخترى
تتبعَ إخوانه في البلاد فبأغنى المُقِلَّ عن المُكثِرِ

/ فبلغت الأبياتُ أبا البخترى فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عَمَّار: فقلت: قد فعل جدُّ هذا الفتى في هذا المعنى [٢٥٦/٨]
ما هو أحسنُ من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أنّ رجلاً أفقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترض في الجند؛
فقال:

إليك عني فقد كلّفتني شَطَطاً حَمَلَ السلاحِ وقيلَ الدَّارعين قِفَ
تمشي المنايا إلى غيري^(١) فأكرهها فكيف أمشي إليها عاري الكَتِيفِ
حَسِبْتَ أنّ نفاذَ المالِ غيرني وأنَّ رُوحِي في جَنَّتِي أبي دُلفِ

فأحضره أبو دُلف ثم قال له: كم أملتِ أمراك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار. قال: أوكم / أملتِ أن تعيش؟^{١٥٨}
قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك عليّ ما أملتِ أمراك في مالنا دون مال السلطان؛ وأمر بإعطائه إياه. قال:
فرايتُ وجهَ أبي دلف يتهلل، وأنكسر ابن أبي البخترى أنكساراً شديداً.

عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه ورد عليه:

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني علي بن القاسم قال:

قال علي بن جبلة: زرتُ أبا دُلفَ بالجبل^(٢)، فكان يُظهر من إكرامي وبرِّي والتحفِّي بي أمراً مُفْرِطاً، حتى

(١) في جـ: إلى قوم.

(٢) بلاد، الجبل: مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم.

تَأَخَّرْتُ عَنْهُ حِينَ حَيَاةٍ. فَبَعَثَ إِلَيَّ مَعْقِلَ بْنَ عَيْسَى، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ: قَدْ أَنْقَطَعَتْ عَنِّي، وَأَحْسَبُكَ أَسْتَقَلَلْتَ بِرِّي بِكَ، فَلَا يُغْضِبُكَ ذَلِكَ، فَسَازِيدُ فِيهِ حَتَّى تَرْضَى. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا قَطَعَنِي إِلَّا إِفْرَاطُهُ فِي الْبِرِّ، وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ.

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ مِنْ كُفْرِ نَعْمَةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ

/ وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ زَائِرًا فَأَفْرَطْتُ فِي بِرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ

فَمِمَّ الْآنَ لَا أَتِيكَ إِلَّا مُسْلِمًا أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرِ

فَإِنْ زِدْتَنِي بِرًّا تَزِيدُنِي جَفْوَةً وَلَمْ تَلْقَنِي طَوْلَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَشْرِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْقِلُ اسْتَحْسَنَهَا جَدًّا وَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! أَمَّا إِنَّ الْأَمِيرَ لَتُعْجِبُهُ هَذِهِ الْمَعَانِي. فَلَمَّا أَوْصَلَهَا إِلَى أَبِي دُلْفٍ قَالَ: قَاتِلَهُ اللَّهُ. مَا أَشْعَرُهُ وَأَدَقُّ مَعَانِيهِ! فَأَعْجَبْتُهُ فَأَجَابَنِي لَوْقَتِهِ - وَكَانَ حَسَنَ الْبَدِيهَةِ حَاضِرَ الْجَوَابِ -:

أَلَا رُبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطَتْهُ وَأَنْتَ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبِشْرِ

أَتَانِي يَرْجُونِي فَمَا حَالُ دُونِهِ وَدُونَ الْقِرَى وَالْعُرْفِ مِنْ نَائِلِي سِتْرِي

وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَيَّ بِقَضْدِهِ إِلَيَّ وَبِرًّا زَادَ فِيهِ عَلَى بِرِّي

فَزَوَّدْتُهُ مَالًا يَقِلُّ بِقَاوِهِ وَزَوَّدَنِي مَدْحًا يَدُومُ عَلَى الدَّهْرِ

قَالَ: وَبَعَثَ إِلَيَّ بِالْأَبْيَاتِ مَعَ وَصِيفٍ لَهُ وَبَعَثَ مَعَهُ إِلَيَّ بِأَلْفِ دِينَارٍ؛ فَقُلْتُ حَيْثُذُ: * إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *.

الْأَبْيَاتِ.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ أَخْبَرَنَا الْمُبَرِّدُ قَالَ أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ:

بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ مَعْقِلٍ، وَهُمَا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ، إِذْ مَرَّ بِقَصْرِ، فَأَشْرَفْتُ مِنْهُ جَارِيَتَانِ؛ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى: هَذَا أَبُو دُلْفٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ

فَقَالَتْ الْآخَرَى: أَوْ هَذَا! قَدْ وَاللَّهِ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ أَرَاهُ مِنْذُ سَمِعْتُ مَا قِيلَ فِيهِ. فَأَلْتَفْتُ أَبُو دُلْفٍ إِلَى مَعْقِلٍ فَقَالَ: مَا أَنْصَفْنَا عَلِيَّ بْنَ جَبَلَةَ وَلَا وَفِينَاهُ حَقَّهُ، وَإِنْ ذَلِكَ لَمِنْ كَبِيرِ هَمِّي. قَالَ: وَكَانَ أَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

/ بصوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أَمَّا الْقَطَاةُ فَلِئَنِّي سَوْفَ أَنْعَتُهَا نَعْتًا يُوَافِقُ مِنْهَا بَعْضُ مَا فِيهَا

سَكَاءً^(١) مَخْطُوبَةً^(٢) فِي رِيشِهَا طَرَقُ صُهْبٌ قَوَادِمُهَا كُذِرَ خَوَافِهَا

^{١٥٩}/_٧ عَرَّوْضُهُ مِنَ الْبَسِيطِ. وَالشَّعْرُ مُخْتَلَفٌ فِي قَائِلِهِ، يَنْسَبُ إِلَى أَوْسَ بْنِ عَلَفَاءَ الْهُجَيْمِيِّ وَإِلَى / مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ وَإِلَى

(١) السَّكَّاءُ: صَفَرُ الْأُذُنِ وَلِصُوقِهَا بِالرَّأْسِ. يُقَالُ لِلْقَطَاةِ سَكَاءٌ لِأَنَّهُ لَا أُذُنَ لَهَا.

(٢) كَذَا فِي «نَهَايَةِ الْأَرْبِ» (ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة أولى). وَالْمَخْطُوبَةُ: الَّتِي عَلَى لَوْنِ الْحَنْظَلَةِ إِذَا أَخْطَبَتْ أَيْ أَصْفَرَتْ وَصَارَتْ فِيهَا

خُطُوطٌ خَضِرٌ. وَالطَّرَقُ فِي الرِّيشِ. أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ كَأَنَّ الْأَعْلَى يَلْبِسُ الْأَسْفَلَ. وَالصُّهْبَةُ: لَوْنٌ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ أَوْ إِلَى الشَّقَرَةِ. وَفِي الْأَصُولِ: «مَخْطُوبَةٌ بِالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ».

العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجيز السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال؛ رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي. وعلى أن في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يُغنى فيه وأبياتاً ليست في الرواية^(١). وقد روي أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضاً. وأخبار ذلك وما يحتاج إليه في شرح غريبه يُذكر بعد هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى. وفي هذين البيتين مع أبيات آخر من القصيدة اشتراك كثير بين المغنّين يتقدم بعض الأبيات فيه بعضاً ويتأخر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره. والأبيات نُكِّتْ ها هنا ثم تُنسب صنعة كل صانع في شيء منها إليه؛ وهي بعد البيتين الأولين، إذ كانا قد مضيا وأستغني عن إعادتهما:

لَمَّا تَبَدَّى لَهَا طَارَتْ وَقَدْ عَلِمَتْ	أَنْ قَدْ أَظْلَ وَأَنْ الْحَيَّ غَاشِيَهَا
/ تَشْتَقُ ^(٢) فِي حَيْث لَمْ تُبْعِدْ مُصْعِدَةً	وَلَمْ تُصَوِّبْ إِلَى أَدْنَى مَهَاوِيَهَا
تَتَاشَّ ^(٣) صَفْرَاءَ مَطْرُوقاً بِقِيَّتِهَا	قَدْ كَادَ يَأْزِي عَنِ الدَّعْمُوصِ أَرْيَهَا
مَا هَاجَ عَيْنُكَ أَمْ قَدْ كَادَ يُكِيهَا	مَنْ رَسَمَ دَارَ كَسْحَقِي ^(٤) الْبُرْدِ بَاقِيَهَا
فَلَا غَنِيمَةً تُوقِي بِالَّذِي وَعَدَتْ	وَلَا فَوَادُكَ حَتَّى الْمَوْتِ نَاسِيَهَا

[٢٥٩/٨]

بسيط مولى عبدالله بن جعفر خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر من رواية إسحاق في «أما القطاة» والذي بعده، و«تتاش»^(٥) صفراء خفيف ثقيل نصر عن عمرو. ولإبراهيم الموصلي في «لما تبدى لها» و«أما القطاة» خفيف رمل عن الهشامي. ولعمرو الوادي في «أما القطاة» ثقيل بالوسطى. ولابن جامع في «لما تبدى لها» وي بعده «أما القطاة» خفيف رمل. ولسياط في الأول والثاني وبعدهما «تشتق في حيث لم تبع» خفيف ثقيل بالبصر، ومن الناس من يُنسب لحنه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه. ولعلويه في «أما القطاة» والذي بعده رمل هو من صدور أغانيه ومقدمها. فجميع ما وجدته في هذه الأبيات من الصنعة أحد عشر لحناً^(٦).

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة:

فأما خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبي زعم أن السبب فيه أن العجيز السلولي أوس بن غلفاء الهجيمي ومزاجماً العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وحُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الهلالي اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومزّ بهم سِرْبُ قَطَا؛ فقال أحدهم: تعالوا حتى نَصَفَ الْقَطَا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأئنا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي «أما القطاة». وقال حُمَيْدُ أَبِياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

(١) في هذه الجملة غموض.

(٢) تشتق: تقطع.

(٣) سيشرح أبو الفرج فيما سيأتي هذا البيت.

(٤) السحق: الثوب البالي.

(٥) لعله: «وفي تتاشن صفراء خفيف ثقيل...».

(٦) المذكور هنا سبعة ألحان فقط.

[٢٦٠/٨] / كما انصَلَّتْ^(١) كَذْرَاءُ تَسْقِي فِرَاحَهَا
 غَدَتْ لَمْ تُبَاعِدْ فِي السَّمَاءِ وَدُونَهَا
 قَرِينَةُ سَبْعٍ^(٢) إِنْ تَوَاتَرْنَ^(٣) مَرَّةً
 / فجاءت وما جاء القطا ثم قلصت^(٤)
 وجاءت ومسقاها السذي وردت به
 تُبادر أطفالاً مساكينَ دونها
 وصفن لها مُزناً بأرض تُثوِّفُ^(٥)
 بشمظلة^(٦) رفهاً والمياه شُبوبُ
 إذا ما علتْ أهْوِيَّةُ^(٧) وصُبوبُ
 ضَرَبْنَ فَصَفَتْ أَرْوُسَ وَجُنُوبُ
 بمفحصها والواردات تنوبُ
 إلى الصَّدرِ مشدودُ^(٨) العَصَامِ كَتِيبُ
 فَلَا لَا تَخْطَأُ الْعِيُونَ رَغِيبُ^(٩)
 فما هي إلا نهلةً وتنوبُ

وقال العباس بن يزيد بن الأسود - هكذا ذكر ابن الكلبي، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّة -:

حَذَاءُ^(١٠) مُذْبِرَةٌ سَكَاءُ مَقْبَلَةٌ
 تسقى أَرْيَغَبَ ثُرْوِيهِ مُجَاجَتَهَا^(١١)
 / مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ لَمْ تَنْبُتْ قَوَادِمُهُ
 تدعو القَطَا بقصير الخطوليس له
 تدعو القَطَا وبه تُدْعَى إِذَا انْتَسَبَتْ
 وقال مُزَاحِمُ الْعَقِيلِي:

أَذْلَكَ أَمْ كُذْرِيَّةٌ هَاجَ وَزْدَهَا مَنِ الْقِيْظُ يَوْمٌ وَإِقْدٌ وَسُمُومٌ

(١) انصلت: أسرع في السير.

(٢) كذا في «معجم البلدان» لياقوت و«معجم ما استعجم». وشمطة: موضع بمكاظ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار. وفي الأصول: «شمطة» بالطاء المهملة وهو تصحيف. والرفه (بالكسر): أقصر الورد، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم أو متى شاءت. والشعوب: البعيدة، يقال: ماء شعب ومياه شعوب.

(٣) كذا في جـ و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام على شمطة. والأهوية: الهاوية. والصبوب (بالفتح): منحدر الوادي. وفي الأصول: «هوية وهبوب».

(٤) كذا في جـ و«اللسان» (مادة وتر). وفي سائر الأصول: «قرية سبع».

(٥) التواتر: التتابع، يقال: تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها في إثر بعض ولم تجيء مصطفة.

(٦) قلصت: انضمت وانزوت. والمفحص: مجثم القطاة. والواردات تنوب أي الواردات للماء ترجع.

(٧) في أ، جـ: «مشدود العصام». بالسین المهملة. وفي سائر الأصول: «مسرود العقظام». والعصام: حبل تشد به القربة. وكتيب: مخروزم.

(٨) رغب: واسع.

(٩) التثوفا: الأرض القفر.

(١٠) الحذاء: القصيرة الذنب.

(١١) النوطة: الحوصلة.

(١٢) المجاجة: الريق.

(١٣) الظم: ما بين الشربين والوردتين.

(١٤) التسبيد: أول ظهور ريش الفرخ. والزيب: كثرة الزغب.

غَدَتْ كَنَواة الْقَسْبِ^(١) لَا مُضْمِحْلَةً
تُؤَاثِيكَ رَجَعَ الْمَتَكِبِينَ وَتَرْتَمَى
فَمَا انْخَفَضَتْ حَتَّى رَأَتْ مَا يَسْرُهَا
أَبَاطِطُحَ وَأَنْتَصَتْ^(٢) عَلَى حَيْثُ تَسْتَقِي
سَقْنَهَا سِيُولُ الْمُذْجَنَاتِ فَاصْبَحَتْ
فَلَمَّا اسْتَقَتْ مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ وَانْجَلَى
دَعَتْ بِاسْمِهَا حِينَ اسْتَقَتْ فَاسْتَقَلَّهَا
بِجَوُزٍ^(٣) كَحَقِّ الْهَاجِرَةِ زَائِنَه

- يعني حَقَّ الطَّيْبِ. شَبَّهَ حَوْصَلَتَهَا بِهِ. وَالْوَشُومُ يَعْنِي الشَّيْءَ^(٤) الَّتِي فِي صَدْرِهَا :-

خِلَافَ مُؤَلَّاهَا لَهْنٌ حَمِيمٌ
بِمَنْزِلِهَا الْأَوْلَادَ فَهُوَ مُلِيمٌ
وَهُنَّ بِمَهْوَى كَالْكُرَاتِ جُثُومٌ
بِدَعْوَى الْقَطَا لَهْنٌ قَدِيمٌ
عَلَيْهِنَّ شَرِبٌ فَاسْتَقَيْنَ مِنْيَمٌ
مُعَاوِدَةٌ سَقَى الْفِرَاحَ رَءُومٌ

وقال العُجَيْرُ - فيما رَوَى ابن الكلبي، وقد تروى لغيره :-

سَأَغْلِبُ وَالسَّمَاءَ وَمَنْ بَنَاهَا
قَطَاةَ مُزَاحِمٍ وَمَنْ انْتَحَاهَا

(١) القسب: تمر يابس يفتت في الغم صلب ونواه شديد قوي.

(٢) الوناة: البطيئة القيام والقيود.

(٣) الهادية: المتقدمة، يريد أنها توالي بين جناحيها مسرعة حتى تتقدم غيرها من السابقات.

(٤) يقال: انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى، هذا هو الأصل فيه. يريد أنها وقفت على الماء.

(٥) المذجنات: السحاب الدائمة المطر. والعلاجيم: جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير. وتدوم: تسكن.

(٦) اللوحة: العطشة.

(٧) حجن: عوج. ومليم، كذا في الأصول، ولم نهتد إلى وجه الصواب في هذه الكلمة. وظاهر أنه يريد أن ريشه كثير متكاثف.

(٨) في بعض الأصول: «تجوز»: والهاجرية: المرأة الحضرية.

(٩) في أكثر الأصول: «الثقبة». وفي ج: «الثقة» وظاهر أنه تحريف عن «الشبه» وهي لون يخالف معظم لون الشيء. والمراد النمنمة

التي في الصدر.

(١٠) ظاهر أنه يريد بالترائك أو ضدها اللاتي تركتهن بالفلاة: والمليم (بضم الميم): الذي يفعل ما يلام عليه.

(١١) طمت: أسرعت.

(١٢) كذا في ج: وفي سائر الأصول: «يواطن».

(١٣) الوقضاء: القصيرة.

قَطَاةٌ مُزَاحِمٌ وَأَبِي الْمُثَنَّى عَلَى حُوزِيَّةٍ ^(١) صُلْبٍ شَوَاهَا
 غَدَتْ كَالْقَطَرَةِ السَّفَوَاءِ ^(٢) تَهْوِي أَمَامَ مُجَلْجَلٍ ^(٣) زَجَلٍ نَفَاهَا
 / تَكْفًا كَالْجُمَانَةِ لَا تُبَالِي أِبَالْمَوْمَاةِ أَضْحَتْ أَم سَوَاهَا
 نَبَتْ مِنْهَا الْعَجِيزَةُ فَأَحْزَأَتْ ^(٤) وَتَبَسَّ ^(٥) لِلتَّقْطُلِ مَنَكِبَاهَا
 / كَأَنَّ كَعْبَهَا أَطْرَافُ نَبَلٍ كَسَاهَا الرَّاظِقِيَّةُ ^(٦) مَن بَرَاهَا

١٦١
٧

[٢٦٣/٨]

قال: واحتكموا إلى ليلي الأخيلىة، فحكمت لأوس بن غلفاء.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن مُعْرُزٍ الباهلي قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْدٌ ^(٧) بن ثور والعَجِير السُّلُولِي ومُزَاحِم العُقَيْلِي وأوس بن غلفاء الهَجِيمِي أنهم تحاكموا إلى ليلي الأخيلىة لَمَّا وصفوا القطاة أيهم أحسن وصفا لها؛ فقالت:

أَلَا كُلَّ مَا قَالَ الرُّوَاةُ وَأَنْشَدُوا بِهَا غَيْرَ مَا قَالَ السُّلُولِي بِهَرَجٍ
 وَحَكَمْتُ لَهُ. فَقَالَ حُمَيْدٌ بَن ثَوْرٍ يَهْجُوها:

كَأَنَّكَ وَزَهَاءُ ^(٨) الْعِنَائِيْنِ بَغْلَةٌ رَأَتْ حُصْنًا فَعَارَضَتْهُنَّ تَشَحُّجُ
 وَوَجَدَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَذْكُورَةً عَنْ دَمَازٍ عَنْهُ وَأَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَيْيَاتِ الْعَجِيرِ فَأَنْشَدَهُ:
 تَجُوبُ الدُّجَى سَكَّاءُ مِنْ دُونِ فَرْخِهَا بِمَطْلَى أَرِيكَ نَفْنَفٌ ^(٩) وَسُهُوبُ
 فَجَاءَتْ وَقَرْنُ الشَّمْسِ بَادٍ كَأَنَّهُ هَجَانٌ بِصَحْرَاءِ الْخَيْبِ ^(١٠) شُبُوبُ
 لِيَسْقِي أَفْرَاحًا لَهَا قَدْ تَبَلَّلَتْ حَلَاقِيمُ أَسْمَاطٍ ^(١١) لَهَا وَقَلُوبُ
 قِصَارُ الْخُطَا زُغْبُ الرُّوَسِ كَأَنَّهَُا كُرَاتٌ تَلْقَى مِسْرَةً وَتَلْسُوبُ ^(١٢)

(١) كذا في جـ والحوزية (بالضم): الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها، أو هي التي عندها سير مذخور من سيرها أي التي تغلب غيرها بالهويني وعندها سير مذخور لم تبذله أو هي التي لها خلفه انقطعت عن الإبل في خلفتها وفراحتها كما تقول: منقطع القرين. (راجع «القاموس وشرحه» مادة حوز). وفي سائر الأصول: «حوزية» وهو تحريف.

(٢) السفواء: السريعة.

(٣) المججلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد. وغيث زجل: لرعده صوت.

(٤) احزأت: ارتفعت.

(٥) تبس: تحرك. والتقتل: التثني والتبختر. وفي الأصول ما عدا جـ: «للتقتل» بالفاء.

(٦) الراظقية: ثياب كتان بيض.

(٧) كذا في جميع الأصول. والمعروف أن أبا عبيدة معمر بن المثنى الذي كان يعاصر الرشيد لم يعاصر هؤلاء النفر الذين كانوا في صدر الدولة الأموية. ولعل صوابه: «... عن أبي عبيدة قال: إن حميد بن ثور... إلخ» أو أن في السند نقصاً.

(٨) الوهَاء: المخرقاء.

(٩) المطلقى: مسيل ضيق من الأرض. وأريك (كأمير): واد بديار بني مرة. والنفن: المفازة. والسهوب: الفلوات.

(١٠) هجان: أبيض. الخيب: الأصل فيه جبل من رمل لا طيء بالأرض، ويريد هنا موضعاً بعينه. وشبوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو. شبه قرن الشمس بفرس أبيض تجاوز رجلاه يديه حين يشتد في العدو حتى يصير كالكرة.

(١١) حلاقيم أسماط أي لا سمة فيها.

(١٢) تلوب: تمطش.

/ فأما ما ذكرتُ من رواية تُغلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعي أن أبا الحُضَير [٢٦٤/٨] أنشده لعمر بن عُقَيْل بن الحَجَّاج الهُجَيمِي:

أما القطاة فلاني سوف أنعتها
نعتاً يُوافِقُ نعتي بعض ما فيها
صفراء مطروقة في ريشها خَطَبٌ
صُفْرٌ قوادمها سُودٌ خَوافِها
منقارها كنواة القنسب قلمها
بمبرد حاذق الكفيسن يبريها
تمشي كمشي فتاة الحي سرعة
حذار قوم إلى سحر يسوارها

- قال الأصمعي: مطروقة يعني أن ريشها بعضه فوق بعض. والخَطَب: لون الرماد، يقال للمشي به أخطب -.

تتناش صفراء مطروقة بقيتها
قد كاد يَأْزِي عن الدُعموص آزيها
- تتناش: تتناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول. وقوله: يَأْزِي أي يَقِلُّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدُعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص -.

تسقي رذيتين بالمؤماة قوتهما
في ثغرة النحر من أعلى ترأقها
- الرذي: الساقط من الضعف. يعني فرخيها -.

كان هيدبة^(١) من فوق جُؤجئها
أو جزؤ حنظلة لم يعد رامها
- جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعد من العداء، أي لم يعد عليها فيكسرهما -.

١٦٢
٧

/ تشق من حيث لم تُبعِدْ مُصْعِدَة
ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مهاويها
حتى إذا استأنسا للوقت واحتضرت^(٢)
توجسا الوحي منها عند غاشيها

- ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوجسا: سمعا. وخيها أي سرعة طيرانها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما -.

[٢٦٥/٨]

/ ترقعا عن شؤون غير ذاكية
على ليدني أعالي المهدي أذحيها^(٣)

- الذاكية: الشديدة الحركة. والمهدي: أفحوصها. ولديدها: جانبها -.

مذا إليها بأفواه مُزَيَّنة
صُغداً ليستزلا الأرزاق من فيها
كانها حين مَذاها لجئاتها
طلَى بواطنها بالورس طاليها
- جئاتها أي جنات عليهما بصدرها لتزقهما -.

حنئين رَضاً رُفَاضَ البَيضِ عن رَغَبٍ
وُزُقٍ^(٤) أسافلها بيض أعاليها
حنئين: دقيقين ضاويين. رَضاً: كسراً. والرُفَاض: ما أرفض وتفرق -.

(١) الهيدبة: خمل الثوب.

(٢) احتضرت: حضرت.

(٣) الأدحى: موضع البيض الذي يفرخ فيه.

(٤) الورقة: سواد في غبرة.

تَرَادَا حِينَ قَامَا ثُمَّتَ احْتِطَبَا عَلَى نَحَاسَفَ مُنَادٍ مَحَانِيهَا
 ترَادَا: تثنيا. واحتطبا: دَنُوا. والمنَاد: المنعطف. ومَحَانِيهَا: حيث أَنَحْتُ -
 تَكَادَ مِنْ لِينِهَا تَنَادَ اشْوَقُهَا نَأْوَدَ الرَّئِيلَ^(١) لَمْ تَعْرِمْ نَوَامِيهَا
 - تعرم: تشتد. ونواميها: أعاليها -:

لَا أَشْتَكِي نَوْشَةَ^(٢) الْإِيَامِ مِنْ وَرَقِي إِلَّا إِلَى مَنْ أَنْ سَوْفَ يُشْكِيهَا^(٣)
 لِدِلْهِمْ مَأْثَرَاتٌ قَدْ عُدِدْنَ لَهُ إِنَّ الْمَأْثَرَ مَعْدُودٌ مَسَاعِيهَا
 تَنْمِي بِهِ فِي بَنِي لَأَيِّ دَعَائِمُهَا وَمَنْ جُمَانَةَ لَمْ تَخْضَعْ سَوَارِيهَا
 بَنَى لَهُ فِي يَبُوتِ الْمَجْدِ وَالْهُدَى وَلَيْسَ مَنْ لَيْسَ يَنْبِيهَا كِبَانِيهَا

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضَّبْعِيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدها بخط محمد بن داود بن الجراح [٢٦٦/٨] عن إسماعيل بن يونس الشَّيْبِيّ شيخنا رحمه / الله عن أخيه عن أبيّ محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلم: جُمَانَةُ أَبْنِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْهَجِيمِ، وَهُمْ أَخَوَالِ^(٤) دِلْهِمْ هَذَا الْمَمْدُوح. ودلهم من بني لَأَيٍّ ثُمَّ مِنْ بَنِي يَزِيدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ بَذَلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْهَيْثَمِ، وَكَانَ أَحَدَ الشُّجْعَانِ، وَهُوَ قَتَلَ الضَّحَّاكَ^(٥) بَنِ قَيْسِ الْخَارِجِيِّ بِيَدِهِ مَعَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ لَيْلَةَ كَفَرْتَوْنَا^(٦).

من المائة المختارة عن علي بن يحيى

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا أَرَاكَ تُفِيقُ طَالَمَا قَدْ تَعَلَّقْتُكَ الْعُلُوقُ^(٧)
 مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حَبِيبٍ قَرِيباً فَأَنَا النَّازِحُ الْبَعِيدُ السَّحِيقُ
 قُسِدَرَ الْحَبِّ بَيْنَنَا فَالْتَقِينَا وَكَلَانَا إِلَى اللَّقَاءِ مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفي / خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أيضاً

(١) الربل: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتت يورق أخضر من غير مطر.

(٢) النوش: التناول.

(٣) يشكيها: يريد ينصف منها ويزيل أسباب شكواها.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «وهو أخ لدلهم» وهو تحريف، كما هو ظاهر من سياق نسب دلهم.

(٥) هو الضحّاك بن قيس الشيباني الحروري، خرج على مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومائة بالجزيرة واستولى على الموصل وكورها، فكتب إلى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير إليه، ثم سار إليه مروان وقتله. (انظر «الكامل» لأبي الأثير جـ ٥ ص ٢٥٤، ٢٦٥ - ٢٦٧).

(٦) كفرتونا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

(٧) العلق: جمع علق، كأسود وأسد، وشجون وشجن، والعلق: الهوى والحب. يريد طالما تعلق بك هموم الحب وأشجانه.

لَمْخَارِقُ^(١) خفيف ثقیل بالوسطى عن الهشامي. وفيه لَعْلُوبُهُ رَمْلٌ بالبصرة عنه^(٢) وعن الهشامي. ويابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خبراً فأذكره.

[٢٦٧/أ]

الصوت

من المائة المختارة

مَنْ لِقَلْبٍ أَصْحَى بِكَمْ مُسْتَهَامَا خَائِفاً لِلْوُشَاةِ يُخْفِي الْكَلَامَا
إِنْ طَرَفِي رَسُولٌ نَفْسِي وَنَفْسِي عَنْ فَوَادِي تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَا

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره. والغناء لرياض جارية أبي حماد خفيف ثقیل بالوسطى. وكان أبو حماد هذا أحد القواد الخراسانية ومن أولاد الدعاة، وكان يُعَاشِرُ إِسْحَاقَ وَيَزَّهَ وَيُهَادِيه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً؛ وكانت محسنة ضاربة كثيرة الرواية؛ وأحب إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفع من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للوائق قضاءً لحقّ مولاها. وليس فيما قلته في هذا لأن الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصب له مثل مُتَيْمٍ وأبي دُلْفٍ وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكة لمولاها لم تخرج من يده ولا شهّرت ولا روي لها خبر.

الصوت

من المائة المختارة عن علي بن يحيى

رَاحَ صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءً مِنْ حَبِيبِ طَلَّابِهِ لِي عَنَاءُ
حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُدْ فَعَى لَشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ
مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَسَا حَيْثُ عَنْهُ عَزَاءُ
أُمُّ عَثْمَانَ قَدْ قَتَلْتِ قَتِيلًا عَمْدَ عَيْنٍ قَتَلْتِيسَهُ لَا خَطَاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره. والغناء لنافع بن طنبورة، ولحنه المختار خفيف ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحنٌ لعبدالله بن طاهر ثاني ثقیل / من جيّد صنّعته، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته، وله [٢٦٨/أ] خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طنبورة يُكْنَى أبا عبدالله، مُغْنٍ^(٣) محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقب نَقَشَ الْغَضَارِ لحسن وجهه. وجعلته جميلة في المرتبة، لما اجتمع المغنون إليها، بعد نافع وبُذَيْجٍ وقبل مالك بن أبي السَّمْح. وغناها يومئذ:

يَا طُؤْلَ لَيْلِي وَبَيْتُ لَمْ أَنْمِ وَسَادِي الْهَمُّ مُبِطُنٌ سَقَمِي
أَنْ قَمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ وَأَبِ صَرْتُ رَقَاشًا فَلَيْتَ لَمْ أَقْمِ^(٤)

(١) في الأصول: «لابن مخارق» وظاهر أنه محرف عما أثبتناه.

(٢) هذه الكلمة «عنه» وردت في جميع الأصول.

(٣) في ب، س: «ابن معن» وهو تحريف.

(٤) في ب، س: «أَنْ نَمْتُ... فَلَيْتَ لَمْ أَنْمِ» وهو تحريف.

١٦٤/٧ فقالت جميلة: أحسنت والله يا نقش الغضار ويا حلو اللسان ويا حسن البيان! . ولم يفارق / ابن طنبورة الحجاز ولا خدام الخلفاء ولا أنتجمعهم بصنعة فحمل ذكره.

نصوت

من المائة المختارة عن علي بن يحيى

عَتَقَ الْفَوَازُ مِنَ الصُّبَا	وَمِنَ السَّفَاهَةِ وَالْعَلَاقِ
وَحَطَطْتُ رَحْلِي عَنْ قُلُوبِ	صِ الْغِيِّ فِي قُلُوبِ عِتَاقِ
وَرَفَعْتُ فُضْلَ إِزَارِي أَلْ	مَجْرُورِ عَيْنِ قَدَمِي وَسَاقِي
وَكَفَفْتُ غَرْبَ النَّفْسِ حَتَّى	سَى مَا تَوَقُّ إِلَى مِتَاقِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . والغناء لابن عباد الكاتب . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل ، وقيل : إنه لغيره .



مركز تحقيقات کتب و اسناد

[٢٦٩/٨]

/ أخبار سعيد بن عبد الرحمن

سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته في الشعر:

وقد مضى نسبه في نسب جدّه حسان بن ثابت متدماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية، متوسط في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أمية فمدحهم ووصلوه. ولم تكن له نباهة أبيه وجدّه.

وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه:

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدثني أبو عمرو الخَصَاف عن العُتْبِي قال:

خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم معاونته، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلق أمراته العثمانية ليتزوج أختها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباه أن يزوجه. فمر يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسان؟ قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدمك؟ قال: وفدت على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحتهم من أهله، فلم أنل منه خطوة ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تحب، فأقم حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشدني قصيدة بلغثني لك فشوقتني إليك، وغُثيت في بعضها، فلم أزل أتمنى لقاءك. فقال: أي قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنة سغدي ولم تُوفِ بالمهدِ	ولم تشفِ قلباً تيمنه على عمَدِ
/ نَعَمْ أَفْمُودِ أَنْتَ إِنْ شَطَطِ النَّوَى	بِسُغْدِي وَمَا مِنْ فُرْقَةٍ الدَّهْرِ مِنْ رَدٍّ ^(١)
كَأَنَّ قَدْ رَأَيْتَ الْبَيْنَ لَا شَيْءَ دُونَهُ	فَمِ الْآنَ أَغْلِنِ مَا تُسِرُّ مِنَ الْوَجْدِ
لَعَلَّكَ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى	مُلَاقِي كَمَا لَاقَى ابْنُ عَجْلَانَ ^(٢) مِنْ هِنْدِ
فَوَيْلُ ابْنِ ^(٣) سَلَمَى خُلَّةً غَيْرَ أَنَّهَا	تُبْلَغُ مِنِّي وَهِيَ مَازِحَةٌ جِدِّي
/ وَتَسْدُنُو لَنَا فِي الْقَوْلِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ	فَمَا إِنْ بَسَلَمَى ^(٤) مِنْ دُنُوٍّ وَلَا بَعْدِ

[٢٧٠/٨]

١٦٥
٧

(١) مي أ، م: «من يذ».

(٢) هو عبدالله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، جاهلي يضرب به المثل في العشق. وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدي، تتصل بعبدالله هذا في النسب. (انظر قصتهما مطولة في كتاب «تزيين الأسواق» ج ١ ص ٩٠، و«الأغاني» ج ١٩ ص ١٠٢ طبع بلاق).

(٣) كذا في الأصول. ولعله «فويل أم سلمى إلخ» أو «فيا ويل سلمى».

(٤) كذا في ج وفي سائر الأصول. «فما أن تسلى».

ومهما أكن جلدًا عليه فلأنني
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطعت^(١) به
كأنني أرى في هجرها، أي ساعة
ومن أجلها صافيتُ مَنْ لا تُردُّني
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَدَى
وأقصيتُ مَنْ قد كنتُ أذني مكانه
فإن يكُ أمسى وصلٌ سَلَمَى خلافةً
فأصبح ما مَتَّكَ دِينًا مُسَوِّفًا
تجود بتقريب السذي هو أجلُّ
وقد قلت إذا هَدَّتْ إلينا تحيةً
سقي الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتُ به

على هجرها غيرُ الصُّبور ولا الجَلْدِ
فجانبته فيما أُسرَ وما أُبدي
هَمَمْتُ به، موتى وفي وصلها خُلدي
عليه له قُرْبَى ولا نعمةً عندي
يقولون أقوالاً أمضُوا بها جُلدي
وأدنيْتُ مَنْ قد كنتُ أقصيته جَهدي
فما أنا بالمفتون في مثلها وحدي
لواه غريمٌ ذو أعتلالٍ وذو جَحْدِ
من الوعد مطولٌ وتبخلُ بالتَّقدِ
عليها سلامُ الله من نازح مُهْدِي
ونجدًا إذا صارت نَواها إلى نجدِ

[٢٧١/٨] / قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خديهِ حتى فرغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفْد أحد ولا معونته ما بقيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إنَّكَ بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن^(٢) تعدم ما تُجبه ما بقيت. فلم يزل معه زمانًا، ثم استأذنه وأنصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءً نُسبته:

نصوت

أبائتُ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعهدِ
ومهما أكن جلدًا عليه فلأنني
ولم تشفِ قلباً أقصدته على عُمْدِ
على هجرها غيرُ الصُّبور ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقیل أوّل بالوسطى عن الهشامي. من هذه القصيدة:

نصوت

وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَدَى
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطعت به
يقولون أقوالاً أمضُوا بها جُلدي
فجانبته فيما أُسرَ وما أُبدي

الغناء لابن مُحرز ثاني ثقیل بالبصر عن عمرو.

قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدَّثني عُمَي ومحمد بن الضحاك بن عثمان قال^(٣):

(١) أي كُلت وأصيت.

(٢) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «فلم» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «قال».

وقد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأرادته على نفسه، وكان لوطياً زنديقاً؛ فدخل سعيد على هشام مغضباً وهو يقول:

إنه والله لولا أنت لم ينح مني سالماً عبد الصمد

/ فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنه قد رام مني خطئة لم يرمنها قبله مني أحد

/ فقال: وما هي؟ قال:

رام جهلاً بي وجهلاً بأبي يُدخل الأفعى إلى خيس الأسد

قال: فضحك هشام وقال له: لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك.

سأل أبا بكر بن محمد حاجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها وقضاها غيره فجهاه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال أخبرنا ابن عائشة [لا أعلمه^(١)] [لا عن أبيه]

قال:

سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان صديقاً له حاجة - وقال هشام بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة - يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له، ففرغ فيها إلى غيره فقضاها؛ فقال:

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتي تولي سواكم خفدتها وأصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأيي مقصّر ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا ما أرادته على الخير مرة عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال ابن عمار: وقد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً.

مدح عدي بن الرقاع شعره:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال:

قال رجل من الأنصار لعدي بن الرقاع: أكتبني^(٢) شيئاً من شعرك. قال: ومن أي العرب أنت؟ قال: أنا رجل

من الأنصار. قال: ومن منكم القائل:

/ إن الحمائم إلى الحجاز بهيج لي طرباً ترثمه إذا ترثم

والبرق حين أشيمه متيامناً وجنائب الأرواح حين تنسّم

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصول.

(٢) كذا في أ. وأكتبه شعره وغيره: أملاه عليه. وفي سائر الأصول: «أكتب لي...».

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فأكتب شعره، فلست تحتاج معه إلى غيره.

وفي أول هذه القصيدة غناءً نسبته:

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأَيُّ ما بك تكثُمُ والشَّوقُ^(١) يُظهِرُ ما تُسِرُّ فيُعَلِّمُ
وحملتُ سُقْمًا من علائقِ حبِّها والحبُّ يَغْلِقُ الصَّحِيحُ فيَسْقَمُ

الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي، وذكره إبراهيم له ولم يجنسه وفي هذه القصيدة يقول:

علوِيَّةُ أَمَسَتْ ودونِ وصالِها مضمَارُ مصرَ وعابِدُ^(٢) والقُلُزُ
خَوَذَ تَطْلِيفُ بها نواعِمُ كالذَّمَى مما أصطفى ذو الثَّيْقَةِ^(٣) المتوسِّمُ
حُلَيْنَ مَرْجَانِ البحورِ وجوهرًا كالجمر فيه على النحور يُنْظَمُ
قالت وماء العين يغسل كحلها عند الفراق بمستهلِّ يَسْجُمُ
يا ليت أنك يا سعيد بأرضنا تُلقِي المَرَّاسِيَّ ثاويًا وتُخَيِّمُ
فتُصِيبُ^(٤) لَذَّةَ عَيْشِنَا ورِخاءَه فنكون أجواراً فماذا تَنَقِّمُ

/ لا تَرْجِعَنَّ إلى الحجازِ فإنَّه بِلَدِّ به عيشُ الكريمِ مُذَمَّمُ
وهَلُمَّ جَاوِزَنَا فقلتُ لها أَقْصِرِي عيشُ بطَيْيئةَ ويحَ غَيْرِكَ أَنْعَمُ
/ أَيُّقَارِقُ الوَطَنُ الحَيِّبُ لمنزِلِ ناءٍ وَيُشْرِي^(٥) بالحديثِ الأقدمُ
إِنَّ الحمامَ إلى الحجازِ يَهِيْجُ لي طَرِبًا تَرْتُمُه إذا يَتَسَرَّعُ
والبرقُ حينَ أَشِيْمُه متيامنًا وجنائِبُ الأرواحِ حينَ تَنَسَّمُ
لو لَحَ ذو قَسَمٍ على أن لم يكن في الناسِ مُشَبِّهًا لَبَرِّ المُقَسَّمُ
من أجلها تَرْكِي القَرَارَ وخَفَضَه وَتَجَشَّمِي ما لم أكن أَتَجَشَّمُ
ولقد كَتَمْتُ غداةً بَانتَ حاجةً^(٦) فسي الصدر لم يعلم بها متكلَّمُ
تَشْفِي برويتها السَّقيمَ وترتمى حَسْبَ القلوبِ، رَمِيْها لا يَسْلَمُ

[٢٧٤/٨]

١٦٧
V

(١) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «ولسوف».
(٢) كذا في «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على القلزم. وعابد: جبل بمصر، وقيل: موضع أو صقع بها. وفي الأصول: «عائد» وهو تصحيف. والقلزم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم.
(٣) النيقة: اسم للثوب أي التخير.
(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فتصيب» بالنون.
(٥) يشري هنا: يباع. يقال: شراه إذا باعه، وشراه إذا ملكه بالشراء، فهو من أفعال الأضداد.
(٦) كذا في حد وفي سائر الأصول: «حاجتي».

رَفَرَاقَةٌ فِي عُنُقِهِ شَبَابُهَا فِيهَا عَنِ الْخُلُقِ الدَّنِيِّ تَكْرُمُ
ضَمَّتْ عَلَى مُغَرِّ بِطُولِ سَوَالِهَا صَبَّ كَمَا يَسْلُ الْغَنِيِّ الْمُغْدِمُ

سأل عنبة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرق متاعه فقال شعر:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرّمازي قال:

خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عنبة بن سعيد بن العاصي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة، فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرده لصّ فسرق متاعه وكلّ شيء كان معه؛ فأتى عنبة فتجنّزه ما وعده؛ فاعتلّ عليه ودافعه؛ فرجع سعيد من عنده فأرتجل وقال:

أَعْتَبَسَ قَدْ كُنْتَ لَا تَعْتَزِي^(١) إِلَى عِدَّةٍ مِنْكَ كَانَتْ ضَلَالًا
/ وَعَدْتَ عِدَاتٍ لَوْ أَنْجَزْتَهَا إِذَا لَحِمْتَ وَلَمْ تُرَزْ^(٢) مَالًا
وَمَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ قَدْ شَفَعْتَ فَأَعْطَى الْخَلِيفَةُ عَفْوَاً نَوَالًا
وَقَدْ يُنْجِزُ الْحَرُّ مَوْعِدَهُ وَيَفْعَلُ مَا كَانَ بِالْأَمْسِ قَالًا
فِي الْيَتَنِيِّ وَالْمُنَى كَأَسْمِهَا وَقَدْ يَصْرِفُ الدَّهْرُ حَالًا فَحَالًا
قَعَدْتُ وَلَمْ أَلْتَمَسْ مَا وَعَدْتُ وَيُنَالِيكَ وَعْدُكَ كَانَ أَعْتِلَالًا
وَكُنْتَ نَعَمٌ مِنْكَ مَخْزُونَةٌ وَقُلْتُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَلَا
أَرَى كَذِبَ الْقَوْلِ مِنْ شَرِّ مَا يُعَدُّ إِذَا النَّاسُ عَدُّوا الْخِصَالًا
فَأَبْقَيْتَ لِي عَنْكَ مَنَدُوحَةً وَنَفْسًا عَزُوفًا تُقِلُّ السُّؤَالَ
فَإِنْ عَدْتُ أَرْجُوكُمْ بَعْدَهَا فَبُدِّلْتُ بَعْدَ الْعَلَاءِ السَّفَالًا
أَرْجُوكَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ عَزَفْتُ^(٣) لَعَمْرِي لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا عُضَالًا

لقي الوليد لما حج فاستأنس به الوليد:

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبَانِي يَأْتِرُهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نزله وأعطاه وكساه وشفع له. فلما حجّ الوليد لقيه سعيد بن عبد الرحمن في أول من لقيه، فسلم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيّاه وقربه وأمر بإنزاله معه وبسطه، ولم يأنس بأحد أنسه به. وأنشده سعيد قوله فيه:

يَا لَقَوْمِي لِلْهَجْرِ بَعْدَ التَّصَافِي وَتَنَائِي الْجَمِيعِ بَعْدَ اتِّتِلَافِ
/ مَا شَجَا الْقَلْبَ بَعْدَ طُولِ أَنْدَمَالِ غَيْرُ هَابٍ^(٤) كَالْفَرْخِ بَيْنَ أَثَافِي

(١) تعتزي: تتسب.

(٢) ترز: أصلها «ترزا» سهلت الهمزة ثم حذف للجازم.

(٣) كذا في ب، س: بالزاي المعجمة. وفي سائر الأصول: «عرفت» بالراء المهملة.

(٤) الهابي: الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجو كالهباء، وأنشد الأصمعي:

ونعيب الغراب في عَرَصَةِ الدار ونُؤَيِّ تَشْقِي عليه السَّوْافِي
[٢٧٦/٨] / وقد رَوَى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان قال: رأى عَلَيُّ بْنُ عَمْرٍ أَوْضاحاً^(١) فقال: أَلْقِهَا عَنْكَ فَقَدْ كَبُرَتْ.

نصوت

من المائة المختارة من رواية جَخْظَةَ

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَيَّ الْقَلْبِ مَنِي
فِيكَ إِلَّا أَسْتَرْتُ^(٢) عَنْ أَصْحَابِي
مَنْ دَمَوْعٍ تَجْرِي فَلَنْ^(٣) كُنْتُ وَحْدِي
خَالِياً أَسْعَدْتُ دَمَوْعِي انْتِحَابِي
إِنْ حُبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جَنَمِي
وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ
إِزْحَمِي^(٤) عَاشِقاً لَكَ الْيَوْمَ صَبَا
هَائِمَ الْعَقْلِ قَدْ تَوَى فِي الثَّرَابِ
الشعر للسيّد الجُمَيْرِي، والغناء لمحمد نَعْجَة خفيف رمل أيضاً. ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيّد متقدماً.

نصوت

من المائة المختارة

أَكْرَعُ الْكَرْعَةَ الرَّوِيَّةَ مِنْهَا
ثُمَّ أَصْحَوْ وَمَا شَفَيْتُ غَلِيلِي
كَمْ أَتَى دُونَ عَهْدِ أُمِّ جَمِيلٍ
مَنْ أَنَسِي^(٥) حَاجَةً وَلُبُّنٌ طَوِيلٍ
وَصِيَاحُ الْغُرَابِ أَنْ سِرَ فَاَسْرِعْ
سَوْفَ تَحْظَى بِنَائِلٍ وَقُبُولٍ
الشعر للأحوص. والغناء للبرّدان خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر.

= به ربح ترح والصبا كل مجفل

وهاب كجثمان الحمامة أجفلت

(١) الأوضح: حلى من الفضة.

(٢) كذا في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٢٨ من هذه الطبعة. وفي الأصول هنا: «إلا اشهرت من أصحابي» وهو تحريف.

(٣) كذا في «الأغاني» في الموضع السابق. وفي الأصول: «فأبكيته وحدي» وهو تحريف.

(٤) ورد هذا الشطر فيمَا مَرَّ هَكَذَا: «لو منحت اللقاء شقي بك صبا».

(٥) إني حاجة: إدراكها وبلوغها. والإني: التأخير أيضاً وهو المراد هنا.

[٢٧٧/أ]

/ أخبار البردانة

كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزة الميلاء :

البردان لقب غلب عليه . ومن الناس من يقول : بردان من أهل المدينة ، وأخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء . وكان مُعَدَّلاً مقبول الشهادة ، وكان متولي السوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيات حدثني أبو أيوب المدني عن محمد بن سلام قال : هو بردان بضم الباء وتسكين الراء . أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر وحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خردادبه قال قال إسحاق :

كان بردان متولي السوق بالمدينة . فقدم إليه رجل خصماً يدعي عليه حقاً ؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلم منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدَّ ؛ فقال : لعلك تعني الغناء ! إني والله به لعارف ؛ ولو سمعت شيئاً جاء البارحة لازددت علماً بأنني عارف ، ومهما جهلت فلاني بوجوب الحق عليك عالم ؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه .

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً :

قال وحدثني أبو أيوب عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال :

رأيت البردانة بالمدينة يتولى سوقها وقد أسن ؛ فقلت له : يا عم ، إني / رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأحببتُ أن ^{١٦٩}/_٧ تصححه لي . فضحك ثم قال : نعم يا بُنَيَّ وحباً وكرامة . لعله :

كم أتى دون عهد أم جميل

فقلت : قال : مل بنا إلى ها هنا ؛ فمال بي إلى دار في السوق ، ثم قال : غَنِّه ؛ فقلت : بل تُتَمَّ إحسانك يا عم وتغنييني به فإنه أطيب لنفسي ؛ فإن سمعته كما أقول / غنيته وأنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُستَضْلَحٌ أَسْتَعِدَّتْهُ ^(١) . فضحك ثم قال : أنت لست تريد أن تصحح غنائك ، إنما تريد أن تقول سمعتي وأنا شيخ وقد أنقطعْتُ وأنت شاب . فقلت للجماعة ^(٢) : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعَنِي فيما طلبتُ منه ؛ فسألوه ، فاندفع فغناه فأعاده ثلاث مرات ؛ فما رأيْتُ أحسن من غناؤه على كِبَرِ سِنِّه ونقصان صوته . ثم قال : غَنِّه فغنيته ؛ فطرب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنَيَّ ،

(١) لعلها : استفدته .

(٢) لعله يعني جماعة كانوا في الدار التي مال به إليها .

فَأَنْتَ أَحْسَنَ النَّاسِ غِنَاءً، وَلِئِنْ عِشْتَ لَيَكُونَنَّ لَكَ شَأْنٌ. قَالَ: وَكَانَ بُزْدَانٌ خَفِيفَ الرُّوحِ طَيِّبٌ^(١) الْحَدِيثُ مَلِيحُ النَّادِرَةِ مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ قَدْ لَقِيَ النَّاسَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَنِي يَدْعُونِي فَيَأْخُذْنِي مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَسْأَلْنِي أَنْ أُغْنِيَهُ فَأَفْعَلُ؛ فَإِذَا طَابَتْ نَفْسُهُ سَأَلْتَهُ أَنْ يَطْرَحَ عَلَيَّ شَيْئاً مِنْ أَغَانِي الْقَدَمَاءِ فَيَفْعَلُ إِلَى أَنْ أَخْذُلْتُ عَنْهُ عِدَّةَ أَصْوَاتٍ.

صَوْتٌ

من المائة المختارة

لَمَنِ الدِّيَارُ بِحَائِلٍ^(٢) فُوعَالٍ دَرَسْتُ وَغَيَّرَهَا سُنُونُ خَوَالِي
دَرَجَ الْبَوَارِجِ^(٣) فَوَقَهَا فَتَنَكَّرَتْ بَعْدَ الْأَنْبَسِ مَعَارِفُ الْأَطْلَالِ
/ دِمْنُ تُذْغِذِعُهَا^(٤) الرِّيحُ وَتَارَةً تَعْفُو بِمُرْتَجِزِ السَّحَابِ ثَقَالِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ مِنْ تَقَادُمِ عَهْدِهَا وَرَقٌّ نُثِرَ مِنَ الْكِتَابِ بَوَالِي

[٢٧٩/٨]

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أول. وذكر حبش أن لمعبد فيه ثقيلاً أول بالوسطى وأنه أحد السبعة^(٥)، وأن لإسحاق فيه ثاني ثقیل، وذكر الهشامي أن لحن إسحاق خفيف ثقیل.



مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

(١) في أ، م: «حسن الحديث».

(٢) حائل: موضع باليمامة. ووعال (كفراب): جبل قيل إنه بسماعة كلب بين الكوفة والشام. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و«شرح ديوان الأخطل» ص ١٥٦ طبع الآباء اليسوعيين).

(٣) كذا في أ، م و«ديوانه». والبوارح: الرياح الحارة الشديدة. أي جرت الرياح عليها جريانا شديداً فغيرت هيئتها حتى لم تعد تعرف. وفي سائر الأصول: «درج البواكر».

(٤) كذا في ج و«ديوانه». وتذغذعها: تحركها تحريكاً شديداً وتفرقها وتبددها. وفي سائر الأصول: «تزعزعها» بالزاي. والزعزعة: التحريك.

(٥) يريد سبعة أصوات معبد المعروفة بالمدن.

/ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

نسب الأخطل:

هو غِيَاثُ بْنُ غَوْثَ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ الطَّارِقَةِ، ويقال أبن سَيِّحَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْفَدَوَكْسِ بْنِ عمرو بن مالك بن جُشَمَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُثَمِ بْنِ تَغْلِبِ. ويكنى أبا مالك. وقال المدائني: هو غِيَاثُ بْنُ غَوْثَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ طَارِقَةَ، قال: ويقال لِسَلَمَةَ سَلَمَةُ اللَّحَامِ^(١). قال: وبِعثِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّدِ بِأَرْبَعَةِ أَرْمَاحٍ لِفُرسَانِ الْعَرَبِ، فَأَخَذَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ رُمَحًا، وَسَلَمَةُ بْنُ طَارِقَةَ اللَّحَامُ^(٢) رُمَحًا وَهُوَ جَدُّ الْأَخْطَلِ، وَأَتَسُّ بْنُ مُذْرِكٍ رُمَحًا، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ رُمَحًا.

سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب ابن جعيل:

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه. ذكر هارون بن الزيات عن أبن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه؛ فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبت عليه. وذكر يعقوب بن السُّكَيْتِ أَنَّ عُثْبَةَ بْنَ الزَّعَلِ^(٤) بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب / بن الهجرس^(٣) بن تَيْمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ جُشَمَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرٍو بن ١٧٠ غُثَمِ بْنِ تَغْلِبِ حَمَلٌ حَمَالَةً، فَأَتَى قَوْمَهُ يَسْأَلُ فِيهَا؛ فَجَعَلَ الْأَخْطَلُ يَتَكَلَّمُ وَهُوَ يَوْمئِذٍ غَلَامٌ. فقال عُثْبَةُ: مَنْ هَذَا الْغَلَامُ الْأَخْطَلُ؟! فَلُقِبَ بِهِ.

قال يعقوب وقال غير أبي عبيدة: إِنَّ كَعْبَ بْنَ جُعَيْلٍ كَانَ شَاعِرًا تَغْلِبَ، وَكَانَ لَا يَأْتِي مِنْهُمْ قَوْمًا إِلَّا أَكْرَمُوهُ وَضَرَبُوا لَهُ قُبَّةً؛ حَتَّى إِذَا كَانَ تَمَدَّدَ لَهُ حِبَالٌ بَيْنَ وَتَدَيْنِ فَنُتِلَّأَ لَهُ غَنَمًا. فَأَتَى فِي مَالِكِ بْنِ جُشَمَ ففعلوا ذلك به؛ فجاء الأخطل وهو / غلام فأخرج الغنم وطردوها؛ فسبه عُثْبَةُ وَرَدَّ الْغَنَمَ إِلَى مَوَاضِعِهَا؛ فَعَادَ وَأَخْرَجَهَا وَكَعْبٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ [٢٨١/٨] فقال: إِنَّ غَلَامَكُمْ هَذَا الْأَخْطَلُ - وَالْأَخْطَلُ: السَّفِيهَ - فَغْلِبَ عَلَيْهِ. وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا؛ فَقَالَ الْأَخْطَلُ فِيهِ:

سُمِّيَتْ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ [وكان^(٤) أبوك يُسَمَّى الْجُعَلِ
وإنَّ مَحَلَّكَ مِنْ وَائِلٍ محلُّ الْقَرَادِ مِنْ أَسْتِ الْجَمَلِ]

فقال كعب: قد كنتُ أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكرٌ ونَبَأٌ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أهنَّجَ بهما منذ كذا وكذا، فغلبَ عليهما هذا الغلام.

(١) في ج: «سلمة اللحام» بالجمع.

(٢) في ج: «ابن الزغل» بالزاي والغين المعجمتين. وورد في «الطبري» (ق ١ ص ٢٤٧٦ طبع أوروبا): «عُتْبَةُ بْنُ الرَّعْلِ أَحَدُ بَنِي

سعد بن جشم».

(٣) في ج: «ابن الهجر» وفي أ، م: «ابن البحر».

(٤) التكملة عن «ديوانه».

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة بن معاوية المهلبى قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القحطمي قال:

وقع بين أبنى جُعيل وأمهما ذرة^(١) من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم؛ فقال الأخطل:

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبْنَى جُعِيلٍ وَأُمَّهُمَا لِإِسْتَارٍ^(٢) لَيْثِيٍّ

فقال ابن جُعيل: يا غلام، إن هذا لَخَطْلٌ من رأيك؛ ولولا أن أُمِّي سَمِيَّةٌ أُمُّكَ لَتَرَكْتُ أَمَّكَ يحدو بها الرُّكبان؛ فسُمِّي الأخطل بذلك. وكان اسم أمهما وأم الأخطل ليلى.

وقال هارون حدثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن الكلبي عن قوم من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيْدة ممن لم يسمه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذ يُقَرِّزُ^(٣) - والقرزمة: الابتداء بقول / الشعر - فقال له أبوه: أَبَقَرَزَمْتُكَ تُرِيدُ أَنْ تُقَاوِمَ ابْنَ جُعِيلٍ! وضربه. قال: وجاء ابن جُعيل على تَفِيَّةٍ^(٤) ذلك فقال: مَنْ صَاحِبُ الْكَلَامِ؟ فقال أبوه: لَا تَخْفَلْ بِهِ فَإِنَّهُ غَلَامٌ أَخْطَلٌ. فقال له كعب:

شَاهِدْ هَذَا الْوَجْهَ غِبَّ الْحُمَةِ

فقال الأخطل:

فَنَاكَ كَعْبُ بْنُ جُعِيلٍ أُمَّةٌ

فقال كعب: ما اسم أمك؟ قال: ليلى. قال: أردت أن تُعِيذَهَا بِاسْمِ أُمِّي. قال: لَا أَعَاذَهَا اللَّهُ إِذَا. وكان اسم أم الأخطل^(٥) ليلى، وهي امرأة من إِيَادٍ؛ فَيُسَمَّى الأخطل يومئذ، وقال:

هَجَا النَّاسُ لَيْلَى أُمَّ كَعْبٍ فَمُرَّقَتْ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْنَفٌ^(٦) أَنَا رَافِعَةٌ

وقال فيه أيضاً:

هَجَانِي الْمُتَتَنَانِ ابْنَا جُعِيلٍ وَأَيُّ النَّاسِ يَقْتُلُهُ الْهَجَاءُ

وُلِدْتُمْ بَعْدَ إِخْوَتِكُمْ مَنْ أَسَتْ فَهَلَّا جِئْتُمْ مِنْ حَيْثُ جَاؤُوا

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما.

طبقت في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق:

وكان نصرانيّاً من أهل الجزيرة^(٧). ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق

(١) الذرة: الشيء اليسير من القول.

(٢) إستار: أربعة.

(٣) كذا في «معجمات اللغة». وفي الأصول: «يفرزم» بالغيين المعجمة، وهو تصحيف.

(٤) يقال: أتيت على تفتة ذلك أي على حينه وزمانه.

(٥) كذا في الأصول، والظاهر أن صواب العبارة: «وكان اسم أم كعب... إلخ».

(٦) النفنف: الهواء. يريد: لم يبق إلا شيء يسير.

(٧) كذا في ج. والجزيرة: منازل تغلب قبيلة الأخطل. وفي سائر الأصول: «من أهل الحيرة».

طبقة واحدة، فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام. ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن^(١) الجماعة.

/ أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة [٢٨٣/٨] قال:

جاء رجل إلى يونس فقال له: مَنْ أشعر الثلاثة؟ قال: الأخطل. / قلنا: من الثلاثة؟ قال: أي ثلاثة ذكروا فهو^(٢) أشعرهم. قلنا: عَمَنْ تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وأبن أبي إسحاق الحضرمي^(٣) وأبي عمرو بن العلاء وَعَنْبَسَةُ الْفِيلِ وميمون الأقرن الذين ماشوا^(٤) الكلام وطرقوه. أخبرنا به أحمد بن عبدالعزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون. فقلت^(٥) للرجل: سلّه وبأي شيء فضّلوه؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد طوَالِ جِيَادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْشٌ وأشدّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وهب الدقاق: أمّا إِنْ حَمَادٌ^(٥) وَجَنَادٌ كانا لا يفضّلانه. فقال: وما حَمَادٌ وَجَنَادٌ؟ لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبَصِّران الكسور ولا يُفَصِّحان، وأنا أُحَدِّثُكَ عن أبناء تسعين أو أكثر أدّوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيتهم فلم تَشِدْ عنهم زنة كلمة، وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوف بالأجوف وبنات الياه بالياه وبنات الواو بالواو، فلم تَخَفْ عليهم كلمة عربية، وما علّم حَمَادٌ وَجَنَادٌ!

/ قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي: أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها^(٦).

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب قال أخبرنا محمد بن سلام قال سمعت سلمة بن عيَّاش وذكر أهل المجلس جريراً والفرزدق والأخطل ففضّله سلمة عليهما. قال: وكان إذا ذُكِرَ الأخطل يقول: وَمَنْ مثل الأخطل وله في كل [بيت] شعر بيتان! ثم يُشَدُّ قوله:

ولقد علمت إذا العشار تروّحت هَدَجَ الرُّثَالِ تَكْبُهُنَّ شَمَالاً^(٧)
أنا نَعْبُجُ بِالْعَيْطِ^(٨) لَضِيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ ونضرب الأبطالاً

(١) لعلها: «تفضله على الجماعة».

(٢) كذا في «طبقات ابن سلام» ص (٦، ٧، ٨، ١٦) نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «الخضري».

(٣) ماش الكلام: خلطه. ويقال: طرق النجاد الصوف إذا ضربه بالمطرقة وندفه. يريد أنهم يخلطون الكلام ثم يفر بلونه ليستخرجوا أحسنه. وفي ب، س: «ماثوا» بالثاء المثناة، وهو أيضاً بمعنى خلط.

(٤) كذا في جر. وفي سائر الأصول: «فقال للرجل» وهو تحريف.

(٥) يعني حماداً الراوية المعروف. وجناد هو جناد بن واصل الكوفي مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية، وكان يصحف ويكر الشعر ولا يميز بين الأحاديث المختلفة فيخلط بعضها ببعض، وهو من علماء الكوفيين القدماء، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية عن «معجم الأدباء» لياقوت ج ٢ ص ٤٢٥.

(٦) أي يذيعها.

(٧) كذا في «ديوانه» ص ٤٣. والعشار من الإبل: التي أنت عليها عشرة أشهر من ملقحها. وتروّحت: ذهبت في الرواح. والرثال: أولاد النعام. والهَدَج: عدو متقارب. وقوله: تكبهن شمالاً أي تكبهن الريح شمالاً، يريد وهي هابة شمالاً. وفي ب، س:

ولقد علمت إذا الرياح تناسحت هوج الرثال تكبهن شمالاً

وفي سائر الأصول: «... الرياح تناسحت هوج الرثال...».

(٨) العييط من اللحم: الطري (الطازج) غير النضيج.

ثم يقول ولو قال:

ولقد علمت إذا العشا رُ تروحت هَدَجَ الرثال

كان شعراً، وإذا زدت فيه تكبهنَ شمالاً، كان أيضاً شعراً من روي آخر.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال:

كَبَّيْ بن جُعَيْل لَقَبَهُ الْأَخْطَلُ، سمعه يُشَدُّ هَجَاءً فقال: يا غلام إنك لأَخْطَلُ اللُّسَانِ؛ فلزمته.

سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا بعض

أصحابنا عن رجل من بني سَعْد قال:

[٢٨٥/٨] / كُنْتُ مع نوح بن جرير في ظِلِّ شجرة، فقلت له: قَبَحَكَ اللهُ وقبح أباك! أما أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثَقِيف (يعني الحجاج). وأما أنت فامتدحت قُتُمَ بن العباس فلم تهتد لِمَنَاقِبِهِ وَمَنَاقِبِ آبَائِهِ حتى امتدحتَه بقصرِ بناءه. فقال: والله لئن سُوِّتَنِي في هذا الموضع لقد سُوِّتُ في أبي: بينا أنا أكل معه يوماً وفي فيه لقمةً وفي يده أخرى، فقلت: يا أبت، أنت أشعر أم الأخطل؟ فَجَرَضَ^(١) بِاللُّقْمَةِ التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بُنَيَّ، لقد سَرَزْتَنِي وسُوِّتَنِي. فأما سرورك إِيَّاي فَلِتَعَهْدِكَ لي مثل هذا وسؤالك عنه. وأما ما سُوِّتَنِي به فلذِكْرُكَ رجلاً قد مات. يا بُنَيَّ أدركتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به، ولكنني أعانتني عليه خَصْلَتَانِ: كِبَرُ سِنِّ، وَخُبْتُ دِينِ.

آراء الأئمة والشعراء فيه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد وقال:

سُئِلَ حَمَادُ الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَبَ شعره إلى / النَّصْرَانِيَّةِ!.

١٧٢
٧

قال إسحاق وحدثني أبو عُبَيْدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قَدَّمْتُ عليه أحداً.

قال إسحاق وحدثني الأصمعي أن أبا عمرو أنشد بيت شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد.

وذكر يعقوب بن السُّكَيْت عن الأصمعي عن أبي عمرو:

أَنْ جَريراً سُئِلَ أَيُّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فتكَلَّفَ مِنِّي ما لا يُطِيق. وأما الأخطل فأشدُّنا اجترأً

وأرماناً للفرائض. وأما أنا فمدينة الشعر.

/ وقال ابن النطاح حدثني الأصمعي قال:

[٢٨٦/٨]

إنما أدرك جريراً الأخطل وهو شيخٌ قد تحطَّم. وكان الأخطل أَسَنَ من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله

(١) جرض: غص.

نابّ واحد، ولو أدركت له نابين لأكلني. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

قال العلاء بن جرير: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سُكَيْتٌ، والفردق لا يجيء سابقاً [ولا سُكَيْتاً، وجرير يجيء^(١) سابقاً ومُصَلِّياً وسُكَيْتاً].

وقال يعقوب بن السُّكَيْت قال الأصمعي:

قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدنا أجتزأ بالقليل وأنعتنا للحُمُر^(٢) والخمر.

وروى إسماعيل عن عبيد الله عن مؤرج عن شعبة عن سِمَاك بن حَرْب:

أن الفردق دخل الكوفة، فلقبه ضَوْءُ بن اللِّجْلَاج^(٣)؛ فقال له: مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام؟ فقال له: وما تريد إلى ذلك؟ قال: تَمَارَيْنَا فيه. قال: الأخطل أمدَحُ العرب.

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن خَفْص بن عمر قال:

سمعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا خَفْص، فحدثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدَحُ الناسَ لكریم وأوصفه للخمر. قال: وكان أبو عبيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفردق. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابعة لصحة شعره.

/ وقال ابن النطاح حدثني عبدالله بن رُؤبة بن العجاج قال:

كان أبو عمرو يفضل الأخطل.

وقال ابن النطاح حدثني عبدالرحمن بن بَرْزَج قال: كان حماد يفضل الأخطل على جرير والفردق. فقال له الفردق: إنما تفضله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضلتُه بالفسق لفضلتك.

قال ابن النطاح قال لي إسحاق بن مَرَّار الشَّيْبَانِي: الأخطل عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدَحُهم! فقال: لا والله! ولكن أمجأهم. مَنْ منهما يُحْسِنُ أن يقول:

ونحن رفعنا عن سُلُولٍ رماحنا وعَمْداً رغبنا عن دماء بني نَصْرٍ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

قال الأخطل: أشعرُ الناسِ قبيلةَ بنو قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أَبِي^(٤) سُلَمَى وأشعرُ الناسِ رجل^(٥)

في قميصي.

(١) التكملة عن «الأغاني» فيما تقدم في ترجمة جرير ص ٦ من هذا الجزء.

(٢) في «جد»: «اللحم».

(٣) كذا في «شرح القاموس» (مادة «ضواء»). وفي الأصول: «ضوء بن الجلاح».

(٤) يعني بيت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الأشهر. وفي ب، س، جد: «سلمة» وهو تحريف.

(٥) كذا في الأصول. ومقتضى السياق أن يكون: «وأشعرُ الناسِ رجلاً في قميصي» على أن يكون «رجل» تمييزاً، كما كانت «قبيلة» و«بيت» وأن يكون «في قميصي» خبراً.

أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه:

أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخزاز عن المدائني عن علي بن حماد - هكذا قال؛ وأظن علي بن مجاهد - قال:

قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحك:

خَفَ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكُرُوا

[٢٨٨/٨] / سنة فما بلغت كل ما أردت. فقال عبد الملك: فأسمعتها^(١) يا أخطل؛ فأنشده إياها؛ فجعلت أرى عبد الملك يتناول لها؛ ثم قال: وَيَحْك / يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملىث دراهم وألقى عليه خلعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

أنشد عبد الملك شعراً له وازنه بشعر لكثير:

وقال ابن الزيات حدثني جعفر بن محمد بن عيينة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال:

أنشد عبد الملك قول كثير فيه:

فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفي استقالها

فأعجب به. فقال له الأخطل: ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه. قال: وما قلت؟ قال قلت:

أهلوا^(٢) من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملى لا طريف ولا غضب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غضباً؛ قال: صدقت.

حلف باللات أنه أشعر من جرير والفرزدق:

قال أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال أخبرنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو دقاقة^(٣) الشامي مولى قريش عن شيخ

من قريش قال:

رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك؛ فلما أتحدردنوث منه فقلت: يا أبا مالك، من أشعر العرب؟ قال:

هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللات أشعر منهما. قال: فحلف باللات هزواً وأستخفاً بذينه.

[٢٨٩/٨] / وروى هذا الخبر أبو أيوب المديني عن المدائني عن عاصم بن شبيل الجرمي أنه سأل الأخطل عن هذا،

فذكر نحوه، وقال: واللات والعزى.

(١) في ب، س: «ما سمعتها».

(٢) أهلوا من الشهر الحرام: خرجوا في استهلاله. وموالى ملك أي يتولونه.

(٣) في ج: «أبو دقاقة» بقاءين.

نصح له شيباني بالآل يهجو جريراً:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال ذكر
الجرّمازي:

أن رجلاً من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنا، وإن كنا بحيث تعلم من أفتراق العشيرة
وأفصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعة، وإن لك عندي نُصْحاً. فقال: هاتِه، فما كَذَبْتَ. فقلت: إنك قد هجوت
جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ولا سيما أنه يُسِط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة
سباً لا تقدر على سب مُضَرِّ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوة قبله؛ فلو شئت أمسكت عن مُشَارَتِهِ ومُهاَرَّتِهِ. فقال: صدقت
في نُصْحِكَ وعرفتُ مُرادَكَ، وصلتك رَحِمُ! فوالصَّليبِ والقُرْبانِ لأتخلَّصنَّ إلى كُليبِ خاصَّةٍ دون مُضَرِّ بما يلبسُهم
خزيه ويشملهم عاره. ثم أعلم أن العالم بالشعر لا يُيالي وحق الصليب إذا مرَّ به البيت المُعَاير^(١) السائر الجيد،
أُسنِلِم قاله أم نصراني.

أنشد عبدالملك من شعره وتخيله في حانوت بدمشق فبحث عنه فكان كما ظن:

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِي عن أبي الحسن المدائني قال: أصبح عبدالملك يوماً في غداة
باردة، فتمثل قول الأخطل:

إذا أصطبَحَ الفتى منها ثلاثاً بغير الماءِ حاول أن يَطُولا
مَشَى قَرشِيَّةً لا شكَّ فيها وأرَخى من مآزره القُضولا
ثم قال: كأني أنظر إليه الساعة مُجَلَّل^(٢) الإزار مستقبِل الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشق؛ ثم بعث رجلاً يطلبه
فوجده كما ذكره.

/ قال أبو عمر لأبي حَيَّة وقد أنشده معجباً بنفسه: كأنك الأخطل:

وقال هارون بن الزيات حدثني طائع عن الأصمعي قال: أنشد أبو حَيَّة التَّمِيرِي يوماً أبا عمرو:
يا لَمَعَدُ ويا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ ويا لَغائِبِهِمْ يوماً وَمَنْ شَهِدا

/ كأنه مُعَجَّبٌ بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لَتُعَجَّبُ بنفسك كأنك الأخطل.

عرض عليه عبدالملك الإسلام وحواره معه في ذلك:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن عبدالرحمن التَّيْمِي عن هشام بن سليمان المخزومي:
أن الأخطل قدم على عبدالملك، فنزل على ابن سرحون^(٣) كاتبه. فقال عبدالملك: على مَنْ نزلت؟ قال:

(١) المعايير: المتداول بين الناس. وفي ب، س: «العائر» وهو أيضاً السائر بين الناس.

(٢) لعل صوابه «مجللاً بالإزار» أي مغطى به.

(٣) كذا في الأصول. والذي في «العقد الفريد» (ج ٢ ص ٣١٧): «وكان كاتبه - يعني عبدالملك - سرحون بن منصور الرومي». وذكره
الطبري باسم «سرحون بن منصور الرومي» بالجيم، وذكر أنه كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم لمعاوية بن يزيد بن معاوية.

على فلان. قال: قاتلك الله! ما أعلمك بصالح المنازل! فما تريد أن يُنزلك؟^(١) قال: دَرَمَكَ^(٢) من دَرَمَكُم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس^(٣). فضحك عبد الملك ثم قال له: وَيْلَكَ! وعلى أي شيء أقتلنا إلا على هذا! ثم قال: أَلَا تُسَلِّمُ فَتَفَرِّضَ لك في الفَيءِ^(٤) ونُعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإن أُوْنِها لَمُر وإن آخِرَها لَسُكْرًا فقال: أما إذ قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لَمَنْزِلَةً ما مُلْكُكَ فيها إلا كَعَلْقَةِ ماء من الفرات بالإصبع. فضحك ثم قال: أَلَا تَزور الحَجَّاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائع أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قُرْبَه على قربك؛ إنني إذا لَكَمَا قال الشاعر:

[٢٩١/٨] / كَمُبْتَاعٍ لِيَرْكَبَهُ حِمَاراً تَخَيَّرَهُ^(٥) مِنَ الْفَرَسِ الْكَبِيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجَّاج؛ فمدحه بقوله:

صَرَمْتُ جِبَالَكَ زَيْنَبُ وَرَعُومُ^(٦) وَبَدَا الْمُجَنِّجُ^(٧) مِنْهُمَا الْمَكْتُومُ

ووجه بالقصيدة مع أبنته إليه وليست من جيّد شعره.

حاج أبو غسان بن خاقان بيتين من شعره:

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسان قال:

ذكروا الفرزدق وجربراً في حَلَقَةِ المدائني؛ فقلت لصباح بن خاقان: أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجربير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هات؛ فأنشدته:

أَلَمْ يَأْتِهَا أَنَّ الْأَرَاقِمَ^(٨) فَلَقْتُ جَمَّاجِمَ قَيْسٍ بَيْنَ رَاذَانَ وَالْحَضْرِ^(٩)

جَمَّاجِمَ قَوْمٍ لَمْ يَعَافُوا ظُلَامَةً وَلَمْ يَعْرِفُوا أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنَ الْغَدْرِ

قال: فسكت.

حديث يونس النحوي عن الأخطل وسبقه جربراً والفرزدق:

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جربير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سلّه وَمَنْ هم؟ فقال: مَنْ شئت، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعَبَسَةُ الْفِيلِ وميمون الأقرن، هؤلاء طَرَقُوا الْكَلَامَ وماشؤهُ لا كمن تحكّمون عنه لا بدويين

(١) أي يقدّم لك النزل، وهو ما يهيا للضيف من طعام وغيره.

(٢) الدرهم: دقيق الحوار.

(٣) بيت رأس: اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة، تنسب إليهما الخمر.

(٤) في ج: «فتفرض لك في الفين».

(٥) في ب، س: «عن».

(٦) كذا في «شعر الأخطل» ص ٤٣ من النسخة التي نشرها أنطون صالحاني اليسوعي ومحافظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٣٧ أدب. ورعوم: اسم امرأة كما في «شرح القاموس». في الأصول: «زعوم» بالزاي المعجمة.

(٧) جمجم في صدره شيئاً: أخفاه ولم يبه.

(٨) الأراقم: هي من تغلب وهم جشم وبنو بكر ومالك والحارث ومعاوية.

(٩) الحضرة: اسم مدينة بإزاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات. وراذان: قرية بناوحي نسا (بلد من خراسان).

ولا نحوين. فقلت للرجل: سلّه: وبأي شيء فضّل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدٍ طوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحش ولا سَقَط. قال أبو عُبَيْدة: / فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْرًا بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْرًا إن لم تكن مثلها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثًا. قال إسحاق: فسألت أبا عُبَيْدة عن العشر فقال:

عَفَا واسِطٌ^(١) من آل رَضْوَى^(٢) فَنَبْتَلُ^(٣)
وتأبّد الرَنْعُ من سَلَمَى بأحفار^(٤)
وخَفّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا
وكَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أم رأيتَ بواسِطِ
ودَعَ المُعَمَّرُ لا تسأل بمَضْرَعِهِ
ولمن الديارُ بحائِلِ فوعال

قال إسحاق: ولم أحفظ بقيّة العَشْرِ. قال: وقصائد جرير:

حيّ الهدْمَلَةَ من ذات المَوَاعِيسِ^(٥)
والأ طَرَفَتِكَ وأهلي هُجُودُ
وأهوى أراكِ برامَتَيْنِ وقودا

قال وقال أبو عُبَيْدة: / الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدّهم اشتراً شعر وأقلّهم سَقَطاً وأخبرنا الجوهري عن عمر بن شُبّة $\frac{170}{7}$ عن أبي عُبَيْدة مثله. وفي بعض هذه القصائد التي ذُكرت للأخطل أغاني هذا موضع ذكرها.

[٢٩٣/٨]

/ منها:

قصائد

تأبّد الرَنْعُ من سَلَمَى بأحفار
وقد تحلّ بها سَلَمَى تُجاذِبُنِي
وأقفرْتُ من سَلَمَى دِمْنَةُ الدارِ
تَسَاقُطُ الحَلِي حَاجَاتِي وأسْرَارِي

غَنَاهُ عمر الواديّ هزجاً بالسّبابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبدالرحمن بن حَسَن لَمَّا هجّاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قبل في ذلك.

ومنها:

(١) واسط: في عدة مواضع، ومنها واسط الجزيرة، وهي التي يعينها الأخطل في شعره، لأن الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل.
(٢) كذا في «شرح القاموس» في مادتي «وسط ورضى» و«معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على نبتل وياقوت في الكلام على واسط، وفي ج: «آل بنوى». وفي سائر الأصول: «آل بندي». ورضوى: اسم امرأة، كما جاء في «القاموس».
(٣) نبتل: موضع بنجد، كذا في «معجم ما استعجم»، وساق البيت.
(٤) أحفار: موضع في بلاد بني تغلب، كذا في «معجم ما استعجم»، واستشهد بالبيت.
(٥) انظر شرحه في ترجمة جرير ص ٨٤ من هذا الجزء.

صوت

خَفَ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ وَأَبْتَكُرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
كَأَنْتَنِي شَارِبُ يَوْمٍ أَسْتَبِذْ بِهِمْ مِنْ قَهْوَةٍ ضُمَّتْهَا حِمَصُ أَوْ جَدْرُ^(١)
جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْقَارِ مُتْرَعَةً كَلَفَاءُ^(٢) يَنْحَتْ عَنْ خُرْطُومِهَا الْمَدَرُ

غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ. وَلابِنْ سُرَيْجٍ فِيهِ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَفِيهِ رَمْلٌ آخِرُ يُقَالُ: إِنَّهُ لَعَلْوِيَّةٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لِبِرَاهِيمٍ. وَفِيهِ لَعَلْوِيَّةٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرُ لَا يُشَكُّ فِيهِ.

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه:

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه:
أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَأَلَ الْأَخْطَلَ عَنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؛ قَالَ: الَّذِي كَانَ إِذَا مَدَحَ رَفَعَ، وَإِذَا هَجَا
وَضَعَ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْأَعَشَى. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ابْنُ الْعَشْرِينَ (بِعَنِي طَرَفَةً). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَنَا.

[٢٩٤/٨] / آخر الراعي في حضرة بشر بن مروان:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا أبو قحافة
المُرِّي عن أبيه قال:

دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ الرَّاعِي؛ فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: أَنْتَ أَشْعَرُ أَمْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا أَشْعَرُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ.
فَقَالَ لِلرَّاعِي: مَا تَقُولُ! قَالَ: أَمَّا أَشْعَرُ مِنِّي فَعَسَى، وَأَمَّا أَكْرَمُ فَإِنَّ كَانَ فِي أَمَهَاتِهِ مِنْ وَلَدَتْ مِثْلَ الْأَمِيرِ فَنَعَمْ. فَلَمَّا
خَرَجَ الْأَخْطَلُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنْتَ قَوْلُ لَخَالِ الْأَمِيرِ أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ! قَالَ: وَبَلَّكَ! إِنَّ أَبَا نَسْطُوسَ وَضَعَ فِي رَأْسِي أَكُوسًا
ثَلَاثًا، فَوَاللَّهِ مَا أَعْقَلَ مَعَهَا.

استنشد عبد الملك بن مروان فشرب خمرًا ثم أنشده:

قَالَ: وَدَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَاسْتَنَشَدَهُ؛ فَقَالَ: قَدْ يَبَسَ حَلْقِي، فَمُرْ مَنْ يَسْقِينِي. فَقَالَ:
اسْقُوهُ مَاءً. فَقَالَ: شَرَابُ الْحِمَارِ، وَهُوَ عِنْدُنَا كَثِيرٌ. قَالَ: فَاسْقُوهُ لَبَنًا. قَالَ: عَنِ اللَّبَنِ فُطِمْتُ. قَالَ: فَاسْقُوهُ
عَسَلًا. قَالَ: شَرَابُ الْمَرِيضِ. قَالَ: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: خِمْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَوْ عَهْدَتَنِي أَسْقِي الْخِمْرَ لَا أُمَّ
لَكَ! لَوْلَا حُرْمَتُكَ بَنَّا لَفَعَلْتُ بِكَ وَفَعَلْتُ! فَخَرَجَ فَلَقِيَ فَرَّاشًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: وَبَلَّكَ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَنَشَدَنِي
وَقَدْ صَحِلَ^(٣) صَوْتِي، فَاسْقِنِي شَرْبَةً خَمْرٍ فَسَقَاهُ؛ فَقَالَ: اُعِدْ لَهُ بِآخِرِ فَسَقَاهُ آخِرَ. فَقَالَ: تَرَكْتُهُمَا يَعْتَرِكَانِ فِي بَطْنِي،
إِسْقِنِي ثَلَاثًا فَسَقَاهُ ثَلَاثًا. فَقَالَ: تَرَكْتَنِي أَمْشِي عَلَى وَاحِدَةٍ، إِعِدْ لِي بِرَابِعٍ فَسَقَاهُ رَابِعًا؛ فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَأَنشَدَهُ:

176 / خَفَ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ وَأَبْتَكُرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

(١) جدل. قرية بين حمص وسليمة، تنسب إليها الخمر.

(٢) الكلف: حمرة كدرة. وينحت عن خرطومها المدر أي يفرض ختام الطين الذي على فيها.

(٣) صحل صوته. بح.

فقال عبد الملك: خُذ بيده يا غلام فأخرجْه، ثم ألقى^(١) عليه من الخَلْع ما يغمُرُه، وأحسن جائزته، وقال: إن لكل قوم شاعراً وإن شاعر بني أمية الأخطل.

[٢٩٥/٨]

/ حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق:

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال قال أبا ن بن عثمان حدثني سَمَاك بن حَرْب عن ضَوْء بن^(٢) اللِّجْلَج قال:

دخلتُ حماماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال فقال: مَن الرجل؟ قلت: من بني دُهل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرع ما رجع في هيبته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبْنَى غَدَانَةَ^(٣) إِنْنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بَنِ جَعَالٍ
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لَاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ يَمِينِ أَلَامِ أَتْفٍ وَسِبَالٍ^(٤)

وهبهم في الأول ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلت: هجوت زُفراً^(٥) بن الحارث ثم خَوَّفَت الخليفة منه فقلت:

بَنِي أُمَيْيَّةَ إِنْنِي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبْتَئِنَ فِيكُمْ أَمِيناً زُفَرُ
مَفْتَرِشاً كَأَفْتَرِاشِ اللَّيْثِ كُلِّكَ لِسُوقَةٍ كَائِنٍ فِيهَا لَهُ جَزَرُ^(٦)

ومدحت عِكْرِمَةَ بن رِبْعِي فقلت:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَيْنًا وَأُخْبِرُهُ فَالْيَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرُّ

/ قال^(٧): لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا. [فقال له الأخطل^(٨)]: والله لولا أنك من قوم سبق لي [٢٩٦/٨] منهم ما سبق لهجوتك هجاء يدخل معك قبرك. ثم قال:

مَا كُنْتُ هَاجِيٍّ قَوْمٍ بَعْدَ مَذْهِبِهِمْ وَلَا تُكَلِّدُ نُعْمَى بَعْدَ مَا تَجِبُ

أُخْرِجْ عَنِّي.

(١) في ب، م، ج: «ثم ألقى» بإثبات الياء على أن الفعل ماض. والسياق يحتمله.

(٢) في الأصول هنا: «الجلج بن ضوء». (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٨٦ من هذه الترجمة).

(٣) بنو غدانة: بطن من يربوع. وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم. (راجع الأغاني ج ١٩ ص ٥٠ طبع بلاق).

(٤) سبلة الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا، وقيل: السبلة: ما على الشارب من الشعر.

(٥) هو زفر بن الحارث العامري الكلابي، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس. (انظر الطبري ق ٢ ص ٤٧٤).

(٦) جزر: قتل.

(٧) كذا في أ. م. وفي سائر الأصول: «فقال»، على أن سياق الكلام غير محتاج إلى هذه الكلمة.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

هو وزفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان:

وقال هارون بن الزيات حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد^(١) بن عبدالعزيز بن علي بن ميمون عن معن بن خلاد عن أبيه قال:

لَمَّا اسْتَنْزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكِلَابِيَّ مِنْ قَرْقِيسِيَا^(٢)، أَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ ذِي الْكَلَّاعِ^(٣). فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى السَّرِيرِ بَكَى. فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ لَا أَبْكِي وَسَيْفُ هَذَا يَقْطُرُ مِنْ دَمَاءِ قَوْمِي فِي طَاعَتِهِمْ لَكَ وَخِلَافِهِ عَلَيَّكَ، ثُمَّ هُوَ مَعَكَ عَلَى السَّرِيرِ وَأَنَا عَلَى الْأَرْضِ! قَالَ: إِنِّي لَمْ أَجْلِسْهُ مَعِيَ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ؛ وَلَكِنْ لِسَانَهُ لِسَانِي وَحَدِيثُهُ يُعْجِبُنِي. فَلَبِغْتَ الْأَخْطَلَ وَهُوَ يَشْرَبُ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَا قَوْمَ فِي ذَلِكَ مَقَاماً لَمْ يَقُمْهُ ابْنُ ذِي الْكَلَّاعِ! ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. فَلَمَّا مَلَأَ عَيْنَهُ مِنْهُ قَالَ:

وَكَأْسٍ مِثْلَ عَيْنِ الدُّيْكِ صِرْفٍ تُشْبِي الشَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولَا
إِذَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْهَا ثَلَاثًا بَغِيرِ الْمَاءِ حَاوِلَ أَنْ يَعْطُولَا
مَشَى قُرْشِيَّةً لَا شَكَّ فِيهَا وَارْخَى مِنْ مَآزِرِهِ الْقُضُولَا

[٢٩٧/٨] / فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطَّةً في رأسك. قال: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ تُجْلِسُ عَدُوَّ اللَّهِ هَذَا مَعَكَ عَلَى السَّرِيرِ وَهُوَ الْقَاتِلُ بِالْأَمْسِ:

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثُّرَى^(٤) وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا

١٧٧ / قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صَدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال: أَذْهَبَ اللَّهُ حَزَازَاتِ تِلْكَ الصَّدُورِ. فقال: أَنَشُدُّكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَهْدَ الَّذِي أُعْطَيْتَنِي! فَكَانَ زُفَرُ يَقُولُ: مَا أَبْقَنْتُ بِالْمَوْتِ قَطُّ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ حِينَ قَالَ الْأَخْطَلُ مَا قَالَ.

قال إني فضلت الشعراء وأنشد من عيون شعره:

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مُسْلِمٍ عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلَةَ الشَّيْبَانِيِّ قال:

قال الأخطل: فَضَّلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ وَالنَّسِيبِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ. فَأَمَّا النَّسِيبُ فَقُولِي:
أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَذْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَاتَا عِدَى^(٥) آخِرَ الدَّهْرِ

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول.

(٢) قرقيسيا: بلد على الفرات قرب رجة مالك بن طوق.

(٣) هو ابن ذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِي، شهد صفين مع معاوية، وكان من رجالاته. (انظر «الطبري» ق ١ ص ٣٢٧٢، ٣٢٨٣، ٣٢٨٦ طبع أوروبا).

(٤) يقول: قد يبدو على وجه المرء البشر وفي قلبه الحقد والعداوة، مثل نبات الدمن يبدو حسن المنظر ومنته خبيث وبىء.

(٥) كذا في «ديوانه» طبع بيروت (ص ١٢٨) و«تجريد الأغاني» ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «وإن كان حياً قاعداً... إلخ» وهو تحريف.

من الخفّرات البيض أمّا وشاخها
تموت وتحيا بالضحيج وتلتوي
وقولي في المديح:

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا
الخائض الغمرة الميمون طائره
أبدى التّواجد يوماً عارم. ذَكَرُ^(١)
خليفة الله يُسْتَنْقَى به المَطَرُ
/ وقولي في الهجاء:

وكنّت إذا لقيت عبيد تيم
لئيم العالمين يسود تيماً
وتيماً قلت أئيمهم العبيد
وسيدهم وإن كرهوا مسود
قال عبدالخالق: وصدق لعمرى، لقد فضّلهم.

تزوّج مطلقة أعرابي فتذكرته، وكان هو طلق زوجته وشعره في ذلك:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثني عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال:
طلّق أعرابيّ امرأته فتزوّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك. فبينما هي معه إذ ذكرت زوجها
الأول فتنفّست؛ فقال الأخطل:

كلّنا على هم بيت كأنما
على زوجها الماضي تنوح وإنسي
بجنيته من مَسِّ الفراش قروح
على زوجتي الأخرى كذلك أنوح
حديثه مع عبدالملك بن المهلب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خدّاش:
أنّ الأخطل قال لعبدالملك بن المهلب: ما نازعتني نفسي قطّ إلى مدح أحد ما نازعتني إلى مذحكم؛ فأعطيني
عطية تبسط بها لساني؛ فوالله لأردّينكم أروية لا يذهب صقالها إلى يوم القيامة. فقال: أعلم والله يا أبا مالك أنك
بذلك ملئ، ولكنني أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين أنّي أسأل في غرم وأعطى الشعراء فأهلك ويظنّ ذلك مني حيلة.
فلما قدّم على إخوته لا مؤه كل اللوم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بعذري.
حديث جرير عنه:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطاب حدّثني نوح بن جرير قال:

/ قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟ فتهرّني وقال: بش ما قلت! وما أنت وذاك لا أم لك! فقلت: وما أنا [٢٩٩/٨]
وغيره! قال: لقد أعنت عليه بكفر وكبر سنّ، وما رأيتُهُ إلاّ خشيئاً أن يتلعني.

(١) القلب: السوار.

(٢) العارم: الشديد الشرس.

حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل:

أخبرني عمي عن الكُراني عن دَمَاز عن أبي عُبَيْدة قال:

١٧٨
قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نَصْراني كافر يهجو المسلمين! فقال أبو عمرو: / يالْكُح! لقد كان الأخطل يَجِيءُ وعليه جُبَّةٌ خَزٌّ وَجِرْزُ خَزٍّ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفُضُ لحيته خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن.

رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق:

وقال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِي عن أحمد بن عبدالله بن عليّ الدَّوسِي عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال:

كنا بباب مَسْلَمَة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حَكَمْنَاكَ وتراضينا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رِهَانٍ، فأحْدُها سابقُ الدهرِ كُلِّه، وأحْدُها مُصَلٌّ، وأحْدُها يَجِيءُ أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيتاً وأحياناً متخلفاً. فأما السابق في كل حالاته فالأخطل. وأما المصلّي في كل حالاته فالفرزدق. وأما الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له:

سَرَى لَهُمْ لَيْلٌ كَأَن نَجُومَهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ الْمُفَقَّلُ

وقال: أحسن في هذا وسبق. ثم أنشد:

التَّغْلِيَّةُ مَهْرُهَا فَلَسْتُ بِمَيَّانٍ وَالتَّغْلَبِيُّ جَنَازَةُ الشَّيْطَانِ

وقال: تخلف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

[٣٠٠/٨] حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة:

وقال هارون بن الزيات حدّثني محمد بن عمرو الجُرْجَانِي عن أبيه:

أن الفرزدق والأخطل؛ بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بَشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتى من أهل اليمامة؛ فقالا له: هل تَزُوي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثتُ على الفرزدق مِسْمِي وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطلاً

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أترأه إن وَسَمَنِي يتورّكك على كِبَرِ سِنِكَ! ففرع الفتى فقام وقال: أنا عائذُ بالله من شركما. فقالا: اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقية يومهما.

الفرزدق في ضيافته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرِي قال أخبرنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو يَعْلَى قال حدّثني عبد السلام بن حَرْب قال:

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعشَاءٍ ثم قال له: إني نَصْراني وأنت حَنِيفٌ، فأبيّ الشرابِ أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنْشِدُ بيتاً إلا أتمَّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل

بي الليلة شرّاً، مَنْ أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كَرِهْتُ أَنْ يَفْضُلَنِي. فنَادَى الْأَخْطَلُ: يَا بَنِي تَغْلِبْ هَذَا الْفَرَزْدَقُ. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شَخَّصَ.

كان خبيث الهجاء في عفة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان ممّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَهُمْ هَجَاءً فِي عَقَافٍ عَنْ^(١) الْفَحْشِ. وقال الْأَخْطَلُ: مَا هَجَوْتُ أَحَدًا فَطُ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعِذْرَاءُ أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا.

/ أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية:

أخبرني أحمد وحيب بن نصر المَهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا بِنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ الْمُؤَصِّلِيِّ قَالَ: خَرَجَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مَعَهُ عَامٌ حَجَّ بِالْأَخْطَلِ. فاشتاق يزيدُ أهله فقال:

بَكَى كُلُّ ذِي شَجَرٍ مِنَ الشَّامِ شَاقُهُ تَهَامٍ فَنَأَى يَلْتَقِي الشَّجَرَانِ
أَجْزُ يَا أَخْطَلُ، فَقَالَ:

/ يَغُورُ الَّذِي بِالشَّامِ أَوْ يُنْجِدُ الَّذِي بَغُورٍ تَهَامَاتٍ فَيَلْتَقِيَانِ

مدح أبو العباس شعراً له في بني أمية:

أخبرني أحمد وحيب قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ:

قِيلَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ رَجُلًا شَاعِرًا قَدْ مَدَحَكَ، فَتَسْمَعُ شِعْرَهُ؟ قَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ فِيَّ بَعْدَ قَوْلِ ابْنِ التَّضَرَّائِيَّةِ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ:

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

أخبرني به وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي بمثله.

حادثة له مع أمه:

قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التميمي عن أبي بريدة الفراري عن رجل من تغلب

قال:

لَحَظَ الْأَخْطَلُ شَكْوَةَ^(٢) لَأُمِّهِ فِيهَا لَبَنٌ وَجِرَابٌ فِيهِ تَمْرٌ وَزَيْبٌ، وَكَانَ جَائِعًا وَكَانَ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهُ، أَلْ فَلَانِ يَزُورُونَكَ وَيَقْضُونَ حَقَّكَ وَأَنْتِ لَا تَأْتِينَهِمْ وَعِنْدَهُمْ عِلِيلٌ، فَلَوْ أَتَيْتَهُمْ لَكَانَ أَجْمَلَ وَأَوْلَى بِكَ. قَالَتْ: جُزَيْتَ خَيْرًا يَا بَنِي! لَقَدْ نَبَّهْتَ عَلَى مَكْرُمَةٍ. وَقَامَتْ فَلَيْسَتْ ثِيَابَهَا وَمَضَتْ إِلَيْهِمْ. فَمَضَى الْأَخْطَلُ إِلَى الشَّكْوَةِ فَفَرَّغَ مَا فِيهَا

(١) في الأصول: «في عفاف من الفحش».

(٢) الشكوة: وعاء من جلد للماء واللبن.

[٣٠٢/٨] وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كله. / وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً، فعلمت أنه قد دهاها، وعمدت إلى خشبة لتضربه بها؛ فهرب وقال:

أَلَمْ عَلَى عَنَبَاتِ الْعَجُوزِ وَشَكُونَهَا مِنْ غِيَاثٍ^(١) لَمْ
فَظَلْتُ تُنَادِي أَلَا وَيْلَهَا وَتَلَعْنُ وَاللَعْنُ مِنْهَا أَمَمٌ^(٢)

وذكر يعقوب بن السكيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأة لأبيه لها منه بنون، فكانت تؤثرهم باللبن والتمر والزبيب وتبعث به يرعى أعزاً لها. وسائر القصة والشعر متفق. وقال في خبره: وهذا أول شعر قاله الأخطل.

نسب بأمامة ورعوم ابنتي سعيد بن إلياس:

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُويه عن علي بن فيروز عن الأصمعي عن أَمَامَةَ ورَعُومَ اللَّثْنِ قال فيهما الأخطل:

صَرَمْتُ أَمَامَةَ حَبْلَهَا ورَعُومُ

ورَعُومُ وأَمَامَةُ بنتا سعيد بن إلياس بن هانيء بن قبيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمرأً وخرجتا وهما جُوزِيتان فخدمتا. ثم نزل عليه ثانية وقد كبرتَا فحُجبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال: فأين أبتائي؟ فأخبر بكبرهما، فنسب بهما. قال: والرَعُومُ هي التي كانت عند قتيبة بن مُسْلِمٍ وكان يقال لها أُمُّ الأحماس، تزوجت في أحماس^(٣) البصرة محمد بن المهلب وعامر بن مسمع وعَبَادُ بن الحُصَيْنِ وقتيبة بن مُسْلِمٍ؛ وكان يقال لها الجارود.

مركزية تكملة لعلوم

[٣٠٣/٨] كان حكم بكر بن وائل:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخزاز عن المدائني قال قال أبو عبد الملك:

كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رَضِيت بالأخطل، وكان يدخل المسجد فيَقْدَمُون إليه. قال: فرأيت بالجزيرة وقد شُكِيَ إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه^(٤) وهو يصيء^(٥) كما يصيء الفَرخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يابن أخي، إذا جاء الدين ذَلَلْنَا.

استنشد داود بن المساور فأنشده ثم سأل عن أشهر الناس فأجابه:

وقال يعقوب بن السكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُسَاوِر قال:

دخلتُ إلى الأخطل فسَلَّمْتُ عليه، فنسبني^(٦) فأنسبت، وأستنشدته فقال: أُنشِدُكَ حَبَّةَ قلبي، ثم أنشدني:

(١) غياث: اسم الأخطل، كما مر في أول الترجمة.

(٢) أمم: قريب يسير.

(٣) أحماس البصرة: خمسة، فالخمس الأول العالية، والخمس الثاني بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزد، وفي ب، س، ج: «الأحماس» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وضربه فعضله...».

(٥) يصيء: يصيح.

(٦) نسبني: سألني أن أنسب.

لَعَنَمِرِي لَقَدْ أَسْرَيْتُ لَا لَيْلَ عَاجِزَ / بَسْلَهَبَةٍ^(١) الْخَذَيْنِ ضَاوِيَةِ الْقُرْبِ^(٢)
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا / عَلَى^(٣) الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّخْبِ
فَقُلْتُ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: الْأَعْشَى. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنَا.

أَعْطَاهُ هِشَامٌ فَاسْتَقَلَ عَطَاءَهُ وَفَرَّقَهُ فِي الصَّبِيَّانِ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُوبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:
إِمْتَدَحَ الْأَخْطَلُ هِشَامًا فَأَعْطَاهُ خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ، فَلَمْ يَرْضَهَا وَخَرَجَ فَاشْتَرَى بِهَا تَفَاحًا وَفَرَّقَهُ عَلَى الصَّبِيَّانِ. فَبَلَغَ
ذَلِكَ هِشَامًا فَقَالَ: قَبِّحَهُ اللَّهُ! مَا ضَرَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

[٣٠٤/٨]

/ تَمَثَّلَ هِشَامٌ بِشَطْرِ بَيْتٍ فِي نَاقَةٍ، فَأَتَمَّهُ جَرِيرٌ وَالْفِرْزَدَقُ وَهُوَ فَأَخَذَهَا:

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ حَدَّثَنِي سَلَمَةُ الثَّمِيرِيُّ - وَتُوُفِّيَ وَلَهُ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً - أَنَّهُ حَضَرَ هِشَامًا وَلَهُ يَوْمَئِذٍ
تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَحَضَرَ جَرِيرٌ وَالْفِرْزَدَقُ وَالْأَخْطَلُ عِنْدَهُ؛ فَأَخْضَرَ هِشَامٌ نَاقَةً لَهُ فَقَالَ مَتَمَثِّلًا:

أَنْبِخَهَا مَا بَدَأَ لِي ثُمَّ أَرْحَلُهَا

ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ أَنْتُمْ الْبَيْتَ كَمَا أُرِيدُ فَهِيَ لَهُ. فَقَالَ جَرِيرٌ:

كَأَنَّهُا نِقْنَقٌ^(٤) يَغْدُو بِصَحْرَاءِ

فَقَالَ: لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا. فَقَالَ الْفِرْزَدَقُ:

كَأَنَّهُا كَاسِرٌ^(٥) بِالذَّوِّ فَتُخَاءُ

فَقَالَ: لَمْ تُغْنِ شَيْئًا. فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

تُرْخِي الْمَشَافِرَ وَاللَّحْيَيْنِ إِرْخَاءَ

فَقَالَ: أَرْكَبُهَا لَا حَمْلَكَ اللَّهُ!

هَجَّتْهُ جَارِيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَحَذَرَ أَبَاهَا ثُمَّ هَجَّاهَا:

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ الزِّيَّاتِ حَدَّثَنِي الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

هَجَّتِ الْأَخْطَلُ جَارِيَةً مِنْ قَوْمِهِ؛ فَقَالَ لَأَبِيهَا: يَا أَبَا الدَّلْمَاءِ، إِنَّ أَبْنَتَكَ تَعْرِضُ لِي فَأُكْفِفُهَا. فَقَالَ لَهُ: هِيَ
أَمْرَأَةٌ مَالِكَةٌ لِأَمْرَاهَا. فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

أَلَا أُنَبِّغُ أَبَا الدَّلْمَاءِ عُنِّي بِأَنْ سِنَانَ شَاعَرَكَمُ قَصِيرُ

(١) سلهبة الخدين: طويلتها.

(٢) القرب: الخاصرة.

(٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «عن الطائر...» وهو تحريف.

(٤) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام.

(٥) الذو: الغلاة الواسعة. والكاسر: العقاب. والفتخاء: اللينة الجناح لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها وغمرتها.

فإن يَطْمُنْ فليس بذِي غَنَاءٍ وإن يَطْمُنْ فمَطْمَعُهُ يَسِيرُ
متى ما أَلْقَاهُ ومعِي سِلَاحِي يَخِرُّ عَلَى قَفَاهُ فلا يُحِيرُ^(١)
فمَشَى^(٢) أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أما ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

[٣٠٥/٨] / وصيته عند موته:

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ إجازةً عن محمد بن سَلَام قال:

لَمَّا حَضَرَتِ الأَخْطَلُ الوفاةَ قِيلَ لَهُ: يا أبا مالك، أَلَا تُوصِي؟ فقال:

أَوْصِي الفِرْزْدَقَ عِنْدَ المَمَاتِ بَأْمٍ جَرِيرٍ وَأَعْيَارِهَا
وَزَارَ القَبُورَ أَبُو مَالِكٍ بِبِرْغَمِ العُدَاةِ وَأَوْتَارِهَا

رَأَى ابنَ سَلَامٍ فِي شَعْرِهِ وَشَعْرَ لَجَرِيرٍ:

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ إجازةً عن محمد بن سَلَام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلَاء: أَيُّ البَيْتَيْنِ عِنْدَكَ أَجْوَدُ: قول جرير:

السُّمُّ خَيْرٌ مَن رَكِبَ المَطَايَا وَأَلَدَى العَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

أَمْ قول الأخطل:

شُمُسُ العُدَاةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا

فقلت: بَيْتُ جَرِيرٍ أَحْلَى وَأَشِيرُ، وَبَيْتُ الأَخْطَلِ أَجْزَلُ وَأَزْنُ. فقال: صَدَقْتُ، وَهَكَذَا كَانَا فِي أَنْفُسِهِمَا عِنْدَ المَخَاصَةِ والعَامَةِ.

رَأَى حمادُ الرَّاوِيَةَ فِي شَعْرِهِ:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَادٍ عن أَبِيهِ عن الحَلْبِيِّ وجعفر بن سعيد أَنَّ رجلاً سَأَلَ حَمَاداً الرَّاوِيَةَ عَنِ الأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا أَقُولُ فِي شَعْرِ رَجُلٍ قَدْ وَاللَّهِ حَبَبٌ^(٣) إِلَيَّ شَعْرُهُ النَّصْرَانِيَّةُ.

فَضَّلَهُ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ عَلَى صَاحِبِيهِ:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال / حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ الأَشْنَانِدَانِيُّ^(٤) عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ: كَانَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ وَأَبُو عَمْرٍو يَفْضِلُونَ الأَخْطَلُ عَلَى الثَّلَاثَةِ^(٥).

١٨١
٧

(١) فِي «شَعْرِ الأَخْطَلِ» ص ١١٨: «يَخِرُّ عَلَى القَفَا وَلَهُ نَخِيرٌ».

(٢) فِي ب، س: «فَمَضَى».

(٣) فِي ب، س: «قَدْ وَاللَّهِ حَبَبٌ إِلَيَّ شَعْرُ النَّصْرَانِيَّةِ».

(٤) فِي أ، م: «وَالأَشْنَانَادَانِيُّ».

(٥) لَعَلَّ صَوَابَهَا: «مِنَ الثَّلَاثَةِ» أَوْ «عَلَى الاثْنَيْنِ».

/ فضله عمر بن عبدالعزيز على جرير :

وقال هارون بن الزيات حدثني أبو عثمان المازني عن العُتبي عن أبيه :

أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبدالعزيز : أجريراً أشعرُ أم الأخطلُ؟ فقال له : أغفني . قال : لا والله لا أعفيك . قال : إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيت . فقال له سليمان : فضلتُ والله الأخطلُ .

أثنى عليه الفرزدق :

قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعي عن خالد بن كلثوم قال :

قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناس في الإسلام؟ قال : كفاك بأبن النُصرانية إذا مدح .

مهاجاته جريراً في حضرة عبد الملك وقصة أبي سواج :

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال :

حدثت أن الحجاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له ؛ فلما دخل عليه قال له : يا أخطل ، هذا سَبَك - يعني جريراً - وجريرٌ جالسٌ - فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركت خنازير أمك؟! قال : راعيةً مع أعيار أمك^(١) ؛ وإن أتيتنا قرينك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رائحة الخمر لتفوح منه . قال : صدق يا أمير المؤمنين ، وما أعتداري من ذلك ! .

تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابٌ كَسْرِي ويشرب قومك العَجَب العجيباً

مَنِيَّ العبد عبد أبي سواج أَحَقُّ من المدامة أن تعيباً

فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنشدني يا جرير ، فأنشده ثلاث قصائد كلها في الحجاج يمدحه بها ، فأخفظ عبد الملك ، وقال له : يا جرير ، إن الله لم ينصر الحجاج وإنما نصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال :

/ شُنُسُ العداوة حتى يُستقَادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا [٣٠٧/أ]

فقال عبد الملك : هذه المزمرة ؛ والله لو وُضعت على زُبُر^(٢) الحديد لأذابتها . ثم أمر له بِخَلْعٍ فَخُلِعَتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إن لكل قوم شاعراً ، وإن الأخطل شاعر بني أُمَيَّة .

فأما قول الأخطل :

مَنِيَّ العبد عبد أبي سواج

فأخبرني بخبر أبي سواج علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد الشكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دَعَاذ عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى أن أبا سواج وهو عباد بن خلف النسبي

(١) في «تجريد الاغانى وطبقات ابن سلام» : «مع أعيار أهلك» .

(٢) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

جاور بني يَرْبُوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوَةٌ^(١)، وكان لَصُرْدَ بن جَمْرَةَ الِيزْبُوعِي فرس يقال لها الْقَضِيب، فتراهما عشرين بعشرين، فسبقت بَذْوَةٌ فظلمه أبن جَمْرَةَ حَقُّهُ ومنَعَهُ سَبَقَهُ^(٢)، وجعل يفجّر بامراته. ثم إنَّ أبا سُوَاج ذهب إلى الْبَحْرَيْنِ يَمْتَارُهُ؛ فلما أَقْبَلَ راجعاً، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه، جعل يقول وهو يَخْدُو:

يا لَيْتَ شِعْرِي هل بَعَثَ من بَعْدِي

فسمع قائلاً يقول من خَلْفِهِ:

نَعَمْ بِمَكُوءِي قَفَاهُ جَعْدِي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقَدِمَ إلى منزله فأقام به مَدَّةً، ففتاضَبَ صُرْدُ على امرأة أبي سُوَاج وقال: لا أَرْضَى^{١٨٢} أو تَقْدِي من أَسْتُ أبي سُوَاج سِيراً. فأخبرت / زوجها بذلك فقام إلى نَعْبَةٍ له فذبحها وقَدَّ من باطن أَلْيَنِيهَا سِيراً فدفعه إليها؛ فجعله / صُرْدُ بن جَمْرَةَ في نعله، فقال لقومه: إذا أَقْبَلْتُ وفيكم أبو سُوَاج فَسَلُونِي من أين أَقْبَلْتُ ففعلوا، فقال: من ذِي بِلْيَانٍ^(٣) وأُرِيدُ ذَابِلِيَّانَ، وفي نعلي شِرَاكَانَ، من أَشْتِ إِنْسَان. فقام أبو سُوَاج: فطرح ثوبه وقال: أَنشدكم الله! هل تَرَوْنَ بأساً؟ ثم أمر أبو سُوَاج غلامين له رَاعِيَيْنِ أن يأخذا أَمَةً له فَيَتَرَاوَحَاها؛ ودفع إليهما عُسّاً وقال: لئن قطرت منكما قطرةً في غير العُسِّ لَأَقْتُلَنَّكما. فباتا يترَاوَحَانِها ويضْبَتَانِ ما جاء منهما في العُسِّ، وأمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملأاه؛ ثم قال لامراته: والله لَتَسْقِيَنَّ صُرْدَ أو لَأَقْتُلَنَّكِ: وأختبأ وقال: ابعْثِي إليه حتى يَأْتِيكَ ففعلت. وأتاها لعادتها كما كان يَأْتِيها، فَرَحَّبَتْ به وأَسْتَبْطَأته ثم قامت إلى العُسِّ فناولته إِيَّاه. فلما ذاقه رأى طعاماً خَيْشاً وجعل يَتَمَطَّقُ^(٤) من اللَّبَنِ الذي يشرب وقال: إني أرى لبكم خائراً، أحسب إِبْلَكُمْ رَعَتِ السَّعْدَان. فقالت: إنَّ هذا من طُول مُكْنَه في الإِنَاء، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا شَرِبْتَهُ. فلما وقع في بطنه وجد الموت، فخرج إلى أهله ولا يعلم أصحابه بشيء من أمره. فلما جَنَّ على أبي سُوَاج اللَّيْل أتى أهله وغلَمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلف الفرس وكلبه في الدار؛ فجعل الكلب يَنْبَحُ والفرس يَصْهَلُ؛ وذلك ليظنَّ القومُ أنه لم يَزَحَلْ. فساروا ليلتهم والدار ليس فيها غيره وكلبه وفرسه وعُسّه. فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العُسَّ فأتى مجلس بني يَرْبُوع فقال: جزاكم الله من جيرانٍ خيراً! فقد أَحْسَنْتُمُ الجوار، وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أبا سُوَاج، ما بَدَأَ لك في الانصراف عَنَّا؟ قال: إنَّ صُرْدَ بن جَمْرَةَ لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلتُ في ذلك:

/ إِنَّ الْمَنْـيَّ إِذَا سَـرَى فِي الْعَبْدِ أَصْبَحَ مُسْمَغِداً^(٥)
أَتَسْأَلُ سَلَمَى بِأَطْلَا وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْداً
صُرْدَ بْنَ جَمْرَةَ هَلْ لَقِي سَتَ رَثِيئَةً لِبْنِ سَأْ وَعَضْداً^(٦)

[٣٠٩/٨]

(١) كذا في «تجريد الأغاني» وشرح القاموس» مادة «سوج» وفي الأصول ندوة.

(٢) السبق بفتح الباء الخطى الذي يوضع بين أهل السباق.

(٣) ذوبليان: موضع وراء اليمن، وقال أبو نصر: أقصى الأرض، وقال غيره: ذوبليان من أعمال هجر. كذا في «معجم ما استعجم للبكري» وقد جاء في «معجم البلدان» لياقوت: ذوبليان موضع في قصة أبي سواج الضبي.

(٤) يتمطق: يتذوق.

(٥) كذا في «تجريد الأغاني». والمسمغد: المرتوي من اللبن. وفي ب، س «مسمغدا». وفي ح: «مسعدا» بالسّين. وفي سائر الأصول «مصعدا» بالصاد، وكله تحريف.

(٦) الرثيئة: اللبن الحامض. والعصد: تحريك المصيدة بالمسواط فتقلب فلا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب.

وأعلموا أن هذا القَدَح قد أحبلَ منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرَة. ثم رَمَى بالعُسُّ على صخرة فانكسر وركض فرسه. وتنادوا: عليكم الرجل، فأعجزهم ولحق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيْمِيّ:

تُمسِّحُ يَرْبوعٌ سِبَالاً لثِيمةً بها من مَنِيّ العبدِ رَطْبٌ وبابسٌ
وإياه عَنَى الأخطلُ بقوله:

ويشرب قومك العجب العجيبا

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعه هاشمي:

أخبرنا أبو خَلِيفَة قال حدثنا محمد بن سَلَام قال زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيْمِيّ عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب قال:

قَدِمْتُ الشَّامَ وأنا شابٌّ مع أبي، فكننت أطوف في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشق، وإذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عَنِّي فأخبر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لرجلٌ شريف، وإنني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتك مقضية. قال إن القسَّ حبسني هاهنا فتكلَّمه ليُخَلِّي عَنِّي. فأتيتُ القسَّ فانتسبت له، فرحب وعظم، قلت: إن لي إليك حاجة. قال: ما حاجتك؟ قلت: / الأخطلُ تُخَلِّي عَنِّي. قال: أعيذك بالله من هذا! مثلك لا ^{١٨٣}/_٧ يتكلَّم فيه، فاسقٌ يشتمُّ أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلبُ إليه حتى مضى معي متكئاً على عصاه، فوقف عليه / ورفع عصاه وقال: يا عدُوَّ الله! أتعود تشتمُّ الناس وتهجوهم وتقذفُ المُخصَّصات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا [٣١٠/٨] أفعال، ويستخذني له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناسُ يهابونك والخليفةُ يكرمك وقدرك في الناس قدرك، وأنت تخضع لهذا الخضوع وتستخذني له! قال: فجعل يقول لي: إنه الدين! إنه الدين! مر به أسقف فأمر امرأته أن تمسح به:

أخبرنا البيهقي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن الهيثم بن عدي قال:

كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسكاً بدينه. فمرَّ به الأُسْقُف يوماً. فقال لها: الحقيهِ فتمسَّحي به؛ فعدت فلم تلحق إلا ذنَّبَ حمارة فتمسَّحت به ورجعت. فقال لها: هو وذنب حمارة سواء.

هنا هشام بالإسلام فأجابه:

أخبرنا أبو خَلِيفَة قال حدثنا ابن سَلَام قال حدثني يونس قال قال أبو الغرَّاف. سمع هشام بن عبد الملك الأخطل وهو يقول:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجدُ ذخراً يكون كصالح الأعمال
فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام! فقال له: يا أمير المؤمنين^(١)، مازلتُ مُسْلِماً في ديني.

(١) ورد في ترجمته في «ذيل ديوانه» طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أن الأخطل توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٧١٠ ميلادية. وهشام بن عبد الملك ولي الخلافة بعد ذلك. وقد ورد هذا الخبر في «طبقات الشعراء» لابن سلام (ص ١١٥ طبعة أوروبا) وليس فيه كلمة «يا أمير المؤمنين».

وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخبيره في عطاءين، وقصة ذلك:

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس وعبد الملك وأبو الغراف فألفئت ما قالوا، قالوا: أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري^(١) الشيباني فسأله في حمالة، فقال: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت أعطيتك درهمين. قال: وما بال ألفين / وما بال درهمين؟ قال: إن أعطيتك ألفين لم يُعطِكَها إلا قليل، وإن أعطيتك درهمين لم يبق في الكوفة بكري^(٢) إلا أعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبق بكري بها إلا أعطاك درهمين، فحففت عليهم المثونة وكثر لك الثبل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نقسمها لك على أن ترد علينا. فكتب بالبصرة إلى سويد بن منجوف^(٣) السدوسي فقدم البصرة - فقال يونس في حديثه - فنزل على آل الصلت بن حرث الحنفي فأخبر من سمعه يقول^(٤): والله لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأول: فأتى سويداً فأخبره بحاجته. فقال نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو الذي يقول:

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بكراً أبى البغضاء والتسبب البعيدُ

وأياماً لنا ولهم طوال يعرض الهام فيهن الحديدُ

ومُهراق الدماء بواردات^(٥) تبيد المخزبات ولا تبيدُ

هُما أخوان يضطحيان نارا رداء الحرب بينهما جديداً

فقالوا: فلا والله لا نُعطيه شيئاً. فقال الأخطل:

فإن تبخل سدوس بدرهميها فإن الربيع طيبة قبول^(٦)

تواكلني بنو العلات^(٧) منهم وغالط مالكا ويزيد غول^(٨)

/ صريعاً^(٩) وائل هلكا جميعاً كأن الأرض بعدهما محول^(١٠)

[٣١٢/٨]

وقال في سويد بن منجوف - وكان رجلاً ليس بذي منظر -:

/ وما جذع سوء خرب الشوس أصله لما حمله وائل بمطيطي

١٨٤
٧

(١) الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق، وكان من دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير. (انظر «الطبري» ج ٢ ص ٨٠٤ من القسم).

(٢) سويد بن منجوف: من أشراف البصرة. (انظر الكلام عليه في «الطبري» ق ٢ ص ٤٤٣، ٧٧٩).

(٣) في ب، س: «... سمعه بأنه يقول...».

(٤) يريد يوم واردات وهو يوم كان بين بكر وتغلب في حروبهما (انظر الكلام مفصلاً عليه في ج ٥ ص ٥٣ من «الأغاني» من هذه الطبعة).

(٥) القبول: هي ريح الصبا.

(٦) تواكل القوم: إذا اتكل بعضهم على بعض في الأمر.

(٧) يقال: هم بنو العلات: إذا كان الأب واحداً والأمهات شتى.

(٨) يريد مالك بن شيبان الجحدري من قيس بن ثعلبة، ويزيد بن الحارث بن زيد بن رويم الشيباني صاحب شرطة الحجاج.

(٩) في «ديوانه» (طبع بيروت ص ١٢٥): «قريعا وائل» ويعني بهما بكراً وتغلب.

(١٠) كذا في «ديوانه» وفي الأصول «سحول» وهو تحريف.

كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً:

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلام:

كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحياناً: كان مدح سِمَاكَ الأَسَدِيّ، وهو سِمَاكَ الهالكِيّ من بني عمرو بن أسد، وبني عمرو يلقَّبون القُيُون، ومسجد سِمَاكَ بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام عليّ هارباً فُلِحِقَ بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المُجِيرُ سِمَاكَ من بني أسد بالقاع إذ قتلت جيرانها مُضَرُّ
قد كنتُ أحسبه قيناً وأخبره فاليوم طُيِّرَ عن أثوابه الشرُّ
إن سَمَاكَ بني مجدداً لأسرته حتى المماتِ وفعل الخير يُتَدَرُّ

فقال سِمَاكَ: يا أخطل: أردتَ مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحققته. فلما هجا سُويِّداً قال له سُويِّد: والله يا أبا مالك، ما تُحسِن تهجو ولا تمدح^(١)؛ لقد أردتَ مدح الأَسَدِيّ فهجوته - يعني قوله:

قد كنتُ أحسبه قيناً وأنبؤه فاليوم طُيِّرَ عن أثوابه الشرُّ
إن سَمَاكَ بني مجدداً لأسرته حتى المماتِ وفعل الخير يُتَدَرُّ

- وأردتَ هجائي فمدحتني، جعلتَ وائلاً حَمَلْتَنِي أمورها، وما طمعتُ في بني تَغْلِبَ فضلاً عن بكر.

/ أبي الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أَبَانُ البَجَلِيّ قال:

مرَّ الأخطل بالكوفة في بني رؤاس^(٢) ومؤذّنهم يُنادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلّي؟ فقال:

أصلّي حيث تُدركني صلاتي وليس إلبرُّ عند بني رؤاس

خلا في نزهة مع صديق له فطراً عليهما ثقل فهجاه:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو الحُصَيْنِ الأُمَوِيّ قال:

بينما الأخطل قد خلا بِحُمَيْرَةِ له في نُزْهَةٍ مع صاحب له، وطراً عليهما طاريء لا يعرفانه ولا يَسْتَحِقَّانِهِ، فشرب شرابهما وثقل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

نصوت

وليس القَلْدَى بالعود يسقط في الإناء ولا بلذبابٍ خطبُه أيسرُ الأمرِ
ولكن شخصاً لا تُسرُّ بقُرْبِهِ رمثابه الغيطانُ من حيث لا ندري

(١) المعنى على تقدير «أن» أي ما تحسن أن تهجو ولا أن تمدح.

(٢) بنو رؤاس: حي من بني عامر بن صعصعة، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

ولكن قَذَاهَا زَائِرٌ لَا نُحِبُّهُ

وهو الجَيْد. الغناء لإبراهيم خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي قال حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ قَالَ:

بينما الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه، وكان أهلُ البَدْوِ إذ ذاك يتحدثون رجالُهُم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً، وبين يديه باطيةُ شرابٍ والمرأةُ تُحَدِّثُهُ وهو يشرب، إذ دخل رجلٌ فجلس، فنُقِلَ على الأخطل وكِره أن يقول له قُمْ أَسْتَحْيَا مِنْهُ. وأطال الرجلُ الجلوسَ إلى أن أقبل دُبَابٌ فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الدُّبَابُ فِي شَرَابِكَ. فقال:

وَلَا بِدُبَابٍ نَزَعُهُ أَيْسَرُ الْأَمْرِ

رَمْتَابُهُ الْغَيْطَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَذْرِي

/ وَلَيْسَ الْقَدَى بِالْعُودِ يَسْقُطُ فِي الْخَمْرِ

وَلَكِنْ قَذَاهَا زَائِرٌ لَا نُحِبُّهُ

[٣١٤/٨]
١٨٥
٧

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرَانِيِّ عن الزِّيَادِيِّ عن عَلِيِّ بْنِ الْحَقَّارِ أَخِي أَبِي الْحَجَّاجِ^(١): أَنَّ الْأَخْطَلَ جَاءَ إِلَى مَعْبَدٍ فِي قَدَمَةٍ قَدِمَهَا إِلَى الشَّامِ. فَقَالَ لَهُ مَعْبَدٌ: إِنِّي أَحِبُّ مُحَادَثَتَكَ. فَقَالَ لَهُ: وَأَنَا أَحِبُّ ذَلِكَ. وَقَامَا يَتَصَبَّحَانِ^(٢) الْغُدْرَانِ حَتَّى وَقَفَا عَلَى غَدِيرٍ فَتَزَلَا وَأَكَلَا؛ فَتَبِعَهُمَا^(٣) أَعْرَابِيٌّ فَجَلَسَ مَعَهُمَا. وَذَكَرَ الْخَبْرَ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ.

لَبِى دَهْوَةَ شَابٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ:

دَعَا الْأَخْطَلَ شَابًّا مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، أَنْتَ لَا تَحْتَمِلُ الْمَثُونَةَ وَلَيْسَ عِنْدَكَ مُعْتَمَدٌ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَنْتَجَعَهُ، فَأَتَى الْبَابَ فَقَالَ: يَا شَقْرَاءُ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ، فَقَالَ لَأُمِّهِ: هَذَا أَبُو مَالِكٍ قَدْ أَتَانِي؛ فَبَاعَتْ غَزْلًا لَهَا وَأَشْتَرَتْ لَهُ لَحْمًا وَنَبِيذًا وَرِيحَانًا. فَدَخَلَ خُصًّا لَهَا فَأَكَلَ مَعَهُ وَشَرِبَ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَبَيْتٍ كظَهَرَ الْفِيلُ جُلًّا مَتَاعِهِ

تَرَى فِيهِ أَثْلَامَ الْأَصِيصِ^(٥) كَأَنَّهَا

لَعَنُوكَ مَا لَا قِيَتْ يَوْمَ مَعِيشَةٍ

حَوَارِيَّةٌ لَا يَدْخُلُ الدَّمُّ بَيْتَهَا

أَبَارِيقُهُ وَالشَّارِبُ الْمُتَقَطَّرُ^(٤)

إِذَا بَالَ فِيهَا الشَّيْخُ جَفْرًا^(٦) مَعْوَرٌ

مَنْ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمُ شَقْرَاءَ أَقْصَرُ

مُطَهَّرَةٌ يَا أَوْيَ إِلَيْهَا مُطَهَّرٌ

(١) فِي جَدِّ: «عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الْحَقَّارِ أَخِي أَبِي الْحَجَّاجِ».

(٢) يَتَصَبَّحَانِ الْغُدْرَانِ: يَأْتِيَانِهَا صَبَاحًا.

(٣) فِي الْأَصُولِ «فَتَبِعَهُمَا» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) كَذَا فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ وَشَعْرُ الْأَخْطَلَ. وَالْمُتَقَطَّرُ: الْمَصْرُوعُ. وَفِي ب، س: «الشَّادِنُ الْمُتَعَطَّرُ».

(٥) الْأَصِيصُ: أَسْفَلُ الدَّنِّ كَانَ يُوضَعُ لِيَبَالَ فِيهِ.

(٦) الْجَفْرُ: الْبُثْرُ الْوَاسِعَةُ. وَالْمَعْوَرُ: الْمَكْبُوسُ بِالتَّرَابِ. وَفِي ب، س: «حَبِيرٌ مَقْوَرٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

/ وذكر هارون بن الزيات هذا الخبر عن حماد عن أبيه أنه كان نازلاً على عكرمة الفياض وأنه خرج من عنده يوماً، [٣١٥/٨] فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قينةٌ يقال لها شقراء. وذكر الخبر مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيام. وظنّ عكرمة أنه غضب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتیان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: إستمعوا بهذه على أمركم. ولم يزل يناديهم حتى رحل.

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال:

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان بشر يُغري بين الشعراء. فقال للأخطل: أحكم بين الفرزدق وجرير. فقال: أغفني أيها الأمير. قال: أحكم بينهما، فأستعفاء بجهده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشومٌ؛ ثم قال: الفرزدق ينحط من صخر، وجرير يغرف من بحر. فلم يرض بذلك جرير، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته:

يا ذا الغبابة^(١) إن بشرأ قد قضى
فدعوا الحكومة لستم من أهلها
قتلوا كلّيكم^(٢) يلحقه جارهم
فقال الأخطل يرد على جرير:

ولقد تناسبت^(٣) إلى أحسابكم
/ فسيذا كلّي^(٤) لا تساوي دارمأ
/ وإذا جعلت أباك في ميزانهم
وإذا وردت الماء كان لبدارم
ثم استطارا في الهجاء.

مناقضة بينه وبين جرير

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال:

لما قال جرير:

إذا أخذت قيس عليك وخندف
بأقطارها لم تذر من أين تشرح

(١) في ج: «ياذا الغبابة».

(٢) يشير إلى حادثة كليب وجساس بن مرة الشهيرة. واللقحة: الناقة الحلوب.

(٣) في «ديوانه» ص (٢٧٤): «ولقد تجاربتهم على أحسابكم».

(٤) حزم: جبل فوق الهضبة في ديار بني أسد. (عن «شرح القاموس» مادة حزم). وأبان: جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء، ويعرف بالأبيض، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود، وبينهما ميلان وقيل فيهما غير ذلك. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و«شرح القاموس» مادة أبان).

(٥) عفة كل شيء: صفوته وكثرته. والعطن: مناخ الإبل حول الورد.

قال الأخطل^(١). لا أين! سَدَّ والله عليَّ الدنيا. فلما أنشد قوله:

فما لك في نجدٍ حصاةً تُعْذِّها وما لك من غوزي تهامةً أبطَحُ
قال الأخطل: لا أبالي والله ألا يكون فتَحَ لي والصليبُ القول؛ ثم قال:
ولكن لنا بَرُّ العراقِ ويَحْرُهُ وحيث تَرَى القُرْقُورَ^(٢) في الماء يَنْسَبُحُ

استشهد تغلبي بشعر لجريز في محاوراة بينه وبين تميمي

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني محمد بن الحجاج الأسدي قال:

خرجتُ إلى الصائفة^(٣) فنزلتُ منزلاً ببني تغلب فلم أجِدْ به طعاماً ولا شرباً ولا علفاً لدوايبي شربى ولا قرى
[٣١٧/٨] ولم أجِدْ ظلاً؛ فقتل لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد / يُسْتَظَلُّ فيه؟ فقال: ممَّن أنت؟ قلت: من بني تميم.
قال: ما كنتُ أرى عمك جريراً إلا قد أخبرك حين قال:

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى في آل تغلبٍ مسجداً معموراً

لقيه جريز حين خرج إلى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلام قال حدثني شيخ من ضبيعة قال:

خرج جريز إلى الشام فنزل منزلاً ببني تغلب فخرج متلثماً عليه ثياب سفره، فلقه رجل لا يعرفه. فقال: ممَّن
الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم؟ فأنشده مما قال لجريز. فقال: أما سمعتَ
ما قال لك غاوي بني تميم؟ فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جريز في نقضه حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبي: من
أنت؟ لا حيَّاك الله! والله لكأنك جريز. قال: فأناب جريز. قال: وأنا الأخطل.

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده

أخبرني عتي قال أنبأنا الكُراني قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائني قال:

دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلمه فخلط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال:

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطُولاً
مشى قُرَشِيَّةً لا عيبَ فيها وأررخى من مآزره القُضُولاً

نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي
قال أخبرني أبو محمد اليزيدي قال:

خرج الفرزدق يؤمُّ بعض الملوك من بني أمية، فرفع له في طريقه بيتٌ أحمر من آدم، فدنا منه وسأل فقيل

(١) في ج، م، أ: «لما أنشدهما الأخطل قال...».

(٢) القُرْقُور: السفينة العظيمة.

(٣) في أ، م: «الطائف» والصائفة: الغزو في الصيف.

له: [بيت] ^(١) الأخطل. فأتاه فقال: أنزل. فلما نزل قام / إليه الأخطل وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف؛ فقعدا يتحدثان. [٣١٨/٨] فقال له الأخطل: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذا من رَهط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالاً يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك: أنتم معشر / الحنيفة لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خَفَضُ قليلاً ^{١٨٧} _٧ وهات من شرابك فاسقنا. فلما عملت الرَّاح في أبي فراس قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبل رأسه وقال: لا جزاك الله عني خيراً لِمَ كَتَمْتَنِي نَفْسَكَ منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإياي لأشعرُ منه ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نُؤْتَه؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أن أحداً قال أهجى منه، قلت:

قَوْمٌ إِذَا اسْتَبِيحَ الْأَصْيَافُ كَلِبُهُمْ قَالُوا لِأَمْتِهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ
فَلَمْ يَرَوْهُ إِلَّا حُكَمَاءُ أَهْلِ الشَّعْرِ. وَقَالَ هُوَ:
وَالْتَغَلَّبَنِي إِذَا تَنَحَّجَ لِلْقَرَى حَاكَ أَسْتَهَ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
فَلَمْ تَبَقْ سَقَاةً وَلَا أَمْثَالُهَا إِلَّا رَوْهَ. فَقَضِيَ لَهُ أَنَّهُ أَسِيرُ شِعْرًا مِنْهُمَا.

كان له دار ضيافة فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني:

كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه، فقبل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث إليه فتعشى معه، ثم قال له: أتصيب من الشراب شيئاً؟ قال: نعم. قال: أية؟ قال: كله إلا شرابك. فدعا له بشراب يوافقه، وإذا عنده قِيتانِ هما خلفه وبينه وبينهما سِتْرٌ، وإذا الأخطل أشهب اللحية له ضميرتان؛ فغمز السِتْرَ بقضيب في يده وقال: غنياني بأردية الشعر، ففتته بقول عمرو بن شأس:

[٣١٩/٨] / وَيَبِيضُ تَطْلَى بِالْعَيْرِ كَأَنَّمَا يَطَّانُ وَإِنْ أَعْنَقْنِ ^(٢) فِي جُدَدٍ وَخَلَا
لَهُوْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا بِشَارِبٍ إِذَا قَلَّتْ مَغْلُوبًا وَجَدَتْ لَهُ عَقْلَا

السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفياض

فأما السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربعي الفياض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

قدم الأخطل الكوفة فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْمِ الشَّيْبَانِي، فقال: إني تحملتُ حَمَالَتَيْنِ لأَحِقْنَ بهما دماء قومي فنهره، فأتى سَيَّارَ بن البريعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عِكرمةَ الفياض، وكان كاتباً لبشر بن مَرْوان، فسأله وأخبره بما رَدَّ عليه الرجلان؛ فقال: أما إني لا أنهرُك ولا أعتذرُ إليك، ولكني أعطيتُ إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً. قال: وحدثتُ أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقبل له: إن أردت أن تكافئ عِكرمةَ يوماً فاليوم. فليس جُبةَ غَزْرٍ وركب فرساً وتقلد صلياً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حَوْشَبُ وسَيَّارُ نَفَسَا عليه ذلك،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الإعناق: سير فسيح سريع. والجدد: الطرق.

وقال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ ينشد قصيدته^(١):

* لِمَنْ الدِّيارُ بحائِلٍ فُوعالٍ *

حتى أنتهى إلى قوله:

إِنَّ أَبْنَ رَبِيعِي كَفَّانِي سَيْئِهِ ضِفْنُ العدُوِّ وَغَذْرَةُ الْمُحْتَالِ^(٢)
أَغْلَيْتَ حِينَ تَوَاكَلْتَنِي وائِلُ إِنَّ المَكَّارِمَ عِنْدَ ذَاكَ غَوَالِ
وَلَقَدْ مَتَّتَ عَلَى رَبِيعَةٍ كُلِّهَا وَكَفَيْتَ كُلَّ مُوَاكِلٍ خَذَالِ
كَابِنَ الْبَزِيعَةِ أَوْ كَأَخْرَ مِثْلِهِ أَوَّلَى^(٣) لَكَ أَبْنُ مُسَيْمَةِ الْأَجْمَالِ
/ إِنَّ اللَّثِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بِهَرْتَسِهِ وَتَرَى الْكَرِيمَ يَرَّاحُ^(٤) كَالْمُخْتَالِ
/ وَإِذَا عَدَلْتَ بِهِ رَجَالًا لَمْ تَجِدْ فَيَضُ الْفُرَاتِ كَرَاثِشِ الْأَوْشَالِ

[٣٢٠ / ٨]

١٨٨
٧

قال: فجعل عكرمة يبتهج ويقول: هذه والله أحب إلي من حُمُرِ النَّعَمِ.
ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

صوت

من المائة المختارة

أَرَاكَ بِالْخَابُورِ^(٥) نَوْقٌ^(٦) وَأَجْمَالِ وَدَارُ عَفْنَهَا الرِّيحُ بَعْدِي بِأَذْيَالِ
وَمَبْنَى قَبَابِ الْمَالِكِيَّةِ حَوْلَنَا وَجُرْزُ تَغَادَى بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول. وفيه لحنين الحيري ثقيل أول عن الهشامي.

(١) عبارة «تجريد الأغاني»: «فلما رآه حوشب وسيار نكسا رأسيهما، فقال له عكرمة الغياض: إلينا يا أبا مالك، فابتدأ ينشده قصيدته».

(٢) وردت هذه الأبيات في «ديوانه» ص ١٥٩ باختلاف يسير عما هنا.

(٣) أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد وقال الأصمعي معناه: قاربك ما تكره أي نزل وحق بك.

(٤) راح الإنسان إلى الشيء: إذا نشط له وسر به.

(٥) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات، وهو أيضاً واد بالجزيرة.

(٦) في جد: «برق».

[٣٢١/٨]

/ ذكر سائب خاثر ونسبه

نسب سائب خاثر

كان سائب خاثر مولد بني ليث. وأصله من فَيءِ كِسْرَى، وأُشْتَرِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَلَاءَهُ مِنْ مَوَالِيهِ، وَقِيلَ: بَلِ اشْتَرَاهُ فَأَعْتَقَهُ، وَقِيلَ: بَلِ كَانَ عَلَى وَلَانِهِ لِبَنِي لَيْثٍ، وَإِنَّمَا انْقَطَعَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَلَزِمَهُ وَعُرِفَ بِهِ. وَكَانَ يَبِيعُ الطَّعَامَ بِالْمَدِينَةِ. وَأَسَمَ أَبِيهِ الَّذِي أَعْتَقَهُ بَنُو لَيْثٍ «يَشَاء»^(١).

هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به وأخذ عنه المغنون الأولون

قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما: هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. وقال ابن خردادبه: كان عبدالله بن عامر اشترى إماءً صَنَاجَاتٍ^(٢) وأتى بهن المدينة، فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه، وسمع الناس منهن، فأخذ عنهن. ثم قدم رجل فارسي يسمى بنشيط، فغنى فأعجب عبد الله بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية، ثم غدا على عبدالله بن جعفر وقد صنع:

* لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ *

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المُنَقَّن الصنعة. قال: ثم اشترى عبدالله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي وأخذ عنه ابن سُرَيْحٍ وجميلة وعزة الميلاء وغيرهم.

[٣٢٢/٨]

/ قتل يوم الحرة:

قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال:

كان سائب خاثر يُكْنَى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرَعُ بِقَصِيْبٍ وَيَغْنِي مَرْتَجِلاً، ولم يزل يغني. وقُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ. ومَرَّ بِهِ بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ وَهُوَ قَتِيلٌ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: إِنَّ هَا هُنَا لِحَنْجَرَةٌ حَسَنَةٌ. وَكَانَ سَائِبٌ مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ.

قال ابن الكلبي: وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعام، وكان تحته أربع نسوة، وكان انقطاعه إلى عبدالله بن جعفر، وكان مع ذلك يُخَالِطُ سَرَوَاتِ النَّاسِ وَأَشْرَافَهُمْ لظُرْفِهِ وَحَلَاوَتِهِ وَحَسَنِ صَوْتِهِ. وكان قد آلى ألا يغني أحداً سوى عبدالله بن جعفر، إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِلَ. قال: وأخذ

(١) في ج: «بشاً» بالباء الموحدة. وفي «تجريد الأغاني»: «يسار».

(٢) كذا في «نهاية الأرب» (ج ٢ ص ٢٣٧ من الطبعة الأولى). والصناعات: اللاعات بالصنج وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وهو أيضاً شيء ذو أوتار تختص به العجم. وفي الأصول: «ناتحات».

معبد عنه غناء كثيراً فنحل الناس بعضه إليه^(١)، وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خردادبه أن أم محمد
١٨٩ / ابن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل:

وقال ابن الكلبي: سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل؛ وأول لحن صنعه منه:

لَمِنْ الدِّيارِ رُسُومُها قَفْرُ

قال: فألفت هذا الصوت الفروع.

قال وحدثني محمد بن يزيد أن أول صوت صنعه في شعر امرئ القيس:

أَفَاطُمُ مَهَلًا بَعْضَ هذا التَّدْلِيلِ

وأن معبدًا أخذ لحنه فيه فغنى عليه:

أَمِنْ آلِ لَيْلى بِاللَّوى مُتَرَبِّعُ

[٣٢٣/٨] / وفد على معاوية مع عبدالله بن جعفر فسمع منه وأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن لقيط قال:

وفد عبدالله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر؛ فقال معاوية: من سائب خاثر؟ قال: رجل من أهل المدينة ليثي يزوي الشعر. قال: أو كل من روى الشعر أراد أن
نصله! قال: إنه حسنه. قال: وإن حسنه! قال: أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم. قال: فالبسته مُمَصَّرَتَيْنِ^(٢)
إزاراً ورداء. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى:

لَمِنْ الدِّيارِ رُسُومُها قَفْرُ

فالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر فقال: أشهد لقد حسنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

نسبة لهذا الصوت

لَمِنْ الدِّيارِ رُسُومُها قَفْرُ لَبِثَ بِها الأرواحُ والقَطْرُ

وَحَلًّا لَها من بعد ساكنِها حَجَجُ مَضِيَّينَ ثَمَّانِ أَوْ عَشْرُ

وَالزُّغْفَرانُ على تَرَائِبِها شَرِقُ^(٣) بِهِ اللَّبَّاتُ والتَّخَرُ

الشعر يُنسب إلى أبي بكر^(٤) بن المسور بن مخزومة الزُّهري، وإلى الحارث بن خالد المخزومي، وإلى بعض

(١) الذي في أمهات «كتب اللغة»: نحلة القول ينحله نحلاً شبه إليه ونحلته القول أنحلته نحلاً بالفتح إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وأدعيته عليه.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». والممصّر من الثياب: الذي فيه صفرة خفيفة. وفي الأصول: «مخصرتين» بالخاء المعجمة وهو تحريف.

(٣) شرق الجسد بالطيب: امتلاً.

(٤) كذا في ج: و «كتاب المعارف» لابن قتيبة ص ٢١٨، وفي سائر الأصول: «أبي ذكر» وهو تحريف. وقد ورد البيت الأخير في «لسان العرب» و «شرح القاموس» (مادة شرق) منسوباً للمخيل.

القرشيين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء^(١) لسائب خاثر ثقيل أول بالسبابة عن الكلبي وحَبَش، وذكر أن لحن سائب خاثر ثقيل / أول بالوسطى، ووافق إسحاق في ذلك، وذكر أن الثقيل الأول لنشيط. وذكر [٣٢٤/٨] يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه، وذكر الهشامي أن لحن معبد خفيف ثقيل، وأن فيه لابن سريج خفيف رمل. سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته:

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثنا محمد بن المنهال عن رجل حدثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكلبي عن لقيط قال:

أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد أبنه، فسمع صوتاً أعجبه، وأستخفه السماع فاستمع قائماً حتى ملّ، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، وأستهى الاستراذة فاستمع بقية ليلته حتى ملّ. فلما أصبح غدا عليه يزيد. فقال له: يا بُني! مَنْ كان جليستك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستعجم عليه. قال: عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأخبر^(٢) له يا بُني من يرك وصيلتك، فما رأيت بمجالسته بأساً. سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به:

قال ابن الكلبي: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلة فركبها ثم توجه إليهم. فلما جلس قال بعض القرشيين / لسائب خاثر: مطرفي هذا لك - وكان من خز - إن أنت أندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني. فقام ومشى بين السماطين وغنى:

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكّت وهو مُستحسن لذلك، ثم قام وأنصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المطرف.

/ قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه: [٣٢٥/٨]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الزبير، وأخبرني أبو بكر بن أبي شيبة البزار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال:

قُتل سائب خاثر يوم الحرة، وكان خشي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مُغن، ومن حالي وقصتي كيت وكيت؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله. قالوا: فغن لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيد خبره ومرّ به أسمه في أسماء من قُتل يومئذ فلم يعرفه وقال: مَنْ سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغني. فعرفه فقال: وَيْلَه!! ماله ولنا! ألم

(١) هذه الألبان رويت هكذا في أكثر الأصول وفي أ، م: «والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالوسطى ووافق إسحاق في ذلك وذكر أن الثقيل الأول للنشيط... إلخ». وفي كلتا الروايتين اضطراب لا يخفى.

(٢) أختر: أكثر.

نُحْسِنُ إِلَيْهِ وَنُصِلْهُ وَنُخْلِطْهُ بَأَنْفُسِنَا! فما الذي حمّله على عداوتنا! لا جَرَمَ أَنْ بَغَيْتَهُ صَرَعه . وقال المدائني في خبره: فقال إِنَّ اللَّهَ! أَوْ بَلَغَ الْقَتْلُ إِلَى سَائِبِ خَائِرِ وَطَبَقَتِهِ! مَا أَرَى أَنَّهُ بَقِيَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ. ثم قال: قَبِّحْكُمْ اللَّهُ يَا هَلَّ الشَّامِ! تَجِدْهُمْ صَادِفُوهُ فِي حَدِيقَةٍ أَوْ حَائِظٍ مُسْتَتراً مِنْهُمْ فَقَتْلُوهُ.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال أنبأنا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي قَبِيصَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي حَاتِمُ بْنُ قَبِيصَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبْنُ جُعْدُبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُوَيْلِّكُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ لِي سَائِبُ خَائِرِ يَوْمَ الْحَرَّةِ: هَلْ سَمِعْتَ شَيْئاً صَنَعْتُهُ؟ فغَنَانِي صَوْتاً:

صوت

لِمَنْ طَلَّلُ بَيْنَ الْكُرَاعِ^(١) إِلَى الْقَصْرِ يُغَيِّبُ عَنَّا آيَهُ سَبَلِ الْقَطْرِ

إِلَى خَالِدَاتِ مَا تَرِيْمُ وَهَامِدِ وَأَشْعَثَ^(٢) تُرْسِيهِ^(٣) الْوَلِيدَةُ بِالْفَهْرِ^(٤)

[٣٢٦/٨] / قال: فسمعتُ عجباً مُعْجِجاً، ثم ذكر أهله وولده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أمّا بعد شيء سمعته ورأيتُه من يزيد بن معاوية فلا ثم تقدّم حتى قُتِلَ.

صوت

من المائة المختارة

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَصِيفُ^(٥) فَبَطْنُ^(٦) نَخْلَةَ فَالْعَرِيفُ^(٧)

هَلْ تُبْلَغُنِي دِيَارَ قَوْمِي مَهْرِيَّةً^(٨) سَيْرُهُمْ أَزْفِيفُ

يَا أُمَّ نَعْمَانَ نَوْلِينَا قَدْ يَنْفَعُ النَّائِلُ الطَّفِيفُ

أَعْمَامُهَا الصَّيْدُ مِنْ لُؤْيٍ حَقّاً وَأَخْوَالُهَا ثَقِيفُ

الشعر لأبي فرعة الكِنَانِي، والغناء لجَرَادَتِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، ولحنه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيل أول مطلق.

(١) كراع الأرض: ناحيتها وهو أيضاً ما سأل من أنف الجبل أو الحرة. وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بشمانية أميال.

(٢) الأشعث: الوند.

(٣) كذا في أ، م. وأرسي الشيء: ثبته. وفي سائر الأصول «ترمي» بالميم وهو تحريف.

(٤) الفهر: حجر يملأ الكف. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» مادة «رما» منسوباً للأحوص.

(٥) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.

(٦) ظاهر أن مصيف والعريف: اسمان لموضعين. ولم نقف عليهما في «كتب البلدان» التي بين أيدينا.

(٧) إبل مهريّة: منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة. وزفيف: سريم.

[٣٢٧/٨]

أذكر جرّادتي عبد الله بن جُذعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُذعان

نسب عبدالله بن جُذعان:

هو عبدالله بن جُذعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرة بن كُعب بن لؤي بن غالب.

كان جواداً فوهب لأمية بن أبي الصلت أمية الجرّادتين:

قال ابن الكلبي: كانت لابن جُذعان أمتان تُسميان الجرّادتين تتغنيان في الجاهلية، سمّاهما^(١) بجرّادتي عاد. ووهبهما عبدالله بن جُذعان لأمية بن أبي الصلت الثَّقَفِي، وقد كان أمتدحه. وكان ابن جُذعان سيّداً جواداً، فرأى أمية ينظر إليهما هو عنده فأعطاه إياهما.

سؤال عائشة للنبي ﷺ عنه:

وأخبرني أبو الليث نصر بن القاسم الفَرَّانِي قال حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال حَدَّثَنَا حَفْص بن غِيَاث عن داود عن الشَّعْبِي عن مسروق عن عائشة قالت:

قلت: يا رسول الله / إن ابن جُذعان كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينَ فهل ذلك نافع؟ قال: $\frac{3}{8}$ «لا لم يقل يوماً أَغْفِرَ لي خَطِيئتي يومَ الدين».

قدم عليه أمية وهو عليل فضمنه قضاء دينه، فمدحه:

أخبرني الحرَمِي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزَّيْبَر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي جعفر بن الحسين قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن أحمد قال:

قدم أمية بن أبي الصلت على عبدالله بن جُذعان؛ فلما دخل عليه قال له عبدالله: أمرٌ ما أتى بك! فقال أمية: كلابٌ غَرَماءُ تَبَحَّتْنِي ونَهَشَتْنِي. فقال له عبدالله: قَدِمْتَ عَلَيَّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمْتَنِي ونَهَشَتْنِي، فأنظرنِي قليلاً، ما في يدي^(٢)، وقد ضَمِنْتُكَ قضاء دينك ولا أسأل عن مَبْلَغِهِ. قال: فأقام أمية أياماً، فأتاه فقال:

[٣٢٨/٨]

حيَاؤُكَ إِن شِئْتَنِيكَ الْحَيَاءُ	/ أَلْذُكْرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي
لَكَ الْحَسْبُ الْمَهْدَبُ وَالسَّناءُ	وَعِلْمُكَ بِالْأُمُورِ وَأَنْتَ قَرَمٌ
عَنِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ وَلَا مَسَاءُ	كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ

(١) في أ، م: «يسميهما».

(٢) الطاهر أنه يريد: «ما في يدي شيء».

تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُوداً^(١) إذا ما الكَلَسُ أَخْجَرَهُ الشِّتَاءُ
إذا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْماً كفاه من تَعَرُّضِهِ الثَّيَاءُ
إذا خَلَفْتَ عَبْدَ اللَّهِ فَأَعْلَم بأن القوم ليس لهم جَمَازُ
فَارْضُكَ كُلَّ مَكْرُمَةٍ بِنَاهَا بنو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهُمْ سَمَاءُ
فَأَبْرَزْ فَضْلَهُ حَقّاً عَلَيْهِمْ كما بَرَزَتْ لِنَظَرِهَا السَّمَاءُ
فَهَلْ تَخْفَى السَّمَاءُ عَلَى بَصِيرِ وهَلْ بِالشَّمْسِ طَالَعَةٌ خَفَاءُ

فلما أنشده أُمَيَّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قِيتَانِ فقال: خذ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ؛ فأخذ إحداهما وأنصرف. فمرَّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لَقِيتَهُ عَلِيلاً، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كل حق ضَمِنَهُ لك، فوقع الكلام من أُمَيَّةَ موقعاً ونديم، ورجع إليه ليردّها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جُدْعَانَ: لعلك إنَّما رَدَدْتَهَا لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأُمَيَّةَ ما قال له القوم. فقال أُمَيَّةُ: والله ما أخطأت يا أبا زُهَيْر. فقال عبدالله بن جُدْعَانَ: فما الذي قلتَ في ذلك: فقال أُمَيَّةُ:

قصيدة

عطاؤكَ زَيْنٌ لِمَرِيءٍ إِنْ حَبَوْتَهُ يَبْذُلُ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لِمَرِيءٍ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السَّوَالِ يَشِينُ
[٣٢٩/٨] / غَنَّتْ فِيهِ جَرَادَتَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ - فقال عبدالله لأُمَيَّةَ: خذِ الْآخَرَى؛ فأخذهما جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول - وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمدُ بن عبدالعزيز الجوهري عن عمر بن شُبَّةَ وفيها زيادة:-

وَمَا لِي لَا أَحْيِيهِ وَعِنْدِي مَوَاهِبُ يَطْلُعْنَ مِنْ التَّجَادِ
لَا يَبْضُ مِنْ بَنِي تَيْمٍ بِنَ كَغَبٍ وَهُمْ كَالْمَشْرِفَاتِ الْجِدَادِ
/ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ هَسَادٍ^(٢) وَرَأْسُ وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلُّ هَادِي
لَهُ بِالْخَيْفِ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ وَإِنَّ الْيَبْتَ يُرْفَعُ بِالْعِمَادِ
لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشَمِّرٌ^(٣) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ يُنَادِي
إِلَى رُدْجٍ^(٤) مِنَ الشَّيْزِيِّ مِلَاءٍ لُبَابِ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ
وقال فيه أيضاً:

ذُكِرَ أَبْنُ جُدْعَانَ بِخِي بِرِ كَلَمَا ذُكِرَ الْكِرَامُ

(١) كذا في جـ وفي سائر الأصول: «ومجداً».

(٢) الهادي: العنق لأنها تتقدم على البدن ولأنها تهدي الجسد وكل متقدم هاد.

(٣) اشعمل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا.

(٤) رُدْج: جمع رداح وهي الجفنة العظيمة. والشيزي: خشب أسود تتخذ منه القصاع.

مَنْ لَا يَخْشَوْنَ وَلَا يَسْتَعِينُونَ وَلَا تُغْنِيهِمْ أَمْوَالُهُمْ
تَجْنِبُ^(١) النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيَّةَ سَبَبٌ لَهُ الرُّحَالَةُ وَالزُّمَامُ

وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة ودعا الناس إليه :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال :

كان ابن جُذعان سيّداً من قريش ؛ فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذ . قال :

وما الفالوذ ؟ قالوا^(٢) : لُبَابُ الْبَرِّ يُلَبَّكُ مَعَ عَسَلٍ / النحل . قال : ابغوني غلاماً يصنعه ؛ فأتوه بغلام يصنعه فأبتاعه ثم [٣٣٠ / ٨] قدم به مكة معه ، ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة ، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى مُنَادِيهِ : أَلَا مَنْ أَرَادَ الْفَالُودَ فَلْيَخْضُرْ فَحَضَرَ النَّاسُ ؛ فكان فيمن حضر أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ؛ فقال فيه :

وَمَالِي لَا أَحْيِيهِ وَعَسْدِي
إِلْسِي وَإِنَّهُ لِلنَّاسِ نَهْيٌ^(٣)
مَوَاهِبُ يَطْلِفُنْ مِنْ التُّجَادِ
وَلَا يَنْتَلُ بِالْكَلِمِ الصَّوَادِي^(٤)

وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدماً .

استشهد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأمية فيه :

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن عمران الجرجاني - وليس بصاحب إسحاق الموصلي ؛ قال : وهو شيخ لقيته بجرجان - قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال :

سألت سفيان بن عيينة فقلت : يا أبا محمد ، ما تفسير قول النبي ﷺ : « كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وإنما هو ذكرٌ وليس فيه من الدعاء شيء ؟ فقال لي : أعرفت حديث مالك بن الحارث : يقول الله جل ثناؤه : « إذا شغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين » ؟ قلت : نعم ! أنت حدثتني عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أما علمت ما قال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ حين خرج إلى ابن جُذعان يطلب نائله وفضله . قلت : لا أدري ؟ قال :

/ أَدُكْرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّانِي
حِاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الْحِيَاءُ
إِذَا أَتَيْتُكَ عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّأُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوق يُنسب إلى الجود فقيل له : يكفيني من مسألتك أن تُثني عليك ونسكت حتى تأتي علي حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .

(١) النجيب : السخي الكريم كالنجيب .

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول «قال» وهو تحريف .

(٣) النهي : الغدير ، وهو أيضاً كل موضع يجتمع فيه الماء .

(٤) الصوادي : المعطاش . يريد أنه لا يلجأ إلى الكلم التي لا تجدي .

زاره أمية في احتضاره وقال فيه شعراً:

أخبرني الحرَمِيّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بن حُمَيْدٍ قال حَدَّثَنِي جَبَّارُ ابن جابر قال:
دخل أمية بن أبي الصَّلْتِ على عبد الله بن جُذَعَانَ وهو يجود بنفسه؛ فقال له أمية: كيف تَجِدُكَ أبا زُهَيْر؟ قال:
٥/ ٨ إني لَمُذَابِرٍ (أي / ذاهب). فقال أمية:

عِلِمَ ابْنُ جُذَعَانَ بنِ عم	يرو أنه يوماً مُذَابِرُ
ومسافرٌ سافرَ أبعي	سداً لا يؤوب به المُسافر
فقدُورُهُ بِفَنائِهِ	للضيف مُثَرَعَةٌ زَوَاخِرُ
تبدو الكسورُ ^(١) من أنضر ^(٢)	ج الغلّي فيها والكراكر
فكانهنّ بما حَمِي	ن وما شُحِنَّ ^(٣) بها ضرائر
بَدَّ المَعاشِرَ كُلَّهَا	بالفضل قد عِلِمَ المَعاشِر
وعلا علو الشمس حَتَّى	منا يُفَاخِرُهُ مُفَاخِرُ
دانست له أبناءُ فِه	ر من بني كعب وعامر
أنت الجوادُ ابْنُ الجوا	د بكم يُنَافِرُ من يُنَافِرُ

[٣٣٢/٨] / ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر:

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال حَدَّثَنَا أبو سَعِيدٍ الشُّكْرِيُّ قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغلابيّ عن
الواقديّ عن ابن أبي الزناد قال:
ما مات أحد من كبراء قُرَيْشٍ في الجاهليّة إلا ترك الخمرَ أَسْتَحْيَاءَ ممّا فيها من الدّنس؛ ولقد عابها ابن جُذَعَانَ
قبل موته فقال:

شَرِبْتُ الخمرَ حتّى قال قومي	أست عسَن السَّقاهِ بِمُستَفِي
وحَتّى ما أوسَّدُ في مَيْسِرٍ	أنام به سوى الثُّرْبِ السَّحِي
وحَتّى أَغْلَقْتُ ^(٤) الحانوتَ رهنسي	وَأَنشَأْتُ الهَوَانَ من الصديق

قال: وكان سببُ تركه الخمرَ أن أمية بن أبي الصَّلْتِ شرب معه فأصبحت عين أمية مُخْضَرَّةً يخاف عليها الذّهاب.
فقال له: ما بال عينك؟ فسكت. فلما ألح عليه قال له: أنت صاحبها أصبّتها البارحة. فقال: أو بلغ منّي الشُّراب

(١) الكسور: جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم.

(٢) الانضرّاج: الانفراج. يريد أن القدر إذا غلت واضطرب ماؤها بان اللحم الموضوع فيها. والكركرة: كالفقهة ويعني بها صوت الماء في غليانه.

(٣) كذا في أ، م و«شعراء النصرانية». وفي سائر الأصول: «وما شحين».

(٤) أغلق الرهن: أستهقه. والحانوت: الخمار، والحانوت أيضاً: دكان الخمار.

الذي^(١) أبلغ معه من جليسي هذا! لا جرّم لأدينّها لك ديتين؛ فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: الخمرُ عليّ حرام أن أذوقها أبداً، وتركها من يومئذ.

قصيدة

من المائة المختارة

فقد لَعَنَ رِي بِئْتُ لَيْلِي	كأخي السداء الوجيع
ونَجِيّ الهِمِّ مَنِّي	بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرتُ رُبْعاً	خالياً فاضت دموعي
// لا تَلُمْنَا إنْ خَشَعْنَا	أو هَمَمْنَا بالخشوع
إذا فقسدنا سيّداً كسا	ن لنا غير مُضِيّع

الشعر للأحوص. والغناء لسلامة القس. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مَجْرَاهَا. وقد قيل: إن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إن الغناء لمعبد وإنها أخذته عنه.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) يريد أو بلغ مني الشراب هذا الحد الذي يجري فيه لجليسي ذلك!

/ ذكر سلامة القس وخبرها

[٣٣٤/٨]

 $\frac{1}{8}$

نشأة سلامة القس ومن أخذت عنه الغناء، وسبب تسميتها بذلك:

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت. وأخذت الغناء عن معبد وأبن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السَّمْح وذويهم فمهرت. وإنما سُميت سلامة القس لأن رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَمِيّ من قُرَاء أهل مكة، وكان يُلقَّب بالقس لعبادته، شَغِفَ بها وشُهر، فغَلَبَ عليها لقبه. واشترأها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من أُنْهَمَ به الوليدُ من جوارِي أبيه حين قال له قَتَلْتَهُ: نَقِمُ عليك أنك تَطَأُ جوارِي أبيك. وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتلته.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال:

كانت حَبَابَةُ وسلامة القس من قِيَان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين وكانت سلامة أحسنهما غناءً، وحَبَابَةُ أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حَبَابَةُ تتعاطاه فلا تُحَسِّن. وأخبرني بذلك المَدائني عن جرير.

وحَدَّثني الزُّبَيْرِي قال حَدَّثني مَنْ رَأَى سلامة قال:

ما رأيتُ من قِيَان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سلامة. وعن جميلة أخذت الغناء.

كانت لسهيل بن عبد الرحمن، وشعر ابن قيس الرقيات فيها:

حَدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وإسماعيل بن يونس قالَا حَدَّثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال حَدَّثني المَدائني قال:

كانت حَبَابَةُ وسلامة قِيتَتين بالمدينة؛ أما سلامة فكانت لسهيل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابن قيس الرقيات:

لقد فتنَتْ رِيَا وسلامة القسا / فلم تتركاً للقس عقلاً ولا نفساً
فتاتانِ أما منهما فشيبة الـ / هلالٍ وأخرى منهما تشبه الشمساً

وغَنَاه مالك بن أبي السَّمْح. وفيها يقول ابن قيس الرقيات:

أختانِ إحداهما كالشمس طالعةً / في يوم دَجْنٍ وأخرى تشبه القمرأ

قال: وفُتِنَ القسُ بسلامة، وفيها يقول:

أهابك أن أقول بذلت نفسي / ولو أني أطيع القلبَ قالَا
حياءً منك حتى سَلَّ جسمي / وشقَّ عليّ كتمانِي وطالَا

سبب افتتان عبدالرحمن بن أبي عمار القس بها وشعره فيها :

قال : والقس هو عبدالرحمن بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية ، وكان منزله بمكة . وكان سبب افتتانه بها فيما حدثني خلاد الأزقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون : كان القس من أعبد أهل مكة ، وكان يشبهه بعتاء بن أبي رباح ، وأنه سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك . فبلغ غناؤها منه كل مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع ! فأبى . فقال مولاها : أنا أقعدها في موضع تسمع غناؤها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناؤها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنت فشغف بها وشغفت به ، وعرف ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله أحبك . قال : وأنا والله أحب ذاك . قالت : فما يمنحك ! فوالله إن الموضع لخال . قال : إني سمعت / الله عز وجل يقول : ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وأنا أكره أن تكون خلعة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وأنصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك ؛ وقال من فوره^(٢) فيها :

[٣٣٦/٨]

إِنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبٍ تَمَشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامٌ
لَتَصِيدُ قَلْبَكَ أَوْ جِزَاءَ مَوْدَةٍ إِنَّ الرَفِيسَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامٌ
بَاتَتْ تَعْلَلُنَا وَتَحْسَبُ أَنَّنا فِي ذَاكَ أَبْقَاظٌ وَنَحْنُ نِيَامٌ
حَتَّى إِذَا سَطَعَ الضُّيَاءُ لَنَاظِرٍ فَإِذَا وَذَلِكَ بَيْتُنَا أَحْلَامٌ
قَدْ كُنْتَ أَعْدِلُ فِي السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ
فَالْيَوْمَ أَعِزُّرُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّما سُبُلُ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى أَقْسَامُ

ومن قوله فيها :

أَلَمْ تَرَهَا لَا يُنْعِدُ اللَّهُ دَارَهَا إِذَا رَجَعْتَ فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ
تُمَدُّ نَظَامُ الْقَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّه إِلَى صَلَافٍ^(٣) فِي صَوْتِهَا يَتَرَجَّعُ

وفيهما يقول :

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مُبْصِرٌ وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقْصِرٌ
أَلَا لَيْتَ أَنِّي حِينَ صَارَتْ بِهَا النَّوَى جَلِيسٌ لَسَلَمَى كَلَمَا عَجَّ^(٣) مِزْهَرٌ

وقال في قصيدة له :

سَلَامٌ وَيَحْكُ هَلْ تُحْيِيَنَّ مَنْ مَاتَا أَوْ تَرْجِعِينَ عَلَى الْمُحْزُونِ مَا فَاتَا

وقال أيضاً :

(١) عبارة أ، م : « . . . من النسك من فوره وفيها يقول » .

(٢) الصلصلة : ترجيع الصوت .

(٣) عَجَّ : رفع صوته وصاح .

سَلَامٌ هَلْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ أَمْ هَلْ لِقَلْبِي عَنْكُمْ زَاجِرٌ
قَدْ سَمِعَ النَّاسُ بِوَجْدِي بِكُمْ فَمِنْهُمْ السَّلَاطِمُ وَالْعَاذِرُ
في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

[٣٣٧/٨] / غنت هي وأختها ريا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص وأجادتا في شعر الأحوص فحسده ابن قيس:
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الجُمَحِيُّ قال:

كانت سَلَامَةُ وَرَيَا أُخْتَيْنِ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً. فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيات: إنني أريد أن أمدحكما بأبيات وأصدق فيها ولا أكذب؛ فإن أنتما غنيتماني بذلك وإلا هجوتكما ولا أقربكما. قالتا: فما قلت؟ قال قلت:

لَقَدْ فَتَنْتِ رَيَّا وَسَلَامَةَ الْقَسَا فَلَمْ تَتْرَكَا لِلْقَسْرِ عَقْلًا وَلَا نَفْسًا
فَتَاتَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةُ الـ هَلَالٍ وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشَبِّهُ الشَّمْسَا
تَكُنَّانِ ابْشَارًا رِقَاقًا وَأَوْجُهًا عِتَاقًا^(١) وَاطْرَافًا مُخَضَّبَةً مُلْسَا

فغنته سَلَامَةُ واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلت يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

أَسَلَامٌ هَلْ لِمَتَّيْمٍ تَتَوَيْلُ أَمْ هَلْ صَرَمْتِ وَغَالِ وَدَّكَ غَوْلُ
لَا تَصْرِفِي عَنِّي دَلَالِكَ إِنَّهُ حَسَنٌ لَدَيَّ وَإِنْ بَخِلْتِ جَمِيلُ
/ أَزَعَمْتِ أَنْ صَبَابَتِي أَكْذُوبَةٌ يَوْمًا وَأَنْ زِيَارَتِي تَعْلِيلُ

٨ - الغناء لَسَلَامَةَ الْقَسْرِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَحَمَاد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا عَنِ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو، وَالْآخِرُ ثَقِيلٌ أَوَّلُهُ اسْتِهْلَالٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ - فَغَنَّتِ الْآبِيَاتُ. فقال ابن قيس الرقيات: يا سَلَامَةُ! أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ! وَأَظْنُوكَ عَاشِقَةً لِهَذَا الْحَلَفِيِّ^(٢)! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك^(٣) إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غِنَائِهَا بِشَعْرِكَ، فَلَوْلَا أَنَّ لَكَ فِي قَلْبِهَا مَحَبَّةً مُفْرِطَةً مَا جَاءَهَا هَكَذَا حَسَنًا عَلَى هَذِهِ الْبَدِيعَةِ. فقال له الأحوص: [٣٣٨/٨] عَلَى قَدَرِ حُسْنِ شَعْرِي عَلَى شَعْرِكَ هَكَذَا حَسَنُ الْغِنَاءِ بِهِ، / وَمَا هَذَا مِنْكَ إِلَّا حَسَدٌ، وَبُيِّنَ لَكَ الْآنَ مَا حَسَدَتْ عَلَيْهِ. فقالت سَلَامَةُ: لَوْلَا أَنَّ الدُّخُولَ بَيْنَكُمَا يُوجِبُ بِغَضَةِ لِحْكَمَتُ بَيْنَكُمَا حُكُومَةً لَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ. قال الأحوص: فَأَنْتِ مِنْ ذَلِكَ آمِنَةٌ. قال ابن قيس الرقيات: كَلَّا! قَدْ أَمِنْتُ أَنْ تَكُونَ الْحُكُومَةُ عَلَيْكَ، فَلِلَّذَلِكَ سَبَقَتْ بِالْأَمَانِ لَهَا. قال الأحوص: فَرَأَيْكَ يَدْلُكَ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَتَكَ بِأَنَّ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ أَنْتِ؟ وَتَفَرَّقَا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيات فقرع بابه، فأذن له وسَلَّمَ عليه وأعتذر.
ومما قاله الأحوص فِي سَلَامَةَ الْقَسْرِ وَغُنِّي بِهِ:

(١) العتق: الجمال والكرم.

(٢) كذا في جديقال: أتان حلقية (بالتحريك) إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها. والمراد هنا واضح.

(٣) في حد: «ما الذي أخرجك».

قصود

أَسْلَامٌ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجِجِي قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجِجُ
مُنِّي عَلَى عَانٍ أَطْلَيْتِ عَنَاءَهُ فِي الْغُلِّ عِنْدِكَ وَالْعُنَاءُ تُسْرِجُ
إِنِّي لَأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَنْ يَغُشُّ وَيَنْصَحُ
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حُبَّهَا قَالَتْ أَجِدُّ مِنْكَ ذَا أُمٍ تَمَزَحُ

الشعر للأحوص. والغناء لابن مسجج في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولذخمان في الأربعة الأبيات ثقيل أول بالبنصر فيه أستهلل. وفيه خفيف ثقيل يقال: إنه لمالك؛ ويقال: إنه لسلامة القس.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أيوب بن عباية:

كان عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عبادة مكة، يسمي القس لعبادته؛ وكانت سلامة بمكة لسهيل، وكان يدخل عليها الشعراء فينشدونها وتُنشدهم وتعتي من أحب الغناء؛ ففتن بها عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عمار القس؛ فشاع ذاك وظهر، فسميت سلامة القس بذلك.

/ سألها القس أن تغنيه بشعر له:

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: سألها عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها به ففعلت، وهو:

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَزَالُ يُهَيِّمُهُ ذَكَرْتُ عَوَاقِبُ غَيْهِنَ سَقَامُ
إِنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبِ تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتِ حَرَامُ
لَتَصِيدُ قَلْبَكَ أَوْ جِزَاءَ مَوْدَةٍ إِنَّ الرِّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامُ
بِأَنْتِ تَعْلَلْنَا وَتَحَسَّبُ أَنْنَا فِي ذَاكَ أَيْقَاطُ وَنَحْنُ نِيَامُ
/ حَتَّى إِذَا سَطَعَ الصَّبَاحُ لَنَاظِرٍ فَلِذَا وَذَلِكَ بَيْنَنَا أَحْلَامُ
قَدْ كُنْتُ أَعِذُّ فِي السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْإِيَامُ
فَالْيَوْمَ أَعِزِّرُهُمْ وَأَعْلَمُ أَنْنَا سُبُلُ الْغَوَايَةِ وَالْهُدَى أَقْسَامُ

أراد يزيد بن عبدالملك شراءها حين قدم مكة فأمرها أن تغني:

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال:

لما قدم يزيد بن عبدالملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه، أمرها أن تغني، فكان أول صوت غنته:

إِنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبِ تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتِ حَرَامُ
وَالْيَبِضُ تَمْشِي كَالْبُذُورِ وَالسُّدُوسِ وَنَوَاعِمُ يَمْشِينَ فِي الْأَزْقَامِ^(١)

(١) الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود. وهذا البيت غير موجود في أ، م وفيه إقواء.

لَتَصِيدُ قَلْبَكَ أَوْ جِزَاءَ مَوَدَّةٍ إِنَّ الرِّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامٌ
فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أول صوت غنته لما اشتراها:

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مَبْصُرٌ وهل أنت عن سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقْصِرٌ
أَلَا لَيْتَ أَنِّي حِينَ صَارَ بِهَا التَّوَى جَلِيسٌ لَسَلَمَى حَيْثُ مَا عَجَّ مِزْهَرٌ
/ وَإِنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ زَالَ^(١) بَنَفْسُهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَهَا حِينَ تُقْبَرُ
إِذَا أَخَذْتُ فِي الصَّوْتِ كَادَ جَلِيسُهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا قَلْبُهُ حِينَ يَنْظُرُ
كَأَنَّ حَمَامًا رَاعِيًّا^(٢) مُؤَدِّيًّا إِذَا نَطَقْتُ مِنْ صَدْرِهَا يَتَغَشَّمُ^(٣)

فقال لها يزيد: يا حبيبتى، مَنْ قائلُ هذا الشعر؟ فقصّت عليه القصة، فرّق له وقال: أحسن وأحسن!

قال الأحوص شعراً وبعث به إليها حين رحل بها يزيد فغنت به يزيد:

قال إسحاق وحدثني المدائني قال:

لَمَّا اشْتَرَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلَامَةَ، وَكَانَ الْأَحْوَصُ مُعْجَبًا بِهَا وَبِحُسْنِ غَنَائِهَا وَبِكَثْرَةِ مَجَالِسَتِهَا؛ فَلَمَّا أَرَادَ يَزِيدُ الرُّحْلَةَ، قَالَ أَيْبَاتًا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى سَلَامَةَ. فَلَمَّا جَاءَهَا الشَّعْرُ غَنَّتْ بِهِ يَزِيدَ وَأَخْبَرَتْهُ الْخَبْرَ، وَهُوَ:

عَاوَدَ الْقَلْبَ مِنْ سَلَامَةَ نَضْبُ^(٤) فَلَعِينِي مِنْ جَوَى الْخُبِّ غَرْبُ
وَلَقَدْ قَلْتُ أَيُّهَا الْقَلْبُ ذُو الشُّو قِي، الَّذِي لَا يُحِبُّ حُبَّكَ حُبُّ
إِنَّهُ قَدْ دَنَا فِرَاقُ سُلَيْمَى وَغَدَا^(٥) مَطْلَبٌ عَنِ الْوَصْلِ صَغْبُ

غناه ابن مُحَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وَفِيهِ لَابِنْ مِسْجَحٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَفِيهِ لَابِنْ عَبَادٍ وَعَلَوِيهِ رَمْلَانِ. وَفِيهِ لَدُخْمَانَ خَفِيفٌ رَمَلٍ. هَذِهِ الْحِكَايَاتُ الثَّلَاثُ عَنْ الْهَشَامِيِّ. وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ لِسَلَامَةَ الْقَسْنَ فِيهِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى.

[٣٤١/٨] / عَانِبَتْ حَبَابَةَ حِينَ اسْتَخَفَّتْ بِهَا لِأَثَرِهَا عِنْدَ يَزِيدَ:

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ سَلَامَةُ وَرِيًّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَكَانَتْ حَبَابَةَ لِرَجُلٍ، وَكَانَتْ الْمُقَدِّمَةُ مِنْهُنَّ سَلَامَةَ، حَتَّى صَارَتْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَانَتْ حَبَابَةُ تَنْظُرُ إِلَى سَلَامَةَ بِتِلْكَ الْعَيْنِ الْجَلِيلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَتَعْرِفُ فَضْلَهَا عَلَيْهَا. فَلَمَّا رَأَتْ أَثَرَهَا عِنْدَ يَزِيدَ وَمَحَبَّةَ يَزِيدَ لَهَا اسْتَخَفَّتْ بِهَا. فَقَالَتْ لَهَا سَلَامَةُ! أَنِّي

(١) زال: ذهب.

(٢) الراعي: جنس من الحمام، وحمامة راعية: ترعب في صوتها ترعيباً وهو شدة الصوت، جاء على لفظ النسب وليس به، وقيل: هو نسب إلى موضع لا أعرف صيغة اسمه. (عن «لسان العرب» مادة رعب).

(٣) يتغشمر: يصوت.

(٤) النضب: الداء والبلاء. والغرب: الدمع.

(٥) غدا هنا تامة يستغنى عن منصوبها.

أَخِيَّة! نَسِيتَ لي فضلي عليك! ويلك! أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم! أنسيتَ قولَ جميلة يوماً [وهي] ^(١) تُطارحنا وهي تقول لك: خُذي إحكام ما أطارحك من أختِكَ سَلَامَةً، ولن تَرأني بخير ما بقيتُ لك وكان / أمرُكما ^١/_٨ مؤتلفاً. قالت: صدقتَ خليلتي! والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبَابَةً وعاشت سَلَامَةً بعدها دهرًا.

احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها ويعدل عن إبعاد المغنين من المدينة:

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي عَمِي مُضْعَب عن عبد الرحمن بن المُغِيرَة الجِزَامي الأكبر قال:

لَمَّا قَدِمَ عِثْمَانُ بن حَيَّانَ المُرِّيَّيْنِ المَدِينَةَ واليًّا عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس: إنَّكَ قد وَلَّيتَ على كثرة من الفساد؛ فَإِنْ كُنْتَ تُريدُ أَنْ تُصلِحَ فطهرها من الغِناء والزُّنا. فصاح في ذلك وأَجَلَ أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عتيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأجل قَدِمَ فقال: لا أدخلُ منزلي حتى أدخلَ على سَلَامَةِ القس. فدخل عليها فقال: ما دخلتُ منزلي حتى جئتُكم أسَلِّمَ عليكم. قالوا: ما أغفلَكَ عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: أصبروا عليَّ ^(٢) الليلة. فقالوا: نخاف ألا يُمكنكَ شيء ونُتَكَلَّفُ ^(٣). / قال: إن خفتُم شيئاً فأخرجوا في السَّحَر. ثم خرج فاستأذن على عِثْمَانَ بن حَيَّانَ فأذن له، فسَلِّمَ عليه ^[٣٤٢/٨] وذكر له غِيْبَتَهُ وأنه جاءه ليقضي حَقَّهُ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزُّنا، وقال: أرجو ألا تكون عَمِلْتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك. قال عِثْمَانُ: قد فعلتُ ذلك وأشار به عليَّ أصحابُكَ. فقال: قد أصبتُ، ولكن ما تقول - أمتع الله بك - في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تُكْرِه على ذلك ثم تركته وأقبلت على الصَّلَاة والصيام والخير، وأنى رسولُها إليك تقول: أتوجّه إليك وأعوذ بك أن تُخرِجني من جِوارِ رسول الله ﷺ ومسجده؟ قال: فَإِنِّي أَدْعُهَا لك ولكلامِكَ. قال ابن أبي عتيق: لا يدْعُكَ الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ مِثْلَهَا ينبغي أن يترك تركتها؛ قال نعم. فجاءه بها وقال لها: أجعلني ^(٤) معك سُبْحَةً وَتَخْشَعِي ففعلت. فلَمَّا دخلت على عِثْمَانَ حَدَّثَتْهُ، وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجبَ بها، وحَدَّثَتْهُ عن آباءه وأموالهم فَفَكَهَ لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: أقرني للأمير فقراث له؛ فقال لها أخدي له ففعلت، فَكَثُرَ تَعَجُّبُهُ. فقال: كيف لو سَمِعْتَهَا في صناعتها! فلم يزل يُنْزِلُه شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غَنِّي، فغَنَّت:

سَدَدْنَ خَصَاصَ ^(٥) الخِمْ لَمَّا دَخَلْنَهُ بِكُلِّ لَبَانٍ ^(٦) واضِحٍ وجيبي

فغَنَّتْ؛ فقام عِثْمَانُ من مجلسه فقعده بين يديها ثم قال: لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج! قال ابن أبي عتيق: لا يدْعُكَ الناسُ، يقولون: أقرَّ سَلَامَةً وأخرج غيرها. قال: فدَعُوهم جميعاً؛ فتركوهم جميعاً.

(١) زيادة عن ح.

(٢) كذا في «نهاية الأرب» (ح ٥ ص ٥٤ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى). وفي الأصول: «إلى الليلة».

(٣) كذا في ح. يقال: أنكظ إذا أعجله عن حاجته. وفي سائر الأصول: «وتنكص».

(٤) رواية، «أ، م»: «أحملي».

(٥) الخصاص: الخروق.

[٣٤٣/٨] / لما اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنت مشيعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك :

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَرْوَةَ قَالَ :

قَدِمْتُ رَسُلُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ فَأَشْتَرَوْا سَلَامَةَ الْمَغْنِيَّةَ مِنْ آلِ رُمَّانَةَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَلِكِ أَهْلِهَا طَلَبُوا إِلَى الرُّسُلِ أَنْ يَتْرَكُوهَا عِنْدَهُمْ أَيَّامًا لِيَجْهَزُوهَا بِمَا يُشَبِّهُهَا مِنْ حُلِيِّ وَثِيَابٍ وَطِيبٍ وَصَنِيعٍ . فَقَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ : هَذَا كُلُّهُ مَعَنَا لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، وَأَمْرُوهَا بِالرَّحِيلِ . فَخَرَجْتُ حَتَّى نَزَلْتُ سَقَايَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَبَّعَهَا الْخَلْقُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا السَّقَايَةَ قَالَتْ لِلرُّسُلِ : قَوْمٌ كَانُوا يَغْشَوْنَنِي / وَيَسْلُمُونَ عَلَيَّ ، وَلَا يَدُّ لِي مِنْ وَدَاعِهِمْ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ ، فَأُذِنَ لِلنَّاسِ عَلَيْهَا فَانْقَضُوا حَتَّى مَلَأُوا رَحْبَةَ الْقَصْرِ ^(١) وَوَرَاءَ ذَلِكَ ؛ فَوَقَفْتُ بَيْنَهُمْ ^(٢) وَمَعَهَا الْعُودُ ، فَغَنَّتُهُمْ :

فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا	مَا لِمَنْ ذَلِقَ مِيتَةً مِنْ إِيَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكَونِي	مَوْلَعًا مُوزَعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلُ بَيْتٍ تَتَايَعُورُوا ^(٣) لِلْمَنَايَا	مَا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزْعَ بَيْتِ أَبِي مَوْ	سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفْيَى السَّبَابِ ^(٤)
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُوجِ ^(٥) مِنْ حَيٍّ صِذْقٍ	وَكُهُولٍ أَعْقَقَةٍ وَشَبَابِ

قال عيسى ^(٦) : وَكُنْتُ فِي النَّاسِ ، فَلَمْ تَزَلْ تُرَدُّ هَذَا الصَّوْتُ حَتَّى رَاحَتْ ؛ وَأَتَتْكِ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ عِنْدَ رُكُوبِهَا ، فَمَا شِئْتُ أَنْ أَرَى بَاكِيًا إِلَّا رَأَيْتُهُ .

[٣٤٤/٨] / كَلَفْتُ الْأَحْوَصَ أَنْ يَحْتَالَ لِدُخُولِ الْغَرِيضِ عَلَى يَزِيدَ حِينَ قَدِمَ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

وَجَّهَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْأَحْوَصِ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الْغَرِيضُ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ مَعِيَ حَتَّى آخُذَ لَكَ جَائِزَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَغْنِيَهُ ؛ فَإِنِّي لَا أَحْمِلُ إِلَيْهِ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ ، فَخَرَجَا . فَلَمَّا قَدِمَ الْأَحْوَصُ عَلَى يَزِيدَ جَلَسَ لَهُ وَدَعَا بِهِ . فَأَنشَدَهُ مَدَائِحَ فَأَسْتَحْسَنَهَا ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَبِعْتُ إِلَيْهِ سَلَامَةً جَارِيَةً يَزِيدَ بَلْعُطَفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنَّ الْغَرِيضَ عِنْدِي قَدِمْتُ بِهِ هَدِيَّةً إِلَيْكَ . فَلَمَّا جَاءَهَا الْجَوَابُ أَشْتَاقْتُ إِلَى الْغَرِيضِ وَإِلَى الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ . فَلَمَّا دَعَاها أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَمَارَضْتُ وَبِعْتُ إِلَى الْأَحْوَصِ : إِذَا دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاحْتَلِّ لَهُ فِي أَنْ تَذْكُرَ لَهُ الْغَرِيضَ . فَلَمَّا دَعَا يَزِيدُ الْأَحْوَصَ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَيَحْكُ يَا أَحْوَصُ ! هَلْ سَمِعْتَ شَيْئًا فِي طَرِيقِكَ تُطَرِّفُنَا بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) لعله يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة . (انظر الكلام عليه في «الأغاني» ج ١ من هذه الطبعة في الكلام على أبي قطيفة) .

(٢) في «أ، م» : «فوقفت فيهم» .

(٣) تتابعوا : تهاافتوا . (انظر الحاشية رقم ٨ ص ٣٢١ ج ١ من هذه الطبعة) .

(٤) صُفْيَى السَّبَابِ : موضع بمكة . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٢) .

(٥) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٦) كذا في الأصول . ولم يتقدم لعيسى ذكر في هذا الخبر .

مررت في بعض الطريق فسمعت صوتاً أعجبنى حسنه وجودة شعره؛ فوقفت حتى استقصيت خبره، فإذا هو الغريص، وإذا هو يغني بأحسن صوت وأشجاء:

ألا هاج التذكر لي سقاماً ونكس الداء والوجع الغراماً^(١)
سلامة إنها^(٢) همّي ودائي وشّر الداء ما بطن العظاما
فقلت له ودمع العين يجري على الخدين أربعة سجّاماً^(٣)
عليك لها السلام فمن لصب يبيت الليل يهذي مُستهاما

قال يزيد: ويّلك يا أحوص! أنا ذاك في هوى خليلتي؛ وما كنت أحسب مثل هذا يتفق، وإنّ ذاك لما يزيد لها في قلبي. فلما صنعت يا أحوص حين / سمعت ذاك؟ قال: سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه، فما [٣٤٥/٨] صبرت حتى أخرجت الغريص معي وأخفيت أمره، وعلمت أنّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيت في طريقي. فقال له يزيد: انتني بالغريص ليلاً وأخف أمره. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سلامة بالخبر. فقالت للرسول: قل له جُزيت خيراً، قد انتهى إليّ كل ما قلت، وقد تَلَطَّفت وأحسنّت. فلما وارى الليل أهلكه بعث إلى الأحوص أن عجل المجيء إليّ مع ضيفك. فجاء الأحوص مع الغريص فدخل عليه. فقال غنّي الصوت الذي أخبرني الأحوص أنه سميّه منك - وكان الأحوص قد أخبر الغريص الخبر؛ / وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحركه به على سلامة^{١٢} ويحتال للغريص في الدخول عليه - فقال: غنّي الصوت الذي أخبرني الأحوص. فلما غناه الغريص دمع عيني يزيد ثم قال: ويحك! هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلت. فقبل ليزيد: قد جاءت؛ فضرب لها حجاب فجلست، وأعاد عليه^(٤) الغريص الصوت؛ فقالت: أحسن والله يا أمير المؤمنين، فاسمعه مني؛ فأخذت العود فضرته وغنّت الصوت، فكاد يزيد أن يطير فرحاً وسُروراً، وقال: يا أحوص، إنّك لمبارك! يا غريص غنّي في ليلتي هذا الصوت؛ فلم يزل يغني حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يُصبح الغريص في شيء من دمشق. فأرتحل الغريص من ليلته، وأقام الأحوص بعده أياماً ثم لحق به؛ وبعثت سلامة إليهما بكسوة ولطف كثير.

[٣٤٦/٨]

/ رثت يزيد وناحت عليه حين مات:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثني علي بن محمد التّوّفلي قال حدّثني رجل من أهلي من بني نوفل قال:

قدِمْتُ في جماعة من قريش على يزيد بن عبد الملك، فألفيناه في علته التي مات فيها بعد وفاة حبابة، فنزلنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد، فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولّى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا الباب فسألنا، فكان يتقل في كل يوم. فإنّا لفي منزلنا ليلة إذ سمعنا همساً من بكاء ثم يزيد ذلك، ثم سمعنا صوت سلامة القس وهي رافعة صوتها تنوح وتقول:

(١) الغرام: الملازم الشديد.

(٢) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «إنما همي...».

(٣) أربعة سجّام: يريد بها اللحاظين والموقنين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقنين، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٤) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «عليها».

لا تَلْمَنَّا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
قَدْ لَعَنَ رِي بِئْسَ لِيْلِي كَأَخِي الدَّاءِ الْوَجِيعِ
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رِبْعًا خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ كَا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيْعِ

ثم صاحت وا أمير المؤمنين! فعلمنا وفاته، فأصبحنا فغدونا في جنازته.

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن أبي أونس عن أبيه قال:

قال يزيد بن عبد الملك ما يُقرُّ عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مُصَنَّبَ بن سهيل الزُّهري وحبابة جارية آل لأحقّ المكيّة؛ فأرسل فاشتريتها له. فلما اجتمعنا عنده قال: أنا الآن كما قال الشاعر:

فَالْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقِرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

فلما تُوفّي يزيد رثته سلامة فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تَلْمَنَّا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
/ إِذْ فَقَدْنَا سَيِّدًا كَا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيْعِ
وَهُوَ كَاللَّيْتِ إِذَا مَا عُدَّ أَصْحَابُ الدَّرُوعِ
يَقْنِصُ الْأَبْطَالَ ضَرْبًا فِي مِضِيْعِي وَرَجُوعِ

[٣٤٧/٨]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا الزبير والمدايني أن سلامة كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فاشتراها يزيد بن عبد الملك، وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر، فما رايت خصالاً أربعا^(١) اجتمعن في امرأة مثليها: حُسن وجهها وحسن غنائها وحسن شعرها. قال: والشعر الذي كانت تغني به:

/ لا تَلْمَنَّا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
لِلَّذِي حَلَّ بِنَا الْيَو مَ مَنْ الْأَمْرِ الْفَظِيْعِ

١٣
٨

وذكر باقي الأبيات مثل ما ذكره غيره.

قال إسحاق وحدثني الجُمحي قال حدثنا مَنْ رَأَى سَلَامَةَ تَنْدُبَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَرْثِيَةِ رِثَةِ بِهَا، فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَشْجَى؛ وَلَقَدْ أَبَكَتِ الْعَيُونَ وَأَحْرَقَتِ الْقُلُوبَ وَأَفْتَنَتِ^(٢) الْأَسْمَاعَ، وَهِيَ:

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ بِالشَّامِ فِي طَرَفِ الْكَثِيبِ
بِالشَّامِ بَيْنَ صَفَائِحِ صُمُّ تُرْصَفُ بِالْجُبُوبِ^(٣)

(١) لم يرد في الأصول إلا ثلاث خصال.

(٢) هكذا في الأصول بالهمز، وهي لغة أهل نجد، وأهل الحجاز يقولون فتته المرأة وقد جاء باللغتين قول الشاعر:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت سعيذاً فأسى قد قلبي كل مسلم

(٣) كذا في م ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والجوب: المدر المفتت. وفي ب، س، أ: «بالجنوب». وفي ج:

«بالجيوب» وكلاهما تصحيف.

لَمَّا سَمِعْتُ أَنِّي هُـ وبكائه عند المغيـ
أقبلتُ أطلبُ طِبَّهـ والداءُ يُغْضِلُ بالطيب

/ الشعر لرجل من العرب كان خرج بأبن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأة هويها وخاف أن يفسد بحبها، فلما [٣٤٨/٨] فقدوا مرض بالشام وضني فمات ودفن بها. كذا ذكر ابن الكلبي، وخبره يكتب عقيب أخبار سلامة القس. والغناء لسلامة ثقل أول بالوسطى عن حبش. وفيه لحكم رمل مطلق في مجرى البصر عن إسحاق. وفيه لحن لابن غزوان الدمشقي من كتاب ابن خرداذبه غير مجس.

سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجُمحي قال:

حدثني من حضر الوليد بن يزيد وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها في يزيد وهي تتغصص من ذلك وتدمع عيناها؛ فأقسم عليها فغنته؛ فما سمعتُ شيئاً أحسن من ذلك. فقال لها الوليد: رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلامة! ثم كان أبي يقدم عليك حباة؟ قالت: لا أدري والله! قال لها، لكثني والله أدري! ذلك بما قسم الله لها. قالت: يا سيدي أجل.

انتحل إسحاق الموصلي ما ناحت به على يزيد حين كلفته أم جعفر أن يصوغ لحناً تنوح به على الرشيد:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهذلي عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال:

سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر:

قَدْ لَعَنَ رِي بِثُ لِي كأخي الداء الوجيع
ونجني الهـم مني بات أدنى من ضلوعي
كلما أبصرْتُ رَبْعاً دارساً فاضت دموعي
مُفْرِراً من سيدكا ن لنا غير مُضِيْع

والشعر للأحوص. والنوح لمعبدة؛ وكان صنعه لسلامة وناحت به سلامة على يزيد. فلما سمعته منها استحسنته وأشتهيته ولهجته به، فكنت أترنم به كثيراً. فسمع ذلك / مني أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعر قاله الأحوص [٣٤٩/٨] وصنعه معبد لسلامة وناحت به سلامة على يزيد. ثم ضرب الدهر؛ فلما مات الرشيد إذا رسول أم جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسررت إليها؛ فبعثت إلي: إني قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح^(١) على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقل الساعة أبيتاً رقيقةً وأصنعهن صنعة حسنة حتى أنوح بهن. فأردت نفسي على أن أقول شيئاً فما حضرني وجعلت ترسل إلي تحثني، فذكرت هذا النوح فأريت / أنني أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضرني القول وقد ١٤ صنعت فيه ما أمرت؛ فبعثت إلي بكثيرة وقالت: طارحها حتى تطارحنه. فأخذت كثرية العود ورددته عليها حتى أخذته، ثم دخلت فطارحته أم جعفر؛ فبعثت إلي بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

(١) في الأصول: «لتنوح» بالتاء، وسباق الكلام يقتضي أن تكون بالنون، كما أثبتناها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

لقد فتنت ربا وسلامة القسا فلم تتركنا للقس عقلاً ولا نفساً
فتاتان أما منهما فشيبة الـ هلال وأخرى منهما تشبه الشمس

الشعر لعبدالله بن قيس الرقيات. والغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق. وفيه لابن سريح ثقيل أول عن الهشامي. وزعم عمرو بن بانه أن خفيف الثقيل لحنين الحيري. وقيل: إن الثقيل الأول لدخمان.

ومنها الشعر الذي أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

/ صوت

[٣٥٠/٨]

أأثله جر^(١) جيرتك الزبالا^(٢) وعاد ضمير ودكم خبالاً
فلأني مستقيك أنل لبني ولُب المرء أفضل ما استقلا
أهابك أن أقول بذلت نفسي ولو أني أطيع القلب قالا
حياء منك حتى سل جسمي وشق علي كتمانني وطسالا

الشعر للقس. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البصر. وفيه لمعبد ثقيل أول بالوسطى، أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

كيف تعلق القس بها وقصة لها معه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا بكار بن رباح قال:

كان عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وقد كانت أصابته جده مئة من صفوان بن أمية، وكان ينزل مكة، وكان من عباده أهلها، فسُمي القس من عبادته. فمر ذات يوم بسلامة وهي تغني فوقف فسمع^(٣) غناها. فرآه مولاهم فدعاه إلى أن يدخله إليها فيسمع منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أقعدك في مكان تسمع منها ولا تراها. فقال: أما هذا فتعمر. فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناها؛ ثم أمرها فخرجت إليه. فلما رآها علق بقلبه فهام بها، وأشتهر وشاع خبره بالمدينة. قال: وجعل يتردد إلى منزل مولاهم مدة طويلة. ثم إن مولاهم خرج يوماً لبعض شأنه وخلفه مقيماً عندها؛ فقالت له: أنا والله أحبك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلا

(١) جرجيرتك الزبالا أي سبوه وفي ج، م: «جد» بالذال المهملة والمستعمل متعدياً في هذه المادة هو «أجد» وأما «جد» الثلاثي فيستعمل لازماً.

(٢) الزبال: الفراق. وفي ب، س: «الذبال» بالذال المعجمة، وهو تحريف.

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فسمع».

هو. قالت: وأنا والله أشتهي أن أعانقك وأقبلك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجعك وأجعل بطني على بطنك وصدري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فوالله إن المكان لخال! قال: يمنعني منه قول الله عز وجل: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فأكبره أن تحول مودتي لك عداوة يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؛ فما عاد إليها بعد ذلك.

لما ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالي بعهما شيئاً:

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال:

لما ملك يزيد بن عبدالملك حبابة وسلامة القس تمثل:

/ فالقت عصاها وأستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ
ثم قال: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليقتني.

بصوت

من المائة المختارة

وإني ليرضيني قليل نوالكم وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إلا عذتكم بجميل

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفزاري. ولحنه المختار من الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل أوله الثاني ثم الأول، ينسب إلى حكيم الوادي وإلى سليمان أيضاً. وفيه لحن من الثقيل الأول يقال: إنه لمخارق، ذكر حبش أن لحن مخارق ثاني ثقيل.

/ أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

[٣٥٢/٨]

نسب العباس بن الأحنف:

هو - فيما ذكر ابن النطاح - العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة ابن جَدَّان^(١) بن كَلْدَةَ^(٢) من بني عَدِيٍّ بن حَنِيفَةَ.

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيُّ قال حَدَّثَنِي القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العباس يقول:
العباس بن الأحنف بن الأسود بن قُدَّامَةَ بن هَمِيَّانَ من بني هَفَّانَ بن الحارث بن الدُّهْل بن الدُّول^(٣) بن حَنِيفَةَ.
قال: وكان حاجبُ بن قُدَّامَةَ عمُّ العباس من رجال الدولة.

قال محمد بن يحيى وحَدَّثَنِي أبو عبدالله الكِنْدِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن بكر الحَنَفِيُّ الشاعر قال حَدَّثَنِي أبي قال:

سمعت العباس بن الأحنف يذكر أنَّ هَوْدَةَ بن عليَّ الحنفيَّ قد وَلَدَهُ من قِبَلِ بعض أمهاته.

هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم بمدح:

وكان العباس شاعراً غَزَلًا ظريفاً^(٤) مطبوعاً، من شعراء الدولة العباسية، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجة شعره رَوْنَقٌ، ولمعانيه عُدُوْبَةٌ وَلُطْفٌ. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرَّف في شيء من هذه المعاني. وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه، وأطنب في وصفه، وقال: رأيتُ جماعةً من الرِّوَاةِ للشعر يقدِّمونه. قال: وكان العباس من الظرفاء، ولم يكن من الخُلَعَاءِ^(٥)، وكان غَزَلًا ولم يكن فاسقاً، وكان ظاهر النعمة مُلوَكِي المذهب شديد التَّشْرُفِ^(٦)، وذلك بَيِّنٌ في شعره. وكان قصدهُ الغَزْلُ وشغلهُ النسيب، وكان حلواً مقبولا غَزَلًا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرُّف في الغزل وحده، ولم يكن هَجَاءً ولا مَدَّاحاً.

كان حلو الحديث:

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنَا أبو ذُكْوَان قال:

(١) في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦): «حردان».

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وابن خلكان. وفي ب، س، جـ: «صلدة». وفي أ، م: «طرة».

(٣) في الأصول: «الدبل بن حنيفة» وهو تحريف. (راجع «القاموس وشرحه» مادة دول و«لسان العرب» وكتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ٤٧ طبعة أوروبا).

(٤) في ب، س، جـ: «شريفاً».

(٥) كذا في «تجريد الأغاني» وفي ب، س: «الحلفاء». وفي سائر الأصول: «الخلفاء» وكلاهما تصحيف.

(٦) كذا في «تجريد الأغاني». والتشرف: التنعم. وفي ب، س: «التزيف». وفي جـ: «التتريف». وفي أ، م: «التزاييف» وكله تحريف.

سمعتُ إبراهيم بن العباس يصف العباس بن الأحنف، فقال: كان والله ممن إذا تكلم لم يُحبَّ سامعه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

رأيت نُسَخاً من شعر العباس بن الأحنف بخُراسان، وكان عليها مكتوب: «شعرُ الأمير أبي الفضل العباس».

هو من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهاب:

أن العباس بن الأحنف كان من عرب خُراسان، ومنشؤه ببغداد، ولم تزل العلماء / تقدّمه على كثير من المُحدثين، ولا تزال قد ترى له الشيء البارِع جداً حتى تُلحقه بالمحسين.

٥٤/٨]

/ أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المُرّج قال:

سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول: لولا أن العباس بن الأحنف أصدق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرّف، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومة فأحسن فيه وأكثر.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلّاد قال: أنشد الحرّمازيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعباس بن الأحنف:

مرآة كوكبية
صوت

لا جَزَى الله دمعَ عيني خيراً وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني

نَمَّ دمعِي فليس يكُثم شيئاً ورأيتُ اللسانَ ذا كُثمَانِ

كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طيٌّ فاستدلُّوا عليه بالعُنوانِ

- الغناء لعريب رمل - ثم قال الحرّمازيّ: هذا والله طرازٌ يطلب الشعراء مثله فلا يقدرّون عليه.

لعه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه:

أخبرني محمد قال حدثني حسين بن فهم قال سمعت العَطَوِيّ يقول:

كان العباس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غزلاً، وكان أبو الهذيل العلاف يُبغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردتُ سُلوّاً كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمتصرٍ

فأكثروا أو أقلُّوا من إساءتكم فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال: فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول: يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعره.

/ قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليزيديّ شعراً للعباس أظنّه يهجو به أبا الهذيل - وما ٥٥/٨]

سمعت للعباس هجاءً غيره -:

يا من يُكذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تذرُ
كذبتُ بالقدرِ الجاري عليك فقد أتاك منِّي بما لا تشتهي القدرُ

سئل الأصمعي عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأشدد من شعره:

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد عن الرياشي قال:

قيل للأصمعي - أو قلت له - ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

صوت

لو كنت عاتبةً لسكنَ روعتي أملي رضاك وزرت غير مراقبٍ
لكن مللت فلم تكن لي حيلةً صد الملول خلاف صد العاتبِ
الغناء للعباس أخي بخر رملٌ.

معاتبته الأصمعي في مجلس الرشيد:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن العباس اليزيدي قالا، واللفظ لهاشم، قال حدثنا عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي قال:

دخل عتي على الرشيد والعباس بن الأحنف عنده، فقال العباسي للرشيد: دغني أعبت بالأصمعي. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العبت. فقال: لست أعبت به عبثاً يشق عليه. قال: أنت أعلم. فلما دخل عتي قال له:

يا أبا سعيد، من الذي يقول:

إذا أحبيبت أن تصد سع شيئاً يُعجب الناسا
فصوّر هاهنا فوزاً وصوّر نسّم عبّاساً
فلن لم يذنوا حتى ترى رأسيهما راساً
فكذبها بما قاست وكذبته بما قاسى

١٧/٨

/ ٣٥٦ / فقال له عتي يعرض بأنه نبطي: قاله الذي يقول:

إذا أحبيبت أن تبصر سر شيئاً يُعجب الخلقا
/ فصوّر هاهنا دوراً وصوّر هاهنا فلقا^(١)
فلن لم يذنوا حتى ترى خلقهم ما خلقاً
فكذبها بما لاقت وكذبته بما يلقى

قال: فحجل العباس، وقال له الرشيد: قد نهيتك فلم تقبل.

(١) الظاهر من السياق أن «دورا» و«فلقا» اسمان من الأسماء النبطية.

حديث إبراهيم بن العباس مع ابن مَهْرُوِيَه عن شعره:

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوِيَه قال أنشدني إبراهيم بن العباسي للعباس بن

الأحنف:

صوت

قالت ظلُّومٌ سَمِيَّةُ الظُّلُمِ مَالِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجِيَمِ

يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْضِعِ الشَّهْمِ

فقلت له: إن أبا حاتم السَّجِسْتَانِي حَكَى عن الأصمعيّ أنه أنشد للعباس بن الأحنف:

صوت

أَتَأْذُنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

لَا يُضْمِرُ الشُّوْءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفْ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ

فقال الأصمعيّ: ما زال هذا الفتى يُدْخِلُ يده في جِرَابِهِ فَلَا يُخْرِجُ شَيْئاً، حَتَّى أَدْخَلَهَا فَأَخْرَجَ هَذَا، وَمَنْ أَدْمَنَ طَلَبَ

شَيْءَ ظَفِيرِ بَعْضِهِ. فقال إبراهيم بن العباس: أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ، ولكن أنشدك للعباس ما لا تدفع أنت ولا غيرك فضله، ثم أنشدني قوله:

/ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ كَقُلُوبِهَا مَارَقَ لِلْوَلَدِ الضَّعِيفِ الْوَالِدُ

وقوله:

لَكِنْ مَلَلْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً صَدُّ الْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ

وقوله:

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

ثم قال: هذا والله ما لا يقدر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً.

طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتندرت عليه:

حدَّثني عمي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال: كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنَانٍ: غَنِّني:

أَتَأْذُنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

لَا يُضْمِرُ السُّوْءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفْ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ

قال: فضحكتم ثم قالت: فأبّي خيرٍ فيه إن كان كذا أو أيّ معنّى! فخجل الحسن من نادرته^(١) عليه، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها.

(١) في ب، س: «بادرتها».

مدح سعيد بن جنيده شعره في إخفاء أمره :

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّصِيبِيُّ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُنَيْدٍ ^(١) يَقُولُ : مَا أَعْرِفُ أَحْسَنَ
مِنْ شَعْرِ الْعَبَّاسِ فِي إِخْفَاءِ أَمْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

أَرِيدُكَ بِالسَّلَامِ فَأَتَّقِيهِمْ / فَأَعِمِدُ بِالسَّلَامِ إِلَى سِوَاكَ
وَأَكْثِرُ فِيهِمْ ضَحِكِي لِيَخْفَى / فِسْنِي ضَاغَتُ وَالْقَلْبُ بِكَ

تمثل الواثق بشعره إذا كان غضبان على بعض جواريه :

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي خَالِي أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ :
كَانَ بَيْنَ الْوَائِقِ وَبَيْنَ بَعْضِ جَوَارِيهِ شَرٌّ فَخَرَجَ كِسْلَانٌ ، فَلَمْ أَزَلْ أَنَا وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ نَحْتَالُ لِنَشَاطِهِ ، فَرَأَنِي
أَصَاحِكَ الْفَتْحُ فَقَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ أَبْنَ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ :

عَذَلُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكُهَا / فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَذَلُ كُلِّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكَى عَلَيَّ قَلْبِي وَأَنْدَبُهُ / قَلْبُ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَأَنْصَدَعَا

فَقَالَ الْفَتْحُ : أَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَضْعِ التَّمَثُّلِ مَوْضِعَهُ أَشْعَرُ مِنْهُ وَأَعْلَمُ وَأَظْرَفُ .

تمثل بشعره في عتاب جارية له :

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
قَالَتْ لِلوَائِقِ جَارِيَةٌ لَهُ كَانَتْ يَهْوَاهَا وَقَدْ جَرَى بَيْنَهُمَا عَتَبٌ : إِنْ كُنْتُ تَسْتَطِيعُ بَعْزَ الْخَلَافَةِ فَأَنَا أَدَلُّ بِعِزِّ الْحُبِّ .
أَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِخَلِيفَةٍ عَشِقَ قَبْلَكَ قَطُّ فَأَسْتَوْفَى مِنْ مَعْشُوقِهِ حَقَّهُ ؛ وَلَكِنِّي لَا أَرَى لِي نَظِيرًا فِي طَاعَتِكَ . فَقَالَ الْوَائِقُ :
لَهُ دُرٌّ أَبْنِ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ :

أَمَّا تَحْسَبِينَ أَرَى لِلْعَاشِقِينَ / بَلَى ، ثُمَّ لَسْتُ أَرَى لِي نَظِيرًا
لَعَلَّ الَّذِي بِيَدَيْهِ الْأُمُورُ / سَيَجْعَلُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا

مدح الزبير بن بكار شعره :

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الزَّبِيرَ يَقُولُ : ابْنِ الْأَحْنَفِ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي
قَوْلِهِ :

تَغْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا / الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ
وَيَقُولُ : لَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا خَيْرًا وَشَرًّا إِلَّا وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِيهِ بِهَذَا النِّصْفِ الْآخِرِ .

استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم :

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَ أَبِي يَقُولُ : لَقَدْ ظَرَفَ أَبْنُ الْأَحْنَفِ
فِي قَوْلِهِ يَصِفُ طَوْلَ عَهْدِهِ بِالنُّومِ :

(١) في ج: «جنيده» .

قَفَا خَبْرَانِي أَتَيْهَا الرِّجْلَانِ عَنْ النَّوْمِ إِنَّ الْهَجَرَ عَنْهُ نَهَانِي
وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْمُ أَمْ كَيْفَ طَعْمُهُ صِفَا النَّوْمَ لِي إِنْ كَتَمْتَ تَصِفَانِ

قال: على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

[٣٥٩/٨]

/ كان سلمة بن عاصم معجباً بشعره حتى كان يحمله معه:

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ بْنِ مَخْلَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: رَأَيْتُ سَلَمَةَ بْنَ عَاصِمٍ وَمَعَهُ شَعْرُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ، فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ: مِثْلُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَحْمِلُ هَذَا! فَقَالَ: أَلَا أَحْمِلُ شَعْرَ مَنْ يَقُولُ:

صوت

أَسَاتُ أَنْ أَحْسِنْتُ ظَنِّي بِكُمْ وَالْحَزْمُ سَوَاءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
يُقْلِقُنِي الشَّوْقُ فَآتِيكُمْ وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ
غَنَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حُسَيْنُ بْنُ مُخْرِزٍ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى. وَأَوَّلُ الصَّوْتِ:

يَا فُوزُ يَا مُنِيَّةً^(١) عَبَّاسٍ وَاجْهَرِيَا مِنْ قَلْبِكَ الْقَاسِي

أعجب أعرابي بشعره:

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَنَا نِي أَعْرَابِي فَصِيحٌ ظَرِيفٌ، فَجَعَلْتُ أَكْتُبُ عَنْهُ أَشْيَاءَ / حَسَانًا؛ ثُمَّ قَالَ: ١٩
أُنَشِدُنِي لِأَصْحَابِكُمُ الْحَضَرِيِّينَ. فَأَنشَدْتُهُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

ذَكَرْتُكَ بِالتَّفَاحِ لَمَّا شَمِعْتُهُ وَبِالرَّاحِ لَمَّا قَابَلْتُ أَوْجَةَ الشَّرْبِ
تَذَكَّرْتُ بِالتَّفَاحِ مِنْكَ سَوَالِفًا وَبِالرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مُقْبَلِكَ الْعَذْبِ

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عني! لا أنشدك حرفاً بعد هذا.

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق:

وَحَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنَ الْفَضْلِ يَقُولُ: مَا أَعْرِفُ فِي الْعِرَاقِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ أَبْنِ الْأَحْنَفِ:

سُبْحَانَ رَبِّ الْعُلَا مَا كَانَ أَغْفَلَنِي عَمَّا رَمْتَنِي بِهِ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ
مَنْ لَمْ يَذُقْ فُرْقَةَ الْأَحْبَابِ ثُمَّ يَرَى آثَارَهُمْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَذُرْ مَا الْحَرَنُ

قال أبو بكر: وقد غنى عبدالله بن العباس فيه صوتاً خفيفاً رمل.

(١) كذا في «ديوانه» طبع مطبعة الجوائب ص ٩١، وقد ورد فيه هذا البيت هكذا:

يَا فُوزُ يَا مُنِيَّةَ عَبَّاسٍ قَلْبِي يَفْزِي قَلْبَكَ الْقَاسِي
وفي الأصول: «يا هيبة عباس» وهو تحريف.

[٣٦٠/٨] / مدح حسين بن الضحّاك شعره واستجاده:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضّحّاك يقول:
لو جاء العباس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعذر، وهو قوله:

لَعَمْرُكَ مَا يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ حَتَّى يَبْرُوحَ بِأَسْرَارِهِ
فَقَدْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ أَسْرَارَهُ فَتَظْهَرُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ

ثم قال: أمّا قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو:

الْحُبُّ أَمْلَكُ لِلْفَرَادِ بِقَهْرِهِ مَنْ أَنْ يُرَى لِلشَّرِّ فِيهِ نَصِيبُ
وَإِذَا بَدَأَ سِرُّ اللَّيْلِ فَلِئِنَّهُ لَمْ يَبْدُ إِلَّا وَالْفَتَى مَغْلُوبُ

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال قال أبو العتاهية: ما حسّدتُ أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله:

إِذَا أَمْتَنَعَ الْقَرِيبُ فَلَمْ تَنْلُهُ عَلَى قُرْبٍ فَذَاكَ هُوَ الْبَعِيدُ
فَإِنِّي كُنْتُ أَوَّلَى بِهِ مِنْهُ وَهُوَ بِشْعَرِي أَشْبَهَ مِنْهُ بِشْعَرَهُ. فقلت له: صدقت، هو يُشَبِّهُ شَعْرَكَ.

استجاد الكندي ضروب شعره:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكنديّ يقول: العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيمٌ جَزَلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً:

بعض

أَلَا تَعْجَبُونَ كَمَا أَعْجَبُ حَيِّبٌ يُسِيءُ وَلَا يُغْتَرِبُ
وَأَبْغِي رِضَاءَهُ عَلَى سُخْطِهِ فَيَأْبَى عَلَيَّ وَيَسْتَصِيبُ
فَيَا لَيْتَ حَظِّي إِذَا مَا أَسَأَ تَأْتِكَ تَرْضَى وَلَا تَغْضَبُ

[٣٦١/٨] / كان إبراهيم الموصلي مشغولاً بشعره كثير الغناء فيه:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال:
كان جدّي إبراهيم مشغولاً بشعر العباس، فتغنّى في كثير من شعره، فذكر أشعاراً كثيرةً حفظتُ منها:

بعض

وَقَدْ مُلِثْتُ مَاءَ الشَّبَابِ كَأَنَّهَُا قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ رَيَّانُ أَخْضَرُ
هُم كَتَمُونِي سِرَّهُمْ حِينَ أَرْمَعُوا وَقَالُوا أَتَعْدُنَا لِلرَّوَّاحِ وَبُكَرُوا

٢٠ / ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعلوية رمل، وفي كتاب ابن المكيّ أنه لابن سُرَيْح، وهو غلط.

كلمة المأمون لما أنشد بيتاً له :

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال :

أنشد المأمون قولَ عباس بن الأحنف :

هم كتموني سِرهم حين أزمعوا وقالوا اتَّعَظْنَا للرَّواح وبُكَرُوا
فقال المأمون : سَخِرُوا بأبي الفضل .
قال : وحَفِظْتُ منها :

هجو

تمنّى رجالٌ ما أُجُّوا وإنما تمنّيتُ أن أشكو إليك وتسمعنا
أرى كلَّ معشوقين^(١) غيري وغيرها قد استعذبا طولَ الهوى وتمتعا
الغناء لإبراهيم ثقیلاً أوّلُ بالنصر . وفيه ثقیل أوّلُ بالوسطى يُنسب إلى يزيدٍ حوراء وإلى سُليم بن سلام .
/ قال وحَفِظْتُ منها :

بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع
وأني كل يوم عن بكم يحظى بي الساعي
أعيش الدهر إن عشت بقلب منك مُرتاع
وإن حلّ بي البعد سنعاني لك التساعي

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو . وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن إبراهيم بن المهديّ فيه لحنين : ثقیلاً أوّل وماخورياً . وفيه هزجٌ مُحدثٌ .

غنى إبراهيم الموصليّ في شعره وشعر ذي الرمة أكثر ما غنى في شعر غيرهما :

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حماد بن إسحاق قال :

ما غنى جدّي في شعر أحد من الشعراء أكثر ممّا غنى في شعر ذي الرمة وعبّاس بن الأحنف .

مدح ابن الأعرابيّ شعراً له غنى له في حضرة أحد أولاد الرشيد :

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن عبد الله التميميّ قال :

كنا في مجلس ابن الأعرابيّ ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابيّ ، وكان يحبه ويأنس به ، فقال له : ما أخرك عني ؟ فأعذر بأشياء ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنائه به ، فأستكثر ذلك ابن الأعرابيّ وأستهاله وعجب منه ، وقال : ما هو ؟ قال : غناه بشعر عبّاس بن الأحنف :

(١) في جـ : «كل مشغوفين» .

بَكَتْ عَيْنِي لِأَنْوَاعٍ مِنْ الْحُزْنِ وَأَوْجَاعٍ
وَأَنَسِي كُلَّ يَوْمٍ عَذَابٍ بِدَمْعِ عَيْنِي بِسَيِّئِ السَّاعِي

فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَمَّا الْغَنَاءُ فَمَا أَذْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ هَذَا وَاللَّهِ كَلَامٌ قَرِيبٌ مَلِيحٌ.

[٣٦٣/٨] / نَوَّهُ الْوَائِقُ بِشَعْرِهِ:

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الرُّومِيُّ ^(١) قَالَ:

كُنَّا عِنْدَ الْوَائِقِ فَقَالَ: أَرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ لِحْنًا فِي شَعْرِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ كَأَنَّ مَنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِحْتِرَاسِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَهَلْ تَعْرِفُونَ فِي هَذَا شَيْئًا؟ فَأَنْشَدْنَا ضَرْبًا مِنَ الْأَشْعَارِ؛ فَقَالَ: مَا جِئْتُمْ بِشَيْءٍ مِثْلَ قَوْلِ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
/ أَسْلَمْنِي لِلْحُبِّ أَشْيَاعِي لِمَا سَمَى بِي عِنْدَهَا السَّاعِي
لَقَلَّمَا أَبْقَى عَلَى كُلِّ ذَا يُوشِكُ أَنْ يَنْعَانِي النَّاعِي

٢١
٨

قَالَ: فَعَمِلَ فِيهِ الْوَائِقُ لِحْنَهُ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ، النَّشِيدَ ^(٢) بِالْوَسْطَى.

قِصَّةٌ لِلْمَتَوَكِّلِ وَعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فِي صَدَدِ شَعْرِهِ:

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى أَوْ حَدَّثْتُ بِهِ عَنْهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ:

انْصَرَفْتُ لَيْلَةً مِنْ عِنْدِ الْمَتَوَكِّلِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلِي جَاءَنِي رَسُولُهُ يَطْلُبُنِي، فَرَأَيْتُ ذَلِكَ وَقُلْتُ: بَلَاءٌ تَبَجَّعْتُ بِهِ بَعْدَ انْصِرَافِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَجَلًّا، فَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَرْقَدِهِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ضِحْكَه، فَأَيَقَنْتُ بِالسَّلَامَةِ؛ فَقَالَ: يَا عَلِيَّ، أَنَا مُذْ فَارَقْتُكَ سَاهِرٌ؛ خَطَرَ ^(٣) عَلَى قَلْبِي هَذَا الشَّعْرُ الَّذِي يُغْنِي فِيهِ أَخِي، قَوْلُ الشَّاعِرِ:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي

الْأَبْيَاتُ. فَحَرَضْتُ أَنْ أَعْمَلَ مِثْلَ هَذَا فَلَمْ يَجِبْنِي، أَوْ أَنْ أَعْمَلَ مِثْلَ اللَّحْنِ فَمَا أَمَكَّنَنِي؛ فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي نَقْصًا، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، كَانَ أَخُوكَ خَلِيفَةً يَغْنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ لَا تَغْنِي؛ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ أَهْدَيْتَ إِلَى عَيْنِي نَوْمًا، أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَخَذْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ.

[٣٦٤/٨] / أَنْشَدَ أَبُو الْحَارِثِ جَمِيزَ مِنْ شَعْرِهِ فَقَالَ: إِنَّهُ قَالَهُ فِي طِبَاحَةٍ:

وَجَدْتُ فِي كِتَابِ الشَّاهِينِي بِغَيْرِ إِسْنَادٍ:

أَنْشَدَ أَبُو الْحَارِثِ جُمُيزَ ^(٤) قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ.

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي

(١) كَذَا فِي جَدِّ: «عَمْرُو الدُّورِيِّ».

(٢) كَذَا فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ. وَفِي حَدِّ: «الثَّقِيلُ الْوَسْطَى». وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: «الثَّقِيلُ الْأَوَّلُ بِالْوَسْطَى».

(٣) فِي ب، س: «فَخَطَرَ» بِزِيَادَةِ الْفَاءِ.

(٤) كَذَا فِي «شَرْحِ الْقَامُوسِ وَالْأَغَانِي» (ج ١ ص ٨٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ) وَقَدْ وَرَدَ فِيهِمَا خِلَافٌ وَتَصْوِيبٌ فِيهِ فَاَنْظُرْهُ. وَفِي أ، ع، م: «حَمِينٍ». وَفِي ب، س: «حَمِيدٍ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ. وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ.

الآيات. فبكى ثم قال: هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جاريةٍ طبَّاحَةٍ مليحةٍ، فقلت له: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنه بدأ فقال:

قلبي إلى ما ضرني داعي

وكذلك الإنسان يدعو قلبه وشهوته إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكله، فتكثر عِلَّله وأوجاعه، وهذا تعريض، ثم صرح فقال:

كيف أحتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
وليس للإنسان عدوٌ بين أضلاعه إلا معدته، فهي تُثْلِف ماله، وهي سببُ أسقامه، وهي مفتاح كلِّ بلاءٍ عليه، ثم قال:

إن دام لي هجرُك يا مالكي أوشك أن ينساني الثاعي
فعلمتُ أنَّ الطبَّاحَةَ كانت صديقتَه، وأنها هجرته ففقدَها وفقد الطعامَ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ونعاه الثاعي.

تمثل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان:

وحدثني الصولي قال حدثني محمد بن عيسى قال:

جاء عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بنان جارية محمد بن حماد، وهي نائمةٌ سكرى وهو يكي عندها. فقال له: مالك؟ قال: قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنبهتني وقالت: أجلس حتى تشرب فجلستُ، فوالله ما غنَّتْ / عشرة أصوات حتى نامت وما شربتُ إلا قليلاً، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم، العباس بن الأحنف. [٣٦٥/٨]

صوت

أبكى الذين أذاقوني مودَّتْهم حتى إذا أبْقَظوني للهوى رَقَدُوا
فأنا أبكي وأنشد هذا البيت.

كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وإشاده له:

وحدثني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيتُ كلاماً مُخَدَّناً أَجْزَلَ في رَقَّةٍ، ولا أَصْعَبَ في سهولةٍ، ولا أَبْلَغَ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف:

تعالِي تُجَدِّدْ دَارِسَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا كَلَانَا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ

قال الصولي: ووجدتُ بخطَّ عبدالله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مخلد قال: أنشدني إبراهيم بن ٢٢
العباس بن الأحنف:

صوت

إن قال لم يفعل وإن سئل لم يَئْذُل وإن عُوتِبَ لم يُغْتَرِبْ

صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبُ^(١) الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبْ
إِلَيْكَ أَشْكُورُبُّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْمُذْنِبِ الْمُغْضَبِ

غنى في هذه الأبيات أحمد بن صدقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحن آخر لغيره - قال الحسن بن مخلد^(٢): ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلام الحسن المعنى، السهل المورّد، القريب المتناول، المليح اللفظ، العذب المستمع.

[٣٦٦/٨] / مدح علي بن يحيى شعره وقال علي رويه شعراً:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ قال:

سمعتُ عليّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق^(٣) من المغنّين خاصّة [شعر^(٤)] العباس بن الأحنف، وخاصّة قوله:

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا مَسْتَرِيحاً سَامِئِي قَلَقَا

فإنه غنى فيه جماعة من المغنّين، منهم إبراهيم الموصلي وأبنة إسحاق وغيرهما. قال: وكان يستحسن هذا الشعر، وأظن استحسنه إياه حمّله على أن قال في رويّه وقافيته:

بِأَبِي وَاللّهِ مَنْ طَرَقَا كَأَبْتَسَامِ الْبَرْقِ إِذْ خَفَقَا
وَعَمِلَ فِيهِ لِحْنًا مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ فِي الْإِصْبَعِ الْوَسْطَى. هَكَذَا رَوَاهُ الصُّولِيُّ.
وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ حَمَادٍ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: قَالَ أَبِي: هَذَا الصَّوْتُ:
نَامَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا

مدح إسحاق شعره وقال إنه محظوظ من المغنّين:

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصنعة وأشتراك المغنّين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمّدون^(٥) أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق.

نسبة لهذين الصوتين منهما

صوت

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا مَسْتَرِيحاً زَادَنِي قَلَقَا
لَوْ يَبِيْتُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِسَهَادِي بَيِّضِ الْحَدَقَا
/ كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشَ بِهِ فَاصْطَلَى بِالْحَبِّ فَاحْتَرَقَا

[٣٦٧/٨]

(١) في الأصول: «لم تشرب...». والتصويب عن الديوان.

(٢) في الأصول هنا: «الحسن بن خالد».

(٣) في ب، م، ن: «الموزون» وهو تحريف.

(٤) تكملة يقتضيها سياق الكلام. وعبرة «تجريد الأغاني» ومن رقيق شعر العباس المحظوظ في الغناء قوله... إلخ.

(٥) في الأصول: «ابن حمّدون». وهو تحريف. (راجع «الامتداد» الأول ص ٥٣٧ ج ٥ من هذه الطبعة).

أنا لم أرزق مودتكم إنما للعبد ما رزقا
 لإسحاق في هذا الشعر خفيف بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل آخر. ولا بن جامع
 فيه لحنان: رمل مطلق في مجرى الوسطى في الأول والثالث، وخفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى أيضاً في
 الآيات كلها. وفيه لسليم هزج، وفيه لعلويه ثقيل أول.

نسبة صوت علي بن يحيى

صوت

٢٣
٨

/ بأبي والله مسنن طرقا
 زادني شوقاً بزورته
 من لقلب هائم دنف
 زارني طيف الحبيب فما
 كابتسام البرق إذ خفقا
 وملا قلبي به حرقا
 كلما سلیثه قلقا
 زاد أن أغسرى بي الأرقا

الشعر لعلي بن يحيى، وذكر الصولي أن الغناء له خفيف ثقيل أول بالوسطى.

وذكر أبو العباس بن حمدون أن هذا الخفيف الثقيل من صنعه. وفيه لعريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.

مدح عبدالله بن المعتز شعره:

حدثني الصولي قال: سمعتُ عبدالله بن المعتز يقول: لو قيل: ما أحسن شيء تعرفه؟ قلت: شعرُ العباس بن
 الأحف:

صوت

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا
 وفرق الناس فينا قولهم فرقاً
 فكاذب قد رمي بالحب غيركم
 وصادق ليس يذري أنه صدقا

/ قال: وللمسدود^(١) في هذا الشعر لحن. قال: ولم يُغنّ المسدود أحسن من غنائه في شعر العباس بن [٣٦٨/٨]
 الأحف. هكذا ذكر الصولي، ولم يأت بغير هذا. وإسحاق في هذين البيتين ثقيل أول بالبنصر من نسخة عمرو بن
 بانه الثانية. ولا بن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وليزيد حوزاء خفيف ثقيل عنه. وللمسدود رمل.
 ولعبدالله بن العباس الربيعي خفيف رمل.

شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصلي فأحاله على شعره:

وأخبرني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

غضب الفضل بن الربيع على جارية له كانت أحب الناس إليه، فتأخرت عن استرضائه، فغمه ذلك، فوجه إلى

(١) كذا في «الأغاني» في ترجمته (ج ٢١ ص ٢٥٦) واسمه الحسن، وكنيته أبو علي، وكان أبوه قصاباً، وكان هو مسدود فرد منخر
 ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل العلوم وذوي الألباب. وفي الأصول هنا في كل
 المرات التي ذكر فيها: «المسدود» بالشين المعجمة، وهو تصحيف

أبي يُعْلِمُهُ وَيَشْكُوها إِلَيْهِ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبِي: لَكَ الْعِزَّةُ وَالشَّرَفُ، وَلَأَعْدَاؤُكَ الذَّلُّ وَالرَّغْمُ. وَأَسْتَعْمِلُ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرَ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يُقَارِقُكَ مِنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَبِعَثَ إِلَيْهَا فِتْرَضَاهَا.

دَافِعَ مَصْعَبَ الزَّبِيرِيِّ عَنْ شَعْرِهِ:

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ:

قِيلَ لِمُصْعَبِ الزَّبِيرِيِّ: إِنَّ النَّاسَ يَسْتَبِرِدُّونَ شَعْرَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ. فَقَالَ: لَقَدْ ظَلَمُوهُ، أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ:

أَصَوْتُ

[٣٦٩/٨]

قَالَتْ ظُلُومٌ سَمِيَّةٌ الظُّلَمِ مَالِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجِسِمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْقِعِ السَّهْمِ

الْغَنَاءُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ أَوْ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، مَاخُورِي.

قَالَ شَعْرًا فِي الْبُكَاءِ فَأَجَازَتْهُ أُمُّ جَعْفَرٍ:

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) قَالَ حَدَّثَنَا

عَمْرُو بْنُ بَانَةَ قَالَ:

كُنَّا فِي دَارِ أُمِّ جَعْفَرٍ جَمَاعَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمَغَنِّينَ، فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ لَهَا وَكُمُّهَا مَمْلُوءٌ دِرَاهِمَ، فَقَالَتْ: أَيُّكُمْ

الْقَاتِلُ:

/ مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

٢٤
٨

فَأَوْمِيءُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ، فَتَثَرَّتِ الدِّرَاهِمُ فِي حِجْرِهِ فَنَفَضَهَا فَلَقَطَهَا الْفَرَّاشُونَ، ثُمَّ دَخَلَتْ وَمَعَهَا ثَلَاثَةُ

نَفَرٍ مِنَ الْفَرَّاشِينَ عَلَى عُنُقِ كُلِّ فَرَّاشٍ بَكْرَةٌ فِيهَا دِرَاهِمٌ، فَمَضَوْا بِهَا إِلَى مَنْزِلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

أَنشَدَ الرَّشِيدُ شَعْرَهُ فِي الْبُكَاءِ فَدَعَا عَلَيْهِ وَسَخَطَ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ:

أَنشَدَ الرَّشِيدُ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا

فَقَالَ: مَنْ لَا صَحْبَهُ اللَّهُ وَلَا حَاطَهُ.

(١) فِي الْأَصُولِ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (رَاجِعِ الْجُزْءَ السَّابِعَ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ ص ٢٩٣).

سرق مغلد الموصلِي من شعره فكتفه عبدالله بن ربيعة الرقي :

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْنُ بن محمَّد الكندي قال :

/ كنّا مع مغلد الموصلي في مجلس وكان معنا عبدالله بن ربيعة الرقي ؛ فأنشد مغلد الموصلي قصيدة له يقول [٣٧٠/٨] فيها :

كلُّ شيءٍ أقوى عليه ولكنّ ليس لي بالفراق منك يَدانِ
فجعل يستحسنه ويردّده، فقال له عبدالله : أنتَ الفداء لمن ابتدا هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :
سلبتني من السُرورِ ثياباً وكستني من الهمومِ ثياباً
كلما أغلقت من الوصل باباً فتحت لي إلى المنية باباً
عذّبتني بكلِّ شيءٍ سوى الصـ فدما ذقت كالصدود عذاباً
قال : فضحك الموصلي . والشعر للعباس بن الأحنف .

مدح الرياشي شعره :

وأخبرني الصُّولي قال حدَّثني أبو الحسن الأسدي قال :
سمع الرياشي يقول ، وقد ذُكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا :

أُحرِمَ منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عَشَقُوا
صِرْتُ كإنسي ذُبالَةً نُصِبْتُ نُصِيتُ للناسِ وهي تحترقُ
وفي هذين البيتين لحنٌ لعبد الله بن العباس من الثقل الثاني بالنصر . وفيه لخزرج رملٌ أوّلٌ عن عبد الله بن العباس :

أنتَ لا تعلمينَ ما الهمُّ والخُزْ نٌ ولا تعلمينَ ما الأرقُ^(١)

[٣٧١/٨]

اختلف الرشيد وإسحاق الموصلي في مدحه ومدح أبي العتاهية :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدَّثني بعضُ مشايخ الأزد عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :

كان الرشيد يقدّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدّ في تقديمه، وكنت أقدم العباس بن الأحنف ؛ فاغتابني بعضُ الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك : وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حدّائِه سنّه وقلة حدّقه وتجريبه، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه . وبلغني الخبرُ فدخلت على الرشيد ؛

(١) ورد هذا البيت في الأصول مفرداً، وهو وإن كان على رويّ البيتين السابقين إلا أنه لم يمهّد له فالظاهر أن في الأصول نقصاً.

فقال لي ابتداءً: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلِمْتُ الذي يريدُ، فأطرقْتُ كأني مُسْتَنْبِتٌ ثم
٢٥ قلت: أبو العتاهية أشعرُ. قال: أنشدني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدته أجودَ / ما
أرويه للعباس، وهو قوله:

أُحْرِمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
فَقَالَ لِي: أَحْسَنُ، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعفَ ما أقدِرُ عليه، وهو قوله:
كَأَنَّ عُنَابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُمَيْةٌ قَسٌّ فَتَنَتْ قَسَّهَا
يَا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتِيهَا بِمَا فِي جَنَةِ الْفَرْدوسِ لَمْ أَنْسَهَا
إِنِّي إِذَا مَثَلُ النَّسِيِّ لَمْ تَزَلْ دَائِبَةً فِي طَحْنِهَا كُذِّسَهَا^(١)
حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سَوَى حَفْنَةٍ بُرِّقَتْ نَفْسُهَا
قال: أتعيرُه^(٢) هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمدٌ ولم يذِرْ ما بي أَتَحِبُّ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا مَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فِعْرَقًا

/ ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحدًا سبقه إلى قوله: «فتنفَّستُ ثم قلت كذا وكذا»! اذهب ويحك
[٣٧٢/٨] فأحفظها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتها. قال إسحاق: وما أشكُ إني كنتُ أحفظُ لها
حينئذٍ من أبي العتاهية، ولكني إنما أنشدتُ ما أنشدتُ تعصُّبًا.

صحب الرشيد إلى خراسان وعرض للرجوع بشعر فاذن له:
قال محمد بن يزيد:

وحدُثت من غير وجهٍ أنَّ الرشيدَ أَلَفَ العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خراسان طال مُقَامُهُ بها، ثم خرج
إلى أَرَمِينِيَّةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغداد، فعارضه في طريقه فأنشده:

قالوا خراسان أقصى ما يُرادُ بنا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خِرَاسَانَا
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُذْنِي عَلَى شَحْبِ سَكَانَ دَجَلَةَ مَنْ سَكَّانَ جَيْحَانَ^(٣)
مَتَى الَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ وَأُمْلُكُهُ أَمَّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا
عَيْنُ الزَّمَانِ أَصَابَتْنا فَلَا نَظَرَتْ وَعَذَّبَتْ بِصَنُوفِ الْهَجْرِ أَلْوَانَا

- في هذين البيتين الأخيرين رملٌ بالوسطى يُنسب إلى مخارق وإلى غيره - قال فقال له الرشيد: قد أشتقتُ يا
عباس وأذنتُ لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

(١) التكدس: العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك.

(٢) في الأصول «أتعيره بهذا». وهي لغة رديئة.

(٣) جيحان: اسم نهر.

لم يتدل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة:

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن القاسم قال: سمعتُ مُصعباً الزُّبيري يقول: العباس بن الأحنف وعمرو العراف^(١) ما أبدلا شعرهما في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباه، فلزما فتاً واحداً لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه.



مركز بحوث المخطوطات الإسلامية

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي جـ: «العراق». والظاهر أنه تحريف عن «الوراق»، فقد كان عمرو الوراق شاعراً غزلاً ظريفاً معاصراً للعباس بن الأحنف.

/ ذكر الأصوات التي تجمع النغم العشر

[٣٧٣ / ٨]

منها:

صوت

تَوَهَّمْتُ بِالْخَيْفِ رَسْمًا مُجِيلًا لَعَزَّةٌ تَعْرِفُ مِنْهُ الطُّلُولَا
تَبَدَّلَ بِالْحَيِّ صَوْتُ الصُّدَى ونوح الحمامة تدعو هديلا

عروضه من المتقارب. الخيف الذي عناء كثير ليس بخيف مني، بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة. ^{٢١} والطلول: جمع طلل، وهو ما كان ^(١) له شخص وجسم عال من آثار الديار. والرسم / ما لم يكن له شخص [وجسم] ^(٢). والصدى ها هنا: طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني] ^(٣) حتى يدرك بثأره. قال طرفة:

كريم يروني نفسه في جساته ستعلم إن مثنا صدَى إيتنا الصدى ^(٣)
والحمام: القماري ونحوها من الطير. والهيل: أصواتها.

الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبدالله بن طاهر، ونسبه إلى جاريته وكنتى عنها، فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دُرْبَتُهُ بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت، وذكر أن طريقته من الثقيل الأول، وأنه ليس يجوز أن ينسب إلى موضع إضبع مفردة؛ لأن ابتداءه على المثنى مطلقاً، ثم بسبابة المثنى، ثم وسطي المثنى، ثم ينصر المثنى، ثم خنصر المثنى، ثم سبابة الزير، ثم وسطاه، ثم ينصره، ثم خنصره، ثم النغمة الحادة، وهي العاشرة. وفيه لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لابن الهريذ رمل بالوسطى عن عمرو، وهذا الصوت من الثقيل / الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النغم وعملها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانية من النغم العشر، وأنه لا يعرف صوتاً ^(٤) يجمعها غيره، وأنه يمكن من كان له علم ثاقب بالصناعة أن يأتي في صوت واحد بالنغم العشر، بعد تعب طويل ومُعَانَاة شديدة. وذكر عبيد الله أن صانع هذا الصوت الذي كنتى عنه فعل ذلك وتلطّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليّة من أولها إلى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توالٍ إلا أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعاً وأحلى. وحكى ذلك أيضاً عنه

(١) في حـ «ما بان».

(٢) زيادة عن حـ.

(٣) الصدى: العطشان.

(٤) في الأصول: «وأنه لا يعرف صوتاً إلى عشرة يجمعها... إلخ». والظاهر أن كلمة «إلى عشرة» مقحمة.

يحيى بن علي بن يحيى في «كتاب النغم». وإذا فرغت من حكاية ما ذكره وحكاه عبّيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألاّ أجرى الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محالّ لا حقيقة له، ولا يمكن أحداً بتة^(١) أن يفعله. وأنا أبين العلة في ذلك على تقريب، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، وشرحت هناك العلة في أن قسّم الغناء قسمين وجعل على مجريّين: الوسطى والبّصر دون غيرهما، حتى لا يدخل^(٢) واحدة منهما على صاحبها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت، إذا كان على الوسطى منه [أو]^(٣) إذا كان على البّصر وشبهه به. فإذا أراد مُريدٌ إلحاق هذا بهذا لم يمكنه بتة على وجه ولا سبب؛ ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أتبع^(٤) إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفصّلت إحداهما / من الأخرى. وإنما [٢٧٥/٨] قلت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصبعين، فوجدوها إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتهما لم يكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى للسبابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحاة ولا طيب للمضادة في المجريّين، فتركوه ولم يستعملوه؛ فإن كان صحّ لعبيد الله عمل في النغم العشر في صوت، / فلعله صحّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرّقها فيه؛ فأما المتوالية - على ٢٧ / ما ذكره ها هنا - فمحالّ، ولست أقدر في هذا الموضوع على شرح أكثر من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح.



انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغاني

ويليه الجزء التاسع

وأوله نسب كثير وأخباره

(١) المشهور في هذه الكلمة أنها لا تنكر. قال ابن بري: مذهب سيوييه وأصحابه، أن البتة لا تكون إلا معرفة لا غير، وإنما أجاز تنكيرها الفراء وحده، وهو كوفي.

(٢) في الأصول: «لا تدخل» بالتاء المثناة الفوقية.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصول: «ولا إذا أتبع... إلخ». والظاهر إنها محرفة عما أثبتناه.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني



بالجزء الثامن من طبعة دار الكتب

بتحقيق

إبراهيم الأبياتي



تقديم

- (١) هذه الترجمة، من تراجم الجزء الحادي والعشرين. وتقع فيه بعد ترجمة «أم جعفر» وقبل ترجمة «خالد الكاتب»، وقد رمزنا إلى هذا الجزء الحادي والعشرين بالحرف «س».
- (٢) لم يورد ابن واصل هذه الترجمة، وهو الذي أورد في كتابه «تجريد الأغاني» جميع التراجم المزیدة التي انفرد بها الجزء الحادي والعشرون.
- (٣) ذكر أبو الفرج حديثه عن «الصوت من المائة المختارة» هناك (٧: ١٤٨ طبعة بلاق - ٨: ٢٣٥ طبعة دار الكتب)، وهو يقدم لعترة، ثم كرره هنا بنصه - مع خلاف يسير - وهو يترجم لحارثة بن بدر.
- (٤) قوبلت هذه الترجمة على مخطوطتين من مخطوطات «الأغاني» المحفوظة في دار الكتب:
 - (أ) الأولى من هاتين المخطوطتين قطعة قديمة كانت من بين مخطوطات مكتبة «الظافر» الخليفة الفاطمي. وتقع هذه المخطوطة في مائة وخمس وسبعين ورقة، وأخبار حارثة تشغل الثماني عشرة ورقة الأخيرة منها؛ وهذه النسخة تحمل رقم ٤٢٧ أدب، وقد رمزنا إليها أثناء المقابلة بحرف «أ».
 - (ب) وثانية المخطوطتين، مصورة مأخوذة عن نسخة مكتبة «فيض الله» بتركيا، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع أو العاشر الهجري، وتضم مائة لوحة؛ تقع أخبار «حارثة» في اللوحات من ٨٠ إلى ٨٩. وهذه النسخة تحمل رقم ١٩٠٢٠ ز. وقد رمزنا إليها بحرف «ب».
- (٥) تتفق المخطوطتان على إيراد أخبار «حارثة بن بدر» قبل أخبار «أبي دلف»، وبعد أخبار «جميلة».

/ صوت (١)

[٢٨٣/٨]

من المائة المختارة

يا دار عبلة من مَشَارِق مَأْسَلِ دَرَسَ الشُّوونَ وَعَهْدُهَا لَمْ يَنْجَلِ^(٢)
وَأَمْتَبَدَلْتُ عُفْرَ الظِّبَاءِ كَأَنَّمَا أَبْعَارُهَا فِي الصَّيْفِ حَبُّ الْفُلْفُلِ

ذكر يحيى بن علي أن الشعر لعنترة بن شداد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرواة أنه لعبد قيس بن خُفَاف البرُجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بكر الغداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد أنقضائها. والغناء المختار لأبي دلف العجلي، ولحنه في المختار [ثقیل أول، وفيه ألحان كثيرة^(٣)].



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) جاء هذا الصوت من المائة المختارة (٧: ١٤٨ طبعة بلاق - ٨: ٢٣٥ طبعة دار الكتب) لعقب أخبار جميلة وقبل أخبار عترة. وقد أضاف أبو الفرج هناك إلى هذين البيتين بيتين آخرين وهما:

تمشي النعام به خلاء حوله مشى النصاري حول بيت الهيكل
أحذا محبل السوء لا تحلل به وإذا نسا بك منزل فتحول

ثم عقب أبو الفرج على الأبيات الأربعة بقوله: «الشعر فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البرُجمي، إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. والغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي. ولحنه المختار على ما ذكره أبو أحمد من الثقيل الأول». ثم مضى أبو الفرج يذكر ألحاناً أخرى مختلفة.

(٢) دارة مأسل: من ديار بني عقيل. («معجم البلدان» في رسم: دارة مأسل).

(٣) تكملة م: ب.

[٣٨٤/أ]

أ / نسب حارثة بن بدر وأخباره^(١)

نسبه:

حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غُدانة بن يربوع.

وقال خالد بن حبل:

حارثة بن بدر بن مالك بن كليب^(٢) بن غُدانة بن يربوع^(٣).

نسب أمه:

وأم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث، يقال لها: الصَّدُوف، بنت صُدى^(٤).

رأي ابن الأَهم في الأَحنف وابن جبلة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ [عبد الملك بن]^(٥) أَبِي سَوِيَّةٍ الْمِنْقَرِي، قَالَ:

مَرَّ عَمْرُو بْنُ الْأَهِم بِحَارِثَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَالْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَزَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ، وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَقِيَ مُفَكَّرًا، فَقَالُوا: مَالِكٌ؟ فَقَالَ: مَا فِي الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ أَنْجَبَ مِنْ آبَائِكُمْ، حَيْثُ جَاؤُوا بِأَمْثَالِكُمْ مِنْ أَمْثَالِ أَمْهَاتِكُمْ! فَضَحِكُوا مِنْهُ.

أمه وأما الأَحنف وابن جبلة:

قال:

وَأَمَّا الْأَحْنَفُ: الزَّافَرِيَّةُ، وَأَسْمَاهَا حُبَى، مِنْ بَاهِلَةَ، وَأَمَّ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ: عَمْرَةُ بِنْتُ حَذَلَمٍ، مِنْ بَنِي الشُّعَيْرَاءِ. وَأَمَّ حَارِثَةَ: الصَّدُوفُ بِنْتُ صُدى^(٤)، مِنْ بَنِي صَرِيمِ بْنِ الْحَارِثِ.

وقد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير وغيره [من عشيرته^(٦)] من هذا الكتاب.

(١) ترجم له ابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق» (٨: ١٣٣ - ١٤٢ تاريخ نيمور ١٠٤١) معتمداً فيما ترجم على كتاب «الأغاني» في الكثير مما نقل.

(٢) أ، ب: «كليب».

(٣) سياق النسب في الجمهرة لابن الكلبي (٢٢٦): «حارثة ابن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غُدانة بن يربوع».

(٤) أ، ب: «الصدى».

(٥) التكملة من «تهذيب التهذيب».

(٦) تكملة من أ، ب.

[٣٨٥/٨] / شعر الفرزدق في بني غُدانة وحديث هذا:

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق:

أبني غُدانة إني حَرَرْتُكُمْ فوهبتُكم^(١) لعطيته بن جَعَالٍ
لولا عَطِيَّةٌ لاجْتَدَعْتُ أنوفكم من بين ألام أعْيُنٍ وسِبَالٍ^(٢)

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه وبينهم، وكان عطية سيّدا من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد أمتن عليّ أبو فراس بهذه الهبة وما^(٣) تممها حتى أرتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

عطية وشعر جرير فيه:

قال:

وكان عطية هذا جواداً، وفيه يقول جرير^(٤):

إن الجوادَ على المواطنِ كُلِّها وابن الجواد عطيةُ بن جَعَالٍ
يَهَبُ النجائبَ لا يَمْلُ عطاءها والمقرباتِ كأنهن سَعَالِي^(٥)

شيء من حارثة:

وحارثة بن بدر من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها [وجُوداتها^(٦)]، وأحسب أنه قد أدرك النبي ﷺ في حال صباه وحداثته. وهو من ولد^(٧) بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشعراء، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين في الشعر والمُنصرفين في فنونه.

[٣٨٦/٨] / هو وابن زياد وقد هاتبه على الشراب:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز [الجوهري^(٨)]، قال: أنبأنا عمر بن شبة، قال: أنبأنا المدائني، قال:

كان زيادٌ مُكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب. [فلما وَلِيَّ عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيد الله: [إنك تتناول الشراب^(٩)]. فقال له: قد كان أبوك يعلم

(١) في «الديوان» (٧٢٦): «ووهبتكم».

(٢) السبيل: جمع سبلة، بالتحريك، وهو الشارب.

(٣) أ، ب: تمها.

(٤) أ، ب: «وفيه يقول الشاعر وهو جرير». ولم يرد الشعر في «ديوان» جرير.

(٥) النجائب: جمع نجبية، وهي الكريمة العتيقة، من النوق والأفراس. والمقربات: جمع مقربة، وهي الفرس يقرب مربطها ومعلفها

لكرامتها والسعال: جمع سعلاة، وهي الغول.

(٦) التكملة من أ، ب: «ويقال في جمع الجواد من الرجال: جود، وأجواد، وأجاود، وجوداء».

(٧) أ، ب: «من لدات». واللغات: جمع لدة، وهو من يولد معك.

(٨) تكملة من أ، ب.

(٩) التكملة من س.

هذا مني، ويقريني^(١). ويكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف، وإن اللسان إليّ فيك لأسرع منه إلى أبي. فقال حارثة:

وكم من أميرٍ قد تجبر بعدما مريت له الدنيا بسيفي فدرت^(٢)
إذا ما هي أحلوت نقي حق مقسمي ويقسم لي منها إذا ما أمرت^(٣)
إذا زينتته عن فواقٍ يريده دعيث ولا أدعى إذا ما أقرت^(٤)

شعره لابن زياد وقد شاوره:

وقال حارثة بن بدر أيضاً، و[قد^(٥)] شاوره عبيد الله في بعض الأمر:

أمان وأقصى ثم يتصحونني ومن ذا الذي يعطى نصيحته قرأ
رايت أكف المصليتين عليكم ملاء وكفي من عطاياكم صفرا
متى تسألوني ما عليّ وتمنعوا الذي لي لم أستطع على ذلكم صبرا^(٦)
فقال له عبيد الله: فإني موعودك وموليك، فولاه.

[٣٨٧/٨]

/ هجاء رجل من بني كليب له حين حوّل زياد دعوته في قریش:

أخبرني يحيى بن علي^(٧) إجازة، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، قال: قال لي أبو اليقظان:
حوّل زياد دعوة حارثة بن بدر و«ديوانه» في قریش، لمكانه منه، فقال^(٨) [فيه] رجل من بني كليب يهجو
بذلك:

شهدت بأن حارثة بن بدر غداني اللهازم والكلام^(٩)
سجّاح في كتاب الله أدنى له من نوفل وبنسي هشام
يعني: سجّاح، التي ادّعت النبوة، وهي امرأة من بني تميم.

شعره في احتراق داره:

قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني:

احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك:

(١) أ، ب: «وهو يقريني».

(٢) مريت له الدنيا: ذللتها لتعطي، وأصله من مري الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر.

(٣) أحلوت: صارت حلوة. وهي أ، ب: «أحولت».

(٤) الفواق: بالضم: اللبن يجتمع بين الحلبتين في الضرع. وزبنته: دفعته، وأصله في الناقة: إذا ضربت برجلها عند الحلب.

(٥) التكملة من ب.

(٦) أ، ب: «لا أستطيع لذلكم صبرا».

(٧) ب «يحيى بن علي بن يحيى».

(٨) التكملة من أ، ب.

(٩) اللهازم: جمع لهزمه، بكسر اللام، وهي ما نتأ تحت الأذنين. وغدانيها: أي يشبه غدانة فيها، وهي قبيلة، كما يشبهها في الكلام.

رَأَيْتُ الْمَنَائِيا بَادَتْ وَأَعُوذَا ۖ إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْهَا طَرِيقُهَا ^(١)
لَهَا نَبْعَةٌ ^(٢) كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا ۖ فَقَدْ تَلَفْتُ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقَهَا

احتراق أخيه:

قال:

وكان لحارثة أخ يقال له: دارع ^(٣)، فأحرق مع ابن الحضرمي بالبصرة.

هجاؤه لبني سليط وسبب ذلك:

وقال أحمد يحيى أيضاً:

كان عطية بن جعال يُهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطالحا. وكان أيضاً يُهاجيه من قومه العُكَيْصُ، وكانت بنو سليط تروي هجاء لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم:

[٣٨٨/٨] / أَرَأَيْتَ عَلِيَّ بْنَ سَلِيطٍ ۖ هَجَاءَ النَّاسِ يَا لِبَنِي سَلِيطٍ
فَمَا لَخُمِي لِتَأْكُلَهُ سَلِيطُ ۖ شَبِيهًا بِالذَّكِيِّ وَلَا الْعَبِيطِ ^(٤)

هو وابن زُئيم وابن زياد:

أخبرنا أحمد بن محمد [ابن عبد الله ^(٥)] بن صالح بن سمح بن عمرة ^(٦) الأسدي أبو الحسن، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال: روح بن السكن:

كان أنس بن زُئيم الليثي صديقاً لعبيد الله بن زياد، فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغُداني، فقال:
أَهَانَ ^(٧) وَأَقْصَى ثُمَّ تُرَجَى نَصِيحَتِي ۖ وَأَيُّ أَمْرٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا
رَأَيْتُ أَكْفَ الْمُضْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ ۖ مِلَاءَ وَكُفِّي مِنْ عَطَايَاكُمْ صَفْرًا
فَإِنْ تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا أَلَّ ۖ لِي لَمْ أَطْعَ عَلَى ذَلِكَ صَبْرًا
رَأَيْتُكُمْ تُعْطُونَ مَنْ تَرَهَّبُونَهُ ۖ زُرْبَةً قَدْ وَشَعَتْ ^(٨) خَلْقًا ^(٩) صَفْرًا
وَأُنِّي مَعَ السَّاعِي عَلَيْكُمْ بِسِيفِهِ ^(١٠) ۖ إِذَا عَظَمَكُمْ يَوْمًا رَأَيْتُ بِهِ كَسْرًا

(١) العود: العائدات. والذي في أ، ب: سهلاً إلينا طريقها.

(٢) س: «سعة».

(٣) س: «دراع».

(٤) الذكي: ما ذبح تذكية. والعبيط: لحم الذبيحة السمينة الفنية تنحر من غير داء.

(٥) التكملة من س.

(٦) أ: «شيخ بن عمرة»، وفي ب: «شيخ بن عميرة».

(٧) مرت الأبيات الثلاثة الأولى (ص ٣٧٩) منسوبة لحارثة.

(٨) الزريرة: الطنفسة. وشعت: غشيت. وقبل هذا البيت في أ، ب بيت آخر، هو:

فعمدا صدقت الناس عما يريكم ۖ ولو شئت أغليت في حربكم قدراً
(٩) س: «خلعا».

(١٠) س: «بسلة».

فقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه. فاستغفاه^(١) لمودة كانت بينهما، فأكرمه على ذلك وأقسم عليه [لِجَبِيئِهِ^(٢)]، فقال:

[٣٨٩/٨]

تبدلتُ من أنس إنَّه / كَذُوبُ المودةِ خَوَّانُهَا
أراه بصيراً بضُرِّ الخليلِ / وخير^(٣) الأخلَاءِ عَوْرَانُهَا^(٤)
فأجابه أنس فقال:

إن الخيَّانةَ شرُّ الخليلِ / والكُفْرُ عندك ديوانُهَا
بصُرْتُ به في قديم الزمانِ / كما بصُرُ^(٥) العينِ إنسانُهَا
فأجابه حارثة بن بدر فقال:

أَلِكنِّي^(٦) إلى أنس إنَّه / عَظِيمُ الحَواشِةِ^(٧) عِنْدِي مَهِيْبُ
فما أَتَنَغِي عَثَرَاتِ الخليلِ / وَلَا أَبْغِيْن^(٨) عَلَيْهِ الوَثُوبُ^(٩)
وما إن أَرَى مَالَهُ مَغْنَمًا / من الدهرِ إنْ أعوزتني الكُثُوبُ^(١٠)
فقال أنس:

أحارِبُ بَنَ بدرٍ وأنتُ أَمْرُؤُ / لَعَمْرِي المَتَاعُ إِلَيَّ الحَيِيْبُ^(١١)
متى كان مَالُكَ لي مَغْنَمًا / من الدهرِ إنْ أعوزتني الكُثُوبُ^(١٢)
وشرُّ الأخلَاءِ عند البلاءِ / وعند الرزِيَّةِ خُلُ^(١٣) كَذُوبُ

/ قال: فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زماناً، ووقع بينهما شرٌّ حتى قدِمَ سَلَمُ بن زيادٍ من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عبيد الله وبين سَلَمَ شيئاً^(١٤)، فأرسل سَلَمَ إلى أنس يعرض عليه صحبتته وجعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس: أمهلني حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عبيد الله بن زياد.

(١) س: فأجابه واستغفاه.

(٢) التكملة من أ، ب.

(٣) س: «وشر».

(٤) عوران: من جموع أعور. يريد الذين لا تقع عيونهم على الضر.

(٥) س: «تبصر».

(٦) الكنى إلى أنس: كن رسول إليه.

(٧) أ، ب: «القراية» وهما بمعنى. تقول: لي في بني فلان حواشة، أي من ينصروني من قرابة أو ذي مودة.

(٨) س: ولا ابتغي.

(٩) أ، ب: «عليه الذنوب».

(١٠) أ، ب: «من الدهر نائبات الخطوب».

(١١) أ، ب: «إليه حبيب».

(١٢) أ: «الخطوب». ب: «كسوب».

(١٣) أ، ب: «خب». والخب، بالفتح والكسر: الخداع الخبيث.

(١٤) س: «سبي».

أَلَمْ تَرِنِي خَيْرَ تِ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ^(١) فما كنت لما قلت بالمتخير
 رِضَاكَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ وَمَنْ يَكُنْ إذا اختار ذا حِزْمٍ مِنَ الْأَمْرِ^(٢) يَظْفَرُ
 فَعُدْتُ لَتَرْضَى عَنْ جِهَادٍ وَصَاحِبٍ شِفِيقٍ قَدِيمٍ الْوُدَّ كَانَ مَوْقُرِي^(٣)
 عَلَى أَحَدِ الثُّغَرِيِّينَ ثُمَّ تَرَكَتْهُ وَقَدْ كُنْتُ فِي تَأْمِيرِهِ غَيْرَ مُفْتَرِي
 فَأَمْسَكْتُ عَنْ سَلَمٍ عِنَانِي^(٤) لِيَعْرِفَ وَجْهَ الْعُذْرِ قَبْلَ التَّعْذِرِ
 فَإِنْ كُنْتُ لَمَّا تَذَرُ مَا هِيَ شِيْمَتِي فَسَلْ بِي أَكْفَائِي وَسَلْ بِي مَعْشَرِي
 أَلَسْتُ مَعَ الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ ذَا غَنَى وَبِأَسِ إِذَا مَا كُفِّرُوا فِي التَّسْثَرِ^(٥)
 وَرَأَيْ^(٦) وَقَدْ أَعْصَى الْهَوَى خَشِيَةَ الرَّذَى وَأَعْرِفْ غِبَّ الْأَمْرِ قَبْلَ التَّدْبِرِ
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَا ذَاكَ تَرْتَدُّ بُغْيَتِي عَلَى ارْتِسَادِ الْمُظْلَمِ الْمُتَجَبَّرِ

قال: ودفعها إلى عبيد الله [بن زياد^(٧)] في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: أردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها^(٨). فقال حارثة:

أَلِكُنِّي إِلَى مَنْ قَالَ هَذَا وَقُلْ لَهُ كَذِبْتَ فَمَا إِنْ أَنْتَ بِالْمُتَخَيَّرِ
 وَإِنْكَ لَوْ صَاحِبَتْ سَلَمًا وَجَدْتَهُ كَعَهْدِكَ عَهْدِ السُّوءِ لَمْ يَتَغَيَّرِ
 أَتَنْصَحُ لِي يَوْمًا وَلَسْتُ بِنَاصِحٍ لِنَفْسِكَ فَاعْثُشْ مَا بَدَا لَكَ أَوْ ذَرِ
 كَذِبْتَ وَلَكِنْ أَنْتَ زَهْنٌ بِخَيْرِيَّةٍ^(٩) وَيَكُونُ كَأَيَّامِ عُبُوسٍ مُسْذَكَّرٍ^(١٠)
 كَأَشَقَرٍ أَضْحَى بَيْنَ رُمَحِينَ إِنْ مَضَى عَلَى الرُّمَحِ يُنَحَّرُ أَوْ تَأَخَّرَ يُغْفَرُ

[٣٩١/٨]

(قال): وأعجبت^(١١) عبيد الله، وقال: لعمري لقد أجبت. على إرادتي وأمسك عبيد الله في يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيد الله: لقد رد علي من لا أستطيع جوابه. وظن أن عبيد الله قالها^(١٢)، وخرج أنس والصحيفة في يده، فلقى عبد الرحمن بن رلان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعر حارثة بن بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة:

عَجِبْتُ لِهَرْجٍ^(١٣) مِنْ زَمَانٍ مُضَلَّلٍ وَرَأَيْ لَأَلْبَابِ الرِّجَالِ مُغَيَّرِ
 وَمِنْ حِقْبَةٍ عَزُجَاءٍ^(١٤) غَوْلٍ تَلَبَّسَتْ عَلَى النَّاسِ جِلْدُ الْأَرْبَدِ الْمُتَنَمَّرِ
 فَسَلَا يُعْرِفُ الْمَعْرُوفُ فِيهِ لِأَهْلِهِ وَإِنْ قِيلَ فِيهِ مُنْكَرٌ لَمْ يُنْكَرِ

(٨) أ، ب: «نصيحته فلا حاجة لي فيها».

(٩) أ، ب: «لخزية».

(١٠) مذكر: شديد صعب.

(١١) أ، ب: «فأعجبت».

(١٢) أ، ب: «قائلها».

(١٣) كذا في أ، ب. والهرج: الكذب والخداع. والذي في س. «هوج».

(١٤) كذا في أ، ب. والذي في س: «عقبة عرجاء».

(١) أ، ب: «والحزم».

(٢) أ، ب: «القوم».

(٣) أ، س: «مؤمري».

(٤) ب: «لساني».

(٥) أ، ب: «بالتستر».

(٦) س: «ورائي».

(٧) التكملة من أ، ب.

[٣٩٢/٨]

ولم أرَ مثلاً مُدِّرٍ صَنِيدٍ مُدَّرِيٍّ^(١)
 فما بال تُكْرِ منكَ من غير مُنْكَرٍ^(٢)
 فَتُعْذَرُ أم أنتَ أَمْرٌ غَيْرُ مُعْذَرٍ
 دَبِيحاً وَجَاهِرُني فما من تَسْئُرٍ
 قَوَافِي من بَاقِي الكلام المُشْهُرِ
 أَشُقُّ على ذي الثُّغْرِ والمُتَشَعَّرِ^(٣)
 تَعْنُ له غُرٌّ^(٤) القَوَافِي وتَنْبَرِي
 لها مِرَّةً شَزْراً إذا لم تَيْسَّرِ^(٥)
 فَمَهْلًا^(٦) أبا الخِيَمَاءِ^(٧) وابْنَ المُعْذَرِ
 ذُلِيلٍ ولم يفعل^(٨) كَأَفْعَالِ مُنْكَرٍ

لِحَارِثَةَ الْهَدْيِ الْخَنَسِيِّ لِي ظَالِماً
 لِحَارِ^(٩) بن بدر قد أَتَنِي^(١٠) مَقَالَةً
 / أَيُرْوِي عَلَيْكَ النَّاسُ مَا لَا تَقُولُهُ
 فَإِنْ يَكُ حَقّاً مَا يُقَالُ فَلَا يَكُنْ
 أَقْلُذَكَ^(١١) إِنْ كُنْتَ أَمْرًا خَانَ عِرْضَهُ
 وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ جَرَّبْتَ أَنِّي
 وَأَنْ لِسَانِي بِالْقَصَائِدِ مَاهِرٌ
 أَصَادِفُهَا حِيناً يَسِيرًا وَابْتَغِي
 تَنَاوُلُنِي بِالشَّتَمِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ
 هَجَوْتَ^(١٢) وَقَدْ سَامَاكَ فِي الشَّعْرِ خُطَّةُ الْ
 قَالَ: وَقَالَ أَنَسُ بْنُ زُنَيْمٍ لُعْبِدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَفِيهِ غَنَاءٌ:

سَلْ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ
 لَا تَهْتَبِي بَعْدَ إِكْرَامِكَ^(١٣) لِي
 لَا يَكُنْ وَغْدُكَ بَرْقاً خُلْبَناً
 عَيْنِ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَّعَهُ^(١٤)
 فَشَدِيدُ عَادَةٍ مُتَّزَعَةٍ
 إِنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ

[٣٩٣/٨]

/ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ ظَبْيَانَ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ [ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ^(١٥)]، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

(١) المَدَّرِي: الَّذِي يَخْتَلِ الصَّيْدَ لِيَصِيدَهُ. يَرِيدُ: لَمْ يَرِ مِثْلَ صَائِدٍ هُوَ صَيْدٌ لَصَائِدٍ.

(٢) أ، ب: «أَحَار».

(٣) أ: «أَتَنِي».

(٤) أ، ب: .. «نَكَرَ قَبْلَ فِي غَيْرِ مُنْكَر».

(٥) سَكَنْتَ الدَّالَ فِي جَوَابِ «إِنْ».

(٦) الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ أ.

(٧) الْأَصُولُ: «عَنْ». وَظَاهِرٌ أَنَّهُ مُحَرَّفٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا.

(٨) الشَّزْرُ مِنَ الْفَتْلِ: مَا كَانَ عَنِ الْعَسَاءِ، أَيْ الْيَسَارِ، وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ الْفَاتِلُ مِنْ خَارِجٍ وَيُرَدُّ إِلَى بَطْنِهِ. وَأَمْرُ الْحَبْلِ شَزْرًا: إِذَا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَأَمْرُهُ يَسْرًا: إِذَا كَانَ عَنِ الْيَسَارِ، أَيْ عَنِ الْيَمِينِ. يَقُولُ: حَاوَلَهُ عَنِ الْيَسَارِ فَإِنْ اسْتَعَصَى فَعَنِ الْيَمِينِ، كَمَا يَفْعَلُ بِالْحَبْلِ عِنْدَ فِتْلِهِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَأْتِي الشَّعْرُ مِنْ أَيِّ جَانِبٍ شَاءَ لَا يَسْتَعَصَى عَلَيْهِ.

(٩) أ، ب: «فَهْلًا».

(١٠) أ: «ابْنُ الْخِيَمَاءِ»، ب: «أَبَا الْخِيَمَاءِ».

(١١) مِنْ: «هَجَرْتَ».

(١٢) أ، ب: «تَفْعَلُ».

(١٣) أ، ب: «وَزَعَهُ».

(١٤) أ: «بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي».

(١٥) التَّكْمِلَةُ مِنْ أ، ب.

زعم عاصم بن الحدثان^(١) أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان، وكانا في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل، فأخذ ابن ظبيان العسر فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه^(٢)، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: [يا بن ظبيان]، إنك لطب بحسوها^(٣). فقال: أجل، والله إنني لأشربها حلالاً وأجاهرُ بها إذا أخفى غيري شرب الحرام. فقال له حارثة: من غيرك هذا؟ قال: سألني عن هذا الأمر. فقال حارثة:

إذا كنت نذماني فخذها وسقني^(٤) ودع عنك من رآك تكرع في الخمر
فإنني أمرؤ ولا أشرب الخمر في الدجأ ولكتني أخسو النبيذ من التمر
حيًا وتقأ الله والله عالم ومثلك قد جرثته وخبرته
حساها كمستدمي الغزال عتيقة بكل مطير^(٥) والحين^(٦) أسبابه تجري
إذا شغشت بالماء طيبة الشر إذا شافهها حتى يرى وضح الفجر
أقام عليها دهره كل ليلة لأصحابه حتى يذهده في القبر^(٧)
/ فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضحكة وغانية كالبدور واضحة الثغر
فما إن بكاه غير دُنْ ومزهر وباطية كانت له خذن زينة^(٨) يعاقرها^(٩) والليل مُعْتَكِرُ الشَّر

[٣٩٤/٨]

شعره في الرد على الأحنف وقد عاتبه على شربه الخمر:

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكُرَانيُّ، قال: حدثنا العُمري عن عاصم بن الحدثان، قال:

عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على مُعَاقَرَةِ الشَّرَاب وقال له: قد فَضَحْتَ نَفْسَكَ وَأَسْقَطْتَ قَدْرَكَ، وأوجعه عتاباً. فقال له: إنني سأُعْتَبِكُ^(١٢). فأنصرف^(١٣) الأحنف طامعاً في صلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحر^(١٤) ما قلت لك. فقال: هات، فأنشده:

(١) س: «الحارث».

(٢) أ، ب: «على آخره».

(٣) التكملة من أ، ب. والطب، بفتح الطاء وتشديد الباء: الحاذق الماهر.

(٤) س: «واسقني».

(٥) البيت ساقط من أ، ب.

(٦) أبا مطر: كنية ابن ظبيان.

(٧) في أ، ب: «والخير».

(٨) مستدمي الغزال: دمه.

(٩) الضحكة: بضم فسكون: من يضحك عليه. ويذهده في القبر: يدرج إليه.

(١٠) الباطية: ناجود الخمر. وخذن زينة، أي رفيق غي.

(١١) س: «يعاقرها».

(١٢) سأعتبك: سأقبل عتبك.

(١٣) أ، ب: «فأنصرف وأنصرف الأحنف».

(١٤) أبو بحر: كنية الأحنف.

يَذُمُّ أَبُو بَخْرٍ أُمُورًا يُرِيدُهَا
فَإِنْ كُنْتَ عَيَّابًا^(١) فَقُلْ مَا تُرِيدُهُ
سَأَشْرِيهَا صُهْبَاءَ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا
فَنَفْسِكَ فَأَنْصَحَ يَا بَنَ قَيْسٍ وَخُلْنِي
وَقَائِلِي يَا حَارِ هَلْ أَنْتَ مِمَّنْ
وَلَا تَأْمُرْنِي بِالسَّدَادِ فَإِنِّي
وَلَا عَيْبَ لِي إِلَّا اضْطَبَّاحِي قَهْوَةً
/ مُعْتَقَّةً صُهْبَاءَ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا
أَلَا إِنَّمَا السُّرْتُسُ الدُّمَيْنُ طَرِيقُهُ
سَأَشْرِيهَا مَا حَاجَّ لَكَ رَاكِبٌ
وَأُسْعِدُ نَدْمَانِي وَأَتَّبِعُ شَهْوَتِي
كَذَا الْعَيْشُ لَا عَيْشُ أَبْنِ قَيْسٍ وَصَحْبِهِ
فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: حَسْبُكَ، فَإِنِّي أَرَاكَ غَيْرَ مُقْلَعٍ عَنْ غَيْبِكَ، وَلَنْ أَعَاتِبَكَ بَعْدَهَا أَبَدًا.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بن الأحنف وحارثة كلاماً وخصومة، فافترقا عن مجلسهما متغاضبين، فبلغ حارثة أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله. فقال حارثة: وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له؟ وذلك أمرٌ لست أعتذر منه إلى أحد، ثم قال في ذلك:

وَكَمْ لَائِمٍ لِي فِي الشَّرَابِ زَجَرْتُهِ
فَلَسْتُ عَنْ الصُّهْبَاءِ مَا عَشْتُ مُقْصِرًا
أَأْتُرُّكَ لِدَاتِي وَأَتِي هَوَاكُمُ
أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُودًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
فَأَنْتَ^(٩) حَلِيمٌ تَزْجُرُ النَّاسَ عَنْ هَوَى

فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَمَا أَنَا شَارِبُ
وَلَنْ لَا مَنِي فِيهَا اللَّئَامُ الْأَشَائِبُ^(٧)
أَلَا لَيْسَ مِثْلِي يَا بَنَ قَيْسٍ يُخَالِبُ^(٨)
إِذَا سُلْتُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ الْقَوَاضِبُ
نَفْسُهُمْ جَهْلًا وَحِلْمُكَ عَازِبُ

(١) أ: «صيار».

(٢) أ، ب: «لست في ذا بأوحد».

(٣) المفند: المكذب.

(٤) أ، ب: «المرء».

(٥) ب: «هاجت». والبيت ساقط من أ.

(٦) القراح: الخالص لا يخالطه شيء. والمصدر: القليل دون الري.

(٧) الأشائب: جمع أشابه، وهم الأخلاط غير الصرحاء.

(٨) يخالب: يخدع.

(٩) أ، ب: «وأنت».

فَجَلَمَكَ صُنْهُ لَا تُذِلُّهُ^(١) وَخَلَّنِي
/ فَإِنِّي أَمْرٌ عَوْدْتُ نَفْسِي عَادَةً [٣٩٦/٨]
وَشَانِي وَأَزْكَبُ كُلَّ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ
أَجُودُ بِمَالِي مَا حَيْثُ سَمَاحَةٌ
وَكُلُّ أَمْرِي لَا شَكَّ مَا أَعْتَادُ طَالِبُ^(٢)
فَمَا أَنْتَ أَوْ مَا عَنِّي مَنْ كَانَ غَاوِيَاً
وَأَنْتَ بِخَيْلٍ يَجْتَوِيكَ^(٣) الْمُصَاحِبُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُسَدِّدْ عَلَيْكَ الْمَذَاهِبُ

زيادة الوليد له في عطائه وقصة ذلك :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليل بن أسد، قال: أنبأنا العُمري عن العُتبي، قال:

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيلَ وعنده حارثة بن بدر الغُداني، وهو حينئذٍ في ألف وستمئة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهناه ودعا له، ثم قال:

إِلَى الْآلَفِينَ^(٤) مُطَّلَعٌ قَرِيبٌ زِيَادَةُ أَرْبَعٍ لِي قَدْ بَقِيْنَا
فَإِنْ أَهْلِكَ فَهَنْ لَكُمْ وَإِلَا فَهَنْ مِنَ الْمَتَاعِ لَكُمْ^(٥) سِنِيْنَا

فقال له الوليد: فتشاطرنى ذلك: لك مائتان ولى مائتان. فصير عطاءه ألفاً وثماني مائة. ثم أجرى الوليدُ الخيلَ^(٦)، فسبق أيضاً، فقال حارثة: هذه فرصة [أخرى]^(٧). فقام فهناه ودعا له، ثم قال:

وَمَا أَحْتَجِبُ الْآلِفَانِ إِلَّا بِهَيْئِ هُمَا الْآنَ أَدْنَى مِنْهُمَا قَبْلَ ذَالِكَا
فَجُذُّ بِهِمَا تَقْدِيكَ نَفْسِي فَإِنِّي مُعَلَّقٌ آمَالِي بِعِضِّ جِبَالِكَا

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرف وعطاؤه ألفان.

[٣٩٧/٨] / شهادة زياد له بالبيان :

أخبرني^(٨) محمد بن يحيى، أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن شيبه، عن أبيه، قال:

قال زيادُ يوماً لحارثة بن بدر: مَنْ أخطبُ الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطبُ مني إذا تَوَعَّدَ وَوَعَدَ، وَأَعْطَى وَمَنَعَ، وَبَرَّقَ وَرَعَدَ، وَأَنَا أخطبُ منه في الوفاةِ وفي الشَّاءِ والتَّخْيِيرِ، وَأَنَا أَكْذِبُ إِذَا خَطَبْتُ، فَأَحْشُو كَلَامِي بِزِيَادَةِ مَلِيحَةٍ شَهِيَّةٍ، وَالْأَمِيرُ يَقْصِدُ إِلَى الْحَقِّ وَمِيزَانِ الْعَدْلِ وَلَا يَزِيدُ فِيهِ شُعْبَةً وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ. فقال له زياد: قاتلك

(١) لا تذله: لا تبذله.

(٢) ب: «وكل أمرى ما اعتاد لا شك طالب». والبيت ساقط من أ.

(٣) يجتو بك: يكرهك.

(٤) أ، ب: «إلى ألفين».

(٥) أ، ب: «لنا».

(٦) أ، ب: «الفرح».

(٧) التكملة من أ، ب.

(٨) الكلام من هنا إلى قوله «أخبرني محمد بن يحيى» (ص ٣٩٥) ساقط من أ، ب.

الله! فلقد أجدت تخلص صفيتك وصفتي، من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت. ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

هو وزیاد فی شربه الخمر صرفاً:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحرمازي، قال:

شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح فأكثر، وصرف^(١) ومزجوا، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة، فقطن له زياد، فقال: مالك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحة رماناً فأكثر. قال: قد عرفت مع من أكلته، ولكنهم قشروه وأكلته يقشره فأصارك إلى ما ترى.

رثاؤه زياداً:

قال الحرمازي:

قال بعض أهل العلم: إن زياداً استعمل حارثة على سرق^(٢). فمات زياد وهو بها، ثم إنه بلغه موته، فقال حارثة يرثيه:

[٣٩٨/٨]

إن الرزية في قبر بمنزلة / تجري عليها يظهر الكوفة المور^(٣)
أدت إليه قريش نعث سيدها / ففيه ضافي الندى والحزم مقبور
أبا المغيرة والندى مغيرة / وإن من غر بالندى لمغرور
قد كان عندك للمعروف مغرفة / وكان عندك للكفراء تنكير
وكننت تؤتى فتعطي الخير منعة / فاليوم بأبك دون الهجر مهجور
ولا تلبس إذا غوسرت مقتسراً^(٤) / وكل أمرك ما يؤسرت ميسور

قال: وكان الذي أناه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدي، فقال حارثة:

لقد جاء مسعود أخو الأزدي غدوة / بداهية غراء باد حجولها^(٥)
من الشر ظل الناس فيها كأنهم / وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

بينه وبين سعد الرابية في مجلس ابن زياد:

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا العمري عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرج السدوسي، قال: دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وعنده سعد الرابية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة، وكان شريراً يضحك ابن زياد ويُلْهيه، وله يقول الفرزدق:

(١) صرف: أي شرب الشراب غير ممزوج.

(٢) سرق، كسكر: كورة بالأهواز.

(٣) المور: الريح المثيرة للتراب.

(٤) مقتسراً: مكرهاً.

(٥) حجولها: جمع حجل، بالكسر، وهو الخلخال، ولا يكون ذلك إلا مع الشديد من الدواهي.

إنني لأبغض سعداً أن أجاوره ولا أحب بني عمرو بن يربوع
قوم إذا حاربوا لم يخشهم أحد والجار فيهم ذليل غير ممنوع^(١)

[٣٩٩/٨] / فلما جلس حارثة قال له سعد: يا حارثة، أيتع الكرم؟ قال: نعم، واستودع ماءه الأصيص^(٢)، فمة؟ قال: إنني لم أرد بأساً. قال: أجل! ولست من أهل البأس: ولكن هل لك علم بالأتان إذا اغتاص رحمها^(٣)، كيف يُسقط عليها، أكما يُسقط على الفرس، أم كيف؟ قال: واحدة بواحدة، والبادي أظلم، سألتني عما لا علم لي به، وسألتك عما تعلم. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف. وقال حارثة يهجو سعداً:

لا تزج مني يابن سعد هواده لا صعبة ما أزرمت أم حائل^(٤)
أعند الأمير أبين الأمير تعيني وأنت ابن عمرو مضحك في القبائل
ولو غيرنا يا سعد رمت حريمه بخسف لقد غودرت لحماء لآكل
فشالت بك العنقاء أو صرت لحمه لأغبس عواء العشيات عاسل^(٥)

هو وابن مسمع حين أراد أن يعرض به:

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي وأبي عبيدة، قال:

كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع فإذا جاء وقت يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العنيس؟ قال: أجيء بعباد بن الحصين يفتق عيتك الأخرى - وقال الأصمعي: «أمضي فأفقا عين عباد بن الحصين لآخذ لك بئارك - وكان عباد فقا عين مالك يوم المرزبد^(٦)».

[٤٠٠/٨] / شعره في فتنة مسعود:

قال:

وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ - وهو يوم فتنة مسعود - على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل، فجعل عيس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بحيال الأزد، ومعه سعد والرتاب والأساور، وقال حارثة بن بدر:

سيكفيك عيس أخو كهفيس مقارعة الأزد بالمرزبد^(٧)

(١) «الديوان» (٥٢٧ - ٥٢٨ طبعة الصاوي).

(٢) الأصيص: الباطية، والدن المقطوع الرأس.

(٣) اغتاص: التأت.

(٤) أم حائل: كنية الناقة. وأزرمت. حنت إلى ولدها.

(٥) الأغبس: الذئب، من الغبسة، وهي لونه التي هي بياض مع كدرة. والعاسل: الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه من مضائه، وهي مشية الذئب والفرس.

(٦) حديث هذا كان يوم الجفرة وكان بين عبد الملك بن مروان ومصعب (ابن الأثير في حوادث سنة سبعين).

(٧) في الشعر إقواء، وهو اختلاف اعراب القوافي.

ويكفيك عمرو وأشياءه
لكيز بن أفسى وما عدوا
وأكفيك بكرًا إذا أقبلت
بطغن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس، أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب، فقال له حارثة: إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك ولا إبقاءً عليك، ولكنه أراد أن يُغري بينك وبين سعد. فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه، وفقت عينه يومئذ.

هو ومسجد الأحامرة:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال: مرَّ حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له «مسجد الأحامرة» بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجد الآن يلقَّب «مسجد الأحامرة» منذ يوم قال حارثة هذا القول.

شعره في رجل من الخُليج:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القحذي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجلٌ من الخُليج^(١) في أمرٍ كرهه عند زياد، فقال فيه حارثة:

[٤٠١/٨]

/ لقد عجبْتُ وكم للدهر من عَجَبٍ
كانوا خَسًا أو زَكَاً من دون أربعة
مخاتزٍ زِيد في أنسابها الخُليج
لم يخلُقُوا وجُدود الناس تَعْتَلج^(٢)
الخَسَا: القَرْد، والزَكَا: الزوج.

أنشد الشعبي من شعره عبدالله بن جعفر فأجازه:

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن عمر بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كنتُ عند عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدته لحارثة بن بدر:

وكان لنا نَبْعٌ تَقِينَا عُروقه
فَقَدْ بَلَّغْتَ إِلَّا قَلِيلاً حُلُوقَهَا^(٣)
وشَيْبَ رَأْسِي واستَخَفَّ حُلُومَنَا
رُعُودُ المَنَابِيا فوقنا وبُرُوقَهَا
وإنَّا لَتَسْتَحْلِي^(٤) المَنَابِيا نُفُوسَنَا
وتترك أخرى مُرَّةً ما نذوقَهَا
رَأَيْتُ المَنَابِيا بِإِثْنَاتٍ وَعُودَا
إِلَى دارنا سَهلاً إِلَيْهَا طَرِيقَهَا
فقد قُسمتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا
فَرِيقٌ مَعَ المَوْتَى وَعِنْدِي فَرِيقَهَا

(١) الخُليج: أولاد الحارث بن فهر. (جمهرة أنساب العرب) ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) أنشد ابن منظور البيت (خسا) منسوباً إلى الديرية.

(٣) مرَّ هذا البيت برواية أخرى (ص ٣٨٠).

قال الشعبي: فقال لي ابن جعفر: نحن كنا أحق بهذا الشعر. وجاءه غلامه بدراهم في منديل، فقال له: هذه غلة أرضك بمكان كذا وكذا. فقال: ألقها في حجر الشعبي. فألقاها في حجري.

شعر علقمة المازني في ولاية حارثة كوار:

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب: أن زياداً استعمل حارثة بن بدر على كوار^(١)، وهو إذ ذاك عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فارس، وكان حارثة بن بدر صاحب شراب، فكتب زياداً إلى حارثة يحثه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمة بن معبد المازني:

[٤٠٢/٨] / أَلَمْ تَرَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ يُصَلِّي وَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ^(٢)
وَأَنَّ الْمَالَ يُعْرِفُ مَنْ حَوَاهُ وَيُعْرِفُ بِالزَّوَانِي وَالْعُقَارِ^(٣)

شعره في بغلة مرت به وكان زياداً أهداها له:

وقال المدائني في خبره هذا:

حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها «أطلال» كان خرزاذ بن الهريد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثة، وكان فيها نِقَارٌ، فصرعه عن ظهرها، فقام فركبها، وقال:

مَا هَاجَ أَطْلَالٌ بِجَنَبِي حَزْمَةً تَحْمِلُ وَضَّاحاً رَفِيعَ الْحِكْمَةِ^(٤)
قَرُمًا إِذَا زَاحِمٌ قَرُمًا زَحْمَةً

بينه وبين سليمان بن عمرو وقد قراه:

أخبرني^(٥) محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكرياء، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر عن أبي عبيدة وعبد الله بن محمد، قالوا:

مر سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان^(٦):

(١) كوار: من نواحي فارس. (معجم البلدان).

(٢) قال الميداني في كتابه «مجمع الأمثال»: «أكفر من حمار» هو رجل من عاد يقال له: حمار ابن مويلع - وقال الشرقي: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي - كان مسلماً، وكان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، فيه من كل الثمار، فخرج بنوه يتصدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال: لا أعبد من فعل هذا بيني. ودعا قومه إلى الكفر فممن عصاه قتله، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه، فضربت به العرب المثل في الكفر وأنشد البيت.

(٣) العقار، بالضم: الخمر.

(٤) حرمه، بالفتح ثم السكون: موضع في جانب حمى ضرية. «معجم البلدان».

(٥) أ، ب: «أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال:

(٦) أ، ب: مر سليمان بن عمرو بن مرثد وهو يريد خراسان بحارثة بن بدر الغداني وهو بالأهواز ومعه أصحاب له، فنزلوا به فقراهم حارثة بن بدر وسقاهم وكساهم وحملهم، فقال سليمان يمدحه.

[٤٠٣/٨]

/ قَرِيتَ فَأَحْسَنْتَ الْقِسْرَى وَسَقَيْنَا
وَوَاسَيْتَنَا^(١) فِيمَا مَلَكَتْ تَبْرُوعاً
وَأَنْتَ لَعْمَرِي فِي تَمِيمٍ عِمَادُهَا^(٢)
وَفَارِسُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ
وَعِنْدُكُمْ نَالُ الْغَنَى^(٣) مَنْ أَرَادَهُ
يُرَى الْحَلَقُ الْمَازِي^(٤) فَوْقَ حُمَاتِهِمْ^(٥)
وَعِنْدَ الرَّخَا وَالْأَمْنِ غَيْثٌ وَرَحْمَةٌ
وَجَسَدُهُمْ جُوداً صَبَاحاً وَجَوْهُمْ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي تَمِيمًا فَخَيْرُكُمْ

فقال حارثة يُجيبه :

وَأَسَحِمُ مَالًا جَرَرْتُ لَفْتِيَّةً
وَأَطَوَّلُهُمْ كَفًّا وَأَصْدُقُهُمْ حَيَا
مِنَ الْمَرْتَدِّينَ الَّذِينَ إِذَا انْتَبَدُوا
فَعَالَهُمْ زَيْنٌ لَهُمْ وَوَجْهُهُمْ
فَسَقِيًّا وَرَغِيًّا لَابْنِ عَمْرٍ وَبْنِ مَرْثَدٍ
/ فَتَى لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إِلَى كُلِّ نَجْدَةٍ
فَحَسْبُكَ بِي عِلْمًا بِهِ وَيَفْضُلُهُ
كَرَامِ أَبَوْهُمْ خَيْرُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ^(٦)
وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمَنَاصِلِ
رَأَيْتَ نَدِيًّا جَدُّهُ غَيْرِ^(٧) خَامِلِ
تَزَيْنَ الَّذِي يَأْتُونَهُ فِي الْمَحَافِلِ
سَلِيمَانَ ذِي الْمَجْدِ التَّلِيدِ الْحُلَاحِلِ^(٨)
فَيُسْـدِرُكَ مَا أَغَيْثُ^(٩) يَدَ الْمُتَنَاقِلِ
إِذَا ذُكِرَ الْأَقْوَامُ أَهْلُ الْفَضَائِلِ

[٤٠٤/٨]

(١) أ، ب: «وَأَسَيْتَنَا».

(٢) أ، ب: «وَأَنْتَ قَرَمٌ مِنْ تَمِيمٍ عِمَادُهُ».

(٣) أ، ب: «وَفَارِسُهُمْ... وَمَلْجُوهُمْ».

(٤) أ، ب: «الْمَنَى».

(٥) الحلق: الدروع. والمآذِي: ما كان من حديد.

(٦) أ، ب: «كَمَاتِهِمْ».

(٧) أ، ب: «الشَّهْب».

(٨) هذا البيت ساقط من أ، ب.

(٩) الأسحُم: زق الخمر.

(١٠) أ، ب: «جَدُّهُمْ».

(١١) الحلاحل، بضم الحاء: السيد الشجاع الكثير المروءة.

(١٢) أ، ب: «مَا أَعْيَا».

بينه وبين أنس بن زعيم في حضرة ابن زياد:

أخبرني^(١) عمي، قال: أنبأنا الكُراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاء بن مُصعب، عن عاصم بن الحذثان، قال:

دخل أنس بن زعيم على عبيد الله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تَعَارُضٌ ومُقَارَضَةٌ قبل ذلك، فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة: أي رجل هو أنس عندك؟ قال: هو عندي - أصلح الله الأمير - كما قلتُ فيه:

يَبِيتُ بَطِيناً مِنْ لُحُومِ صَدِيقِهِ خَمِيصاً مِنَ الثَّقَوَى وَمَنْ طَلَبَ الْحَمْدِ
يَنَامُ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ وَيَسْرِي إِلَى حَاجَاتِهِ نَوْمَةَ الْفَهْدِ^(٢)
يُرَاعِي عَذَارَى قَوْمِهِ كَمَا دَجَا لَهُ اللَّيْلُ وَالسَّوَاتِ كَالْأَسَدِ السَّوْدِ
جَرِيثاً عَلَى أَكْلِ الْحَرَامِ وَفِعْلِهِ جَبَاناً عَنِ الْأَقْرَانِ مُعْتَرِماً الْكَرْدِ^(٣)

فلما كان من الغد، دخل أنس على عبيد الله، فقال له عبيد الله، بحضرة حارثة: إني سألتُ هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك، ولم أكن إخالُك كما نُعِتَ لي - فقال: أصلح الله الأمير، إن يكن قال خيراً فأنا أهله، وإن قال غير ذلك فلم يَغْدُ ما هو أولى به مِنِّي، أما والله لو كان - أصلح الله الأمير - حقاً، لَحَفِظَ غَيْبَتِي، فلقد أوليته حسنَ الثَّناء بما ليس أهله، والله يعلم أنني كنت كاذباً، وما إخالُ ما قاله فيَّ إلا عقوبة، فإن عقوبة الكذب حاضرة، وثمرَةُ الكذب الندامة، فقد لَعَمْرِي أَجْنَيْتُهَا بِكَذْبِي وقولي فيه ما ليس فيه - وهو عندي كما أقول - أصلح الله الأمير - وأنشد:

/ يُحَلِي لِي الطَّرْفَ أَبْنُ بَدْرِ وَإِنِّي لَا عَرِفُ فِي وَجْهِ أَبْنِ بَدْرِ لِي الْبُغْضَا
رَأَيْتُ شَجَاً فِي حَلْقِهِ مَا يُسِغُهُ فَمَا إِنْ يَزَالِ الدَّهْرُ يُجْرُسُ بِي جَرُضَا^(٤)
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ سِوَى أَنْ رَأَيْتُ فِي عَشِيرَتِهِ مَخْضَا
وَأَنْ أَبْنِ بَدْرٍ فِي تَمِيمٍ مُكْرَكَسٍ إِذَا سِيَمَ خَسَفَا أَوْ مُشْتَعَةً أَغْضَى^(٥)
فَعِشْ يَا بَنَ بَدْرِ مَا بَقِيَتْ كَمَا أَرَى كَثِيرَ الْخَنَا لَا تَسَامِ السُّذُلَ وَالْغَضَا
تَعِيبُ الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ وَفَعَلَهُمْ وَتَبْذُلُ بَخْلًا دُونَ مَا نَلَتْهُ الْعِرْضَا
وَتَرْضَى بِمَا لَا يَرْضَى الْحَرُّ مِثْلَهُ وَذُو الْحِلْمِ بِالتَّخْيِيسِ وَالذُّلُّ لَا يَرْضَى^(٦)

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسُبه إلى الخمر والفجور:

أَحَارِ بَنَ بَدْرِ بَاكِرِ الرَّاحِ إِنَّهَا تُنْشِيكَ مَا قَدِمَتْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

(١) هذا الخبر ساقط من أ، ب.

(٢) الفهد: حيوان معروف، وبه يضرب المثل في كثرة النوم.

(٣) الكرْد، بالفتح: العتق، أو أصله. ومعترمه: صلبه شديده.

(٤) يجرض: خفف.

(٥) المكركس، بفتح الكافين بينهما سكون: من ولدته الإماء.

(٦) التخيس: الإذلال.

تُسَيِّكُ أَسْبَاباً عِظَاماً رَكِبَتْهَا
أَتَذَكِّرُ مَا أَسْدَيْتَ وَاخْتَرْتَ فِعْلَهُ
إِذَا قُلْتَ مَهْلاً نِلْتَ عِرْضِي فَمَا الَّذِي
أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ تُكَأِيدَ حُرَّةً
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ بِشْرِكَ بِالَّذِي
فَدَعَ عَنْكَ شُرْبَ الْخَمْرِ وَارْجِعْ إِلَى الَّتِي
عَلَيْكَ نَبِيذُ التَّمْرِ إِنْ كُنْتَ شَارِباً
أَلَا إِنْ شُرِبَ الْخَمْرُ يُزْرِي بِذِي الْحِجَاسِ
/ فَصَبْرًا عَنِ الصُّهْبَاءِ وَأَعْلَمُ بِأَنْنِي
وَأَنْكَ إِنْ كَفُفْتُ نَفْسِي عَنْ نَصِيحَةٍ
أَبْذُلُ نُصْحِي ثَمَّ تَعْصِي نَصِيحَتِي

وَأَنْتَ عَلَى عَمِيَاءَ فِي سَنَنِ تَجْرِي
وَجِئْتَ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالْشَّرِّ وَالْثُّكْرِ
تَعِيبَ عَلَى مِثْلِي هُبِلْتَ أَبَا عَمْرٍو
مُهَفَّفَةً الْكُشْحَيْنِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
عُرِفْتَ بِهِ إِذْ أَنْتَ تَخْزِي وَلَا تَدْرِي
بِهَا يَرْتَضِي أَهْلُ النَّبَاهَةِ وَالذُّكْرِ
فَإِنْ نَبِيذُ التَّمْرِ خَيْرٌ مِنْ الْخَمْرِ
وَيَذْهَبُ بِالْمَالِ التَّلَادُ وَيَالُوفَرِ
نَصِيحٌ وَأَنْنِي قَدْ كَبُرْتَ عَنِ الزُّجَرِ
تَرْكُوكَ يَا حَارِ بْنَ بَدْرِ إِلَى الْحَشْرِ
وَتَهْجُرْنِي عَنْهَا هُبِلْتَ أَبَا بَدْرِ

[٤٠٦/٨]

بينه وبين أبي الأسود حين ولي سرق:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال:

[لما^(١)] وَلِي حَارِثَةُ بْنَ بَدْرِ سُرْقٌ^(٢) خَرَجَ مَعَهُ الْمُشِيعُونَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَفِيهِمْ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الْمُشِيعُونَ دَنَا مِنْهُ أَبُو الْأَسْوَدِ فَقَالَ [لَهُ^(٣)]:

أَحَارَ بْنَ بَدْرِ قَدْ وَلَيْتَ إِمَارَةً
وَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارِ شَيْئاً تُصَيِّبُهُ
فَإِنْ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَامٌ مُكَذِّبٌ
يَقُولُونَ أَقْوَالَ بَظَنٍّ وَشُبْهَةٍ
فَلَا تَعْجِزَنَّ فَالْعَجْزُ أَبْطَأُ مَرْكَبٍ
وَكَاثِرٌ تَمِيمًا^(٦) بِالْغَنَى إِنْ لِلْغَنَى

فَكُنْ جُرْذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ^(٤)
فَحُظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرْقٌ
يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَامٌ مُصَدِّقٌ
فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقُّوا لَمْ يُحَقِّقُوا
وَمَا كُلُّ مَنْ يُدْعَى إِلَى الرِّزْقِ يُرْزَقُ^(٥)
لِسَانًا بِهِ يَسْطُو الْعِيَّ وَيَنْطِقُ^(٧)

(١) التكملة من س.

(٢) سرق: من كور الأهواز. «معجم البلدان».

(٣) تكملة من أ، ب.

(٤) أحار، أي حارثة، منادى مرغم.

(٥) أ، ب:

وما كل مدفوع إلى الرزق يرزق

ولا تعجزن فبالعجز أبطأ مركب

(٦) ب: «وبار».

(٧) ب: لساناً به المرء الهيبة ينطق.

فقال له حارثة:

جزاك مليكُ الناسِ خيرَ جزائه
أمرتَ بحَزْمٍ لو أمرتَ بغيره
سَتَلْقَى أَخَا يُضْفِيكَ بِالْأُودِ حاضراً
فقد قلتَ معروفاً وأوصيتَ كافياً
لأَلْفَيْتَنِي فِيهِ لِرَأْيِكَ عاصياً
وَيُؤَلِّيكَ حِفْظَ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ نائياً

[٤٠٧/٨] / نشيطة أصحابه بدولاب وهجاء غوث له:

أخبرني محمد بن مَزِيد، قال: حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدَّان، قال:
لما نُدِبَ حارثةُ بن بدر لقتالِ الأزارقةِ بدُولابٍ لقيهم، فلما حميت الحربُ بينهم واشتدَّت، قال حارثةُ
لأصحابه:

كَرْبُيُّوْا وَدَوْلِبُوْا وَحَيْثُ شَتْتُمْ فَادْهَبُوْا^(١)

ثم انهزم، فقال غوث بن الحُباب يهجوهُ ويُعْبِرُهُ^(٢) بِالْفِرَارِ، ويُعْبِرُهُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ [ومُعَاقِرَتِهَا^(٣)].

أحار بن بدرٍ دونك الكأسُ إنها
عليك بها صَهْبَاءٌ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا
فَدَعْ عَنْكَ أَقْوَاماً وَلَيْتَ قَتَلَهُمْ
وَحُذِّهَا كَعَيْنِ الدِّيكِ تَشْفِي مِنَ الْجَوَى
بمثلِكَ أُولَى مِنْ قِرَاعِ الْكُنَائِبِ
يَظَلُّ أَخُوها لِلْعَدَا غَيْرَ هَائِبِ
فَلَسْتَ صَبُوراً عِنْدَ وَقْعِ الْقَوَاضِبِ
وَتَتْرَكَ ذَا الْهَمَّاتِ^(٤) حَصَرَ الْمَذَاهِبِ^(٥)
نَظَائِمَ دُرٍّ أَوْ عِيُونَ الْجَنَائِبِ
مِنَ النَّيِّهِ قَسْرَمٌ مِنْ قُرُومِ الْمَرَاذِبِ^(٦)
إِذَا خَطَرُوا مِثْلَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
إِذَا شُعِشِعَتْ بِالماءِ خِلَّتْ حَبَائِبُهَا
كَأَنَّكَ إِذْ تَخْشُو ثَلَاثَةَ أَكْؤُسٍ
وَدَعَّ عَنْكَ أَبْنَاءَ الْحُرُوبِ وَشَدَّهُمْ

حملة حمالتين عن قومه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى، قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّةَ، قال: حَدَّثَنَا العلاء بن الفضل بن أبي سُوية،
قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قال:

[٤٠٨/٨] / كانت في تَمِيمِ حَمَالَتَانِ^(٧)، فَاجْتَمَعُوا فِي مَقْبَرَةِ بَنِي شَيْبَانَ، فَقَالَ لَهُمُ الْأَحْنَفُ: لَا تَعْجَلُوا حَتَّى يَحْضَرَ

(١) كَرِبُوا: خذوا طريق كرنى، وكرنى، بالفتح: موضع في نواحي الأهواز، ودولبوا خذوا طريق دولاب، ودولاب: قرية قريبة من الأهواز.

(٢) أ، ب: «ويعبه».

(٣) التكملة من س.

(٤) س: «التهمام».

(٥) حصر المذاهب، أي مسدودة عليه مذاهبه فهو كالمحبوس.

(٦) المرازب: جمع مرزيان، بفتح فسكون فضم: الرئيس من الفرس.

(٧) الحمالة: الكفالة.

سَيِّدُكُمْ. فَقَالُوا: مَنْ ^(١) سَيِّدُنَا غَيْرُكَ؟ قَالَ: حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ. قَالَ: وَقَدِمَ حَارِثَةُ مِنَ الْأَهْوَازِ بِمَالٍ كَثِيرٍ فَلَبَّغَهُ مَا قَالَ الْأَحْنَفُ، فَقَالَ: اغْرَمْنِيهَا وَاللَّهِ أَبْنُ الزَّافَرِيَّةِ! ثُمَّ أَنَاهُمْ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ فِيمَا أَجْتَمَعُوا، [فَقَالَ فِيمَا أَجْتَمَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ]. فَقَالَ ^(٢): لَا تَلْقُوا فِيهِمَا أَحَدًا [فَهُمَا عَلَيَّ ^(٣)]. ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ فَقَالَ:

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَضُذْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ ^(٤) تَفَرَّدِي بِالشُّوَدِّ

تمثل سفيان بن عيينة ببيت له:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال:

خَرَجَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ ^(٥) إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَازْدَحَمُوا، فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَلَّا أَحَدَنْكُمْ شَهْرًا. فَقَامَ إِلَيْهِ شَابٌّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَلَيْسَ جَانِبُكَ، وَحَسَنُ قَوْلِكَ، وَتَأْسُ بِصَالِحِي سَلَفِكَ، وَأَجْمَلُ مُجَالَسَةِ جُلَسَائِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَتْ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَأَمِينًا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ عَلَى الْعِلْمِ، وَاللَّهِ إِنْ الرَّجُلَ لَيُرِيدُ الْحَجَّ فَتَتَعَاظِمُهُ مَشَقَّتُهُ حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَقِيمَ، فَيَكُونُ لِقَاؤُهُ إِيَّاكَ وَطَمَعُهُ فِيكَ أَكْثَرَ ^(٦) مَا يَحْرُكُهُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَخَضَعَ سُفْيَانُ [وَتَوَاضَعَ ^(٧)] وَرَقًا وَبَكَى، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ ^(٨) حَارِثَةَ:

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَضُذْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ ^(٩) تَفَرَّدِي بِالشُّوَدِّ

ثُمَّ حَدَّثْتُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِكُلِّ مَا أَرَادُوا إِلَى أَنْ رَحَلُوا.

مدحه سعيد ابن قيس لإجارته حين أهدر على دمه:

/ أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِنْدِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا [٤٠٩/٨] الْعُمَرِيُّ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عِمَارَةَ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُثَيْبَةَ ^(١٠):

أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ الْغُدَّانِيَّ كَانَ سَمَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، فَأَهْدَرَ ^(١١) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَمَهُ، فَهَرَبَ فَاسْتَجَارَ ^(١٢) بِأَشْرَافِ النَّاسِ، فَلَمْ يُجِرْهُ أَحَدٌ، فَقِيلَ لَهُ: عَلَيْكَ بِسَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ فَلَعَلَّهُ [أَنْ ^(١٣)] يُجِيرَكَ. فَطَلَبَ سَعِيدًا فَلَمْ يَجِدْهُ، فَجَلَسَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جَاءَ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ فَرَسِهِ فَقَالَ ^(١٤): [أَجِرْنِي أَجَارَكَ اللَّهُ، قَالَ: وَيْحَكَ، مَا لَكَ؟ قَالَ: أَهْدَرَ ^(١٥) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَمِي. قَالَ: وَفِيمَ [ذَاكَ ^(١٦)]؟ قَالَ: سَعَيْتُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ الْغُدَّانِيَّ. قَالَ: أَقِمْ. وَانصَرَفَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَجَدَهُ قَائِمًا عَلَى الْمَنِيرِ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا؟ قَالَ: أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَصْلُبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مِنْ؟ قَالَ: إِلَّا مِنْ تَابٍ. قَالَ: فَهَذَا حَارِثَةُ بْنُ

(١) أ، ب: «قالوا: ومن سيدنا».

(٢) التكملة من أ، ب.

(٣) أ، ب: «ومن البلاء».

(٤) أ، ب: «على».

(٥) أ، ب: «أكبر».

(٦) أ، ب: «ثم تمثل قول».

(٧) أ، ب: «ومن البلاء».

(٨) ب: «عتبة».

(٩) أ، ب: «فنذر».

(١٠) أ، ب: «واستجار».

(١١) التكملة من أ، ب.

(١٢) أ، ب: «وقال».

(١٣) أ، ب: «نذر».

(١٤) تكملة من ب.

بدر قد جاء تائباً، وقد أجرته. قال: أنت رجلٌ من المسلمين وقد أجرنا من أجرنا. ثم قال ^(١) علي عليه السلام وهو [٤١٠/٨] على المنبر: أيها الناس ^(٢)، إني كنت / نذرتُ دَمَ حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يَغْرِضْ ^(٣) له. فانصرفَ إليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه ^(٤)، وأجازه [بجائزة سنينة ^(٥)]، فقال فيه حارثة:

الله يَجْزِي سَعِيدَ الْخَيْرِ نَافِلَةً أَغْنِي سَعِيدَ بَنِ قَيْسٍ قَرْمَ هَمْدَانٍ
أَنْقَسَدَنِي مِنْ شَفَا غَبْرَاءِ مُظْلَمَةٍ لَسَوْلا شَفَاعَتُهُ أَلْبَسْتُ أَكْفَانِي
قَالَتْ تَعِيمُ بَنُ مُرٍّ لَا تُخَاطِبُهُ وَقَدْ أَبَتْ ذَلِكَ قَيْسُ بَنُ عَيْلَانَ

قال الهيثم:

لم يكن الحسن بن عُمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات، وأخذتُ الشعر كله من حماد الراوية، فقلت له: ممن أخذته قال: من سَمَاك ابن حَرْب. وهو:

أَسَاخُ فِي الْخَلْقِ رِيقاً كَانَ يَجْرِضُنِي ^(٦) وَأُظْهِرُ اللَّهَ سِرِّي بَعْدَ كِتْمَانٍ
إِنِّي تَسَارَكُنِي عَفْ شَمَائِلُهُ أَبَاؤُهُ حَيْسَنُ يُنْمِي خَيْرُ قَحْطَانٍ
يُنْمِيهِ قَيْسُ وَزَيْدٌ وَالْفَتَى كُرْبُ وَذُو جَبَائِرٍ مِنْ أَوْلَادِ عَثْمَانَ
وَذُو رُعَيْنٍ وَسَيْفٌ وَأَبْنُ ذِي يَزْنَ وَعَلَقَمَ قَبْلَهُمْ أَغْنِي أَبْنُ نَبْهَانَ ^(٧)

قال ^(٧): فلما أراد الانصرافَ إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين ^(٨) في ألفٍ راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة:

[٤١١/٨] / لَقَدْ سُرَرْتُ غَدَاةَ النَّهْرِ إِذْ بَرَزْتُ أَشْيَاخُ هَمْدَانَ فِيهَا الْمَجْدُ وَالْخَيْرُ
يَقُودُهُمْ مَلِكٌ جَزَلٌ مَوَاهِبُهُ وَارِي الزُّنَادَ لَدَى الْخَيْرَاتِ مَذْكَورُ
أَغْنِي سَعِيدَ بَنِ قَيْسٍ خَيْرُ ذِي يَزْنَ ^(٩) سَامِي الْعِمَادِ ^(١٠) لَدَى السُّلْطَانِ مَحْبُورُ
مَا إِنِّي يَلِينُ إِذَا مَا سِيَمٍ مُنْقَصَةٍ ^(١١) لَكِنْ لَهُ غَضَبٌ فِيهَا وَتَنْكِيرُ ^(١٢)
أَغْرُ أُبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ جَنَابُهُ الدَّهْرُ يُضْحِي وَهُوَ مَمْطُورُ ^(١٣)

(٨) تكلمة من أ، ب.

(٩) من: النصيرين.

(١٠) أ، ب: «خير ذي يمن».

(١١) أ: «جَمَ الفضال» ب: «حامي الديار».

(١٢) أ: «منقبة»، وفي ب: «مندية».

(١٣) أ، ب: «وتذكير».

(١٤) البيت ساقط من ب.

(١) أ، ب: «... وقد أجرناه». قال علي.

(٢) أ، ب: «يا أيها الناس».

(٣) أ، ب: «فلا يغرض له».

(٤) أ، ب: «وكساه وحمله».

(٥) التكلمة من ص.

(٦) أ، ب: «كنت أجرضه». ويجرضني: يغصني.

(٧) أ، ب: «أعني ابن قيقان».

أنس ابن زياد به وقصة ذلك:

أخبرني ^(١) محمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن زكريا، قال: حدّثنا محمد ابن معاوية الزياتي، عن القحذمي، قال:

كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زيادُ يأنس به طُول حياته، فلما مات وولي عُبيدُالله أبنه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متوارياً منه حتى خفّ الناس، ثم قام فأذكره بحقوقه على زيادٍ وأُنسِه به. فقال له: ما أعرفني بما قلت! غير أن أبي كان قد عَرَفه الناس وعرفوا سيرته، فلم يكن يَلصق به من أهل الرّية مثل ما يلحقني، مع الشباب وقُرب العهد بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مُجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً. فقال: الليلُ أحبُّ إليّ. فكان يدعوه ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليلته ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يُحضره، فجاءه ليلةً وبوجه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟ قال: / ركبَت فرسي الأشقر ^(٢) فلجَجَ بي مَضيقاً ^(٣) فسَحَجَنِي. قال: لكنك لو ركبَت أحدَ الأشهبين لم يُصبك [٤١٢/٨] شيء من هذا. يعني: اللبن والماء ^(٣).

طلاقه لزوجته وحسرتة عليها:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد ابن معاوية الزياتي، عن القحذمي، عن عمه، قال:

خرج حارثة بن بدر إلى سلم بن زياد بخُراسان فأوصى رجلاً من عُدانة أن يتعاهد امرأته الشّماء ويقومَ بأمرها، فكان العُدانيُّ يأتيها فيتحدث عندها ويُطيل، حتى أحَبَّها وصَبَّأ بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيّرت، ويُشير عليه بفراقها، ويقول له: إنها قد فَصَحَتْكَ من تَلَعَّبِ الرجالِ بها. فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه:

أَلَا أَدْنَا شَمَاءَ بِالْبَيْنِ إِنَّهُ أَبَى أَوْدُ الشَّمَاءِ أَنْ يَتَّقَوْمَا

قال: فلما طَلَّقَهَا وقضت عدتها، خطبها العُدانيُّ فتزوجها، وكان حارثة شديد الحب لها، وبلغه ذلك، وما صَنَعَتْ، فقال:

لَعَمْرِكَ مَا فَارَقْتُ شَمَاءَ عَنْ قَلِي وَلَكِنْ أَطْلَعْتُ النَّأْيَ عَنْهَا فَمَلَّتْ
مُقِيمًا بِمَرْوَرُودَ لَا أَنَا قَافِلٌ إِلَيْهَا وَلَا تَذُنُّو إِذَا هِيَ حَلَّتْ

رثاء زوجته له:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحذثان، قال:

(١) هذا الخبر والأخبار الثلاثة بعده ساقطة من أ، ب.

(٢) يعني: الخمر.

(٣) لجج: إذا خاض لجة.

تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر، وكانت تُذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده، فقالت ترثي حارثة:

[٤١٣/أ] / بُذِلْتُ بِشَرٍّ أَوْ مُعَاقِبَةً
يا ليتني قبل بشرٍ كان عَاجِلَنِي
من فارسٍ كان قِذْمًا غَيْرَ خَوَّارٍ
دَاعٍ مِّنَ اللَّهِ أَوْ دَاعٍ مِّنَ النَّارِ
وقالت أيضاً فيه:

مَا خَارَ لِي ذُو الْعَرْشِ لَمَّا اسْتَخَرْتُهُ
فَمَا كَانَ لِي بَغْلًا وَمَا كَانَ مِثْلُهُ
فِيَارِبُ قَدْ أَوْقَعْتَنِي فِي بِلَإَةٍ
وَنَحْ إِلَهِي رِبْقَتِي مَن يَدُ أَمْرِي
هُوَ السُّوْءُ السُّوْءُ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ
يَسْرَى أَكْلَةً إِنْ نَلْتَهَا قَلَعَ ضَرْسَهُ
وَإِنْ حَادَثَ عَضُّ الشُّعَافِي لَمْ يَكُنْ
وَعَذَّبَنِي أَنْ صِرْتُ لَابِسَ شِعَافٍ
يَكُونُ حَلِيفًا أَوْ يَتَّأَلُ إِلَّا فِي
فَكُنْ لِي حِصْنًا مِنْ رَبِّ وَكَافٍ^(١)
شَتِيمٍ مُّحَيِّاهُ لِكُلِّ مُصَافِي^(٢)
لَطَالِبٍ خَيْرٍ أَوْ أَحَدٌ قَوَافِي^(٣)
وَمَا تِلْكَ زُلْفَى يَالَ عَبْدٍ مِّنَافٍ
صَلِيحًا وَلَا ذَا تُذْرَأَ وَقِذَافٍ^(٤)

بينه وبين ابن زنيم:

أخبرني محمد بن مزيّد^(٥)، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لقي أنس بن زنيم اللؤلؤي حارثة بن بدر فقال له: يا حارثة، قد قلت لك أبياتاً فاسمّعها. فقال: هاتها، فأنشده:

[٤١٤/أ] / وَإِنْ كَانَ غُثْمًا يَا بَنَ بَدْرٍ فَقَدْ أَرَى
وَأَنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَا وَاحْتِسَائِهَا^(٦)
فَحَتَّى مَتَى أَنْتَ ابْنُ بَدْرٍ مُّخَيِّمٍ
فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْهُ عَنْهُ وَخَلِّهِ
فَمَا لَكَ تَأْتِي مَا يَشِينُكَ عَنْ عِلْمٍ
وَدَفْعُهَا لِمَنْ أَمْسَى بَعِيدًا مِنَ الْحَزْمِ
وَقُلْتَ لِي أَتْرَكُهَا لِأَوْضَعْتَ^(٧) فِي الْحُكْمِ^(٨)
بِقَوْلِي وَلَا تَجْعَلْ كَلَامِي مِنَ الْجُرْمِ
فَحَتَّى مَتَى أَنْتَ ابْنُ بَدْرٍ مُّخَيِّمٍ
فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْهُ عَنْهُ وَخَلِّهِ
وَإِنْ كَانَ غُثْمًا يَا بَنَ بَدْرٍ فَقَدْ أَرَى
وَأَنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَا وَاحْتِسَائِهَا^(٦)
تَسِي اللَّهُ وَأَقْبَلْ يَا بَنَ بَدْرٍ نَصِيحَتِي
فَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ شَرَابًا مُحَلَّلًا
وَأَيَقُنْتَ أَنَّ الْقَوْلَ^(٩) مَا قُلْتَ فَاتَّقِغْ

(١) الوجه: «وكافياً»، فعدل عنها للقافية، وهذه من أقيح الضرورات.

(٢) الريقة، بكسر الراء وسكون الباء: العقدة. وشتيم المحيا: كريبه.

(٣) الأحل: الذي لا يتعلق به شيء لجودته.

(٤) الشعافي، هو بشر بن شعاف، المذكور قبل. وذو تدراً: ذو عزة ومنعة. والقذاف: الرمي.

(٥) ب: «يزيد».

(٦) أ، ب: «بما في احسانها».

(٧) أوضعت: أسرعت.

(٨) أ، ب: «في الحكم».

(٩) أ، ب: «الحلم».

فَرُبُّ نَصِيحِ الْجَيْبِ رُدُّ اثْنَيْصَاحِهِ عَلَيْهِ بِلَا ذَنْبٍ وَعُوجِلَ بِالشَّتَمِ^(١)
فقال له حارثة: لقد قلتَ فأحسنْتَ، ونصحتَ فبالغتَ^(٢)، جُزيتَ الخيرَ أبا زُنَيْمٍ^(٣). فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماءُه
فذكر لهم ما قالَ ابنُ زُنَيْمٍ، فقالوا: والله ما نرى ذلكَ إلا حَسْداً^(٤). ثم قال حارثة بن بدر لابن زُنَيْمٍ:

يَعِيبُ عَلَيَّ الرِّاحَ مَنْ لَوْ يَذُوقُهَا
فَدَعَهَا^(٥) أَوْ أَمْدَحَهَا فَلَأَنَا نُحِبُّهَا
عَلَامَ تَذُمُّ الرِّاحَ وَالرِّاحُ كَأَسْمِهَا
فَلَمَنْبِي فَإِنَّ اللَّؤْمَ فِيهَا يَزِيدُنِي
وَبِاللَّهِ أُولِي صَادِقًا لَوْ شَرِبْتَهَا
/ وَإِنْ شَتَّ^(٦) جَرَّبْتُهَا وَذُقْتُهَا عَيْقَةً
فإِنْ أَنْتَ لَمْ تَخْلُغْ عِذَارَكَ فَالْحَنِي
وَقَبْلَكَ مَا قَدْ لَامَنِي فِي اضْطَبَّاحِهَا
وَحَاسَيْتُهَا قَوْمًا^(٧) كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
فَدَعَنِي مِنَ التَّقْذِيلِ فِيهَا فَلَمَنْبِي
أَجُودُ وَأُعْطِي الْمُنْفَسَاتِ تَبْرُعًا
وَأَشْرِبُهَا حَتَّى أَخْرَجُ مُجْدَلًا
وَلَوْلَا اللَّهُ لَمْ أَصُحُّ مَا عَشْتُ سَاعَةً
فَقَصَّصْتُ عَنْهَا بَعْدَ طُولٍ لَجَاجَةٍ
وَحَقٌّ لِمِثْلِي أَنْ يَكْفَ عَنْ الْحَنَى

[٤١٥/٨]

هو وابن زياد في خراج نيسابور:

أخبرني الحسين^(١٣) بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي عبيدة:

أَنَّ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ اسْتَعْمَلَ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ عَلَى نَيْسَابُورَ^(١٤) فغاب عنه أشهرًا، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما
جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: اسْتَظَلْتُ خَرَجَكَ^(١٥) وجئتُ به وليس لي [بها]^(١٦) عملٌ، فما مَقَامِي؟ قال: أَوْ بِذَلِكَ

(٩) أ، ب: «وفي إدمانها».

(١٠) وحاسيتها قوماً: شربتها معهم.

(١١) أ: «في سر أمري والجهر».

(١٢) أ، ب: «والسكر».

(١٣) ب: «الحسن».

(١٤) ب: «هل جند نيسابور».

(١٥) استظلت خراجك: استوفيته.

(١٦) تكملة من أ، ب.

(١) نصيح الجيب: أمين.

(٢) س: «فما بلغت».

(٣) أ: «يا زُنَيْم».

(٤) أ، ب: «فقالوا: ما أراد إلا تبكيك. قال: وأنا والله أرى ذلك».

(٥) أ، ب: «فعبها».

(٦) صراح، بضم الصاد: صرفة غير ممزوجة.

(٧) أولى صادقاً: أحلف صادقاً.

(٨) أ، ب: «فإن شئت».

[٤١٦/٨] أمرتك؟ أزعج فأرذد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضي السنة وقد فرغت من/ ذلك^(١)، فإنه أرفق بالريّة وبك، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التّعنيف عليهم^(٢). فرجع فردّ الخراج عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة.

شهادة الأحنف له:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي، قال: قال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قط فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له، وكان حارثة بن بدر من الدّهاء.

صوبت زياد على تقريره إياه فأجاب:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال:

كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب، وكان حطياً عند زياد، فعوتب زياد على رآيه فيه. فقال: أتلو مؤنني على حارثة؟ فوالله ما تقل في مجلسي قط، ولا حك ركابه ركابي، ولا سار معي في علاوة الريح^(٣) فغبر علي، ولا دعوته قط فاحتججت إلى تجسّم الالتفات إليه حتى يوازي، ولا شاورته في شيء إلا نصحتني، ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيراً.

موقفه يوم دولاب:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز [الجوهري]^(٤) وأحمد بن عبيد الله بن عمّار، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي، قال:

[٤١٧/٨] / لما كان يوم دولاب وأفضت الحرب إلى حارثة بن بدر صاح: من جاءنا من الموالى فله فريضة العرب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر^(٥). فلما رأى ما يلقى أصحابه من الأزارقة قال:

أَيُّرُ الْحِمَارَ فَرِيضَةً لَشَبَابِكُمْ وَالْخُصِيَّانَ فَرِيضَةً الْأَعْرَابِ
عَضَّ الْمَوَالِي جِلْدَ أَيُّرِ أَبِيهِمْ إِنْ الْمَوَالِي مَغْشَرُ الْخِيَّابِ

ثم قال:

كَزَنْبُوا وَدَوْلَبُوا وَشَرْقُوا وَغَرْبُوا
وَحَيْثُ شِئْتُمْ فَأَذْهَبُوا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ «كَزَنْبُوا» أَي خُذُوا طَرِيقَ كَرْزَبَى، وَ «دَوْلَبُوا»: خُذُوا طَرِيقَ دَوْلَابِ^(٦).

(٤) تكملة من أ، ب.

(٥) ب: «العرب».

(٦) مر بعض هذا الخبر (ص ٤٠٠).

(١) أ، ب: «وقد فرغت من خراجك».

(٢) أ، ب: «ولا التغير عليها».

(٣) علاوة الريح: أن تكون في مهبها.

سؤال ابن زياد له وللأحنف عن الشراب:

أخبرني محمد بن زكريا الصخاف، قال: حدثنا قعنب بن مُحَرِّز، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن ابن عيَّاش^(١)، عن المغيرة بن المتشر، قال:

إنَّا عند^(٢) عبيد الله بن زياد، وعنده الأحنف [بن قيس]^(٣) وحارثة بن بدر، وكان حارثته يُتَّهم بالشراب. فقال له عبيد الله: يا حارثة، أيُّ الشراب أطيب؟ قال: بُرَّة طبرية^(٤)؛ بأقطة عنزية، بسمنة عربية، بسكرة سوسية^(٥). فنبَّس عبيد الله، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أيُّ الشراب أطيب؟ قال: الخمر. فقال له عبيد الله: وما يُدريك ولست^(٦) من أهلها؟ قال: مَنْ يَسْتَحِلُّهَا لَا يَغْذُوها إِلَى غَيْرِها، وَمَنْ يُحَرِّمُها يَتَأَوَّلُ فِيها حَتَّى يَشْرِبَها. قال: فضحك عبيد الله.

/ هو ورجل أجاز له بيتاً:

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي^(٧) وعمرو بن عبد الله العتكي، قالوا: حدثنا الرياشي. وقال العتكي في خبره: «عن أبي عبيدة»، ولم يقله الأسدي ولا تجاوز الرياشي به: إن حارثة كان بكوار^(٨) من أردشير^(٩) خره [يُنْتَزَه]^(١٠) فقال:

الْم تَرَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَذْرِ أَقَامَ بِدَيْرِ أَبْلَقٍ^(١١) مِنْ كُوَارَا

ثم قال لجند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حُكْمُهُ. فقال له رجل منهم: أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك، وتجعلني رسولك إلى البصرة، وتطلب لي القفل^(١٢) من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مُقِيمًا يَشْرَبُ الصُّهْبَاءَ صِرْفًا إِذَا مَا قَلَّتْ تَصْرُعُهُ أَسَدَارَا

فقال له حارثته: لك شرطك، ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك.

طلب منه الأبيرد ثوبين فأعطاه ما لم يرضه فهجاه:

كتب إلي أبو خليفة الفضل بن الحُبَّاب، أخبرنا محمد بن سلام، قال: قدم الأبيرد الرِّياحي على حارثة بن بدر

(١) س: «أبي عيَّاش»، تحريف.

(٢) أ، ب: «كنا عند».

(٣) تكملة من أ، ب.

(٤) س: «طبرية».

(٥) «سوسية»: نسبة إلى سوس. كورة بالأهواز.

(٦) أ، ب: «وما يدريك من أهلها».

(٧) أ: «أخبرني محمد أبو الحسن الأسدي». س: «أخبرني محمد بن محمد الحسن الأسدي».

(٨) كوار، بالضم وتخفيف الواو: بلدة بينها وبين شيراز عشرة فراسخ.

(٩) أردشير خره: كورة بفارس، منها شيراز وكوار.

(١٠) تكملة من أ، ب.

(١١) ذكر ياقوت هذا الدبر في «دير الأبلق» وقال: «بكوار من ناحية أردشير خره» ثم أورد البيتين، هذا البيت والذي بعده منسوبين لحارثة.

(١٢) القفل، بالفتح: الرجوع، كالقفل.

فقال له: أكنسني ثوبين أدخل بهما^(١) على الأمير. فكساه ثوبين لم يرضهما، فقال فيه:

[٤١٩/٨] / أحارثُ أَمْسِكَ فَضَلَ بُرْدَيْكَ إِنَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا اسْتَمَطَرْتُ مِنْكَ سَحَابَةً
أَحَارِثُ عَاوِدُ شُرْبِكَ الْخَمْرَ إِنَّنِي
فَبَلَغْتُ زِيَادًا، وَبَلَغْتُ حَارِثَةً، فقال: قَبَّحَهُ اللَّهُ! لقد شهد [علي^(٢)] بما لم يعلم، ولم أدع^(٣) جوابه إلا لما يعلم.

مجاهرة الحكم ابن المنذر بالشراب لأبيات لحارثة:

أخبرني محمد بن يزيد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:
كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك وعُتِبَ، وعرف أن الصلتان العبدية
هجاه فقال فيه:

تَرَكَ الْأَشْيَاءَ طُورًا وَأَنْحَنَى^(٤) يَشْرَبُ الصُّبُهَاءَ مِنْ مَاءِ الْعَيْبِ
لَا يَخَافُ النَّاسَ قَدْ أَذْمَنَهَا وَهِيَ تُزْرِي بِالْثَّيْمِ الْمُؤْتَشِبِ^(٥)
وَهِيَ بِالْأَشْرَافِ أَزْدَى وَالسَّيِّئَةِ الْتَّائِبِ تَدْعُو ذَا الْحَسَبِ
فَدَعِ الْخَمْرَ أَبَا حَرْبٍ وَسُدَّ^(٦) قَوْمَكَ الْأَذْنَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ
فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصالح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشرب^(٧) لكنك الرجل الكامل، وما يخفي
عليّ قبيحه^(٨) وسوء القالة فيه، ولكنني سمعتُ حارثة بن بدر الغداني أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المجاهرة
الشراب، وإن كان ذلك إليّ بغيضاً. قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعته يُنشد:

[٤٢٠/٨] / أَذْهَبَ عَنِّي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالسَّيِّئَةُ
فَوَاللَّهِ مَا أَنْفَكُ^(٩) بِالرَّاحِ مُهْتَرَأً^(١٠) بِهِ تُطْرَدُ^(١١) الْأَخْدَاتُ شُرْبُ الْمُرُوقِ
وَلَوْلَا لَامُ فِيهَا كُلُّ حُرْمٍ مُوَفَّقٍ

(١) أ، ب: «فيهما».

(٢) العجاج: الغبار، والسافي: التراب المتبدد.

(٣) أ، ب: «أرى ابن زياد عنك أصبح لاهياً».

(٤) تكملة من أ، ب.

(٥) أ، ب: «وما أدع».

(٦) س: «والخنى».

(٧) المؤتشب: الذي جمع ماله من الأشابات، وهي الأخلاط فيها الحرام.

(٨) أ، ب: «تسد».

(٩) أ، ب: «الشراب».

(١٠) أ، ب: «قبحه».

(١١) أ، ب: «تطرق».

(١٢) أ، ب: «ولا أنفك».

(١٣) أ، ب: «ولا أنفك».

فما لاثمي فيها وإن كان ناصحاً
ولكن قلبي مُستَهَامٌ بحُبِّها
أحبُّ التسي لا أملك الذَّهْرَ بَغْضَها
سأشربها صِرْفاً وأسقي صحابتي
بأعلم مُني بالرحيق المُعْتَق
وحُبُّ القِيَانِ رَأْيِي كُلُّ مُحَمَّق
وذلك فَعْلٌ مُعْجِبٌ كُلُّ أَخْرَق
وأطلب غِرَاتِ الغَزَالِ المُنْطَق^(١)

هو وندبم له من قریش:

أخبرني محمد بن مَزِيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال:
كان لحارثة بن بدر نَدِيمٌ من قُرَيش يُصِيب معه الشراب، ولا يفارقه إذا شرب، وقال فيه.

وأبيض من أولاد سعد بن مالك
وحتى رأى الشخصَ القريبَ يسكره
فقلتُ أسكران؟ فقال مكابراً^(٢)
فقلتُ له أشرب هذه بابليةً
فلما حَسَاها هَرَمَا^(٥) ثم إنه
/ وقال أعذها قلت صبراً سُوَيْعَةً
فقلتُ له ثم ساعةً علَّ ما أرى^(٦) من الشكرِ يَئِدي منك صُرماً مُذْكراً^(٨)
سَقِيتُ من الصُّبَاءِ حتى تَقَطَّرَا^(٣)
شُخُوصاً فنادى يَالَ سَعْدِ وَكَبِيراً
أبى الله لي أن أُسْتَخَفَّ وَأُسْكِرَا
تُخَالُ بها مِسْكَ ذَكِيّاً وَعَنْبِرَا^(٤)
تَمَسَّكَ شَيْئاً واجمأً مُتَّفَكِّراً
فَهَوَمَ شَيْئاً ثم قام فَبَرَزَا^(٧)

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان:

هو ومخارق بن صخر وقد دخل عليه وهو مصطبيح:

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي حُرَانة، أو خال أبي جميعة^(٩)،
وكان صديقاً لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوماً. وهو مُصْطَبِيحٌ، فعاتبه [حارثة بن بدر^(١٠)] وقال^(١١) [له]: قَدْ أَسْقَطْتَ

(١) المنطق: لابس المنطقة.

(٢) تقطر: ألقى على قطره، أي ظهره.

(٣) أ، س: «مكابراً».

(٤) أ، ب: «مخالطة مسكاً ذكياً وعنبراً».

(٥) كذا في أ، ب. وهرما: أطلقها من بطنه. وفي س: «هدما».

(٦) هَوَمَ: هز رأسه من النعاس. وبربر: خلط في كلامه هاذياً.

(٧) أ، ب: «عل ما ترى».

(٨) الصرم: الهجر. ومذكر: قاطع حاسم. يريد إقلاصاً عن شرب الخمر لا رجعة بعده.

(٩) أ، ب: «حنيفة».

(١٠) التكملة من أ.

(١١) تكملة من أ، ب.

الخمرُ قدرك ومُروءتك. قال له: دع عنك هذا الجنونَ وهلمَّ نتساعدَ واسمع ما قلت.

قال: هاته، فأنشده:

غدا ناصحاً لم يَأُلْ جُهْداً مُخَارِقُ يَلُومُ على شُرْبِ السُّلَافِ الْمُعْتَقِ
فقلتُ أبا صَخْرٍ دَعِ النَّاسَ يَجْهَلُوا ودونَكهما صَهْبَاءَ ذَاتِ تَأَلَّقِ
تراها إذا ما المَاءُ خَالَطَ جِسْمَهَا تَخَايَلُ في كَفِّ الوَصِيفِ الْمُتَطَّقِ^(١)
لَهَا أَرْجٌ كَالْمِسْكِ تُذْهِبُ رِيحَهَا عَمَايَةَ حَاسِيهَا بِحُسْنِ تَرْفُقِ
وكم لَأَئِمَّ فِيهَا بِصِيرٍ بِفَضْلِهَا رَمْنُهُ بِسَنَمٍ صَائِبٍ مُتَزَلِّقِ^(٢)
فَقَلَّ لِسَرِّيَّاهَا يَعْضُ نَدَامَةً يَدِيهِ وَأَرْغَى بَعْدَ طُولِ تَمَطُّقِ^(٣)
وقال لَكَ العُذْرُ أَبْنِ بِدِرٍ على التي تُسَلِّي هُمُومَ الْمُنتَهَامِ الْمُشَوِّقِ
/ فلستُ ابْنَ صَخْرٍ تاركاً شُرْبَ قَهْوَةٍ لِقَوْلِ لَيْثِمِ جَاهِلٍ^(٤) مُتَحَذِّقِ
يعيب عليَّ الشُّرْبَ والشُّرْبُ هُمُ لِيُخَسِّبَ ذَا رَأْيٍ أَصِيلٍ مُصَدِّقِ
فما أنا بِالغِرِّ ابْنَ صَخْرٍ ولا الذي يُصَمِّمُ في شيءٍ مِنَ الْأَمْرِ مُوَبِّقِ^(٥)

[٤٢٢/٨]

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناس قد كثروا^(١) فيك، ورأيت النصيحة لله واجبةً عليّ، وكرهت^(٢) أن تضعَ لذتكَ قدركَ، فإن أطعنتني في تركها وإلا فلا تجاهر بها، فإنك قادرٌ [على^(٣)] أن تبلغَ حاجتكَ في ستر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سمعتُ، فتركة وانصرف.

هو وأبو الأسود وقيل مولى زياد:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي، قال: أنبأنا الرياشي عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال: لما بنى فيل مولى زياد داره^(٩) بالسَّابِجَةِ^(١٠)، صنع طعاماً ودعا أصحابَ زيادٍ، فدخلوا الحمامَ المعروفَ

(١) أ، ب: «فكم لائم... بهم صائب لم يذلق».

(٢) متزلق: محدد.

(٣) التمتع: التصويت باللسان والغار الأعلى، وذلك عند استطابة الشيء.

(٤) أ، ب: «عاجز».

(٥) موبق: مهلك.

(٦) أ، ب: «قد أكثروا».

(٧) أ، ب: «ورأيت النصيحة لك واجبة، فكرهت أن».

(٨) تكملة من أ، ب.

(٩) أ: «لما بنى فيل مولى داره بالسَّابِجَةِ». «س»: «لما بنى داره فيل مولى زياد بالسَّابِجَةِ».

(١٠) السَّابِجَةُ: قوم من السند، كانوا نواب البصرة جلاوزة وحراس السجن، يريد الحي الذي كانوا ينزلونه.

بحَمَامٍ^(١) فيل، وخرجوا^(٢) فتغذوا عنده، وركب فيل^(٣) وأصحابه الهَمَالِيجَ والمَقَارِيفَ^(٤) والبِغَالَ، واجتاز بهم معه^(٥) على حارثة بن بدر وأبي الأسود الدُولِيَّ وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

[٤٢٣/٨] / لَعَمْرُ أَيْكَ مَا حَمَامٌ كَسَرَى على الثَّلَاثِينَ مِنْ حَمَامٍ فِيلٍ
فقال له حارثة:

وما إِيْجَافُنَا خَلَفَ المَوَالِي بِسُنَّتِنَا على عَهْدِ الرَّسُولِ
نعمق الأحنف له في قول بلغه عنه بمحضر ابن زياد:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: أنبأنا حماد عن أبيه، عن عاصم بن الحدثنان، قال: حدثني عمي عن الحارث الهُجَيْمِي، قال:

ذُكِرَ حِلْمُ الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد الله: أيها الأمير^(٦)، ما يبلغ حِلْمُ مَنْ لا قُدْرَةَ له ولا يملك لعدوه ضرراً ولا لصديقه نفعاً. وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه؟ فبلغ ذلك من قوله. الأحنف فقال: أهون بحارثة وكلامه؟ وما حارثته ومقداره؟ أليس الذي يقول - قبح الله رأيته - في قوله:

إذا ما شَرِبْتُ الرّاحَ أَبَدْتُ مَكَارِمِي وَجُدْتُ بما حَاذَتْ يَدَايَ مِنَ الوَفْرِ
وإن سَتَيْتُ جَهْلًا نَسِيتُ مِيَّ لَمْ أَرِذْ على أَشْرَبَ سَقَاكَ اللهُ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
أَرَى ذاكَ حَقًّا وَاجِبًا لِمُنَادِمِي إذا قالَ لي (فَنَزَرَ الجَمِيلَ مِنَ النُّكْرِ

هو وجارته ميسة:

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكُرَانِي، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي^(٧)، قال:

كان لحارثة بن بدر جارية يقال لها «مَيْسَة» وكان بها مشغوفاً، فلما مات تزوجت بعده بشر بن شغاف. فهؤلاء الشغافيون^(٨) من ولدها، وفيها يقول حارثة:

[٤٢٤/٨] / خَلِيلِي لولا حُبِّ مَيْسَةَ لَمْ أَبْل أفي اليَوْمِ لَأَقَيْتُ النِّبْيَةَ أُمَ عَدَا
خَلِيلِي إِنْ أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُمَا فَلَا تَجْعَلَا سِرِّي حَدِيثاً مُبَدَّداً^(٩)

(١) حمام فيل: بالبصرة. وكان أهل البصرة يضربون المثل به. «معجم البلدان».

(٢) أ، ب: «ثم خرجوا».

(٣) الهماليج: البراذين، جمع هملاج، بكسر الهاء. والمقاريف: الخيل غير الأصيلة، واحدها مقرف، بضم فسكون فكسر.

(٤) أ: «واجتازوهم معه». وفي ب: «واجتازوا وهم معه».

(٥) أ، ب: «وما يبلغ...».

(٦) أ، ب: «العتبي».

(٧) س: «الشغافيون» تصحيف. «الاشتقاق» لابن دريد ص ٢٧٧.

(٨) هذا البيت ساقط من ب.

وإن أنتم أفسيتُمَاه فلا رأت
عُيُونُكُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَدَّدا
ولا زِلْتُمَا فِي شِقْوَةٍ مَا بَقِيْتُمَا
تَذُوقَانِ عَيْشاً سَيِّءَ الْحَالِ^(١) أَنْكَدَا

هو ومولاه في تسويد قومه له:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: أنبأنا الحسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة، قال:

اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه [من^(٢)] بني تميم ومعه كعب مولاه، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما ولى قال له كعب: ما سمعتُ كلاماً قط أقرّ لعيني ولا ألدّ بسمعي^(٣) من هذا الكلام الذي سمعته اليوم. فقال له حارثة: لكنني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسِي وأبغضَ إليّ مما سمعته. قال: ولم! قال: ويحك يا كعب! إنما سوّدني قومي حين^(٤) ذهب خيارهم وأمانيلهم، فاحفظ عني هذا البيت:

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوَّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ^(٥) تَقَرُّدِي بِالشُّوَدِّ

مطلبه في وفاته:

قال:

واشتكى حارثة [بن بدر] وأشرف^(٦) على الموت، فجعل قومه يعودونه^(٧) فقالوا له^(٨): هل لك من حاجة أو شيء تريده؟ قال: نعم، أكسروا رجلَ مولاي كعب لئلا يترخ من عندي فإنه يؤنسني. ففعلوا، وأنشأ^(٩) يقول:

[٤٢٥/٨] / يا كعبُ مهلاً فلا تجزع على أحد
يا كعبُ ما راح من قوم ولا بكرُوا^(١٠)
يا كعبُ ما طلعت شمس ولا غربت
يا كعبُ كم من حمى قوم نزلت به^(١١)
يا كعبُ لم يبق مئاً غير أجساد
إلا وللموت في آثارهم حادي
إلا تقرب أجالاً^(١٢) لميعاد
على صواعق من زجر وإيعاد

(١) ب: «البال».

(٢) تكلمة من أ، ب.

(٣) أ، ب: «السمعي».

(٤) أ، ب: «حيث».

(٥) أ، ب: «ومن البلاء».

(٦) التكلمة من أ، ب.

(٧) أ، ب: «ودخل عليه قومه يعودونه».

(٨) تكلمة من س.

(٩) أ، ب: «فأنشأ».

(١٠) أ، ب: «ولا ابتكروا».

(١١) س: «أجال».

(١٢) أ، ب: «فيهم».

فإن لقيت بوادٍ حيةً ذكرا فأذهب ودعني^(١) أمارس حية الوادي^(٢)

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين:

صوت

عش فحييكَ سريعا قاتلي والفضي إن لم تصلني واصلي
ظفر الشوق بقلبي ذنف فيك والشقم بجسم ناحلي
فهما بين اكساب وهنسي تركاني كالقضيبي الذابل

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

* ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی ایران

(١) أ: «وذرنی» ب: «فامرر وذرنی فلانی حية الوادي».

(٢) حية الوادي: من هو نهاية في الداء والخبث والعقل.

فهرس التراجم التي في الجزء الثامن

الموضوع	الصفحة
جرير	٢٢٩
جميل	٢٨٨
يزيد بن الطثرية	٣٣٢
جميلة	٣٥٣
عترة	٣٨٦
عبد قيس بن خفاف البرجمي	٣٩٢
أبو دلف	٣٩٤
سعيد بن عبد الرحمن	٤٠٩
البردان	٤١٥
الأخطل	٤١٧
سائب خاثر	٤٤٥
جرادتا عبدالله بن جدعان	٤٤٩
سلامة القس	٤٥٤
العباس بن الأحنف	٤٦٦
ترجمة حارثة بن بدر	٤٨٥
نسبه وأخباره	٤٨٩
فهرس التراجم التي في الجزء الثامن	٥٢١